



١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
1401AH-1981AC

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

سلسلة إسلامية المعرفة (٢٣)

التوجيه الإسلامي للخارجية المبج والمجالات

الباحثون

د. عاطف مصطفى مكارى
د. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ
د. ماهى رابو المعاطى على
د. محمد أحمد عبد الهادى
د. نبيل إبراهيم أحمد عبد الرحيم
د. نوال على خليل المسيرى

د. إبراهيم عبد الرحمن رجب
د. أحمد يوسف محمد بشير
د. السيد عبد الفتاح عفيفى
د. الفاروق زكى يونس
د. عبد اللطيف
د. موسى جوهر

تقديم

أ.د. طه جابر العلوانى



Bibliotheca Alexandrina

المشاركون *

- ١- أ.د. ابراهيم عبد الرحمن رجب
أستاذ ورئيس قسم الخدمة الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية - الرياض - وكلية معارف الوحي - ماليزيا .
- ٢- د. أحمد يوسف بشير
أستاذ مشارك - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .
- ٣- د. السيد عبد الفتاح عفيفي
أستاذ مشارك لعلم الاجتماع - جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض .
- ٤- أ.د. الفاروق زكي يونس
أستاذ ورئيس قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية - كلية الآداب - جامعة
الكويت .
- ٥- د. رشاد أحمد عبد اللطيف
أستاذ مساعد بكلية الخدمة الاجتماعية - قسم تنظيم مجتمع - جامعة حلوان
- ٦- د. عاطف مصطفى مكاوي
مدرس بكلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان .
- ٧- د. عفاف إبراهيم الدباغ
مدرس بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية للبنات - الرياض .
- ٨- د. ماهر أبو المعاطي علي
أستاذ مشارك بكلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان - جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية . الرياض .
- ٩- أ.د. محمد أحمد عبد الهادي
أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .
- ١٠- د. نبيل ابراهيم أحمد عبد الرحيم
أستاذ بكلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان - وجامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية - الرياض .
- ١١- د. نوال علي خليل المسيري
أستاذ بكلية الخدمة الاجتماعية للبنات - الرياض .

* رتبت الأسماء الفبائياً .

التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية
المنهج والمجالات

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد
تعبر عن آراء واجتهادات مؤلفيها

التوجيه الإسلامي للدراسة الجامعية المنهج والمجال

الباحثون

د. عاطف مصطفى مكاوى	د. إبراهيم عبد الرحمن رجب
د. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ	د. أحمد يوسف محمد بشير
د. ماهر أبو المعاطى على	د. السيد عبد الفتاح عفيفى
د. محمد أحمد عبد الهادى	د. الفاروق زكى يونس
د. نبيل إبراهيم أحمد عبد الرحيم	د. رشاد أحمد عبد اللطيف
د. نوال على خليل المسيرى	د. عادل محمد موسى جوهر

تقديم

أ.د. طه جابر العلوانى

المعهد العالمى للفكر الإسلامى

القاهرة

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

(سلسلة إسلامية المعرفة ؛ ٢٣)

© ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

جميع الحقوق محفوظة

المعهد العالمى للفكر الإسلامى

٢٦ ب - ش الجزيرة الوسطى - الزمالك - القاهرة - ج . م . ع

بيانات الفهرسة أثناء النشر - مكتبة المعهد بالقاهرة .

مركز صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات التجارية الإسلامية .

التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية : المنهج والمجالات / مركز صالح عبد الله
كامل للأبحاث والدراسات التجارية الإسلامية ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ؛
تقديم طه جابر العلوانى . - ط ١ . - القاهرة : المعهد ، ١٩٩٦ .

٥٢٤ ص ؛ سم . - (سلسلة إسلامية المعرفة ؛ ٢٣)

يشتمل على إرجاعات بليوجرافية .

تدمك X - ١١ - ٥٦٥٨ - ٩٧٧ .

١ - الخدمة الاجتماعية . ٢ - الإسلام والخدمة الاجتماعية .

أ - العنوان . ب - (السلسلة) .

رقم التصنيف : ٣٦١

رقم الإيداع : ٩٤٩٠ / ١٩٩٦ .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقديم : بقلم أ.د. طه جابر العلوانى .	٧
المحور الأول : الإطار الفكرى والمنهجى للتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية	١٩
• منهج التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية . د . إبراهيم عبد الرحمن رجب	٢١
• المنظور الإسلامى للرعاية الاجتماعية . د . عفاف بنت إبراهيم	٦٧
• نحو مدخل إسلامى لممارسة الخدمة الاجتماعية . د . عفاف بنت إبراهيم	١٠١
• نحو سياسة اجتماعية متكاملة من منظور إسلامى . د . ماهر أبو المعاطى على	١٣٧
• خدمة الجماعة وتنمية الشخصية الإسلامية . د . نبيل إبراهيم أحمد عبد الرحيم	١٩١
• مقياس لدرجة التوكل على الله فى الخدمة الاجتماعية . د . نوال على خليل المسيرى	٢١٩
المحور الثانى : من مجالات الخدمة الاجتماعية فى المنهج الإسلامى .	٢٤٧
• دور خدمة الفرد فى مجال الدعوة الإسلامية : تصور مقترح . د . عادل محمد موسى جوهر	٢٤٩
• التوجيه الإسلامى للشباب لمواجهة التطرف فى الدعوة الإسلامية . د . السيد عبد الفتاح عفيفى	٢٨٩
• الخدمة الاجتماعية مع المسنين بنظرة إسلامية . د . الفاروق زكى يونس	٣١٩
• سياسات الرعاية الاجتماعية للمسنين بين الفكر الوضعى والتصور الإسلامى . د . أحمد يوسف محمد بشير	٣٤٥
• دور الأخصائى الاجتماعى مع المرضى المشرفين على الموت : مقارنة بين المنظورين الإسلامى والغربى . د . رشاد أحمد عبد اللطيف	٣٨٥
• تعاطى المسكرات كمثكلة اجتماعية : الوقاية والعلاج من منظور إسلامى . د . عاطف مصطفى مكاوى	٤١٥
• الخدمة الاجتماعية الإسلامية فى القوات المسلحة . د . محمد أحمد عبد الهادى	٤٤٧
حلقة نقاش حول : -/ الخدمة الاجتماعية والدعوة إلى الله . -/ قضايا المنهجية وانعكاساتها على العلم والمجتمع .	٤٧٩ ٤٨١ ٥٠١

المقدمة

أ.د. طه جابر العلواني
رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله ، وصحبه .

نحمد الله ونشكره أن مسيرة التعاون والتنسيق بين الأزهر الشريف والمعهد العالمي للفكر الإسلامي قد اتصلت واستمرت ، وها نحن اليوم نحتشد هنا في هذا المؤتمر العلمي الدولي الثاني ، الذي يعقد بالتعاون بين المؤسستين ، بعد أن بدأت مسيرة التعاون في تنظيم مؤتمر دولي خاص بـ "إسهام الفكر الإسلامي في الاقتصاد" الذي استطاع أن يصل إلى مجموعة من التصورات والأفكار في أبرز قضايا الاقتصاد المعاصرة ، التي تشكل أسئلة وتحديات للاقتصاديين المسلمين . واليوم تعقد المؤسستان الأزهر والمعهد هذا الملتقى المبارك للبحث في جملة من القضايا الفكرية ، والعلمية ، والمنهجية ، والعملية المتعلقة بقضايا علم أو فن " الخدمة الاجتماعية " التي كانت إلى وقت قريب جزءاً من "علم الاجتماع".

إنه لفأل حسن ، وتجارب محمود من المؤسستين الأزهر والمعهد ، أن تكون ميادين الجهود المشتركة بينهما قد بدأت في أمور عملية ، تتصل مباشرة بمشكلات الجماهير وقضاياها ، وأنهما يجعلان التفكير والتنظير في خدمة التنفيذ والتطبيق ، توضيحاً لسمة مميزة من سمات "إسلامية المعرفة" ، وهي الحرص على العلم المحمود النافع ، وتجنب إضاعة الوقت في المعارف المذمومة الضارة ، وفي ذلك رعاية مباشرة من المؤسستين لمقاصد الشريعة ، وأهدافها في خدمة الناس ، وتوفير احتياجاتهم خاصة أولئك الذين تشتد حاجتهم إلى تلك الخدمات .

لقد طورت وتطورت وسائل "الخدمة الاجتماعية" في الغرب تطوراً كبيراً ، وحاول الغرب من خلال تطوير تلك الوسائل أن يبرز جانبه الحضاري الأفضل ، وقيم الدليل والبرهان على تحضره ، وتمدنه ، واحترامه للإنسان ، وتقديره للحياة ، والأحياء . وذلك بشكل لم تعهده البشرية إلا حين كانت تستظل بظلال الإسلام الوارفة الظليلة ، ويوم كانت مؤسسات الوقف المختلفة ، تقوم بتلك الأدوار المشرقة في خدمة المجتمع الإسلامي ؛ مسلمين ، وذميين ، ووافدين عليه من غير المسلمين من مستأمنين ومعاهدين .

واليوم - بعد أن ضرب التخلف قيم الإسلام ، وشاع التراجع عن تلك القيم بلاد المسلمين ، فأصابها القصور المادي والعجز عن الأخذ بأسباب التمدن والشهود الحضاري ، فتراجعت تلك الخدمات في مجتمعات المسلمين ، واختفت مؤسسات الوقف ، لتحصر دورها في خدمة المساجد وحدها ، واستبدلت وسائل الخدمة الاجتماعية ومؤسساتها

بوزارات للشئون الاجتماعية ومؤسسات أخرى موازية ، لكنها كلها لم تستطع أن تسد الفراغ الهائل ، الذي تركته مؤسسات الأوقاف الإسلامية بعد تأميم وتصفية كثير من تلك المؤسسات وأوقافها .

واليوم يقف المسلمون في "آخر الأمم" المهتمة بالخدمة الاجتماعية ، في وقت هم أشد الناس حاجة إلى هذه "الخدمة الاجتماعية" ، علما وفنا وممارسات ومؤسسات وقيادات . فخمس وسبعون في المائة من اللاجئين في العالم اليوم مسلمون ، وسبعون في المائة من جوع العالم وعمراته مسلمون ، ولا نريد أن نتحدث عن أعداد ذوي العاهات المختلفة في بلاد المسلمين ، بدءا من التخلف العقلي ، وانتهاءً بفقدان الأطراف ، فتلك أمور يطول شرحها . وكوارث الحروب المحددة ، والمجاعات ، ومخلفاتها كفيلة بأن تقدم المزيد من الأرقام في كل يوم . ولذلك فإن هذه الأمة أحوج ما تكون - اليوم - إلى الوعي على ذاتها ، واليقظة على خواصها ، والإثابة إلى رشدها . والمعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة خاصة مستقلة ، أنشئ من قبل نفر من أبناء هذه الأمة المخلصين ، الذين لا يزالون يؤمنون برسالة هذه الأمة وعالميتها وخيرية هذه الأمة وإخراجها للناس نموذجا ومثالا ، والمعهد يعمل على بناء هذا الوعي مع المؤسسات المهتمة بذلك كالأزهر الشريف ، ولذلك تبنى المعهد فكرة "إسلامية المعرفة" وقام لنشر لوائها لتكون وسيلة من وسائل بناء هذا الوعي ، وإرساء دعائمه . و"إسلامية المعرفة" في نظر المعهد لا تمثل ضرورة معرفية فحسب ؛ بل هي ضرورة حياتية لا يمكن أن يتحقق وعي إسلامي ، أو تقوم نهضة إسلامية بدونها ، وقبل أن تبدأ بإيتاء ثمارها . و"إسلامية المعرفة" قائمة على فكرة أساسية خلاصتها : أن "الأمة المسلمة" هي أمة نشأت وتكونت وصارت أمة مخرجة للناس نموذجا ، ومثالا ، متصفة بالخيرية والوسطية والشهادة على الناس ، والمسئولة عن إعمار الكون بـ "القراءة" . فهي إذن "أمة القراءة" لا الجهالة والامية ، بدأ تكوينها بكلمة "اقرأ" لا بكلمة "قاتل" ، أو افتح ، أو ادخل هذه الأرض واخرج من تلك ، أو تول قيادة هذا الشعب ، لتقاتل به ذاك " ؛ بل كانت البداية أمراً بالقراءة : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق : ١ - ٥) .

ثم يقسم بالقلم ، وما يسطر الناس به بعد تلك القراءة : ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم : ١) ، ثم يمتن الباري على الإنسان بتعليمه القرآن ، وتعليمه البيان : ﴿الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن : ١ - ٤) .

إن القراءة التي ورد الأمر الإلهي بها قراءة محددة المعالم ، واضحة الاتجاه . إن الأمر قد ورد بقراءتين :

القراءة الأولى : قراءة باسم الله تعالى لهذا الوحي النازل ، الذي سيتتابع نزوله حتى يتم قرآنا كريما ، مجيدا ، مكنونا ، مفصل الآيات . تتلوه يا محمد على الناس ، وتبينه لهم ،

ليتعلموا منه الحكمة ، والهداية ، والرشد ، فتزكو نفوسهم ، وتطهر حياتهم ، ويهتدوا به في أداء مهام الاستخلاف ، والقيام بواجب الائتمان ، وحق العمران . وحين رد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنه ليس بقارىء ، لا شك أنه فهم المطلوب وهو قراءة ما سيملى عليه ، وهو لا يعرف القراءة والكتابة ، وليس له من العلم ما يقرؤه ، ولكن ربط القراءة ﴿باسم ربك﴾ نبهه عليه الصلاة والسلام إلى أن ذلك كله سيتم على عين الله ، وبرعايته ومصاحبته . فكأنه كان بمثابة قوله ﴿اقرأ﴾ ولن تكون وحدك في أداء هذا الفعل ، الذي لا تعرفه ؛ بل سيكون معك ربك ، الذي أعطاك الكثير ، وهو قادر على أن يعلمك كيفية أداء ما أمرك به ، ويزيد على ذلك ، كما علم آدم الأسماء كلها ، وكما علم إبراهيم وموسى وعيسى وسواهم من النبيين والرسل . فاستعن به في القراءة يعنك ، ويصحبك ، ويكون معك فيها .

وذكر الرب - جل شأنه - ووصفه بالخلق ، وذكر خلق الإنسان بالذات ، فيه طمأنينة لرسول الله - ﷺ - بأن منحه القدرة على القراءة ليس بالأمر الصعب على ربه ، الذي خلق كل شيء وخلق الإنسان من علق . كما أن في ذكر الخلق تهئية لبيان النوع الثاني من القراءة ، ألا وهي قراءة الخلق ودراسة الوجود ، فهما كتابان : كتاب منزل مثل معجز وهو القرآن ، وكتاب مخلوق مفتوح ، وهو هذا الخلق والوجود بدءاً من الإنسان . ولا بد من قراءتهما معا لتوجد المعرفة الحضارية الكاملة ، التي تمكن الإنسان من القيام بمهام الاستخلاف ، وأداء حق الأمانة ، والقيام بمقتضيات العمران . وهي معرفة لا تقوم على التلقى وحده ، بل على الأخذ عن الغير كذلك بالمراجعة والمطالعة ، وقراءة الكتب ، وكتابتها ، وتناقل الخبرات والمعارف بين البشر ، واستعمال القلم - الذي علم الله به ، وجعله وسيلة للمعرفة ، وتبادلها ، وإثرائها ، وتناقلها ، وتعلمها ، وتعليمها .

ثم ما يمن الله - تعالى - به من معارف ، تنقدح بها العقول من مستنبطات ، ومخترعات ، وغير ذلك مما يندرج تحت قول الله تعالى : ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ فهناك مصدران للمعرفة الإنسانية يتضافران في توصيل الإنسان إلى معارف الشهود الحضاري ، والقيام بمهام العمران ، والاستخلاف في هذا الوجود ولا بد من الجمع بينهما ، فيفهم القرآن العظيم ، ومدلولاته بالخلق وبالوجود ، ويفهم الوجود ، ويهتدي به في أداء مهام الخلافة فيه والقيام بمقتضيات الأمانة بالقرآن المجيد وتوجيهاته ، وأحكامه ، وتعاليمه .

ولا بد من قراءة المصدرين معا وتنفيذ الأمر بالقراءتين : قراءة الوحي النازل المتمثل في الكتاب الكريم ، المحدد لغاية الحق من الخلق ، والنبه على السنن الحاكمة لهذا الوجود الموضح للمنهج ، والشرعة ، والحقائق الأساسية . وقراءة كونية شاملة لآثار القدرة الإلهية ، وصفاتها ، وخلق الإنسان ، وسائر السنن والظواهر الكونية ، وملاحظة ربوبية الباري جل شأنه ، وكرمه البالغ في خلق الإنسان ، واستخلافه ، وإثمانه على الوجود ، وندبه لإعمارهِ وتسخيرهِ .

والقرآن المجيد المكنون بهذه الآيات الكريمات وما يرتبط بها قدم في الماضي أنجح الحلول لأزمة الإنسان المعرفية في عصر التنزيل ، تلك الأزمة التي عرفت بالجاهلية ، ولا يزال وحده القادر على تقديم مفاتيح الحلول المعرفية لأزمة العالم المعرفية المعاصرة .

فبالجمع بين القراءتين ، وإخراج القلم المصنوع الوضعي عن دائرة نزقه ، وطغيانه ، وربطه بالقراءة الأولى هو ما كتب به ﴿ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ (القلم: ١-٢) ، وتعليم الله تعالى الإنسان القرآن والبيان : ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾ (الرحمن : ١-٤) . وبذلك كله يتجاوز الإنسان الأزمة المعرفية ، ويقف على الميزان. وبذلك وضع الميزان ، وعهد إليكم : ﴿ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ (الرحمن : ٧-٩) . فهو الذي ﴿أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل : ٧٨) . فعلمه - وحده تعالى - العلم المحيط الشام : ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ (البقرة : ٢٥٥).

فهو سبحانه ﴿قد أحاط بكل شيء علما﴾ (الطلاق : ١٢) ، أما الناس فأكثهم لا يعلمون وإذا علموا شيئا فإنهم ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ (الروم : ٧) ، ولذلك فإن أزمة العالم المعرفية اليوم لا مخرج منها إلا منهجية القرآن المعرفية ، فلا نبي بعد محمد ولا كتاب بعد القرآن : ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ، فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به جهادا كبيرا﴾ (الفرقان : ٥١ - ٥٢) .

فالقراءتان فريضتان ، لأنهما أمران إلهيان ، والجمع بينهما ضروري ، إذ بدونه يقع الخلل ، فمن تجاوز القراءة الأولى واستغرق استغراقا كليا في القراءة الثانية - علم الوجود - فقد العلاقة بالله ، وتجاهل الغيب ، وانطلق بفلسفة وضعية منبثة عوراء قاصرة في مصادرها ، تحاول أن توحد بين الإنسان والطبيعة ، وتعتبر الخالق والغيب كله مجرد ما ورائيات ، إذا كانت قد مارست خلقا أو إيجادا ، فقد تكون مارسته بقوة الدفعة الأولى ، ثم تناسته أو نسيت له ليستمر الكون بعد ذلك فاعلا ومنفعلا بشكل آلي ، وحين يحلو لبعض أصحاب هذه الفلسفة أن يتذكروا الباري جل شأنه ، فإنهم يتذكرونه بشكل حلولي يزعم أن الله تعالى قد حل في قوى الطبيعة ذاتها وذاب فيها ليتحول إلى جزء حال فيها ينتهي بنا إلى المادية الجدلية ، التي أنكرت الخالق تماما ، وطرحت بدائل له من اتجاهات النمو عبر خصائص التطور المعقد ، ليشعر الإنسان باندماجه الكامل بالطبيعة ككائن طبيعي ، وهنا يبدأ الإنسان الشعور بالغنى أو الاستغناء عن خالقه جل شأنه ، لأنه لم يعد يرى غير الطبيعة أمامه ، فهي كل شيء وهي وراء كل شيء ، لا يراها وهي مسخرة مقهورة بسنن الله تعالى ، بل يراها

كونا مستقلا عن أي امتداد ، وأنداك لا يشعر أن الله تعالى قد سخرها له ، وأنه الخالق له ولها ، بل يرى أنه نفسه الفاعل المبدع المتعدد القدرات ، المسيطر على الطبيعة ، المفجر لكوا من ما فيها : فالكون مهياً مسخر للإنسان ، والإنسان مزود بالقدرات التمكينية الذهنية والعلمية التي تمكنه من تسخير الكون وحين يغفل الإنسان أو يعيش عن ذكر الرحمن ، ولا يرى القدرة الإلهية في ذلك كله من خلال هداية الوحي يشده الشعور بالاستغناء ، والإحساس بالقدرة والإبداع إلى أن يجعل من علاقته بالكون علاقة تسلط وقهر وصراع ، وتفقد عناصر الطبيعة علاقتها الودية بالإنسان ، وكونه المخلوق المتسخلف المؤمن ، وكونها المخلوقة المسخرة لهذا المؤمن والمستخلف ، وكلاهما في المخلوقية والعبودية لله تعالى سواء ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيتخذ الوجود آنذاك شكل القوى المتصارعة المتبادلة ، ويتخذ الإنسان الغافل شكل المتأله المسيطر بالعلم على كل شيء ، فيمجد ذاته ، ويتخذ إلهه هواه ، ويستمد قيمه من الطبيعة ، وحتى الأديان تتحول عنده إلى شيء يوظف عندما تدعو الحاجة لسد ثغرة أو تلبية رغبة ، أو أداء خدمة . وهنا يحق عليه القول : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِيطْفَىٰ﴾ (العلق: ٦) . فيقع في الاستبداد والطغيان ، وتحدث كوارث البيئة ، ويظهر التلوث والفساد في البر والبحر والجو بما كسبت أيدي الناس ، ويختل التوازن ، وتظهر أمراض الانحراف والشنوؤ في المعمورة ، فقارات يعمها الجوع والخراب وأخرى تعمها الأمراض بكل أشكالها ، والجرائم بكل أنواعها ، وتسود المعيشة الضنكة : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه : ١٢٤) .

أما إهمال القراءة الثانية ، أي قراءة الوجود والكون والاقتصار على قراءة الوحي وحده منقطعاً منبتاً عن الوجود ، فإنه يؤدي إلى نفور من الدنيا واستقذارها ولما فيها ، يشل طاقات الإنسان العمرانية والحضارية ، ويعطله عن أداء مهام الخلافة والأمانة والعمران ، ويحول بينه وبين التمتع بنعمة التسخير ، ويعطل فكره وينتقص من قيمة فعله ، بل قد يلغي فلا يرى الإنسان نفسه فاعلاً في شيء ، ولا يرى لوجوده في الحياة معنى ، وكل هذه الأفكار منافية تماماً لمنهج القرآن العظيم .

إن تجاوز القراءة الثانية أو عدم جمعها مع الولي يؤدي إلى ظهور العجز الإنساني الحضاري وتعطل طاقاته ، وإلى خلط عجيب بين قضايا عالم الغيب وعالم الشهادة . وقد يتوهم المقتصرون على القراءة الأولى أن تنزيه الباري جل شأنه لا يتم إلا إذا ألغيت قيمة الفعل الإنساني ، ونفيت إرادته واختياره ، واستلب استلاباً لاهوتياً من دوره .

والناظر في مقالات الإسلاميين وكتب الفرق ، يجد في مقالاتهم العجب العجيب في قضايا الخلط بين الفعل الإنساني والفعل الإلهي ، والإرادة الإنسانية وقضايا الجبر ، والاختيار والعلل والأسباب وسواها .

إذن لابد من الجمع بين القراءتين : قراءة الوحي وقراءة الوجود ، والدمج بينهما لكلا يقع الإنسان في أي ذنك الطرفين الذميين ، ومن هنا كان ما سميناه بـ "إسلامية المعرفة"

ضرورة معرفية . وضرورة حضارية . لا على المستوى الإسلامي وحده ، بل على المستوى العالمي كله للخروج من المأزق المعرفي المعاصر ، والأزمة الفكرية العالمية المعاصرة . فبعد تكريس البعد المنهجي في التفكير واجهت الحضارة الغربية نفسها مشكلة تحديد الصياغة المنهجية لحضارتها ومعرفتها صياغة تستند إلى تطور الغرب العلمي بكل جوانبه ، لقد كانت الماركسية محاولة لإيجاد هذه الصياغة في إطار المادية الجدلية ، وها هي الماركسية تنهار بانقراض الاتحاد السوفيتي قبل أن يجد الغرب البديل المعرفي والمنهجي لها ، لتبقى الحضارة الغربية دون صياغة فلسفية بديلة ، ودون إجابات عن معظم الأسئلة النهائية المعلقة التي يشيخ علماء اليوم بوجوههم عن الإجابة عنها . أما أزمئنا نحن - العرب والمسلمين - فهي أشد وأنكى ، فنحن شركاء في الأزمة العالمية من ناحية لأن علاقتنا بها وبالغرب لم تعد برائية كما يتوهم البعض ، لأن الحضارة الغربية قد نبحت من خلال غزوها الفكري والثقافي والمؤسساتي في أن تفرض علينا وعلى العالم كله منهجها ووعيتها العلمي للوجود وللحركة الكونية ورؤيتها للتاريخ والعلم والمعرفة والحضارة والثقافة والتقدم والتخلف وغيرها ، فما هي " أسلمة المعرفة " التي نقترحها حلاً لأزمئنا المعرفية والفكرية وأزمة العالم معنا ؟ وما الأصل فيها ؟

إن إسلامية المعرفة نتجت من الجمع بين القراءتين فهني واقعة بين كسائين ، تؤسس على تقابلها وتكاملها منهجا في البحث والاكتشاف . الكتاب الأول وهو كتاب الوحي المقروء ، ونعني به القرآن ، والكتاب الثاني هو كتاب الكون المتحرك الذي يتضمن ظواهر الوجود كافة ، فالقرآن المجيد العظيم كالكون الواسع العظيم ، كلاهما يدل على الآخر ويقود إليه ، فالقرآن يقود إلى الكون والكون أيضا يقود إلى القرآن .

وهذا ما أسميناه بالجمع بين قراءتين ، قراءة غيبية عبر الوحي في الكون هي تنزل من الكلي الإلهي إلى الجزئي البشري والطبيعي ، وبما تتيحه قدراتنا البشرية النسبية على تفهم تنزلات الكلي المطلق ، وقراءة الكون هي تطلع من الجزئي من مفردات الكون وأفراد الإنسان باتجاه الكلي وفق قدراتنا النسبية أيضا على فهم الظواهر ، فلا يحدث الانفصام المزعوم بين الوحي والمعرفة الموضوعية . هذا ما أكدته بدايات سورة العلق ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥)﴾ (العلق: ١-٥) .

أما حين يحدث الفصام بين القراءتين - كما هو حاصل اليوم - فإن مناهج المعرفة البشرية تصل إلى نتيجتين خطيرتين : فالذين يتعلقون فقط بالجانب الغيبي في القراءة ، أي القراءة الأولى ويسقطون الجانب الموضوعي من حسابهم ، فيتحولون بالدين إلى لاهوت يستلب الإنسان والكون وينفي الأسباب وقوانين الحركة وصيرورتها وكافة السنن الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية التي يتفاعل معها الإنسان ، لينتهي الفكر الإنساني إلى فكر سكوني جامد يحسب خطأ على الدين .

والذين يتعلقون فقط بالجانب الموضوعي في القراءة الثانية ، فإنهم ينفون البعد الغيبي
الفاعل في الوجود وحركته ، فينتهوا تدريجيا إلى الفكر الوضعي في المعرفة الذي يؤثر على
النسق الحضاري بدوره بذلك التأثير السلبي وذلك هو الوجه السائد للفكر الغربي الآن
والذي بدأت مدارس فكرية غربية كثيرة تحاول الخروج عليه والتوصل منه بعد أن خبرت
ويلاته وأدى إلى تقسيم البشرية وتصارع اللاهوت والوضعية ، في حين أن الرجوع إلى
آيات سورة العلق تنفي اللاهوت عن الغيب حين يربط ما بين هذا الغيب والقراءة الثانية ،
أي القراءة الموضوعية بالقلم ، كما تنفي عن القراءة في الحالتين هوى الإنسان ، تبعا لتعلقه
بالوحي وفهمه له من ناحية وتبعا لتعلقه وفهمه لظواهر الوجود الكوني وحركته في الوقت
ذاته وخلافته .

لهذا نعاني وتعاني البشرية كلها الكثير من جراء الفصام القائم في مناهجنا التربوية
ونظمنا التعليمية بين علوم الدين والعلوم الكونية ، ولم نتوصل بعد إلى الصيغة التي تؤهل
الطالب ليجمع بين العلمين في كل واحد . ومبعث ذلك أننا قد ارتضينا المناهج الغربية في
الفصل القائم بين كليات الشريعة وكليات العلوم الحديثة ، أو العلوم الاجتماعية فضلا عن
التطبيقية .

هذا الفصل الذي يؤدي إلى الفصام يحمل خطورة أخرى ، إذ يساعد بين العلوم
الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، حيث طورت المناهج الوضعية علاقتها بهذه العلوم
الإنسانية والاجتماعية وصاغت وفق القراءة الثانية فقط ، واستبعدتها من مجال العلوم الشرعية
التي أوغلت بدورها في الفقه ووسائله .

إن النسق الغربي قد انتهى - كما رأينا - إلى ثنائية اللاهوت والوضعية ، وخطورة
هذه الثنائية المفتعلة والمتطرفة أنها قامت على انفصام دفعت بعض الأنساق الحضارية دفعا
نحو الاتجاه الوضعي حين غيبت النظرة الكلية للكون والحياة والإنسان وارتباط قيمه وأخلاقه
بالله سبحانه وتعالى ، فتضخمت الذاتية البشرية على حساب القيم العقلية والأخلاقية ، وما
الدين إلا مكارم الأخلاق ، فتم تبرير الصراعات القومية والصراعات الاجتماعية كما تم
تبرير الفردية الليبرالية إلى حد الاستباحة ، فتكرس الصراع بكل مظاهره عوضا عن السلام
الذي تعطيه القيم ، وما ذلك إلا لأنه وبالقراءة الثانية فقط ، رأى الإنسان نفسه مستغنيا
حتى عن الذي خلقه ، ومن يستغني عن الله - سبحانه وتعالى - يطمح في الأرض ،
ويتناول بناصيته على كل من يدعو للقيم والأخلاق ، ولهذا تم الربط بين مقدمة سورة
العلق الداعية للجمع بين القراءتين وأزمة الطغيان والتناول الإنساني للنسق الحضارية
الوضعية المتعالية بتطورها العلمي التطبيقي المجرد : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ (٦) أن رآه
استغنى (٧) إن إلى ربك الرجعى (٨) ﴿العلق : ج ٣٠﴾ .

فقضية الجمع بين القراءتين مسألة منهجية في المعرفة وتقود إلى نتيجة حضارية ، فالذي يجمع بين القراءتين لا يستغني عن الله لأنه يدرك دوماً افتقاره إليه ، فلا يستبد ولا يتغني علواً في الأرض ولا فساداً.

كيفية الجمع بين القراءتين :-

لقد زعم البعض أن هذه القضية حلم من الأحلام أو مجرد شعار من الشعارات ، ول هؤلاء وسواهم نود أن نوضح أن المدخل الأساسي للجمع بين القراءتين يبدأ باكتشاف العلاقة المنهجية بين القرآن من ناحية والوجود وحركته من ناحية أخرى فالقرآن وحي إلهي يتعلل به هذا الوجود انطلاقاً من أنه مطلق ومحيط وشامل ، وبقدر ما تتسع معرفتنا للآثنين معا تتكون لدينا القدرة على الجمع بين القراءتين واكتشاف التداخل المنهجي بين الوحي والكون ، فمنهجية القرآن هي منهجية الوجود ، والمطلوب ليس قول ذلك نظرياً ولكن اكتشاف ذلك تطبيقياً ، فالقول النظري لا يتجاوز حالة تبشير بفرضية قد تكون غير صحيحة ويمكن الطعن فيها ، ولهذا يكون التحدي الأول والأهم في اكتشاف مدى التداخل المنهجي من خلال الجمع بين القراءتين ، بين الوحي الإلهي والعلوم الطبيعية والإنسانية القائمة على السنن الإلهية في الكون والحياة والإنسان ، أما الحديث عن عظمة القرآن فإن القرآن عظيم حقاً ومعجز فعلاً ، وقد كتب الناس عن عظيمته وإعجازه آلاف الصفحات ، بل ملايينها ، لكن تلك الكتابات لم تستطع أن تكشف للناس عن منهجيته المستوعبة للكون وحركته . كما لم تؤد إلى الكشف عن التداخل المنهجي بين قراءة القرآن وقراءة الوجود . فقد بقيت آيات كريمة كثيرة ومقولات الإسقاطات الإسرائيلية واضحة . كذلك بقيت في المعارف الإنسانية والاجتماعية ، بل وفي العلوم الطبيعية أبعاد غائبة ، وأسئلة كثيرة حيرى لا تجد من مدارس تلك العلوم المختلفة إجابات شافية ، لأنها لم تكشف ذلك التداخل المنهجي بين القراءتين إلا في حدود جزئية تمثلت في محاولات انتقائية يغلب على بعضها التلفيق الذي يجعلها تبدو مفتعلة إلى حد كبير كذلك المحاولات التي تبدو فيما عرف بـ "الإعجاز العلمي" .

فتأكيدنا الدائم على وجوب الجمع بين القراءتين ، واعتبار ذلك شرطاً مسبقاً للخروج من الأزمة الفكرية والمعرفية في مستوياتها العالمية والمحلية يحمل تأكيداً على وجوب الالتفات إلى ذلك الارتباط المنهجي بين القرآن والكون والإنسان ، ويتخلص الإنسان من مأساة الفصام بين اللاهوت والناسوت أو الوضعية البشرية وما يجره ذلك الفصام لنا من مشكلات .

إن هذه المهمة لا يستطيع النهوض بها إلا من أوتوا القرآن وحظوا من العلوم والمعارف كافيًا لاكتشاف ذلك التداخل المنهجي بين القرآن والوجود والإنسان ولذلك أرسيت قواعد "أسلمة المعرفة" على ما يلي :

١- إعادة بناء الرؤية الإسلامية المعرفية القائمة على مقومات وخصائص التصور الإسلامي السليم ليتضح ما يمكن اعتباره النموذج المعرفي الإسلامي القادر على الإجابة عن الأسئلة النهائية ، دون تجاوز شيء منها ، وبناء قدرة ذاتية على النقد المعرفي الذي يمكن من الاستيعاب والتجاوز بشكل منهجي منضبط ، وفي الوقت نفسه يعطي القدرة على التوليد المعرفي المنهجي ، والتفسير المعرفي الذي لا يقوم على الإقناع والخطابة ، بل على المعرفة المنهجية التامة .

٢- إعادة فحص وتشكيل وبناء قواعد المنهجية الإسلامية على ضوء " المنهجية المعرفية القرآنية " وعلى هدى منها ، فإن أضرارا بالغة قد أصابت هذه المنهجية نتيجة القراءات المفردة والتجزئية التي قرأت القرآن عشرين ، وقرأت الوجود والإنسان في معزل عنه قديما وحديثا .

٣- بناء منهج للتعامل مع القرآن المجيد من خلال هذه الرؤية المنهجية وباعتباره مصدرا للمنهج والشرعة والمعرفة ومقومات الشهود الحضاري والعمراني ، وقد يقتضي ذلك إعادة بناء وتركيب علوم القرآن المطلوبة لهذا الغرض ، ويتجاوز الكثير من الموروث في هذا المجال . فالإنسان العربي قد فهم القرآن ضمن خصائص تكوين الإنسان العربي للموضعية التي كانت بطيئة محددة اجتماعيا وفكريا بالقياس إلى خصائص التكوين الحضاري العالمي الراهنة ، ففي تلك المرحلة التي تم فيها التلويح الرسمي للعلوم والمعارف العقلية التي دارت حول النص القرآني والحديث النبوي كانت العقلية البلاغية واللغوية ، وما توحى به من اتجاه نحو التجزئة وملاحظة المفردات هي السائدة ، ولذلك اعتبر الفهم الذي تولد عنها مقبولا وكافيا في تلك المرحلة ، أما في المرحلة الراهنة حيث تسيطر عقلية الإدراك المنهجي للأمور ، والبحث عن علاقتها الناعمة لها بطرق تحليلية ونقدية توظف الأطراف العلمية المختلفة ، وتربطها بموضوعات حضارية متشعبة وعلاقات متنوعة فلا بد من إعادة النظر في علوم وسائل فهم النص وخدمته وقراءته قراءة الجمع مع الكون والتداخل المنهجي معه ، وتلخيصه من كثير من أنواع التفسير والتأويل ، والربط الوثيق بالنسبي من خلال الإسقاطات الإسرائيلية ، والربط التام بأسباب النزول ، والمناسبات ومشكلات النسخ وتعدد مدارس التفسير .

٤- بناء منهج للتعامل مع السنة النبوية المطهرة - أيضا - من خلال تلك الرؤية المنهجية وباعتبار السنة النبوية المطهرة كذلك مصدرا لبيان المنهج والشرعة والمعرفة ومقومات الشهود الحضاري والعمراني . فلقد كانت مرحلة النبوة وعصر الصحابة مرحلة تعتمد على الاتصال المباشر برسول الله ﷺ ، ومتابعته والتأسي به فيما يقول أو يفعل : «(خذوا عني مناسككم)» «(صلوا كما رأيتموني أصلي)» . والاتباع والتأسي يعتمدان على التحرك العملي في الواقع للرسول عليه الصلاة والسلام . فالرسول - ﷺ - كان يجسد بسلوكه القرآن في الواقع فلا تبدو هناك أية مشكلة في التطبيق وتنزيل القرآن على الواقع .

فالتطبيق النبوي والبيان الرسولي كان يضيق الشقة تماما بين مكونات المنهج الإلهي القرآني وبين الواقع بعقليات أهله وقدراتهم الفكرية والمعرفية وبشروط ذلك الواقع الاجتماعية والفكرية والسقف المعرفي السائد فيه . ولذلك كان الرواة من الصحابة - رضوان الله عنهم - حريصين على ألا تفوتهم أية جزئية تتعلق بحياة الرسول - ﷺ - لأن ذلك هو البديل الوحيد عن الوعي بالمنهج الناظم للقضايا المختلفة ولذلك اشتملت السنة على ذلك الكم الهائل من أقوال وأفعال وتقريرات رسول الله - ﷺ - وتلقينا كل تلك التفاصيل التي تجعلنا قادرين على أن نتابع حركته اليومية عليه الصلاة والسلام في غدوه ورواحه وسلمه وحربه وتعليمه وقضائه وقيادته وفتاواها وممارساته الإنسانية بطريقة تكشف عن أسلوبه أو سنته عليه الصلاة والسلام في التعامل مع الواقع وتكشف - إضافة لذلك - عن خصائص الواقع الذي كان رسول الله - ﷺ - يتعامل معه ويتحرك فيه ، وهو واقع مغاير للواقع الذي نحياه في تركيبته وعقليته .

لقد كان عليه الصلاة والسلام في سنته يمثل تجسيدا للربط بين المنهج القرآني والواقع، ولذلك فإن من الصعب فهم الكثير من القضايا في معزل عن فهم ذلك الواقع الذي كان عليه الصلاة والسلام يتحرك فيه ، فحين ينهي عليه الصلاة والسلام عن النحت والتصوير ويعتبر المصورين أشد الناس عذابا يوم القيامة فلا ينبغي أن يفهم نهيه عن ذلك أن له موقفا من الجماليات المجسمة يتعارض مع فهم نبي الله سليمان الذي كان يجند الجن يصنعون له ما يشاء من تماثيل ولا مع تساؤلات المعاصرين ومجادلاتهم في هذا الموضوع ونحوه بأننا لا نشعر بالرغبة أو الاستعداد في عبادتها ، فلماذا تحرم علينا ؟ ولا يكون الحل بفتوى جزئية تحل هذا النوع وتمنع ذلك ، بل يلاحظ فيها المنهج الذي أشار عليه الصلاة والسلام إليه في مواقف عديدة مثل " لولا قومك حديثو عهد بكفر لفلعت وفعلت " ، وتجريد تلك المعاني ونحوها لبناء منهج التأسسي بدلا من منهج التقليد .

لقد كان رسول الله - ﷺ - يعمل على قطع دابر صناعة الأوثان والترويج لها بين قوم حديثي عهد بها ، ولا بد من الوصول إلى المنهج الناظم الضابط لمثل هذه القضايا وقراءتها قراءة معرفية تخرج الأحاديث والسنن إلى دائرة المنهج بدلا من دائرة الجزئيات المتصارعة التي كثيرا ما يحولها المختلفون إلى أقوال جزئية تدل على الشيء وتقيضه وكأنها أقوال أئمة للمذاهب المختلفة ، لقد ارتبط العرب في مرحلة نزول القرآن بمفهوم الاتباع والاعتداء واتخذوا من رسول الله - ﷺ - قنوة عملية جسدت لهم المنهج طبقا لشروطهم الواقعية الحياتية وعبر لاتباع والتأسسي نشأت مفاهيم " المأثور والمنقول " وفي محاولة للتخفيف من آثاره لجأ من لجأ إلى التأويل الباطني والتفسير الرمزي والإشاري كمنخرج من التقيد بحرفية النص المأثور ولكن ما زاد ذلك الأمر إلا اضطرابا ، وكان الواجب هو الوصول إلى المنهج القرآني النبوي لتنضبط على هدى منه سائر التفاصيل والجزئيات ولتفهم في إطاره المقاصد وتوضح الغايات .

إن العقلية المعاصرة عقلية تبحث - باستمرار - عن النظم الموضوعي للأمور ، وتحاول النفاذ إلى المنهجية الكاملة الأبعاد فضمن هذه المنهجية يصبح التحليل والنقد والتفسير هو الإطار الموضوعي للحركة الفكرية في تعاملها مع القضايا الكونية والمحلية . وبهذه المنهجية يمكن النفاذ إلى مقاصد القرآن المجيد وتفهم السنة النبوية دون الوقوع في أطر ماضوية سكونية أو تأويلات باطنية، أو محاولات تجديدية تحاول إحداث تعديلات أو تأويلات لتطبيقات الماضي لتعيد إنتاجها في الحاضر فكأنها تعبير عن الماضي في ثوب جديد لا يمكن ارتداؤه على أية حال .

٥- إعادة دراسة وفهم تراثنا الإسلامي وقراءته قراءة نقدية تحليلية معرفية نخرجنا من الدوائر الثلاث التي تحكم أساليب تعاملنا مع تراثنا - في الوقت الحاضر - دائرة الرفض المطلق ودائرة القبول المطلق ودائرة التلفيق والانتقاء العشوائي ، فهذه الدوائر الثلاث لا يمكن أن تحقق التواصل مع ما يجب التواصل معه من هذا التراث ، كما لا يمكن أن تحقق القطيعة مع ما يجب إحداث القطيعة معه من ذلك التراث .

٦ - بناء منهج التعامل مع التراث الإنساني المعاصر - أيضا - يخرج تعامل العقل المسلم معه من أساليب التعامل الحالية التي تخلفت عن أطراف ومحاولات المقاربات ثم المقارنات لتنتهي بالرفض المطلق ، أو القبول المطلق بروح مستلبة تماما أو ميالة للانتقاء العشوائي .

فهذه الخطوات أو المهام الست هي التي أطلقنا عليها " أسلمة المعرفة " أو المنهج التوحيدي للمعرفة أو أسلمة العلوم الاجتماعية والإنسانية وتوجيه العلوم الطبيعية وجهة إسلامية أو التأصيل الإسلامي للعلوم ، فنحن لأول مرة نجد أنفسنا أمام وضعية عالمية تعمل على توظيف المعارف والعلوم واكتشافات العلوم ومنجزاتها .

المحور الأول

الإطار الفكرى والمنهجى للتوجيه الإسلامى

للخدمة الاجتماعية

- منهج التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية .
- المنظور الإسلامى للرعاية الاجتماعية .
- نحو مدخل إسلامى لممارسة الخدمة الاجتماعية .
- نحو سياسة اجتماعية متكاملة من منظور إسلامى .
- خدمة الجماعة وتنمية الشخصية الإسلامية .
- مقياس لدرجة التوكل على الله فى الخدمة الاجتماعية .

منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية

د . إبراهيم عبد الرحمن رجب

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فلقد خَطَّطت حركة أسلمة العلوم ، أو التأصيل الإسلامي للعلوم ، أو التوجيه الإسلامي للعلوم بعامة وللعلوم الاجتماعية خاصة - بفضل الله سبحانه وتعالى - خطوات واسعة خلال السنوات العشر الماضية ، سواء فيما يتصل بعرض القضية على نطاق واسع ، أو ما يتصل بالبحث في أصولها وأبعادها ونتائجها ، أو فيما يتعلق بمناقشة آراء المعارضين عليها والمغالين فيها ، حتى وصلنا اليوم إلى مرحلة يبدو أن الرؤية فيها قد اتضحت إلى حد كبير ، وكان من ثمار ذلك ظهور العديد من الكتابات الجادة التي لقيت اهتماماً كبيراً وكان لها أثر واضح لدى قطاعات عريضة من المشتغلين بمختلف فروع العلم - بحثاً وتدریساً وطلباً - في كل أرجاء العالم الإسلامي .

وإذا كان البعض يرى أن الكثير من الوقت والجهد قد أنفق (أو أهدر) في غضون تلك الفترة في محاولات بذلت لتحديد المفاهيم ، أو انصرفت إلى الجدل حول المصطلحات ، فإنه لا ينبغي أن ينوتنا أن عمق وحجم التغييرات التي تتطلبها عملية إعادة صياغة العلوم وخصوصاً الاجتماعية منها لصيغها بصيغة الإسلام - صيغة الله - تستلزم بحكم طبيعتها إعادة نظر جذرية في مسلمات ومبادئ ومنهجيات أنفقنا العمر في تحصيلها ، فإن ذلك يترتب عليه بالضرورة أن نعطي مثل تلك المناقشات حقها دون استعجال شديد للتائج ، فالمناقشات إذا كانت أصيلة ومبينة على علم ، وكانت من النوع الذي يحرص المشاركون فيه على بذل الجهد اللازم للاطلاع الجاد على تفاصيل آراء من يخالفونهم ، لا يمكن أن تأتي إلا بخير ، ولكننا ينبغي أن نسلم في الوقت ذاته أنه لا يمكن لنا أن نبرر الوقوف طويلاً عند ذلك النوع من المناقشات التي تدور حول خلاقات لفظية (سيمانطيقية) ، والتي يغلب أن تولد من الحرارة أكثر مما تولده من ضوء ، كمثل التي تتوقف لإبداء اعتراضات لا نهاية لها على ألفاظ "الأسلمة" أو "التأصيل" أو "التوجيه" لتقترح سلسلة جديدة من "الألفاظ" التي يصعب اجتماع الباحثين عليها (الذي هو شرط لاعتبار أي منها "اصطلاحاً" مقبولاً) ، لأن الأهم من هذا كله أن يكون هناك اتفاق على المفهوم أو الصورة الذهنية التي تستدعي في العقل غالباً عند ذكر أي من هذه الألفاظ والتي تتصل بالمهمة التي نحن متفقون جميعاً على محوريته وعلى ضرورتها لإصلاح مسار العلم ليس فقط في عالمنا الإسلامي بل وفي العالم كله .

والواقع أن الكثيرين خصوصاً بين علماء المسلمين من غير المتكلمين بالعربية - وهذا أمر له دلالة - قد أصبحوا اليوم ينتظرون ظهور ثمار حركة أسلمة المعرفة (أو التأصيل الإسلامي ، أو التوجيه الإسلامي ، والتي تستخدم في هذا البحث كمترادفات) وينظرون في أسباب ما يرون أنه صعوبات تواجه الحركة غير واعين بانشغال المتكلمين بالعربية بتلك القضايا اللفظية ، وعلى كل حال فإنه رغم اختلاف هؤلاء في تحليل الأسباب فيما بينهم إلا أنهم يجمعون على أن الحاجة قد أصبحت ماسة إلى التعامل الجاد مع قضية "منهجية" الأسلمة أو التأصيل ، نخذ مثلاً ما ذكره سيد ولي نصر^(١) من أنه "برغم هذا الزخم من الأعمال التي وسعت نطاق مشروع إسلامية المعرفة ليصل إلى كل زاوية وركن من أركان الفكر الأكاديمي ، فإن إسهام المسلمين (العلمي) في جملة وتفصيله لا يزال أمراً غير واضح المعالم ، يبعد بالكثير ولم يقدم إلا القليل أو هو عبارة عن وعد لم يتجسد في نتائج ملموسة - وبدلاً من أن (يطور المشروع لنفسه) منهجية صارمة مستنيرة بنور العقيدة فإنه قد استبدل بالمنهجية العقيدة" ، أما لوي صافي^(٢) فإنه يقرر ببساطة "إنني أزعم أن مشروع إسلامية (المعرفة) لا زال في مرحلة ما قبل - "المنهجية" - ، "ثم يشير إلى أن الدكتور إسماعيل الفاروقي يرحمه الله - قد كان همه الأول وضع الخطوط العريضة لمشروع إسلامية المعرفة ولكنه لم يدخل إلى صلب مسألة المنهجية ، إذ انحصر اهتمامه في التوصل إلى بعض المبادئ المتصلة بنظرية المعرفة (الإبستمولوجيا)"^(٣) .

ولقد وضع لوي صافي يده على أصل القضية عندما نقل رأي د. عبد الحميد أبو سليمان المتضمن أنه "ينبغي إعادة تحديد العلاقة بين العقل والوحي .. وأنه لم يعد من الممكن الاكتفاء بمجرد تقرير أن كلا من العقل والوحي يعتبران من مصادر المعرفة ، فلا بد من أن نتقدم خطوة أخرى لنحدد - وبشكل ملموس - كيف يمكن الربط بين أحدهما والآخر"^(٤) ، كما زاد صافي الأمر وضوحاً عندما أشار إلى أن "المرء ينبغي أن يتساءل هنا عما إذا كانت

(1) Nasr , Seyyed Vali Reza (1992) Islamization of Knowledge : A Critical Review, (Islamabad : International Institute of Islamic Thought) .

(2) Safi, Louay (1993) The Quest for an Islamic Methodolgy : The Islamization of Knowledge Project in its Second Decade, The American Journal of Islamic Sciences, 10 , 1, p.p. 23 - 48.

(٣) الفاروقي ، إسماعيل راجي (١٩٨٢) "أسلمة للمعرفة" ، المسلم المعاصر ، العدد ٣٢ ، ص ٢٥ .

(4) Safi, Louay (1993) The Quest for an Islamic Methodology : The Islamization of Knowledge Project in its Second Decade, The American Journal of Islamic Sciences, 10, 1, p.p.31.

هناك قواعد ينبغي على عالم الاجتماعيات المسلم أن يتبعها عندما يحاول اشتقاق مبادئ اجتماعية من الوحي ، أم أن عملية الاشتقاق هذه ببساطة مسألة ضمنية (لا يمكن تمييز مكوناتها) أو مسألة حدسية ؟ . إن العلوم الاجتماعية الحديثة لا يمكن تركها للتخمينات الفضفاضة وغير المنضبطة لأفراد العلماء المسلمين ، ولكنها ينبغي أن تقوم على مجموعة من المبادئ والمعايير الواضحة الأبعاد والتي تقوم على أصول صارمة⁽¹⁾ ، وهذه لاشك قوله حق يتطلب الأمر الوقوف عندها طويلاً .

فالواقع أن المطلع على كثير من الإسهامات التي تحسب ضمن جهود التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية يدرك على الفور مدى الحاجة الماسة إلى الضبط المنهجي ، وإلى وضوح الرؤية حول ماهية الإجراءات والخطوات العملية التي ينبغي أن يسير عليها الباحث ، وحول ماهية الضوابط التي ينبغي عليه أن يلتزمها حال شروعه في العمل في بحوث التوجيه الإسلامي لهذه العلوم، ولقد كان هذا هو الدافع الأول وراء محاولتنا الحاضرة التي نأمل تلقى بعض الضوء على أهم القضايا المتصلة بالمنهج.

وأود أن يكون واضحاً منذ البداية أنه وإن كان مجال الاهتمام في هذا البحث ينحصر في التعامل مع منهجية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية من الزاوية التي تبدو بها للباحث الفرد "أو الفريق البحثي المحدود" الذي يريد الخوض في بلج تأصيل أحد موضوعات تخصصه - سواء كان الموضوع متسعاً أو مجرداً ، أو كان جزئياً أو محدداً - ومعنى ذلك أن غرضنا لا يتضمن التعرض لخطة العمل الشامل لمشروع إسلامية المعرفة برمتها ، ومع ذلك فإن هذا لا يمنع بطبيعة الحال من تجاوز نظريتنا لزاوية رؤية الباحث المنفرد عندما نتطرق إلى الأمور المتصلة ببناء النظرية أو اختبارها، فتلك مسائل تتطلب بطبيعتها نظرة أوسع لآزال على الباحث الفرد أن يضعها في اعتباره حتى عندما يتعرض لدراسة قضية جزئية محدودة من منظور إسلامي .

ويرجع السبب في إبداء هذا التحفظ إلى أن بعض الباحثين يقبلون على "تأصيل" أحد موضوعات تخصصهم وكأنه أمر يتم مرة واحدة (One Shot Effort) ، أو كأنه عمل ذو صبغة ثابتة "استياثيكي" إذا قام به اليوم أحد الباحثين بكفاءة فقد تم استيفاء الموضوع إلى الأبد ، وينسى هؤلاء أن العلم والبحث عن الحقيقة نشاط تراكمي ، قد نقوم اليوم ببذل جهد مبدئي لاستيضاح حقيقة الرؤية الإسلامية له كما نتصورها اليوم في ضوء فهمنا

(1) Safi, Louay (1993) The Quest for an Islamic Methodology : The Islamization of Knowledge Project in its Second Decade, The American Journal of Islamic Sciences, 10, 1, p.p. 36-37.

للتصوص وفي ضوء معرفتنا المستمدة من الجهود البحثية الواقعية الراهنة ، ولكننا لا نكاد ننتهي من هذا العمل إلا لنقوم بربطه بغيره من الأعمال الجزئية المتصلة به ، ثم لنقوم في ضوء ذلك بإجراء بحوث جديدة يتمخض عنها لا محالة أطر تصورية أكثر دقة وأكثر اقتراباً من فهم الحقيقة .

وأخيراً فإن هناك ملاحظة شكلية قد يكون من المناسب أن نسوقها هنا تتصل بالطريقة التي اخترناها عن قصد في عرض المفاهيم ، واستخدام المصطلحات في هذا البحث ، فسيلاحظ القارئ أننا نورد أحياناً المصطلحات المألوفة للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية الحديثة بلغتها الأصلية أو كما تنطق بالعربية "بين قوسين" وذلك بالإضافة إلى ذكر عبارات أو جمل عربية تتضمن المعنى الدقيق لتلك المصطلحات ، ويرجع السبب في اختيار هذا الأسلوب إلى أن المصطلح الأجنبي الأصلي يترجم في معظم الأحيان "باصطلاحات" عربية مختلفة دون اتفاق واضح بين المتخصصين حول المقصود بالاصطلاح العربي البديل ، مما يصعب معه متابعة القارئ للفكرة المقصودة بالوضوح المطلوب ، ومن هنا كان الظن بأن إضافة المصطلح بلغته الأصلية (أو كما ينطق بالعربية) يصبح أقرب إلى ما هو مألوف لدى المشتغلين بالعلوم الحديثة ، في نفس الوقت الذي يتيح فيه الشرح بعبارة أو جملة تعبر عن "المعنى الكلى" للاصطلاح متابعة غيرهم لضمون ذلك الاصطلاح وربطه بما لديهم من أطر مرجعية ، وقد تستمر الحاجة إلى مثل هذه الطريقة في العرض على جمهور مختلف في أطره المرجعية إلى حين تبلغ جهود التوجيه الإسلامي للعلوم بعون الله مداها ، وحيث أن الحاجة ستتفي لاستخدام مثل هذا الأسلوب ، بل ونأمل أنه عندما يتحول المسلمون ليصبحوا منتجين للعلم الأصيل أن تصبح المصطلحات العربية واللغة العربية بعامة هي الأصل الذي يتسابق إلى استخدامه أصحاب اللغات الأخرى كما كان عليه الحال في "القرون الوسطى" (١) .

والآن فإن من واجبنا قبل أن نشرع في الحديث عن مختلف جوانب أو مراحل منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية أن نقف وقفة قصيرة عند مفهوم "التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية" لتحديد أبعاده ومكوناته بأكبر قدر ممكن من الدقة باعتبار أنه هو المفهوم الأساسي الذي نريد البحث عن منهجه ، وأن الاتفاق على المفهوم شرط لازم لأي اتفاق على المنهج .

(١) آرنولد ، السير توماس (١٨٩٦) الدعوة إلى الإسلام : ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وزملائه (القاهرة : مكتبة النهضة).

المبحث الأول : مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية :

رغم الجهود المشكورة التي بذلها الباحثون إلى الآن لتعريف التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية وتحديد مضمونه بدقة ، فلا زال هناك قدر من التفاوت في الآراء يحسن معه أن نبدأ هذا البحث بتحديد المقصود "بالتوجيه الإسلامي" وما يتصل به من اصطلاحات ، ولعل أنسب طريقة لمعالجة هذا الموضوع أن نعمد أولاً لتحديد الفكرة أو المهمة أو الرسالة التي يريد المشتغلون بالعلوم الاجتماعية في العالم الإسلامي اليوم تحقيقها لإقامة علومهم على أسس إسلامية أيا كانت التسمية التي يطلقها كل منهم على تلك المهمة ، وذلك على اعتبار أنه إذا ثبت وجود اتفاق كاف في الرأي حول طبيعة تلك المهمة وأبعادها فإن مسألة التسمية أو الاصطلاح تصبح ثانوية إلى حد كبير : فما هي أبعاد مفهوم "التوجيه الإسلامي للعلوم" التي ينطلق هؤلاء الباحثون منها ؟ لعلنا لا نبتعد عن الحقيقة كثيراً إذا قررنا أن هناك اتفاقاً واضحاً بين كل من كتبوا حول هذا الموضوع تقريباً^(١) ، سواء كان ذلك بشكل

(١) للبارك ، محمد (١٩٧٧) "نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع" ، المسلم المعاصر ، العدد ١٢ ، ص ص - الفاروقي ، إسماعيل راجي (١٩٨٠) "صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية" المسلم المعاصر ، العدد ٢٠ ، ص ص ٣٥ - ٤١ .

- الفاروقي ، إسماعيل راجي (١٩٨٢) "أسلمة المعرفة" ، المسلم المعاصر ، العدد ٣٢ ، ص ص ٩ - ٢٣ .
- أبو سليمان ، عبد الحميد (١٩٩٠) قضية المنهجية في الفكر الإسلامي (الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي).

- المختاري ، أحمد (١٩٨٥) "نحو علم اجتماع إسلامي" للمسلم المعاصر ، العدد ٤٣ ، ص ص ٣٩ - ٥٤ .
- عيسى ، محمد رقيقي (١٩٨٦) "نحو أسلمة علم النفس" للمسلم المعاصر ، العدد ٤٦ ، ص ص ٣١ - ٥٦ .
- المعهد العالمي للفكر الإسلامي (١٩٨٦) إسلامية المعرفة (واشنطن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي) .
- مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٧) تلوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية : أوراق العمل ، الرياض .

- مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٩٩٣) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، تعريف معروض على الندوة التي عقدت حول مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، الرياض .
- بدرى ، مالك (١٩٨٧) علم النفس الحديث من منظور إسلامي ، بحث قدم لمؤتمر قضايا المنهجية في العلوم السلوكية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الخرطوم .
- نجاتي ، محمد عثمان (١٩٩٠) "منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس" ، المسلم المعاصر ، العدد ٥٧ ، ص ص ٢١ - ٤٥ .

- خليل ، عماد الدين (١٩٩٠) مدخل إلى إسلامية المعرفة (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) .
- رجب ، إبراهيم عبد الرحمن (١٩٩١) المنهج العلمي للبحث من وجهة إسلامية ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة .

* Khalil, Imad Ai - Din (1991) Islamization of Knowledge, A Methodology (Herndon, Virginia, Intenational Institute of Islamic Thought

صريح أو ضمني على أن التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية يتضمن المكونات أو الأركان الثلاثة الآتية على الأقل :

١ - تحديد أبعاد التصور الإسلامي الشامل للإنسان والمجتمع والوجود ، استخلاصاً من المنابع الرئيسية للمنهج الإسلامي التي تتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة ، مع الاستفادة من اجتهادات علماء المسلمين من السلف والمعاصرين المستمدة من تلك المنابع الرئيسية والملتزمة بها ، وتحديد متضمنات هذا التصور بالمجال العام الذي تغطيه اليوم العلوم الاجتماعية الحديثة .

٢ - حصر نتائج "البحوث العلمية المحققة" في نطاق العلوم الاجتماعية الحديثة ، ومسح "نظرياتها" وتحليلها وإخضاعها للتمحيص والنقد في ضوء مقتضيات ذلك التصور الإسلامي سواء من حيث الموضوع أو المنهج .

٣ - بناء نسق علمي متكامل يضم ما صح من نتائج العلوم الحديثة وما صمد للتمحيص والنقد من نظرياتها ، ويربط بينها وبين ما توصل إليه علماء المسلمين من حقائق وتعميمات برباط تفسيري مستمد من التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود . ويمكن لنا أن نسارع فنضيف على الفور ركناً رابعاً تكتمل به دائرة العلم الصحيح كما يلي :-

٤ - استنباط فروض مستمدة من ذلك النسق العلمي المتكامل الذي تم التوصل إليه فيما سبق وإخضاع تلك الفروض للاختبار في أرض الواقع للتحقق من صدق الاجتهاد البشري المتضمن بالضرورة في عملية بناء أي نسق علمي نظري .

ولكن ما هو المبرر لإضافة هذا الركن الرابع ؟ إن المصادر التي أشرنا إليها آنفاً قد كفتنا - فيما نحسب - بثينة البرهنة على محورية المكونات أو الأركان الثلاثة الأولى ولزومها لمفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ولكن الركن الرابع المتصل بضرورة اختبار الأطر التصورية المنطلقة من المنظور الإسلامي يستحق منا وقفة قصيرة في هذا الموضع قبل العودة إليه في سياقه من العرض اللاحق لمختلف جوانب المنهج .

لقد أشفق الكثيرون - ولهم كل الحق في ذلك - من أن تتحول عملية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية إلى مسألة دعوية وعظية ، أو أن ينظر إليها كمجرد إعلان ساذج بالالتزام للشخص الباحث بالإسلام ، حيث يندفع المتحمسون للقضية إلى استخلاص ما يظنون أنه يمثل وجهة الإسلام في موضوع الدراسة ليفرضوه على الناس دون إخضاع تلك المراتبات للاختبار ، وكأن الإخلاص يكفي "وحده" لبناء العلم .

ولقد يرجع السبب في شيوع هذا التخوف لدى البعض إلى أن الكتابات الباكورة حول أسلمة المعرفة أو التأصيل الإسلامي للعلوم "والتي أشرنا إلى بعض منها فيما سلف"

كان من الطبيعي أن ينصب جل اهتمامها على الدعوة للفكرة ، وبيان ضرورتها ، وتوضيح أبعادها ، أكثر من اهتمامها ببيان المنهجية العلمية الصارمة التي تلتزمها ، تلك المنهجية التي لا تقل في الحقيقة - إن لم تتفوق - على مناهج البحث العلمي المعاصرة في درجة التزامها بالضوابط المتفق عليها لأي نشاط علمي منظم ، ومن هنا فقد كان من الضروري لنا ونحن هنا بصدد البحث في موضوع المنهجية إبراز هذا الركن الرابع ضمن أركان عملية التوجيه الإسلامي للعلوم استكمالاً للصورة وبياناً لوجه الحق في الأمر .

ويكفي أن نشير في هذا المقام إلى أن هذا الركن الرابع المتضمن لاشتقاق فروض مستمدة من النسق العلمي المتكامل لا يمكن بدونه أن تعد العلوم الاجتماعية "علومًا" بالمعنى المتعارف عليه للعلم ، لأن في اختيار الفروض المستمدة من النظرية الضمان الرئيسي للتأكد مما إذا كان استنباطنا الذي نتج عنه ذلك النسق العلمي المتكامل صحيحاً ومطابقاً للواقع من عدمه ، فعملية الاختبار تتمشي مع فكرة التصحيح - الذاتي التي تتميز العلم الناضج ، والتي تجعله مختلفاً عن الفلسفة التي تتركنا على الدوام أمام أبواب مفتوحة بلا نهاية ، كما أن عملية الاختبار تقضي على فكرة أن بالإمكان أن نترك الحبل على الغارب لكل من يتوصل إلى استنباطات مبنية على فهمه للنصوص - أو على ربط فهمه للنصوص بإسهامات العلوم الحديثة على الوجه الذي يراه ، دون وجود محك أو معيار للصدق يمكن الاعتماد عليه ، فالمعيار المعتمد هنا هو مدى مطابقة تلك الاستنباطات للواقع.

ولقد يتساءل البعض هنا مدفوعين بالغيرة على دين الله : هل يتضمن هذا الركن الرابع لمفهوم التأصيل - عياداً بالله - إخضاع آيات الله تعالى أو أحاديث المصطفى الصحيحة للاختبار في أرض الواقع ؟! ولو عاد القارئ إلى الفقرة السابقة مباشرة ليتأمل ما أكدنا عليه فيها لوجد أن ما يخضع للاختبار في الحقيقة هو الأطر التصورية التي يتوصل إليها الباحث باستنباطه هو للتأكد من مطابقتها للواقع ، وليس اختبار النصوص القرآنية أو الأحاديث الصحيحة في ذاتها - نعوذ بالله العظيم من أن نُضِلَّ أو أن نُضِلَّ - فتلك الأطر التصورية المستنبطة ذات طبيعة كلية تفسيرية ، وهي وإن بنيت على الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة إلا أن عملية الربط بين هذه النصوص المتعددة تتضمن جهداً بشرياً يحتمل الصواب والخطأ كما سنبينه في موضعه إن شاء الله تعالى .

والآن فإذا كنا قد سلمنا بأن هذه الأركان الأربعة تقرب في مجموعها من تصوير حقيقة المهمة التي نريد لها أن تتحقق في واقع علومنا الاجتماعية فما هو الاصطلاح الذي يمكن أن يعبر عن هذه المهمة وفق هذا التصور المطروح بشكل مقبول ؟ لقد تعددت الألفاظ التي استخدمت في هذا السياق عدداً كبيراً حتى وصلت إلى ما يقرب العشرة^(١) ، وسنكتفي هنا

(١) يالجن ، مقلاد (١٩٩٣ ب) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ورقة مقدمة إلى ندوة مفهوم التأصيل

الإسلامي، ذي الحجة ١٤١٣ ، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

باستخدام ثلاثة من هذه المصطلحات هي أكثرها شيوعاً ، هي الأسلمة والتأصيل الإسلامي والتوجيه الإسلامي ، ولكننا كما قدمنا سنستخدمها في هذا البحث كبداية تعبر عن نفس الشيء و نفس المهمة ، وسنخصص ما بقي من هذا البحث لبيان المنطق الذي استندنا إليه .

يعترض البعض على استخدام اصطلاح إسلامية العلوم على أساس أن الأسلمة تقتضي إسلام العلوم وهي لا إرادة لها ولا عقل كالجملات الأخرى التي لا يمكن إطلاق الإسلام عليها ، ويقال أيضاً متى كفرت العلوم حتى تسلم^(١) ، ولقد بالغ البعض متوسعاً في مد هذه الحجة إلى نهايتها المنطقية حين قال بأن "كل علم فهو إسلامي ، ليس الكون من خلق الله ، والعقل هبة من الله ، فكل ما يصدر عن هبة الله في فهم كون الله فهو بالضرورة مسلم" أو ما هو قريب من هذه العبارات (ورَدَ ما يشبه هذا القول ضمن مناقشات دارت في بعض المؤتمرات المتصلة بالتوجيه الإسلامي للعلوم) .

ورغم أنه قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ما يوشك معه العقل أن يقبل متسرعاً بمثل تلك المقولات على اعتبار أنه بمنطق المخالفة فإن الأسلمة تعني أن ما يقابلها كفر ، فإن هذا ليس بلازم أبداً ، وإنما يمكن بطبيعة الحال أن يكون المقصود أن "المعرفة قبل أسلمتها كانت بعيدة في توجهها عن توجيه الإسلام" وأنا نريد لها أن تقترب من التوجيه الإسلامي ، أو أننا مهتمون بإعادة صياغتها وفق منهج الإسلام وروحه بعد أن كانت مصاغة بشكل يهمل هذا المنهج أو لا يدرك وجه ارتباطه بها .

كما اعترض آخرون على اصطلاح التأصيل الإسلامي للعلوم على أساس أن معناه عندهم رد الشيء لأصله ، ومقتضي ذلك أن كل العلوم الاجتماعية الحديثة موجودة بحالتها الصحيحة أو مدفونة بشكل ما في تراثنا الإسلامي ، وأن كل ما علينا هو التنقيب عنها ، وإزالة الغبار العالق حولها لتصل مباشرة إلى ما نريد من عملية التأصيل ، وليس لهذا الزعم ما يشهد له بالصحة ، ونلاحظ هنا أنه حتى أولئك الذين يرون أن هذا "المصطلح سليم إلى حد كبير" يضيفون أنه "لا يمكن إقامة كل العلوم على الأصول الإسلامية مثل الفيزياء والكيمياء، فإذا قصرنا التأصيل على العلوم الاجتماعية يكون المصطلح سليماً ، لأننا نستطيع أن نجعد لها أصولاً إسلامية سواء في التراث الإسلامي أو في القرآن والسنة"^(٢) ، ولعله قد بات من الواضح في ضوء ما جاء في صدر هذا البحث أن من يستخدمون اصطلاح التأصيل الإسلامي للعلوم لا يمكن في واقع الأمر أن يقصدوا أن الفيزياء النووية أو علوم الأعصاب

(١) يالجن ، مقدار (١٩٩٣ ب) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ورقة مقدمة إلى ندوة مفهوم التأصيل الإسلامي، ذي الحجة ١٤١٣ ، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ٣ .

(٢) يالجن ، مقدار (١٩٩٣ ب) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ورقة مقدمة إلى ندوة مفهوم التأصيل الإسلامي، ذي الحجة ١٤١٣ ، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ص ٤ .

الحديثة أو النظريات الحديثة في الإدراك الحسي كانت موجودة بتمامها عند الأقدمين من علماء المسلمين ، أو أن المطلوب إعادتها إلى الوجود مرة أخرى، وإنما يقصدون بالتأصيل جعل الإسلام ومنهجه وتصوراته الكبرى بمثابة "الأصل" الذي ترد إليه العلوم في منطلقاتها ومنهجياتها ونظرياتها ، مع الإفادة من إسهامات السابقين من علماء المسلمين بالقدر الذي ثبتت به لبعض أعمالهم قيمة علمية مستمرة إلى اليوم دون صلود عن إسهام المعاصرين من غير المسلمين ما دام قابلاً للاندماج في منظومة التصور الإسلامي بشكل أصيل ودون تعسف.

و لم يسلم اصطلاح التوجيه الإسلامي للعلوم من النقد أيضاً على أساس أن التوجيه عند المعارضين على استعماله إنما يعني استخدام العلوم في مجال خدمة الإسلام وخدمة الدعوة الإسلامية، وهذا المصطلح بهذا المعنى قد لا يتضمن محاولة إيجاد الأصول والقواعد الإسلامية في التفكير الإسلامي أو في القرآن والسنة ، ذلك أنه يوجه ما هو موجود وكائن ولا يوجه ما هو غير موجود ولا يقتضي إيجاد ما يجب إيجاده^(١) ، ومقتضي هذه الحجج أن لفظ التوجيه إنما ينصب على تطبيق النتائج التي توصلت إليها العلوم بالفعل لتحقيق أهداف الإسلام ، ولعل من الواضح أيضاً أن هذا المعنى لا يلزم بالضرورة عن لفظ التوجيه ، فالتوجيه الإسلامي للعلوم يقصد به كما رأينا استنارة الباحث في رؤيته العلمية العامة بنظرية المعرفة الإسلامية ، كما يتضمن توجيه مناهج العلوم وطرق بحثها ، وكذا توجيه بناءاتها النظرية ، ثم توجيه التطبيقات العلمية التي تتوصل إليها ، وذلك دون أدنى قدر من التعسف في استعمال اللفظ .

ولقد قام الدكتور مقداد يالجن أيضاً^(٢) بالتعبير عن رفضه وانتقاده لعدد آخر من الألفاظ (المصطلحات؟) التي لم يكتب لها نفس الدرجة من الشيوع كبدايل للألفاظ الثلاثة السابقة ، فأراح بذلك من قد يفكرون في اختراع ألفاظ بديلة جديدة ، فانتقد مثلاً اصطلاح "تأسيس العلوم الاجتماعية على الأصول الإسلامية" ، مبيناً أنه يؤخذ عليه أن التأصيل يتضمن أكثر من مجرد "إقامة العلوم الاجتماعية على دعائم وأسس فقط ، بل المراد إقامة بنية العلوم بجميع جوانبها وهندستها على الأصول الإسلامية" ، كما اعترض على لفظ "إبراز الأسس الإسلامية" على أساس أن الإبراز إظهار وبيان والمطلوب بناء وتأسيس ، واعترض أيضاً على "صياغة العلوم صياغة إسلامية" على أساس أنه "يفيد وضعها في الثوب

(١) يالجن ، مقداد (١٩٩٣ ب) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ورقة مقدمة إلى ندوة مفهوم التأصيل الإسلامي، ذي الحجة ١٤١٣ ، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ص ٤.

(٢) يالجن ، مقداد (١٩٩٣ ب) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ورقة مقدمة إلى ندوة مفهوم التأصيل الإسلامي، ذي الحجة ١٤١٣ ، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

الإسلامي ، ولكن لا يفهم منها الدخول إلى محتواها والنزول إلى جوهر العلوم وإيجاد قواعد أو منهج أصيل وعريق ... " ، ثم إنه أضاف من عنده اصطلاحاً جديداً بلفظ آخر هو "بناء العلوم الاجتماعية على منهج الإسلام" ، وكل ما نخشاه أن يأتي معترض فيقتبس طريقة الدكتور يالجن نفسه ليؤكد لنا أن هذا الاصطلاح أو التعريف مرفوض أيضاً لأنه يركز على المنهج ، وأن التركيز على "البناء" يعني أننا نقيم صرح العلوم على أرض فضاء ، ومعنى ذلك أننا سنبدأ من فراغ ، وأن عملية البناء لا تقول لنا شيئاً عن التطبيقات .. إلخ !!

لقد آن الأوان أن نتجاوز هذا الجانب الشكلي اللفظي من القضية لكي نركز على صورة أخيرة من الصور غير المنتجة للتعامل مع قضية المصطلح ، فلقد دعا البعض في وقت من الأوقات إلى أنه ينبغي التمييز بين التأصيل والتوجيه على أساس أن نستخدم التأصيل في الإشارة إلى المهمة التي نحن بصددتها "والتي شرحنا أركانها فيما سبق" ، عندما يتعلق الأمر بالعلوم الاجتماعية ، مع قصر اصطلاح التوجيه في الإشارة إلى نفس المهمة عند التعامل مع العلوم الكونية أو التطبيقية "الطبيعية في الاصطلاح التقليدي" ، فيما يتصل بحاجة الأولي إلى الوحي كمصدر أساسي للمعرفة وحاجة الثانية إلى الحواس كمصدر أساسي للمعرفة ، إلا أن ما يحتاج إلى التنبيه إليه هو الطريقة التي استدل بها أصحاب هذا الرأي على ضرورة التفرقة بين الاصطلاحين لأنها بيت القصيد هنا . إن من المسلم به في علم المصطلح أن العلماء في سعيهم للبحث عن الحقيقة يقعون أولاً على مفهوم أو فكرة أو تصور ذهني "يتفقون" على إدراك كنهه بعقولهم ، ثم إنهم يحتاجون إلى اختيار لفظ أو اصطلاح للدلالة على ذلك المفهوم ، وهم قد يختارون لفظاً مما يستخدم في لغة حية أو حتى لغة متروكة (لتجنب اختلاط المعنى الاصطلاحي بظلال غير مرغوبة في المعنى اللغوي) أو قد يختارون رمزاً لكي يربطوا هذا "المعنى" أو "المفهوم" به ليتيسر التواصل والتفاهم بين الباحثين ، وليس هناك من شك في أن كتابات أسلمة المعرفة أو التأصيل الإسلامي .. إلخ لم تبدأ في الحقيقة إلا استجابة للشعور بوجود معنى معين أو فكرة أو مهمة رثى أن فيها إصلاح العلوم بل وإصلاح الأمة ، ولقد يكون مفهوماً أن يتناقش الباحثون أو يشتد جدالهم في محاولات لتحديد هذا "المعنى" الاصطلاحي أو المفهوم (Concept) ، ثم إن لهم بعد ذلك أن يطلقوا عليه ما شاعوا من اصطلاح في (Technical Term) إذا لقي ذلك قبولا من جمهورتهم ، ومن هنا فإن الأصل هو وضوح "المفهوم" الذي هو الحكم والفيصل في اختيار اللفظ أو "الاصطلاح" الذي يتفق على أنه ينطبق عليه أفضل انطباق ، ولكن الأمر المقلق حقاً هو أن المناقشات حول الاصطلاح قد انتكست في الآونة الأخيرة لتجعل الاصطلاح أو "اللفظ" في معناه اللغوي حكماً وفيصلاً في تحديد المفاهيم ! فرأينا بعض الباحثين يصدر حكمه بأنه "لما كانت لفظة التأصيل مختلفة في معناها عن لفظة التوجيه بحسب المعنى الوارد لكل منهما في معاجم اللغة العربية ، فلا بد أن يختلف المفهوم أو المعنى الاصطلاحي الذي يشير إليه كل منهما ، ومن هنا فالتأصيل والتوجيه مختلفان ، أو لابد أن يكونا مختلفين "الصياغة من عندي" وكأن من يدعو

إلى هذا الرأي مؤيد لنا بعد أن قمنا - باختيارنا - فاستعملنا هذه الألفاظ للدلالة على المعاني الفنية التي نقصدها ، على أن نعود أدراجنا فننصب من هذه الألفاظ التي اخترناها بأنفسنا حكماً على مفاهيمنا الاصطلاحية .

ولكن تحذيرنا من هذه النزعة لا ينبغي من جانب آخر أن يصرفنا عن قضية مهمة بالفعل تتصل بالفرق بين العلوم الاجتماعية والعلوم المسماة بالطبيعية من حيث مدى ونطاق حاجتها لعملية أسلمة العلوم أو التأصيل الإسلامي أو التوجيه الإسلامي للعلوم "أيما كانت التسمية التي تختارها" ، ولكي نتعامل مع هذه القضية بطريقة منظمة فإنه يلزمنا أولاً : أن نحدد الجوانب المختلفة "للمهمة" التي نحن بضددها أو الأنشطة العلمية المختلفة التي ينصب عليها التأصيل ، ويمكننا بصفة عامة أن نقول : إن التأصيل الإسلامي للعلوم ينصب على الجوانب الرئيسة التالية :

١ - الغاية من العلم والنشاط العلمي بصفة عامة ، وارتباطها بالغاية من وجود الإنسان ذاته .

٢ - التوجه العام للعالم في سلوكه البحثي أو في بحثه عن المعرفة وفي نظريته لنفسه وتكييفه لعلاقته بربه ونخالقه .

٣ - نظرية المعرفة التي ينطلق منها العالم وافتراضاتها المعرفية (الإبستمولوجية) خصوصاً فيما يتصل بما يلي :

أ - مصادر المعرفة وخصوصاً قضايا العلاقة بين الوحي والعقل والحواس .
ب - مجال المعرفة ونطاقها وخصوصاً فيما يتصل بمدى شمولها لعالم الشهادة وعالم الغيب .

٤ - منهج البحث العلمي وأساسه من الناحية "الميتودولوجية" .
٥ - التنظير وتفسير نتائج البحوث في صلتها بقضية درجة الاستفادة بكل من البرحي والعقل .

٦ - تطبيق نتائج العلم والاستفادة منها في حياة الناس (الجانب التقني أو التكنولوجي) .
ومن مجرد النظرة العابرة إلى هذه الجوانب نجد أنه لا يوجد اختلاف جوهري بين العلوم الاجتماعية والعلوم المسماة بالطبيعية من حيث حاجتها ، لأن التأصيل فيها يشمل تلك الجوانب كلها بصفة عامة ، وأن الاختلاف إنما يكمن فقط في "درجة" استخدام الوحي كمصدر للمعرفة (النقطة ٣أ) وفي "حدود" مجال المعرفة ونطاقها من جهة الاتصال بعالم الغيب أو الاقتصار على عالم الشهادة "النقطة ٣ب" ، وما يبنى على ذلك فيما يتصل باختلاف "التركيز" في المنهج "النقطة ٤" على الملاحظة الخارجية والتجربة ، وفي "درجة" الاستناد إلى الوحي في التنظير وتفسير النتائج "النقطة ٥" .

ونحن نزعم أن هذه الفروق لا تسوغ إطلاق تسميات مستقلة على عملية أسلمة كل قطاع من هذين القطاعين من العلوم لأن المهمة في جوهرها كما رأينا وإحدى بالنسبة لكليهما، لا تستقل فيها العلوم الاجتماعية بجوانب تختص بها اختصاصاً كاملاً ، أو تستقل فيها العلوم المسماة بالطبيعية بجوانب أخرى ، وإذا كان البعض يظنون أن المهمة بالنسبة لتأصيل العلوم الطبيعية هي مهمة "توجيه" لتطبيقات تلك العلوم فقط وهموا من جانبين: ١ - أننا رأينا أن المطلوب في الحقيقة توجيه كل جانب من الجوانب الستة للأنشطة المطلوبة للسعي للحصول على المعرفة العلمية في الاتجاهات التي تمشي مع التصور الإسلامي.

٢ - كما أنه لا يمكن لأحد في نفس الوقت أن ينفي عن العلوم الاجتماعية أن "تطبيقاتها" في مختلف جوانب الحياة تحتاج أيضاً إلى "توجيه" إسلامي مثلها في ذلك مثل تطبيقات العلوم "الطبيعية" .

المبحث الثاني : تفاوت وجهات النظر حول مركز النقل في المنهج :

أوضحنا فيما سبق أن هناك قدراً كبيراً من الاتفاق بين معظم الكتاب المهتمين بقضية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية "أو ما يكافئ ذلك الاصطلاح" حول مضمون المهمة التي يسعى الجميع إلى تحقيقها ، ويؤيد أن جوهر هذا المفهوم إنما يكمن في إيجاد التكامل بين معطيات العلوم الاجتماعية الحديثة من جانب ، وبين ما يتضمنه الوحي "القرآن الكريم والسنة الصحيحة" وإسهامات علماء المسلمين حول الظواهر التي تتعرض لها العلوم الاجتماعية الخالية من جانب آخر، ولكن كيف هذا التكامل ومداه ، والوزن النسبي لكل مصدر من مصادره "المصادر الشرعية، مصادر العلوم الاجتماعية الحديثة" . أمر آخر اختلفت الأنظار فيه ، وترتب على ذلك ظهور عدد من التوجهات التي تتصل بالمنهج ، والتي يحسن الإحاطة بها ومناقشتها قبل الانتقال إلى تفاصيل الإجراءات المنهجية وفق التوجه الذي اخترناه من بينها .

فالمتابع للمناقشات والكتابات المتصلة بمنهجية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية سرعان ما يتبين له أن مواقف أصحاب الاجتهادات في الموضوع تتفاوت فيما بينها على مقياس متدرج ذي طرفين متقابلين (Continuum) يبدأ من جهة بمن يرون التركيز على المصادر الشرعية بشكل يكاد يكون كاملاً (في بعض الحالات) ، إلى من يرون من الجهة الأخرى التركيز على مصادر العلوم الاجتماعية الحديثة بشكل يكاد يكون كاملاً (في بعض الحالات أيضاً) مع توزع الآخرين فيما بين هذين القطبين ، بحيث يحتل كل منهم نقطة على هذا المقياس المتدرج فيكون أقرب إلى هذا القطب أو ذاك ، مع التسليم بأن موقفه يتضمن

قدراً مكماً من عناصر القطب المقابل ، وبطبيعة الحال فإن من يريد استيعاب الصورة الكلية لوجه الاختلاف يكون في موضع أفضل للفهم إذا تفحص الحجج التي يقوم عليها موقف أولئك الذين "يقتربون" من هذا القطب أو ذاك بدلا من دراسة الحالات المعتدلة النقية الراضة على الجانبين أو دراسة الحالات الواقعة عند منتصف المقياس المتدرج.

الاتجاه الأول : اتخاذ العلوم الشرعية نموذجاً للتأصيل :

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن عملية التوجيه الإسلامي للعلوم إنما هي في جوهرها عملية استخلاص واستنباط للآراء والنتائج التي يعتمد عليها في هذا المجال من المصدرين الأساسيين للشريعة (القرآن والسنة) ، (وجاء هذا التعريف ضمن وثيقة تحوي توجيهات للباحثين أعدتها إحدى الجهات المهمة بقضية التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية) ، ويتفق هذا بدرجة ما مع فحوى تعريف تبنته مؤخراً اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، والتي عرفت التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية على أنه "إبراز الأسس الإسلامية التي تقوم عليها هذه العلوم ، من خلال جمعها أو استنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية وضوابطها العامة ، ودراسة موضوعات هذه العلوم على ضوءها ، مع الاستفادة مما توصل إليه العلماء المسلمون وغيرهم ، مما لا يتعارض مع تلك الأسس" .

ومن الواضح أن الأخذ بهذا التصور يترتب عليه بالضرورة آثار عميقة بالنسبة لمنهجية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، فالقضية لا تصبح فقط قضية اعتماد مكثف على مصادر العلوم الشرعية لاستخلاص الأحكام "الاجتماعية" منها إذا صح التعبير ، ولكن الأهم من ذلك أن التركيز فيما يتصل بالمنهج سيكون على طريق الاستنباط من النصوص ، وأن صدق النتائج سيكون مبنياً على صحة استنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية وضوابطها العامة كما أسلفنا ، ولعل من العبارات المختصرة المفيدة في هذا السياق قول أحد كبار المتخصصين في العلوم الشرعية من ذوي الاهتمام بمنهجية التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية تعبيراً عن هذا المعنى "إن المطلوب هو وضع منهج للتأصيل على غرار منهج الأصوليين والحديثيين" .

ولقد قدم الدكتور مقداد يالجن^(١) ، تصوراً لأهم "القواعد والخطوات الإجرائية" للتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية نوره هنا باعتبار أنه يمثل هذا الاتجاه بوضوح ، فيري الدكتور يالجن أن هذه القواعد والخطوات هي :

(١) يالجن ، مقداد (١٩٩٣ أ) أهم معالم منهج التوجيه الإسلامي للعلوم ، ورقة غير منشورة .

الخطوة الأولى : ضرورة وقوف الباحث على الدراسات التخصصية والدراسات الإسلامية معاً .

الخطوة الثانية : البدء بالآيات القرآنية في التأصيل .

الخطوة الثالثة : الاستدلال بالأحاديث ، وذلك بعد إثبات النص وبعد التأكد من درجته ومعرفة مواطن الاستشهاد به حسب درجته . .

الخطوة الرابعة : ضرورة استخدام الآيات والأحاديث في كل موضوع إن أمكن وذلك حتى يمكن إعطاء تصور كامل عن رأي الإسلام فيه لأن القرآن والسنة يمثلان الإسلام في الدرجة الأولى .

الخطوة الخامسة : استخدام قواعد فهم النصوص من حيث العموم والخصوص والحصر والقصر وما إلى ذلك من وجوه الدلالات التي عالجها الأصوليون .

الخطوة السادسة : إن لم يوجد دليل من القرآن والسنة نستخدم مصادر المعرفة الإسلامية الأخرى .

الخطوة السابعة : إن لم يجد الباحث دليلاً مما سبق ، فعليه استخدام قواعد الاستنباط الأصولية .

الخطوة الثامنة : أن يكون استخلاص الأفكار والأحكام والقيم في ضوء أحد الأصول الإسلامية العامة أو كلها إن أمكن ذلك ، وتلك الأصول هي الأصول الاعتقادية والتعبدية والتشريعية والأخلاقية والاقتصادية والفكرية .

الخطوة التاسعة : الرجوع إلى التراث الإسلامي وآراء العلماء وإسهاماتهم في مجال البحث .

الخطوة العاشرة : الاسترشاد بالتوجيهات الإسلامية العامة في طرق دراسة الحقائق وتعليمها واستخدامها .

ويلاحظ على هذا التصور أنه لم يشر إلى نصيب العلوم الاجتماعية الحديثة في عملية التوجيه الإسلامي لهذه العلوم لا من جهة النتائج ، ولا من جهة المنهج ، اللهم إلا في الخطوة الأولى التي أشار فيها إلى ضرورة "وقوف الباحث" على الدراسات "التخصصية" والدراسات الإسلامية معاً ، وهذا على كل حال يتضمن اعترافاً ضمناً بضرورة استخدام مناهج العلوم الاجتماعية في دراسات واقعية متخصصة ، ولكن المنطلق الذي يستند إليه أصحاب هذا الاتجاه في قلة إكترائهم بالعلوم الاجتماعية الحديثة - مصادرها ومناهجها على حد سواء - يقوم على اعتبارين :

الاعتبار الأول :

أن كل ما يتصل بالناس كأفراد أو جماعات أو مجتمعات في دنياهم وآخراتهم يختص بتوجيهه الروحي ، وأن ما تناولته العلوم الاجتماعية من مزاحمتها للروحي كمصدر لتوجيه حياة الناس بناء على ما تزعم أنها تتوصل إليه من "حقائق" إنما هو محض ادعاء لا يقوم على

أساس، ذلك أن ما تصل إليه تلك العلوم من تصورات بناء على دراسات تجري في مجتمعات مختلفة لا يعطيها صدقاً ذاتياً ، لأنه إنما يعكس الانحرافات والاختلالات في تلك المجتمعات كما يعكس ما قد تكون عليه من هدى ، يقول الدكتور عبد القادر هاشم رمزي (١٩٨٤) في هذا السياق إن هذه الدراسات "قفزت بدون مبرر إلى حيث يستحيل أن يوجد غير العلوم التجريبية ، كما اختلطت فيها الحقائق بالأوهام اختلاطاً جعلها عاجزة عن سد الفجوة الثقافية "إن" أحد المعلومات عن المجتمعات المختلفة أو المجتمع الواحد في ظروف مختلفة لا يجعل هذه المعلومات حقائق ، إن المجتمع الإنساني ليس مصدراً للحقائق وإن كان مصدراً للمعلومات ، إنه "أي المجتمع الإنساني" عرضة لأن يلتوى أو ينحرف أو أن يتوقف أو أن يهبط ، ولا بد من ضبط مساره بالحقائق ، التي ليس لها مصدر سوى المصدر الإلهي المتمثل في النصوص الإسلامية وفي دلالات هذه النصوص" (١) ، ويرى نفس المؤلف أن النظريات المبنية على التصورات الوضعية لم تستطع أن تتوصل إلى "مرجع أو مقياس تقاس به أحكامها وتعميماتها" (٢) .

الاعتبار الثاني :

أن العلوم الاجتماعية بسبب تأثيرها في نشأتها بالظروف التاريخية للحضارة الغربية ، وبسبب ما شاب هذه التجربة من صراع بين الكنيسة والعلم مما انتهى إلى نزعة مادية "إلحادية في كثير من الأحوال" ، قد عانت خلال تطورها من التواءات وندوب وكسور يضعب جبرها ، ففشلت من جهة فشلاً ذريعاً في تحقيق ما زعمت أنها تحققه من أهداف ، وجاء ما توصلت إليه من مجذب النتائج مهلهلاً ومشوباً بالعيوب من كل جانب ، وبذلك فإنه يكون من العبث أو من الغفلة الرجوع إلى نتائج تلك العلوم ، لأنه حتى لو وجدنا فيها ما يشبه الخير ، فإننا لن نعدم أن نجده "ملوثاً" أو مدموغاً بشكل لا يمكن إزالته بطابع أصله الذي نشأ فيه ، والذي لا يمكن أن يؤدي في المجتمعات الموحدة إلا إلى تشتت الرأي والخيال واختلال المعايير . ولقد ذهب البعض إلى أنه لا حاجة للمسلمين أصلاً إلى علم الاجتماع ، وإلى أنه ليس هناك مبرر موضوعي لبذل أي جهد لاستفاد أي علم نافع منه لأنه ببساطة لا يحوي علماً نافعاً (٣) .

(١) رمزي ، عبد القادر هاشم (١٩٨٤ ب) الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية (النوحة : دار الثقافة) ، ص ٦٢ - ٦٨ .

(٢) رمزي ، عبد القادر هاشم (١٩٨٤ ب) الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية (النوحة : دار الثقافة) ، ص ٧٦ .

(٣) خضر ، أحمد إبراهيم (١٩٩١ أ) "هل نحتاج بلادنا إلى علماء اجتماع؟" ، البيان ، العدد ٤٥ ، ص ١٩ - ٢٧ ، خضر ، أحمد إبراهيم (١٩٩١ ب) "هل نحتاج بلادنا إلى علماء اجتماع؟" ، البيان ، العدد ٤٦ ، ص ٣٧ - ٤٣ .

ولكن هناك من يرون أن البديل الذي يطرحه أصحاب هذا الاتجاه من اكتفاء بالمناهج الأصولية يشير أيضاً إشكاليتين خطيرتين لا يجوز التغافل عنهما مهما كان تقديرنا لهذه المناهج:

الإشكالية الأولى : وتتصل هذه الإشكالية بمناهية معيار الصدق في كل ما يتوصل إليه المشتغلون بالتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية بالاعتماد على المناهج الأصولية من اجتهادات ، فلا يخفي أن هناك اختلافاً واضحاً بين المادة الخام التي هي موضوع عمل الفقهاء والتي تتصل بالأحكام الجزئية التي يمكن أن تنضبط بالالتزام "بقواعد الاستنباط الأصولية" ، وبين المادة الخام التي هي موضوع اهتمام العلوم الاجتماعية ، والتي تتصل بكليات الدين في توجيهها لكليات الحياة الاجتماعية ، ومن هنا يرى هؤلاء المعترضون أن اتخاذ منهجية أصول الفقه نموذجاً ودليلاً يحتذى التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية سيكون مشوباً بأخطاء ناجمة عن بعد الشقة بين النصوص من جانب وبين الاجتهادات التي يتوصل إليها الباحثون في العلوم الاجتماعية من جانب آخر ، ويصبح من الخطورة بمكان أن نساري بين اجتهادات الفقهاء في المسائل الجزئية في ضوء المنهج الأصولي ، وبين "اجتهادات" المتخصصين في العلوم الاجتماعية "ومن يتعاونون معهم من المتخصصين في العلوم الشرعية" في المسائل المتصلة بكليات الحياة الاجتماعية باستخدام نفس المنهج الواحد ، وذلك لما يمكن أن ينتج في الحالة الثانية من تجاوزات باسم استخدام المناهج الأصولية والصاق أي قدر مضاف من الصحة للنتائج تحت ستارها ، ومن هنا فإن من المحتم استخدام طرق "إضافية" للضبط واختبار النتائج التي يتوصل إليها المشتغلون بالتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية للتأكد من صدقها الواقعي ، وهو أمر ميسور باعتبار أن تلك العلوم تتصدى لواقع الناس والمجتمعات بما يمكن من اختبار تلك النتائج فيها .

الإشكالية الثانية : وتتصل هذه الإشكالية بأن المنهجية الأصولية رغم نجاحها الكبير في صدر الإسلام في توجيه حياة المجتمع في كل جوانبها إلا أنها في العصور المتأخرة قد أصيبت بعدد من الشوائب التي قتلت فاعليتها ، وعلى سبيل المثال فقد انتقد الدكتور عبد الحميد أبو سليمان بمرارة (١٩٩٢) ما أسماه "بقصور المنهجية الإسلامية بمفهومها التقليدي" نتيجة الانفصام بين علماء الإسلام من جانب ، وبين القيادة السياسية للمجتمع المسلم من جانب آخر ، والتي أدت إلى انصراف العلماء إلى العمل في التأليف والبحث والدرس والتأصيل للجوانب الخاصة بدراسات نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المظهرة ، وما يتعلق بشئون الأفراد من عبارات ومعاملات دون كبير التفات إلى شئون السياسة والحكم ومؤسسات المجتمع وذاتيته الجماعية والعامة ، وضاعت حكمة السياسة الشرعية ومقاصد الشريعة وحركة الفقه والفكر الإسلامي وانعدم في كثير من هذا الفكر بُعدا الزمان والمكان

موضع النص الجزئي من أصل يحمل الوحي والفطرة الإنسانية والكونية" (١) ، وقد أدى هذا كله إلى تقسيم العلوم إلى "علوم شرعية وغير شرعية" ، وارتبط ذلك "بواد العلوم الاجتماعية" .

وفي ضوء ما تقدم يتبين أن الاتجاه إلى اعتماد العلوم "الشرعية" - بمحتواها التقليدي ومناهجها الأصولية الحالية - نموذجاً تحتذي العلوم الاجتماعية الموجهة إسلامياً لن يحقق هدفه المنشود من إنتاج علوم اجتماعية إسلامية قادرة على قيادة الحياة في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة بشكل فعال ، اللهم إلا بعد عملية تقويم شاملة تعود بهذه المناهج إلى أصل نصوعها وحيويتها ، مع الاستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة بعد تطويرها ، على الوجه الذي يحقق التكامل المنشود دون تجوز أو صرد .

الاتجاه الثاني : الانطلاق من نموذج العلوم الاجتماعية الحديثة : -

إن نقطة البدء عند أصحاب هذا الاتجاه في الواقع الراهن يقوم على وجود تمايز وهوية مستقلة لمجموعة من "العلوم الاجتماعية" التي اختطت لنفسها حدوداً للظواهر التي تتعامل معها ، والتي بلورت لنفسها مجموعة من المناهج والأدوات البحثية ، والتي تختلف في ذلك كله عن مجموعة "العلوم الشرعية" بمجالاتها ومناهجها الخاصة بها ، ومن هنا فإن أصحاب هذا الاتجاه ينظرون بشئ من الدهشة أو الانزعاج لما يقترحه أصحاب الاتجاه الأول الذي ينظر للتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية على أنه يتضمن استبدال مصادر ومناهج العلوم الشرعية بمصادرهم ومناهجهم "العلمية" ويرون أن هذا يعنى إخضاع العلوم الاجتماعية للعلوم الشرعية على حد تعبير أحد المشاركين في ندوة حول مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، وهو أمر غير وارد وغير مرغوب فيه من الناحية العلمية ، لأن معناه عندهم أن نترك "العلوم" الاجتماعية ودراساتها المدققة ونتائجها المحققة لنستبدل بها "تأكيدات" يزعم أصحابها أنها تمثل وجهة نظر الإسلام دون التحقق منها واقعياً ، ويطلب من الباحثين أن يسلموا بها على أنها دين ، بكل ما يترتب على ذلك ، خصوصاً في حالة وجود اختلاف في الرأي قد ينظر إليه على أنه دلالة على عدم الالتزام الديني . كما أن بعض أصحاب هذا الاتجاه يتصورون أن تبني نموذج العلوم الشرعية في التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية يعني تحويل تلك العلوم إلى مواعظ وخطب تدور حول الدعوة إلى فعل أشياء والنهي عن فعل أشياء أخرى على أساس معياري ودون دراسة "علمية" .

وفي مقابل ذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه أن "الأصل" أن لدينا تراثاً متراكماً من نتائج العلوم الاجتماعية ، التي أقرتها جهود أجيال من الباحثين الذين كرسوا حياتهم لها ،

(١) أبو سليمان ، عبد الحميد (١٩٩٢) أزمة العقل المسلم (الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي) ، ص ص ٧٤ ،

وأن لدينا ثروة وافرة من مناهج البحث وأدوات القياس التي تمت تجربتها على مدى السنين ، حتى اشتد عودها ، وثبتت قيمة الكثير منها ، وبأن إمكان الاعتماد عليها ، وأن الباحث المسلم لا يمكن له أن يتجاهل وجود هذه النتائج والمناهج جملة واحدة ، وأنه لا يليق به أن يتخذ منها موقفاً رافضاً من البداية ، فهذا كله يتمخض عن ضياع وإهدار لجهود وتراث شارك المسلمون أصلاً في نشأته الأولى ، كما أن معناه أن نبدأ من فراغ ، أو أن نبدأ من جديد عند النقطة التي توقف فيها إبداع العقل المسلم عن العطاء منذ بضعة قرون .

ومع ذلك فإن أصحاب هذا الاتجاه مقتنعون بأهمية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ولكنهم قانعون بمنهجية يرونها واقعية نجنبنا المثالية - على حد تعبير أحدهم - يكتفى فيها بالانطلاق من النتائج المحققة والمناهج الشائعة الاستخدام في العلوم الاجتماعية في أرقى صورها ، على أن نأخذ في الاعتبار أوجه النقد التي تثار حولها من داخل النموذج العلمي التقليدي ذاته ، مع إضفاء الصيغة الإسلامية عليها على الصورة الآتية :

١- اعتماد نتائج ونظريات العلوم الاجتماعية الحالية كما هي (مع إثبات أوجه النقد من الداخل المثارة حولها) وإثبات التحفظات عليها في ضوء التصور الإسلامي .
٢- استبدال المصطلحات الحديثة بدلائلها الإسلامية خصوصاً ما اتصل منها بالأنساق التصنيفية التي وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

٣- الاهتمام بالدراسات التراثية التي تمثل إسهام علماء المسلمين تاريخياً في نطاق كل تخصص من تخصصات العلوم الاجتماعية .

٤ - إيضاح الرؤية الإسلامية لمشكلات العالم الإسلامي ، واستخدام المعارف المتخصصة في إيجاد الحلول لها .

٥ - تحديد النماذج النمطية المعيارية للسلوك الفردي وللتنظيمات المجتمعية كما تشير إليها المصادر الإسلامية لتتخذ كمعيار تقاس عليه ألوان السلوك الفردي والاجتماعي وأشكال التنظيمات الاجتماعية الواقعية .

وأما من الناحية المنهجية فإنه ليس مطروحاً عند أصحاب هذا الاتجاه الاعتماد على المناهج الأصولية التي تقوم على الاستنباط من النصوص ، بل إن الأصل في العلوم الاجتماعية قيامها على الدراسات الواقعية التي تستهدف "الوصف" تعرفاً على آيات الله في خلقه كما تستهدف "التفسير" كشفاً عن سنن الله في مخلوقاته ، ولقد أوضح الدكتور فزاد أبر حطاب (١٩٨٩) المقصود بذلك إذ قال :

"والتعرف على آيات الله في خلقه على مستوى العلم المتخصص لا يتحقق إلا بالوصف الجيد الدقيق لها ، ومن هنا يحتل الوصف مكانة أولى بين أهداف العلم في الإسلام ،

والوصف العلمي يعتمد في جوهره على الملاحظة ، وقد تكون الملاحظات مباشرة ، وقد تكون غير مباشرة ، وفي الحالتين تكون المؤشرات القابلة للملاحظة التي تستخدم في التسجيل والوصف من نوع معطيات الحس^(١) .

ثم يشير إلى أنه إذا كان "الوصف" الدقيق المحكم هو وسيلة العلم إلى "التعرف على آيات الله" ، فإن "الكشف عن سنن الله في مخلوقاته" يتسم من خلال "التفسير" ، ولكن التفسير ، ولكن التفسير يقود بدوره إلى هدفين آخرين هما "التحكم" و "التبؤ" ، ويبين أن الإنسان يستخدم "في التعرف على آيات الله (أى الوصف) وفي الكشف عن سننه "أى التفسير" ما زوده سبحانه وتعالى به من نعم وخاصة الحواس والعقل"^(٢) .

وهناك حجة "عملية" منطقية يشير إليها أصحاب الاتجاه الثاني الذين يرون اتخاذ العلوم الاجتماعية الحديثة كأساس لانطلاقة التوجيه الإسلامي لتلك العلوم ، فهم يشيرون إلى أن تلك العلوم بنتائجها ومناهجها تملأ الساحة اليوم ، وجيوش الخريجين الذين يشغلون معظم مواقع العمل في مختلف جوانب الحياة ، قد تم تعليمهم وفق النموذج التقليدي لهذه العلوم ، وهم يمارسون أعمالهم وفق هذا النموذج ذاته ، ولا يعقل أن نبدأ في محاولة التعامل مع هؤلاء الذين يتخذون القرار اليوم في كل جوانب الحياة عن طريق لفهم بشدة إلى منطلقات جديدة تماماً عليهم ، وليس من العدل أن نطالبهم بالسير في طريق التأصيل "وفق الاتجاه الأول" في اتجاهات لم يألوها ويصعب عليهم الارتباط بها معتمدين في ذلك على استشارة مشاعريهم ونخوتهم الدينية ، وإنما مقتضى الإنصاف أن نبدأ تدريجياً من حيث يقفون اليوم ، ومن المصطلحات التي ألفوها لكي تنتقل معهم في الاتجاه الصحيح بما يتمشي مع اتساح منهج التوجيه الإسلامي وبما يتمشي مع ظهور ثماره .

ثم إن أصحاب هذا الاتجاه الثاني يشيرون أيضاً إلى أننا على كل حال لا نبدأ نقدر نتائج هذه العلوم الاجتماعية الحديثة ومناهجها من فراغ ، ولكن هذه العلوم قد وصلت تلقائياً ومن خلال التصحيح الذاتي للعلم إلى شيء من النقد من الداخل لهذه النتائج والمناهج كما تقدم ، والكثيرون ممن أفنوا أعمارهم في تعلم تلك العلوم وتعليمها لديهم الكثير مما يندرج في إطار هذا النقد - من - الداخل ، وأن من الخير أن ننطلق من مثل تلك البصائر التي تشير - ومن عجب - في كثير من الأحيان إلى ما يقرب من الاتجاهات التي ينادي بها التوجه

(١) أبو حطب ، فؤاد (١٩٨٩) نحو وجهة إسلامية لعلوم النفس ، بحث قدم في ندوة علم النفس ، التي نظمتها المعهد

العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة ، ص ٩٢ - ١٥ - ٤٤

(٢) أبو حطب ، فؤاد (١٩٨٩) نحو وجهة إسلامية لعلوم النفس ، بحث قدم في ندوة علم النفس ، التي نظمتها المعهد

العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة ، ص ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ .

الإسلامي "ولا تتوقف عندها بالطبع" وصولاً إلى ترشيد تلك العلوم بطريقتها ، وبما ييسر قبول التغيير ويتلافى أسباب المقاومة ، فالواقع أن التهجم على العلوم الاجتماعية دون تدقيق أو تمييز يؤدي إلى تردد الباحثين من أهل الجدل والرصانة العلمية وتوقفهم عن قبول الكثير مما يمكن أن يقبل لولا ذلك التهجم .

تعقيب :-

لا يعدم من يتابع المناقشة السابقة أن يستشعر أن كل اتجاه من هذين الاتجاهين المتمايزين قد أصاب جانباً من الحق ، وإن جانبه الحق في بعض ما ذهب إليه المدافعون عنه ، وإذا كنا قد ذكرنا منذ البداية أن هذين الموقفين إنما هما بمثابة القطبين المتباعدين فإن علينا أن نتذكر احتمالات مبالغة أنصار كل اتجاه في إبراز الحجج المؤيدة لموقفه ضماناً لإبراز وجهة نظره وبيانها بقدر كاف من الوضوح : فإذا أضفنا إلى ذلك أن هذين الموقفين إنما يقعان بالقرب من طرفي مقياس متدرج مزدوج النهايات (Continuum) فإن معنى ذلك أنه يندر أن نجد بين الباحثين اليوم من يلتزم بما يمكن أن نسميه بالصورة "النقية" المتطرفة لأي اتجاه من الاتجاهين ، والصورة الأكثر احتمالاً أن نجد أن مواقف الباحثين تقع في مكان ما بينهما ، بحيث تمتزج في تلك المواقف دائماً عناصر تنتمي إلى كل من الاتجاهين ولكن بدرجات متفاوتة .

ولعل أحد العوامل الفارقة بين نظر الفريقين كما رأينا يتمثل في النتيجة التي توصل إليها كل منهما في تقييمه لنتائج ومناهج العلوم الاجتماعية الحديثة ، فأصحاب الاتجاه الأول يبدون وكأنهم يرون كل عيوب تلك العلوم وسوءاتها ، ولا يكادون يرون فيها خيراً أبداً ، كما يرون أن ما هو معيب في تلك العلوم متداخل ومختلط بما قد يكون فيها من صواب اختلاطاً شديداً لا يمكن معه عزل الغث من السمين ، ويرون أن السبب في ذلك يرجع إلى أن الافتراضات الوجودية (الأنطولوجية) والافتراضات المعرفية (الابستمولوجية) التي بني عليها المنهج والتي تشربت بها النظريات معيبة ، وبالتالي فإن كل ما بني عليها معيب ، وإن أي محاولة لاستنقاذ أي خير منها محكوم عليها مسبقاً بالفشل ، بينما يرى أصحاب الاتجاه الثاني أن في هذه العلوم نضجاً وخيراً كثيراً ، وأن الغريب قد استخدم نتائجها بنجاح لتحقيق أهدافه وفق تصوراته ، وأنه يمكن بسهولة عزل العناصر المخالفة للتصور الإسلامي واستبعادها ثم استبدالها بما يناسب ذلك التصور ، ويرون في الضبط والاتساق المنهجي الذي تلتزم به الكثير من الدراسات الواقعية نماذج تحتذى لا يمكن أن يفرط فيها إلا غافل .

وفي كل من المقالين حق لا مرء فيه كما ذكرنا ، وإن كان في كل شيء كثير من المبالغة ، ويبدو لنا أن الحق يكمن بين هاتين النظرتين إذا أعرضنا عما فيهما من مبالغة ، وبلغة أخرى فإن الصواب يبدو لنا في التوازن بين الاتجاهين بشكل إيجابي ، يرى ما في العلوم

الاجتماعية الحديثة من خير على حقيقته دون زيادة أو نقصان ، ويرفض رفضاً قاطعاً ما يشوبها من أخطاء ، وإن كان في الوقت ذاته لا يتحرج عن قبول ما قد يكون فيها من خير دون تردد .

ولعل هذه الدعوة إلى الوسطية والاعتدال والنصفة في النظر إلى الأمور أن تكون أولى بنا وأن نكون أولى بها في مواجهة مثل هذه القضية البالغة التعقيد والبالغة الأهمية في آن معاً ، إن ما نحن بصدده اليوم لا يقتل عن أن يكون محاولة لاستعادة مسار أمتنا على طريق الحق ، وأن يكون دعوة إلى عودة معارفنا إلى منهج العلم بمعناه الإسلامي الصحيح ، منهج وحدة المعرفة المبنية على وحدة الخلق ، والمستمدة جميعاً من عقيدة وحدانية الخالق .

المبحث الثالث : نحو منهج متوازن للتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية:

إن ما نقصده بالمنهج المتوازن الذي نحاول التزامه في هذا البحث هو ذلك المنهج الذي يأخذ من المناهج الأصولية بقدر الحاجة إليها وصولاً للفهم المنضبط لنصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة فيما يتصل بشئون الإنسان والمجتمع ، كما يأخذ من مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة بقدر الحاجة إليها فيما يتصل بفقه الواقع الاجتماعي والإنساني دون تجاوز أو حدود ، وبهذا يوضع كل من النوعين من المناهج في أفضل موضع يمكننا من إنتاج علم اجتماعي واقعي مهتد بنور الوحي وموجه بتوجيهاته . ولكن هناك عدداً من الأسئلة التي ينبغي طرحها هنا وهي : هل سيتم استخدام المناهج الأصولية بنفس أسسها ومنطلقاتها الحالية ؟ وهل سيحقق استخدام تلك المناهج الآمال المرجوة منها في إنشاء هذا العلم الاجتماعي الإسلامي ؟ وإذا كان كذلك ، فلماذا لم تنتج تلك المناهج علماً اجتماعياً إسلامياً حقيقياً من قبل هذا كجزء لا يتجزأ من (الفقه) أو أي من علوم الشريعة الأخرى ؟ ومن جهة أخرى هل سيتم استخدام منهج البحث العلمي المستخدم حالياً في العلوم الاجتماعية بنفس أسسه ومنطلقاته الحالية ؟ وهل سيحقق ذلك الآمال المرجوة في إصلاح هذه العلوم في ضوء التوجيه الإسلامي الصحيح ؟

إن من الواضح أن استخدام كل من النوعين من المناهج لإنتاج العلم الاجتماعي الإسلامي سيتطلب تعديلات تجرى في منظور كل منهما ، إذا أردنا أن نواجه أنفسنا بمواجهة صريحة في هذه القضية ، فإذا كنا كما يقول الدكتور / طه العلواني (١٩٨٨) (١) .

لأنرضى بأن يكون مصدر معارفنا كلها هو (الوجود) وحده كما يفعل علماء الغرب ، وإذا كنا قد انتهينا إلى ضرورة ضم (الوحي) ليكون مصدرنا الآخر للمعرفة ، فلا بد من منهج يتعامل بكفاءة مع هذين المصدرين من مصادر المعرفة (الوحي والوجود) وإذا

(١) العلواني ، طه جابر (١٩٨٨) : إسلامية المعرفة : محاضرات دورة استراسبورج (المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة) ص ٤٩ .

كانت لنا ملاحظات على المنهج الغربي المعاصر للتعامل مع الوجود ، وإذا كانت لنا أيضاً ملاحظات على منهج الأصوليين ، فإن علينا أن ننظر في هذه المناهج جميعاً لنرى ما هو صالح وما يمكن توظيفه منها ، (وما تحتاجه المساحات الخالية ، لنضيفه إلى تلك المناهج) لكى يتكامل عندنا المنهج العلمى مع المنهج الأصولى فتسد الفراغ الذى لم يسد في الظاهرة الاجتماعية والإنسانية . وسنحاول فيما يلى أن نستجلي أبعاد هذه القضية تمهيداً لعرض منهج التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية المنطلق من هذا المنظور في البحث التالى ، بادئين أولاً بالنظر في مناهج علم أصول الفقه ثم ثانياً بالنظر في مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة .

الموقف من المناهج الأصولية :

يحذرنا الدكتور العلوانى - وهو من المتخصصين البارزين في العلوم الشرعية - من الظن بأن إجراء بعض تعديلات طفيفة على منهج الأصوليين يمكن أن يجعله منهجاً صالحاً لكل القضايا ، فالظاهرة الاجتماعية والإنسانية يستحيل أن نتعامل معها كما نتعامل مع القضية الفقهية ... فلا يمكن أن ندعو إلى إهمال سائر المناهج والاقتصار على المنهج الأصولى كما هو وبوضعه الحالى ، لأنه منهج لن يلبى الحاجة المطلوبة ، وإنما نقول مادام لنا مصدران للمعرفة (الروحى والوجود) فلا بد لنا من منهج يجمع بين الاثنين ، بين المنهج العلمى وبين منهج نريده للروحى ، فالأصوليون قرروا هذا المنهج وفيه ما فيه ... وكثير من قضاياها قابلة للنقض والأخذ والرد .. ولكن من الممكن تطويره ليكون منهجاً للروحى الذى سيتناول ظواهر اجتماعية وظواهر إنسانية^(١) .

وقد أوضح الدكتور العلوانى ضمن ماعرضه في سلسلة من المحاضرات المقيمة التى ألقى في ستراسبورج (١٩٨٨) . أنه من الصعب مدّ منهج أسس في الأصل لمعالجة الظاهرة الفقهية وهى ذات صفة خاصة تتسم بالجزئية في الغالب ، لكى يكون صالحاً لمعالجة الظاهرة الاجتماعية أو الإنسانية التى يراد أن تكون معالجتها متصفة بالتعميم ، كما أن الظاهرة الفقهية المطلوب منها تبين الحكم الشرعى التكليفى أو الوضعى (معناه في علم الأصول ما وضعه الشارع من أمارات لثبوت أو انتفاء) أما الظاهرة الاجتماعية والإنسانية فنريد منها أن تبين القوانين والسنن وشبكة العلاقات التى يمكن على ضوئها أن نقيم نظاماً صالحاً ... لا أتوقع أن أصول الفقه في وضعه الذى أعرفه قادر على أن يستجيب لهذه الحاجة^(٢) .

(١) العلوانى ، طه جابر (١٩٨٨) إسلامية المعرفة : محاضرات دورة ستراسبورج (المعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة) ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٩ .

أما عن الملاحظات التي يشير إليها الدكتور / العلواني (بطريقة النقد - من - الداخل باعتباره متخصصاً في العلوم الشرعية) حول منهج أصول الفقه ، والتي يرى أنها تحُد من فاعليته في تحقيق المأمول من وراء بناء مناهج العلوم الاجتماعية على غرارهِ فيمكن إجمالها في ثلاثة :

١ - أن تعريف الأصوليين للاجتماع وبيانهم لحقيقته (أفقد هذا الدليل معناه) إذ قالوا: إنه اتفاق جميع مجتهدي أمة محمد في عصر من العصور على أمر من الأمور ، وهذا أمر يستحيل تحقيقه ، رغم أن الاجماع دليل من أفضل الأدلة ، وقد كنا نريد أن نستخدمه دليلاً يمكن أن يغطي مساحة من المساحات الخالية^(١) .

٢ - بحميد العقل وإفقاده أهميته كدليل نتيجة لكثرة القيود والضوابط التي وضعت عليه بسبب ظروف استثنائية نتجت عن انفصال علماء الأمة عن قيادتها السياسية وعدم ممارستها للحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ولما حاولت القيادة السياسية الاستعانة بعناصر فقهية لاثق فيها الأمة فقد حاولت الأمة الدفاع عن (فقهها وتشريعها وعن دينها بأن تقول: إما أن تأتوني بنص من الكتاب والسنة ، وإما أن تأتوني بأقوال إمام من الأئمة السابقين..)^(٢) . مما أدى إلى إفقاد العقل المسلم لفاعليته .

٣ - كما أن الاجتهاد أيضاً قد تمت معاملته معاملة الإجماع ، فشروط الاجتهاد بالطريقة التي وضعها الأصوليون يستحيل معها أن تجد مجتهداً^(٣) .

ويقرر الدكتور العلواني أنه لا بد من إعادة النظر في الاجتهاد ليكون مفهومه هو المفهوم الذي ينسجم مع مقاصد الإسلام ، والذي يمكن أن نتعامل به مع الظواهر المختلفة آنذاك ، ربما يكون لدينا فقه من نوع آخر ، ليس الفقه في الأحكام الجزئية الشرعية المعروفة، وإنما فقط نستطيع أن نسميه فقه الواقع ، فالدراسات الاجتماعية المختلفة تعد نوعاً من فقه الواقع .. وينعى الفقيه الناقد في محاضراته القيمة على الفقهاء إهمالهم فقه الواقع واقتصرهم على الفقه اللغوي ، فالحكم الشرعي خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين (إما بالطلب) أو التحجير ، وأن أركان الحكم : حاكم وهو الله سبحانه وتعالى .. ومحكوم عليه وهو المكلف الإنسان به ، وهو الحكم ، ... في فقهننا درسنا الحكم وعرفنا .. ولكن المحكوم عليه هو الإنسان ، طبيعته ، قوته ، ضعفه عندما نتحدث عن رفع الحرج ، وعن التكليف ، وعن سد

(١) المصدر السابق : ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٤ .

الذرائع ، وعن المصلحة ، وعن الاستحسان ، هذه كلها لانستطيع أن نعرفها دون أن نتعرف على هذا المحكوم عليه الذى هو الإنسان فرداً أو أسرة أو دولة أو قيادة^(١) .

ويضيف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان (١٩٩٠) . في نفس الاتجاه أن (العقل المسلم والمنهج الأصولي قد قدما للإنسانية تراثاً وفكراً حضارياً غير مسبوق أضواء حلقة الأفق الإنسانى كله ، ولكن مع تعاظم الهوة بين الغاية الإسلامية والالتزام الإسلامى ، ضعف الأثر الإسلامى .. واليوم فإن جوهر أزمة هذه الأمة إنما ينبع من الجهود والقصور والتدهور الذى ألم بمنهجية فكرها الإسلامى ، مما أدى إلى تدهور قدراتها^(٢) ، ولعل هذا كله يشير من جهة إلى أنه لا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، أى بمنهج أصولى مستجيب بحساسة وفاعلية لحاجات الواقع المتغير ، سائر في حدود التوجيه الإلهى ومنضبط به ، بما لا يترك مجالاً لمساحات خالية من حياة المجتمعات المسلمة تغيب عنها شمس المنهجية الإسلامية الحية تملأ بغشاء من إفراز العقول البشرية غير المهتدية بنور الوحى وغير المنضبطة بضوابطه . كما أن هذا كله يشير من جهة أخرى إلى حاجتنا الماسة إلى جهود جهابذة المتخصصين في المناهج الأصولية ممن لديهم القدرة والكفاءة ومن يدركون هذه الأبعاد الكبرى للقضية ، ومن يستطيعون النظر في الكيفية التى يمكن بها أن تستجيب تلك المناهج للقضايا الكلية الأوسع التى تهتم بها العلوم الاجتماعية ، حتى تكامل بهذا علوم الإسلام ، بما يخدم الأمة وحاجاتها وبما يعينها على النهوض من كبوتها .

الموقف من مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة :

لقد لخص الدكتور عبد القادر هاشم رمزى (١٩٨٤ ب) . موقف المنهج العلمى للبحث في الدراسات الإنسانية وآثار اتباع هذا المنهج (المستمد من مناهج البحث في العلوم الطبيعية) على المجتمعات الإنسانية تلخيصاً جيداً حين أشار إلى عدم ملائمة تلك المناهج للدراسات الإنسانية ، وإلى أن هذه الدراسات المنصبة على الإنسان والمجتمع نتيجة لذلك غيرت اتجاهها ، وتشعبت موضوعاتها وفروعها بشكل لم تعد معه إيجابية أو علمية .. كما اختلطت فيها الحقائق بالأوهام اختلاطاً جعلها عاجزة عن سد الفجوة الثقافية ، بل جعلها أضعف وسيلة في مجال الحفاظ على توازن المجتمع الإنسانى وإيقاف التراجع الثقافى أمام التفجير المعرفى والتطور التكنولوجى ...^(٣) ، وتلك أحكام لايمارى في صدقها ومطابقتها لمقتضى أحوال الأمم اليوم إلا مكابر ، فالمجتمعات المعاصرة التى قعدت زمناً تنتظر الهداية في

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٢) أبو سليمان عبد الحميد (١٩٩٠) قضية المنهجية في الفكر الإسلامى ، بحوث ومناقشات المؤتمر العالمى الرابع للفكر الإسلامى ، الخرطوم ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى . ص ١٠٨ ، ١١٣ .

(٣) رمزى ، عبد القادر هاشم (١٩٨٤ ب) الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية ، الدوحة : دار الثقافة ص ٦٢ .

فهم النفس الإنسانية على أيدي أمثال سجموند فرويد ، وفي تربية أبنائها في ضوء حكمة أمثال دكتور سبوك ، وفي بناء حياتها الاقتصادية والاجتماعية على أيدي أمثال آدم سميث و كارل ماركس لم تبو على أيدي هؤلاء وقرنائهم إلا بالخسران المبين الذي تصرخ به أحوال المجتمعات المعاصرة وما تفيض به من حياة الناس فيها اختلالات ومظالم ، تبدو مظاهرها على مستوى الأفراد كما تبدو على مستوى المجتمعات وعلى المستوى الدولي .

إن باستطاعتنا أن نميز بوضوح عاملين جوهريين يمكن النظر إليهما على أنهما من أهم أسباب الضعف والقصور في العلوم الاجتماعية المعاصرة ، يتصل أولهما بالمنهج ويتصل الآخر بطبيعة الظواهر الاجتماعية والإنسانية (كما ألقينا من قبل) فأما من جهة المنهج فإنه من المعلوم أن الفلسفة الوضعية التي دعا إليها أوجيست كونت وأشاعها ، قد قامت على نظرية مادية بحثة للوجود وللإنسان ، تعكس التصورات التقليدية لعلم الطبيعة وفلسفة العلم المرتبطة بها في القرن التاسع عشر ، كما استهدفت في الوقت ذاته قطع كل صلة للعلوم الاجتماعية بالدين مثلاً في الكنيسة ، لإبعاد تأثير المعتقدات الخرافية عن مجال العلم ، فلم تعترف الوضعية بغير معطيات الحس سبيلاً للمعرفة ، مما أثمر في النهاية علوماً اجتماعية تقف على ساق واحدة ، أجهدت نفسها إجهاداً شديداً في دراسة ماهو مادي بدنى في الإنسان ، وأغفلت أو تجاهلت الجانب الروحي غير المادي الذي ينتمى إلى عالم الغيب ، فلما أهملت مصدر المعرفة بالغيب ألا وهو الوحي ، فإنها قد ضلت فأضلت أجيالاً متعاقبة من البشر ممن أحسنوا الظن بتلك العلوم التي حسبوا أنها على شئ نتيجة لادعاءاتها المتراصلة .

ولقد أشرنا تفصيلاً في موضع آخر (رجب ، ١٩٩١) (١) . إلى أن الاكتشافات الحديثة في علم الطبيعة على أيدي أنشتاين وهايزنبرج قد أطاحت بتلك النظرية المادية التقليدية للعلم ، وإلى أن هذه الاكتشافات قد ترتب عليها مراجعة جذرية في اتجاهات فلسفة العلوم خلال العقود الأربعة الأخيرة ، مما أسفر عن ظهور الوجهة الجديدة في العلم (The New Paradigm) كنورة على الوضعية الإمبريقية التي لاتزال هي الأساس الفلسفي الذي يقوم عليه بناء العلم التقليدي إلى يومنا هذا . وهذا التحول في نظرية المعرفة الحديثة ، وفي المنهج العلمي الجديد في دراسة الظواهر الإنسانية يفتح الباب على مصراعيه أمام مشروعية الاستفادة من مصادر للعلم متجاوزة لمعطيات الحس ، وهي عندنا ليست شيئاً آخر إلا وحي السماء وهدى الله على الوجه الذي قامت عليه حضارة الإسلام في عصرها الزاهر الأول ، حيث يمد الوحي الإنسان بالأطر التصورية العامة ولكنه يطالب الإنسان في الوقت ذاته باستخدام الحواس والعقل في اكتشاف سنن الله في الأنفس وفي الآفاق في تناغم تام ووحدة كاملة .

(١) رجب ، إبراهيم عبد الرحمن (١٩٩١) المنهج العلمي للبحث من وجهة إسلامية . نلوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة .

وأما من جهة النظر إلى طبيعة الظواهر الاجتماعية الإنسانية فإن أخطر الأخطاء التى وقعت فيها العلوم الاجتماعية الحديثة هي الظن بأن دراسة الواقع الفردى أو الاجتماعى أو دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية على الأشكال والصور التى تبدى بها في المجتمعات موضوع الدراسة يمكن أن يكون منطلقاً للفهم الموضوعى للإنسان والحياة الاجتماعية ، ويمكن الخلل الخطير في هذا المنطق في التغافل عن قضية المعيارية التى هي جزء لا يتجزأ أبداً من الوجود البشرى في كل صوره (وإن لم تكن لازمة لدراسة الوجود المادى الذى تتعرض له العلوم الطبيعية بالدراسة) .

إننا إذا تأملنا طبيعة الإنسان الفرد من جهة وطبيعة المجتمع الإنسانى من جهة أخرى ، فإننا ندرك على الفور أن من المستحيل بناء علوم اجتماعية على أساس الملاحظة الخارجية والتجربة التى تنصب على ماهر واقع وكائن وحده ، لأن ماهر واقع وكائن لا يمثل في ذاته ناموساً أو قانوناً اجتماعياً ، وإنما هو يعتبر بمجرد وصف لمحصلة الاختيارات المحددة التى اختارها البشر تحت ظروف معينة ، ولو أن نفس أولئك البشر قد اتخذوا لهم أطراً مرجعية مختلفة ، فاعتقدوا مثلاً بديانة ، أو التزموا أيدلوجية أخرى لاخذ واقعيهم وما هو كائن فيهم صورة واقعية مختلفة ، وهنا يدخل في الصورة ما ينبغي أن يكون - أى العنصر المعيارى - لأنه بدون الجانب المعيارى يكون كل شئ مساوياً لكل شئ دون وجود نقطة بدء يقاس إليها كل شئ ... وليس هذا إلا العقيدة الصحيحة (وليس أى عقيدة ، فالتضحية ليست نسبة مطلقة أيضاً ، ولكنها نسبة موحدة ترد كل شئ إلى مصدر كل الخير في هذا الوجود وترتبط به - سبحانه جل شأنه -) التى تكون بمثابة القطب الشمالى للبوصله الذى ينسب إليه كل الاتجاهات ، فيصبح لكل شئ معنى بعد أن كان لا معنى له في ذاته .

فإذا كان المولى - سبحانه وتعالى - قد عرفنا أنه قد خلق الإنسان قادراً على السير في أى من الاتجاهين ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ، فألهمها فجورها وتقواها^(١) ، فكيف يمكن لنا أن نتخذ من هذين الاتجاهين (أو بالأحرى هذه الاتجاهات) أساساً يقاس به نفسه إلى نفسه ؟ إن هذه النسبة المطلقة التى ترتب - لامحالة - على الأخذ بالتوجيهات الحالية للعلوم الاجتماعية هي ولا شك أساس للضياع الذى تعاني منه البشرية اليوم في حضارة تعبر عن نفسها (حضارة العلم) .. ولا يقصد أصحاب التسمية بذلك فقط العلم الطبيعى بل أيضاً العلم الاجتماعى . ولكن المولى - جل شأنه - أبت حكمته أن يتركنا هملأً دون هدى أو رشد ، فالآيات الكريمة التالية لتلك التى حددت تلك الطبيعة الأصلية المتكافئة للإنسان تأتى لتبين لنا مباشرة ماهية القطب الشمالى ، أى المعيار الذى يمكن بالقياس إليه تحديد الاتجاهات ﴿وقد

(١) سورة الشمس آية ٨ .

أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها^(١) ، وطريقة التزكية بعد ذلك موضحة تفصيلاً في آيات الكتاب الكريم والسنة الصحيحة ، وعليها يقاس السلوك الفردي معيارياً ، وبها يتحدد الاتجاه .

ونفس النتيجة نصل إليها بمراجعة الموقف على المستوى المجتمعي ، فالعلوم الاجتماعية أيضاً تزعم أنها تقوم بدراسة ما هو كائن وواقع في المجتمعات البشرية ، ولكنها أيضاً لا تملك نقطة البداية - لا تملك قطباً شمالياً تقاس إليه بقية الاتجاهات - فهل يمكن والحال كذلك أن تصل تلك العلوم إلى نتيجة ذات بال؟ يقول الدكتور عبد القادر رمزي (١٩٨٤ ب) : في تقويمه للنظرية التفاعلية في علم الاجتماع (وهي لا تختلف في هذا عن غيرها من نظريات علوم المجتمع) إنها لا تطرح أية وجهة نظر من خارج المجتمع ، بل هي تلمس الأحوال والأوضاع الاجتماعية ، وتستنتج بعض الاستنتاجات المشروطة بهذه الأوضاع والأحوال وتسميها قوانين التفاعل الاجتماعي ، وتواصل الدراسة والاستنتاج والتعميم على مختلف المجتمعات . ولكن الرؤية الإسلامية - نظراً وعملاً - تقوم على مآثره الرسالة الإسلامية التي تضع دعائم المجتمع ، وتصبح مكوناته الأفكار والمشاعر والأنظمة والناس والقيادة "الدولة" بالصيغة المهتدية ، وترسي قواعد الأفكار والعلاقات والمعاملات ... في حركة متسامية متجهة نحو استخلاف الإنسان في الأرض^(٢) .

ويضيف الدكتور رمزي أن المنظور الإسلامي في إطار هذا الفهم إنما يتمثل في بلورة مكونات المجتمع في ضوء النصوص ، واستخلاص المفاهيم الأساسية المتعلقة بالعملية الاجتماعية التربوية التي يفترض فيها أن تجسد منهاج الرسالة الإسلامية ، أي أن تكون العملية هداية للمجتمع ولل فرد ، وعليه فإن الرؤية الإسلامية لا تشغل أو لا تهتم بتشريح عمليات التفاعل في المجتمعات غير المهتدية ، بل ينصب اهتمامها على رعاية الإيمان وعلى عملية الهداية وما يتعلق بهما ، كما أنها لا تأخذ من المجتمع بل تقدم له ما ترفعه به إلى مستوى الاهتمام دون أن يكون ما يريده هذا المجتمع أو ما يرتضيه أو ما يعيشه مقياساً أو مصدراً للأخذ^(٣) .

وفي ضوء التحليل السابق يتبين لنا أن منهجية العلوم الاجتماعية الحديثة وإن كانت لازمة بالضرورة كأحد المكونين الرئيسيين لمنهجية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، إلا أن هناك تعديلات جوهرية لابد من إحداثها في تلك المنهجية وفي النظرية المعرفية التي تستند

(١) سورة الشمس آية ١٠ .

(٢) رمزي ، عبد القادر هاشم (١٩٨٤ ب) الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية (اللوحة : دار الثقافة) ص ٢٢٢ .

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها .

إليها إذا أردنا لها أن تحقق ما هو متوقع منها من فائدة في بناء علم اجتماعي إسلامي صحيح، وأول تلك التعديلات يتمثل في إفساح المجال لدراسة عالم الغيب المتضمن في الجانب الروحي للإنسان بالرجوع إلى المصدر الأساسي للمعرفة فيه ألا وهو الوحي دون الاقتصار التقليدي على عالم الشهادة وعلى شهادة الحواس ، وأما ثانيها فيتصل بالنظرة إلى طبيعة الإنسان والمجتمع الإنساني من حيث أنهما - بطبيعتهما - لا تجدي فيهما دراسة ما هو كائن وحده وإنما لابد لفهم سلوكيهما من تعدي ذلك إلى الانطلاق من بعد معياري ، بشرط أن يكون لهذا البعد المعياري صدق تجاوزي (Transcendent) ، أي أن يكون مصدره مصدراً متعالياً عن البشر ، وأن يكون سند وصوله إلينا سنداً صحيحاً موثقاً بعيداً عن التزييف والتحريف .

وتبقى قضية أخيرة : هل يعني تأكيدنا على هذا الجانب المعياري باعتباره جوهر معنى الحياة النفسية للأفراد والحياة الاجتماعية للمجتمعات أن نبالغ في الأمر حتى ينكر البعض أنه توجد في الوقت ذاته أوجه للانتظام (Regularities) في حياة الأفراد والمجتمعات يمكن دراستها دراسة وصفية وصولاً إلى تعميمات تنطبق على واقع الناس بصرف النظر عن الإطار المعياري الذي تمارس الحياة الفردية أو الاجتماعية في ضوئه ؟ الحق أنه لا يمكن إلا لمكابر أن ينكر وجود تلك الانتظامات في السلوك الفردي والتنظيمات المجتمعية "التي لا يمكن بدونها أن توجد حياة إنسانية منظمة ، ولا يمكن بدونها أيضاً فهم تلك الحياة" فالتعميمات التي توصلت إليها العلوم السلوكية حول الوظائف العقلية كالإدراك والتذكر والتعلم ، وكذلك التعميمات التي توصلت إليها العلوم الاجتماعية مثلاً حول عمليات الاتصال والتأثير الجماعي، تعبر عن مثل هذه الانتظامات ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو عن مدى الأهمية النسبية والقيمة الحقيقية لدراسة مثل هذه الانتظامات التي تظهر كثيراً ولاشك في ألوان مختلفة من السلوك الفردي والمجتمعي ، والتي يمكن بالفعل دراستها دراسة وصفية تقريرية واقعية ؟

إننا إذا أمعنا النظر في هذه الانتظامات التي تمتلئ كتابات العلوم الاجتماعية بالإشارة إليها على أنها بؤرة اهتمام الدراسة فيها ، لوجدناها لا تخرج في حقيقة الأمر عن مجموعة من الآليات أو الميكانيزمات ذات الطبيعة المحايدة التي يمكن استخدامها وتوجيهها لتحقيق ما يختاره الناس من خير أو شر، ولكن مشكلة العلوم الاجتماعية المعاصرة أنها تشير إلى تلك الآليات على أنها تمثل الصورة الكلية للحياة البشرية بسبب ما هو ملاحظ من تداخلها المضطرد في كل جوانب السلوك الفردي أو المجتمعي ، ولكن هل يمكن لمن يفهم هذه الآليات أو الميكانيزمات وحدها دون أي صلة بالأنساق المعيارية المحملة فوقها أن يفهم كلية الحياة البشرية ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال لا يمكن إلا أن تكون بالنفي القاطع .

إن المجتمعات البشرية لا يمكن أن تنحصر توقعاتها من العلوم الاجتماعية في الوقوف عند تلك الآليات أو الميكانيزمات المحايدة وحدها ، مهما بدا لذلك من وجهة علمية شكلية، ولكنها تنتظر أن تساعد تلك العلوم على فهم السلوك الفردي والتنظيمات المجتمعية

وإضفاء المعنى عليها بما يعين على تحقيق أهداف الإنسان ، ولقد كان مقتضى الأمانة العلمية أن تضع العلوم الاجتماعية الصورة كاملة أمام تلك المجتمعات ، وأن تبين الحجم الحقيقي والقيمة الحقيقية للجوانب الوضعية من تلك العلوم فتضعها موضعها الصحيح ، وتضع المجتمعات أمام مسؤولياتها فيما يتصل بخطرورة اختياراتها فيما يتعلق بالجوانب المعيارية ، ولكن الأمر جاء على العكس من ذلك ، حين أسهمت نظريات العلوم الاجتماعية بشكل نشط في تسريب الأطر المعيارية التي اختارتها وفق الظروف التاريخية والجغرافية التي أثرت على تكوينها - وهي أطر إلحادية مادية عند معظم مؤسسي تلك العلوم كأوجيست كونت وإميل دوركايم - إلى حياة الناس تحت ستار العلم الوصفى التقريرى الذى يصف ويحلل ماهر كائن بشكل موضوعى محايد!

التكامل بين المنهج الأصولي والمنهج العلمى الاجتماعى :

لقد انتهينا فيما سبق إلى أن منهج التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية يقوم على جناحين هما استخدام المنهجية الأصولية (في صورة أكثر سعة) ومنهجية العلوم الاجتماعية الحديثة (في صورتها المعدلة) ، وصولاً إلى علم اجتماعى إسلامى ناضج ، بحيث تنصب الدراسة في تلك العلوم على الوجود الإنسانى الكلى الذى يضم عناصر تنتمى إلى عالم الغيب كما يضم عناصر تنتمى إلى عالم الشهادة ، وتكامل فيه مصادر المعرفة لتشمل الروحى ، كما تشمل معطيات المشاهدة الحسية ، وكذا عمل العقل (المنضبط بضوابط الوحي) ، ولكن السؤال المهم الآن هو كيف يمكن أن يتحقق هذا التكامل ، وماهى الصورة الواقعية التى يمكن أن يتخذها والتي يمكن أن ينطلق منها المشتغلون بالتوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية فيما يذلونه من جهود لتطوير وبصورة أبعاد هذا العلم الاجتماعى الناضج الذى نصبو إليه ؟

لقد قدمنا في غير هذا الموضع (رجب ، ١٩٩١) (Ragab, 1993)^(١) . محاولة لوضع استراتيجية لإيجاد التكامل المنهجى بين حصيلة مانستنبطه من المصادر الشرعية باستخدام المناهج الأصولية ، وبين ما نتوصل إليه من الدراسة الواقعية للظواهر الإنسانية باستخدام مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة ، ويمكن لمن شاء الرجوع إلى تلك المصادر تفصيلاً ، ولما كنا أيضاً قد تعرضنا - في ثنايا المباحث السابقة - لبعض جوانب متفرقة تتصل بالموضوع ، فإننا سنكتفى في هذا المقام بتلخيص الأسس العامة التى نظن أنها تحقق هذا التكامل كأساس لمنهجية موحدة للتوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية .

إن الصعوبة الرئيسية التى تقابل الباحث في أسس التكامل بين مناهج ونتائج تنتمى - لظروف تاريخية - إلى ما يشبه عالمين مختلفين (عالم العلوم الشرعية وعالم العلوم الاجتماعية) إنما تكمن في معيار الصدق المطبق في كل منهما ، فمعيار الصدق في العلوم الشرعية يتمثل في

(١) رجب ، إبراهيم عبد الرحمن (١٩٩١) المنهج العلمى للبحث من وجهة إسلامية ، مصدر سابق .

صحة إسناد النصوص باستخدام منهج التحقيق التاريخي ، ثم في صحة الاستنباط من النصوص باستخدام منهج أصول الفقه ، أما معيار الصدق وفقاً للمنهجية العلمية الاجتماعية فهو مطابقة النتائج لما يشاهد في الواقع المحسوس باستخدام الملاحظات والتجارب .

ولعل أول خطوة لتقريب هذه الفجوة بين المنظورين تتمثل فيما سبق أن أشرنا إليه من ضرورة توسيع نظرة كل من المنهجين لحدوده وجوهر رسالته ، بحيث يتجه علم أصول الفقه لإعطاء مزيد من الاهتمام لما كان في الماضي يعتبر من الأصول الفرعية الأقل أهمية كالاستحسان والمصلحة المرسلة . بما يمكن من تخطي (النظر الجزئي إلى النظر الكلي ... في ضوء ماتمليه روح الشريعة الشرعية)^(١) . وذلك يساعد على تغطية المساحات الخالية التي تتصل بالأمور الاجتماعية والسياسية التي تهمل الناس ، في الوقت الذي يتجه فيه المنهج العلمي للبحث في العلوم الاجتماعية إلى إعطاء مساحة أوسع لدراسة النواحي الروحية والاعتقادية في تأثيرها على سلوك الأفراد وتنظيم المجتمعات ، مع تخطي النزعة الإمبيريقية الحسية وتجاوزها إلى الآفاق الرحبة للنظر للإنسان في كليته والنظر للواقع الفردي والاجتماعي في إطار النظرة المعيارية المنطلقة من التصور الموحد .

أما بوتقة التكامل بين النوعين من المناهج فإنها تتمثل في أنشطة (بناء النظرية) في العلوم الاجتماعية التي ينبغي أن تتم على أسس جديدة قديمة في آن معاً ، فالخط الذي التزمناه - والذي نعترف هنا بالانحياز إليه عن قصد - هو أن التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية يتطلب في حقيقة الأمر هدم كل ماسبقه والبدء من جديد ، بقدر ما يتطلب النظر الناقد في ماهو متاح ومقبول ومتعارف عليه في المناهج والإجراءات والتشابك القائمة أولاً ، فإن وجد فيها ما يغني فيها ونعمت ، وإن وجدت بحاجة إلى إصلاح جزئي فلا بأس بذلك أيضاً ، أما إن لم يوجد فيها ما يصلح على الإطلاق فهنا وهنا فقط يكون المسوغ الحقيقي للبدء من نقطة الصفر دون تردد أو التفات إلى الوراء .

فإذا نظرنا في بناء النظرية من المنظور التقليدي بعين الإنصاف فإننا سنجد أن الأسس التي يقوم عليها تنتمي إلى الفئة الثانية المذكورة أعلاه ، بمعنى أن في تلك الأسس خيراً كثيراً ، ولكنها مع ذلك بحاجة إلى عدد من الإصلاحات الجوهرية لكي تصبح قادرة على استيعاب المنظور الإسلامي القائم على التكامل بين الوجداني والعقل والحواس ، فمن العلوم للكافة أن بناء النظرية العلمية في العلوم الاجتماعية يقوم على المكونات الآتية :

١ - عدد من المشاهدات المحققة أو الحقائق (Facts, Observations) الجزئية التي تم التوصل إليها من خلال إجراء البحوث الواقعية (الإمبيريقية) التي تعتمد الحواس كوسيلة وحيدة للوصول إلى المعرفة العلمية .

(١) أبو سليمان ، عبد الحميد (١٩٩٠) قضية المنهجية في الفكر الإسلامي ، مصدر سابق .

٢ - عدد من التعميمات الواقعية (الإمبيريقية) (Empirical Generalizations) التي هي عبارة عن (علاقات ذات طبيعة عامة بين حقائق تم التحقق من صدقها بالملاحظات الواقعية)^(١) .

٣ - تفسيرات تربط بين تلك الحقائق والتعميمات الواقعية (الإمبيريقية) برباط منطقي، وينبغي أن يلاحظ أن (تفسير الملاحظات يستهدف ربط الملاحظات الحالية بالسابقة أو حتى بوقائع أو علاقات افتراضية)^(٢) .

ويتفق من كتبوا في مجال (بناء النظريات) العلمية على الدور المهم الذي يلعبه خيال الباحث في التوصل إلى هذه التفسيرات. مما يؤدي إلى إضفاء المعنى على الحقائق الجزئية والتعميمات المتفرقة لكي نصل إلى فهم الظاهر، فروبرت دوين مثلاً يقرر أن (كل النماذج النظرية إنما هي محاولة تخيلية من جانب المنظر لإعادة بناء شريحة من العالم المشاهد، بهدف فهم ... ذلك القطاع المختار من العالم المحيط به ... فالخيار البناء يزيد من قدرة الإنسان على فهم العالم المشاهد)^(٣) .

ولكن هل معنى ذلك أن النظريات (العلمية) تستمر طويلاً في الاعتماد على التخمين وعلى خيال الباحث إلى مالا نهاية؟ إن الخط الرسمي الذي تلتزمه العلوم الاجتماعية الحديثة في الرد على هذا السؤال هو بالنفي بطبيعة الحال، ولكنك إذا سألتهم كيف إذن يبنى علم على ظن وتخيل؟ فإن الرد الحاضر دائماً هو أن الباحثين يقومون - بعد إدخال هذه التفسيرات المبنية على خيال الباحث - بطريقة منظمة باستبطان فروض تستمد من تلك الأطر التفسيرية التي تضمها النظرية لكي يتم اختيارها في أرض الواقع المحسوس (الإمبيريقية) فإذا ثبت صدق هذه الفروض - أي مطابقة مضمونها للواقع - فإنها تتحول إلى ملاحظات محققة أو حقائق علمية، وبهذا تزداد الثقة في النظرية وفي الأطر التفسيرية التي تتضمنها إلى أن تتحول إلى قانون علمي (وإن كان استخدام اصطلاح القانون لازال إشكالياً إلى اليوم في العلوم الاجتماعية) وأما إذا ثبت صحة الفروض فإن الثقة في النظرية وفي أطرها التفسيرية تتناقص، ويجري تعديلها بحيث تستوعب النتائج المحققة (الحقائق / الملاحظات) ولا تناقضها. ومنهجية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية لا تحتاج إلى هدم هذا الفهم العام لبناء النظرية العلمية الاجتماعية، ولكنها تقدم تحسينات جوهرية عليه في مواضع ثلاثة أساسية :

١ - بدلاً من الاعتماد على خيال الباحث أو على مجرد التخمين وحدهما في الوصول إلى أطر تفسيرية تضم الحقائق (أو الملاحظات المحققة) إلى بعضها لتعطيلها معنى، فإن التصور الإسلامي يقدم أطراً تفسيرية وفق ضوابط المنهجية الأصولية من الكتاب والسنة، ولأن هذه

(1) Theodorson & Theodorson, 1969 : 130 .

(2) Ibid, P. 213 .

(3) Dubin , 1978 : 216, 221 .

الأطر مستنبطة من مصدر يقينى هو الوجودى فإنها تكون ولا شك أرقى من مجرد الاعتماد على خيال الباحثين ، ثم لأنها تتضمن استنباطاً واجتهاداً بشرياً ستظل خاضعة لضمان الصدق الواقعى للاستنباط .

٢ - عدم الاكتفاء بالاعتماد فى اختيار الفروض على ما يسمى بالواقع المحسوس (الإميريقى) (Total Reality) الذى يضم ماهو محسوس وما ليس محسوساً فى ذاته بسبب انتمائه إلى عالم الغيب (وهذا بطبيعة الحال يتطلب استخدام طرق غير مباشرة فى مشاهدة نتائجه وآثاره).

٣ - يتم استنباط الجوانب المعيارية الموجهة للسلوك الفردى وللتنظيمات المجتمعية بالاعتماد على المصادر الشرعية باستخدام المناهج والقواعد الأصولية العامة ، بما يضمن أفضل اقتراب ممكن من تحقيق مقاصد الشريعة ، وتعتبر هذه الجوانب المعيارية مكملية ومتمة وموجهة للأطر النظرية التى تنطلق منها العلوم الاجتماعية الموصلة إسلامياً ، سواء تم اختبارها بطريق غير مباشرة ، أو قبل أن يتم اختبارها ، أو حتى دون أن يتم اختبارها إذا كانت قد روعيت فى استنباطها الضوابط الصحيحة فى الاستنباط ، وينبغى أن نراعى هنا ماهو متعارف عليه من أن ماهو معيارى بطبيعته لا يمكن اختباره فى ذاته بالرجوع إلى الواقع لأنه مبنى على التفصيل والاختيار .

المبحث الرابع : الإجراءات المنهجية للتوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية :

فى ضوء ما تقدم فإننا سنقوم فى هذا البحث بمحاولة لترجمة منهج التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية إلى مجموعة من الإجراءات أو الخطوات أو العمليات المحددة التى يمكن للباحث أن يسير فى ضوئها ، حال سعيه لتأصيل أحد موضوعات العلوم الاجتماعية أو حتى أحد فروعها ، ويلاحظ أن تناولنا للموضوع سيكون منطلقاً مما أسميناه (بالمدخل المتوازن) فى النظر إلى منهج التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية ، كما يلاحظ أننا نقصد - كلما كان ذلك ضرورياً - إلى صياغة بعض (القواعد) التى نعتبرها من مسلمات المنهج ، وإننا نبرزها فى العرض لإعطاء الفرصة للقارئ لمعرفة الأرضية التى ننطلق منها ، ثم لنقدمها أو الإضافية إليها ، بما يعين على وضوح الرؤية أمام الجميع ، وسيتم تناول الموضوع من خلال العناصر التالية :

١ - اختيار الإطار المرجعى الذى ينطلق البحث فى البداية من مفاهيمه .

٢ - الاستنباط من المصادر الإسلامية .

٣ - الاستفادة من نتائج العلوم الحديثة .

٤ - إيجاد التكامل المنشود بين الأطر الإسلامية وبين النتائج المحصنة المستمدة من العلوم الحديثة.

٥ - اختبار وتطوير النظريات الموجهة إسلامياً .

وفيما يلي تتعرض لكل من هذه العناصر بشئ من التفصيل في حدود مايسمح به المقام .

أولاً : اختيار الإطار المرجعي الذى ينطلق البحث في البداية من مفاهيمه :

يراجه الباحث في المراحل الأولى للتفكير في بحثه قضية مبدئية مهمة ينبغي عليه اتخاذ قرار بشأنها عندما يبدأ العمل ألا وهى : هل يبدأ بحثه منطلقاً من مفاهيم العلوم الاجتماعية الحديثة أم يبدأ منطلقاً عن مفاهيم العلوم الشرعية ومصطلحاتها ؟ وذلك بصرف النظر عما يكون في المراحل التالية بالضرورة من التكامل بينهما .

فعلى سبيل المثال هب أن متخصصاً في الخدمة الاجتماعية اتوى القيام بدراسة يحاول فيها استجلاء أبعاد موضوع كالرعاية الاجتماعية (Socail Welfare) فى ضوء المنهج المتوازن للتوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية على الوجه الذى بيناه فيما سبق ، فإنه سيسأل نفسه هل يبدأ بحثه من المفاهيم الحديثة المألوفة في محيط المتخصصين فى مهنة الخدمة الاجتماعية ، فيستخدم في البداية مثلاً اصطلاحات كالرعاية الاجتماعية ، وظائف الرعاية الاجتماعية ، برامج الرعاية الاجتماعية ، تمويل الرعاية الاجتماعية ... ثم يعمضى قدماً في تقسيم كل موضوع من تلك الموضوعات إلى عناصره بنفس الطريقة ، بحيث يستخدم كل اصطلاح بنفس المفهوم المشتق من الإطار المرجعى الغربى ، اعتماداً على أن المهم هو المحتوى الذى يوضع في كل فئة من تلك الفئات ، وهو محتوى سيتضمن في نهاية المطاف المضمون الإسلامى إلى جانب ماصح من التصورات الحديثة لمهنة الخدمة الاجتماعية ... وهكذا ؟

أم أنه سيرى أنه إن فعل فسيكون بذلك قد وقع - دون أن يقصد - أسيراً لفئات الفكر الغربى ذاته ، المنطلقة من افتراضات الوجودية والمعرفية (الأنطولوجية والاستمولوجية)، ويكون قد كبل نفسه بقيودها دون وعى منه ؟ وهل كان الأفضل أن يبدأ مباشرة بمفاهيم ومصطلحات إسلامية ضاربة بجنورها في التصور الإسلامى بدلاً من ذلك ؟ فيستخدم مثلاً مفاهيم كالتكافل الاجتماعى أو البر بدلاً من الرعاية الاجتماعية ، ومفاهيم موارد الزكاة ومصارفها والصدقات والهبات بدلاً من مفهوم التمويل ، ومفاهيم حقوق الوالدين الطاعنين في السن وحق الضعيف مثلاً بدلاً من خدمات رعاية المسنين ؟

وفي كل الحالات فإنه ستور لدى الباحث تساؤلات مكملة عن مدى صحة نقطة البدء التى اختارها من الناحية المنهجية ، فإذا اختار مثلاً اصطلاح (الرعاية الاجتماعية) فمن يدره أن الإسلام يتوقف عند حد مفهوم (الرعاية) . إن نظرة الإسلام للعلاقات بين

المسلمين ... أفرادهم وجماعتهم ، قويهم وضعيفهم ... هي نظرتهم إلى الأجزاء في جسد واحد وقد يكون مفهوم (الرعاية الاجتماعية) الذى نبت عندنا يعتبر قمة الرحمة في المجتمعات المادية ولكنه لا يكون كافياً في مجتمع مسلم يعيش التصور الإسلامى الصحيح ... وهكذا ، ومن جهة أخرى فإن الباحث إذا اختار مفهوم (التكافل الاجتماعى) - أو البر مثلاً فإنه لابد أن يسأل نفسه عن علاقة هذا المفهوم بالمفاهيم المقابلة (أو التى تبدو له كذلك) في التصور الغربى مثل مفهوم الاعتماد الوظيفي المتبادل (Functional Interdependence) أو مفهوم التكافل الاجتماعى (Social Integration) أو غيرها ... ، وتلك كلها أسئلة لها وجاهتها ، وقد يعنى التعامل الواعى معها الفرق بين الاعتقاد من القيود الفكرية المستقرة في العقول وبين العبودية الفكرية التى لا ينتج منها شئ أصيل ، ولكنه قد يعنى أيضاً الفرق بين فكر إسلامي ناضج صحيح وبين التجنى ومراهقة الفكر وعدم التزوى .

وعموماً فإننا سنقوم فيما يلى بتلخيص الجوانب المختلفة للموضوع في ضوء المثال السابق، حيث نبين باختصار المبررات التى يستند إليها كل من الخيارين المطروحين ، ونوضح التحفظات على كل منهما ، ثم نوضح الطريق العلمى الواجب اتباعه في المراحل التالية- أياً كان الخيار الذى يفضلها الباحث في البداية :

الخيار الأول :

... اتخاذ الفئات والتصنيفات المستمدة من العلوم الاجتماعية الحديثة كنقطة بداية للبحث :

١- المبررات : البدء من نسق من المفاهيم والمصطلحات المألوفة والمتفق على تعريفها بين الباحثين المتخصصين .

٢- التحفظات : الانزلاق إلى تبنى الأطر المرجعية للعلوم الحديثة دون وعى بمخاطر ذلك على عملية التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية .

الخيار الثانى :

اتخاذ الفئات والتصنيفات المشتقة من الألفاظ القرآنية ، أو من منطوق الأحاديث النبوية ، أو من تصنيفات العلماء المسلمين المتقدمين كنقطة بداية للبحث :

١- المبررات :

أ - المصطلحات هنا تكون أقرب للإطار التصورى الإسلامى .

ب- المفاهيم مصدرها الأصلى يقينى (خصوصاً تلك المستمدة من النصوص قطعية الثبوت) بعكس المصطلحات ذات المصدر البشرى للبحث .

٢- التحفظات :

أ- التعسف في تحميل الألفاظ القرآنية أو النبوية من المعانى مالا تحتل أو مالم يقصد

منها .

ب- صعوبة الربط في المراحل الأولى من العمل بين المفاهيم والمصطلحات الشرعية والمصطلحات المستمدة من الإطار المرجعي الغربي المؤلف لدى الباحثين .

ج- الكتابة الموسوعية ذات الطابع الدعوى عند كثير من علماء المسلمين ، وصعوبة ترجمتها إلى أنساق تصنيفية محددة قابلة للاختيار الواقعي .

وعلى أى حال فإن الباحث ينبغي عليه أن يقوم في المراحل التالية لذلك الاختيار الأولى بالمراوحة الدائمة والترداد المستمر بين كل من الإطارين المرجعين (تصنيفات العلوم الحديثة - التصنيفات المستمدة من المصادر الشرعية) على أن يتم بوعي شديد ، وبإدراك كاف للتحفظات السابقة ، دون تعسف مع ترك الباب مفتوحاً دائماً لمراجعة الأنساق التصنيفية والمفاهيم في ضوء كل تقدم يحرزه الباحث في الفهم والربط ، وفي ضوء كل استبصار جديد يسفر البحث عنه ، ويتطلب ذلك :-

١- الانتباه إلى أي شعور بعدم الاتساق بين مجموعة المفاهيم المستقاة من العلوم الغربية أو العلوم الشرعية ، فتلك علامة على الحاجة إلى إعادة فحص الأطر المرجعية الأصلية التي بدأ الباحث منها وإعادة الاختيار بين المفاهيم .

٢- الانتباه إلى وجود فجوات بين المفاهيم بمعنى وجود مساحات من الظواهر التي لم يفلح نسق المفاهيم المستخدم في تغطيتها، وعجز الإطار المرجعي عن تغطية كافة نوات الظاهرة بشكل مقبول.

٣- التحلي بالجرأة العلمية على تجاوز الأنساق التصنيفية التقليدية في العلوم الاجتماعية كلما ظهر سبب جوهري وأصيل يدعو لذلك ، بشرط إمكان تبرير ذلك منطقياً دون تعسف أو تحن «اعدلوا هو أقرب للتقوى» (١) .

٤- التخلي عن إغراء "الاقتصار" على الأطر المرجعية المستمدة من كتابات الإسلاميين لما توحى به من اتصال مباشرة بعملية التوجيه "الإسلامي" للعلوم دون رجوع لما قد يكون منيئاً من إسهامات العلوم الحديثة .

٥- التخلي عن التوجس أو النفور من استخدام المصطلح الحديث كراهية لأصله ، ويمكن في المراحل الأولى وضع المقابل الإسلامي بين قوسين - والعكس بالعكس - إلى حين التوصل إلى لغة مشتركة متفق عليها بين معظم الباحثين .

ثانياً : الاستنباط من المصادر الإسلامية :

*** (قاعدة رقم ١) يتطلب التوجيه الإسلامي لأي موضوع جزئي من موضوعات العلوم الاجتماعية وضوحاً أولياً لدى الباحث فيما يتصل بالأطر العامة والمسلمات الأساسية التي يقوم عليها التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والكون والحياة بصفة عامة ، باعتبار أن

(١) سورة المائدة : الآية ٨ .

هذه المسلمات الوجودية (الأنطولوجية) والمعرفية (الإبستمولوجية) تحدد إلى حد كبير بل وتكاد تحسم الاعتبارات المنهجية (الميثودولوجية) التي ينبغي أن يلتزم بها الباحث في بحثه لأي موضوع جزئي .

إن الدراسة المنظمة التي تستهدف بلورة الرؤية الإسلامية لأي موضوع متخصص من موضوعات العلوم الاجتماعية تتطلب القيام بالإجراءات الآتية (حسب الاستطاعة) في ضوء نوع ومدى المعرفة السابقة للباحث لمصادر العلوم الشرعية ومناهجها .

١- البحث المنظم والواعي عن الألفاظ والتعبيرات المتضمنة في الآيات القرآنية ، أو في الأحاديث النبوية الصحيحة ، والتي يبدو للباحث أنها ترتبط بالظاهرة موضوع البحث ، أو ببعض جوانبها ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، ويمكن التقاط الإشارات إلى تلك الألفاظ القرآنية والحديثية الملائمة من خلال :

١- مراجعة المكانز الإسلامية المتخصصة التي بدأت تظهر في السنوات الأخيرة ، والتي تحوى حصراً لمصطلحات التخصص مع ما يمكن أن يقابلها في الاصطلاح الإسلامي .
٢- الرجوع إلى الجهود التأصيلية السابقة خصوصاً ما اتصل منها بما أصبح يعرف بالثقافة الإسلامية ، والتي تنظر في كليات الإسلام ، ومن هنا تكون أقرب لتقديم الأطر التصورية التي يستفيد منها المشتغلون بالعلوم الاجتماعية .

٣- الإفادة من كتابات علماء الإسلام المتقدمين ممن اشتهروا بنشاطهم النفسية والاجتماعية ، ويمكن الاستعانة في هذا الصدد بالأدلة المتخصصة التي تمد الباحثين بإشارات مختصرة إلى مثل تلك الكتابات مع جهود تحليلها وربطها بما يمكن أن يقابلها في المصطلح الحديث .

٤- القراءة المنظمة للقرآن الكريم ، والنظر في الأبواب والفصول الملائمة من صحاح السنة للبحث المستقل من جانب الباحث نفسه عن الألفاظ القرآنية والحديثية المتصلة بالموضوع ، أو اكتشاف الآيات والأحاديث المتضمنة للمعنى باستخدام ألفاظ أخرى مع رصد تلك الألفاظ .

٢- حصر جميع المواضع التي استخدمت فيها تلك الألفاظ والتعبيرات القرآنية والنبوية التي تم التقاطها ، وذلك باستخدام معجم ألفاظ القرآن الكريم ومعجم ألفاظ الحديث لكي نضمن ألا تنفوتنا أي إشارات لتلك الألفاظ دون قصد .

٣- الكشف عن معاني الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي وردت تلك الألفاظ في سياقها رجوعاً إلى كتب التفسير والشروح المعتمدة ، ويمكن الاستعانة في هذا الصدد بالكشافات المتخصصة لآيات القرآن الكريم ولأحاديث النبوية الشريفة ، والتي تضم مختلف التفاسير والشروح للنصوص المتصلة بكل موضوع من موضوعات التخصص ، والتي بدأت في الظهور في السنوات الأخيرة .

٤- الاستناد إلى مجموعة الأفكار الواردة في تلك التفاسير والشروح لاستنباط المفاهيم والقضايا التي تصف أو تفسر موضوع الدراسة أو تضع الضوابط المعيارية عليه ، وذلك عن طريق الربط المنطقي والمنظم بين المعاني المستمدة من تلك التفاسير والشروح ، ومن الواضح أن هذا الربط المنظم سيقوم على أساس استخدام القواعد المنطقية للانتقال من المقدمات إلى النتائج ، وهو بطبيعة الحال يتضمن اجتهداً بشرياً من جانب الباحث ، ولكن من الضروري أن نشير هنا إلى ضرورة إلمام الباحث بالقواعد الأصولية والقواعد اللغوية المتعارف عليها في فهم النصوص ضماناً لعدم التجاوز عند محاولات الربط والاستنباط .

٥- في حالة شعور الباحث بإمكان استيعاب نصوص الآيات أو الأحاديث لمعان ومضامين أخرى غير تلك التي وردت في شروح وكتابات المتقدمين يمكن للباحث المتمكن في فنه والتمكن في الوقت نفسه من منهجية العلوم الشرعية استنباط معان وأفكار جديدة للنصوص ولكن هذا الأمر لا يجوز إلا بمبررات ، كما أن عليه ضوابط ومحاذير :

١- المبررات :

أ- حدوث معارف محققة جديدة لم تكن معروفة في زمن المفسرين والشارح المتقدمين حول ظواهر ووقائع تتسم بالثبات النسبي .

ب- ظهور حوادث وظواهر جديدة تتطلب تجلية "التصور الإسلامي" الذي يحكمها.

٢- الضوابط :

أ- العلم بمناهج البحث المعتمدة في العلوم الشرعية - ولو في حدها الأدنى المقبول .
ب- التطبيق الدقيق لمناهج البحث المعتمدة في العلوم الشرعية للاستنباط من النصوص أو الجمع بينها ، وخصوصاً ما اتصل منها بالقواعد الأصولية الواجب مراعاتها في الاستنباط من النصوص وفهمها "أمثلة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب - العمل بالمطلق على إطلاقه إلا بدليل على تقييده - العمل بالظاهر واجب إلا بدليل يصرفه عن ظاهره - صيغة الأمر عند الإطلاق تقتضي الوجوب والمبادرة بالفعل إلا لدليل يخرج عن ذلك فيصير إلى الندب أو الإباحة - لا يجوز حمل اللفظ على مجازه إلا بدليل صحيح أي قرينة^(١) ، وكذا القواعد الفقهية الكلية "من أمثلتها : الأمور بمقاصدها - اليقين لا يزول بالشك - المشقة تجلب التيسير - الضرورات تبيح المحظورات - الضرورة تقدر بقدرها - الحاجة تنزل منزلة الضرورة - لا ضرر ولا ضرار - درء المفسدة أولى من جلب المنافع - يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام - يختار أهون الشرين - الضرر لا يزال بمثله - التصرف على الرعية منوط بالمصلحة - لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع عليه - الأصل في الأشياء الإباحة^(٢) .

(١) العثيمين ، محمد صالح (١٩٨٦) الأصول من علم الأصول ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

(٢) عطية ، جمال الدين (١٩٨٨) النظرية العامة للشرعية الإسلامية (القاهرة : مطبعة المدينة) .

ج- عرض النظر الجديد في النصوص على المتخصصين في العلوم الشرعية للتأكد من درجة دقة متابعته للأصول المرعية في تلك العلوم في الفهم الذي توصل إليه لتلك النصوص .

٣- المحاذير :

أ- الحذر من الاستناد إلى الخواطر أو "النظرات الشخصية" البحتة في كتاب الله أو أحاديث الرسول - ﷺ - لأن النظرات الشخصية لا يمكن أن تلزم إلا صاحبها .

ب- تجاوز النزعات "الرمزية" والصوفية التي تستهوى البعض ، لأن العبرة في العلم هي بالمعارف القابلة للتعميم ، ولأن كل خروج عن هدى المصطفى - ﷺ - في فهم كتاب الله إلى تهويمات الصوفية وأشباههم لا يمكن أن يؤدي إلى خير .

ج- تجاوز النزعات اللفظية والتحليلات اللغوية التي تتبع "الغريب" من الاستخدامات القاموسية وتنشبت بها (دون منطق راشد) في تفسير الآيات والأحاديث .

د- ومن جهة أخرى فإنه من الضروري الابتعاد عن المسارعة في تفسير الألفاظ بتفسيرات مجازية مادام منطوقها بوحى بمعنى مباشر مقبول ، وعند التحير أو التردد فإن النزاهة العلمية تقتضي التوقف إلى أن يفتح المولى بما يجلو الموقف أمام الباحثين .

هـ- الحذر من الوقوف في العلوم الاجتماعية عند إسهامات الفقهاء ذات الطليعة الحكيمة (إصدار الأحكام على الوقائع) أو الاكتفاء بذلك والاستعاضة به عن النظر الإيجابي التفصيلي في شئون الحياة الاجتماعية الذي يكون موجهاً ودافعاً للفعل وللوقائع لتحقيق مقاصد الشريعة ، لأن هذا النظر فيما يدفع وقع الحياة إيجابياً - في إطار الشريعة - يقع على عاتق العلوم الاجتماعية بمفهومها الصحيح ، وكما يقول الدكتور طه العلواني (١٩٨٨) فإن "الفقه من شأنه أن ينظم حضارة قامت ، لكن أن ينشئ أو يوجد حضارة فليس الأمر كذلك ، لأن الفقه عبارة عن ضبط لوقائع ونوازل تكون قد حدثت ، وبيان وجه الحق أو الصواب فيها من عدمه" (١) .

٦- تحديد معالم التصور الإسلامي المبدي لموضوع الدراسة في ضوء ما سبق ، وفي ضوء المسلمات الوجودية (الأنطولوجية) ، والمعرفية (الابستولوجية) ، والمنهجية (الميثودولوجية) الإسلامية .

٧- عرض التصور المبدي الذي تمت بلورته في جملته على المتخصصين في العلوم الشرعية من ذوي التفهم لقضايا العلوم الاجتماعية وذوي التعاطف مع قضايا التوجيه الإسلامي لتلك العلوم ، وذلك "لاختبار" درجة مطابقته للفهم الشرعي الصحيح بوجه عام .

٨- إجراء التعديلات المناسبة على ذلك التصور في ضوء أوجه النقد التي يديها المتخصصون في العلوم الشرعية ، خصوصاً تلك التي يتفق عليها أكثر من واحد من أولئك

(١) العلواني ، طه جابر (١٩٨٨) : إسلامية المعرفة : مصدر سابق : ص ٣٧ .

التخصصين ، تحسباً للاحتمالات القائمة دائماً لوجود اختلافات في الرأي بين ذوي الاجتهاد .

٩- صياغة إطار تصوري متماسك -بقدر الإمكان- يمكن استخدامه في تحقيق الأغراض الآتية:

- ١- ليكون معياراً يتم نقد إسهامات العلم الحديث في ضوئه .
- ٢- ليكون إطاراً نظرياً يمكن أن يتخذ أساساً لتفسير الحقائق الجزئية "كما سنرى فيما بعد" .

ثالثاً : الاستفادة من نتائج العلوم الحديثة :

**** (قاعدة رقم ٢)** إن أي جهود تبذل لاستنباط الرؤية الإسلامية لموضوع ما اقتصاراً على المصادر الشرعية وحدها لا تعد بذاتها "توجيهاً إسلامياً للعلوم الاجتماعية" بالمعنى الاصطلاحي ، وإنما تعتبر بحثاً في العلوم الشرعية أو في الدراسات الإسلامية "في المرحلة الحالية التي لازال الانفصال فيها قائماً بين المجالين" ، أما التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية فإنه يتطلب إلى جانب ذلك :

أ- استثمار ما صلح من معطيات العلوم الاجتماعية التفصيلية في الموضوع وإدماجه في نسق معرفي متكامل تحت مظلة التصور الإسلامي .

ب- تعريض حصيلة هذا التكامل بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية للاختبار الميداني في أرض الواقع ، والتصحيح المستمر لتلك الحصيلة في ضوء نتائج الاختبار الواقعي .

**** (قاعدة رقم ٣)** يتطلب حسن الاستفادة من نتائج العلوم الاجتماعية الحديثة في إطار التوجيه الإسلامي لأي قضية جزئية من جزئيات التخصص وعياً واضحاً بالمسلمات المعرفية والمنهجية الموجهة "لذلك التخصص" بأسره ، مع المراجعة المنظمة والمتأنية للمصادر الأساسية لذلك التخصص سواء من حيث النتائج أو المناهج أو الظروف التاريخية التي أثرت في تطورها جميعاً حتى وصلت إلينا على الوجه الذي نعرفه اليوم - وذلك قبل الانتقال إلى التناول النقدي لإسهامات العلم في الموضوع المحدد المراد توجيهه إسلامياً - وهذا يتطلب بدروه :

١- حصر النظريات والتعميمات والقضايا والمفاهيم والمصطلحات المتصلة بالموضوع في الكتابات العلمية المتخصصة التي تمثل الوجهة السائدة في فهم الموضوع (The Paradigm) بكافة اتجاهاتها، مع الوعي بالمتعلقات التي تنطلق منها وبأصولها الفكرية قدر الاستطاعة .

٢- بذل جهد خاص لاستقصاء وجهات النظر النقدية والآراء "المنشقة" والمخالفة لتلك الوجهة السائدة والناثرة عليها ، حتى وإن كانت لاتزال دائرة في فلك الحضارة الغربية

المعاصرة ، لأن الوجهات النقدية والآراء المنشقة عادة ما تكشف عن المسلمات الضمنية التي تكمن وراء الوجهة السائدة بما يعيننا على تجنب مواطن الزلل إن سلمنا بما يبدو بريئاً وغير مخل قيمياً وليس كذلك على الحقيقة .

٣- إلقاء نظرة نقدية فاحصة على كل من الوجهة السائدة والتوجهات المنشقة ، وذلك في ضوء التصور الإسلامي السابق التوصل إليه .

٤- استثمار الآراء النظرية المنشقة (التي أظهرت الخبرة أنها في حالات كثيرة تمثل رد فعل للاتجاهات المادية والاختزالية التي اصطبغ بها العلم الحديث في توجهه السائد) إلى المدى الذي تصل إليه - ودون التوقف عنده بطبيعة الحال - طالما أنها تخدم التصور الإسلامي وتسير في اتجاهه (ذلك أنها في أغلب الأحوال تتوقف عند نقطة معينة لا تقوى على تجاوزها بسبب ارتباط تلك الآراء بالثقافة التي نبتت فيها) .

٥- فرز المفاهيم والتعميمات والأطر النظرية وغربلتها في ضوء ما سبق ، واستبقاء ما يتمشي منها مع التصور الإسلامي ، واستبعاد ما بني منها على مسلمات خاطئة.

٦- يراعي الحذر من التسرع باختيار إحدى النظريات التي يرى الباحث أنها "الأكثر اقتراباً" من التصور الإسلامي وتبنيها باعتبارها تمثل نهاية المطاف للتوجيه الإسلامي ، لأن مثل هذا الاختيار يتجاهل عادة المسلمات التي بنيت عليها مثل تلك النظرية ، والتي قد تختلف بشكل جوهري عن المسلمات التي يقوم عليها التصور الإسلامي .

**** (قاعدة رقم ٤) بعض مكونات العلوم الحديثة أقرب بطبيعتها للاستفادة منها في إطار النظرة الإسلامية من بعضها الآخر ، ومثال ذلك : آليات العمليات النفسية والاجتماعية ، وطرق التحليل المنهجي المنظم للقضايا والمشكلات ، وأدوات جمع البيانات ، وأدوات التدخل المهني - ولكن مما ينبغي ملاحظته أن الخطأ الذي يشوب الاستفادة من تلك الآليات أو الأدوات في المنظور الغربي التقليدي إنما يكمن عادة في الإطار العام الذي يحكم استخدامها ، والذي يكون عادة ناقصاً ومختزلاً وبحاجة إلى إعادة النظر .**

رابعاً : إيجاد التكامل المنشود بين الأطر التصورية الإسلامية وبين النتائج الممحصنة المستمدة من العلوم الحديثة :

١- إعادة ترتيب وإعادة تفسير المشاهدات المحققة (الحقائق والتعميمات الإمبريقية) المستمدة من الكتابات العلمية الحديثة في ضوء :

أ - الأطر التصورية الإسلامية التي تم التوصل إليها .

ب - الأطر النظرية المستقاة من تراث العلم الحديث بعد ثبوت اتساقها مع التصور الإسلامي .

٢ - صياغة النظرية العلمية المرجحة إسلامياً في شكل أنساق استنباطية تسمح باستخلاص فروض علمية تقبل الاختبار الواقعي ، وهذا جهد إنشائي أو بنائي يقوم على

الانتقال المنطقي من المقدمات إلى النتائج بطريق صحيح ، ويسمح في الوقت ذاته باستنباط نتائج أخرى مشتقة منها وهكذا (انظر الأمثلة في مقال المنهج العلمي للبحث من وجهة إسلامية^(١)).

٣- إن كون هذه النظريات العلمية الموجهة إسلامياً "علمية" يعني :

أ - أن صدق هذه النظريات ليس أمراً مسلماً به على أساس قبلي (Apriori) ، وأن درجة صدقها تتوقف دائماً على ما يسفر عنه "اختبارها" في الواقع .

ب- أنه لا يتصور التوصل إلى تلك النظريات مع جهل بإسهامات العلوم الاجتماعية أو تجاهل لها .

٤- إن كون هذه النظريات "موجهة إسلامياً" يعني :

أ - هيمنة التصور الإسلامي وإعطائه "أولوية مطلقة" في تفسير المشاهدات الجزئية المحققة ، وفي توجيه الفروض العلمية ، وذلك في حالة عدم وجود أطر تصورية تفسيرية منافسة ذات بال .

ب- في حالة وجود أطر تفسيرية منافسة : فإن التصور الإسلامي يعطي "أولوية نسبية" للأطر المستمدة من الاجتهاد البشري المحض ، لزيادة احتمال الصدق في التصور الإسلامي المشتمل على ما يزيد عن الاجتهاد البشري الذي هو قدر مشترك بين النوعين من الأطر .

خامساً : اختبار وتطوير النظريات الموجهة إسلامياً :

** (قاعدة رقم ٥) النظريات "العلمية" المتخصصة الموجهة إسلامياً وإن استمدت مسلماتها وأطرها العامة من التصور الإسلامي إلا أنها ليست في نفسها وحيّاً منزلاً ، وإنما هي مشتملة بالضرورة على اجتهادات وأفكار بشرية ضمن مكوناتها الرئيسة وذلك من جهتين :

١- أن التصور الإسلامي الموجه لتلك النظريات وإن بني على آيات الكتاب الكريم وعلى الأحاديث الصحيحة ، فإن الاجتهاد البشري للباحثين يدخل في عملية البناء هذه من عدة طرق :

أ - الاختيار من بين الآيات أو الأحاديث "عن وعي" أو بدون قصد لما يظنه الباحث متصلاً بموضوع بحثه .

ب - الاختيار من بين التفسيرات المختلفة الواردة في كتب التفسير المعتمدة للنص الواحد .

(١) رجب ، إبراهيم عبد الرحمن (١٩٩١) المنهج العلمي للبحث من وجهة إسلامية ، مصدر سابق .

ج- الجهد الذي يبذله الباحث في "الربط" بين الآيات والأحاديث التي يراها متصلة بموضوع بحثه .

وهذه الاجتهادات لا تعدو من وجهة النظر العلمية أن تكون "فروضاً" تستحق الاختبار في أرض الواقع .

٢- أن المشاهدات الواقعية المحققة "الحقائق العلمية في الاصطلاح التقليدي" التي تحويها نظريات العلوم الاجتماعية ، إنما تم التوصل إليها من خلال دراسات وبحوث هي محاولات بشرية للاقتراب من الحقيقة إلى أقصى قدر مستطاع ، ولكنها معرضة في الوقت ذاته للتأثر بقصورنا البشري الذي يتبدى أساساً في ضعف الإجراءات المنهجية وفي قصور عمليات القياس .

يترتب على تلك القاعدة أن اعتبارات العلمية الحقة تتطلب إخضاع نتائج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية للاختبار الميداني الواقعي ، حتى تتمكن من التحقق من صحة استنباطاتنا البشرية التفصيلية ، وحتى يمكن الاحتفاظ للعلم البشري بخاصية التصحيح - الذاتي المسلم بأنها وراء كل علم صحيح فيما يخرج عن نطاق الوحي المنزل اليقيني ، وتتضمن عملية الاختبار ما يلي :

١- استنباط فروض مستمدة من النظريات "العلمية" الموجهة إسلامياً والتي تم التوصل إليها من خلال الخطوات السابقة (يلاحظ أن اختبار كل فرض جزئي إنما هو في الوقت ذاته اختبار للنظرية كلها بدرجة ما) .

٢- اختبار تلك الفروض في الواقع بمعناه الشامل (Total Reality) ، الذي يضم ما هو محسوس قابل مباشرة للمشاهدة الحسية ، كما يضم ما ليس محسوساً وإن كان يمكن مشاهدة آثاره بطريقة غير مباشرة ، ويتطلب ذلك بالطبع بذل جهود كبيرة لابتكار أدوات للبحث ذات حساسية كافية لاستتبار هذا النوع الأخير من الظواهر ، (ويلاحظ وجود بدايات جيدة في هذا الطريق عند أصحاب التوجه الجديد (The New Paradigm) من رجال مناهج البحث من الغربيين أنفسهم) ، وعلى سبيل المثال فقد قام ريزون وروان^(١) ، بجمع عدد من الإسهامات الحديثة في مجال طرق وأدوات البحث المنطلقة من هذا التوجه ، والتي تبدو ذات فائدة كبيرة للمشغلين بالتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية خصوصاً ما يطلق عليه منهجية البحث بالمشاركة (Participative Research) ، المنهجية الباطنة (Endogenous Research) ، المنهجية الخبراتية (Experiential Methodologies) ، المنهجية الحوارية (Dialogical Research) وغيرها من المنهجيات والأدوات التي تنظر في الجوانب الداخلية للخبرة الإنسانية الذاتية توصلنا إلى تعميمات موضوعية وذلك كبديل

(1) Reason , Peter & John R owan , eds, (1981) Human Inquiry : A Source book Of New Paradigm Research (New York John Wiley) .

لمنهجيات الملاحظة من الخارج بزعم الموضوعية دون إمكان الوصول إلى الحقيقة الداخلية أبداً .

٣- إذا ثبتت صحة الفروض (أو إذا فشلنا في رفضها ، بلغة الاختبارات الإحصائية) فإن ثقتنا في النظرية الموجهة إسلامياً تزداد .

٤- إذا لم تثبت صحة الفروض فإنه يكون من الضروري القيام بالخطوات الآتية على الترتيب :

١- مراجعة الإجراءات المنهجية المستخدمة في البحث ، وخصوصاً ما اتصل منها بإجراءات القياس للتأكد من عدم الوقوع في أخطاء جوهرية ، وللتأكد أيضاً من عدم استخدام تقريبات غير كافية من النموذج المثالي لتصميم البحث أو اختيار العينة .. إلخ .

٢- إذا ثبت أن الإجراءات المنهجية صحيحة تماماً (وهو أمر شديد الندرة بل قد يراه البعض مستحيلاً في العلوم الاجتماعية) فإن على الباحث مراجعة "استنباطاته" من المصادر الشرعية، وخصوصاً ما اتصل منها باختيار النصوص واختيار الشروح ، وما اتصل بضم تلك النصوص والشروح إلى بعضها، للتعرف على مصدر الخطأ أو التجاوز ، ثم تعديل الإطار التصوري في ضوء ذلك .

٥- في كل الأحوال فإنه يتم إعادة إجراء البحوث (Replica) للتأكد من ثبات النتائج وذلك في حالة ثبوت صحة الفروض ، والاستمرار في إجراء بحوث جديدة بهدف إعادة تقدير الموقف بعد تعديل الإجراءات المنهجية أو تعديل الأطر التصورية "وذلك في حالة رفضها" .

*** (قاعدة رقم ٦) لما كان الكون من خلق إله واحد : هو سبحانه وتعالى أيضاً منزل الوحي ، فإنه لا يمكن تحت أي ظروف أن يوجد تناقض بين مشاهدات محققة واقعياً وصادقة وبين أي نص شرعي يقيني الدلالة يقيني الثبوت .

خاتمة :

١- بالرغم من أن العرض السابق لمكونات أو خطوات أو إجراءات عملية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية قد يوحي بوجود نوع من التسلسل الزمني أو الترتيب المنطقي لتلك الخطوات ، إلا أن هذا ليس أمراً لازماً فواقع الأمر أن تفكير الباحث في كل خطوة أو جانب من الجوانب السابقة يندر أن يتم في معزل عن التفكير في الجوانب والخطوات الأخرى، ويلزم التنبيه هنا إلى أن ثراء عملية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية وتشابك جوانبها يتنافى بطبيعته مع مثل ذلك التفكير الخطي الذي قد يتصور معه إمكان السير في خطوات متتابعة بطريقة آلية .

٢- ينبغي النظر إلى النموذج المعروض في المبحث الأخير على أنه إنما يقدم مؤشرات

إلى الطريق الذي تسير فيه عملية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية "بصفة عامة" ولم يقصد منه قيام أي باحث منفرد باستيفاء جميع العناصر والمكونات والإجراءات المشار إليها في كل عمل علمي يقوم بإنتاجه ، ومن المتصور أن يقوم أي باحث بخدمة جانب أو عنصر ، أو مرحلة أو أكثر - كلياً أو جزئياً - في أحد بحوثه ، لينخدم غيره في بحث آخر وهكذا ، ولكن بالشروط الآتية :

أ- أن يكون الباحث واعياً بموقع العمل الذي يقوم به ، وبموضعه من هذه العملية التأصيلية المترابطة الحلقات .

ب- أن يكون ذلك العمل قابلاً للاندماج مع غيره في المنظومة الكلية للجهود التأصيلية ، وعلى الباحث أن يشير بنفسه إلى نقاط انطلاقه وصلتها بما قبلها (عند مراجعة أدبيات الموضوع) ، وإلى نقاط انتهائه وصلتها المتوقعة بما بعدها (عندما يشير إلى البحوث المستقبلية) .

ج- أن يلتزم الباحث في عمله بالشروط والضوابط العامة لعملية التوجيه الإسلامي على الوجه الذي فصلناه في المباحث السابقة .

٣- إن النموذج المطروح في المبحث الأخير لازال يشير إلى الاتجاهات العامة ويتحمل الكثير من التفصيل والتحديد ، والهدف من عرضه على هذا المستوى من التجريد أمران :

أ - فتح الطريق أمام حوار علمي يرشد هذا التوجه العام ويصحح مساره .

ب- تطبيق ما يصح من هذا النموذج - بعد تمحيصه وترشيده - من خلال جهود تأصيلية واقعية تملأ فراغاته ، وتثرى بالتفصيلات عموميته .

٤- من الواضح أن على الباحثين المتخصصين في العلوم الاجتماعية ممن يريدون أن يسهموا بشكل فعال في جهود التوجيه الإسلامي لتلك العلوم أن يعيدوا تعليم أنفسهم لاكتساب أكبر قدر مستطاع من العلوم الشرعية خصوصاً ما كان منها منطلقاً للتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، حتى تكون إسهاماتهم حادة وصحيحة من جهة ، وحتى يكتسبوا ثقة وتعاون المتخصصين في العلوم الشرعية من جهة أخرى بما يؤدي - بإذن الله - إلى تضافر الجهود نحو توحيد العلم الإسلامي في ضوء التصور الإسلامي الواحد .

٥- وإذا كان البعض قد يتوهم أن الإمام بالحد الأدنى المطلوب من تلك العلوم أمر مستحيل على المتخصص في العلوم الاجتماعية ، فلعل مما يدعوه للاطمئنان أن يرجع إلى ما ذكره الإمام الرازي في مصنفه (الحصول في علم أصول الفقه) ليرى أنه يهون الأمر على من كانت له همة في الأمر ، إذ أنه على سبيل المثال يقدر الحد الأدنى المطلوب من تلك العلوم

بوجود تصنيف معتمد في كل فن يمكن الرجوع إليه عند الحاجة ، مع القدرة على الاطلاع عليه عند الاحتياج إليه وليس حفظه^(١) .

٦- وفي الخاتمة فلعله من المفيد أن نذكر هنا بأن ثمرة التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية لا يمكن تحصيلها إلا بإخلاص النية لله - عز وجل - في طلب هذا العلم العظيم ، وبالثقة في معرفته - جل وعلا - لمن وجه وجهه إلى الله وهو محسن ، فهذا العمل ليس حرفة تحترف أو مهنة تمتهن على الوجه الذي اعتدناه في إطار التصور الغربي للوظائف والمهن ، وإنما هو أولاً وقبل كل شيء طاعة وقربة إلى الله - عز وجل - وهو واجب نحو الأمة التي بدأت تتداعى الأكلة عليها تداعي الأكلة إلى قصعتها ، عسى أن يكون إصلاح فكر الأمة ومنهجيتها أساساً في إصلاح أحوالها وإقالتها من شررتها ، والله يقول الحق وهو يهتدي السبيل وهو نعم المولى ونعم النصير .

(١) الإسنوى ، جمال الدين ، المتوفى ٧٧٢هـ (١٩٨١) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول ، تحقيق د . محمد

حسن هيتو ، ط (بيروت : مؤسسة الرسالة) ، ص ص ٤٤ - ٤٥ .

المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية

د . عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ

تمهيد :

نظراً لأن النظام الاجتماعي في الإسلام يتمثل فيما شرعه الله من قوانين تحكم العلاقات الإنسانية ، فالرعاية الاجتماعية في المجتمع المسلم يجب أن تحكمها الشريعة الإسلامية ، وبذلك يكون دور الإنسان هو التلقى والفهم والطاعة ومحاولة الوصول إلى أفضل السبل والوسائل والبرامج لتطبيق الشريعة على أكمل وجه ممكن . فالله - عزت قدرته - رحيم بعباده لم يتركهم يضعون الأنظمة الاجتماعية تبعاً لأهوائهم المختلفة ، لأن في ذلك ضلالتهم وفسادهم وهو - سبحانه - لا يرضى ذلك لهم ، فأنزل على رسوله الكتب والهدى الذي ما إن تمسكوا به لن يضلوا أبداً ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ۚ ۞ ﴾ (١) ، والهدى هو بيان لسبيل الله وما اختاره لخلقه من دين ، كما جاء في تفسير الطبري (٢) .

فالعلاقة الإنسان - كفرد - بربه ، والعلاقات بين الناس في المجتمع ، يجب أن تتسم بطاعة الله وتقواه حتى يمكن أن يعيش الأفراد والمجتمع حياة طيبة ، وبذلك تصبح هذه العلاقة هي المحور الأساسي الذي يجب أن تدور حوله برامج الرعاية الاجتماعية والخدمة الاجتماعية ، كما يتضح أيضاً أن الدافع إلى إنشاء برامج للرعاية الاجتماعية في المجتمع المسلم هو دافع داخلي (Internal) بينما الدافع إلى ذلك في بعض الدول هو دافع علاجي ومن الخارج (External) فبعض الدارسين (٣) يؤكدون أن برنامج الرعاية الاجتماعية في تلك الدول نشأ بهدف الحفاظ على استقرار النظام الرأسمالي وتدعيمها للفئات ذات النفوذ فيها .

ولقد جاء الفصل بين الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية كمفهومين ، بناء على فلسفة المجتمعات الغربية وثقافتها ، بينما تأتي جهود الأمم المتحدة مؤخراً لتقول : إنه لا يمكن الفصل بينهما ، وكذلك في المنظور الإسلامي سنجد أنهما يلتقيان ، والأصل الذي يجمعهما هو تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ الضروريات الخمس "الدين ،

(١) سورة طه ، الآيات ١٢٣، ١٢٤ .

(٢) ج ١٦ ، ١٦٣ .

(٣) محروس خليفة ، ممارسة الخدمة الاجتماعية - قراءة جديدة في قضايا الرعاية الاجتماعية ، الإسكندرية ١٩٨٩ م ،

دار المعرفة الجامعية . وختار عجوبة إبراهيم ، الرعاية الاجتماعية وأثرها على مداخل الخدمة الاجتماعية المعاصرة ،

الرياض ، ١٩٩٠ م ، دار العلوم .

والنفس، والعقل، والنسل، والمال". فبرامج الرعاية الاجتماعية تعمل على إقامة أركان هذه الضروريات وتثبيت قواعدها، وتقوم بالدور العلاجي - غالباً - لدرء الاختلال الواقع، بينما تقوم برامج التنمية الاجتماعية بالدور التنموي والوقائي في حفظ هذه الضروريات، لذلك يمكن أن نطلق على مفهومى الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية - من المنظور الإسلامى - مسمى واحداً مثل: "تحقيق مقاصد الشريعة في الجانب الاجتماعى"، وتحقيقها بمعنى إيجادها وحفظها.

ولكن على الرغم من أن المسلمات التي بنى عليها المصطلحان "الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية" لا تمشى مع مسلمات التصور الإسلامى الصحيح، إلا أن البحث سيسير فى دراسة الموضوع مستخدماً هذين المصطلحين، حتى يحين الوقت الذى يتفق على استبدالهما بمصطلح يعبر عن المنطلقات والمسلمات الإسلامية.

الرعاية الاجتماعية في التصور الإسلامى :

إذا نظرنا إلى الرعاية الاجتماعية في الإسلام كنظام اجتماعى، أمكن دراستها عن طريق تحليل هذا النظام إلى مكوناته، كما يقول مصطفى الخشاب: إنه إذا حللنا أي نظام اجتماعى من النظم الأساسية تحليلاً بنائياً فبجده ينطوى على العناصر الآتية:

١ - القوة البشرية المنفذة للنظام (أعضاء النظام أو العنصر البشرى).

٢ - الأجهزة والمعدات التي بفضلها يؤدي الأعضاء وظائفهم، وهى ما تسمى بالعنصر المادى.

٣ - التنظيمات والطرق والكيفيات وبجريات العمل وشئون الإدارة، وهى ما تسمى بقواعد النظام.

٤ - مجموعة القيم والمواثيق، وما ينطوى عليه النظام من عادات وتقاليد مرعية.

٥ - وظائف النظام والاهتمامات التي يثيرها النظام الاجتماعى في مشاعر أفراد المجتمع، ثم الأغراض التي يحققها^(١).

وفي ضوء هذا التحليل العام لمكونات أو عناصر النظام الاجتماعى، سيتم معالجة نظام الرعاية الاجتماعية في المنظور الإسلامى من خلال مناقشة العناصر الآتية:

١ - وظائف نظام الرعاية الاجتماعية وأهدافه.

٢ - القيم العامة والمبادئ الموجهة للرعاية الاجتماعية.

٣ - أنشطة الرعاية الاجتماعية وبرامجها.

٤ - تمويل خدمات الرعاية الاجتماعية.

(١) مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، ط ٢، القاهرة، ١٩٨٢م، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٣٤٣.

أولاً : وظائف نظام الرعاية الاجتماعية وأهدافه :

يرى المتخصصون في العلوم الاجتماعية أن النظم "الاجتماعية" - وهي من أنماط التنظيم الاجتماعي للمجتمع - تعتبر الأنساق الكبرى المنظمة للتفاعل الذي هو قاعدة العلاقات الاجتماعية^(١)، والمجتمع المسلم يأخذ بالشرعية الإسلامية في جميع تنظيماته الاجتماعية ، لذلك فالشرعية الإسلامية تعتبر النسق الكبير المنظم للتفاعل بين أفراد المجتمع المسلم والمحدد لقواعد العلاقات الاجتماعية ، فالشرعية الإسلامية كما يذكر محمود شلتوت هي: "اسم للنظم والأحكام التي شرعها الله أو شرع أصولها وكلف المسلمين إياها ليأخذوا أنفسهم بها في علاقاتهم بالله وعلاقاتهم بالناس"^(٢).

وفي ضوء ذلك فإن النظم "الاجتماعية" ليست حاكماً على الشريعة وإنما هي محكومة بها، وموجهة لتحقيق مقاصدها وأهدافها ، والرعاية الاجتماعية كنظام ينطبق عليها ما ينطبق على غيرها في التصور الإسلامي ، فهي تؤدي وظائفها في تحقيق مقاصد الشريعة مع غيرها من النظم الاجتماعية ، ولكنها تختص من تلك المقاصد بما يتصل برعاية الفئات الضعيفة ، ومواجهة المشكلات الاجتماعية ، وتحقيق التنمية الاجتماعية .

وعلى هذا الأساس ، فإن مفهوم مقاصد الشريعة يعتبر مفهوماً محورياً لفهم وتحديد وظائف الرعاية الاجتماعية وأهدافها كنظام اجتماعي ، لذا فإنه من الضروري عرض هذا المفهوم بشيء من التفصيل لتحديد أبعاده العامة أولاً ، ثم لتحديد القطاعات التي تختص الرعاية الاجتماعية بها ، تحقيقاً لمصلحة الناس في الدنيا والآخرة .

مقاصد الشريعة :

لقد اتفق الفقهاء - كما قال الشاطبي في الموافقات - على أن القصد العام للشرعية هو: "مصلحة العباد في العاجل والآجل معاً"^(٣) وعرف الغزالي - في المستصفى - المصلحة بأنها عبارة عن جلب منفعة أو دفع مضرة^(٤).

ويضيف ابن عاشور : "إن المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمين عليه وهو نوع الإنسان ، ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه ، والشارع ما أراد من الإصلاح المنوه به بمجرد صلاح العقيدة وصلاح العمل - كما قد يتوهم - بل أراد منه صلاح

(١) غيث ، ١٩٧٨ : ٢٨٧ .

(٢) محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشرعية ، ط ١٤ ، القاهرة ١٩٨٧ ، دار الشروق ، ص ٧٣ .

(٣) ج ٢ : ٦ .

(٤) م ١ : ٢٨٦ .

أحوال الناس وشئونهم في الحياة الاجتماعية^(١) ، كما يذكر آخرون في هذا الصدد أن المقصد العام للشرعية هو إسعاد الفرد والجماعة وحفظ نظام التعايش فيها وعمارة الأرض واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل والعمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها وتدير لمنافع الجميع^(٢) .

وإذا كانت الرعاية الاجتماعية كنظام اجتماعي ، هي جزء لا يتجزأ من المجتمع المسلم الملتزم ، فإن أهدافها ووظائفها تنبثق من أهداف ومقاصد الشريعة ، لذلك فإنه يمكن القول : إن الهدف العام للرعاية الاجتماعية ، هو جلب المصالح ودرء المفاسد فيما يتصل بشئون الناس في علاقاتهم الاجتماعية ، مع ملاحظة ما يلي بالنسبة لخصائص المصلحة الشرعية :

- ١ - أن مصدرها هدي الشرع ، وليس هوى النفس أو العقل المجرد .
 - ٢ - أن المصلحة والمفسدة في الشريعة الإسلامية ليست محدودة بالدنيا وحدها ، بل باعتبار الدنيا والآخرة مكاناً وزماناً لجني ثمار الأعمال .
 - ٣ - لا تنحصر المصلحة الشرعية في اللذة المادية ، كما هو شأن المصلحة عند علماء الأخلاق ، وإنما تتعدى حدود المادة إلى اللذة والسعادة الروحية التي هي من تمام الإيمان .
 - ٤ - إن مصلحة الدين أساس للمصالح الأخرى ومقدمة عليها ، ويجب التضحية بما سواها في سبيل المحافظة عليها وإلغاء ما يعارضها من المصالح الأخرى ، وهذا بخلاف ما يراه علماء الأخلاق والقانون والاجتماع^(٣) .
- فإذا ما انتقلنا إلى المستويات التي تنقسم إليها مقاصد الشريعة ، فإننا نجد الشاطبي قد قسمها إلى ثلاثة أقسام هي : الضروريات ، والحاجيات ، والتحسينات ، والضروريات هي أصل المصالح ، والحاجيات تمة لها ، والتحسينات تكملة للحاجيات^(٤) وهذا التقسيم كما يقول الغزالي - في المستصفى - تقسيم باعتبار قوة المصلحة في ذاتها ، لذلك فلتد سماها بالرتب^(٥) .
- فالضروريات هي ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد .

(١) ابن عاشور ، محمد الطاهر ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تونس ، الشركة التونسية ، ١٩٧٨ م ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) هلال الفاسي - مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها - الرباط ١٩٧٩ م ، مطبعة الرسالة ، ص ٤١ . و به الزحيلي - أصول الفقه الإسلامي - دمشق ، ١٩٨٦ م ، دار الفكر ، ص ١٠١٨ .

(٣) يوسف حامد العالم - المقاصد العامة للشرعية الإسلامية - واشنطن - المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩١ م ، ص ١٤٠ - ١٤٧ .

(٤) ج ٢ ، ٨ .

(٥) م ١ : ٢٨٦ .

ومجموع الضروريات خمس هي : حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ النسل ، وحفظ المال ، ولقد اتفقت الملل والشرائع على وجوب المحافظة عليها .
أما الحاجيات فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بقوت المطلوب .
أما التحسينات فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات ، وتجنب الأحوال المدنسات ويجمع ذلك مكارم الأخلاق^(١) .

وبناء على ذلك ، فالرعاية الاجتماعية لكي تحقق هدفها المشار إليه ، يجب أن تقوم - مع غيرها من النظم - بوظائف الحفاظ على الضروريات الخمس وأن تعمل على الارتقاء من رتبة الضروريات إلى رتبة الحاجيات والتحسينات ، وبذلك تقوم بعمليات التنمية الاجتماعية في ذات الوقت .

ولكن كيف يمكن الحفاظ على هذه الضروريات ؟

يري الشاطبي - كما ذكر في الموافقات - أن حفظ الضروريات يكون بأمرين : أحدهما : ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها ، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

الثاني : ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها ، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم^(٢) .

ومن هذا يتبين أن الشاطبي يشير باصطلاح العصر إلى الوسائل الإنشائية أو التتميرية (ما يقيم الأركان ويثبت القواعد) ، والوسائل العلاجية (درء الاختلال الواقع) ، والوسائل الوقائية (درء الاختلال المتوقع) .

ومراعاة الضروريات من جانب الوجود تكون بفعل ما به قيامها وثباتها ، وتأدية العبادات - كالإيمان والنطق بالشهادتين والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وما أشبه ذلك - يحفظ الدين من جانب الوجود ، والقيام بالعبادات - كتناول الطعام والشراب ، والسكن ، وما أشبه ذلك - يحفظ النفس والعقل من جانب الوجود ، كما أن المعاملات - وهي كل ما كان راجعاً إلى مصلحة الإنسان مع غيره - تحفظ النسل والمال من جانب الوجود ، وتحفظ النفس والعقل أيضاً ولكن بواسطة العادات ، أما مراعاة الضروريات من جانب العدم فتكون بترك ما به تنعدم ، عن طريق الجنايات وهي ما كان عائداً على ما تقدم

(١) أبو إسحاق الشاطبي ، للموافقات في أصول الشريعة ، م ٣ : ج ٢ - بلون سنة نشر - ٨ - ١١ .

(٢) ج ٢ : ٨ .

بالإبطال فشرع فيها ما يدرأ ذلك الإبطال ، كالتقصص والديات لحفظ النفس ، والحد لحفظ العقل ، ويجمعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١) .

ويمكن تلخيص ما سبق بالجدول رقم (١) :

جدول رقم (١)

الوظائف الرئيسة التي تقوم بها	الشريعة الإسلامية
حفظ الدين	عبادات
حفظ النفس والعقل	عادات
حفظ النسل والمال	معاملات
حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال من جانب عدم	جنايات

وإذا ما أريد مواصلة المقابلة بين إسهام الشاطبي ، والإسهامات المعاصرة حول المصالح الدينية والدينية ، بالوظائف الاجتماعية ، للمجتمع بكل نظمته الاجتماعية ، فقد يكون من المناسب عرض ما أورده جليبرت وسبكت في هذا الصدد ، فلقد أوضحنا (أخذاً عن جونز Johnson وعن وارن Waren) أن الوظائف الاجتماعية لمجتمع يمكن تقسيمها إلى خمس وظائف تدور حولها معظم الأنشطة التي تقوم بها النظم الاجتماعية وهي :

١- وظيفة التنشئة الاجتماعية : وتشير إلى تلك العمليات التي من خلالها ينقل المجتمع المعارف والقيم الاجتماعية وأنماط السلوك إلى أعضائه .

٢- وظيفة التكامل الاجتماعي : وهو ما يتصل بالعلاقات بين وحدات النسق الاجتماعي ، فإذا كانت التنشئة تتصل بوسائل تعليم الناس كيف يسلكون ، والضبط الاجتماعي يختص بوسائل ضبط هذا السلوك ، فإن التكامل الاجتماعي يشير إلى أساليب حث الناس على الرغبة في السلوك المنضبط ، أي الالتزام بقواعد الضبط والتنشئة ، وتقوم بهذه الوظيفة كل المؤسسات التي تهتم بتنمية القيم الاجتماعية والمعايير ، مثل المؤسسات الدينية والأسرة والمدرسة .

٣- وظائف الإنتاج والتوزيع والاستهلاك : وتتصل بالعمليات التي يتم عن طريقها إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها ، وهي تشمل بالإضافة إلى المؤسسات الاقتصادية - المؤسسات التي تقدم السلع والخدمات سواء كانت صناعية أو صحية أو تعليمية - وهي تؤثر على الأفراد من جانب طرق كسب الرزق وإشباع الاحتياجات الضرورية .

(١) أبو إسحاق الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، م ٢ : ج ٢ - بدون سنة نشر - ٩ - ١٠ .

٤- وظيفة الضبط الاجتماعي : وتشير إلى الترتيبات التي يتخذها المجتمع ليسيّطر على سلوك أفرادِهِ لضمان خضوعه للمعايير الاجتماعية .

والحكومة الرسمية بما لديها من القوة والسلطة هي المؤسسة الرئيسية المسؤولة عن تطبيق القوانين عن طريق الشرطة والقضاء ، إلا أن الوحدات الاجتماعية الأخرى مثل الأسرة والمدرسة ووكالات الرعاية تتحمل أيضاً بعضاً من المسؤوليات للقيام بهذه الوظيفة .

٥- وظيفة المساعدة المتبادلة : تظهر هذه الوظيفة حين يعجز الأفراد عن إشباع احتياجاتهم من خلال الأنظمة والمؤسسات التي تقوم بالوظائف الاجتماعية السابقة ، وتتم هذه الوظيفة في المجتمعات البسيطة (غير المتقدمة تكنولوجياً) من خلال الأسرة أو الجيرة ، ولكن كلما أصبحت المجتمعات أكثر تعقيداً ، ظهرت جماعات ومؤسسات لتقوم بهذه الوظيفة .

ونظام الرعاية الاجتماعية هو ذلك النمط من العلاقات الذي ينشأ في المجتمع للقيام بوظيفة المساعدة المتبادلة^(١) .

ولقد عرض جلبرت وسبكت ما سبق من وظائف النظم الاجتماعية في شكل جدول، كما يلي :

جدول رقم (٢)

الوظائف الرئيسية التي يقوم بها	النظام
التشئة الاجتماعية	الأسري
التكامل الاجتماعي	الديني
الإنتاج والتوزيع والاستهلاك	الاقتصادي
الضبط الاجتماعي	السياسي
المساعدة المتبادلة	الرعاية الاجتماعية

وهناك مجموعة من الملاحظات على هذا التقسيم ، يمكن إجمالها فيما يلي :

- ١- أن التصنيف يكاد يوحى باختصاص كل نظام اجتماعي بوظيفة محددة ، وكأنه منعزل عن غيره من النظم ، وهذا يتمشى مع ما يلاحظ على التصور الغربي دائماً من إصرار على فكرة التخصص وتقسيم العمل بشكل يؤدي إلى القطيعة والعزلة .
- ٢- أنه يجعل النظام الديني مجرد نظام آخر من النظم الاجتماعية ، يتولى قطاعاً واحداً من قطاعات وظائف المجتمع ، وهذا التصور يتناقض بوضوح مع نظرة الإسلام للدين كإطار منظم لحياة الناس والنظم الاجتماعية جميعها .

(1) Gilbert & Specht, H . 1986 Dimensions of Social Welfare Policy, 2nd Ed ., New Jersey : Englewood Cliffs, 5 - 7.

٣ - أنه يتصر وظائف الرعاية الاجتماعية على المساعدات المتبادلة مما يتمشى مع المنظور التقليدي للرعاية الاجتماعية في تركيزها على خدمة الفقراء والمحتاجين أو المنظور العلاجي بصفة خاصة .

وبمقارنة تقسيم الشاطبي بتقسيم جلبرت وسبكت لوظائف النظم الاجتماعية ، نلاحظ أن تقسيم الشاطبي يشمل جميع الوظائف الاجتماعية التي يقوم بها المجتمع ، فالشريعة الإسلامية باحتوائها لنظم العبادات والعادات والمعاملات والجنايات ، تمثلت فيها جميع النظم التي أشار إليها جلبرت وسبكت ، فالنظام الديني يتمثل فى العبادات ، والنظام الأسري يتمثل في العادات ، والنظام الاقتصادي يتمثل في المعاملات ، والنظام السياسي - من جهة قيامه بال ضبط الاجتماعي - يتمثل في الجنايات .

جدول رقم (٣)

النظام	مقاصد الشريعة	حفظ الدين	حفظ النفس	حفظ العقل	حفظ النسل	حفظ المال
الديني		+++	++	++	++	++
الأسري		++	++	++	+++	+
الاقتصادى		+	+	+	+	+++
السياسي		++	+++	+++	+	++
الرعاية الاجتماعية		++	++	++	++	++

فإذا نظرنا إلى الوظائف الاجتماعية التي تقوم بها النظم الاجتماعية المختلفة واستخلصنا الوظائف التي يقوم بها نظام الرعاية الاجتماعية ضمن تلك النظم في التصور المبني الحديث ، ثم طبقنا هذا النموذج على المصالح الشرعية لتحديد درجة اتصال كل منها بالرعاية الاجتماعية كنظام اجتماعي ، فإننا نجد - كما هو موضح في جدول رقم (٣) - أن :

١ - النظام الديني (إذا صح استخدام هذا الاصطلاح في التصور الإسلامي) يتصدى لتحقيق حفظ الدين بصفة أساسية ، مع حفظ بقية الضرورات بنفس الدرجة من الأولوية بعد ذلك.

٢ - النظام الأسري يتصدى لتحقيق حفظ النسل بصفة أساسية ، مع حفظ الدين والنفس والعقل كمهام حيوية ، أما حفظ المال فيأتى في المرتبة الثالثة .

٣ - النظام الاقتصادي يتصدى لتحقيق حفظ المال بصفة أساسية ، أما تحقيق بقية

المصالح فتأتي في المرتبة الثالثة بشكل متساو .

٤ - النظام السياسي يتصدى لتحقيق حفظ النفس وحفظ العقل بصفة أساسية ثم حفظ الدين، وحفظ المال ، أما حفظ النسل فيأتي بعد ذلك .

٥ - أما نظام الرعاية الاجتماعية فإنه يهتم بكل هذه المقاصد بنفس الدرجة ، ولكن دون إعطاء أي منها أولوية مطلقة على غيره ، مما يفسر انتشار خدمات الرعاية الاجتماعية ، ووجودها في جميع النظم الاجتماعية دون استثناء .

ومن هنا نرى الصلة الوثيقة بين نظام الرعاية الاجتماعية والنظام الديني ، والتي تبدى من خلال اهتمام النظام الديني أساساً بحفظ الدين مع بقية الضرورات ، في حين أن اهتمام نظام الرعاية الاجتماعية متساو بكل الوظائف الاجتماعية .

فإذا كانت وظائف الرعاية الاجتماعية تتمثل في الإسهام في المحافظة على الضروريات الخمس ، أصبح من الواجب تناول كيفية القيام بحفظ هذه الضروريات بشئ من التفصيل .

ولقد تناول العديد من علماء الفقه الإسلامي - وعلى رأسهم الشاطبي ، والغزالي ، والعلماء المحدثون أمثال ابن عاشور (١٩٧٨) ، ووهبه الزحيلي (١٩٨٦) ، ومحمد الخضري (١٩٦٥) ، وعلال الفاسي (١٩٧٩) - تناولوا جميعاً مقاصد الشريعة ولكن كان التركيز حول إثبات وجود هذه المقاصد ، وبيان أنواعها ، وحول المصالح الشرعية وأقسامها - مما هو خارج عن اهتمام هذه الدراسة - وتميز ابن عاشور من بينهم في توضيحه لمقاصد الشريعة الخاصة بأنواع المعاملات بين الناس التي تتضمن مقاصد أحكام العائلة أو الأسرة ، ومقاصد التصرفات المالية ، بينما نجد في البحث المهم ليوסף حامد العالم ، الذي عنوانه : "المقاصد العامة للشريعة الإسلامية" ، اشتماله بالشرح لجميع مقاصد الشريعة والتي تتمثل في حفظ الضروريات الخمس (الدين ، النفس ، العقل ، النسل ، المال) ، الأمر الذي كفتنا به الدراسة الكثير من المشقة ، لذا سيعتمد عليها في العرض التالي نظراً لوفائها بالمطلوب ، مع الحاجة للنقل المطول عنها لكي ينسج عليه ما يلي من حديث عن أنشطة وبرامج الرعاية الاجتماعية .

ثانياً : القيم العامة والمبادئ الموجهة للرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية :

إن كلاً من الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية تهدف إلى رفاهية المجتمع والوصول به إلى مستوى أفضل للحياة ، ولقد حاول المفكرون رسم أبعاد ومقاييس للرفاهية والسعادة البشرية ، ومن تلك المحاولات التي أشار إليها عبد المنعم بدر ما قام به ولكتسون (Wikinson) لتحديد أبعاد الخير ، حيث حدد لها ثلاثة أبعاد هي :

البعد المادي - الاقتصادي ، والبعد البشري - الإنساني ، والبعد الاجتماعي - البيئي ، وأوضح أن أي تطور وتقدم موجب فيها إنما يمثل تنمية وبالتالي يعيد الطريق إلى بلوغ مجتمع الرفاهية .

أما إيرما اديلمان وكريستينا موريس (I . Adelman and C Morris) فأشارتا إلى مؤشرات ثلاثة لبلوغ مرحلة الخير الاجتماعي وهي : المؤشرات الاجتماعية - الثقافية ، والمؤشرات السياسية، والمؤشرات الاقتصادية .

بينما حددت هيئة حماية البيئة بالولايات المتحدة الأمريكية أبعاداً أربعة لبلوغ الحياة الجيدة المرادة - من منظور بيئي وهي : جودة البيئة الطبيعية ، وجودة البيئة الاقتصادية ، وجودة البيئة الاجتماعية ، وجودة البيئة السياسية^(١) .

والتأمل للأبعاد والمؤشرات السابقة التي تحدد الخير الاجتماعي عند غبرنا ، يلاحظ أنها جميعاً قد أغفلت البعد الروحي المتعلق بنوع صلة الناس بربهم ، بينما يمثل - في المنظور الإسلامي - البعد المهيمن والمسيطر على جميع الأبعاد الأخرى ، ولقد أشار إلى هذا عبد المنعم بدر عند عرض تصوره للنموذج الإسلامي للتنمية ، حيث قال : إنه يرى الحياة الجيدة أو الرفاهية الاجتماعية المبتغاة ، متمثلة في تحسين الأبنية الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية بما تشتمل عليه جميعاً من أبعاد فرعية ، كما أنه ينظر إلى البناء الديني أو البعد العقائدي كأساس يحتوي على الأبعاد والأبنية الأخرى للتنمية ويؤثر فيها^(٢) ، ويقترّب بعض الدارسين الغربيين أنفسهم من هذا المعنى ، ولكن في محيط الحديث عن القيم الاجتماعية ، فيرون أن الخير يحدده كل مجتمع برغباته وتفصيلاته التي تعتمد هي الأخرى على القيم المجتمعية التي يؤمن بها^(٣) ، لذلك فإن للقيم أهمية كبيرة في مجال الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية .

يعرف فاروق عبد السلام القيم كما يلي :

"القيم هي حالات إدراكية واقعية توجه جميع أفعال الفرد في مختلف المواقف الفردية أو الاجتماعية ، وأهم ما يميزها هو اتصالها بثقافة المجتمع وحضارته مباشرة"^(٤) .

وقد اقترحت الأمم المتحدة في الدليل الذي أصدرته عام ١٩٨٨ م المبادئ العالمية العامة الموجهة لسياسات وبرامج الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية ، وذلك على أساس أن الأهداف الاجتماعية تعتبر عالمية أي واحدة في كل المجتمعات ، حيث إنها تقابل الاحتياجات الأساسية (Basic Needs) وتطلعات الناس في كل مكان ، مع الأخذ في الاعتبار تنوع واختلاف المداخل بالنسبة لعدد من الدول حسب تنوع النظم الاجتماعية واختلاف مستويات التنمية لدى كل منها :

(١) عبد المنعم بدر - الإسلام والتنمية - مقال المسلم للعاصر ، ١٩٨٢ م ، العدد ، ٢٩ ، ١٩٦ .

(٢) عبد المنعم بدر - الإسلام والتنمية - مقال المسلم للعاصر ، ١٩٨٢ م ، العدد ، ٢٩ ، ١٤٧ .

(3) Federico , Ronald , C 1984 The Social Welfare Institution An Introduction , 4th ed., Masschusetts , D. C . Heath Company , 20.

(٤) عبد السلام ف ، الهاشمي ع - البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم ، بحث مقدم إلى ندوة بحراء أسس النزعة الإسلامية، مكة المكرمة ، ١٩٨٠ ، ٤ .

وفيما يلي نص تلك المبادئ :

١- ينبغي النظر إلى برامج الرعاية الاجتماعية في الإطار الأشمل لأهداف وأغراض ميثاق التقدم الاجتماعي والتنمية (الذي اعتمد على الميثاق العالمي لحقوق الإنسان) ، حيث يقر المبدأ الرئيسي للميثاق ما يلي : إن جميع الناس لهم الحق في العيش في حرية وكرامة ، بدون أي شكل من أشكال التمييز مثل السياسة القمعية للفرقة العنصرية ، كما أن لهم الحق في المشاركة الكاملة في عمليات التنمية الاجتماعية والاستمتاع بثمار التقدم الاجتماعي ، كما أن عليهم - من جانبهم - أن يساهموا فيها بجهودهم .

٢- إن التحديات التي تواجهها في التكيف مع التغيرات في الظروف الاجتماعية والاقتصادية يمكن التغلب عليها بفاعلية من خلال سياسات متكاملة للتنمية الاجتماعية وأنساق التدعيم الاجتماعي - ذات العلاقة بها - لإعادة التوجيه لتكون لها مساهمة أكثر إيجابية تدعم التنمية الشاملة ، وذلك من خلال منظور طويل الأمد مع الاستمرارية في أهداف تلك السياسات ، ومن الضروري التأكيد على أن البرامج الاجتماعية لا تمثل عبئاً على الموارد المتاحة ، بل إنها أيضاً أحد أشكال الاستثمار التي لا تختلف عن الاستثمار في البنية الاقتصادية الأساسية .

٣- إن هناك حاجة لتصميم برامج مدعومة دولياً لتحقيق التوافق الاقتصادي في ظل إطار طويل المدى يسمح لهذا التوافق أن يتحقق ضمن النمو ، دون إحداث اختلالات اجتماعية ، ومن خلال تلك البرامج لابد من اتخاذ إجراءات لحماية الفئات الضعيفة في المجتمع ، وتدعيم قدرة الناس على المساهمة في جهود التنمية ، مع إعطاء هذه الإجراءات انتماءً أكبر .

٤- التأكيد على الحقوق المتساوية للمرأة والرجل في الأحوال الأسرية ، وإعطاء أهمية لتحقيق مشاركة متساوية وفوائد متساوية للمرأة والرجل في جميع مجالات التنمية الاجتماعية ، وذلك في إطار القوانين التومية وبما يتماشى مع الاستراتيجيات المتفق عليها في مؤتمر نيروبي .

٥- يسهل تحقيق التوافق مع الأوضاع المتغيرة في ظل زيادة التضامن والكرامة الإنسانية ، واحترام الحقوق الإنسانية ، والمساواة بين الرجل والمرأة ، والعدالة الاجتماعية ، وممارسة الديمقراطية وحق التجمع في منظمات بما في ذلك الحرية الدينية ، وحرية التعبير ، وحرية الانتقال للأشخاص، مع وجود نظام قضائي عادل وذي استقلال .

٦- إن أحد الاهتمامات الرئيسية في تصميم برامج الرعاية الاجتماعية الجديدة سيكون الاستخدام الكامل للموارد البشرية ، مع التركيز على تشجيع المبادرة والاعتماد على الذات لدى الأفراد .

٧- الحاجة إلى إعطاء اهتمام أكبر نحو زيادة قدرة المجتمع والأسرة على البقاء والنماء في إطار من المساواة بين الرجل والمرأة ، ودعم الفئات الضعيفة والمحرومة في جهودهم التي يبذلونها لتلبية احتياجاتهم .

٨ - الحاجة إلى تقوية دور المنظمات التطوعية وغير الحكومية والهيئات الخاصة ومساهماتهم ، وتشجيع جهود الناس أنفسهم للمساهمة في تدعيم الخدمات الاجتماعية والتنمية ، وذلك في إطار من القوانين القومية .

٩- يمكن تقوية التماسك الاجتماعي عن طريق ضمان حد أدنى من الدعم والحماية الاجتماعية على المستوى القومي ، على وجه يتلاءم مع الظروف السائدة ومستوى الموارد المتاحة ، وذلك بهدف حماية الأفراد من فقدان ما حصلوا عليه ، كثمرة للعمل المنتج ، مع حماية الفئات الضعيفة والمحرومة ، ويوضح هذا الحد الأدنى من خلال رؤية طويلة الأمد مع الالتزام بزيادته وتطويره بالتدريج .

١٠- هناك إدراك متزايد للحاجة إلى تشجيع الوصول إلى فهم أفضل لمفاهيم الرعاية الاجتماعية وممارستها في الدول المختلفة ، وكذا لدور الرعاية الاجتماعية في إطار التنمية الاجتماعية الشاملة .

١١- يمكن تقوية الجهود القومية لتشجيع التقدم الاجتماعي وتحسين الرعاية الاجتماعية عن طريق التعاون الإقليمي ، والتعاون بين الأقاليم ، وبين المنظمات الحكومية وغير الحكومية ، والجماعات ذات الاهتمامات الاجتماعية .

١٢- المحافظة على ظروف السلام وتحسين كل أشكال التعاون والحوار الدولي ، يمكن أيضاً أن يساعد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة للتركيز بشكل أفضل على التضايح المهمة للسياسة الاجتماعية والرعاية الاجتماعية^(١) .

وبعد هذا العرض للمبادئ الموجهة للرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية على المستوى العالمي ، ننتقل إلى البحث عن أهم القيم التي يمكن أن تسود المجتمع المسلم ، التي من خلالها يمكن استخلاص المبادئ الموجهة للرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية ، بالإضافة إلى تفحص المبادئ التي أخذت بها هيئة الأمم المتحدة لمعرفة مدى قربها أو بعدها عن القيم والمبادئ الإسلامية من جهة ، وملاءمتها لاحتياجات المجتمعات الإسلامية في هذه الحقبة من الزمن - من جهة أخرى .

(1) United Nations , 1988 , Guiding Principles for Development Social Welfare Policies and Programmes in the Near Future . New York : United Nations.

القيم العامة للمجتمع المسلم :

تنبثق قيم المجتمع المسلم عن العقيدة الإسلامية التي أساسها التوحيد ، وهو الذي دعت إليه الرسل ، ونزلت به الكتب ، والمقصود هنا توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، بينما المقصود من توحيد الربوبية الإقرار بأن الله وحده خالق كل شيء وهو ما أقره المشركون من العرب ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿وَلَنَسْأَلَنَّهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (١) ، وكذلك كان حال الأمم السالفة من المشركين الذين كذبوا الرسل ، فلقد كانوا مقرين بالصانع وأنه ليس للعالم صانعان ، ولكن اتخذوا لهم شفعاء مثل (الكواكب ، الأصنام ، الملائكة ، الجن) ، كما أنحبر عنهم تعالى بقوله : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (٢) بينما توحيد الألوهية يعني : استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له (٣) .

وهناك جانب قيمى للتوحيد ، يظهره إسماعيل الفاروقى بقوله : "إنه عند تأكيدنا أنه لا إله إلا الله ، نعني أن "الإيمان" بالله هو القيمة المفردة والنهائية ، وأن كل شيء آخر يعتبر فقط أداة تتوقف قيمتها على الله سبحانه ، ويقاس بتحقيقها الخير الإلهي النهائي ، ونعنى أن الله هو الغاية النهائية لجميع المطالب ، وأن كل ما هو موجود في الكون يجب أن يماثل نفسه مع إرادة الله ، وبمقتضى هذا فإن الإنسان يعد بمثابة العبد الذي يجب أن يجند كل أعماله وقدراته لخدمة "دين" الله أو تحقيق الإرادة الإلهية ، ثم يضيف قوله : "إن التوحيد يعبر عن ثلاثة معان جديدة على المستوى القيمى ؛ المعنى الأول : أن الخليقة هي الشيء المادي الذي يجب أن يتحقق فيه الكمال المتمثل في الإرادة الإلهية ، ولذلك فإن كل عنصر من عناصر الخليقة يتسم بالصالح ، وأن الكون لم يخلق على أفضل صورة فحسب ، بل إنه خال من النقائص ويتسم بالكمال ، ونتيجة لذلك فإن التمتع بقيمة الجوهرية أو النفعية لا يعتبر ذنباً ، فالحياة التي تتمثل فيها جميع القيم تعتبر أثراً من آثار الله ، ويتوقف الاحتفاظ بها وتدعيمها على أفعال الإنسان المتمثلة في التسبيح لله وعبادته ، وتغرس القيم الكونية السامية في كل فرد باعتبارها أداة للتوصل إلى الحقيقة المطلقة ، وعلى عكس ذلك نجد أن المسيحية قد انتقصت من قدر الحياة الدنيا بتصويرها إياها بأنها تتكون من مجرد "كائنات حية" ، وأن البشرية تعد مجموعة هائلة من الآثام وأنه لن يأتي أبداً الزمان والمكان عندما تتوصل للحقيقة المطلقة .

(١) سورة لقمان ، الآية ٢٥ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٣ .

(٣) أبو العز الحنفى - شرح العقيدة الطحاوية - ط ٩ ، بيروت ، ١٩٨٨ م ، المكتب الإسلامي ، ٧٨ - ٨٣ .

أما المعنى الثاني : فهو أن الإنسان لا يقع في مأزق إلا ويستطيع أن يخرج نفسه منه ، فاعتبارات مثل كون طريق الإنسان مليئاً بالعقبات ، وأن الإنسان يميل إلى الانقياد التام لأنانيته ، أو أن يتخذ أسهل الطرق التي تؤدي إلى تحقيق المتعة والشعور بالنشاط ، تعد جميعها حقائق ، ولكنها ليست بأكثر واقعية من نقائصها ولذلك ، فإن الإنسان ليس بحاجة إلى منقذ ، أو مسيح أو خلاص ، ولكنه في حاجة إلى أن يكرس نفسه لأداء واجبه في الحياة وأن يقيس كفاءته بصورة مباشرة بمقدار منجزاته ، ولذلك فإن الإسلام - باختلافه عن المسيحية - يدعو الناس للسعادة العظيمة بدلاً من الخلاص ، ويعدهم بالأجر في الحياة الدنيا والآخرة بما يتناسب مع أعمالهم .

أما المعنى الثالث الجديد للتوحيد على المستوى القيمي فهو أنه نظراً لأن الخير الذي يجب تحقيقه يتمثل في الإرادة الإلهية ، ونظراً لأن الإرادة الإلهية - بمقتضى كونها إرادة الخالق - تعتبر واحدة بالنسبة لجميع المخلوقات ويجب عليهم جميعاً الالتزام بها ، فإنه ليس من الممكن أن تكون هناك أي تفرقة بين الأماكن والأشخاص باعتبارهم القائمين بالفعل الأخلاقي (١) .

ويلاحظ على إسماعيل الفاروقي اهتمامه بالتفرقة بين القيم النصرانية والقيم الإسلامية، وهذا ما نود التأكيد عليه ، نظراً لأن الكتابات الغربية عن الرعاية الاجتماعية في الديانات السماوية تروحي للقارئ بتماثل القيم في هذه الديانات ، مما يجعل هناك نوعاً من التقبل المطلق لكل ما يرد من مبادئ مهنية مستندة إلى تلك القيم ، فلا بد من التنبيه إلى حقيقة الاختلاف بين القيم الإسلامية ، والقيم النصرانية أو اليهودية كما هي في الواقع ، خصوصاً في المقررات الدراسية التي تدرس في جامعات البلاد الإسلامية ، واعتقد أن استخدام مصطلح "الديانات السماوية" غير دقيق ويشوه المعنى ، والأفضل القول "بالرسالات السماوية" فدين الله واحد وإنما تعددت الرسالات .

أما فاروق الدسوقي فيصف القيم الإسلامية بأنها ثابتة ومطلقة ، ويحددها في ثلاث قيم هي :

* الحق : هو القيمة العليا التي تنبثق من عقيدة الإسلام باعتبارها التعبير الإلهي عن الواقع الكوني ، والحق اسم من أسماء الله عز وجل ، ومن ثم لا تعلو قيمة في الإسلام على الحق .

* الخير : هو القيمة العملية المنبثقة من شريعة الإسلام ، ولكن مفهوم الخير يخضع للحق باعتباره القيمة الأعلى والأثبت .

(١) إسماعيل راجي الفاروقي - إعادة البناء الإسلامي والسلطة السياسية - ١٩٨٠ م ، مقال المسلم المعاصر ، العدد ٢٢ ،

* العدل : قيمة ثابتة أيضاً في الحياة الإسلامية تنبثق من الحق والخير ويتبع هذا سائر القيم الخلقية من أمانة وصدق ووفاء ورحمة ومودة وإحسان وبر : فكلها تهدف إلى الخير وتحققه وتقوم على الحق^(١) .

أما خورشيد أحمد فيطبق القيم العامة على أحد مجالات الحياة المهمة ، فيرى أن الأساس الفلسفي للمدخل الإسلامي للتنمية يتمثل في :

- ١- التوحيد : وهو يضع القواعد الأساسية لعلاقة الإنسان بربه وعلاقته بالآخرين .
 - ٢- الربوبية : ويقصد بها هنا الترتيبات الإلهية التي تمد الإنسان والكائنات الحية بالغذاء والأسباب التي تبقى على حياتهم ، وتوجيه الأشياء لتحقيق كمالها ، وهذا هو القانون الأساسي للكون ، والذي يلقي الضوء على النموذج الإلهي للتنمية المفيدة للمصادر والإمدادات المتبادلة لها ، وإنه من خلال هذه الترتيبات الإلهية يأخذ الجهد البشري مكانه .
 - ٣- الخلافة : وهي دور الإنسان كخليفة لله يعمل على إعمار الأرض وإقامة شرع الله فيها ، وهذا يحدد دور الإنسان ومكانته ، ومسئوليته كمسلم ، ومسئولية الأمة الإسلامية كمستأمنة على الخلافة ، ويترتب عليه المفاهيم المميزة لكل من الأمانة الملقاة على الإنسان ، والأخلاق والسياسة والاقتصاد ومبادئ التنظيم الاجتماعي .
 - ٤- التزكية : بمعنى "التطهير والنمو" ولقد كانت مهمة كل أنبياء الله هي القيام بتزكية الإنسان فيما يتعلق بعلاقته بربه وعلاقته بأخيه الإنسان ، وبمجتمعه ، وبالدولة ، وبالبيئة الطبيعية من حوله^(٢) .
- هذا ولقد كتب عن القيم العامة للمجتمع تحت مسميات مختلفة مثل المبادئ أو الأسس ، أو المثلومات التي يقوم على أساسها المجتمع المسلم .
- فعلى سبيل المثال يرى مصطفى عبد الواحد أن أهم مبادئ المجتمع المسلم هي : الأخوة العامة - المساواة - الحرية - التكافل^(٣) ، وهو يتفق بذلك مع محمود شلتوت في تحديده لاثنتين من المقومات هما الأخوة ، والتكافل ، التي ذكرها شلتوت بالإضافة إلى الشورى والعدل^(٤) ، بينما يختلف رأي محمد المدرسي عن الآراء السابقة ، حيث أخذ بقيمة واحدة فقط هي التقوى ، ويرى أنها محور المجتمع الإسلامي والركيزة الأساسية له ، وأن العدالة ما هي إلا إحدى إفرازات التقوى^(٥) .

(١) فاروق الدسوقي - مقومات المجتمع المسلم - ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، المكتب الإسلامي ، ٦٥ .

(2) Ahmad , Khurshid , Economic Development in an Islamic Framework , London , The Islamic Foundation , 1979 , 12.

(٣) مصطفى عبد الواحد - المجتمع الإسلامي - ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٤ ، دار الجيل ، ٤٤ - ١٣٩ .

(٤) محمود شلتوت - الإسلام عقيدة وشريعة - ط ١٤ ، القاهرة ١٩٨٧ م ، دار الشروق ، ٤٣٣ - ٤٤٦ .

(٥) محمد تقي المدرسي - المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه - بيروت ١٩٨٢ م ، دار الجيل ، ٦٦ .

أما سيد قطب فقد تميز بتركيزه على ما يفرق المجتمع المسلم عن المجتمعات الأخرى ، وهو إيمانه بأن الحاكمية لله وحده ، فهو الذي يشرع وحده ، أما المجتمعات الأخرى فالإنسان فيها يشرع لنفسه ، ثم حدد الأسس التي تقوم عليها العدالة الاجتماعية في التحرر الوجداني ، والمساواة ، والتكافل الاجتماعي^(١) .

ويعلق المودودي على القول بأن الإسلام فيه عدالة اجتماعية بأنه قول فيه نقص كبير ، والصحيح أن الإسلام هو العدل بعينه ، فتطبيق الإسلام وإقامة العدل شيء واحد^(٢) .

وتطبيقاً لتلك القيم العامة للمجتمع المسلم ، قدم بعض أساتذة الخدمة الاجتماعية العرب محاولات لاستخلاص مبادئ الرعاية الاجتماعية في الإسلام ، ومنهم من ركز على مفهوم أومبدأ التكافل الاجتماعي مثل سيد أبو بكر حسنين (١٩٧٧) ، وعبد العزيز مختار (١٩٨٨) ، ومنهم من أخذ يعظم تلك القيم مثل أحمد كمال أحمد (١٩٧٧) .

وينفرد الفاروق يونس بتمييزه بين قيم المجتمع بصفة عامة وبين مبادئ الرعاية الاجتماعية بصفة خاصة ، وهو إذ يرى أن دعائم المجتمع الإسلامي هي : الأخوة ، والمساواة ، والتكافل الاجتماعي ، والشورى . إلا أنه استخلص منها أسس للرعاية الاجتماعية وحددها في :

١ - حق الفرد على المجتمع .

٢ - تدرج مسئولية الرعاية .

٣ - العمل كقيمة وكأساس للإعالة .

٤ - الكرامة الإنسانية^(٣) .

كما نجد عبد الستار أبو غدة يؤكد على أهمية الإحسان كقيمة بالإنضافة إلى العدل ، لأن الجماعة قد لا تنهض بالاعتصار على العدل دون بسط الإحسان لمن لا يكتفي العدل لرعايته^(٤) .

ومن الملاحظ أن هناك تداخلاً كبيراً بين المعاني التي تحملها مسميات تلك القيم ، فمثلاً الأخوة والتكافل ، فالأخوة تستوجب التكافل فيمكن النظر إلى التكافل كجزء من

(١) سيد قطب - العدالة الاجتماعية في الإسلام - ط ٦ ، القاهرة ١٩٦٤ م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ٩٤ ، ٦٣ - ٣٥ .

(٢) أبو الأعلى المودودي - مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة - مجلة ١٩٨٥ م ، الدار السعودية للنشر ، ١٧٣ ، ١٧٥ .

(٣) الفاروق زكي يونس - الرعاية الاجتماعية في الإسلام - بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي لعلماء المسلمين - إسلام آباد باكستان ، ١٩٨١ م ، ١٦ - ٣٣ .

(٤) عبد الستار أبو غدة - رعاية المعوقين في الإسلام - مقال ، للمسلم المعاصر ، العدد ٣٤ ، ١٩٨٣ م ، ١١١ .

الأخوة ، وكذلك بالنسبة للعدل ، فهناك ترابط كبير بين العدل والمساواة ، كما أنه يمكن إضافة بعض المبادئ الأخرى ذات الصلة بالرعاية الاجتماعية مثل الرحمة والبر ، فالرحمة تستوجب التعاضد والتكافل والتعاون والرأفة بين المسلمين ، وكذلك البر فإنه يتسع ليشمل كل المعاني التي جاءت بها الآية الكريمة :

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ (١) .

ولاشك أن تعدد هذه القيم تثري مضمون الرعاية الاجتماعية في الإسلام وتزيده غنى . وبتفحص مفهوم التكافل الاجتماعي ، نجد أنه يمكن أن يكون مرادفاً للرعاية الاجتماعية ، ولذلك فإن كلا عبد العزيز الخياط وأحمد بودهان (١٩٨٢م) وافقا سيد قطب في نظريته للتكافل الاجتماعي كنظام كامل لأنه لا يعني مجرد المساعدات المالية - أيا كانت صورها - كما تعني كلمات الضمان الاجتماعي ، أو التأمين الاجتماعي ، ولكن المساعدات المالية نوع واحد من المساعدات التي يعنيها التكافل في الإسلام ، فهو يعني بترية روح الفرد وضميره وشخصيته وسلوكه الاجتماعي ، وعني بتكوين الأسرة وتنظيمها وتكافلها ، وعني بالعلاقات الاجتماعية بما في ذلك العلاقات التي تربط الفرد بالدولة ، كما عني بالمعاملات المالية والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي (٢) .

وبإعادة النظر في المبادئ التي اقترحتها هيئة الأمم المتحدة لسياسات وبرامج الرعاية الاجتماعية في ضوء القيم والمبادئ الإسلامية سابقة الذكر ، يمكن ملاحظة ما يلي :

١ - الحرية والعدالة والمساواة ، هي قيم أساسية ومبادئ يجب تطبيقها في مجال الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية في كل من المنظور الغربي والعالمي والمنظور الإسلامي ، والفرق بين المنظورين يكمن في اختلاف المنطلق الذي تنطلق منه تلك القيم ، فنجد أنه في الإسلام تنطلق تلك القيم من العقيدة الإسلامية التي أساسها التوحيد (كما اتضح في قول الفاروق وأحمد وقطب) .

بينما تنطلق في الحضارة الغربية من الظروف التاريخية والصراعات الاجتماعية والسياسية ، مثل انتهاء عهد الإقطاع وظهور الثورة الفرنسية التي كان من أهم نتائجها على العالم إعلان حقوق الإنسان في صورة الميثاق العالمي لحقوق الإنسان .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٢) عبد العزيز الخياط - المجتمع المتكافل في الإسلام - عمان ، ١٩٧٢ م ، مكتبة الأقصى ومؤسسة الرسالة ، ٧٩ .

٢- تؤكد مبادئ الأمم المتحدة على أهمية التكامل الاقتصادي والاجتماعي فقط ، بينما نجد في الإسلام أهمية التكامل بين الجوانب الاعتقادية أو الإيمانية والجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

٣- تشير مبادئ الأمم المتحدة إلى الحاجة للدعم الدولي لبرامج الرعاية الاجتماعية والتي غالباً ما تمول من المساعدات الدولية. التي تحكمها المصلحة قصيرة النظر لتلك الدول ، والرغبة في تحقيق أغراضها السياسية ، أما في الإسلام نجد أن مفهوم الأخوة والتكافل الاجتماعي يحتم التعاون والتكامل في سد الاحتياجات وتمويل البرامج الاجتماعية بين القطاعات المختلفة في المجتمع الواحد ، وبين المجتمعات الإسلامية فيما بينها وبين بعض ، استجابة لأوامر الله التي تحقق المصلحة في الدنيا والآخرة .

٤- إن التطوع ومساهمة الناس جميعاً - أو ما يسمى بالمشاركة - في جهود الرعاية الاجتماعية وتقديم الخدمات الاجتماعية ، الذي تنادي به مبادئ الأمم المتحدة والذي اعتبرته كثير من الدول الصناعية المتقدمة المخرج الوحيد لأزمة التمويل للرعاية الاجتماعية ، نجد أن الإسلام قد حث عليه ، بل ربطه بالإيمان بالله وجعله جزءاً لا يتجزأ منه .

٥- ضمان حد أدنى من الدعم والحماية الاجتماعية على مستوى الدولة وحماية الفئات الضعيفة هو من المسؤوليات الشرعية للدولة في الإسلام ، لذلك فلا خلاف عليه ، كما أن الحد الأدنى ليس هو حد الكفاف ولكنه حد الكفاية ، ويتحقق بصورة رئيسة - كما سبق الإشارة - عن طريق مسؤولية الدولة في تحصيل الزكاة وتوزيعها على الفئات المستحقة .

٦- يتميز الإسلام بالنظرة إلى الإنسان كمستخلف، ولذلك فإن مفهوم الاستخلاف يجب أن يكون له دور في ترشيد السياسات الاجتماعية لتحقيق إرادة الله وشرعه من جهة ، والتركيز على تنمية الموارد البشرية واستخدامها كاملاً من جهة أخرى ، ومبادئ الأمم المتحدة إن كانت تطالب بتنمية الموارد البشرية ، إلا أن ذلك ليس بهدف تحقيق الإرادة الإلهية .

٧- أما عن الاهتمام بالأسرة والمطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة ، فمعروف مدى اهتمام الشارع بتنظيم أوضاع الأسرة وسنه للتشريعات التي تحمي كيانها وتدعم قدراتها ، أما المساواة بين الرجل والمرأة في الأحوال الأسرية فإن للإسلام نظرتة الخاصة في ذلك ، فلتحقيق المساواة العادلة بينهما فجده أعطى كلا منهما ما يناسبه من حقوق وطلبهما بالواجبات التي تتلاءم وخصائص كل منهما ، فالإسلام له نسقه للتكامل في تنظيم الروابط والحقوق والواجبات ، وهو أكثر تحقيقاً للمساواة الحقيقية من مجرد المقارنات السطحية التي يقيمها الكثيرون بين "بعض" جوانب تلك الحقوق والواجبات في غيبة النظر إلى بعضها الآخر .

والآن يحق لنا أن نتساءل : هل هذه القيم والمبادئ الإسلامية هي السائدة بالفعل في المجتمعات الإسلامية اليوم ؟ والإجابة المؤسفة عن هذا السؤال تشير بالنفي ، فمن ينظر إلى أحوال العالم الإسلامي اليوم يهوله الفارق الشاسع بين الواقع والمثال ، والانحراف الشديد عن حقيقة الإسلام وقيمه السامية ، لا في السلوك وحده ولكن في التصور أيضاً ، وكما يقول محمد قطب مثلاً : إن مفهوم "لا إله إلا الله" تحول إلى كلمة تقال باللسان لا أثر لها في حياة المسلمين ، ومفهوم العبادة انحصر في شعائر التعبد ، ومفهوم القضاء والقدر صار في صورته السلبية قوة مخدلة مثبطة عن العمل والنشاط بدلاً أن يكون قوة دافعة رافعة ، ومفهوم الدنيا والآخرة ، وعمارة الأرض أهملت حين أهملت الدنيا من أجل الآخرة فخيم على الناس الفقر والجهل والمرض والتخلف الحضاري ، وزاد على ذلك كله أنه - في حسمهم - قدر مقدور من عند الله ، لا حيلة لهم فيه إلا الرضا والتسليم^(١) .

أما الحرية والعدالة والمساواة ، فقد أصبحت شعارات تتغنى بها معظم الحكومات ، والأخوة الإيمانية التي تستوجب التعاون والتعاقد بين المسلمين ليصبحوا كالجسد الواحد لا نجد لها أثراً بل على العكس نجد التناحر والاختلاف والقتال بين المسلمين ربما بسبب الحصول على السلطة أو على قطعة أرض .

هذا بالإضافة إلى ما تتعرض له الشعوب الإسلامية من هجوم وحروب وقتل وتعدّ على الحرمات من أعداء الإسلام في العديد من الدول الإسلامية ، وبالإضافة إلى التيارات النكيرية المختلفة التي تحتاج العالم الإسلامي ، وتجعل هناك نوعاً من البلبلة والشك في المعتقدات الإسلامية ، والأخطر من هذا حملات التنصير للمسلمين خصوصاً في البلاد الفقيرة والتنصير للأطفال اليتامى ضحايا الحروب .

فالأمة الإسلامية اليوم تواجه - وقد انتبهت من رقادها - مشكلات هائلة على كل الجبهات ، فمشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية - وهي مشكلات مستعصية بكل المقاييس - ليست سوى الأجزاء اليسيرة الظاهرة من مرضها الكامن في ناحيتي الفكر والأخلاق ، وتتطلب هذه المشكلة برمتها مسحاً علمياً وتحليلاً نقدياً^(٢) ، وإذا كان الفاروقي وكثير من المفكرين الإسلاميين قد أرجعوا تدهور أوضاع الدول الإسلامية إلى الأزمة الفكرية التي تعاني منها تلك الدول نتيجة للغزو الفكري والتبديل الثقافي من قبل الغرب^(٣) ، فإننا نجد من يرجع ذلك التدهور إلى النمو المبثور للنظم والمؤسسات المجتمعية في تلك الدول

(١) محمد قطب - منهج التربية الإسلامية - الجزء الثاني ، ط ٣ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٢ م ، ٨ .

(٢) إسماعيل راجي الفاروقي - أسلمة المعرفة - مقال ، المسلم المعاصر ، العدد ٣٢ ، ١٩٨٣ م ، ٢٠ .

(٣) المعهد العالمي للفكر الإسلامي - إسلامية المعرفة - واشنتون ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٨٦ م - ١٧ .

كنتيجة للسيطرة الأجنبية على أحوال المسلمين^(١) ، ولقد اعتبر الفاروقي "تحديد أهم مشكلات الأمة" هو أحد خطوات أسلمة المعرفة ، ومن هذا المنطلق فإن وضع مبادئ لتوجيه سياسات الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية لابد أن يسبقه تحديد للمشكلات التي تعاني منها الأمة ، فإن المبادئ بصفاتها العامة يمكن أن تفيد المجتمعات في توجيه سياسات الرعاية في كل وقت وتحت أي ظروف ، ولكن نحن في حاجة إلى مبادئ توجه بصورة مباشرة سياسات الرعاية الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية في الوقت الحالي ، وتحت الظروف والمشكلات الراهنة .

لذا فإنه في ضوء المشكلات الواضحة والمشار إليها آنفاً ، سيتم اقتراح بعض المبادئ التي يمكن أن توجه سياسات الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية في هذه الحقبة من الزمن بالتركيز على محورين أساسيين هما : إصلاح الفكر ، وإصلاح المؤسسات المجتمعية ، وذلك فيما يلي :

- ١- ينبغي التركيز على حماية الدين عن طريق المساهمة في الإعداد بكل ما استطاع من قوة للجهاد في سبيل الله بالأنفس والمال ، لإعلاء كلمة الله .
- ٢- الاهتمام بتنقية العقيدة من الشبهات والاشهرافات التي قد ترجع إلى الجهل أو إلى ما يدسه أعداء الإسلام ، بالإضافة إلى العمل على غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأجيال الجديدة وحمايتها من الأخطار والتيارات الفكرية الملحدة .
- ٣- التأكيد على ضرورة نشر التعليم النافع بين جميع فئات المجتمع وبخاصة بين النساء (مربيات الأجيال) .
- ٤- الحاجة إلى سياسات متكاملة للتنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية بين الدول الإسلامية - ويمكن ذلك إذا تم التجاوز عن الخلافات السياسية - حتى يتحقق الاعتماد الذاتي (في نطاق الأمة الإسلامية) .
- ٥- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لدى عامة المسلمين ، ونشر الفهم الصحيح للقيم الإسلامية مثل مفهوم البر كما ورد في القرآن الكريم "سورة البقرة الآية ١٧٧" وتشجيع التطبيق العملي لهذه المفاهيم على مستوى العلاقات الرسمية وغير الرسمية .
- ٦- تدعيم الأسرة ، وعلاقات القرابة والجيرة داخل المجتمع المحلي ، وتشجيعهم على التعاون والتكافل الاجتماعي فيما بينهم وحماية الفئات الضعيفة .
- ٧- اللولة مسؤولة عن توفير الضروريات بحد الكفاية لجميع أفراد المجتمع .
- ٨ - الاهتمام بالتنمية البشرية ، والاستخدام الأمثل للطاقات الإنسانية ، وتشجيع الجهود الذاتية ، وتنظيم الجهود التطوعية .

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب - الإسلام والتنمية - في كتاب تنظيم المجتمع أسس نظرية وتطبيقات عملية ، القاهرة ١٩٨٣ م ، دار الثقافة ، ٣٢٧ .

٩- تنقية المؤسسات التربوية والاجتماعية والإعلامية من الاتجاهات غير الإسلامية الفاسدة ، وإنشاء المؤسسات وتطويرها على أسس من الشريعة الإسلامية والقيم الإسلامية .
١٠- الاهتمام ببرامج رعاية الأسرة والطفولة ، وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية للأسرة.

١١- التأكيد على الدور الطبيعي لكل من الرجل والمرأة في المجتمع ومسئوليات كل منهما كما حددها الشارع ، وعدم إعطاء الفرصة لأي منهما للتخلي عن بعض من مسؤولياته ، ولا للمرأة لتحمل أعباء غير مكلفة بها شرعاً .

ثالثاً : أنشطة وبرامج الرعاية الاجتماعية :

لقد بدأت جهود متعددة من جانب المتخصصين في الخدمة الاجتماعية لتصنيف برامج الرعاية الاجتماعية ، وسيتم هنا الإشارة إلى بعض منها ، لكي نتعرف على أنواع الأنشطة والبرامج التي تعد داخلها تحت مظلة الرعاية الاجتماعية من المنظور الغربي ، ثم القيام بعد ذلك بإلقاء نظرة نقدية على تلك التصنيفات تمهيداً لمحاولة وضع بعض الخطوط العريضة لما يمكن اعتباره تصنيفاً لبرامج الرعاية الاجتماعية من المنظور الإسلامي ، وذلك بالاستناد إلى مفهوم مقاصد الشريعة والضروريات الخمس التي سبق ذكرها .

برامج الرعاية الاجتماعية في المنظور الغربي :-

اختلفت تصنيفات برامج وأنشطة الرعاية الاجتماعية باختلاف الأساس الذي قام عليه كل تصنيف ، فجاء تقسيم فريد لاندر - كما ذكره الفاروق يونس - على أساس "مجالات الممارسة" ، والمتصور بمجال الممارسة مجموعة من المؤسسات والبرامج تستهدف إشباع حاجة إنسانية من خلال خدمات مهنية ، وفي ضوء ذلك يقرر فريد لاندر أن هناك خمسة مجالات رئيسة للرعاية الاجتماعية ، هي :

١- الأمن الاقتصادي وتوفير فرص العمل : وتشمل المساعدات العامة ، التأمينات الاجتماعية ، التدريب المهني .

٢- البيئة الاجتماعية والإسكان : وتشمل الإسكان وحماية البيئة .

٣- الخدمات الصحية : الوقائية والعلاجية والإنمائية ، وتشمل خدمات الصحة العامة، والصحة النفسية ، العلاج الطبي ، الخدمات الاجتماعية الطبية .

٤- النمو الشخصي والاجتماعي : ويشمل رعاية الأسرة ، رعاية الطفولة ، رعاية الشباب ، رعاية الفئات ذات الاحتياجات الخاصة ، الخدمات الاجتماعية في المؤسسات العقابية.

٥ - الخدمات التعليمية .

كما قسمت البرامج والخدمات على أساس وظيفي إلى ثلاثة مجالات وظيفية هي :

- ١- الإمدادات الاجتماعية : والهدف من هذه البرامج هو تحقيق الأمن الاجتماعي والعدالة الاجتماعية للناس في المجتمع ، فهي تشمل الوظيفة الاقتصادية للرعاية الاجتماعية ، وبعض هذه البرامج مؤقتة مثل المساعدات العامة ، وبعضها إنمائي مثل التأمينات الاجتماعية.
- ٢- الخدمات الاجتماعية : هذه الخدمات تساند أو تكمل أو تحل محل الأنظمة المعنية بالتنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي ، وبخصوصاً الأسرة والتربية ومن ثم فهي خدمات تعنى بتغيير الناس عن طريق تزويد الأفراد والجماعات بالموارد والإمكانات اللازمة لتحسين الأداء الاجتماعي .

٣- العمل الاجتماعي : ويهتم بتغيير النظم ، فإذا كانت الخدمات الاجتماعية تعنى بمساعدة الناس على أداء أدوارهم في إطار النظم القائمة ، فالعمل الاجتماعي يعني بتغيير مضمون هذه النظم والذي يتصل بتوزيع الأدوار والقوى داخل المجتمع ، وتوفير الفرص ، وإثراء حياة الناس (١) .

بينما قسمت بيولا كرومبتون وظيفة الرعاية الاجتماعية إلى ثلاثة أنواع من "الأنشطة" هي:

١- أنشطة متعلقة بالحفاظ على مستوى لائق لمعيشة الفرد : وذلك بتوفير الحد الأدنى من الضروريات ، كذلك الحفاظ على تماسك وتوازن واستمرارية باقي النظم الاجتماعية بالمجتمع.

٢- أنشطة تنموية : تعمل في حدود القيم الاجتماعية السائدة والبناء السياسي وذلك للمساعدة على نمو الفرد ، ونمو كل من النظام السياسي والاقتصادي والأسري والديني ، عن طريق توفير الأساسيات لتنمية الأفراد والأسر في إطار من الخطة الوطنية .

٣- أنشطة للتغيير : وهي تهدف مباشرة لتغيير وظائف الفرد أو الأسرة أو الجماعة عندما يرغب الفرد في التغيير ، وعندما يصبح التغيير ضرورة لحماية الفرد نفسه والآخرين ، كما تهدف إلى تغيير عناصر محددة في البناء الاجتماعي ، حتى لو أدى إلى تحدي بعض القيم الموجودة ، ومثل هذه الأنشطة تسعى - من خلال الضغط في حدود القوانين الموجودة - إلى تغيير ما تقوم به بعض الأنظمة الاجتماعية مما يسئ إلى الأفراد أو الجماعات في المجتمع .

كما عرضت بيولا كرومبتون أيضاً عدة تصنيفات للبرامج التي تقويها تلك الأنشطة ، فهناك تصنيف حسب المصدر الذي يمول هذه البرامج إن كان عاماً (Public) أو إن كان خاصاً (Private) ، وتصنيف آخر حسب "العملاء المستفيدين" الذين حددتهم في الفئات

(١) الفاروق زكى يونس - الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي - ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٨ م ، عالم الكتب ، ١٧-١٩ .

التالية : المسنون ، الأطفال ، الأطفال المهنلون ، الجاشون ، المذنبون ، العاطلون ، المعاقون جسمياً ، المضطربون عاطفياً ، مرضى العقول ، المحاربون القدامى ، أبناء السبيل ، العاجزون ، والجماعات المحلية ذات الاهتمامات الخاصة .

ويلاحظ على هذا التقسيم أنه ركز على الفئات ذات الاحتياجات الخاصة ، وبذلك فهو يحصر الرعاية الاجتماعية في النطاق العلاجي المؤقت ، على الرغم من أن الكاتبة قد شملت في تقسيمها لوظائف الرعاية الاجتماعية الأنشطة التنموية ، ولذلك فإن تقسيم البرامج على هذا النحو لا يشمل وظائف الرعاية كما تنظر إليها الكاتبة نفسها .

كما ذكرت ما قام به (كان Kahn) من تقسيم للبرامج حسب طبيعة الخدمات المقدمة إلى:

١- المساعدات المالية والضمان الاجتماعي .

٢- الرعاية الصحية .

٣- الإسكان .

٤- التعليم .

٥- القوى العاملة .

٦- الخدمات الاجتماعية الشخصية .

ثم أشارت إلى النوعين الآخرين من الخدمات اللذين أضافهما موريس (Moris) إلى تقسيم "كان" وهما الإصلاحات ، والتأهيل^(١) .

وبتأمل هذه التصنيفات ، يمكن ملاحظة مايلي :

١- تقتصر هذه البرامج على رعاية وإشباع الحاجات المادية أساساً ثم الحاجات النفسية والاجتماعية ، دون الحاجات الروحية المتعلقة بصلة الإنسان بربه ، ويرجع ذلك إلى الأساس النظري والمنهجي الذي بنيت عليه تلك البرامج ، فكما يقول إبراهيم رجب : إن المنهج العلمي للبحث في الظواهر الاجتماعية قد اقتصر تقليدياً على دراسة الجوانب المحسوسة من الإنسان وحاجاته ومشكلاته ، مما شكل نظرة مادية آلية للإنسان أثرت سلباً على تصميم برامج الرعاية الاجتماعية وتنفيذها ، بينما يهتم المنظور الإسلامي بالجوانب الروحية والدينية كما تبين لنا من عرض وظائف الرعاية الاجتماعية^(٢) .

(1) Compton Beulah R. Introdcion to Homemood , Illinios : the Dorsey press , 1980 ,

33 - 34 , 60 - 62 .Krow Laicos & Eraflew Laicos.

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب - الإسلام والتنمية في كتاب تنظيم المجتمع أسس نظرية وتطبيقات عملية - القاهرة

١٩٨٣ م ، دار الثقافة ، ٥٧ .

٢- يلاحظ أن هناك تركيزاً على البرامج الحكومية أساساً ، والأهلية التطوعية في الدرجة الثانية، مع عدم إعطاء العلاقات الاجتماعية الطبيعية بين الناس وزناً كبيراً ، بل ساد- كما يشير إبراهيم رجب- اتجاه يرى أن الحل الأمثل هو في إنشاء "المؤسسات الإيداعية" لرعاية أي فئة اجتماعية تواجه أي نوع من الصعوبات ، "مثل مؤسسات رعاية المسنين- ومؤسسات رعاية المعوقين" ولو أدى ذلك إلى عزلة النزلاء عن أسرهم وعن الحياة الطبيعية في المجتمع المحلي - مهما كانت آثار ذلك على نفوسهم - ما دامت حاجاتهم المادية مأمونة في إطار تلك المؤسسات^(١) ، بينما نجد في المنظور الإسلامي ، أن الرعاية الاجتماعية هي التزام من جانب الجميع من أجل الجميع ، وكما يقول الفاروق يونس : "إن التزامات الرعاية في الإسلام تتجاوب مع التزامات العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الناس ، علاقة الزوج بزوجته ، علاقة الوالدين بالأبناء ، علاقة القرابة أو صلة الرحم ، علاقة الجيرة ، وعلاقة الأخوة في المجتمع^(٢) ، فتتسم مسؤولية الرعاية الاجتماعية بالتدرج ، فلا يصح أن نغزل المسنين - على سبيل المثال - في مؤسسات إيوائية في وجود أبناء لهم أو أقارب .

٣- رغم اتساع نطاق هذه البرامج بشكل كبير ، فإن الحكومات لا تبدي في أغلب الأحيان القدر الكافي من الاهتمام بها كما هو متوقع نظرياً ، والدليل على ذلك - كما يذكر ريتشارد إستس - ما أصدره البنك الدولي من إحصائيات عن معدل الإنفاق على برامج الرعاية الاجتماعية في أربع وعشرين دولة من الدول الصناعية الغنية ، حيث اتضح عدم زيادة ذلك المعدل في تلك الدول منذ عام ١٩٧٢ م وحتى عام ١٩٨٩ م ، مما يشير إلى عدم مقدرة الحكومات على الوفاء بتكاليف برامج الرعاية الاجتماعية المستمرة في الارتفاع ، والذي يستوجب معه ارتفاع معدل الإنفاق^(٣) ، بينما نجد تعدد مصادر تمويل الرعاية الاجتماعية في المجتمع المسلم ، بشكل يمكن معه الوفاء بتكاليف برامجها وخدماتها ، كما سيتضح لنا عند تناول مصادر التمويل .

٤- يتضح من تنوع الأنشطة واستهدافها لنمو الأفراد من جانب ، والنظم الاجتماعية من جانب آخر ، ما توليه الرعاية الاجتماعية من الاهتمام المتساوي لكل الضروريات وما تتسم به من انتشار وظيفي ، وارتباطها بجميع النظم الاجتماعية الأخرى .

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب - التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية - بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة ١٩٩٢ م، ٥٧.

(٢) الفاروق زكي يونس ، الرعاية الاجتماعية في الإسلام ، بحث قدم إلى المؤتمر الدولي لعلماء المسلمين ، إسلام آباد - باكستان ، ١٩٨١ م ، ٢٨.

(3) Estes Richard J . 1992 , Interationalizg Social Work Eductation : A Guide to Resources for a New Century, Philadelphia , Pennsylvania : University of Pennsylvania School of Social Work , 189 - 190.

(النظام السياسي ، النظام الاقتصادي ، النظام الأسري ، النظام الديني) ، مما يتمشى مع المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية ، كما تبين في البحث السابق .

وبعد هذه النظرة النقدية لتصنيف برامج الرعاية الاجتماعي في المنظور الغربي ، تنتقل إلى محاولة تصنيف برامج الرعاية الاجتماعية من منظور إسلامي ، حيث سيتم تصنيفها وفقاً للهدف منها ، وذلك بما يتمشى مع تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في الحفاظ على الضروريات الخمس وذلك على النحو التالي :

برامج الرعاية الاجتماعية في ضوء مقاصد الشريعة :

١- برامج للإسهام في حفظ الدين :

وتنقسم إلى نوعين : الأول برامج إنشائية وتنموية تحافظ على وجود الدين واستمراره ، الثاني : برامج وقائية وعلاجية تحافظ على الدين من العدم وتدافع عنه ، وفيما يلي أمثلة على النوعين :

أ- البرامج الإنشائية والتنموية ، مثل :

* برامج للإسهام في جهود الدعوة إلى الله وفي بناء الوعي الإسلامي ، في إطار "الخدمة الاجتماعية الإسلامية" وفق ما يراه محمد عبد الهادي (١٩٩١ م) ، وبخاصة فيما يتصل بالجهود التنسيقية بين المنظمات الإسلامية العاملة في ميدان الدعوة ، وتقديم المشورة المهنية اللازمة لمعاونتها في تصميم البرامج وتقييمها ، وتدريب قيادات الدعوة الإسلامية .

* برامج تعليمية تساعد الأفراد على التأمل والتفكير في آيات الله المشاهدة في الكون ، وفي النفس الإنسانية وتدبر آيات الله المثورة (القرآن الكريم) ، حتى يستطيعوا - عن طريق العقل والوحي - الوصول إلى الإيمان الصادق .

* برامج للعمل مع الجماعات من المنظور التنموي (Developmental) تقصد في جوهرها إلى التنمية المتكاملة لشخصيات الشباب ، محورها الأساسي اعتقادي وتعليمي .

* برامج تتصل بتوفير الإمكانيات المادية وغير المادية ، لمعاونة طلاب العلم وتشجيعهم ، فكلما استزاد الفرد من العلم قوي إيمانه وزادت خشيته لله - عز وجل - ﴿...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...﴾ (١) .

* برامج تتصل بتوفير وتيسير أداء العبادات ، كإعمار المساجد ، وتيسير الحج والعمرة لأكثر عدد ممكن من المسلمين ، وتوفير الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية لهم .

* برامج تهدف إلى تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع على جميع المستويات : المجتمع المحلي ، والمجتمع القومي ، والمجتمع الإسلامي الكبير ، وتوثيق الروابط ، والعمل على

(١) سورة فاطر ، الآية ٢٨ .

تهئية جو من التضامن والمحبة بين المسلمين من تمام الإيمان يا الله - عز وجل - كما ورد في عدة أحاديث للرسول - ﷺ - مثل : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١) ، كما أن الحث على العناية باليتيم وإطعام المساكين ، يعتبر تصديقاً عملياً بالدين كما جاء في قوله تعالى : ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين﴾^(٢) .

ب - البرامج العلاجية والوقائية :

* الإسهام في برامج إعداد المجاهدين في سبيل الله ، عن طريق تقديم الخدمات الاجتماعية لهم ، وتذليل الصعوبات التي تواجههم ، ومساعدة أسرهم خصوصاً أثناء غيابهم ، وكفالة أيتام الشهداء .

* برامج للحث على الجهاد بالنفس وبالمال ، وتنظيم عمليات جمع المال وإيصاله للمجاهدين لمقابلة احتياجاتهم المادية والعسكرية .

* برامج توعية بمخاطر الابتداع في الدين ، وتحذير المسلمين من الانحراف في العقيدة والخروج بالدين عن دائرة ما حدده المشرع .

* برامج توعية دينية للمنحرفين والمذنبين بالمؤسسات العقابية ، تساعدهم على فهم العلاقة بين انحرافهم وبين نوع صلتهم بربهم ، وتدريبهم على تطهير أنفسهم من دنس المعاصي ، وتركيتها بالعمل الصالح .

* برامج للوقاية من الانحراف ، وبرامج علاجية للمنحرفين .

ولقد اقترح على زيدان أنواعاً متعددة من هذه البرامج ، فمن البرامج الوقائية : العمل على إزالة المعوقات الاجتماعية التي تحول دون الزواج المبكر لمن يستطيع - إعداد المقبلين على الزواج لممارسة الحياة الأسرية على الوجه الذي يرضي الله ويطهر حسوده ، وبيان الخطورة المترتبة على مخالفة ذلك - المساعدة في حل المشكلات المترتبة على الطلاق - توفير الرعاية للأيتام واللقطاء - مساعدة الأفراد الذين يعانون من نقص في إشباع حاجاتهم الأساسية - الدعوة إلى إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإسهام في تنظيم ذلك على المستوى المحلي والمؤسسي ، مع القيام بذلك على المستوى الفردي ، والجماعات الصغيرة - العمل على إرساء قواعد العدل ومنع الظلم بين الناس .

أما البرامج العلاجية فمنها : مساعدة المنحرفين على التوبة ، والصبر ، وأداء العبادات - تهئية الصحبة الصالحة والإبعاد عن رفاق السوء - تشجيع المنحرفين على العمل الصالح باستخدام أساليب الثواب والعقاب^(٣) .

(١) البخاري ، كتاب الإيمان : ٧ .

(٢) سورة الماعون : الآيات ١ - ٣ .

(٣) على حسين زيدان - دور الخلية الاجتماعية في العمل مع المنحرفين - منظور إسلامي - بحث مقدم إلى ندوة التأصيل للإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ١٩٩١ م ، ٥٣ - ٩٨ .

٢- برامج للإسهام في حفظ النفس :

* برامج لرعاية الأسرة - لما لها من دور كبير في تنشئة الفرد منذ المراحل الأولى - مثل التوعية بالأسس السليمة التي تقوم عليها الأسرة ، ومراعاة أحكام الزواج من نفقة ، ورضاعة وحضانة ، ومثل : البرامج الصحية والاجتماعية لرعاية الأمومة والطفولة ، وتقديم الخدمات التي من شأنها الحفاظ على النفس منذ بدء تكوينها .

* خدمات صحية وقائية مثل التوعية الصحية والتوعية الغذائية ، بالإضافة إلى الخدمات الصحية العلاجية .

* خدمات الإسكان .

* خدمات الإغاثة في الطوارئ والأزمات .

* برامج الضمان الاجتماعي .

* برامج التربية الرياضية التي تهدف إلى تنشئة أفراد أقوياء قادرين على القيام بما كلفهم الله به .

برامج ترفيهية - باستخدام الوسائل المباحة شرعاً - للعمل على دفع الملل من القلوب واستعادة النشاط والحيوية والقدرة على مواصلة الأعمال وأداء الواجبات بأحسن صورة ممكنة .

* برامج لرعاية المعوقين .

* برامج لرعاية المسنين .

٣- برامج للإسهام في حفظ العقل :

أ - لحفظ العقل من جانب الوجود :

* برامج تعليمية موجهة لجميع المسلمين لتعليمهم تكاليف دينهم وما فرضه الله عليهم .

* برامج تعليمية موجهة لفئة خاصة من المسلمين لتأهيلهم للقيام بمسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* برامج تعليمية مختلفة تؤدي إلى تحسين الحياة الاجتماعية ورفقها .

* برامج تعمل على تجلية الشبهات ومحاربة البدع والخرافات لوقاية العقل من الانحرافات الفكرية.

هذا بالإضافة إلى جميع البرامج السابق ذكرها لحفظ النفس ، حيث إنها تعمل في ذات الوقت على حفظ العقل .

ب- حفظ العقل من جانب العدم :

- * برامج توعية بأضرار المسكرات والمخدرات .
- * برامج علاجية للمدمنين ، وأخرى اجتماعية لأسرهم .
- * برامج علاجية لمرضى العقول .

٤ - برامج للمساهمة في حفظ النسل :

- برامج لحث الشباب على الزواج ، وتيسيره لهم .
- * برامج توعية بأهمية النسل وحثهم على تحديده ، وجواز تنظيمه .
- * برامج صحية لتقوية النسل ، وعلاج حالات العقم المؤقت .
- * دعم الأسرة بكل الطرق الممكنة لكي تقوم بوظائفها ، ومنع تفككها ، ومعاونتها على حسن تربية الأبناء .

* رعاية الأطفال مجهولي النسب ، وتشجيع الأسر على كفالتهم .

* برامج لمحاربة الزنا وكل ما يفضي إليه .

٥ - برامج للمساهمة في حفظ المال :

- * برامج تنمية الموارد البشرية ، والتدريب على المهن المطلوبة في سوق العمل .
- * التدريب على إقامة المشروعات الصغيرة ومشروعات زيادة الدخل .
- * محاربة الربا والاحتكار والغش ، وكل التجارات المحرمة .
- * الحث على الإنفاق المحمود ، والكف عن الإمساك المذموم ، والنهي عن الإسراف والتبذير .

* برامج ترشيد الاستهلاك .

رابعاً : مصادر تمويل برامج الرعاية الاجتماعية :

يتميز نظام التمويل للرعاية الاجتماعية في الإسلام عن نظيره في النظم الوضعية بعدة مميزات، فبينما نجد النظام الرأسمالي لا يلزم الفرد إلا بقدر من المال - في صورة ضرائب - للإنفاق على المرافق العامة، كما نجد النظام الاشتراكي قد جند الأفراد بكل طاقاتهم وقدراتهم لخدمة المجتمع نظير ما يعود عليهم من الدولة من أجر نقدي أو عيني ، فإننا نجد في النظام الإسلامي أن الفرد ملزم بتقديم جزء من ماله وقدراته الجسمية أو الفكرية أو الروحية للمجتمع ، دون الطمع في الحصول على مقابل ، لذلك فإن نظام التمويل في الإسلام يتميز كما قال شوقي دنيا "بالتركيز على التمويل بالموارد والطاقات البشرية ، والتلاحم القوي بين التمويل الفردي والتمويل الجماعي ، والجمع بين الاختيار والإلزام ، وبين التعميم

والتخصيص في فرائضه المالية^(١) ، والمقصود بالتمويل بالطاقات البشرية أو الإنسانية هو أن يقدم الفرد بعضاً من قدراته وطاقاته لصالح الجماعة ، دون أن يتوقف ذلك على المقابل النقدي ، ويرجع هذا إلى أن الإسلام قد ربط الفرد المسلم بمجتمعه بعلاقة قوية ومتينة يشعر معها الفرد بالتوحد مع مجتمعه والانتماء إليه والولاء له ، مما يجعله يعطى ويعطى بغير حساب ، اعتماداً على أن الله سبحانه يراه ويعلم سره وجهره وأنه عنده حسن الثواب والجزاء في الدنيا والآخرة .

والعمل دون توقع الأجر المادي في الدنيا هو ما يعرف بالعمل التطوعي الذي يؤكد محمد الصالح على أهميته ، مشيراً إلى الدولة الإسلامية في عهدها الأول بأنها ما بنيت وقويت وأدت دورها الحضاري إلا بفضل قيام أفرادها بالجهود التطوعية التي حبيبهم القرآن فيها ، ودعتهم السنة المطهرة إليها^(٢) ، كما أن ضعف العمل التطوعي من جهة أخرى يؤدي إلى التخلف ، فكما يقول عبد المنعم بدر : إن أهم العوائق التي لها دور في الإبقاء على الدول متخلفة ويعطل تنميتها هو عدم المشاركة الشعبية ، وبخاصة في جانبها التطوعي^(٣) .

والقرآن الكريم يزخر بالآيات التي تحث على الإنفاق بصوره المختلفة ، وكذلك السنة المطهرة ، ففي حديث عن الرسول - ﷺ - : أنه قال : "على كل مسلم صدقة فقالوا : يا نبي الله فمن لم يجد ؟ قال : يعمل يده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر ، فإنها له صدقة"^(٤) .

ويقول ابن حجر في شرحه للحديث : "على كل مسلم صدقة ، أي على سبيل الاستحباب المتأكد أو على ما هو أعم من ذلك ، والعبارة صالحة للإيجاب والاستحباب ، وبين صلوات الله عليه أن المراد من الصدقة لا يقتصر على العطية ، ولكنه أعم من ذلك ، كإغاثة الملهوف والأمر بالمعروف ، والملهوف أي المستغيث وهو أعم من أن يكون مظلوماً أو عاجزاً ، والمقصود أن أعمال الخير تنزل منزلة الصدقات في الأجر ، وأنه لا بد من الشفقة على خلق الله ، وهي إما بالمال أو غيره ، والمال إما حاصل أو مكتسب ، وغير المال إما فعل

(١) شوقي أحمد دنيا - تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٩٨٤ م ، ١٨٦ .

(٢) محمد بن أحمد الصالح - التوجيه الإسلامي للخلافة الاجتماعية وتقويم تطبيقاتها الحالية في عالمنا الإسلامي في ضوء هذا التوجيه ببحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، القاهرة ١٩٩٢ م ، ٢٠٥ .

(٣) عبد المنعم محمد بدر - اللاتطوعية وأزمة التنمية في العالم العربي والإسلامي - مقال ، المسلم المعاصر ، العدد ٣٤ ،

١٩٨٣ م ، ١٢١ .

(٤) البخاري ، كتاب الزكاة ، ٣٠ .

وهو الإغاثة ، وإما ترك وهو الإمساك^(١) ، ومعنى هذا أن الإسلام يتوقع من كل فرد مسلم أن يكون ملتزماً بحاجة كل فرد مسلم آخر طالما كان ذلك في نطاق معرفته بتلك الحاجة ، وفي حدود قدرته على الوفاء بها .

وإغاثة الملهوف أي المستغيث تعتبر واجبة في بعض الحالات ، مثل من يجد حريقاً يشب في دار جاره ، وجب عليه شرعاً - أي ديانة وقضاء - أن يطفى الحريق ، فإن لم يفعل غرم وضمن قيمة البيت ، وإن امتنع طبيب عن معالجة مريض في حالة خطرة - لأسباب شخصية يغرم دينه وإن لم يعتمد قتله .

وفي حديث آخر قال - ﷺ - : "كل معروف صدقة"^(٢) .

وهناك العديد من النصوص والمواقف التي توضح أن حقوق المجتمع ليست محصورة في جزء من المال ، وإنما تتعداها إلى كافة طاقات الفرد الفكرية والجسمية والروحية ، ولقد ذكر شوقي دنيا بعضاً منها ثم عقب على ذلك قائلاً : "وللدولة عندما تعجز ميزانيتها أن تجبر الأفراد على تمويلها بالمال من الأغنياء والخيرات والقدرات من القادرين ، أغنياء كانوا أو فقراء ، والملاحظ أن الغنى القادر جسمياً أو فكرياً لا يغنى عنه في تلك الحالة دفع المال ، وإلا ترتب على ذلك إلحاق ظلم بالفقراء من القادرين حيث لم يتساووا في تجنيدهم من موارد وقدرات ، هذا بالإضافة إلى ما يرتبه ذلك من قصور في استخدام الطاقات البشرية المتاحة لدى المجتمع"^(٣) ، ويؤكد هذا المعنى ما جاء في شرح ابن حجر للحديث السابق الذكر ، حيث قال : "وليس ما تضمنه الخير من قوله ، فإن لم يجد" ترتيباً ، وإنما هو للإيضاح لما يفعله من عجز عن خصلة من الخصال المذكورة فإنه يمكنه خصلة أخرى ، فمن أمكنه أن يعمل بيده فيتصدق وأن يغيث الملهوف وأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويمسك عن المنكر فليفعل الجميع"^(٤) .

أما عن التلاحم القوي بين التمويل الفردي والتمويل الجماعي ، فيقول شوقي دنيا إن الإسلام قد أقام في مجال التمويل شبكة جيدة الاتصالات ونسيجاً محكم السرد تبدأ بالفرد ، وتمتد أفقياً ورأسياً حتى تعم الأمة الإسلامية كلها ، فطالب الفرد أن يعتمد على نفسه ، ونفر من المسألة بأشد ما يكون التنفير عندما يكون بالوسع الاستغناء عنها ، ثم مدح الغيرية ، وحرص على تجنيده نازع المصلحة الذاتية في سبيل تحقيق مبدأ الغيرية (المسئولية عن الغير) كما ورد في الأحاديث النبوية مثل قوله - ﷺ - : "والله في عون العبد ما دام العبد في عون

(١) أحمد بن علي بن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ٣م ، بيروت ، دار المعرفة ، ٣٠٨ .

(٢) مسلم ، كتاب الزكاة ، ١٦ .

(٣) شوقي أحمد دنيا - تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي - بيروت ١٩٨٤ م ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٠ .

(٤) أحمد بن علي بن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ٣م ، بيروت ، دار المعرفة ، ٣٠٨ .

أخيه" (١) وكذلك قوله - ﷺ - : "ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك ، فإن فضل عن أهلك شيء ، فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء ، فهكذا وهكذا" (٢) علاقة الفرد بالمجتمع تتم من خلال شبكة متدرجة من العلاقات الاجتماعية تبدأ بالأسرة فالقرابة فالجيرة فالحي فالمجتمع ، لذلك فإن التزامات الرعاية في الإسلام تتجاوب مع التزامات العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الناس (٣) ، كما يقول أبو الأعلى المودودي "إن الإسلام قد منح الفرد ما كان يتعلق بذاته من الحقوق ، وفرض عليه واجبات مخصصة للجماعة ، وبهذه الصورة ظهر بين الفردية والجماعية في الإسلام توافق (Harmony) غريب بحيث يتيسر للفرد نماء قوته وارتقاء شخصيته ، ثم يصبح عوناً بقوته الراقية فيما فيه خير وسعادة للمجتمع (٤) .

وعلى المستوى الاقتصادي حققت هذه القيمة - كما يذكر شوقي دنيا - مبدأ اقتصادياً جديداً هو أن يكون الدخل أكبر من الاستهلاك ، أي يضمن عدم زيادة الإنفاق عن الدخل ، وقد يصعب تحقيق ذلك على مستويات محلية أو قطرية ، ومن ثم تتسع الدائرة لتشمل الساحة الإسلامية كلها بل ما هو أوسع منها ، ويمتد مفهوم الجوار لدى شوقي دنيا من المستوى الفردي إلى المستوى الدولي ، فإذا كان الله جل جلاله لا يرضى أن يشيع فرد ويجمع جاره ، فمن باب أولى لا يرضى أن تشيع دولة ويجمع أخرى .

ولو تمكن المجتمع الإسلامي من الاستفادة بهذا النمط التمويلي ، بأن قام كل قادر جسمياً أو فكرياً أو روحياً أو مالياً بتقديم جزء من تلك الإمكانيات دون انتظار عائد نقدي ، فإنه يؤمن لنفسه مصدراً لا ينضب للتمويل بكافة جوانبه دون الوقوع في الأسر النقدي أو المالي غير المتوفر غالباً (٥) .

ولقد فصل الفقهاء في الحديث عن المصادر العامة للتمويل في المجتمع المسلم ، مما سيعتمد عليه في هذا البحث لبيان مصادر تمويل برامج الرعاية الاجتماعية .

المصادر العامة للتمويل :-

يقسم ابن تيمية الأموال العامة - أو كما يسميها - في كتاب السياسة الشرعية (٣٠-٣٦) - بالأموال السلطانية إلى ثلاثة أصناف هي :

(١) مسلم ، ذكر ، ٣٨ .

(٢) مسلم ، كتاب الزكاة : ١٣ .

(٣) الفاروق زكي يونس - الرعاية الاجتماعية في الإسلام - بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي لعلماء المسلمين ، إسلام آباد - باكستان ، ١٩٨١ م ، ٢٧ - ٢٨ .

(٤) أبو الأعلى المودودي - نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور - بيروت - مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠ م ، ٥٦ .

(٥) شوقي أحمد دنيا - تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي - بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ م ، ١٩٠ - ١٩٥ .

١ - الغنمة : وهي المال المأخوذ من الكفار بالقتل .

٢ - الصدقة : وتشمل الزكاة المفروضة .

٣ - الفس : وهو ما أخذ من الكفار بغير قتال ، مثل الجزية التي على اليهود والنصارى .

ومن البحوث الحديثة في هذا الصدد، بحث شوقي دنيا الذي قسم فيه مصادر التمويل العامة إلى:

١ - الزكاة : وهي "فريضة اجتماعية تشطر من مال الغني قدراً معلوماً يجمعه ولي الأمر جبراً عن صاحبه إن امتنع ، ويكون ديناً في تركته يؤخذ منها إن لم يسدد في حياته" (١) .

والأموال التي تخضع للزكاة في جميع الأموال النامية التي هي معدة للإنتاج والنماء مثل الزروع والتجارة والأنعام والفضة والذهب وعروض التجارة - كما ذهب جمهور العلماء - وذلك متى استكملت بقية الشروط ، وهي تستهدف تكوين وتنمية رأس المال البشري بإبعاده عن العوز والحاجة التي تشل قدرته وتعطل إمكاناته الإنتاجية (٢) .

ويشرح شوقي دنيا فائدة الزكاة من الوجهة الاقتصادية وكيف أن المال لا ينقص بأخذ الصدقة منه كما جاء في حديث الرسول - ﷺ - مؤكداً أن الزكاة لا تعتمد على مبدأ "الإسعافات السريعة" التي لا يتجاوز أثرها التسكين الرقعي الذي سرعان ما يزول ويبقى المعوز معوزاً ، وإنما تعتمد على مبدأ "تحقيق الغنى للفقير" كما جاء في قول عمر - رضي الله عنه - : إذا أعطيتهم فأغنوا ، وكما يقول ابن تيمية ، "يأخذ الفقير من الزكاة ما يصير به غنياً وإن كثر" ، فمهمة الزكاة إغناء الفقراء ، وهذا يمكن أن يحدث بأسلوبين : أسلوب القوة الشرائية بأن يقدم للفرد من النقود والأموال ما يمكنه من شراء ما يحتاجه فيتحقق للفرد وضع الغنى بمعنى تأمين الحاجات الأصلية (على مستوى الكفاية) ، والأسلوب الثاني هو أسلوب القوة الإنتاجية بأن يقدم للفرد مورد أو رأسمال يتحول به الفرد من إنسان لا يعمل إلى إنسان منتج ، ومن إنتاجه هذا يشبع حاجاته الأصلية ، ومعروف أن الأسلوب الثاني خبير وأجدي للفرد والمجتمع من الأسلوب الأول ، ولقد اعتمدت الزكاة الأسلوب الثاني منهجاً لها (٣) .

٢ - الخراج : "وهو حصة بيت المال من زرع الأرض ولما رها" ، ويستهدف تعبئة الفائض الزراعي واستخدامه (٤) في أغراض الاستثمار المختلفة ، ولقد كان الخراج مصدر التمويل الأساسي للخزانة العامة في عهد الخلفاء الراشدين ، تمول به مختلف وجوه الإنفاق

(١) محمد أبو زهرة - محاضرات في المجتمع الإسلامي - القاهرة ، معهد الدراسات الإسلامية ، ١٠٣ .

(٢) شوقي أحمد دنيا - تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي - بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ م ، ٢٣٥ .

(٣) شوقي أحمد دنيا - تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي - بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ م ، ٢٨١ .

(٤) محمد أبو زهرة - محاضرات في المجتمع الإسلامي - القاهرة ، معهد الدراسات الإسلامية ، ٤٢ .

العام والتنفقات الاجتماعية والإنتاجية والجارية ، كما كان يتفق منه على المستوى المحلي وعلى المستوى الإسلامي كله .

٣- إيرادات المشروعات الاقتصادية العامة والضرائب ، ويقصد بالمشروع العام ملكية الحكومة وقيامها بالمشروعات الصناعية والزراعية والمالية والتجارية ، ومن حيث الأصول والمبادئ فإن الإسلام يقر قيام مشروعات عامة اقتصادية ، فهناك الأراضي المملوكة للدولة والمملوكة لعامة المسلمين ، ومن حق الدولة أن تقيم فيها مشروعات زراعية عامة ، بالإضافة إلى قطاع المعادن . والفقه الإسلامي يميل في عمومه إلى أنها ملك عام للمسلمين ، كما جاء في حديث الرسول - ﷺ - "المسلمون شركاء في ثلاث : في الماء والكلأ والنار" (١) ومن حق الدولة أن تستغلها بنفسها بما يحقق المصلحة للمسلمين ، فإذا قامت مشروعات زراعية عامة وكذلك مشروعات صناعية عامة ، فإن ذلك يستدعي قيام مشروعات تجارية عامة تباع فيها تلك المنتجات ، وتشترى مستلزمات إنتاجية . ومعنى هذا أن المشروعات الاقتصادية العملاقة التي تمثل حاجة ملحة لتقدم الاقتصاد، ولا يقبل عليها الأفراد عادة ، تصبح إحدى مسؤوليات الدولة .

أما الضرائب ، فلقد أوضح شوقي دنيا أن الإسلام اعترف بها كمصدر من مصادر التمويل العامة في ظل حدود وضوابط معينة ، وذلك أخذاً بمبدأ ، أن في المال حقاً سوى الزكاة وفرض الضريبة على الأغنياء مسألة لا غنى عنها عندما تقصر الإيرادات الأخرى عن تغطية شتى النفقات العامة المطلوبة ، ولقد استند في ذلك على آراء كثير من العلماء منهم الغزالي ، والشاطبي ، والنووي ، وابن العربي وغيرهم الذين اتفقت كلمتهم في جواز بل على وجوب فرض الضريبة عندما يترتب على عدم فرضها تفويت مصلحة مهمة ، ولم يكن هناك إسراف وتبذير من جانب الدولة في نفقاتها العامة (٢) .

هذا بالنسبة للمصادر العامة للتمويل ، أما بالنسبة لوجوه الصرف ، فلقد حدد الله عز وجل في كتابه الكريم ثمانية فئات يصرف لها من أموال الزكاة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

والفقراء والمساكين يجمعهم معنى الحاجة إلى الكفاية ، فلا تحمل لغنى ولا لقوى مكتسب ، والعاملون عليها هم الذين يجيئونها ويحفظونها ويكتبونها ، ونحو ذلك (٤) ، وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام ، منهم من يعطى ليسلم ، ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت

(١) أبو داود ، كتاب البيوع ، ٦٠ .

(٢) شوقي أحمد دنيا - تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي - بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ م ، ٣٦٠-٣٩١ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٦٠ .

(٤) أحمد ابن تيمية - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - بيروت ، دار المعرفة ، ٣٤ .

قلبه ، ومنهم من يعطي ليجي الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد^(١) وفي الرقاب يدخل فيه إعانة المكاتبين ، واقتداء الأسرى ، وعتق الرقاب ، والغارمون هم الذين عليهم ديون لا يجلبون وفاءها ، فيعطون وفاء ديونهم ولو كان كثيراً ، إلا أن يكون غرمهم في معصية الله تعالى ، فلا يعطون حتى يتوبوا ، وفي سبيل الله وهم الغزاة الذين لا يعطون من مال الله ما يكفيهم لغزوهم ، فيعطون ما يغزون به ، أو تمام ما يغزون به ، وابن السبيل هو المحتار من بلد إلى بلد^(٢) .

وهناك مبدأ عام بالنسبة لإنفاق الدولة يجب أن تتبعه وهو البدء بالأهم فالأهم من مصالح المسلمين (أي وضع أولويات) وتحقيق الحد الأقصى من المصلحة العامة ، ويرى ابن تيمية وابن قدامة أنه يجب البدء بالمقاتلة (الجند) الذين هم أهل النصر والجهاد لأنهم أهم المصالح لكونهم يحفظون المسلمين ، فيعطون كفايتهم فما فضل قدم الأهم فالأهم ، ويقول القراني : إن تفرقة أموال بيت المال موكولة إلى خيرته ، معناه أنه يجب النظر في المصالح وتقديم أهمها^(٣) .

بينما نجد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد قسم المستحقين إلى أربعة أقسام وذلك في قوله : "ليس أحد أحق بهذا المال من أحد ، إنما هو الرجل وسابقتها ، والرجل وغناؤه ، والرجل وبلاؤه والرجل وحاجته" أي أنه - رضي الله عنه - جعلهم أربعة أقسام : الأول : ذور السوابق الذين بسابقتهم حصل المال .

الثاني : من يغنى عن المسلمين في جلب المنافع لهم ، كولاة الأمور والعلماء الذين يجعلون لهم منافع الدين والدنيا .

الثالث : من يلى بلاء حسناً في دفع الضرر عنهم ، كالمجاهدين في سبيل الله من الأجناد والعيون من القضاة والناصحين ونحوهم .

الرابع : ذور الحاجات : هذا إلا أن الرسول - ﷺ - كان يقدم ذوي الحاجات ، كما قدمهم في حال بني النضير^(٤) .

وبوجه عام فإن الدولة في إنفاقها العام عليها أن تبذل قصارى جهدها بحثاً ودراسة ، ثم عملاً وتنفيذاً ، ثم متابعة ورقابة ، وعليها أن تقارن وتحلل جوانب المصلحة ، وجوانب المفساد^(٥) .

(١) أبو الفداء إسماعيل بن كثير - تفسير ابن كثير - ج ٢ ، بيروت ، دار الفكر ، ٣٦٦ .

(٢) أحمد ابن تيمية - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - بيروت ، دار المعرفة ، ٣٤ .

(٣) شوقي أحمد دنيا - تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي - بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ م ، ١٣٦-١٣٧ .

(٤) أحمد ابن تيمية - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - بيروت ، دار المعرفة : ب . د . ، ٤٤-٤٥ .

(٥) شوقي أحمد دنيا - تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي - بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ م ، ١٣٨ .

نحو مدخل إسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية

د . عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ

محور الاهتمام في الممارسة الإسلامية :

لعله من الضروري الاتفاق أولاً على محور اهتمام الممارسة من المنظور الإسلامي ، قبل الخوض في محاولة وضع إطار عام لهذه الممارسة ، إن محور اهتمام الممارسة في النموذج الغربي هو الأداء الاجتماعي للأفراد والأسيرة والجماعات والمجتمعات المحلية ، والمحدد في العلاقات والتفاعلات بين هذه الوحدات والبيئة أو الوسط المحيط بهم : فهل يقتصر محور اهتمام الممارسة الإسلامية للمهنة على هذا ؟ أليس هناك علاقات أخرى مهمة لم يأخذها المنظور الغربي في الاعتبار ؟ بالطبع هناك علاقة هذه الوحدات مع الله عز وجل خالقها وربها ورب كل شيء ، بل إن هذه العلاقة هي التي يجب أن تكون حاکمة ومهيمنة على حياة الناس وعلى علاقتهم بأنفسهم ، وعلاقة بعضهم ببعض ، ولكن المنظور الغربي الذي لا يأخذ في اعتباره هذه العلاقة ، وينظر إلى الحياة الدنيا فقط ، من الطبيعي أن يصبح محور اهتمامه هو الأداء الاجتماعي فقط

وعليه فإن مفهوم الأداء الاجتماعي - مهما أضافوا له من معان - يصبح قاصراً من وجهة النظر الإسلامية ، ولعله من الممكن استبداله بمصطلح أشمل منه مثل "الأداء الكلي" الذي يتضمن علاقة الإنسان بالله عز وجل وعلاقته بالآخرين وعلاقته بنفسه ، كما يتضمن مفهوم الوظيفة التي من أجلها خلق ، وإن الأخصائيين الاجتماعيين في المجتمع المسلم عليهم أن يساعدوا الناس على تحقيق العبودية لله بمعناها الشامل ، ويساعدوهم على أداء وظيفتهم كخلفاء بأن يعمرُوا الأرض باستخدام شرع الله ، وبهذا يصبح الأداء الاجتماعي للناس محكوماً بعلاقتهم بالله - عز وجل - ومدى طاعتهم وقيامهم بحقوق الله عليهم ، وكلما كانت علاقتهم بالله قوية متينة ، بمعنى أنهم ملتزمون بشرع الله كان أدائهم لوظيفتهم الاجتماعية أقرب إلى الصورة المطلوبة ، وقد ينجح كثير من الناس في أداء وظائفهم الاجتماعية - من وجهة نظرهم ونظر المجتمع - دون أن يكون ذلك ناتجاً عن التزامهم بطاعة الله ، ولكن هذا غير مقبول من وجهة النظر الإسلامية ، لذلك فإن مدى طاعة الناس لربهم هو المهم ، ثم يأتي في الدرجة التي تليها مدى نجاحهم في أدائهم لأدوارهم الاجتماعية ، وإن كان الارتباط وثيقاً بين الاثنين ، لأن الله يأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، إلى غيره من الأوامر والنواهي التي تجعل علاقة الناس ببعضهم في أحسن صورة ، وإن كان بعض الناس يقومون بالعدل والإحسان ويقومون بأداء واجباتهم الاجتماعية على أكمل وجه ، ولكن ليس عن إيمان بالله ولا عن رغبة في ثوابه واتباع لعقابه ، لذلك فهم ينجحون في

حياتهم الدنيوية ويخسرون حياتهم الأخرى ، فالفوز بالآخرة لا يتأتى إلا بالإيمان والعمل الصالح معاً ، ولا يغني أحدهما عن الآخر .

ومفهوم الأداء الاجتماعي يؤكد على العلاقة بين الناس والوسط الذي يعيشون فيه ، ولا يمكن تحسين هذا الأداء إلا من خلال التأثير في طرفي العلاقة ، فكما تهتم الخدمة الاجتماعية الغربية بمساعدة الناس على النمو ، فلقد اهتمت أيضاً بالطرف الآخر من العلاقة، وهو الوسط أو البيئة التي يعيش فيها الناس ، لذلك فهي لها دور في وضع الخطط والبرامج والسياسات الاجتماعية اللازمة لإشباع حاجات الناس .

ولابد للممارسة من المنظور الإسلامي أن تهتم بذلك أيضاً فتقوم بأداء دورها من خلال النظام الإسلامي للرعاية الاجتماعية الذي يحقق مقاصد الشريعة ، وفي مقدمتها الحفاظ على الدين، فإذا ما قام المجتمع المسلم بوظيفته في الحفاظ على الدين ، فإنه سرف يسهل للناس قيامهم "بالأداء الكلي" الذي هم مطالبون به .

وبذلك تتصف النظرة الإسلامية لوحدة التعامل في نظرية الممارسة وهي "الشخص في إطار البيئة" ، مقارنة بالنظرة الغربية ، مما يلي :

١ - الشمول : فهي لا تقتصر على علاقة الإنسان بنفسه وبالآخرين ، ولكنها تشمل علاقته بالله عز وجل ، وبذلك فهي تتضمن الجوانب الروحية في الإنسان بالإضافة إلى الجوانب البيولوجية ، والنفسية الاجتماعية .

٢ - العمق : فهي لا تكتفي بالنظر إلى المشكلات المادية والنفسية الاجتماعية على أنها ناتجة من تفاعل الإنسان وبيئته فقط ، بل تدرك البعد العميق لهذه المشكلات الذي يتمثل في صلة كل من الإنسان ، والبيئة بالله عز وجل .

٣ - لها بعد زمني آخر : حيث لا تقتصر اهتمامها بالحياة الدنيا فقط ، وكان انتهاءها يعني انتهاء حياة النفس الإنسانية ، بل تهتم بالآخرة لأنها هي الحياة الأبدية ، ولكن نوعية هذه الحياة الأبدية تتحد بنوعية الحياة الدنيوية ، ومن هنا تأتي أهمية الحياة الدنيا .

فإذا كانت الخدمة الاجتماعية من المنظور الغربي تركز على المشكلات الناجمة من تفاعل الناس (أو نسق العمل) مع بيئته فإن النظرة الإسلامية الخاصة للمشكلات تجعلنا نركز على علاقة نسق العمل بالله عز وجل ، فالتفاعلات بين الناس وبيئاتهم تتمثل من جانب الناس في "الأداء الكلي" لهم ، ومن جانب البيئة في أدائها لوظائفها في تحقيق مقاصد الشريعة، لذلك فالممارسة تسعى إلى مساعدة الناس على القيام بوظائفهم الكلية (Total

(Functioning) من جهة ، ومساعدة المجتمع أو البيئة المحلية على تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية من جهة أخرى .

الإطار العام لنظرية الممارسة :

وفي ضوء تعريف سيورن لنظرية الممارسة ، هناك عنصران أساسيان لنظرية الممارسة وهما تقدير الموقف ، والتدخل ، باعتبار أن التخطيط للتدخل جزء من تقدير الموقف وتمهيد له ، وأن التقويم هو آخر خطوات التدخل ، ولقد اهتم جوزف أندرسون^(١) ، بإبراز هذين العنصرين ، كما أخذ بهما إبراهيم رجب في عرضه لنظرية الممارسة^(٢) .

(يلاحظ أن لفظ عميل يستخدم في البحث للدلالة على وحدة التعامل سواء كان فرداً أو جماعة أو مجتمعاً محلياً) .

أولاً : تقدير الموقف (Assessment) :

ظهر هذا المصطلح عوضاً عن مصطلح التشخيص (Dignosis) المستخدم في النموذج الطبي ، حيث لم يعد مرغوباً فيه نظراً لارتباطه بالأمراض والإعاقة ، إلا أن "تقدير الموقف" في جوهره ما هو إلا "التشخيص الاجتماعي" الذي عرفته ميري ريتشموند (١٩١٧م) بأنه التوصل إلى تعريف دقيق للعميل وموقفه ، لذلك "تقدير الموقف" كما تقول هيلن نورثن - عملية تتكون من جزأين : الأول هو جمع المعلومات المتصلة بنسق العميل والمتصلة ببيئته ، والثاني هو تقييم هذه المعلومات بطريقة تساعد في وضع خطة التدخل^(٣) .

وسوف يأخذ البحث بالمهام التحليلية لعملية تقدير الموقف كما ذكرها سيورن^(٤) ، وأخذ بها العديد من الكتاب المتخصصين مثل (Compton and Galaway , 1989) ، وهي :

- ١ - فهم المشكلة .
- ٢ - فهم شخصية العميل أو سماته (سواء كان فرداً أو نسقاً اجتماعياً) .
- ٣ - تحليل الموقف .
- ٤ - تقويم متكامل للحالة ككل في ضوء العناصر السابقة .

(1) Anderson , Joeseeph 1981 , Social Work Methods and Processes , Belmont California ; Wodsworth Publishing Company . 134 - 138.

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، القاهرة ، ١٩٩٢ ص ٦٢ .

(3) Northen Helen - 1987 - Assessment in Direct Practice , Encyclopedia of soical work , 18 th ed Maryland ; National Association of Soical Workers , Vol . I , PP171 - 172.

(4) Siporin , Max - 1975 - Introduction to Social Work Practice , New York ; Macmillan Publishing Co , Inc . 29 .

١- فهم المشكلة :

إن الحاجات والمشكلات التي يتصدي لها الأخصائي الاجتماعي هي تلك التي تتعلق بالأداء الاجتماعي والنفسي للأفراد ، أو الأداء الاجتماعي والمؤسسي للأنساق الاجتماعية الأكبر^(١) ، كما عرف سيورن المشكلة الاجتماعية بأنها صعوبات في الأداء الاجتماعي ، وسوء تكيف ، أو خروج عن الأعراف الاجتماعية ، تظهر نتيجة للتفاعل بين وحدة التعامل (فرد - جماعة - مجتمع محلي) والبيئة^(٢) ، وهكذا نرى أن مفهوم المشكلة في النموذج الغربي مرتبط بالأداء الاجتماعي للعميل ، ولقد سبق نقد مفهوم الأداء الاجتماعي في ضوء المنظور الإسلامي ، وتم التوصل إلى استبدال هذا المفهوم بمفهوم آخر يشمل علاقة العميل بالله عز وجل ، وهو "الأداء الكلي" ، وعلى هذا الأساس فإن المشكلات التي يتصدي لها الأخصائي الاجتماعي في المجتمع المسلم هي مشكلات تتعلق بالأداء الكلي للعميل ، فإذا كان العميل فرداً أو أسرة أو جماعة صغيرة ، فالمشكلة تتمثل في صعوبات تواجه العميل في القيام بالعبودية لله دون حرج أو مشقة ، وإذا كان العميل مؤسسة أو مجتمعاً محلياً ، فالمشكلة تتمثل في الصعوبات التي تواجهه في تطبيق الشريعة وتحقيق مقاصدها .

وبناء على ما توصل إليه بحث سابق عن المنظور الإسلامي للمشكلات الفردية^(٣) ، فإن هذه الصعوبات إما أن ترجع إلى خلل في الوظائف الغائية لنسق العميل وهي المتصلة بإشباع حاجته إلى حفظ الدين ، وإما أن ترجع إلى خلل في الوظائف الوسيطة المتعلقة بإشباع الحاجات المتصلة بالبقاء ، "المادية والنفسية والاجتماعية" .

ولكي نصل إلى فهم عميق للمشكلة لابد - كما يشير سيورن - من أن نصل إلى إدراك محدد لطبيعة الصعوبة ، وكيفية مواجهتها والتعامل معها ، لذا سيتم تناولها هنا مع الأخذ في الاعتبار المستويات المختلفة لنسق العميل .
وتنحصر الصعوبات - كما تبين - في نوعين :

الأول : صعوبات ترجع إلى خلل في الوظائف الغائية ، وهي ما تتصل بإشباع حاجة النسق إلى حفظ الدين ، ويتخذ هذا الخلل إحدى الصور الآتية :

(1) Northen , Helen , 1987, Assessment in Direct Practice , Encyclopedia of Social Work , 18 th ed , Maryland ; National Association of Social Workers , V . I , 173.

(2) Siporin Max, 1975, Introduction to Social Work Practice , New York ; Macmillan Publishing Co, Inc ., P 231.

(٣) عفاف إبراهيم الدباغ المنظور الإسلامي لتفسير المشكلات الفردية ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة، ١٩٩١ ص ٦٢.

١- فساد في الاعتقاد أساسه التفريط في توحيد الألوهية وعدم الإيمان باليوم الآخر والعياذ بالله، ففي هذه الحالة يكون العميل هنا غير مسلم - في معظم الأحوال - وسوف تختلف نظرة الأخصائي المسلم لمشكلته ، عن نظرة العميل لها ، حيث يعتبر فساد الاعتقاد في حد ذاته أعظم مشكلة من وجهة النظر الإسلامية ، لأنه ليس بعد الكفر ذنب ، والله يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به ، لهذا فإن مشكلة العميل غير المسلم - أياً كانت - تصنف تحت هذا النوع من المشكلات بالنظر إلى مصير العميل في الآخرة ، ولكن ما يجب أن يعمل الأخصائي المسلم هنا هو تقدير المشكلة من وجهة نظر العميل ويتعامل معها - في المقام الأول - كتعامله مع المشكلات من النوع الآخر التي تحتاج إلى إشباع الحاجات المادية أو النفسية والاجتماعية ، ويضع في اعتباره ما للزمين في المجتمع المسلم من حقوق وما عليهم من واجبات ، ثم بإمكانه أن يدعوهم إلى الإسلام بالتي هي أحسن .

ولا يتصور هنا أن يتعامل أخصائي مسلم مع مجتمع محلي غير مسلم ، إلا إذا كان يعمل في مجال الدعوة .

٢- أنواع من الفساد في الاعتقاد أو في الإرادة : والفساد في الاعتقاد هو ما يشار إليه في الكتابات الإسلامية بمرض الشبهة ، فقد ترجع المشكلة إلى جهل العميل ببعض أوامر الله ونواهيه أو بعض صفاته ، أو قد ترجع إلى بعض الشبهات والشكوك والتخيلات الباطلة التي يلقبها الشيطان في الأسماع والأذهان فيتوجب على الأخصائي والعامل أن يحددوا مرطن الجهل والشبهات ليخططا معا لعملية التدخل لإجلاء هذه الشبهات ، وكمثال لما يمكن أن يسببه الجهل من مشكلات ، هناك بعض النساء يعتقدن أنه لا يجوز لهن البقاء في بيت الزوجية بعد أن أوقع عليهن الطلاق (الطَّلَاق الأولي) فيسرعن إلى الخروج من بيتوهن والذهاب إلى أهلهن ، مع أن هناك نصاً صريحاً في كتاب الله عز وجل يقول : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(١) ، فالجهل بمثل هذا الحكم وخروج المرأة المطلقة من بيت زوجها فترة العدة يزيد من تفاقم المشكلة ، فقد يطلب الزوج منها أن ترجع فتأبى ذلك تعتاً وجهلاً ، أو قد يرفض ولي أمرها مثلاً أن يأخذها إلى زوجها ويصر على حضوره فتزيد المشاحنات وقد تنتهي المشكلة إلى طريق مستعود ، هذا مثال على أحد الأمور أو الحدود الواضحة التي لا سبيل إلى الشبهة فيها ، أما الأمور التي قد يساء فهمها ويسهل على الشخص العادي أن يقع في شبهة ولبس حيالها ، فهي كثيرة ومهمة ، مثال ذلك مفهوم التوكل على الله - عز وجل - ومفهوم الصبر ، والإيمان بالقدر ، ومفهوم الملكية ، ومفهوم البر ، بل مفهوم العبادة أيضاً ، وعندما يعم الجهل وسوء الفهم بمثل هذه

(١) سورة الطلاق ، الآية ١ .

المفاهيم مجتمعاً من المجتمعات ، فلا شك أنه سيكون فريسة للتخلف ولكثير من الأمراض الاجتماعية ، فمن مفهوم العبادة مثلاً عندما ينحصر في الشعائر التعبدية ، ويقل الاهتمام بأوامر الله الأخرى مثل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فسيكون هذا سبباً لكثير من المشكلات الاجتماعية ، وعلى الأخصائي الاجتماعي الذي يعمل مع مجتمع محلي ولا يجد مثلاً الاستجابة المتوقعة من أفراد المجتمع لمشروع من المشروعات أو تكون مشاركتهم ضعيفة، فلا بد له أن يضع افتراضات لهذه المشكلة ، ثم يقوم بدراسة المجتمع ليتحقق من صحة افتراضاته ويضع يده على العوامل المهمة المسببة للمشكلة ، وقد يفترض هنا مثلاً أن معظم أفراد المجتمع يسيئون فهم قضية الإيمان بالقدر ، أو التوكل على الله أو الصبر ، مما ينتج عنه سلبات سلوكية وتواكل وخمول وعدم مشاركة .

٣- أما فساد الإرادة ، فالمقصود به ضعف العزيمة والاستجابة لهوى الشهوات ، وهو ما يشار إليه في الكتابات الإسلامية بمرض الشهوة ، والمشكلة في هذه الحالة لا ترجع إلى الجهل أو الشبهة ولكن ترجع إلى ضعف الإرادة والاستجابة للشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

والثاني : صعوبات ترجع إلى خلل في الوظائف الوسيطة لنسق العمل ، وهي ما تتصل بإشباع الحاجات المادية والنفسية والاجتماعية ، ويتخذ هذا الخلل العديد من الصور والأشكال منها على سبيل المثال :

- * نقص الموارد المادية .
- * الإصابة بالأمراض والتعرض للكوارث والأزمات .
- * اضطرابات انفعالية ، واضطرابات عقلية نشأت كردود فعل لمواقف صعبة ، وأحياناً كردود فعل للاضطراب في القيام بالوظائف الغائية .
- * انتشار البطالة والفقر .
- * مشكلات العلاقات الاجتماعية .

وغالباً ما ينظر هنا إلى أسباب المشكلة على أنها صادرة من عوامل خارجية ، مثل الأزمات الاقتصادية ، أو البناء الاجتماعي ، أو العلاقات الأسرية ، وعليه ، فإن عملية التدخل ستوجه إلى إصلاح النظم والمؤسسات أو تحسين العلاقات الأسرية وقد ترجع إلى ذات العميل ، بسبب جهله أو ضعف في قدراته ، أو فقدته للمهارات الاجتماعية اللازمة .

٢- فهم شخصية العميل :

يجب أن يكون فهمنا وتقويمنا لشخصية العميل في ظل الهدف المراد تحقيقه من عملية المساعدة ، فعلى سبيل المثال :-

إذا كان العميل فرداً يراد إحداث تغييرات في شخصيته كزواج ورب أسرة ، فإن تقويمنا له سيختلف عن تقويمنا لعميل آخر مندوب عن مؤسسة اجتماعية ويعتبر الهدف من

المساعدة هو إحداث تغييرات في المؤسسة نفسها ، لذلك فإن الأخصائي الاجتماعي في الحالة الأولى سيحاول فهم العميل الفرد بطريقة تمكنه من مساعدته للقيام بمسؤولياته كزوج ، ولكن في الحالة الثانية سوف يحاول الأخصائي أن يفهم العميل الفرد كممثل لمؤسسة وفي حدود خاصة بوظيفته^(١) ، ومع الأخذ بهذه الفكرة ، إلا أن المنظور الإسلامي سوف يركز على فهم شخصية العميل من خلال علاقته بالله عز وجل أياً كان الهدف من المساعدة ، نظراً لأن نوعية هذه العلاقة لها دور أساسي ومهيمن على شخصية العميل في جميع الأحوال ، وسواء كانت هي السبب المباشر أو غير المباشر في وقوعه في المشكلة ، أو ليس لها أي دور في ذلك فإنه يمكن استغلال هذه العلاقة في عملية التدخل ، وإذا كان فهم شخصية العميل - كما يقول سيپورن - ووصفها وتقويمها يجب أن يكون في ضوء علاقاته الاجتماعية بالآخرين ، فإننا لا نقف عند هذا الحد بل نستخدم فهمنا لعلاقات العميل الاجتماعية لكي نحدد بها علاقاته بالله ، بالإضافة إلى أخذنا في الاعتبار للصفات الإنسانية التي جبل عليها الإنسان مثل : حب الشهوات ، والجزع والبخل إلى غيره .

فإذا كانت "نوعية صلة العميل بربه" هي أهم ما يجب أن نحدده عند فهمنا لشخصية العميل ، فالسؤال هنا كيف يمكن للأخصائي أن يقوم بذلك ؟ وكما يقول إبراهيم رجب إننا كأخصائيين اجتماعيين مطالبون ببذل جهود كبيرة لبلورة أدوات تصلح لقياس بعض المفاهيم مثل "مستوى الدين"^(٢) ، وذلك على أساس أن صلة العميل بربه تتحدد على أساس مدى تدينه أو إيمانه لأن الإيمان درجات ومستويات وهو يزيد وينقص ، والإيمان هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان ، ولقد حدد القاضي عياض لكل منها خصال معينة ، لذا يمكن استخدامها في تصميم مقياس للإيمان^(٣) ، كما قام صالح الصنيع (١٩٨٩) بتصميم مقياس لمستوى الدين ، اعتمد فيه على شعب الإيمان .

كما يمكن الرجوع إلى تقسيم ابن تيمية للناس حسب العبادة والاستعانة ، ولعله أشمل تقسيماً حيث أنه شمل غير المؤمنين^(٤) ، كما أن هناك تقسيماً آخر له وهو أبسط تقسيماً ولكنه يخص المؤمنين ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، وذلك حسب ما ورد في الآية ٣٢ من سورة فاطر .

(1) Siporin Max - 1975 - Introduction to Social Work Practice , New York ; Macmillan Publishing Co . , Inc . 234 .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، القاهرة ، ١٩٩٢٧٠ .

(٣) أحمد بن علي بن حجر فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١٢ م ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٥٩ م ١ : ٤٧ - ٥٢ .

(٤) المرجع السابق ، م ١ : ٣٦ .

كذلك يمكن دراسة جانب مهم من جوانب صلة الإنسان بربه وهو مقدار ما لديه من صبر ومقدار ما يقوم به من شكر لله عز وجل ، ويرى الغزالي (في الإحياء) أن الصبر عن اللذات والشهوات هو ما يفرق بين الإنسان وبين الحيوان ، ثم يسمي هذه الصفة باعثاً دينياً ، ويسمى مطالبة الشهوات باعث الهوى ، ويصور أن هناك قتالاً قائماً بين باعث الدين وباعث الهوى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، وقسم الصبر إلى ثلاثة أحوال : الأولى : أن يقهر داعي الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل إليه بسدوم الصبر ، والواصلون إلى هذه المرتبة هم الأقلون وهو الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، والحالة الثانية : أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية مناورة باعث الدين ، فيسلم نفسه إلى جند الشيطان ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة ، وهؤلاء هم الغافلون وهو الأكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقواتهم ، والحالة الثالثة : أن تكون الحرب سجالات بين الجند فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه ، وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، عسى الله أن يتوب عليهم^(١) .

كما يمكن دراسة مقدار ما لدى العميل من خوف من الله عز وجل ، ومقدار ما لديه من رجاء وأمل في الله ، على اعتبار أن التوازن بينهما يجعل الشخص في صحة نفسية جيدة ، كما أشار إلى ذلك محمد نجاتي : حيث تضطرب شخصية الإنسان ، وقد يسوء أداؤه لواجباته الدينية إذا يئس من النجاة من عذاب الله نتيجة لخوفه الشديد جداً ، أو قد يهمل في واجباته الدينية إذا كان الرجاء في رحمة الله لديه شديداً جداً ، لذلك من الضروري أن يجمع الإنسان بين الخوف والرجاء^(٢) .

هذه فكرة عن بعض الأسس التي يمكن استخدامها في تصميم مقاييس لمعرفة نوعية صلة العميل بربه .

وعليه فإنه يمكن القول أن هناك ثلاث حالات من الناس :

الأولى : هم الذين استطاعوا بفضل الله أن يعقلوا الأشياء فيكون إيمانهم واعتقادهم عميقاً بدرجة تهيمن معها على القلب فيتوقع أن يكون السلوك هنا في جملته مطابقاً للشرع مستهدفاً ما يرضي الله سبحانه وتعالى ، كما يتوقع منهم فيحالة ابتلائهم بصعوبات تتعلق بالحاجات المادية أو النفسية أو الاجتماعية مثل نقص الموارد ، أن يكونوا من الصابرين

(١) أحمد بن علي بن حجر ، - ١٩٥٩ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١٣ م ، بيروت ، دار المعرفة ، ٤٠ م :

٥٥ - ٥٦ .

(٢) محمد عثمان نجاتي ، ١٩٨٩ ، الحديث النبوي وعلم النفس ، ط ١ ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٠١ .

المحتسين ، الموقنين لحسن الجزاء في الآخرة ، ونتيجة لذلك فإن سعيهم لمواجهة هذه المشكلات سعياً متزناً لا يشوبه الجزع أو الفرع .

الثانية : هم الذين لم يصل أثر اعتقادهم وعلمهم إلى القلب والوجدان ، (أي لم يمتزوا إلى مستوى عقل الأشياء) ، فهم يواجهون حالة من عدم الارتباط بين الفكر وبين العاطفة ، مما يؤدي إلى ضعف الهمة والإرادة في فعل المأمورات واجتناب المنهيات ، فيضطرب سلوكهم ، وبالتالي فإن استجاباتهم عندما يواجهون الابتلاء بالشر أو بالخير تتفاوت تفاوتاً كبيراً .

الثالثة : هم ذور الاعتقاد السقيم ، حيث يختلط التوحيد عندهم ببعض الشراكيات ، لذا يتوقع أن يكونوا من أصحاب القلوب المريضة (مرض شبهة أو مرض شهوة) ، وثقتهم بالله تكون محل نظر شديد ، كما أن احتمالات انخراطهم في التجاوزات في إشباع الشهوات تكون كبيرة ، ومن هنا فإن الخذلان يكون نصيبهم ، فنجدهم يصابون بالهلع والجزع عند ابتلائهم بالنقص في الموارد ، كما يصابون بالشح والطغيان إذا من الله عليهم بالخيرات^(١) .

كما يمكن تقويم صلة العميل بربه من خلال صفات المؤمنين التي وردت في كتاب الله الحكيم، مثل : ﴿وقد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون﴾^(٢) ، إلى الآية التاسعة من السورة ، وهناك العديد من الآيات الأخرى التي تصف المؤمنين من جهة وتصف الكافرين والمنافقين من جهة أخرى ، وبتحديد صفات العميل المرتبطة بالمشكلة على وجه الخصوص ، نكون قد توصلنا إلى سبب المشكلة أو أحد أسبابها ، فعلى سبيل المثال إذا جاء عميل يطلب معونة مادية نتيجة ما أصابه من نقص في الموارد بسبب ظرف مفاجئ ، فإن الأخصائي الاجتماعي الذي يأخذ بالأسلوب التقليدي للممارسة ، لن يهتم كثيراً بشخصية العميل وصفاته خصوصاً إذا كانت شروط المؤسسة لمنح المعونة تتوافر فيه ، فإنه سيعمل على صرفها له ، وقد يمنحه قليلاً من التدعيم النفسي ، ولكن الأخصائي الذي يحاول جهده أن يعمل من منطلق إسلامي مدروس ، فإنه بالإضافة إلى سعيه لمنح المساعدة المادية له ، يحاول أن يقف على صفاته النفسية ، فإذا ما لاحظ على العميل شدة الجزع من الأزمة التي يمر بها فهذا دليل على إصابة العميل بالهلع المذكور في سورة المعارج ، وهنا فإن عليه أن يتحقق من صفات العميل وسلوكياته الأخرى والمحددة في السورة ، حيث ذكر تعالى صفات الإنسان الذي لا يصاب

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : ١٩٩٢ ، التوجيه الإسلامي للخلعة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه

الإسلامي للعلوم ، القاهرة ، ٧١ - ٧٢ .

(٢) سورة المؤمنين : ١ - ٤ .

بالهلع ، وعليه فإن إصابة العميل بالهلع تدل على غياب واحدة أو أكثر من هذه الصفات لديه أو جميعها ، وهذه الصفات وردت في قوله تعالى : ﴿إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، لِلْمَسْكِينِ وَالْمَحْرُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ .. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ﴾^(١) ، فهذه هي قائمة بسبع صفات ، مع التأكيد على الصلاة والمحافظة عليها ، يمكن للأخصائي أن يتأكد من وجودها لدى العميل ، فإذا ظهر له أن إحدى هذه الصفات أو السلوكيات لا يقوم بها العميل على الوجه المطلوب يكون قد توصل إلى سبب الهلع في شخصية العميل ، وإن كان الهلع في حد ذاته في المثال المذكور ليس هو المشكلة لكنه يزيد المشكلة ويجعل لها مضاعفات غير شديدة في الدنيا وفي الآخرة ، فعدم اتصاف العميل بإحدى الصفات السابقة المذكورة تنذر بسوء العاقبة ، وفي حالات أخرى قد يكون الهلع هو المشكلة خصوصاً عندما لا يكون بيد العميل أو غيره معالجة السبب ، مثل هلع العميل وجزعه لوفاة عزيز عليه .

ولقد جمع محمد نجاتي سمات المؤمنين التي وردت بالقرآن الكريم ، وصنفها إلى تسعة مجالات رئيسية من مجالات السلوك ، هي :

سمات تتعلق بالعقيدة ، سمات تتعلق بالعبادات ، سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية ، سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية ، سمات خلقية ، وسمات انفعالية وعاطفية ، وسمات عقلية ومعرفية ، وسمات تتعلق بالحياة العملية والمهنية ، وسمات بدنية .

ويضم كل مجال من هذه المجالات العامة الرئيسة لسمات المؤمنين مجموعة أخرى من السمات الفرعية الكثيرة التي يتعلق كل منها بناحية خاصة معينة من السلوك^(٢) ، وكذلك فعل بالنسبة لسمات الكافرين ، والمنافقين ، وبذلك فإنه وضع الأساس التصنيفي الذي يمكن الأخذ به في بناء مقياس للشخصية المؤمنة وغير المؤمنة .

أما في حالة كون العميل أسرة أو جماعة أو مؤسسة ، فإن الأخصائي يقوم بتقدير شخصية كل فرد له علاقة بالمشكلة ، وذلك حسب طبيعة المشكلة وموقف المساعدة^(٣) ويقوم كذلك بالتعرف على طبيعة صلته بربه ، ويمكن تقدير صلة الجماعة ككل بربها ، من خلال تفاعل الأعضاء مع بعضهم وما يصدر عنهم من سلوكيات وعادات ومقارنتها بالسلوكيات والآداب الإسلامية ، كذلك من خلال البرنامج الذي يجب أن يخلو من أي

(١) سورة المعارج : الآيات ٢٢ - ٢٤ .

(٢) محمد عثمان نجاتي - ١٩٨٧ - القرآن وعلم النفس ، ط ٣ ، القاهرة ، دار الشروق ٢٢٠ - ٢٢٤ .

(3) Siproin Max 1975 Introduction to Social Work Practice , New York ; Macmillan Publishing Co Inc , 234.

أشياء محرمة أو مكروهة ، وكذلك بالنسبة للأهداف التي يجب أن يراعى فيها التوجهات الإسلامية الصحيحة .

أما إذا كان العميل مجتمعاً محلياً ، فصلته بالله تتمثل في مدى تطبيق أنظمتها لشرع الله ، ومدى التزام الأهالي بأوامر الله واجتناب نواهيه أى بتقوى الله ، هذا الالتزام الذى يتضح عند دراسة عادات الناس وأعرافهم ، كما يتضح فى عدة ظواهر منها ، إقامة الصلاة فى بيوت الله ، الالتزام بالآداب الإسلامية وباللباس الشرعى خصوصاً بالنسبة للمرأة ، ماتسم به المتاجر والأسواق والأماكن العامة ، ماتسم به العلاقات بين الناس والتعاملات الاقتصادية والاجتماعية السائدة (خلوها مثلاً من الربا والاحتكار والغش) ، وجود التعاون والتكافل الاجتماعى ، إلى غير ذلك من الظواهر التى يستطيع الأخصائى من خلالها الحكم على مدى التزام المجتمع ككل بتقوى الله ومدى قيامه بوظائفه وتحقيقه لمقاصد الشريعة .

٣- تحليل الموقف أو البيئة :

يعتبر سيورن مفهوم الموقف (Situation) أحد المفاهيم الرئيسة فى نظرية الممارسة ، فهو وحدة أساسية فى التفاعل الاجتماعى ، وهو جزء مهم من بيئة العميل ، ثم يعرفه على أنه "خليط أو تركيبة من الناس والأشياء المادية فى ظروف زمانية ومكانية معينة"^(١) ، ولتقويم الموقف يجب على الأخصائى التعرف على البيئة والنظم المحيطة بالعمل ، المتمثلة فى الأسرة والمدرسة ، ومكان العمل ، والمجتمع المحلى ، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية ، مع التركيز على مدى التزام هذه البيئة بالشريعة الإسلامية ، ونقاط القوة والضعف بالنسبة لذلك ، ومدى قيام كل عنصر من العناصر المكونة للبيئة بوظيفته فى الحفاظ على مقاصد الشريعة وبخاصة الحفاظ على الدين ، وعلى سبيل المثال إذا كانت المشكلة انتشار الفقر فى حي من الأحياء ، فعلى الأخصائى الاجتماعى أن يدرس البيئة المحيطة وبخاصة مؤسسات الرعاية الاجتماعية والنظام الاقتصادى ، فقد يكون التعامل بالربا منتشراً فيتسبب فى تكوين دولة بين الأغنياء ، أو قد لا تكون فريضة الزكاة مؤداة من الجميع وعلى الوجه الصحيح .

ويمكن تصنيف بيئة العميل باعتبار قيامها بوظائفها فى الحفاظ على مقاصد الشريعة كما يلي :

١- بيئة تقوم بوظائفها كاملة فى المحافظة على جميع مقاصد الشريعة وعلى رأسها الحفاظ على الدين .

٢- بيئة تقوم بوظائفها بشكل غير مرضى خصوصاً بالنسبة للحفاظ على الدين .

٣- بيئة لا تتدخل فى اعتبارها الحفاظ على الدين .

(1) Ibid .P237

٤- التقويم المتكامل للحالة :

يقوم الأخصائي بصياغة العبارة التشخيصية ، وهي تحتوي على مجموعة التحليلات والملاحظات والتقويمات التي قام بها من قبل ، وفي ضوء ما ذكره سيورن لبعض الاعتبارات التي يجب على الأخصائي الاجتماعي مراعاتها عند كتابته للعبارة التشخيصية ، يمكن الأخذ بما هو مناسب منها بعد إجراء بعض التعديلات .

- ١- يفضل أن تتسم الصياغة النهائية لتقدير الموقف بدرجة من التفرد والاختلاف .
- ٢- يجب أن يتضمن التقدير المتكامل للموقف على عدد من التصنيفات للمشكلة وللأشخاص والبيئة بدلاً من النظر إلى الحالة أو القضية من خلال تصنيف واحد .
- ٣- يجب أن يشار إلى العلاقة بين المشكلات الخاصة والقضايا الاجتماعية والسياسية العامة.

٤- تحديد ما يحتاج تغييره في الأفراد ، وما يحتاج إلى تغييره في المجتمع والبيئة المحيطة. إن أخذ هذه الأمور في الاعتبار يجنبنا محدودية النظر إلى المشكلة من زاوية ضيقة ، ويجعل من التغيير بعيد المدى هدفاً لا بد من الوصول إليه . فإن حل المشكلات الشخصية لا بد أن يقودنا إلى حل المشكلات الاجتماعية .

وبناء على التصنيفات السابقة لكل من المشكلة ، والعميل ، والبيئة ، يمكن أن نتصور تعدد الاحتمالات التشخيصية وفقاً لهذه التصنيفات ، فانطلاقاً من كون المشكلة ترجع إلى خلل في الوظائف الغائية لنسق العميل (وهي المتصلة بإشباع حاجته إلى حفظ الدين أو حاجته الروحية) ، أو ترجع إلى خلل في الوظائف الوسيطة (وهي المتصلة بإشباع الحاجات المادية والنفسية والاجتماعية) يمكن أن تتحد عملية تقدير الموقف -بمعظم احتمالاتها- كما في شكل (١) ، وشكل (٢) بعد أن نعطي المشكلة من النوع الأول رقم (١) والمشكلة من النوع الثاني رقم (٢) ، وعلى اعتبار أنه لدينا ثلاثة أنواع من العملاء :

- عميل صحيح الاعتقاد سليم القلب ، ملتزم بطاعة الله في سلوكه ، ونرمز له بالرمز (أ).

- عميل صحيح الاعتقاد دون هيمنة ذلك تماماً على قلبه مما يجعله غير ملتزم دائماً بطاعة الله في سلوكه ، ويرمز له بالرمز (ب) .

- عميل مضطرب الاعتقاد والوجدان والسلوك ويرمز له بالرمز (ج) .

وكذلك بالنسبة لتصنيف بيئة العميل ، فهناك ثلاثة أنواع من البيئات :

- بيئة تقوم بوظائفها في الحفاظ على الدين وتطبيق الشريعة في جميع نظمها ، ويرمز

لها بالرمز (أ) .

- بيئة متهاونة في القيام بالحفاظ على الدين وتطبيق الشريعة ، ويرمز لها بالرمز (ب).

- بيئة لا تقوم بالحفاظ على الدين ولا تطبق الشريعة ، ويرمز لها بالرمز (ج) .

وبذلك يصبح لدينا تسع حالات تدرج تحت المشكلة من النوع الأول (١) ، وتسع حالات أخرى تدرج تحت المشكلة من النوع الثانى (٢) .
والشكل التالى يمثل الحالات التى تدرج تحت النوع الأول من المشكلات .
مشكلات فى الوظائف الغائية

عميل أ			عميل ب			عميل ج		
بيئة	بيئة	بيئة	بيئة	بيئة	بيئة	بيئة	بيئة	بيئة
أ	ب	ج	أ	ب	ج	أ	ب	ج

شكل رقم (١)

والشكل التالى يمثل الحالات التى تدرج تحت النوع الثانى (٢) من المشكلات :
مشكلات فى الوظائف الوسيئية

عميل أ			عميل ب			عميل ج		
بيئة	بيئة	بيئة	بيئة	بيئة	بيئة	بيئة	بيئة	بيئة
أ	ب	ج	أ	ب	ج	أ	ب	ج

شكل رقم (٢)

هذا ويجب الأخذ فى الاعتبار أنه قد تكون المشكلة ذات شقين أى تجمع بين النوعين من المشكلات (١) ، (٢) وعلى الأخصائى هنا أن يقدر ثقل كل شق منهما ، ويعطيه من الاهتمام القدر الذى يستحقه .

كما أن هذا التقسيم وإن كان يمثل معظم فئات العملاء والبيئات الشائع تواجدهم فى المجتمعات الإسلامية إلا أنه لم يشمل الفئات التالية :

- العميل الكافر أو المشرك (من الذميين أو غيرهم) .
- العميل المنافق وهو الذى يظهر الإيمان ويطعن الكفر .
- البيئة الكافرة .

ثانياً : التدخل Intervention :

ظهر هذا المصطلح فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات ليحل محل مصطلح "العلاج" (Treatment) وهو ما يقوم به الأخصائى من عمل منظم فى مسيل إحداث التغيير المطلوب^(١) .

(1) Johnson Louise 1989 Social Work Practice, A Generalist Approach, 3d ed, Boston, Aliyn and Bacon.,PP 84 - 85

وهناك تأكيد على اهمية الاساميه التي يعتمدها الانحصاصي مع العميل قبل القيام بعملية التدخل ، حيث تحدد فيها المشكلة ، ويحدد الهدف المراد تحقيقه من التدخل^(١) .

ويتخذ التنظير لعملية التدخل عدة نماذج ، منها نموذج الدور الذي أخذت به كومبتون وجالوي (١٩٨٩) ، ويرى سيورن أنه أفضل نموذج يربط بين عملية تقدير الموقف وعملية التدخل^(٢) ، ويظهر التركيز على خمسة أدوار لتدخل الانحصاصي هي : الوسيط الاجتماعي Social Broker ، والممكن Enabler ، والمعلم Teacher ، والوسيط Mediator والمدافع Advocate وهذه الأدوار يمكن القيام بها مع نسق العميل بغض النظر عن حجمه أى سواء كان فرداً أو أسرة أو جماعة أو مجتمعاً محلياً^(٣) .

وهناك نموذج المهارات التي يستخدمها الانحصاصي فى عملية التدخل ، ومن الذين أخذوا بهذا النموذج بنكس ومينهان^(٤) ، وليونبرج^(٥) الذى تناول المهارات التالية :

١- المهارة فى إعطاء العميل المعلومات ، والنصيحة ، والتوجيه عندما يكون فى حاجة إلى ذلك.

٢- المهارة فى توضيح المشكلة وتفسير الموقف عندما يعجز العميل عن ذلك .

٣- المهارة فى التحويل .

٤- المهارة فى إعطاء التدعيم النفسى .

٥- المهارة فى التوسط والمفاوضة .

٦- المهارة فى وضع الحدود لسلوك العميل .

٧- المهارة فى الدفاع عن العميل .

٨- مهارة التعليم .

٩- المهارة فى تمكين العميل وتقويته .

١٠- المهارة فى التعامل مع الصراع .

(1) Compton and Galaway, 1989 Social work Process, 4th ed Belmont California ; Wodsworth Publishing Company , P 506 .

(2) Siporin Max 1975 Introduction to Social Work Practice, New York, Macmillan Publishing Co., P 291 .

(3) Compton and Galaway , 1989 Social Work Processes, 4th ed Belmont California; Wodsworth Publishing Company . ,P 507 .

(4) Pincus and Minahan, 1980 Social Work Practice; Model and Method ,Illinois ed F.E Peacock Publishers, inc.,

(5) Loewwenbery, 1983 .

كما أن هناك من قام بتنظير التدخل عن طريق عرضه للاستراتيجيات المستخدمة في التدخل ، ومن هؤلاء هيبورث ولارسين⁽¹⁾ ، فلقد أوضحا العديد من الاستراتيجيات منها : تعزيز مهارة حل المشكلة لدى العميل ، والتدريب على الاسترخاء ، تعليمات ذهنية أو فكرية ، التفسير والمواجهة .

ويعتبر التصنيف الثنائي للتدخل لإحداث التغيير في شخصية العميل من جهة ، وفي البيئة المحيطة به من جهة أخرى ، هو التصنيف الشائع ، وهو ما سمي في الكتابات التقليدية بالعلاج الذاتي ، والعلاج البيئي ، وسوف يأخذ البحث بهذا التصنيف ، وذلك عن طريق عرض الاستراتيجيات التي يمكن استخدامها مع العميل ، والاستراتيجيات التي يمكن استخدامها للتأثير في بيئة العميل .

ونظراً لأن المقصود أساساً من مصطلح "العميل" هو وحدة تعامل الأخصائي الاجتماعي سواء كان فرداً أو جماعة أو مجتمعاً محلياً ، فإن الاستراتيجيات التي تستخدم مع العميل لها ثلاث صور تبعاً لذلك ، وعليه فإنه يمكن اعتبار الكثير من صور التعامل مع العميل كمجتمع محلي هي أيضاً صور للتدخل في بيئة العميل (الفرد أو الجماعة) مع اختلاف الهدف .

وسوف يتم التركيز على أهم ما يميز استراتيجيات التدخل في المنظور الإسلامي عنها في المنظور الغربي ، لذلك فإن هذا العرض لن يشمل جميع ما يمكن استخدامه من استراتيجيات بالتفصيل ، فهناك الكثير من الاستراتيجيات التي سيتم ذكرها فقط دون تفصيل لأنها لازالت في حاجة إلى مزيد من الدراسة ، حتى يمكن أن توجه أو توصل إسلامياً ، وبخاصة تلك التي تستخدم لتغيير البيئة المحيطة بالعميل ، حيث سيتم تناولها هنا تناولاً عاماً جداً .

وكما كانت عملية تقدير الموقف تهتم أساساً بتقدير صلة العميل بالله عز وجل عن طريق فهم وتشخيص جميع الأبعاد المتصلة بموقف المساعدة (المشكلة ، العميل ، البيئة) انطلاقاً من هذه الصلة ، فإن استراتيجيات التدخل التي تم التوصل إليها من المنظور الإسلامي ، والتي تجاوزت المنظور التقليدي تدور أيضاً حول صلة العميل بالله عز وجل ، حيث تتضمن كل ما يمكنه تدعيم هذه الصلة مثل مساعدة العميل على تصحيح عقيدته ، وتزكيته لنفسه ، وتحسين "أدائه الكلي" .

(1) Hepworth and Larsen, 1986, Direct Social Work Practice; Theory and Skills, Illinois the Dorsey Press.

استراتيجيات التدخل :

وتنقسم إلى استراتيجيات العمل مع العميل ، وهى التى سيتم تناولها بالتفصيل ، واستراتيجية العمل مع البيئة وسيتم ذكرها بوجه عام .

أولاً : استراتيجيات العمل مع العميل :

١ - مساعدة العميل على أن يدرك وجه الارتباط بين المشكلة وبين نوع صلاته بالله ، بعد أن تم تحديد نقاط الضعف والقوة في هذه الصلة ، وقد يكون هذا الارتباط واضحاً وسهلاً في التعرف عليه ، كأن يكون العميل قد ارتكب معصية - معلومة بالضرورة لعامة المسلمين - تسببت في المشكلة التي يعاني منها ، أو قد يكون الارتباط غير واضح لدى العميل فعلى الأخصائي أن يساعده على إدراكه وفهمه مثل أن يكون العميل من النوع الذي يعتمد في القيام بأعماله على نفسه فقط أو على الآخرين ولا يعتمد على الله أولاً مما يؤثر على سلوكه ككل وكثيراً ما يوقعه في المشكلات ، وهنا قد يواجه الأخصائي بمقاومة العميل لتقبل فكرة وجود هذا الارتباط ، وتختلف حدة هذه المقاومة تبعاً لما يلي :

١ - درجة إيمان العميل وخوفه من الله ، فكلما زاد إيمانه وخوفه كانت مقاومته أقل .

٢ - درجة مألديه من معرفة وفهم للعقيدة الإسلامية والشريعة (الأوامر والنواهي التي فرضها الله) فيتوقع أن تكون المقاومة أقل كلما كان الفهم أوضح .

٣ - شخصية العميل وسماته خصوصاً درجة اعتداده بنفسه ، فكلما كانت هذه الدرجة عالية كانت المقاومة عالية أيضاً .

٤ - شدة تأثير المشكلة على العميل ، فإذا كانت المشكلة لها تأثير قوي عليه لا يكاد يتحملة ، فقد يستسلم بسهولة وتقل مقاومته بدافع رغبته المسلحة في الوصول إلى حل .

وفى جميع الحالات فإن على الأخصائي أن يتعامل مع الموقف بحكمة ويستخدم أسلوباً متدرجاً ويحرص على توثيق العلاقة المهنية مع العميل قبل الخوض في هذه المهمة ، وقد يكون من المفيد البدء بالخدمات ذات الطبيعة المادية المملوسة ليستشعر العميل نوعاً من الاطمئنان .

وعندما تكون المشكلة متصلة أساساً بنقص في الموارد (مشكلة رقم ٢) أي خلل في الوظائف الوسيطة ، ولا ترجع إلى ضعف صلة العميل بربه ، كأن يكون من الفئة (أ) التي صلتها بالله جيدة ، فإذا كانت بيئة العميل أيضاً من الفئة (أ) ذات الاتجاهات الإيجابية فإن مشكلة العميل قد ترجع إلى نقص في قدراته أو مهاراته ، أو قد ترجع إلى جهله ببعض المصادر البيئية للموارد ، أو قد تكون ابتلاء من الله عز وجل ، أما إذا كانت بيئة العميل من الفئة (ب) أو الفئة (ج) فقد ترجع مشكلة العميل إلى خلل ما في البيئة سببه عدم التزامها بالشريعة الإسلامية ، أو ضعف صلة بعض أفراد بيئة العميل بالله عز وجل ، مثال على

ذلك، المشكلات التي قد تواجه تاجراً صغيراً ملتزماً بطاعة الله ومجتنباً لنواهيه ولكنه في وسط بيئة من التجار يفرضون عليه أساليب من التعامل محرمة أو مكروهة ، فإما أن يوافقهم على هذه الأساليب حتى يحقق ربحاً ، وإما ألا يوافقهم فلا يتعاملون معه ويخسر ، وهنا ربما لا يأتي التدخل في بيئة العميل (الفئة الفاسدة من التجار) بنتيجة سريعة ، فعلى الأخصائي تدعيم مالى العميل من قوة تمسكه بطاعة الله ، ويؤكد لديه بعض الأفكار التي تعينه على الصبر مثل الأمل في رحمة الله وأن الله ينصر من ينصره ، وقد يضطر إلى نصحه بتغيير المكان الذي يعمل فيه ، أو تغيير مهنته .

وفي حالة كون العميل طفلاً أو معوقاً ، يكون تعامل الأخصائي مع الأسرة أمراً ضرورياً ، وقد يكتشف من الدراسة وتقدير الموقف ، أن ضعف صلة الأسرة بالله هي السبب المباشر أو غير المباشر في مشكلة الطفل ، وإذا كانت هناك بعض الدراسات التي قام بها^(١)، أثبتت وجود علاقة بين استخدام الآباء الأسلوب العقابي مع أبنائهم ، وبين علاقات الآباء مع أصدقائهم ، حيث إنه في الأيام التي تضعف فيها صلة الآباء بأصدقائهم يكثر فيها استخدامهم للعقاب^(٢) . فإننا نتوقع وجود علاقة بين صلة الأسرة بربها وبين طريقة تعاملهم مع أبنائهم ، فقد تظهر الدراسات أن الأوقات التي تقوى فيها صلة الآباء بالله عز وجل ، يكون تعاملهم مع الأبناء - ومع غيرهم - على نحو أفضل من تلك الأوقات التي تضعف فيها صلتهم بالله عز وجل .

٢- مساعدة العميل على تصحيح عقيدته وتخليصه من الأفكار الخاطئة أو الانحرافات المتصلة بالعقيدة ، أو مساعدته على تنقية عقيدته من بعض الشوائب التي علقت بها ، وذلك بعد أن يتم تحديدها في عملية تقدير الموقف .

والمعتقدات الفاسدة قد تتعلق بحكم من الأحكام الشرعية أو بمفهوم من المفاهيم - كما سبقت الإشارة إلى بعض المفاهيم التي يسهل على المجتمعات المحلية الجاهلة أن تقع فيها مثل التوكل والعبادة - أو قد يكون التصور العام للكون والحياة غير صحيح لدى العميل أو مشوشاً ، أو قد تكون هناك بعض الأفكار الخاطئة التي ورثها الناس من ييئاتهم ويعتقدون في صحتها ، مثل التفاؤل أو التشاؤم بأشياء معينة، أو الاعتقاد بأن القيام بأعمال معينة سرف يشفى المريض ، كذلك قد تسيطر على العميل بعض الأوهام التي ليس لها أساس من الواقع ، فالهدف من هذه الاستراتيجية هو التدخل لتصحيح الأفكار الخاطئة التي لا تتفق مع التصور الإسلامي ، فقد تكون هي التي تسببت في إحداث المشكلة التي يعاني منها العميل أو قد يكون لها دور معوق في العلاج ، لذلك فإنه بعد القيام بعملية التصحيح ، على العميل أن

(1) Wahier, 1980 .

(2) Gambrell, Eileen, 1987 Behavioral Approach Encyclopedia of Social work 18th ed. Maryland :. National Association of Social Workers, Vol. 1,P186

يعيد النظر في موقفه ، وقد تحل المشكلة بمجرد تصحيح هذه الأفكار واستبدالها بالأفكار السليمة ، وقد يحتاج الأمر إلى خطوات أخرى تأتي في مرحلة تالية .

وربما لا يحتاج العميل خصوصاً الذي من الفئة (أ) - ذو العقيدة السليمة والمهيمنة على قلبه - سوى تقوية وتدعيم مبادئه من أفكار ومعتقدات صحيحة ، وتنميتها كلما أمكن ذلك ، فالمؤمن - كما يقول ابن حجر - وإن كان مصداقاً للحق إلا أن التصديق يزيد بكثرة النظر ووضوح الأدلة ، لهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره^(١) ، وكان الرسول - ﷺ - أتقى الناس لأنه أعلمهم بالله كما ورد في الحديث الشريف : «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»^(٢).

فالعلم بالله درجات وبعض الناس فيه أفضل من بعض ، والعلم بالله يتناول ما بصفاته وما بأحكامه وما يتعلق بذلك ، فهذا هو الإيمان حقاً^(٣) ، فالتعامل إذاً مع العميل - الفرد - الذي صحت عقيدته وهيمن علمه على قلبه ، لن يحتاج سوى التدعيم ، وربما يكون العميل أعلم من الأخصائي فلا يستطيع الأخصائي أن يقدم له شيئاً ، سوى موافقته على آرائه ، وفي ذلك تدعيم للعلاقة بينهما ، ومن يسهل العمل وفق الخطة العلاجية المتفق عليها ، وقد تكون بيئة العميل من الفئة (ب) أو (ج) ذات الطبيعة السلبية أو المتوسطة فتحتاج إلى تصحيح بعض الاعتقادات الفاسدة لديها ، فيجب على الأخصائي أن يتدخل بالأساليب المناسبة خصوصاً إذا كانت هي السبب في المشكلة التي أتى بها العميل من الفئة (أ) ذو العقيدة السليمة ، وهنا سوف يكون العميل نفسه من أهم المصادر التي تستغل للعمل على تصحيح مبادئ البيئة من معتقدات فاسدة ، وفي حالة التعامل مع جماعة أو أسرة من الفئة (أ) فإنه لا بد وأن يكون هناك بعض الاختلافات بين الأعضاء في درجة معرفتهم بالله عز وجل وصفاته حتى لو كانت الجماعة ككل يمكن الحكم عليها بصحة العقيدة ، وهنا يمكن العمل على تنمية الجوانب المعرفية المتصلة بالله عز وجل ، خصوصاً مع جماعات النمو .

ويتطلب من الأخصائي الاجتماعي لكي يقوم بهذه المهمة ، أن يكون ملماً بالمأ كافياً بأشكال الانحرافات العقيدية المهمة الشائعة ، كما قد يتطلب ترمساً في فهم الجوانب الشرعية المتصلة بها وبالرد عليها ، وهذا يقتضى بذل جهد خاص من جانب الأخصائي لإعداد نفسه على الوجه الذي ينمى لديه المهارة في هذا المجال^(٤) ، وبالإضافة إلى ذلك فهو

(١) أحمد بن علي بن حجر ١٩٥٩ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١٣م ، بيروت ، دار للفرقة م ٦٠ ، ٤٦ .

(٢) البخاري ، كتاب الإيمان : ١٣ .

(٣) للرجع السابق ، م ١٠ ، ٧٠ .

(٤) إبراهيم عبد الرحمن رجب ، التوجيه الإسلامي للنخلة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ،

القاهرة ، ١٩٩٢ ، ٧٨ .

فى حاجة إلى معرفة الوسائل التى يستخدمها للقيام بهذه المهمة ، ولقد فصل مقدار يالجن وسائل التربية الاعتقادية أذكر بعضاً منها فيما يلى :

١- التركيز على جوانب العقيدة المؤثرة على السلوك ، مثل بيان الصفات التى تصور الله فى حالة قريبة من الإنسان بحيث يراه ويرعاه ، فبقدر ماتكون صورة العقيدة دقيقة وحية متصلة بحياة المرء من حيث المبدأ والمعاد ، ومن حيث الظاهر والباطن ، ومن حيث إدراك قيمته فى الحياة بقدر مايكون له أثر فال فى سلوكه وأهم الجوانب الإيجابية المؤثرة هى :

أ- الإيمان بالله باعتباره أنه خالق الكون والإنسان ، وأنه خلق من أجل الإنسان كل هذه النعم وسخر له كل هذه الأشياء فى السماء والأرض .

ب- الإيمان بالحياة الآخرة وأنها هى الحياة السعيدة ، وهى لمن اتقى الله وسار فى طريقه .

ج- إن القوانين التشريعية التى أنزلها الله صادرة من إرادة إلهية لتنظيم حياة الإنسان على أكمل وجه ، وإن الطريق المستقيم الذى بينه الله هو طريق الفلاح فى الدنيا والنجاة فى الآخرة ، والاستدلال على ذلك بالحقائق العلمية ، وضرب الأمثلة الحية من واقع حياة الناس وكيف أنهم حينما خرجوا عن ذلك الطريق تعسوا فى حياتهم الفردية والاجتماعية وأصيبوا بالأمراض النفسية والجسمية والاجتماعية .

٢- تكوين الرغبة فى الاعتقاد عن طريق بيان المصلحة الحاصلة للإنسان وراء الاعتقاد السليم ، وإظهار حاجة البشر إلى ذلك الاعتقاد ، ولقد رغب الله تعالى فى الإيمان لما يترتب على ذلك من المصالح والمنافع التى يحققها لهم إذا آمنوا كما فى قوله عز وجل : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ (١) ، ولايكفى إحساس الفرد بمجرد الحاجة إلى ذلك الاعتقاد ليكون اعتقاده قوياً بل يجب أن يحس أنه ضرورى ، وأنه لايمكن أن يحقق ذلك الغرض بدون ذلك الاعتقاد ، وأن يطرد عن ذهنه كل فكرة أخرى تقضى بأنه يمكن أن يحقق بها غرضه دون ذلك الاعتقاد . إن الفكرة الداخلة فى الاعتقاد يجب أن تكون قوية بحيث تطرد الفكرة السابقة ، وتستخدم هذه الوسيلة مع العميل من فئة (ب) اعتقاده صحيح ولكن غير مهيم على قلبه إن ظهر للأخصائى فائدة ذلك ، وتستخدم مع العميل (ج) مضطرب الاعتقاد على وجه الخصوص ، مثال على ذلك : من لايرى فى التعامل الربوى فى وقتنا الحاضر بأساء ، وينفى عنه صفة الربا ، إما لجهله بحقيقة الربا وصفته ، وإما خضوعاً لشهوته فى المال التى تزين له الحرام وتقلبه حلالاً ، فهو فى حاجة إلى تجلية الشبهات التى لديه من جهة ، وتزكية وتطهير نفسه من جهة أخرى ، كما قد يحتاج الأمر إلى إزالة بعض العوائق التى تحول دون رغبة المرء فى

(١) سورة الطلاق آية ١١ .

الاعتقاد ، ومن أهم هذه العوائق : التعصب والعناد ، التكبر ، النظرة المادية الحسية للحقائق التي لا تؤمن إلا بما تري وتحسه في الطبيعة .

٣- استخدام الأدلة البديهية التي تناسب المستويات المختلفة والتي تقوم على سلامة التفكير الفطري ، وذلك مثل الاستدلال على وجود شيء غير مرئي بوجود دلائل مرئية أو حسية ، ومثل : أن إعادة إيجاد الشيء أسهل من إيجاده أول مرة ، وقد تستخدم هذه الوسيلة مع جماعات الأطفال أو العميل - فرداً أو جماعة - الذي يغلب عليه الجهل أو معتق الإسلام حديثاً .

٤- تكوين عاطفة قوية دافعة للسلوك بموجب الإيمان ، ومن أهم هذه العواطف عاطفة الحب وعاطفة الخوف ، إذ أنهما من أكبر الدوافع والحوافز لعمل الخيرات وتنفيذ للمأمورات وترك المنهيات ، وأهم الوسائل لذلك بيان حاجة المرء الدائمة إلى الله على أساس أن الأمور بيده - تعالى - وأن جميع الأرزاق بيده ، وهو الذي يستطيع أن يجعل الإنسان سعيداً أو شقيماً ، وذلك حسب ارتباطه به أو انقطاعه عنه^(١) ، وتستخدم هذه الوسيلة مع العميل من الفئة (ب) الذي لم تتكون لديه عاطفة قوية تدفعه إلى السلوك الذي يتناسب مع عقيدته التي يؤمن بها ، وكذلك مع البيئة مع الفئة (ب) ، وكذلك تستخدم مع العميل من الفئة (ج) ولكن بعد تصحيح عقيدته .

ومن أهم الوسائل التي يجب أن يرشد إليها الأشخاص هي قراءة القرآن الكريم وتدبره ، ويمكن أن يوجه العميل إلى قراءة الآيات التي تتصل بما لديه من شبهة أو فساد في الاعتقاد بالنسبة لأي أمر ، فكما قال الحق تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) ، ويعنى حل ثناؤه بالوعظة : القرآن وهو دواء لما في الصدور من الجهل ، يشفى به الله جهل الجهال فيبرئ داءهم ويهدي به من خلقه من أراد هدايته به^(٣) .

ويقول ابن القيم "إن لمعرفة الله سبحانه بابين واسعين : باب التفكير والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورسوله ، والباب الثاني التفكير في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه"^(٤) .

٣- معاونة العميل على تحقيق أكبر قدر ممكن من تزكيتة لنفسه ، وتستخدم هذه الاستراتيجية مع معظم العملاء من جميع الفئات ، نظراً لأنه لا يخلو أحد من عيب ، ولا

(١) مقلاد يالغن جراتب التزية الإسلامية الأساسية، ط بيروت مؤسسة دار الريثاني للطباعة والنشر، ١٩٨٦، ١٥-١٧٢ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٥٧ .

(٣) أبو جعفر محمد الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٣٠م بيروت ، دار للفرقة ، ١٩٩٢، ج ١١ ، ٨٦ .

(٤) ابن القيم : الفرق ، ط ٣ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ ، ١٧٠ .

يوجد من هو في غنى عن تطهير نفسه وتركيتها ، فتزكية النفس عملية ضرورية لا بد لكل فرد القيام بها إذا أراد لنفسه الفلاح ، كما قال عز وجل : ﴿لَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(١) ، وإن كانت عملية التدخل تركز على المشكلة - التي ربما لاتستدعى استخدام هذه الاستراتيجية - إلا أن تحقيق الهدف التنموي من الممارسة يجب ألا يغفل عنه ، فتنمية ذات العميل عن طريق استخدام عملية التزكية ، يجب إعطاؤها الاهتمام الذي قد يختلف مقداره باختلاف حالة العميل .

ولقد أعطى محمد البوطى تزكية النفس أهمية كبيرة في بناء المجتمع الإسلامي ، واعتبرها الأساس الذي يعتمد عليه هذا البناء بعد العقيدة الإسلامية الراسخة^(٢) .

كما ذكر في موضع آخر أن تزكية النفس هي الشرط الأساسي لتحمل الإنسان مسؤولياته الحضارية بصدق ، فبمقدار ماتزكى النفس وتصفو من كدورات الأهواء ، يخلص صاحبها في تحمل كل مايجب أن يتحمله في سبيل بنى جنسه من المهام والواجبات المختلفة^(٣) أى بمعنى آخر يكون أقدر على إحسان قيامه بوظيفة الخلافة على الأرض .

وقد اعتبر على الدين محمد أساليب تزكية النفس من أساليب العون النفسى في علاج مشكلات العلاقات الزوجية ، واعتمد في عرضه على مفهوم : التخلية والتحية ، أى إبدال الحرام بالحلال والشر بالخير والرديلة بالفضيلة والضرار بالنافع ، فيساعد الأخصائى الاجتماعى العميل على تخلية نفسه من الجوانب السلبية التي أدت لحدوث المشكلة ثم تخلية هذه النفس بالجوانب الإيجابية المحمودة^(٤) .

ولقيام الأخصائى الاجتماعى بمساعدة العميل على تزكية نفسه لابد له أن يفهم أولاً ماهو المقصود بالتزكية بالتحديد ، وماهى أساليبها ، وكيف تتم هذه العملية ، وفيما يلى استعراض سريع لهذه الجوانب :

أولاً : مفهوم التزكية :

ورد هذا المفهوم في كثير من آيات القرآن الكريم ، ولقد أجمع المفسرون على أن معناها التطهير، وهي مشتقة من الزكاة وهي النماء^(٥)، وذلك لأن في أصل خلقة النفوس

(١) سورة الشمس الآيتان : ١٠، ٩ .

(٢) محمد سعيد رمضان البوطى، على طريق العودة إلى الإسلام - رسم للنهجا وحل للمشكلات ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣، ٢٠٧ .

(٣) محمد البوطى ، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٢، ٢٥ .

(٤) على الدين السيد محمد : نموذج إسلامي للمعونة النفسية كأسلوب علاجي مقارناً باتجاه سيكولوجية الذات في خدمة الفرد ، رسالة دكتوراه ، كلية آداب سوهاج ، جامعة أسيوط ، ١٩٨١، ٣١١ .

(٥) أبو جعفر محمد الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٣٠م ، بيروت ، دار للفرقة ، ١٩٨٩ ، ج ٤٣٦ .

كبريات وطهارات ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾^(١) تعترضها أرجاس ناشئة عن ضلال أو تضليل ، فتهذيب النفوس وتقويمها يزيد بها من ذلك الخير المودع فيها ، وفي الإرشاد إلى الصلاح والكمال نماء لما أودع الله في النفوس من الخير في الفطرة^(٢) ، فالتزكية إذا هي تطهير باطن الإنسان من كدورات النفس أي عيوبها وصفاتها المذمومة ، والتزكية نماء للصفات الحسنة والأخلاق الحميدة وهو ما يشار إليه بالتحلية ، كما يقول الرازي في تفسيره : "إن كمال حال الإنسان في أمرين أحدهما أن يعرف الحق لذاته ، والثاني أن يعرف الخير لأجل العمل به ، فإن أحل بشيء من هذين الأمرين لم يكن طاهراً من الرذائل والنواقص ، ولم يكن زكياً عنها"^(٣) ، فالتزكية لها جانبان أحدهما معرفي والآخر سلوكي .

ثانيا : وسائل التزكية :

يقول عز من قائل ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾^(٤) ، يقول الرازي في تفسير هذه الآية إن الرسول - ﷺ - لا قدرة له على التصرف في بواطن المكلفين ، وهو لا يفعل سوى التلاوة ، وتعليم الكتاب والحكمة ، فيكون ذلك كالسبب لطهارتهم ، فالتزكية إذا لا تتم إلا بتعليم الكتاب والحكمة ، ثم بالترغيب الشديد في العمل ، الترهيب عن الإخلال بالعمل^(٥) . كما جاء في الحديث الشريف : عن الرسول - ﷺ - : «أنه قال ليلة حين فرغ من صلاته اللهم إني أسلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي ، وتجمع بها أمري ، وتلم بها شعبي ، وتصلح بها غائبى ، وترفع بها شاهدي ، وتزكى بها عملى»^(٦) . كما جاء في حديث آخر : «صلوا علي فإنها زكاة لكم»^(٧) .

مما سبق يتبين أن وسائل التزكية هي :

١- تعلم كتاب الله .

٢- الرغبة في العمل الصالح والرغبة والخوف من الإخلال به .

(١) سورة التين : الآية ٤ .

(٢) محمد الطاهر بن عاشور : ، تفسير التحرير والتنوير ، ١٥م ، تونس ، دار التونسية ، ١٩٨٤ ، ج ٢ : ٤٩ .

(٣) محمد الرزاي : تفسير الفخر الرازي ، ١٦م ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٥ ، ج ٤ : ٧٤ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٢٩ .

(٥) محمد الرازي : ١٩٨٥ ، تفسير الفخر الرازي ، ١٦م ، بيروت ، دار الفكر ، ج ٤ / ٧٤ .

(٦) الترمذى : الدعوات : ٣٠ .

(٧) ابن سبيل : ٢ : ٢٦٥ .

٣- طلب الرحمة من الله عز وجل ، مع القيام بموجبات هذه الرحمة وهي طاعة الله وتقواه .

٤- الصلاة على رسول الله - ﷺ -

كما ذكر ابن تيمية عدة وسائل لتزكية القلب هي :

١- الصدقة لما كانت تطفى الخطيئة صار القلب يزكو بها .

٢- ترك الفواحش وترك المعاصي .

٣- التوحيد ، حيث فسر قوله تعالى : ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾

وهي التوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب ، فإنه يتضمن نفى ألوهية ماسوى الحق ، وإثبات ألوهية الحق فى القلب وهو حقيقة لا إله إلا الله ، وهذا أصل ما تزكو به القلوب .

٤- العدل : فصحة القلب وصلاحه فى العدل ومرضه من الزيغ والظلم والانحراف^(١) . ويرى على الدين محمد أن تزكية النفس كأسلوب علاجى يعتمد على تعميق الإيمان ، كما أشار إلى مجموعة من القيم العلاجية التي على الأخصائى تدعيمها لدى العميل : منها ، ذكر الله ، الصبر ، العمل الصالح ، محاسبة النفس^(٢) .

ويمكن القول أن تزكية النفس تتم عن طريق مجاهدة الإنسان لنفسه ، ولقد رتب ابن حجر جهاد النفس إلى أربع مراتب هي :

١- حملها على تعلم أمور الدين .

٢- ثم حملها على العمل بذلك .

٣- ثم حملها على تعليم من لا يعلم .

٤- ثم الدعاء إلى توحيد الله وقتال من خالف دينه ، وجحد نعمه^(٣) .

ولكن كيف تحدث التزكية ؟ يمكن أن تتعرف على ذلك من خلال النظر إلى التزكية كعملية (Process) لها خطوات ، فيما يلي ذكرها :

خطوات عملية التزكية :

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿لَذِكْرُ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ، سِيْلَ ذِكْرٍ مِنْ يَخْشَى﴾ و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(٤) .

(١) ابن تيمية ، ١٠م : ٩٦-٩٩ .

(٢) على الدين السيد محمد : ١٩٨١ ، نموذج إسلامى للمعونة النفسية كأسلوب علاجى مقارناً بأعمال سيكولوجية الذات فى خدمة الفرد ، رسالة دكتوراه ، كلية آداب سوهاج ، جامعة أسيوط : ٣١٤-٣٢٣ .

(٣) أحمد بن على بن حجر : ١٩٥٩ ، فتح البارى شرح صحيح البخارى ، ١٣م ، بيروت ، دار للعروة ، ٣٣٨ : ١١ .

(٤) سورة الأعلى : الآيات ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ .

يفسر ابن عاشور هذه الآيات بقوله : إن المراد بـ : "من تزكى" هنا هو عين المراد بـ "من يخشى ويذكر" ، ولقد عرف هنا بأنه الذى ذكر اسم ربه ، ومعنى تزكى ؛ أي بذل استطاعته في تطهير نفسه وتزكيتها ، وأصل ذلك هو التوحيد والاستعداد للأعمال الصالحة التي جاء بها الإسلام، وقدم التزكي على ذكر الله والصلاة لأنه أصل العمل بذاك كله ، فإنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية ، فعملت بما ينفعها وأكثر من الإقبال عليه ، فالتزكية ؛ الارتياض على قبول الخير ، والمراد تزكى بالإيمان .

وقد رتب هذه الخصال الثلاث في الآية على ترتيب تولدها ، أي أن خطوات التزكية هي :

١- إزالة الخبائث النفسية من عقائد باطلة وحديث النفس بالمضمرات الفاسدة، وهو المشار إليه بقوله "تزكى" .

٢- ثم استحضار معرفة الله بصفات كماله وحكمته ، ليخافه ويرجوه وهو المشار بقوله : وذكر اسم ربه .

٣- ثم الإقبال على طاعته وعبادته ، وهو المشار إليه بقوله "فصلى" والصلاة تشير إلى العبادة فهي في ذاتها طاعة وامثال ، يأتي بعده ما يشرع من الأعمال ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى الْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (١) .

وعلى هذا الأساس من الفهم لعملية التزكية يمكن للأخصائي أن يساعد العميل على تزكية نفسه ، وقد يحتاج الأخصائي إلى تعميق فهمه وزيادة معارفه حول هذا الموضوع ، بأن يرجع إلى المصادر الإسلامية في ذلك .

وعلى الأخصائي أن يأخذ في اعتباره عدة أمور تسهل عليه وعلى العميل القيام بهذه المهمة وهي :

١- أن يتدأ بإثارة مشاعر عدم الرضا عن النفس لدى العميل ، والإيمان بوصف النفس أنها أمانة بالسوء كما أخبرنا خالقها ، كما يجب أن يعلم أن النفس تدعو إلى اللذات المفضية بصاحبها إلى الوقوع في الحرام الذي يسنخه الرب ، والشيطان هو المعين لها على ذلك ويزينه لها .

٢- توجيه العميل إلى التدرج في المجاهدة ، بتطهير النفس أولاً من المعاصي المتعلقة بالجوارح (اللسان ، الأذنان ، العينان ، اليدين ، الرجلان ، البطن ، الفرج) .
ثم تحلية هذه الجوارح بالطاعات المناسبة لكل منها (٢) .

(١) محمد الطاهر بن عاشور : ١٩٨٤ ، تفسير التحرير والتوير ، ١٥م ، تونس ، الدار التونسية ، ج ٣ : ٢٨٧-٢٨٨ .

(٢) يمكن الرجوع إلى الغزالي في إحياء علوم الدين ، الجزء الثالث ، به تفصيل عن رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، وكذلك "تزكية النفوس وتربيتها" لمجموعة من علماء السلف . تحقيق ساجد بن أبي الليل ، جمع وترتيب الدكتور أحمد فريد ، بيروت ، دار القلم .

٣- الانتقال إلى مجاهدة الصفات الباطنة كالكبر والرياء ، والغضب ، ويدها بصفات حسنة كالتواضع والإخلاص ، والحلم .

٤- مساعدة العميل على تحسين مستوى أدائه الكلى ، لقد تبين لنا شمولية مفهوم "الأداء الكلى" مقارنة بمفهوم "الأداء الاجتماعى" ، حيث إنه يشمل أداء الفرد لواجباته تجاه ربه ، بالإضافة إلى واجباته تجاه نفسه وتجاه غيره ، وأن الأداء الاجتماعى لا يتحقق إلا من خلال قيام الفرد بواجباته تجاه ربه التى تتمثل فى طاعته لما أمر به واجتنابه لما نهى عنه ، وعليه فإن إيجاد صلة قوية ودائمة بين الفرد وربّه هو القاعدة الرئيسة التى يقوم عليها أداءه الاجتماعى وأدائه الكلى ، هذه الصلة التى توجه الفرد إلى الرجوع إلى الله فى كل وقت ، وعند قيامه بأى عمل وعند تعرضه لأي أمر من الأمور فإنه يرجع إلى الله وإلى شرعه ليحكمه ، ويسلم أمره إليه فى كل شىء راضياً وواقعاً فى عدله وإحسانه ، فكيف نكون هذه الصلة ؟ وكيف نحافظ على استمرارها ؟ وكيف نتميّها ونزيدها قوة ؟

لاشك أن تكوين هذه الصلة هو مهمة التنشئة الاجتماعية فى الإطار الإسلامى فى المقام الأول ، والمحافظة على استمرارها وتميّمها هى أيضاً مهمة التربية بالاشتراك مع العديد من المهن الإنسانية الأخرى ، ومحور اهتمام الخدمة الاجتماعية فى المجتمع المسلم هو مساعدة الناس على أن يقوموا بأدائهم الكلى - المشتغل على الأداء الاجتماعى - بأفضل صورة ممكنة ، ونظراً لأن ما كتب فى الخدمة الاجتماعية من المنظور الغربى يدور حول مساعدة الناس على أداء وظائفهم الاجتماعية ، فإنه سيقصر الحديث هنا عن صلة الإنسان بربه التى تكمل النقص فى أدبيات الخدمة الاجتماعية ، وتعطى معنى له . فما هى وسيلتنا للاتصال بالله سبحانه وتعالى ؟

كما يقول محمد قطب إن الروح هى وسيلتنا إلى ذلك ، تلك الطاقة المجهولة التى لا تعرف كنهها ولا طريقة عملها ، ولكنها - أى الطاقة الروحية - هى أكثر طاقات الإنسان وأعظمها ، وأشدّها اتصالاً بحقائق الوجود^(١) .

فكيف نربى الروح حتى تكون صلتنا بالله صلة سليمة ودائمة تحقق لنا طيب العيش فى هذه الدنيا والفوز بالآخرة ؟

يختلف رجال التربية فى طرق عرضهم لهذا الموضوع ، ولكن المضمون العام لا خلاف عليه ، فمنهم من يركز على الشعائر التعبدية ، وتركيز النفس (مثل مقدار يالجن) ، ومنهم من اهتم بجميع أبعاد العبودية لله (مثل ماجد الكيلانى) أما مقدار يالجن فيحدد وسائل أو جوانب التربية الروحية كما يلي :

(١) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، ج ١ ، ط ٦ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ٤٠-٤١ .

- ١- تنشئة الأفراد على عبادة الله منذ المراحل الأولى .
 - ٢- تزكية النفس وتطهيرها من الرذائل والنيات السيئة .
 - ٣- تحلية النفس بالفضائل الأخلاقية المختلفة .
 - ٤- ممارسة الرياضة الروحية بأساليبها في ميادينها .
 - ٥- تكوين شعور لدى الفرد بأنه بحاجة إلى الله باستمرار .
 - ٦- التدريب على ذكر الله بالأسلوب التربوي .
 - ٧- تكوين الوعي الكامل بأهمية وضرورة الحياة الروحية .
- كما اهتم ماجد الكيلاني بتكامل مفهوم العبودية لله ، وهي صفة العلاقة بين الإنسان ، وربه ، فلتقوية هذه العلاقة لابد من الاهتمام بجميع جوانب أو مظاهر العبادة وهي المظهر الديني ، والمظهر الاجتماعي ، والمظهر الكوني^(١) .
- وبهذا نرى كيف أن علاقة الإنسان بربه تنطلق منها علاقته بالآخرين وعلاقته بالبيئة المحيطة (بالكون) .
- كما يرى محمد قطب (١٩٨٢ : ٤٣-٤٤) أن وسائل عقد الصلة الدائمة بين الإنسان وربه هي :
- ١- إثارة حساسية القلب بيد الله المبدعة في الكون ، لتحس دائماً بوجود الله وقدرته المطلقة .
 - ٢- إثارة حساسية القلب برقابة الله الدائمة عليه .
 - ٣- إثارة وجدان التقوى والخشية الدائمة لله .
 - ٤- إثارة عاطفة الحب لله ، والتطلع الدائم إلى رضاه .
 - ٥- بعث الطمأنينة في القلب إلى الله في السراء والضراء وتقبل قدره بالتسليم والرضا .
- واعتقد أن التركيز على تكامل صور العبودية لله يجب أن تكون السمة التي تميز ممارسة الخدمة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية ، عنها في المجتمعات الأخرى ، كذلك فهي السمة التي تميز مهن الخدمة الاجتماعية عن مهن المساعدة الإنسانية الأخرى ، لذلك فإنه قد يكون من المفيد أخذنا في الاعتبار تفاعل القوى المختلفة في الإنسان (الروحية ، والعقلية ، والنفسية ، والجسمية) ولقد أخذ الغزالي بنظرية العلاقة الدائرية بين الروح والجسم التي توضح تأثير الصفات الروحية - سواء طيبة أو خبيثة - على الجسم ، حيث تدفعه إلى القيام

(١) ماجد عرسان الكيلاني : فلسفة لتربية الإسلامية ، ط ٢ ، مكة المكرمة ، مكتبة هادي ١٩٨٨ ، ٨٥-٨٦ .

بالأعمال المناسبة لهذه الصفات ، وهذه الأعمال تؤدي إلى وجود الصفة وتقويتها في الروح، وهذه الصفة للروح تستتفر الجسم مرة أخرى لكي يكرر نفس الأعمال ، وهكذا .

وعليه ، فإن الأخصائي الاجتماعي إذا وجه العميل إلى أفعال معينة أو الأعمال الصالحة فإنه من المتوقع أن تترك أثرها على الروح فتتصف بالصفة الصالحة التي يحملها العمل ، وبالتالي يتحقق النمو الروحي للعميل ، وتقوى صلته بالله عز وجل ، ويقول ابن تيمية في نفس المعنى : "العمل له أثر على القلب من نفع وضرر" ، ثم يؤكد قول بعض السلف: إن للحسنة نوراً في القلب وقوة في البدن ، وضياء في الوجه ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة لظلمة في القلب وسواداً في الوجه ، وهما في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضا في قلوب الخلق^(١) .

٥- مساعدة العميل على تنمية قدرته على فهم نفسه وفهم الآخرين والبيئة المحيطة به من خلال صلة كل منهم بالله ، فيزن أعماله وأقواله ، وأفكاره ومشاعره بميزان من تقوى الله ، فيعرف الخبيث من الطيب ، حتى يستطيع - بفضل الله - أن يمحو أو يقلل من الخبيث ، وينمي ما هو طيب ، وكذلك بالنسبة للآخرين ، وبهذا يكون الأخصائي قد ساعده على أن يساعد نفسه بنفسه ، وأن يقوى من صلته بالله عز وجل ، مما يجعله أقدر على مواجهة أية صعوبات أو مشكلات تعترضه .

كما على الأخصائي أن يساعد العميل على أن ينظر إلى تعامله مع الآخرين على أنه عامل مع الله عز وجل ، حتى يتصف تعامله بالإيجابية من جانب ، وبالقبول والتسليم من جانب آخر ، ويمكن للأخصائي أن يساعد العميل في فهم السلوك المتوقع من الأفراد في بيئته المحيطة ، حسب نوع صلتهم بالله .

ولقد أشارت كومتين في كتابها المشترك مع جلوي إلى عدد من التكتيكات المفيدة التي يمكن للأخصائي الاجتماعي أن يستخدمها ليصل بالعميل إلى فهم نفسه (سلوكه ، أفكاره ، مشاعره) ، وكذلك إلى فهم البيئة المحيطة به^(٢) ، منها إعادة ما يقوله العميل بصياغة جديدة وألفاظ مختلفة (Paraphrasing) - توضيح وإظهار المعاني والمشاعر التي تركها العميل غير مترابطة (Clarifying and Reflecting) - التأكد من صحة إدراك العميل وفهمه والتركيز على الأفكار والمشاعر حتى لا يختلط الأمر عند العميل (Checking Perception and Focusing - التلخيص والتفسير (Summarizing and Interpreting)

(١) أحمد ابن تيمية: ١٩٦١ - مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ٣٦ ، الرياض ، مطابع الرياض ، م ١٠ : ٩٨ .

(2) Compton and Galaway, 1989: 557-561 Social Work Processes, 4th ed. Belmont California

: Wodsworth Publishing Company., P557-561 .

- الإخبار أو التبليغ (Informing) ويشمل إعطاء المعلومات ، والتوضيح والاقتراحات -
المواجهة (Confrontation) .

٦- تقديم العون النفسى : المعونة النفسية هي وسيلة لتخفيف حدة المشاعر المصاحبة للمشكلة أو إزالتها ، مثل مشاعر القلق أو الذنب أو الغضب التي نشأت نتيجة المشكلة فأفقدت - مؤقتاً - قدرات الذات على التماسك والاستقرار^(١).

أما فاطمة الحارونى فلقد اعتبرت تقوية ذات العميل هو الهدف الأصيل للعلاج الشخصى، وتم تقوية ذات العميل عن طريق تقديم العون النفسى الاجتماعى ، وهو إعانة العميل على الخروج من دائرة الضغط النفسى المرتفع ، وذلك بتقليل المشاعر السلبية وتخفيف الآلام النفسية كالشعور بالنقص والفشل والضيق والتوتر والخاوف المختلفة ، وتقوية المشاعر والاتجاهات الإيجابية كالثقة بالنفس والتفوق والأمل الذى يدفع إلى النشاط الاجتماعى المرغوب^(٢) .

ولقد تناول كل من عبد الفتاح عثمان وفاطمة الحارونى - شرح الأدوات أو الأساليب التى يستخدمها الأخصائى الاجتماعى لتقديم العون النفسى ، منها : العلاقة المهنية، التنفيس الوجدانى ، التأكيد ، النصيح .

وتشير لويز جونسن إلى مفهوم التدعيم (Support) الذى يمكن أن نعتبره نوعاً من أنواع العون النفسى ، حيث ذكرت تعريف جوديث نيلسون (١٩٨٠) للإجراءات التدعيمية باعتبارها تلك الإجراءات التى تعمل على مساعدة العميل على أن يشعر أنه أصبح فى حالة أفضل ، وأقوى أو أن يشعر بأنه أكثر راحة من قبل (Feel Better Stronger, or more Comfortabl) وتقول لويز جونسن أنه على الرغم من أن الأخصائى الاجتماعى لا يخلو عمله من استخدام وسائل التدعيم، إلا أن أدبيات الخدمة الاجتماعية لم تتناوله إلا قليلاً ، خصوصاً فيما يتعلق بطبيعة التدعيم، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن تطبيقات التدعيم واستخداماته تعتمد على حكمة الممارسة (Practice Wisdom) ومعروف فى تاريخ الخدمة الاجتماعية ، أن التدعيم كان يستخدم مع الحالات المزمنة فقط (الميتوس من علاجها)، وكان ينظر إليه على أنه لا يستحق أن يأخذ من وقت الأخصائى الاجتماعى سوى القليل ، ولكن النظرة المعاصرة للتدعيم تغيرت ، فأصبح ينظر إليه كوظيفة مقبولة ، حيث

(١) عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد فى المجتمع التامى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠، ص ٢٦٥.

(٢) فاطمة مصطفى الحارونى : خدمة الفرد فى محيط الخدمات الاجتماعية ، ط ٧ ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٧٧ : ٣٨٠-

يستخدم لمساعدة العميل على أن يكافح بنجاح (To Cope With) المواقف الصعبة التي يواجهها ، ومن خلال ذلك يحدث النمر في شخصيته^(١) .

وبتدبر آيات القرآن الكريم ، يمكن استنباط بعض الأساليب النفسية التي استخدمها الله عز وجل (وله المثل الأعلى) مع أنبيائه ، أو مع من أوحى إليهم ، وفيما يلي إشارة موجزة عن بعض هذه الأساليب .

١- التثبيت : قال تعالى : ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَثَبَتْ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(٢) ، والتثبيت حقيقة التسكين في المكان بحيث ينقي الاضطراب ، والتزلزل ، وتثبيت فؤاد الرسول - ﷺ - زيادة يقينه ومعلوماته بما وعده الله لأن كل ما يعاد ذكره من قصص الأنبياء وأحوال أمهم معهم يزيده تذكراً وعلماً بأن حاله جار على سنن الأنبياء . وازداد تذكره بأن عاقبته النصر على أعدائه ، وتجدد تسليته على ما يلقاه من التكذيب ، وذلك يزيده صبراً ، والصبر تثبيت الفؤاد^(٣) .

كما جاء في تفسير الآية الكريمة : ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾^(٤) ، إن التثبيت هو جعل الشيء ثابتاً ويستعار الثبات لليقين وللطمأنينة بحصول الخير لصاحبه كما جاء في قوله تعالى : ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾ وتثبيت الفؤاد يقتضى كل ما به خير النفس^(٥) .

ومن تثبيت قلوب المؤمنين قال تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِنُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٦) ، أي تثبيت لقلوبهم بصحة اليقين^(٧) ، كما ورد في الأحاديث أن الرسول - ﷺ - قد دعا ربه أن يثبت قلبه على دينه^(٨) .

٢- الربط على القلب : كما جاء في قوله عز وجل : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٩) ، والربط على القلب هو توثيقه عن أن يضعف كما يشد العضو الوهن ، أي ربطنا على قلبها بخلق الصبر فيه ، والمراد بالمؤمنين المصدقون بوعد الله ، أي لولا أن ذكرناها ما وعدناها فاطمأن

(1) Johnson Louise 1989 Social Work Practice; A Generalist Approach, 3d ed. Boston, Allyn and Bacon., PP 333-335.

(٢) سورة هود : الآية ١٢٠ .

(٣) محمد الطاهر بن عاشور ، ١٩٨٤ . تفسير التحرير والتوير ، ١٥ م ، تونس ، دار التونسية ، ج ١٢ : ٩١٩١ .

(٤) سورة الفرقان : الآية ٣٢ .

(٥) محمد الطاهر بن عاشور ، ١٩٨٤ ، تفسير التحرير والتوير ، ١٥ م تونس ، دار التونسية ، ج ١٨ : ١٩ .

(٦) سورة النحل : ١٠٢ .

(٧) محمد الطاهر بن عاشور ، ١٩٨٤ ، تفسير التحرير والتوير ، ١٥ م ، تونس ، دار التونسية ، ج ١٤ ، ٣٨٤ .

(٨) الترمذى ، قنبر ، ٧ ، ابن ماجه ، مقلدة ، ١٣ .

(٩) سورة القصص : الآية ١٠ .

فؤادها^(١). يتبين من المعنى الظاهر أن الربط على القلب والتثبيت أسلوبان متماثلان إلا أن الله عز وجل قد استعمل التثبيت مع المؤمنين بشكل عام عن طريق زيادة اليقين ، فهو أسلوب يستخدم في حالات الضعف والحالات العادية ، أما الربط على القلب فقد استعمله الله تعالى في حالات الضعف الناتجة عن تعرض صاحبها لحدث معين أو ابتلاء من الله ، فقد ربط سبحانه على قلب أم موسى عندما أوحى إليها أن ترمي بولدها في اليم ، كما ربط على قلوب أصحاب الكهف ، كما في الآية الرابعة عشر من سورة الكهف ، حيث كانوا في موقف صعب يحتاجون فيه إلى معونة الله عز وجل ، حتى يحميهم من قومهم الكافرين ، ولقد ربط الله على قلوبهم ، أي ثبت الإيمان به ، لأنهم أصلاً آمنوا وخالفوا قومهم .

٣- شد العضد : في دعاء سيدنا موسى لربه قال : ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي ، اشدد به أزري﴾^(٢) ، فاستجاب له ربه : ﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾^(٣) ، والشد هو الإمساك بقوة والربط ، والأزر أصله الظهر ، وأطلق اسمه على القوة ، وقيل أزره إذا أعانه وقواه ، ولقد جعل الأخ في هذه الآية بمنزلة الرباط الذي يشد به ، والمراد أنه يؤيده بفصاحته^(٤) . فهذا أسلوب من أساليب العون ، وهو الاستعانة بمن يثق به العميل ، ومن لديه من الموارد والقدرات ما ليس لدى العميل ، وهذا من شأنه أن يدخل الاطمئنان في النفس .

٤- التذكير بالنعم : كما جاء في سورة الضحى : ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى﴾^(٥) .

المقصود بهذا المن من النعم على الرسول - ﷺ - هو تقوية قلبه واطمئنان نفسه ووعده بدوام النعم ، وكأنه يقول : مالك تقطع منى رجاءك ألست شرعت في تربيتك ، أتظنتني تاركاً لما صنعت بل لا بد وأن أتم عليك وعلى أمتك النعمة^(٦) .

فالتذكير بالنعم يبعث الرجاء ويزيد الأمل في استمرار عطاء الله ، ويمكن استخدام هذا الأسلوب مع العميل فيذكره الأنصائي بالنعم التي منحها الله له - نعم عامة وخاصة - وقياساً إلى ماسبق فإن الله لن يخيبه إذا تمسك بطاعته وجاهد وصبر .

(١) محمد الطاهر بن عاشور ، ١٩٨٤ ، تفسير التحرير والتوير ، ١٥٠ ، تونس ، دار التونسية ، ج ٢٠ : ٨٢ .

(٢) سورة طه : الآيات ٢٩-٣١ .

(٣) سورة القصص : الآية ٣٥ .

(٤) محمد الطاهر بن عاشور ، ١٩٨٤ . تفسير التحرير والتوير ، ١٥٠ ، تونس ، دار التونسية ، ج ١٦ : ٢١٣ ، ج ٢٠ : ١١٧ .

(٥) سورة الضحى : الآيات ٦ : ٨ .

(٦) محمد الرازي : ١٩٨٥ ، تفسير الفخر الرازي ، ١٦٠ ، بيروت ، دار الفكر ، ج ٣٠ ، ٣١٥ .

هذا ولقد سبقت الإشارة إلى أهمية التوازن أو الاعتدال بين مشاعر الخوف، والرجاء حتى يكون الفرد في صحة نفسية جيدة، ومن خلال مايقوم به الأخصائي من دراسة لشخصية العميل، يمكن له الوقوف على درجة الخوف والرجاء لدى العميل، كي يستخدم الأسلوب المناسب الذي يساعد على إيجاد التوازن بينهما، والترغيب والترهيب من الأساليب التربوية المعروفة، ويستطيع الأخصائي أن يستخدم الترغيب لمن هو في حاجة إلى زيادة درجة الرجاء، وأسلوب الترغيب لزيادة درجة الخوف، ولقد ورد عن الرسول - ﷺ - قوله: «فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»^(١)، ويقول ابن حجر في شرح الحديث: «من علم أن من صفات الله تعالى الرحمة لمن أراد أن يرحمه والانتقام ممن أراد أن ينتقم منه، لا يأمن انتقامه من يرجو رحمته، ولا يئس من رحمته من يخاف انتقامه، وذلك باعث على بخانية السيئة ولو كانت صغيرة، وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة، ولقد سبقت كلمة الكافر - مع أن الجنة لم تخلق له - لترغيب المؤمن في سعة رحمة الله التي لو علمها الكافر الذي كتب عليه أنه يختم عليه أنه لا حظ له في الرحمة لتطاول إليها ولم يئس منها: وإذا كان هذا حال الكافر فكيف لا يطمع فيها المؤمن الذي هداه الله للإيمان؟»^(٢).

وعلى هدى هذه المعاني يمكن للأخصائي - بفضل الله - أن يعاون العميل حسب حالته حتى يصل إلى التوازن بين الخوف والرجاء.

هذا بالإضافة إلى مساعدة العميل على السيطرة على الانفعالات ذات الأثر الضار، مثل الغضب، الكره، الحسد، الكبر، الحزن، وهناك توجيهات قرآنية ونبوية فصلها محمد نجاتي في كتابه، ومن المفيد جداً أن يعرفها الأخصائي، وتكون جزءاً من الأساس المعرفي لديه^(٣)، كما شرع الغزالي في الإحياء كيفية علاج الغضب والحقد والحسد^(٤)، وعلاج الكبر^(٥).

٧- مساعدة العميل على معرفة الموارد المتاحة، وكيفية استخدامها: لقد تناولت مراجع الخدمة الاجتماعية هذه المهمة بالتفصيل، وغالباً ما نقسم هذه الموارد إلى موارد ذاتية،

(١) البخاري، كتاب الرقاق: ١٩.

(٢) أحمد بن علي بن حجر، ١٩٥٩، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣م، بيروت، دار للفرقة، ١١م: ٣٠٢.

(٣) محمد عثمان نجاتي، ١٩٨٧: الحديث النبوي وعلم النفس، ط١، القاهرة، دار الشروق، ١٠٥-١١٤، ١٩٨٩:

١١٦-١٢٩.

(٤) للرجع السابق، ٣م: ١٤٣-١٧٠.

(٥) للرجع السابق، ٣م: ٣٠٨-٣٨٨.

وأخرى ييشية^(١) ، وما يهم عرضه هنا هو ما يتميز به المنظور الإسلامى للممارسة ، فمن الموارد الذاتية التى أغفلها المنظور التقليدى للمهنة الطاقة الروحية لدى الإنسان ، وقوة إيمانه بالله وبما جاء به فى كتابه الكريم ، وكذلك كل ما جاء فى السنة المطهرة ، كما أن القرآن الكريم والسنة المطهرة يعتبران فى حد ذاتهما مصدرين مهمين يعتمد عليهما فى توجيه العميل لفهم نفسه ولفهم مشكلته ، ويعتبر ما جاء بهما مثل الضوء الذى ينير طريق الأخصائى والعميل فى عملية تقدير الموقف ، وعملية التدخل .

كذلك يركز المنظور الإسلامى للممارسة على استخدام علاقات القرابة والرحم ، والجيرة ، والأخوة الإيمانية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ، ولعل المحور الإيمانى ، والعمل على طاعة الله وكسب رضاه ، هو الذى يفرق بين الاتجاه الإسلامى والاتجاه الغربى الحديث الذى ينادى باستخدام شبكة العلاقات الطبيعية (Natural Support Networks) ليس من منطلق أنه واجب دينى حث الله عليه ، ولكن من منطلق الواجب الاجتماعى والأخلاقي لذلك فإنه لا يمثل قوة ذات فعالية كبيرة ، ولكن يمكن أن نستفيد من الأساليب المناسبة التى يتبعونها لإحداث التكامل بين الموارد الطبيعية والموارد المؤسسية ، ولقد عالج هذا الموضوع ويتكر وجاربارينو فى كتاب لهما^(٢) .

كما أن الإسلام قد وسع دائرة العلاقات التى يمكن الاستفادة منها ، فجميع المؤمنين إخوة ، وإن اختلفت ديارهم وبلادهم وأجناسهم ، ولقد سبقت الإشارة فى فصل الرعاية الاجتماعية إلى أهمية التكامل الاقتصادى والاجتماعى بين المجتمعات الإسلامية ، وقد يوجه الأخصائى العميل إلى الهجرة لبلد آخر فى حالة وجود العميل فى بيئة تشكل تهديداً لدينه أو نفسه أو ماله أو عرضه ، فتصبح الهجرة لازمة لحماية هذه الضروريات .

وهناك استراتيجيات أخرى تستخدم حسب حاجة العميل إليها ، مثل تعليم المهارات الاجتماعية فى التعامل مع الآخرين لتنمية القدرة على تكوين علاقات اجتماعية سليمة ، ومثل تقديم العون المادى نقدياً أو عينياً ، وتستخدم هذه بصفة خاصة مع العملاء الذين يعانون من نقص فى إشباع الحاجات المادية ، أى الذين لديهم مشكلات تتعلق بالوظائف الوظيفية ، وهى النوع الثانى من المشكلات حسب التصنيف السابق فى عملية تقدير

(1) Siporin Max - 1975 - Introduction to Social Work Practice, New York : Macmillan Publishing Co., Inc., PP 299 - 319 . Johnson Louise Social Work Practice : A Generalist Approach, 3d ed. Boston; Allyn and Bacon, 1989, PP 323 - 329 .

(2) WHittaker J. & Garbarino J. 1983 Social Support Networks Informal Helping in the Human Service. New York : Aldine De Gruyter A Division of Walter Degruyter .

الموقف، وقد يكتفى بتقديم العون الذى فى حالة كون العميل من الفئة (أ) ذى العقيدة السليمة المهيمنة على سلوكه ، ولكننا نجد رسول الله - ﷺ - فى مثل هذه الحالة ، عندما اشتكت إليه فاطمة - رضى الله عنهما - ما تلقى فى يدها من الرحى وسأله خادماً ، بجده صلوات الله عليه يقول لها ولعللى رضى الله عنه «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما - أو أخذتما مضاجعكما - فكبرا أربعاً وثلاثين ، وسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمداً ثلاثاً وثلاثين ، فهذا خير لكما من خادم» (١).

ولقد وردت عدة أقوال متباينة فى شرح هذا الحديث ، نظراً لأن الرسول - ﷺ - كان محتاجاً لبيع ما لديه من الرقيق لنفقته على أهل الصفة ، فقليل أنه لو كان لديه فضل من الخدام لكان أعطى فاطمة ، ولقد اجتمعت الأقوال على كونه - ﷺ - أراد أن يعلمها أن عمل الآخرة أفضل من أمور الدنيا على كل حال ، وقال القرطبي إنه صلوات الله عليه أحب لابنته ما أحبه لنفسه من إثارة الفقر وتحمل شدته بالصبر عليه تعظيماً لأجرها (٢).

ولا شك أن هناك عدة عوامل تلعب دوراً كبيراً فى تحديد الاستراتيجية المستخدمة مثل حجم الموارد ومدى توافرها ، فلقد كان صلوات الله عليه إذا توفرت لديه الموارد يعطى كل من يسأله حتى ينفد ما عنده ، كما جاء فى الحديث الصحيح ، "إن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله - ﷺ - فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال : ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر" (٣).

وإذا كانت الموارد لا تكفى الجميع ، فإنه يعطى من خوف ما فى قلوبهم من جزع وهلع - وكأنه يخشى على إيمانهم أن يضعف - ويمنع من عرف فى قلوبهم الغنى والخير ، كما جاء فى الحديث (٤).

هذا كما عرف عن الرسول - ﷺ - أن إجاباته تعددت عن السؤال الواحد ، ولقد قال العلماء فى ذلك ، إن اختلاف الأجوبة ترجع إلى اختلاف الأحوال ، واحتياج المخاطبين وذكر ما لم يعلمه السائل والسامعون وترك ما علموه (٥) ، أى أنه عليه الصلاة

(١) البخارى ، كتاب الدعوات : ١١ .

(٢) أحمد بن على بن حجر : ١٩٥٩ ، فتح البارى شرح صحيح البخارى ، ١٣ م ، بيروت ، دار للعرفه ، ١١ م . ١٢٣ - ١٢٤ .

(٣) البخارى ، كتاب الزكاة : ٥٠ .

(٤) البخارى : كتاب التوحيد : ٤٩ .

(٥) أحمد بن على بن حجر : ١٩٥٩ ، فتح البارى شرح صحيح البخارى ، ١٣ م ، بيروت ، دار للعرفه ، ١٢ م : ٧٠٩ .

والسلام كان يأخذ في اعتباره الأحوال ، وهى ما أشير إليها فى عملية تقدير الموقف بتحليل الموقف والظروف المحيطة بالعمل ، كذلك احتياج المخاطبين وهو يدخل فيما أشير إليه بفهم شخصية العميل ومعرفة احتياجاته ، ويتبين ذلك من الحديث الشريف : ((عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال للنبي : - ﷺ - أوصنى ، قال : لا تغضب فردد مراراً قاتلاً : لا تغضب))^(١). وأحد الأقوال التى ذكرت فى شرح هذا الحديث ما قيل عن السائل أنه كان غضوباً ، وكان والنبي - ﷺ - يأمر كل أحد بما هو أولى به ، فلماذا اقتصر فى وصيته له على ترك الغضب^(٢) .

ثانياً : استراتيجيات العمل مع البيئة :

يهدف التدخل فى بيئة العميل إلى إحداث تغييرات فيها ، أو التأثير عليها بشكل أو بآخر ، وذلك لصالح العميل ، ونظراً لأن هناك تأثيراً متبادلاً ومستمرّاً بين الفرد وبيئته فإن العناية بالبيئة والعمل على إصلاحها وتنميتها تعتبر وظيفة ضرورية من وظائف الخدمة الاجتماعية .

ولقد تناولت كتابات الخدمة الاجتماعية - التقليدية منها والحديثة - هذا الموضوع بتوسع ، فمن الكتابات التقليدية^(٣) ، ومن الكتابات الحديثة^(٤) : وعرضها^(٥) بعض الكتاب من خلال دور الأنصافى كوسيط وكمدافع ، مثل كومبتون وجلوى . وفيما يلى إشارة إلى بعض الاستراتيجيات التى يمكن استخدامها مع البيئة من المنظور الإسلامى للخدمة الاجتماعية .

(١) البخارى ، كتاب الأدب : ٧٦ .

(٢) أحمد بن على بن حجر : ١٩٥٩ ، فتح البارى شرح صحيح البخارى ، ١٣م ، بيروت دار المعرفة ، ١٠م : ٥٢٠ .

(٣) فاطمة مصطفى الحارونى - ١٩٧٧ - خدعة الفرد فى تخطيط الخدمات الاجتماعية ، ط٧ ، القاهرة ، مطبعة السعادة : ٣٦٩ - ٣٧٦ .

(4) Epworht D. & Larsen J. 1986, Direct Social Work Practice : Theory and Skills, Illinois : The Dorsey Press.

Johnson Louise Social Work Practice : A Generalist Approach, 3d ed . Boston ; Allyn and Bacon., 1989, 351 - 371.

(5) Compton B. & Galaway B. 1989 Social Work Processes, 4th ed. Belmont California : Wodsworth Publishing Company., 1989, 510 - 513 .

- مساعدة الهيئات الرسمية ، وغير الرسمية فى جهودها المبذولة للقيام بالضبط الاجتماعى لتحقيق أعلى قدر ممكن من امتثال الناس للشريعة الإسلامية أى "التقوى" كما تبين عند دراسة مفهوم الضبط الاجتماعى من المنظور الإسلامى ، ومن أهم تلك الهيئات الرسمية التى يفترض تواجدها فى المجتمع المسلم هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى تعمل على سلامة المجتمع ووقايته من أى انحرافات عن شرع الله .

- مساعدة القيادات المحلية ذات الاتجاهات الإيجابية على تحقيق الأهداف المتمشية مع مقاصد الشريعة ، وذلك باستخدام الأخصائى الاجتماعى لمهاراته المهنية فى التخطيط والتنفيذ والتقييم .

- الاتصال بالعناصر المؤثرة فى البيئة والعمل على إحداث تغييرات إيجابية فيها ليصبح سلوكها أكثر اتساقا مع تحقيق مقاصد الشريعة .

- استثمار مشاعر الخير والتراحم المنطلقة من التوجيهات الإسلامية فى تجميع الموارد اللازمة للوفاء بحاجات الفئات المحتاجة فى المجتمع (مثل تنظيم جمع الزكاة ، ودراسة حالات المحتاجين) .

- دعوة أهالى البلدة أو الحى إلى المشاركة والمساهمة فى حل مشكلات مجتمعهم المحلى .

- تدريب القيادات المحلية على العمل التعاونى ، وتدعيم شبكة العلاقات الطبيعية .
- العمل على إحداث التغييرات المرغوبة فى الأسرة لتحسين مستوى أدائها الكلى .
- العمل مع أصحاب السلطة ، لإقناعهم على سبيل المثال - بالموافقة على مشروع يخدم البيئة، أو بإصدار قرار لصالح بعض الفئات الضعيفة كزيادة مقرر الضمان الاجتماعى مثلاً .

- المساهمة فى تنمية المؤسسات الدينية ، وتدعيم دورها فى المجتمع ، كالمسجد على المستوى المحلى ، والهيئات والمؤسسات الإسلامية على مستوى الدول الإسلامية .

- العمل على الإصلاح بين الفئات المتخاصمة فى بيئة العمل .

نحو سياسة اجتماعية متكاملة من منظور إسلامي

د. ماهر أبو المعاطي على

مقدمة :

لعل من الأمور الخطيرة التي تواجهها الحكومات - خصوصاً في الدول النامية - أن تطلعات الناس وآمالهم في حياة كريمة ومستوى أرفع من الحياة أكبر كثيراً من إمكانيات الدولة ، فحاجات الناس تتطور بسرعة وتهدف إلى تحقيق المزيد ويقابل ذلك ضعف الإمكانيات المادية والفنية والبشرية في هذه الدول^(١) ، مما أدى إلى أن تعمل تلك الدول على التوسع في تقديم الخدمات للمواطنين وبخاصة الخدمات الأساسية كالـتعليم والصحة والثقافة لما لها من أثر مباشر وفعال على زيادة معدل التنمية حتى يمكن تحقيق حياة تتوفر فيها عوامل الاستقرار الاجتماعي^(٢) .

والمجتمع العربي من المجتمعات النامية التي تجاهد من أجل التحرر من المشاكل التي خلفها لها الاستعمار بغرض توفير الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية لسكانه ، كي يعيشوا في مستوى يليق بالكرامة البشرية وذلك عن طريق تحقيق التنمية الشاملة معتمداً في ذلك على موارده المادية والبشرية التي يمكن استثمارها من أجل تحقيق أهداف هذه التنمية .

ولكي تكون هناك تنمية يجب أن تكون هناك سياسة اجتماعية واضحة المعالم باعتبارها تحديداً وتنظيماً لاتجاهات المنهج الذي ترتضيه الدولة لتوجيه العمل الاجتماعي بها في شتى المجالات وفق الأهداف التي تسعى إليها تحقيقاً لآمال الجماهير في العدالة الاجتماعية وفي مستوى أفضل للحياة^(٣) . ويلاحظ أن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تلك الدول عاجزة عن الاستجابة لاحتياجات السكان بطريقة ذات معنى ، حيث توقف النمو الأصيل الموافق للشريعة وفرضت بدلاً منها نظاماً أجنبياً تتعارض مع روح الشريعة ، مما أدى بالناس إلى الإحساس المستمر بصراع حاد بين ما استقر في ضمائرهم أنه الحق وبين الأمر الواقع الكئيب^(٤) . خصوصاً أن الصفوة الحاكمة في العديد من تلك الدول الإسلامية

(١) مصطفى الجندى : المرجع في الإدارة المحلية (الإسكندرية ، منشأة المعارف ١٩٧١) ، ص ٤٩ .

(٢) منصور حسين ، كرم حبيب : التخطيط للتنمية (القاهرة ، مكتبة الوعي العربي ، ١٩٧٠) ، ص ٥٤ .

(٣) يحيى حسن درويش وآخرون : التخطيط الاجتماعي (القاهرة ، مطبعة عادل ١٩٨٧) ، ص ٢٨٣ .

(٤) إبراهيم عبد الرحمن رجب وآخرون : نماذج ونظريات في تنظيم المجتمع (القاهرة ، دار الثقافة للطباعة

والنشر ، ١٩٨٣) ص ٢٨٣ .

وجدت أن تبني النموذج الغربي خصوصاً في ذلك الاتجاه التلقيني الذي يتضمن أنه حيثما وجدت أحكام شرعية متطورة (مثلاً في مسائل الأسرة والأحوال الشخصية) استبقيت ، أما في المجالات التي لم يكن هناك فرصة لتطبيق أصولها العامة على واقع الحياة لفترة طويلة فإن الحل كان النقل المباشر عن الغرب^(١) .

وهكذا يتضح أن السياسات الاجتماعية في أغلب تلك المجتمعات سياسات وافدة غير متوافقة مع السياق المجتمعي لواقع المجتمع المسلم ، مما استوجب ضرورة البحث عن سياسة اجتماعية من منظور إسلامي ونابعة من ظروف وإمكانات وثقافة المجتمع العربي كمجتمع إسلامي خصوصاً بعد أن ثبت فشل الكثير من النظريات الشمولية في التنمية ، كالماركسية ، مثلاً. والأمثلة على ذلك كثيرة خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور الجمهوريات الإسلامية ، وأيضاً فشل النظريات الرأسمالية في الدول النامية كنموذج للتحديث ، وبعد أن ثبت أيضاً أن القوانين الشرعية الإسلامية ما ضاقت عن حاجة ولا وقفت عقبة في سبيل مصلحة أو عدالة ، بل وسعت مصالح الناس على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم ، وكانت الدولة الإسلامية في عصورها الذهبية تمتد رقعتها من بلاد الصين شرقاً إلى جبال أسبانيا غرباً ، وكان البحر المتوسط بحيرة إسلامية ، وكانت هذه الولايات تضم أهماً متباينة الأجناس والعادات والمصالح من عرب وفرس وروم ، وقد نظمت الدول الإسلامية شئون هذه الأمم والشعوب بقوانين من شريعتهم تفي بحاجاتهم^(٢) .

ومن هذا المنطلق - ولأسباب سيرد توضيحها - كان هذا البحث لتحديد تلك السياسة من منظور إسلامي ، مع الإشارة إلى أن كلمة نحو في العنوان وضعت لتدل على أننا لا نزعم أن ما في هذا البحث صيغة إسلامية نهائية للسياسة الاجتماعية ، بل تشير إلى اعتبار أن ما سيرد في هذا البحث خطوة في طريق طويل وأن الغاية المأمولة من ارتياد هذا الطريق لا يمكن أن يحققها جهد فردي ، وإنما يجب أن تتضافر في سبيلها جهود من المؤهلين - وهم بحمد الله كثير - وليكن هذا البحث دعوة مفتوحة لمن يريد أن يساهم في ترشيد مسيرة السياسة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية^(٣) ، أما وصف السياسة بأنها متكاملة فهذا يعني

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب وآخرون : نماذج ونظريات في تنظيم المجتمع (القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٣) ص ٢١٧ .

(٢) محمد صالح عثمان : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مطابع الجامعة ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ص ص ١٧٠-١٧١) .

(٣) أحمد المهدي عبد الحليم : نحو صيغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتزوي (رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، السعودية ، الرياض ، العدد ٢٣ ، ١٩٨٧ ص ٣١) .

ضرورة توفر أحد الشروط الأساسية في أية سياسة ، وتحديد العناصر المكونة لها، والعلاقات التي تربط بين تلك العناصر على أساس يحقق الأهداف .

ويمكن معالجة هذا البحث من خلال الإجابة عن عدة تساؤلات وهي :

أولاً : لماذا تبنى الباحث المدخل الإسلامي في تحديد هذه السياسة ؟

ثانياً : ما مفهوم السياسة الاجتماعية وخصائصها في ضوء المنظور الإسلامي ؟

ثالثاً : ما الأهداف التي ترمى السياسة المقترحة إلى تحقيقها ؟

رابعاً : من هم المستهدفون من السياسة (استراتيجياً . جغرافياً . فنياً) ؟

خامساً : ما الكيفية التي يتم بها تنفيذ السياسة وعوامل نجاحها ؟

سادساً : ما الدور الذي يمكن أن تقوم به الخدمة الاجتماعية في وضع وتنفيذ السياسة

المقترحة ؟

وسيتم مناقشة كل تساؤل من هذه التساؤلات من خلال الباحث التي يتناولها

البحث .

المبحث الأول : الأسباب التي تدعو إلى تبنى المدخل الإسلامي في تحديد السياسة :

تعدد الأسباب والمبررات التي تدعو إلى تبنى المدخل الإسلامي في تحديد السياسة المقترحة ولعل أهمها :

أولاً : أن الشريعة الإسلامية تعتبر من أهم ركائز ودعائم السياسة الاجتماعية وهي الأساس الذي تدور حوله الركائز الأخرى خصوصاً أن دساتير أغلب الدول نصت على أن الإسلام هو دين الدولة ، ومبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع .

ثانياً : أن الدين الإسلامي هو التجسيد الحي لقيمة العقل البشري حيث فضل الله الإنسان على سائر المخلوقات بالعقل ، والدين دعوة إلى إعمال العقل البشري لمعرفة الخالق وتطبيق ما شرعه الله للناس من تعاليم وشرائع وأحكام ، والانقياد للقيم الأخلاقية التي يحض عليها الدين والتخلق بالفضائل ، والدعوة المستندة إلى الدين تقوم على منهاج الله في العمل تحقيقاً للخلافة عن الله في عمارة الأرض^(١).

(١) محمد شتا أبو سعد : الشريعة الإسلامية (القاهرة ، مطابع الناشر العربي ، ١٩٨٧) ، ص ص ٩ - ١٣ .

ثالثاً : أن الدين الإسلامي يجسد الحقيقة الإيمانية للناس فيرونها كاملة فتطمئن نفوسهم ، حيث لم يكتف الدين الإسلامي بالحقيقة المتعلقة بالعقيدة فقط بل أظهر لنا الحقيقة المتعلقة بالشرعية ، ولذا كان الدين الإسلامي عقيدة وشرعية^(١) ، والشرعية الإسلامية تنبثق عن عقيدة الإسلام لتنظيم حياة الفرد وحياة الأمة ، والعمل بها من أركان الإيمان ومقتضيات توحيد الله عز وجل ، وما كان للمؤمنين في حياة رسول الله صلى - الله عليه وسلم - أن يتصفوا بالإيمان لولا أنهم كانوا يتحاكمون إلى رسول الله في كل أمر من الأمور ، يستوى في هذا ما يتعلق بالعبادات ، وما يتعلق بالمعاملات ، فإن تحكيم رسول الله صلى - الله عليه وسلم - في كل شأن من شئون الحياة مع التسليم والرضا من صميم الإيمان ، ويكون هذا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى بتحكيم شريعته .

قال تعالى : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيماً﴾^(٢) .

رابعاً : أن الدين الإسلامي يساير مصالح الناس ، ولذا قيل أنه حيثما توجد مصالح العباد فثم شرع الله ، ومن هنا أيضاً نفهم لماذا شرع الله سبحانه وتعالى بعض الأحكام ثم رفعها أو نسخها ، ذلك أن الأحكام سارت مع مصالح العباد وجوداً وعدماً .

قال تعالى : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا...﴾^(٣) .

والمدقق في الأحكام التكليفية يتبين له إلى أى حد كانت الشريعة رحمة ورأفة بالبشر؛ لأنها تحقق مصالحهم وترفع الضرر عنهم ، حيث أثبت الاستقراء أن الأحكام كلها في الشريعة الإسلامية تقوم على المصلحة الإنسانية ، فما من أمر شرعه الإسلام بالكتاب والسنة إلا أثبت المصلحة ، حتى أن بعض الباحثين المحققين من كتاب الفقه يقولون أن الأحكام التكليفية في الشريعة ترتبط بالمصلحة ارتباطاً وثيقاً ، ومراتب التكليف تختلف باختلاف ما فيها من مصالح ، فالأمر المطلوب طلباً حتمياً يكون كذلك لتيقن المصلحة فيه . ويختلف اللزوم الحتمى باختلاف قوتها فيه، وما لا تكون فيه المصلحة مؤكدة يكون محرماً ، ويختلف التحريم قوة وضعفاً باختلاف قوة الضرر، فما يكون أقوى ضرراً يكون أشد تحريماً ، وما لا يكون فيه الضرر مؤكداً يكون من غير الحكم بالتحريم مكروهاً ، وما لا يثبت رجحان

(١) عمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشرعية (القاهرة ، دار الشروق ، ط ٦ ، ١٩٧٢) ص ٢٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٥ .

مناع خليل القطان : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ذكره ، ص ١٩٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٠٦ .

الضرر على النفع فيه يكون المكلف مخيراً ، وأن كل حكم تصدى القرآن لبيانہ أو السنة لتوضيحه يكون مشتملاً على مصالح العباد ، وإن خفيت على بعض الناس فإن ذلك لا يمنع وجودها ، فخفاء الأمر لا يستلزم عدم وجوده^(١) .

خامساً : أن الإسلام هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورة وأوسع نطاق ، وإن الرسول - ﷺ - كان المثل الأعلى في القول والعمل للرعاية الاجتماعية ورد الحقوق ، وكان الخلفاء الراشدين من بعده مثلاً للقدوة الحسنة وحماية حقوق الإنسان^(٢) .

سادساً : اتسام الشريعة الإسلامية بخصائص تؤكد صلاحيتها لصوغ سياسة اجتماعية متكاملة، ولعل من أهم تلك الخصائص والمزايا (الربانية ، العالمية ، الشمول ، العطاء والتجدد والعدل المطلق) . فالإسلام ليس مجرد دين عبادة فقط ، وإنما هو دولة منظمة تقوم على أساس سليم يراعى وجه الله سبحانه وتعالى وصالح البشرية والإنسانية^(٣) .

المبحث الثاني : مفهوم السياسة الاجتماعية وخصائصها في ضوء المنظور الإسلامي :

لقد تناول علماء كثيرون وضع تعريف للسياسة الاجتماعية ومن هذه المحاولات :
التعريف الأول : هي عبارة عن أفكار أو مفاهيم تعتبر كموجهات للعمل على حل مشكلات المجتمع^(٤) .

التعريف الثاني : هي تحديد وتنظيم المنهج الذي ترتضيه الدولة لتوجيه العمل الاجتماعي بها في شتى المجالات والهيئات وفق الأهداف التي تسعى إليها تحقيقاً لآمال شعبها في مستوى أفضل للحياة^(٥) .

(١) محمد صالح عثمان : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مطابع الجامعة ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ص ص ١٦١ - ١٦٢) .

(٢) عبد الله محمد سعيد : النفقة في الشريعة الإسلامية (القاهرة ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٦ ، ص ٢٥٥) .

(٣) عبد الله ناصح علوان : حتى يعلم الشباب (القاهرة ، دار السلام للطباعة ، ١٩٨٣ ، ص ص ٤٥ - ٧٥) .

(٤) Martin Rein : From policy to practice , the Macmillan press , LTD , 1983 , p 210.

(٥) يحيى حسن درويش وآخرون : التخطيط الاجتماعي (القاهرة ، مطبعة عادل ، ١٩٨٧ ، ص ص ٢٨٥ - ٢٨٦) .

التعريف الثالث : هي الخطة القائمة في المجتمع ، أى في سلوكيات وأفعال صادرة عن الحكومة وهي إما أن تكون نظاماً مستقلاً أو مرتبطاً بالأنظمة الأخرى الموجودة في المجتمع (١) .

التعريف الرابع : أنها ميدان للعمل الاجتماعي وحل المشكلات التي تواجه المجتمع (٢) .

ومناقشة التعاريف في ضوء الإطار العام للتصور الإسلامي الصحيح حول الإنسان والمجتمع والكون المنبثق من الكتاب والسنة (٣) .
يلاحظ ما يلي :

أولاً : أن التعريف الأول أوضح أن السياسة الاجتماعية أفكار أو مفاهيم ، وهذه الأفكار أو المفاهيم لابد بداية أن تنبثق عن السياق الاجتماعي والثقافي للمجتمع المستهدف بهذه السياسة . وحيث أن الدين الإسلامي يشكل عصب النسيج الثقافي للمجتمع المسلم حيث أنه لا يتصور نجاح سياسة اجتماعية في هذا المجتمع ما لم تكن سياسة اجتماعية إسلامية ، وكون هذه الأفكار أو المفاهيم تعتبر موجهات للعمل على حل مشكلات المجتمع فإن هذا التوجيه لن يتأتى إلا إذا كانت هذه الأفكار أو المفاهيم تعبر تعبيراً صحيحاً عن النسق القيمي الموجه للسلوك الاجتماعي في المجتمع .

وهذا التعريف يخلص إلى الحديث عن السياسة الاجتماعية بشكل محايد ، وإن كان لا ينفي أن يكون لكل مجتمع تصوره لهذه الأفكار أو المفاهيم وفقاً لطبيعته وبنائه الاجتماعي والثقافي والحضاري الذي يميزه عن غيره من المجتمعات .

ثانياً : أن التعريف الثاني أوضح أن السياسة الاجتماعية عبارة عن :

أ - منهج ترتضييه الدولة .

ب - هذا المنهج يوجه العمل الاجتماعي .

ج - يتم ذلك وفق أهداف الدولة .

(1) Alfred J. Kahn : Theory and practice of social planning (New york , Russellsagen Foundation , 1969 , p 13 .

(2) Martin Rein ; Social policy Issues of choice and change (Random House , New York , 1970 , p. 8 .

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : مداخل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية (ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩١) ص ١٣-٣٧ .

د - تحقيقاً لآمال الشعب في مستوى أفضل للحياة .

وإذا نظرنا إلى هذه الجوانب الأربعة في التعريف لاتضح لنا ما يلي :

• أن المنهج الذي ترتضيه الدولة في مجتمع مسلم ينبغي أن يبنى على أساس تعاليم الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لنا ديناً .

قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (١).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (٢).

وفي موضع آخر : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمِ وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (٣).

مع ما يتميز به الإسلام من كونه نظاماً شاملاً للحياة ، فالدولة في المجتمع المسلم ملزمة شرعاً ألا تبني أية مناهج تتعارض مع الإسلام بتعاليمه وقيمه وشرائعه وأحكامه ، وقد أثبتت التجربة بما لا يدع مجالاً للشك فشل كل المناهج الوافدة التي اعتمدت عليها العديد من المجتمعات الإسلامية لمواجهة مشكلاتها .

مادام هذا المنهج يستهدف توجيه العمل الاجتماعي على أساس ما تشير إليه كلمة اجتماعي من مضامين ثقافية وحضارية فإن ذلك يستوجب على الأقل توافق هذا المنهج مع السياق الاجتماعي والثقافي للمجتمع .

وأن أهداف الدولة في المجتمع المسلم هي أهداف شرعية أو ينبغي أن تكون كذلك . وأن آمال الشعب في مستوى أفضل للحياة يحكمها بالضرورة التنسيق القيمي الموجه للسلوك الاجتماعي العام .

وتأسيساً على ما سبق فإن السياسة الاجتماعية في المجتمع المسلم ينبغي أن تكون ترجمة صادقة لآمال الشعب وأهداف الدولة ومتطلبات العمل الاجتماعي ، التي يفترض أن تكون ترجمة صادقة لآمال الشعب وأهداف الدولة ومتطلبات العمل الاجتماعي التي يفترض أن تكون غير متعارضة بل نابعة من التوجيه الإسلامي للمجتمع بأفراده وجماعاته ومؤسساته ونظمه الاجتماعية .

ثالثاً : يلاحظ أن أغلب تلك المفاهيم في حقيقة الأمر معتقدات نبتت في المجتمع الأوروبي وهي وافدة على المجتمعات الإسلامية ، لأنها تشكلت في تلك المجتمعات الغربية

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

(٣) سورة الأنعام : ١٥٣ .

وفق مصالحها وغاياتها بما تحمله من تناقضات مع ما يدعو إليه الإسلام باعتباره بديلاً عن كل الأيديولوجيات لأنه أشمل وأعم منها.

رابعاً : أن أغلب تلك المفاهيم قد ضلت سبيلها حتى تصورت أن الإنسان مادة فحسب ، فقامت على أساس إشباع البعد الواحد ، وهو بعد المادة متناسية أن الإنسان أيضاً روح ، فأغفلت البعد الروحي مما أفقد الإنسان توازنه^(١).

قال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه : ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى﴾^(٣).

وبذا فإن تلك السياسات قد استهدفت مجرد تغيير الظروف المادية المحيطة بالإنسان وأهملت تهذيب العقيدة وإصلاح النفس .

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَهُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾^(٤).

خامساً : أن تلك السياسات انطلقت من منطلقات علمانية وتجزيئية بدلاً من النظم والترتيبات المرتبطة بالمجتمعات الإسلامية ، مما أدى إلى عدد من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي^(٥):

١- تبنت معظم الدول الإسلامية مفهوم الرعاية الاجتماعية القائم على فكرة الحقوق الموحدة وغير الشخصية للمواطنين المتساوين في درجة حاجتهم والتي تقدم بطريقة غير شخصية لمن يحتاجونه كحقوق مفروضة مدنياً ، وذلك بدلاً من مفهوم التكافل الاجتماعي العضوي القائم على أساس فكرة الأخوة في الله والتراحم بين المسلمين وما يترتب عليها من ارتباط شخصي وثيق ، والذي تنطلق الحقوق فيه مما فرضه الله سبحانه - الذي يعلم ما فيه الخير لخلقه - وعلى الوجه الذي شرعه .

٢- تولت الحكومات الوطنية المسؤولية الأساسية عن بعض البرامج العامة كالضمان الاجتماعي - التي يتم الإنفاق عليها من حصيلة الضرائب العامة - دون أخذ الواجبات

(١) رفعت السيد العوضي : في الاقتصاد الإسلامي (المرتكزات - التوزيع) كتاب الأمة . قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية شعبان ١٤١٠ هـ ، ص ٤٤-٤٦ .

(٢) سورة الحشر : الآية ١٩ .

(٣) سورة طه : الآية ١٢٣ .

(٤) سورة الرعد : الآية ١١ .

(٥) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢) ص ٧-٨ .

الدينية كفريضة الزكاة في الاعتبار ، وقد قصرت موارد الدول دون الإنفاق الكافي على تلك البرامج حتى أصبحت شكلاً خارجياً لا مضموناً حقيقياً له ، من جهة عدم القدرة على تقديم الحد الأدنى اللازم للمعيشة وفقاً لما هو مفروض نظرياً .

٣- تضاؤل الدور الذي تقوم به الترتيبات والنظم المحلية التقليدية التي كانت تتحمل في الماضي المسؤوليات المتكاثرة مع وظائف الرعاية الاجتماعية بالمفهوم الحديث ، وخصوصاً شبكة الدعم الاجتماعي غير الرسمي المتمثلة في الدعم الأسري وعلاقات الجوار والأوقاف الخيرية نتيجة لشعور المواطنين بأن الدولة قد التزمت بالقيام بتلك الالتزامات بدلاً من الأفراد المنظمة فاستشرت السلبية بين المسلمين إلى حد يصل إلى التبلد وعدم الإحساس بحاجة الآخرين في بعض الأحوال .

٤- تضاؤل دور الجهود التطوعية المنظمة ، وضعف المبادرة الذاتية للمواطنين نتيجة لتنسيق بعض الحكومات (خصوصاً في فترات ما يسمى بالتحول الاشتراكي) على المجتمعات الأهلية وإحاطتها بالشكوك بسبب التخوف الذي تشعرونه تلك الحكومات نحو أى تعاون أصيل فيما بين المواطنين للصالح العام ، مما يؤدي ذلك في المدى البعيد إلى تقوية شعور المواطنين بكيانهم وقوتهم مما يقلق بعض النظم الحاكمة .

٥- تم نشر العديد من المؤسسات التي تقدم الخدمات اللازمة لبعض فئات المجتمع المحتاجة للرعاية كالأطفال والمعوقين والمسنين على نفس الأسس التي تقوم بها في المجتمعات غير الإسلامية، حيث يتم التركيز على إشباع الحاجات المادية أساساً ، والنفسية والاجتماعية بشكل أقل ، أما الحاجات الروحية فلا تكاد تدخل في الاعتبار أصلاً إلا في أضيق نطاق وكقطاع مستقل عن بقية جوانب الرعاية الأخرى ، بدلاً من أن تكون محوراً لجميع ما يقدم من خدمات وما يندل من جهود ، مما أفقد تلك المؤسسات قدراً كبيراً من فاعليتها .

وفي ضوء ما وجه للمفاهيم السابقة يمكن التوصل إلى تعريف يخدم موضوع هذا البحث للسياسة الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي هو :

السياسة الاجتماعية هي القرارات الصادرة على أساس من الشورى والتعاون بين القيادات الشعبية والمهنية في المجتمع المسلم الذي ينتهج تطبيق الشريعة الإسلامية لتحديد وتنظيم وتوجيه مسارات الرعاية الاجتماعية في شتى المجالات والبيئات بأفضل الطرق الممكنة وفق الأهداف التي تسعى إليها الدولة في إطار التوازن بين الأهداف المادية وغير المادية تحقيقاً لآمال شعبها في مستوى أفضل للحياة في الدنيا والآخرة .

وفي ضوء هذا التعريف يمكن القول : أن السياسة الاجتماعية تركز على دعائم تحدد ماهي السياسة من منظور إسلامي وهي :

أولاً : أن الإسلام دين ودولة ولا مجال لفصل أحدهما عن الآخر ، وهكذا جاء الإسلام غير مقتصر على مجرد العقيدة والهداية الروحية ، وإنما جاء شريعة وتنظيماً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً للمجتمع ، وذلك أنه لا يمكن أن تستقيم الحياة بدون عقيدة توجهها وشريعة تنظمها كما لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الأخلاق إذا لم يطمئن المرء في حياته المعيشية ، فالعقيدة والشريعة في الإسلام يكمل كل منهما الآخر .

ثانياً : أن هذا الدين وهذه الدولة الإسلامية لها دستور مستمد من القرآن والسنة يرسم المنهج الذي يجب أن تلتزم به السياسة الاجتماعية في الدولة الإسلامية .

قال تعالى : ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢). ويقول جل شأنه : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (٣). وقال سبحانه : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٥). وفي الحديث عن ابن مسعود قال : "خط رسول الله - ﷺ - خطاً بيده ، ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ، ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ ، (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (٦) .

ثالثاً : هذا المنهج الإسلامي يمثل أرقى النظم والنظريات التي تميز السياسة الاجتماعية، وهذه المميزات التي تتميز بها السياسة الاجتماعية من منظور إسلامي هي السبيل أمام الدول الإسلامية لتحقيق أهدافها في إطار من التوازن بين الأهداف المادية وغير المادية ، وتحقيق آمال شعوبها في مستوى أفضل للحياة في الدنيا والآخرة .

وأهم تلك السمات والمميزات التي تتميز بها السياسة الاجتماعية :

(١) سورة الأعراف : الآية ٣ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٥٥ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٤) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٥) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٦) أخرجه أحمد والنسائي والحاكم وصححه .

- ١- سياسة يتم التوصل إليها على أساس من الشورى والتعاون في الإسلام .
- ٢- توضع وفق أحكام الشريعة الإسلامية لتحقيق أهداف المجتمع المسلم .
- ٣- سياسة متكاملة متوازنة تتخذ من إشباع الاحتياجات الروحية محوراً لجميع ما يقدم من خدمات لإشباع الاحتياجات المادية وغير المادية على السواء .
- ٤- تهتم بالبعد العقائدي باعتباره أساساً يؤثر على كل الأبعاد الأخرى للسياسة .
- ٥- تحقق العدالة بين الناس وتؤكد مبدأ تكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع المسلم .
- ٦- تحدد تلك السياسة منارات الرعاية الاجتماعية وتوجهها في شتى المجالات والبيئات آخذة في الاعتبار مقاصد الشريعة مفهوماً أساسياً تنطلق منه لتحقيق أهدافها .
- وسيتم شرح تلك الخصائص تباعاً عند الحديث عن أهداف السياسة والكيفية التي تنفذ بها والمستهدفين منها ودور الخدمة الاجتماعية في ذلك آنفاً .

المبحث الثالث : الأهداف التي ترمى السياسة المقترحة إلى تحقيقها :

ويقصد بأهداف السياسة محصلة النتائج التي تسعى السياسة إلى تحقيقها من خلال نشاطاتها المختلفة ، وتعنى التغيير المقصود أو المطلوب نتيجة تنفيذ السياسة .

ويمكن أن نحدد الأهداف التي تسعى السياسة المقترحة إلى تحقيقها فيما يأتي :

الهدف الأول : المشاركة الفعالة في بناء الإنسان المسلم والارتقاء بمستواه وتحقيق مصالحه بحيث يصبح هو الغاية والوسيلة بهدف المشاركة الإيجابية في شئون مجتمعه : الإنسان في منهج الإسلام هو خلق الله سبحانه وتعالى والذي أعلن مولده بنفسه ، قال تعالى : ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (١) .

وقلده أمر الخلافة في الأرض .

قال تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢) .

وأسجد له ملائكته الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

قال سبحانه : ﴿فَإِذَا سُوِيَتْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٣) .

وعلمه وأدبه .

(١) سورة الحجر : الآية ٢٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

(٣) سورة الحجر : الآية ١٩ .

قال تعالى : ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾ (١).

وهداه إلى الطريق المستقيم ووضح له طريق الخير والشر .

قال سبحانه وتعالى : ﴿وهديناه النجدين﴾ (٢).

ومنحه حرية الاختيار .

قال تعالى : ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ (٣).

وأعطاه الإرادة ليفرق بين الحق والباطل وبين الفجور والتقوى .

قال تعالى : ﴿ونفس وما سواها * فآلهما فجورها وتقواها﴾ (٤).

وزوده بالإدراك ووسائله ...

قال تعالى : ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ (٥).

وأنزل له منهجاً للتربية والتوجيه ، يتناول الإنسان من تاريخ ولادته ويتبعه طفلاً و - عاً وشاباً وكهلاً حتى آخر حياته (٦) .

وتهدف عملية بناء الإنسان والارتقاء بمستواه وتهذيبه ضماناً للمجتمع الصالح ، كما أنها تبدأ في الدنيا تحقيقاً لصالحه في الدنيا والفوز برضوان الله ورجنته في الآخرة ، وأهم هذه الأهداف (٧) :

١ - الحفاظ على الفطرة وتنميتها من خلال تعريف الإنسان المسلم بخالقه ، وبناء العلاقة بينهما على أساس ألوهية الخالق وعبودية المخلوق .

قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (٨).

(١) سورة الرحمن : الآيات ١-٤ .

(٢) سورة البلد : الآية ١٠ .

(٣) سورة اللثر : الآية ٣٨ .

(٤) سورة الشمس : الآيتان ٧-٨ .

(٥) سورة الملك : الآية ٢٣ .

(٦) عبد الرحمن عميرة : التربية الإسلامية وأثرها في المجتمع (مؤتمر الفقه الإسلامي ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٩٨٤ ، ص ٢٧٥ .

(٧) نبيل السمالوطي : بناء المجتمع الإسلامي ونظمه (السعودية ، دار الشروق جلد ١ ، ١٩٨٢ ص ١١٧-١١٩) .

(٨) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

- وقال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(١).
- ٢- تطوير سلوكه : بناء أو تغيير اتجاهاته اللفظية والعملية السلوكية بحيث تتسق وتتطابق مع السلوكيات والاتجاهات الإسلامية .
- قال تعالى : ﴿قد أفلح من تركي وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾^(٢).
- ٣- إعداده لمواجهة متطلبات حياته في هذه الدنيا :
- قال تعالى : ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾^(٣).
- وقال تعالى : ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾^(٤).
- وهذا هو ما يطلق عليه الإعداد المهني للحياة .
- ٤- إعداده لحمل الرسالة الإسلامية ونشرها حتى ينتشر الحق وتعلو كلمة الله في الأرض.
- قال تعالى : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾^(٥).
- وقال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾^(٦).
- ٥- غرس القيم الإيمانية الإسلامية في نفوس النشء ، مثل وحدة الإنسانية والمساواة بين البشر.
- قال تعالى : ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾^(٧).
- والإخلاص وإحضار النية .
- قال تعالى : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيم﴾^(٨).

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٢) سورة الأعلى : الآيات ١٤-١٧ .

(٣) سورة الملك : الآية ١٥ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٨٠ .

(٥) سورة التوبة : الآية ٣٣ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٧) سورة المؤمنون : الآية ٥٢ .

(٨) سورة البينة : الآية ٥ .

والصبر ..
قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

والصدق ..
قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢).

ومراقبة الله ..
قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٣).

والتقوى ..
قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ (٤).

إلى آخر هذه القيم كالتوكل على الله والاستقامة والمبادرة إلى الخيرات ... إلخ .
وتستهدف هذه السياسة الاجتماعية كجزء من التشريع الإسلامي أهدافاً منها رفع
الخرج، ورفع المشقة ، وتحقيق مصالح الناس جميعاً (٥)، كما أن الأحكام كلها في الشريعة
الإسلامية تقوم على المصلحة الإنسانية ، فكل حكم تصدره القرآن لبيان أو السنة لتوضيحه
يشتمل على مصالح العباد ، والمصالح التي يقررها الإسلام أساساً للتشريع والتي تشتمل عليها
الشريعة في نصوصها وفي كلياتها ترجع إلى المحافظة على خمسة أمور تعتبر في نظر الإسلام
حقاً من الحقوق الإنسانية التي يتوجب على الدولة ضمانها وهي (٦):

- أ- المحافظة على النفس .
- ب - المحافظة على الدين .
- ج- المحافظة على النسل .
- د- المحافظة على العقل .
- هـ- المحافظة على المال .

والمشاركة الفعالة في بناء الإنسان المسلم وتحقيق مصالحه تنطلق من قيمة احترام
كرامة الإنسان والحفاظ عليها .

(١) سورة آل عمران : الآية ٢٠٠ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٥ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(٥) محمد يوسف موسى : الإسلام وحاجة الإنسانية إليه (الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٧٨ ، ص ٣١٢) .

(٦) محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام (بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون تاريخ ، ص ٦٢) .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١).

وهذه المشاركة الفعالة في بناء الإنسان المسلم والارتقاء بمستواه تحمله على أن يعرف مكانته في هذا الوجود التي برأها الله إياها ، ووظيفته التي كلفه بها ويقتضى منه ذلك أن يتحرك وفق خصائص الإنسانية الأصلية وفطرته الطيبة النقية فلا يهبط ولا يسف ولا يتقاصر عن السمو والارتقاء بل ينطلق في رحاب الجهد والعلم والإنتاج دون أن يشوب انطلاقه غرور أو ظلم أو كبرياء ، فالإنسان طبقاً للتصور الإسلامي للكون والحياة يقوم على حقيقة أن كل شيء يخضع لله عز وجل وتبعاً لأوامره .

الهدف الثاني : إشباع أقصى قدر من الحاجات الأساسية وضمان حد الكفاية لكل فرد من منظور المصالح المقصودة في التشريع الإسلامي :

إن تكاليف الشريعة التي ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق ثلاثة أقسام :
أحدها أن تكون ضرورية ، والثاني أن تكون حاجية ، والثالث أن تكون تحسينية^(٢).
وأول هذه المقاصد وهو الضروريات : فهي التي لا بد منها لصالح الناس فإذا أهملت عم الفساد، وانتشرت الفوضى ، واختل نظام الحياة ، وهي خمس : حفظ الدين ، حفظ النفس ، حفظ العقل ، حفظ النسل ، حفظ المال .

وتكون التكاليف التي يحفظ بها كل نوع من الضروريات الخمس من الجزئيات أى التكاليف العلمية أو الاقتصادية التي تعود إلى أى مقصد من المقاصد العامة - وتكون سلباً أو إيجاباً ، أما الإيجاب فبالأوامر التي تدعو إلى القيام بالفعل ، وأما السلب فبالنواهي التي تدعو إلى ترك الفعل . فمن الأوامر التي تدعو لحفظ الدين مثلاً - الإيمان بالله وبعباده العقيدة الإسلامية وفرض العبادات أو إيجاب قتال المرتدين ، ومن النواهي ، النهي عن المنكر وتحريم الشرك وعقوبة من يتدع في الدين ما ليس منه أو يحرف أحكامه في مواضعها .

الهدف الثالث : تحقيق التوازن في توزيع أعباء التخلف والتنمية على المواطنين على أساس من العدالة في توزيع الحقوق والواجبات وإذا كانت سمة الإسلام في التوزيع هي العدالة، لقوله تعالى : ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٣).

(١) سورة الإسراء : الآية ٧٠ .

(٢) محمد الحبيب الخوجة : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية (مؤتمر الفقه الإسلامي ، جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية) ، مطابع الجامعة ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ص ١٥ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٨ .

فإن أبرز صور ذلك هو حفظ التوازن بين الأفراد على مستوى الوطن الواحد ، فالإسلام إذاً يحث ويدعو إلى الثروة والغنى إلا أن ذلك مشروط ألا يكون المال متداولاً بين فئة قليلة من الناس ، وبعبارة أخرى ألا يكون هناك تفاوت شديد في توزيع الثروات تستأثر من خلاله فئة معينة من الأفراد ، وللإسلام وسائله في ضبط التفاوت وحفظ التوازن منها :

١- عدم السماح بالثروة والغنى إلا بعد ضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد .

٢- عدم السماح باستئثار أقلية بخيرات المجتمع .

٣- إعادة التوزيع عند افتقاد التوازن .

وهو ما فعله الرسول ﷺ - عند هجرته إلى المدينة إذ ظهر اختلال في المراكز الاقتصادية بين المهاجرين والأنصار بعد أن ترك المهاجرون أموالهم بمكة بينما كان الأنصار مستقرين بالمدينة وأساس ثروتهم هو الزراعة ول بعضهم أراضي واسعة استخدموا فيها المهاجرين كأجراء . وهو ما لا يحقق التوازن الاقتصادي ، ومن ثم حرم الرسول عليه السلام تأجير الأراضي الزراعية بقوله : "من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ولا يوجرها إياه" ، أخرجه أبو داود .. حتى إذا ما استقرت الأمور للمهاجرين وتحسنت أحوالهم المادية أجاز الرسول عليه السلام تأجير الأراضي الزراعية .

كما أنه في أواخر أيام سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حين بدأت تظهر طبقة من كبار الأثرياء ولم يمتد به الأجل ليواجهها بما عرف عنه من حسم ، نقل عنه كلمته المشهورة "لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء" . وقوله "والله لئن بقيت إلى الحول لألحقن أسفل الناس بأعلامهم" .

ولكن القدر لم يمهل^(١) .

ولتحقيق التوازن في توزيع أعباء التخلف والتنمية فإن الإسلام لا يقبل أن تنفرد بالتنمية المدن دون القرى أو أن تقدم الكماليات أو التحسينات على الضروريات .

وينبغي أن يتم تحقيق ذلك التوازن بشكل متناسب مع جهود المواطنين ودورهم في مواجهة مشكلات التخلف ، ونقص الأمر بالنسبة لعدالة توزيع الحقوق والواجبات ، ذلك أن الشعور بالعدالة متغير أساسي في تحقيق الانتماء والولاء الطوعى والمخلص للمجتمع^(٢) . وأن يكون التفاضل على أساس العمل الصالح وتقوى الله .

(١) محمد شوقي الفنجري : الإسلام والمشكلة الاقتصادية (الرياض ، دار الوطن للطباعة والنشر) ، ١٩٨٧ ، ص ١٥٥-١٥٨ .

(٢) نبيل السمالوطي : علم الاجتماع ودراسة مشكلات المجتمع المصري (القاهرة ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر) ١٩٨٦ ص ٢٦-٢٧ .

وتحقيق المساواة والتوازن في توزيع أعباء التخلف والتنمية على المواطنين منطلق من قيمة المساواة، وغاية الشريعة الإسلامية من تقريرها لمبدأ المساواة، السمو بالمجتمع الإنساني والارتقاء بنظمه ومثله عن طريق بنائه على أسس قوية وقواعد هادفة^(١). فقد قرر الإسلام المساواة بين الناس وقضى في الحقوق والواجبات على الفوارق بين بنى الإنسان وأعلنهم في صراحة لاتعرف المواربة أنهم جميعاً من نفس واحدة.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)

عن حذيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال رسول الله - ﷺ - : «كلكم بنو آدم و آدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان».

ويتوخى في تحقيق ذلك التوازن في توزيع أعباء التخلف والتنمية والعدل ، ذلك أن الإسلام ينظر إلى العدل على أنه مبدأ تأسيس قبل أن يكون فضيلة خلقية ولذلك جعله أساساً لنظام الخليقة كلها .

قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾^(٣) .

ذلك أن العدل هو الأصل الذي بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب . يقول سبحانه : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٤) .

فالعدل في الإسلام هو إعطاء كل ذي حق حقه من غير تفرقة بين المستحقين وبدون نظر إلى الأمور العارضة على الطبيعة الإنسانية كالحسب أو النسب أو المال أو القوة أو الضعف أو العداوة أو الموالاة ، فما دام الإنسان أخاً للإنسان فإن ميزان القسطاس المستقيم حتمية مؤكدة بين المسلم وأخيه ، ويتخذ العدل من المساواة أساساً

(١) رشاد حسن خليل : مفهوم المساواة في الإسلام (الرياض ، دار الرشد للنشر والتوزيع) ، غير مبين سنة النشر ص ١٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ١ .

(٣) رواه أحمد .

(٤) سورة الرحمن : الآيات من ٧-٩ .

لوجوده وركيزة لمظاهره ، فالمساواة تجعل من العدل حقيقة ثابتة وقضية راسخة ومؤكدة فى داخل النفس البشرية وخارجها وفيما بين الأفراد من علاقات والجماعات من صلات ، وعلى هذا فإن اختل قانون المساواة ومال ميزانها لحق الاضطراب بالمجتمع وتفشى الظلم والفساد ، فالعدل المطلق فى الإسلام ناشئ عن المساواة الكاملة فى الحقوق وبين جميع الناس (١) .

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

وفى الحديث : عن أبى هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبى - ﷺ - قال : ((ما من أمير إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا العدل)) (٣) .

وفى ظل ذلك يتحقق للإنسان (٤) :

أ- الاطمئنان النفسى والثقة فلا عدوان على مال أو نفس أو عرض .

ب - الانحراف عن الجرائم مادامت حقوق كل إنسان مكفولة له وتصل إليه كاملة فليس هناك ما يدفعه إلى الانحراف .

ج - الحصول على ثمرات العمل والجد ، وهذا ما يدعو إلى إتقان الأعمال ويشير التنافس فيكثر الإنتاج ويجود ويمتد إلى جميع المجالات .

د - وضع الإنسان المناسب ويترتب على ذلك أن تفتح الأبواب أمام الابتكار والاختراع الجديد الذى ييسر الحياة ويغرس على جوانبها الخير .

وبذا تكون السياسة الاجتماعية سبيلاً لتحقيق التوازن بين المواطنين على أساس من العدالة فى الإسلام .

(١) سورة الحديد : الآية ٢٥ .

(٢) رشاد حسن خليل : مفهوم للمساواة فى الإسلام (الرياض ، دار الرشد للنشر والتوزيع) ، غير ميين سنة النشر ص ٣٢-١٨ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٤) رواه أحمد: محمد نجيب توفيق : أضواء على الرعاية الاجتماعية فى الإسلام (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤)، ص ٩٣-٩٤ .

الهدف الرابع : تقوية الروابط بين المواطنين وتدعيم العلاقات بينهم على أساس الإخاء والتعاون فى الإسلام :

حيث تهدف السياسة الاجتماعية المقترحة إلى تقوية الروابط بين المواطنين وتدعيم العلاقات ، وإحياء روح الحب بين الأفراد والجماعات حتى تتصافى النفوس وتتآلف القلوب، ذلك أن الشريعة الإسلامية قد نبذت العنصرية والإقليمية والجنسية كرباط يجمع بين الناس لأن فى ذلك تحديداً وتطبيقاً ، ولكنها وحدت بين الجميع عن طريق عقيدتها السامية التى يدين بها الكل عن إيمان واقتناع ، وتجسدت هذه الروابط فى صورة الأخوة الدينية كعقيدة تذوب فيها الفواصل الطبقية .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) .

فالإخاء فى نظر الإسلام أمر طبيعى يربط بين جميع المسلمين ويتحقق تلقائياً بمجرد الإيمان بعقيدة الإسلام ، كما أنه واحد من الأمور الأساسية العملية التى ينبنى عليها نظام الجماعة الإسلامية ، لأنه الإطار القوى الذى يجعل من المسلمين أسرة واحدة يفرح فيها المسلم لفرح أخيه ويحزن لحزنه ويهرع إليه إذا ألم به بمكروه ، فيمد له يد العون ويقدم له المساعدة ، كما يحفظه فى ماله وعرضه غائباً وحاضراً ، ولذلك امتن الله على نبيه وعلى المؤمنين بالإخاء كنعمة كبيرة (٢) .

قال تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَالِمَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ (٣) .

وقال سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِى أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤) .

وعن طبيعة العلاقات بين الأفراد بالإضافة إلى الأخوة يدعو الإسلام إلى التعاون بين الأفراد واضعاً فى اعتباره أن للفرد فى ذاته مصلحة خاصة فى أن يقف عند حدود معينة فى استمتاعه بحريته ، وأن للمجتمع مصلحة عليا لا بد وأن تنتهى عندها حرية الأفراد والجماعات ولذا يدعو الإسلام إلى التعاون بين الفرد وغيره وفى ذلك يقول تعالى :

(١) سورة الحجرات : آية ١٠ .

(٢) رشاد حسن خليل : مفهوم المساواة فى الإسلام (الرياض ، دار الرشد للنشر والتوزيع) ، غير مبين سنة النشر ص ص ٢٢-٢٣ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

(٤) سورة الأنفال : الآيتان ٦٢-٦٣ .

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ (١).

وفى الحديث :

عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم (فضحجر) فقد عرض تلك النعمة للزوال» (٢).

عن النعمان بن بشير - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي - ﷺ - قال : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (٣).

ولما كان التعاون أساس لتقوية الروابط بين المواطنين بما يؤدي إلى تماسك المجتمع المسلم فإنه لا بد أن يشمل جميع الميادين ، وأن يكون فى كل شكل من أشكال الحياة شريطة ألا يتعارض مع أوامر الله ونواهيه ، وألا يكون فى المنكر والإثم وسواء شمل الجمعيات التعاونية والمشاريع الزراعية والتجارية والشركات من التعاون المادى ، أو شمل ضم الجهود على تربية الأفراد وإعانة البشر من التعاون المعنوى وأن تكون الوسيلة لتحقيق أهدافه خاضعة لأوامر الله وأحكامه (٤).

الهدف الخامس : المشاركة فى تجديد وتطوير ودعم النظم الاجتماعية القائمة لزيادة كفاءتها بالنسبة لجهود إحداث التغيير المطلوب :

وتنطلق مسئولية المشاركة فى زيادة كفاءة النظم الاجتماعية القائمة من قيمة المسئولية المشتركة من خلال الجهود الحكومية والأهلية والوحدة بين سكان المجتمع وتعاونهم ، ولقد قرر الإسلام المسئولية وألزم بها المجتمع والأفراد باعتبارها ناشئة من عقيدته وإيمانه وجعلها مرتبطة بالمجتمع .

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

(٣) رواه مسلم وأحمد .

(٤) عبد العزيز الخياط : المجتمع للتكامل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى الأردن ، ١٩٨١ ص ١٥٦

٢٩٣-٢٩٥) .

والإسلام يحمل أفراد المجتمع مسئولية المشاركة فى إحداث التغيير ، وتطوير ودعم
النظم لزيادة كفاءتها ولا يعفيه من هذه المسئولية أن يكون منعزلاً أو منطوياً على نفسه^(١) .

قال تعالى : ﴿فَوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾^(٢) .

ولا يجوز مطلقاً أن يهمل الترابط الاجتماعى فى المسئولية .

قال تعالى : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى
عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾^(٣) .

وفى تحمل تلك المسئولية يقول الرسول - ﷺ - : «كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ،
والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده
ومسئول عن رعيته ، والولد راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع
ومسئول عن رعيته»^(٤) .

هذه المسئولية ليست أمام الجماعة فحسب أو أمام القانون وكفى ، بل هى
مسئولية تمتد لتحيط بالإنسان فى ظاهره وباطنه ، فى سره وعلنه ، لأنها أمام الله الذى
لا تخفى عليه خافية^(٥) .

وهذه المشاركة تنطلق من قيم أساسية تتضمن :

أ - أن الإسلام لا يتعارض مع حرية الفكر بل دعا إليها بشرط أن يتناول ذلك
الأمور التى لم يتناولها الشرع بنهى أو ترك .

قال تعالى : ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾^(٦) .

وقال تعالى فى الحث على التفكير والثناء عليه :

﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يفكرون﴾^(٧) .

(١) عبد العزيز الحياط: المجتمع المتكامل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١) ص ٣١٤-٢٦٣ .

(٢) سورة الحجر : الآيتان ٩٢-٩٣ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ١٠٥ .

(٤) رواه الترمذى .

(٥) عبد رب النبى أبو السعود : التخطيط للدعوة الإسلامية (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٣) ، ص ٢٠٨ .

(٦) سورة العنكبوت : الآية ٢٠ .

(٧) سورة يونس : الآية ٢٤ .

وقال سبحانه في إعلاء شأن العقل والدعوة إلى إعماله في فهم آيات الله وإدراك دلائل الهداية في الكون والحياة :

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١) .

وفي الحديث : عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله - ﷺ - قال «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(٢) .

ب - أن الإسلام لا يتعارض مع الإعداد للمستقبل والتطور ومحاولة مواجهة المواقف . قال تعالى : ﴿وَأَعْلُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾^(٣) .

كما يدعو الإسلام إلى الاستفادة من خبرات الآخرين للمشاركة في تطوير ودعم النظم القائمة طبقاً لما كان موجوداً في صدر الإسلام .

قال تعالى : ﴿فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤) .

ويمكن القول بأن الإسلام يقدم لنا النظرة الشاملة للتغيير ومعالجة مشكلات المجتمعات التي هي ثمرة لعوامل متعددة ، ومواجهة التخلف الذي لحق بالنظم القائمة بها، ويضع القيم الضابطة له ، ويبقى على الإنسان أن يسعى ويجتهد لوضع برامج التغيير المطلوب والتي تحقق أهداف السياسة من منظور إسلامي ، ذلك أن هذا التغيير يجب أن يكون منبثقاً من الداخل ، معتمداً على قدرة أفراد المجتمع بصفة عامة والقائمين على وضع وتنفيذ السياسة بصفة خاصة على التغيير الذاتي امثالاً لقوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾^(٥) .

المبحث الرابع : المستهدفون من السياسة (استراتيجياً، جغرافياً، فكرياً) :

يلزم أن يكون للسياسة الاجتماعية تأثير مباشر على جميع مجالات الأنشطة الخدمية والإنتاجية ، ويمكن النظر إلى مجال تأثير السياسة طبقاً لما يلي :

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٨ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٧٦ .

(٥) سورة الرعد : الآية ١١ .

أولاً : استراتيجياً :

يجب أن تتضمن مجالات العمل^(١) .

١- المجال الوقائي : بالعمل على :

أ- سد خلة المجتمع (التكافل الاجتماعي)

ب- سد ذرائع الفساد (الرعاية الاجتماعية)

٢- المجال العلاجي : عن طريق :

أ- الإصلاح الاجتماعي (علاج المشكلات الاجتماعية)

ب- تفريغ الكرب (علاج المشكلات الفردية)

ج- إغاثة الملهوفين (معدة ضحايا الكوارث)

٣- المجال الإنمائي : عن طريق :

أ- تزكية النفس (الارتقاء الأخلاقي).

ب- تهيئة الحياة الطيبة (الارتقاء الاجتماعي) .

١- المجال الوقائي :

أ- سد خلة المجتمع (التكافل الاجتماعي) :

حيث اهتم الإسلام بنظام التكافل فأظهر العلاقات بين كافة الوحدات الإنسانية بصورة فيها التساند الكامل ، فهو يقرر مبدأ التكافل بين الفرد وأسرته وبين الفرد والجماعة وبين الأفراد والجماعات والمجتمع وبين الجيل والأجيال المتعاقبة^(٢) .

والتكافل الاجتماعي في الإسلام ليس قاصراً على المفهوم المادي فحسب بل هو شامل لجميع نواحي الحياة المادية والمعنوية ، وهو تقرير لمسئولية لوحدة الأهداف الكلية للفرد والجماعة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾^(٣) .

وقوله : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾^(٤) .

(١) زينب عطية محمد : نحو مكنز إسلامي للنخلة الاجتماعية (نلوة التأصيل الإسلامي للنخلة الاجتماعية ، القاهرة ، أغسطس ١٩٩١) ، ص ٢-٣ .

(٢) عبد الهادي الجوهري : التضامن الإسلامي في مجال التنمية الاجتماعية (جامعة القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ،

١٩٨١ ، ص ١٦) .

(٣) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٩٢ .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (١) .

ومبدأ التكافل الاجتماعي كما أقره الإسلام يختلف اختلافاً أساسياً عن مثيله في الأنظمة المعاصرة سواء كانت مجتمعات تقوم على أساس النظم الفردية أو تقوم على النظم الجماعية ، فكل تلك المجتمعات قد أقرت نظاماً للتكافل الاجتماعي ، ولكن أهم ما يختلف به عن التكافل الإسلامي الأمور التالية (٢) :

أولها : أن التكافل في الأنظمة الحديثة تكافل لا يتناول إلا الحاجات المادية بينما التكافل الإسلامي يتجاوز هذه الصورة المادية إلى صور أرحب وأوسع من التعاون على ضمان الخير والمصلحة الفردية والعامّة ، فالتعاون بمعناه الشامل تعاون على الدعوة إلى الخير وإزالة المنكر وحماية الضعفاء وإعطاء الفقراء والمساكين ما يكفيهم والإحساس بكل ما يصيب الجماعة أو ما تطمح إليه وتعمل له .

ثانيها : أن التكافل في الأنظمة المعاصرة غير إسلامية لا يشمل إلا حلقة واحدة هي دائرة الفرد والجماعة ، بينما يتسع مفهومه في الإسلام ليشمل كافة الدوائر والحلقات فهناك تكافل بين الفرد وذاته، وبين الفرد وأسرته القرية وبين الفرد والجماعة وبين الأمة والأمم وبين الجيل والأجيال المتعاقبة .

ثالثها : أن النظم المعاصرة إنما قررت مبدأ التكافل بعد مطالبات وضغوط كثيرة تعرضت لها من الأفراد ومن جهات أخرى ، أما الإسلام فإنه يقرر هذا المبدأ دون مطالبة من الناس ودون أن يتعرض لأي نوع من الضغوط .

رابعها : أن النظم المعاصرة عندما أقرت هذا المبدأ جعلته مقابل واجب مادي التزم به الفرد كما التزمت به الجماعة والمؤسسات من خلال الضرائب وأقساط التأمين وليس التكافل القائم على مساعدة الفرد للمجموع ، والمجموع للفرد لأنه يقوم على ما يدفعه الفرد مسبقاً ، أما التكافل الإسلامي فإن المستفيد من المال لا يدفع شيئاً ، ولكن الذي يدفع هو المستغنى ، أما الدولة ومؤسساتها فهي واسطة لجمع المال من القادرين وتوزيعه على المستحقين .

خامسها : أن النظم المعاصرة تعتمد على التشريع والتشريع وحده لضمان مورد هذه الرعاية ، أما الإسلام فإنه يضيف إلى التشريع إثارة الضمير الإنساني وتوجيه الوجدان وإحياء الشعور بالواجب ، وهكذا يترك الإسلام المجال رحباً أمام الوجدان الفردي الذي يريد أن

(١) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

(٢) عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٢٥ - ٢٥٤) .

يزيد على ما فرض عليه أو التزم به من واجبات ، وهكذا يوجه الإسلام إلى الصدقة والبر ويحبب في الإنفاق طوعاً واحتساباً وانتظاراً لرضا الله وعوضه في الدنيا ولثوابه في الآخرة واجتناباً لغضبه وعذابه .

ب - سد ذرائع الفساد (الرعاية الاجتماعية) :

يعتبر سد ذرائع الفساد من الإجراءات الوقائية التي يدعو إليها الإسلام فهو يحذر بداية من الفساد واعتبره من الجنايات الاجتماعية وحذر أهله منه في آيات كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجَبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلِبِئْسَ الْمُهَادِ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلِمُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢) .

ولقد قال - ﷺ - في سد ذرائع الفساد : «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا إن حمى الله محارمه» .

وعلى هذه الطريقة استمد العلماء بعض المبادئ التي ساروا في التشريع على ضوئها

وهي :

ما يفضى إلى المحذور فهو المحذور .

مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ما ضر كثيره حرم قليله .

ولقد شرح العلامة ابن القيم الجوزي في كتابه : "إعلام الموقعين" مبادئ سد ذرائع الفساد وذكر تسعاً وتسعين مثلاً على ذلك مما أمرت به الشريعة أو نهت عنه .

٢ - المجال العلاجي :

أ - الإصلاح الاجتماعي (علاج المشكلات الاجتماعية) :

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من المشكلات الاجتماعية التي تعبر عن نفسها في صورة

(١) سورة البقرة : الآيات من ٢٠٤-٢٠٦ .

(٢) سورة ص : الآية ٢٨ .

مواقف أو صعوبات أو مشكلات تواجه الأفراد أو الأسر ، وظهور هذه المشكلات يتطلب اتخاذ الإجراءات لمواجهتها وللوقاية منها ، على مستوى المجتمع ككل ، أو إجراءات وممارسات تتخذ لمواجهة آثارها وأغراضها من خلال مساعدة الأفراد والأسر - بطريقة مباشرة- على حل تلك المشكلات ، وتنمية قدرتها على التعامل مع مثلها في المستقبل^(١) .

ومواجهة المشكلات الاجتماعية كبرامج علاجية يجب أن تقوم على إدراك لمسألة وجوب أخذ الجوانب الروحية المتصلة بصلة الإنسان بخالقه في الاعتبار ، وبوجوب العمل بكل الوسائل على المحافظة على سلامة الفطرة ونقاها من شعور بالأخوة في الله ، وترتبط في النهاية بتحقيق رضا الله سبحانه وتعالى^(٢) .

ب- تفريج الكرب (علاج المشكلات الفردية) :

من دواعي تكافل المجتمع وتحمل المسئولية نحو أفرادها ، أن يؤخذ بيد من أصابته مصيبة في ماله ونفسه وأن يراعى ذلك الذي ذهبت الجائحة بما لديه ، ولذا حث الإسلام على قضاء حوائج المحتاجين وتفريج كربتهم .

جاء في الحديث الشريف ..

"من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"^(٣) .

ويرتبط تفريج الكرب بعلاج المشكلة الفردية الذي يتضمن من وجهة نظر إسلامية ما يلي:

أولاً : تقدير الموقف أو المشكلة :

بحيث يتضمن دراسة ما يتصل بالحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية) غير المشبعة وتقديرها حق قدرها دون زيادة أو نقصان ووضعها في موضعها الصحيح من

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للنخلة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم) ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٥٢ .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للنخلة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم) ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ص ٦٠-٦١ .

(٣) رواه مسلم .

عبد العزيز الحياط : المجتمع للتكافل في الإسلام (مؤسسة الرسالة مكتبة الأقصى) الأردن ، ١٩٨١ .

حاجات الإنسان في الدنيا المتضمنة لأشواقه الروحية ومن حاجاته المتصلة بالحياة الأخرى ،
أى ينبغي أن يتضمن ذلك أيضاً تقدير الموقف فيما يتعلق بنوع صلة العميل بربه سواء من
النواحي المعرفية المتعلقة بصحة الاعتقاد والسلامة من البدعيات والشركيات أو من النواحي
القلبية الوجدانية ، أو من النواحي السلوكية التعبدية بالمعنى الضيق للعبادات وبالمعنى الواسع
للعادة الذى يشمل طاعة الله فيما أمر ونهى في كل جوانب الحياة .

ويتوقع أن تنتهى نتيجة عملية تقدير الموقف بالنسبة للعملاء إلى ظهور واحدة من
الحالات الآتية:

النوع الأول : حالة سلامة الاعتقاد ، مع حياة القلب ، وصفاء الفطرة .

النوع الثانى : حالة صحة الاعتقاد دون هيئته على القلب .

النوع الثالث : حالة فساد الاعتقاد وسقم القلوب .

ثانياً : تحديد استراتيجيات وأدوات التدخل المهني :

١- فني حالة سلامة الاعتقاد مع حياة الفطرة تمثل الاستراتيجية المستخدمة في
تقديم العون المادي المتصل بالعلاقات الاجتماعية أو غيرها بحسب الحاجة .

٢- أما في حالة صحة الاعتقاد دون هيئته على القلب ، فإن العلاج يتمثل أساساً
في معاونة العميل على أنس النفس (الجبلى) بالماديات لإفساح المجال أمام أنس الروح
بالعبادات والطاعات التى تفتح الطريق أمام حسن الصلة بالله سبحانه وتعالى ، ومن هنا
يصبح التحكم في النفس والسيطرة عليها لتوجيهها نحو خدمة الإنسان الكلي "بدناً وروحاً"
بدلاً من خدمة حاجات البدن وحدها هو المفتاح الوحيد لحل الموقف الإشكالي . ويتطلب
التعامل مع هذا النوع من العملاء استخدام استراتيجية متعددة الأوجه تستهدف معاونة
العميل على إعادة النظر في حياته واستعادة توازنه من خلال عدة مراحل تتضمن :

أ- إنشاء علاقة "الأخوة في الله" بين الاخصائي الاجتماعي والعميل .

ب- مساعدة العميل على الاعتراف بأنه يواجه مشكلة لا يستطيع حلها وحده .

ج- البدء في إجراءات تقديم العون والمساعدة لإشباع الحاجات الدنيوية (المادية
والنفسية والاجتماعية) التى تتطلبها مواجهة الموقف العاجل الذى يعاني منه العميل على
الوجه المعهود في الممارسة المهنية التقليدية .

د- مساعدة العميل -في الوقت ذاته- على إعادة النظر في الطريقة التى يسوس بها
حياته حالياً، وإدراك العلاقة بين طريقة حياته وبين الوقوع في المشكلات .

هـ- بدء برنامج التنمية الروحية المتدرجة مع العملاء الذين استجابوا بهدف إزالة

الران الذى أحاط بالقلب واستعادة صفاء الفطرة ونقاها ويستخدم فيه :

العبادات - الطاعات - الذكر والتلاوة .

و- إعادة النظر في المشكلة الأصلية وفي طرق الاستجابة لمواقف الحياة في ضوء جديد.

ز- التدعيم والتثبيت .

٣- في حالة فساد الاعتقاد وسقم القلوب : يتمثل العلاج في العمل على تصحيح العقيدة أولاً حتى يفتح الباب أمام إمكانية إصلاح القلب . وبعد مرحلة تصحيح العقيدة فإنه يتم السير وفق الاستراتيجيات التى استخدمت بالنسبة للعملاء من النوع الثانى^(١) .

ج- إغاثة الملهوفين (نجدة ضحايا الكوارث) :

من التكافل أن يبادر أفراد المجتمع وجماعته إلى إغاثة الملهوف وهى مرءة يجب أن يتحلى بها المسلم فيسارع إلى إغاثة أسرة مات عائلها أو يساعد امرأة افتقرت بعد غنى أو إسعاف أناس أصابهم الغرق أو الحرق أو غير ذلك .

• قال عليه الصلاة والسلام : «على كل مسلم صدقة ، قيل : رأيت إن لم يجد ؟ قال "يعين ذا الحاجة الملهوف"»^(٢).

• قال عليه الصلاة والسلام : «إن لله خلقاً خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه ألا يعذبهم بالنار ، فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس فى الحساب» .

وبهذا يقرر النبى - ﷺ - ضرورة تكافل المجتمع فى إغاثة الملهوف مما يدعو إلى قدرة الأمة وترباطها وتلاحم مشاعرها وتساند أفرادها وجماعاتها^(٣).

٣- المجال الإنمائى :

أ- تركية النفس (الارتقاء الأخلاقى) .

جاء الدين الإسلامى داعياً إلى الإعداد والارتقاء الأخلاقى للناس ، حيث إنه هو الذى يجعل من الصفات الحسنة كالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء والشجاعة والعفة

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ، رابطة

الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢) ، ص ٦٨-٧٨

(٢) رواه مسلم .

(٣) عبد العزيز الحياط : المجتمع للتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١ ، ص ٢٦٣

- ٢٦٤) .

والمروءة والعدل وغيرها عادات في سلوك الإنسان كما تجعله نافراً في سلوكه اليومي من الصفات السيئة كالحسد والحقد والخيانة والكذب والظلم والغدر وغيرها . بل ويتم تجنب مظاهر غير مرغوبة في السلوك الإنساني كالخلق والتكبر والصلف والتهور ، والخوف والجزع وقبول الذل والمهانة والخشونة والغلظة في معاملة الآخرين^(١).

ومع التأكيد على دور التربية والظروف البيئية كالأُسرة والمدرسة في الارتقاء الأخلاقي وتزكية النفس ، فإن التصور الإسلامي يقوم على أن الإنسان أيضاً مسئول عن المحافظة على نقاء فطرته وسلامة قلبه وتزكية نفسه^(٢).

قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٣).

ومن الأهداف التي ينبغي أن نسعى إلى تحقيقها من خلال الارتقاء الأخلاقي وتزكية النفس ما يلي :

١- تكوين مواطن يؤمن بالله تعالى خالق الكون والحياة ومدير أمرها وحده فلا يعبد أحداً إلا هو ، ولا يتجه أو يلجأ لأحد إلا له ، ولا يطلب رضا أحد إلا رضاه .

٢- تكوين مواطن مؤمن باليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وبرسل الله وأنبيائه وملائكته وبالقدر خيره وشره .

٣- تكوين مواطن مفعم قلبه بحب الله وحب رسوله وحب دينه ويخشى الله ويخافه، يسعى جاهداً لطلب رضاه ويتمثل بأوامره ويتجنب نواهيه ويراقبه في كل شئونه في السر والعلن ويأمل دائماً في رحمته .

٤- تكوين مواطن متحل بالقيم والأخلاق والعواطف الروحية والإنسانية المستمدة من الدين الإسلامي كحب الآخرين والعطف والشفقة عليهم واحترام حقوقهم ومصالحهم ، والإخلاص والأمانة، والوفاء بالعهود والمواثيق ، وتقدير المسؤولية نحو ربه ونحو نفسه وأسرته ومجتمعه .

٥- تكوين مواطن يهتم بشئون المسلمين ويود الخير لهم ويخدم مصالحهم ويسعى لإصلاح أحوالهم ويرفع الظلم والضر عنهم .

(١) عباس محجوب : مشكلات الشباب - الحلول المطروحة والحل الإسلامي (كتاب الأمة ، قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية) ١٤٠٦ هـ ، ص ١٤١ .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للتعلم الاجتماعي (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجماعة الأزهر القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٣٨-٣٩) .

(٣) سورة الشمس : الآيات ٧-١٠ .

٦- تكوين مواطن واع بثقافته الإسلامية وبغاياتها الروحية والإنسانية^(١).

ب- تهيئة الحياة الطيبة (الارتقاء الاجتماعي) :

نادى الإسلام بمسئولية الدولة عن تهيئة الحياة الطيبة من خلال توفير الرعاية الاجتماعية بحيث ينبغي ألا تقتصر تلك المسئولية على مجرد النص على الحقوق وتقريرها والنهي عن المساس بها نظرياً ، وإنما مسئولية الدولة في الفكر الإسلامي مسئولية إيجابية ، بمعنى أنها تمتد إلى تهيئة الوسائل لكفالة هذه الحقوق وممارستها عملياً وعقاب من يعتدى عليها^(٢).

ومن مظاهر الارتقاء الاجتماعي ما يلي :

١- البعد عن الغيبة والنميمة ، وتحريم الغيبة لا يسع المسلم إلا أن يقاد له .

قال تعالى : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٣).

عن أبي موسى ، قال : قلت يا رسول الله ، أى المسلمين أفضل ؟ ...

قال : "من سلم المسلمون من لسانه ويده"^(٤).

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حِلَافٍ مَّهِينٍ ، هَمَّازٌ مَشَاءٌ بَنَمِيمٍ﴾^(٥).

وعن حذيفة ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : "لا يدخل الجنة غمام"^(٦).

٢- عدم قول الزور فهو من الآفات التى تفسد العلاقات الإنسانية والاجتماعية في المجتمع ، ولذلك شدد الإسلام في النهي عنه وقرر في معرض حديثه عن الصيام الذى هو عند الله من أعظم القربات أن صوم قائل الزور مرفوض .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"^(٧).

(١) وليد شلاش : مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها (بيروت ، مؤسسة الرسالة) ، ١٩٨٩ ، ص ص ١٨٩-١٩٠ .

(٢) نبيل محمد صادق : نحو مدرسة إسلامية في الخدمة الاجتماعية (كفر الشيخ المعهد العالى للخدمة الاجتماعية) ، ١٩٩١ ، ص ٤١ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

(٤) متفق عليه .

(٥) سورة القلم : الآيتان ١٠-١١ .

(٦) متفق عليه .

(٧) رواه البخارى .

٣- ومما يحقق الارتقاء الاجتماعي أن تتخذ الشورى منهجاً يتبع في المجتمع ويمتدح وأن يتشاور المواطنون في أمورهم وفقاً لما جاء به الإسلام .

قال تعالى : ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم﴾ (١).

٤- عدم الاعتداء على حقوق الآخرين لأن ذلك يكون سبباً في عدم الارتقاء الاجتماعي في المجتمع .

عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارسي أن رسول الله - ﷺ - قال : "من اقتطع حق امرئ مسلم ينميته فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة . فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ . فقال وإن كان قضيباً من أراك" (٢).

ومن أجل وقاية المجتمع من عدوان الناس بعضهم على بعض ، يقرر الإسلام أن المعتدى لا تغنى عنه يوم القيامة صلاته ولا صيامه ولا زكاته وأنه هو المفلس من أبناء المجتمع (٣).

عن أبي هريرة ، أن رسول الله - ﷺ - قال : «أتدرون من المفلس ؟ ... قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع» .

فقال : «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة ، بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه وقذف ثم طرح في النار» (٤).

وحتى يساهم الإنسان في تحقيق الارتقاء الاجتماعي للمجتمع من وجهة نظر إسلامية فإن عليه (٥) :

أولاً : ألا يكون اهتمامه بالدنيا اهتماماً يصرفه عن القيم الروحية فإن الغاية من الحياة هي تزكية النفس بمعرفة الله ومبادئه وتقوية العلاقات الطيبة بين الناس بالحب والعدل والإخاء .

(١) سورة الشورى : الآية ٣٨ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) لبيب السعيد : العمل الاجتماعي - مدخل إليه ودراسة لأصوله الإسلامية (الرياض ، دار عكاظ للطباعة والنشر)

١٩٨٠ ، ص ص ٩١-٩٨ .

(٤) رواه مسلم .

(٥) وليد شلاش : مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩ ، ص ص

١٧٧-١٧٨) .

قال سبحانه وتعالى : ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (١).

ثانياً : الاهتمام بأمر المسلمين والعناية بشأنهم والدفاع عنهم والذود عن حياتهم ، والعمل الدائب على ترقية حاضرهم وإعدادهم لمستقبل أعز وأكرم فإن هذا يقتضيه الإيمان وترتضيه الأخوة في الدين .

ثالثاً : ألا يقبل المسلم الذل ولا الضيم على الهوان ولا يستسلم للمكروه ، بل يعتصم بالله ويتقوى بالحق ، ويعتز بالمبادئ العليا التي يدين بها فالعزة ليست إلا ثمرة من ثمرات الإيمان .

قال تعالى : ﴿والله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (٢).
وقال سبحانه : ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (٣).

وبهذا تنهياً الحياة الطيبة للمواطنين في المجتمع فيحسنون استثمار أعمارهم ، ويعتدون بعلمهم فيتحقق لهم وللمجتمعهم الخير في الدنيا ويظفرون بنعيم الله في الآخرة .
ثالثاً : المستهدفون جغرافياً :

يجب أن تمتد مجالات العمل لكل المواقع التي يعيش فيها الإنسان متضمنة المجال الحضري ، المجال الريفي ، المجال الصحراوي ، المجال الصناعي ، مجال المجتمعات المستحدثة .. إلخ .

ثالثاً : المستهدفون فئوياً :

يجب أن تشمل مجالات العمل ما يلي :

١- الأسرة :

على اعتبار أنها الخلية الأساسية في بناء المجتمع ، وقد رسم الإسلام سبيل السعادة للأفراد عن طريق الحرص على بناء الأسرة وسلامتها وصفاتها (٤).

(١) سورة الحديد : الآية ٢٠ .

(٢) سورة المنافقون : الآية ٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٦٠ .

(٤) أحمد الحرفي : تحت راية الإسلام (القاهرة ، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) غير مبين سنة النشر ،

ص ص ١٣٧ - ١٣٨ .

قال تعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (١).

ولكى تكتمل المودة في الأسرة أوصى الله سبحانه وتعالى بالو الدين خيراً وقرن الأمر ببرهما بالأمر بعبادته .

قال تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ (٢).

وقال سبحانه : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ (٣).

وحتى تكتمل الصورة الأسرية فقد صور الإسلام الأبناء في الأسرة بأنهم زينة الحياة الدنيا ولكنه أمرنا بحسن تربيتهم ورعايتهم .

قال تعالى : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ (٤).

ولقد غُني الإسلام بالأسرة وجعلها أساس المجتمع ، ومن أجل ذلك حض على الزواج . عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع منكم فعليه بالصوم فإنه له وجاء" (٥).

ولقد قامت الأسرة في الإسلام على ثلاثة أسس هي : (٦)

الأساس الأول : المودة والرحمة بين الزوجين وتبقى الزوجية ما بقيت المودة .

قال تعالى : ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (٧).

الأساس الثاني : العدالة وهي حق لكل من الزوجين .

الأساس الثالث : التكافل الاجتماعي في داخل الأسرة ، فالفقير العاجز تكون نفقته

على الغنى القادر والضعيف يعاونه القوي والغنى إذا مات ورثه قريبه الفقير ... إلخ .

(١) سورة الروم : الآية ٢١ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

(٣) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٤) سورة الكهف : الآية ٤٦ .

(٥) رواه البخاري .

(٦) محمد أحمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام (مؤتمر التوجيه الاجتماعي في الإسلام ، القاهرة ، الحديث

للطباعة) ، ١٩٧١ ، ص ص ٤٤-٤٦ .

(٧) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

٢- الأطفال :

أوجب الإسلام رعاية الأطفال وإحسان تربيتهم وإرضاعهم والإنفاق عليهم وجعل ذلك حقاً لهم على آبائهم وأولياء أمورهم وعلى مجتمعهم .
قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (١).
وقال رسول الله ﷺ - "من حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه" (٢).

وأوجب الله سبحانه وتعالى النفقة للصغار .

قال تعالى : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٣).

وأوجب الإسلام من رعاية الصغير حضانة الأولاد لأنهم عاجزون عن النظر في مصالح أنفسهم وولاية أوليائه عليه في المال والعقود ، وجعل الرجال من الأب وغيره أولياء في ذلك لأنهم أقدر من النساء في تصريف أموال الصبي ، وجعل الحضانة وتربية الولد إلى المرأة لأنها أشفق على الصغير وأحن عليه وأقدر من الرجل على تربيته .
وللحاضن على الصغير ولاية الحفظ والتربية يرعاه ويقوم بما يحتاجه حتى يبلغ حداً يستقل فيه بخدمة نفسه .

وقد بلغت رعاية الإسلام للصغار حد منع الآباء أن ينفقوا أموالهم في حياتهم في المباحات بحيث يتركوا أولادهم من بعدهم فقراء .

قال عليه السلام لسعد بن أبي وقاص ، وقد أراد أن يوصي بكل ماله للفقراء ويحرم ورثته وكانت بنتا صغيرة : "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس" (٤) .

ومن شأن الدولة أن تهتم بالأطفال ، وأن توجد لهم دور الحضانة ومؤسسات الرعاية الاجتماعية ، وأن تهنيء لهم وسائل التمتع البريء من النوادي والمساجد والملاعب وغيرها ، وأن تمكنهم من الشقيف والتعليم والتوجيه لاسيما الديني منه بتعويدهم الصلاة في المسجد والتردد عليه وإنشاء مراكز ثقافية ملحقة بالمساجد على أن يتم تحت رعاية متخصصين تتوفر فيهم الأمانة والخلق والدين وسعة الصدر حتى ينشأ الأطفال ، وقد انزعجت فيهم العقيدة

(١) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

(٤) رواه مسلم .

الطبية وانغمس فيهم الإيمان القوى وتخلوا بالخلق الطيب وتهياؤوا ليكونوا أفراد المجتمع العاملين على تسانده وتكافله وقوته^(١).

٣- الشباب :

تمثل مرحلة الشباب كمرحلة ممتدة منذ البلوغ حتى النضج سن طلب العلم ثم نشره في المجتمع بعد ذلك ، وهى سن العمل والإنتاج فى فترة النضج فى شتى مناحى الحياة ، وسن الجندية والدفاع عن الوطن ، وسن الزواج وتحمل مسئولية تربية النشء وتنشئته التنشئة الاجتماعية السليمة وهو كمرحلة تقع بين الطفولة والشيخوخة تمثل مرحلة تحمل العبء الكبير فى النهوض بالمجتمع والحفاظ على كيانته^(٢).

ويلفت القرآن الكريم أنظار الآباء إلى مهمتهم الأبوية المقدمة فى وصايا لقمان لابنه ومواعظه كما حكاها القرآن نفسه .

كما نجد يثنى على جماعة من الشباب فى قوله تعالى :

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٣).

لماذا ؟ لأنهم هجروا قومهم الذين ائخذوا من دون الله آلهة ، ولجأوا إلى الله فى كهف يعبدونه ويدعونه .

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَبْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَادًا﴾^(٤).

ويجد القرآن فى موضع آخر يوضح تأديباً رائعاً لأعضاء الأسرة المسلمة يشمل الشباب فى موضوع الاستئذان فى دخولهم على الكبار فى أوقات الراحة والخلوة .

قال تعالى : ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَذَلِكَ يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾^(٥).

ويسين الرسول - ﷺ - طبيعة مرحلة الشباب وتكونها أنسب المراحل صلاحية للتوجيه فى هذا الحديث التربوى القيم ..

(١) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة مكتبة الأقصى) الأردن ، ١٩٨١ ، ص ص ٢٣٦ - ٢٤٠ .

(٢) أحمد محمد السهورى وآخرون : الخلفية الاجتماعية مع النشء والشباب (القاهرة ، دار علماء الدين للطباعة والنشر . ١٩٩٢ ، ص ٣٧ .

(٣) سورة الكهف : الآية ١٣ .

(٤) سورة الكهف : الآية ١٠ .

(٥) سورة النور : الآية ٥٩ .

"أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة ، لقد بعثنى الله بالحنيفية السمحة فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ" (١) .

وهذا يقتضى منا أن نتعامل مع الشباب وفق مخططات علمية مدروسة ويحتاج ذلك إلى الحكمة التى أشار إليها القرآن .

قال تعالى : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ (٢) .

لذا فإن أنشطة رعاية الشباب يجب أن تركز على التربية الدينية وأن تكون فى برامجها وأساليبها تجسيدا للقيم الإسلامية ، وبذا يمكننا إعداد شباب الغد الذى سوف يمد جميع روافد المجتمع بالقوى البشرية العاملة من خلال المساهمة فى تنشئته وتنشئة اجتماعية قوية وتهيئة الظروف والإمكانات الملائمة لمساعدتهم على النمو المتوازن فى النواحي الخلقية والعقلية والبدنية والصحية والنفسية والاجتماعية وتأسيس القيم والتقاليد الإسلامية وإحياء التراث العربى والإسلامى فى ميادين الرياضة والترويح وتنظيم طاقات الشباب وقدراته الخلاقة وحفزها للمساهمة الإيجابية فى زيادة الإنتاج ورفع مستوى الخدمات فى إطار أهداف المجتمع المسلم (٣) .

٤- المرأة :

إن دور المرأة فى تنمية المجتمع والنهوض به لا يقل عن دور الرجل بل إن كلا منهما يدعم دور الآخر ويكمله ، كما أن الله سبحانه وتعالى اصطفى من النساء كما اصطفى من الرجال (٤) .

قال تعالى ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض﴾ (٥) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ (٦) .

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(٣) محمد سلامة غبارى : الخلية الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب (الرياض ، عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ ، ص ص ٢٨٣ - ٢٨٤) .

(٤) محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام (القاهرة ، دار الشروق ، ط ٦ ، ١٩٧٩ ص ٢٠٦) .

(٥) سورة آل عمران : الآيتان ٣٣ - ٣٤ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ٤٢ .

وقد اهتم الإسلام بالمرأة وكرمها مولودة وناشئة ، زوجة ، وأماً ، وأعطاهما حرية العمل وحرية التعليم وحق الميراث^(١) ، واهتم الإسلام بالمرأة الحامل والمرضع ونوه بالحالات التي تمر بها كل منهما والآلام التي تقاسيها ، وحدود المسؤولية في رعايتها على الزوج ثم على وارثه ثم على المجتمع ، ووضح ذلك في قوله تعالى فيما تقاسيه الحامل :

قال تعالى : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير﴾^(٢) .

وأوضح الإسلام ضرورة العناية بالمرأة المرضع^(٣) .

قال تعالى : ﴿فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف﴾^(٤) .

ولقد كرم الإسلام المرأة باعتبارها مخلوقاً آدمياً له قيمته الإنسانية وكرامته .

قال تعالى : ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾^(٥) .

وكرمها الإسلام وحافظ على كرامتها كزوجة .

قال تعالى : ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾^(٦) .

واعترف لها بحق التملك وجعل المهر حقاً من حقوقها وليس لأحد من أقربائها أن يأخذ منه شيئاً إلا بأمرها .

قال تعالى : ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾^(٧) .

ثم قرر الإسلام حرية تصرف المرأة في أموالها .

قال تعالى : ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾^(٨) .

(١) محمد نجيب توفيق : أضواء على الرعاية الاجتماعية في الإسلام (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية) . ١٩٨٤ ، ص ٢٦٧ - ٢٧٧ .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٣) عبد العزيز الخياط : المجتمع للتكافل في الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ١٩٨١ ، ص ٢٧١) .

(٤) سورة الطلاق : الآية ٦ .

(٥) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٦) سورة النساء : الآية ١٩ .

(٧) سورة النساء : الآية ٤ .

(٨) سورة النساء : الآية ٣٢ .

٥- المسنون :

إن الكبر (التقدم فى السن) قد أصبح ظاهرة عالمية حيث يتزايد أعداد من يصل من المواطنين إلى سنوات العمر المتقدمة .

ولقد راعى الإسلام فى أحكامه وتعاليمه أن توفر للشيوخ كل أنواع التقدير والاحترام والرعاية والعناية .

ولقد أوجب الإسلام رعاية المسنين والاهتمام بهم فى ذلك الشأن .

قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رِيبَ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رِيبَانِى صَغِيرًا﴾ (١) .

وفى الحديث الشريف :

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «لا يجزى ولد والدًا إلا يجده مملوكًا فيعتقه» (٢) .

وفى ضوء ذلك فإن واجب المجتمع أن يوفر الرعاية للمسنين من خلال التوسع فى إنشاء المؤسسات الاجتماعية لرعايتهم ، وأن يلحق بتلك المؤسسات أندية اجتماعية يتردد عليها المسنون، وأن يكون ذلك تحت رعاية متخصصين فى مختلف المجالات الصحية والنفسية والاجتماعية خصوصاً ممن لهم الخبرة فى مجال العمل مع المسنين ، بالإضافة إلى عدم مغالاة تلك المؤسسات فى تحديد قيمة الاشتراكات التى يدفعها المسنون نظير الالتحاق بها بحيث تتنوع وتتعدد خدمات تلك المؤسسات لتشبع احتياجات المسنين المتعددة (٣) .

٦- اليتيم :

اليتيم هو الصغير الذى لا كاسب له أو هو من مات أبوه وتركه صغيراً ، وهو ضعيف يحتاج إلى رعاية وعناية ، ولقد حرص الإسلام على العناية باليتيم ورعايته والدعوة إلى الإحسان إليه والقيام بتربيته والعناية بأمره والنهى عن تركه وإهماله وأكل ماله وعدم تميته له (٤) .

(١) سورة الإسراء : الآيتان ٢٣ - ٢٤ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) عبد الحميد عبد المحسن : الخلية الاجتماعية فى مجال رعاية المسنين (القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط ٢ ،

١٩٩٠ ، ص ص ٩٥ - ٩٦) .

(٤) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١ ، ص ص

٢٤٠ - ٢٤٣) .

قال تعالى : ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿وأما اليتيم فلا تقهر﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم﴾ (٣) .

قال رسول الله - ﷺ - : « من وضع يده على رأس یتیم رحمة ، كتب الله له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة » (٤) .

كما جعل الإسلام إطعام اليتيم وكفالاته وكسوته من أعظم القربات إلى الله تعالى ، قال عليه الصلاة والسلام : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين » وأشار بإصبعيه (٥) .

وإن كان اليتيم غنياً أوجب الله على المسلمين أن يكفلوه ويشرفوا على ماله وينموه له ومنعهم أن يأكلوا من ماله إلا بالتى هى أحسن .

قال تعالى : ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن﴾ (٦) .

وفى ضوء ذلك وجب على المجتمع أن يهتم بالآيتام ويمنع عنهم الفاقة والحاجة ويحرص على تربيتهم وتنشيتهم والرفق بهم وإبعادهم عن التشرد والضياع بكل وسيلة مشروعة كإنشاء دور الآيتام والمدارس والملاجئ وأن يعهد لمن يرعى حق اليتيم بإدارة تلك المؤسسات حتى تتوافر لهم الرعاية التى حددها الإسلام .

٧- المعوقون :

المعوق هو المواطن الذى استقر به عائق أو أكثر يوهن من قدرته ، ويجعله فى أمس الحاجة إلى عون خارجى واع مؤسس على أسس علمية وتكنولوجية يعيدها إلى مستوى العادية أو على الأقل أقرب ما يكون إلى هذا المستوى (٧) . وقد تكون الإعاقة عقلية أو بدنية أو نفسية أو اجتماعية ، وقد ذكرت أمثلة منهم فى القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿صم بكم عمى فهم لا يعقلون﴾ (٨) .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٠ .

(٢) سورة الضحى : الآية ٩ .

(٣) سورة الماعون : الآية ١ - ٢ .

(٤) رواه أحمد .

(٥) رواه الترمذى .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٥٢ .

(٧) إقبال إبراهيم خلف : الرعاية الاجتماعية وخلمة المعوقين (الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٠ ، ص ١٩) .

(٨) سورة البقرة : الآية ١٧١ .

والإسلام ينظر إلى رعاية المعوقين كواجب ديني وديني يحاسب عليه الإنسان ، كما يأمر بالإحسان وينهى عن التكبر في العلاقات مع هؤلاء الضعفاء .

وقد عنى الخلفاء والحكام المسلمون بالمعوقين ويبدو ذلك واضحاً في اهتمام عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الخلفاء الراشدين بتوفير الرعاية للمعوقين ، وبلغ من اهتمام عمر بن عبد العزيز بهذا المجال أنه حث على عمل إحصائية للمعوقين ونحصر مرافقاً لكل كفيف وخادماً لكل مقعد لا يقوى على القيام ، كما أولت النظم الإسلامية ذوى العاهات التفاتاً خاصاً ، وعلى سبيل المثال أعطى الوليد بن عبد الملك المجنومين حتى أغناهم من سؤال الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضريح قائداً^(١) .

قال تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾^(٢) .

وواجب المجتمع أن يهتم بتلك الفئات ورعايتها ، فيهتم برعاية الأكفاء وضعاف البصر واليكم وضعاف العقول وتربيتهم تربية صحية ونفسية وتعليمهم حسب إمكانياتهم .

المبحث الخامس : كيفية تنفيذ السياسة المقترحة وعوامل نجاحها :

تعنى كلمة التنفيذ ترجمة السياسة إلى خطط تتضمن برامج ومشروعات تتناول المجالات المتعددة التى تسعى السياسة لخدمتها وتحقيق أهدافها من خلال العمل معها ، وتحقق أهداف السياسة من خلال الوضع التنفيذى الصحيح لتلك البرامج والمشروعات ، وحتى نضمن سلامة ذلك فإنه لا بد من توافر الضمانات المالية والبشرية والتنظيمية التى تساعد على ذلك وأهمها :

أولاً : الالتزام بشريعة الله سبحانه وتعالى وإقامة حدوده فى المجتمع :

حتى يضمن تنفيذ السياسة المقترحة لا بد وأن يكون الإسلام هو أساس نظام الحكم ودستور للعدل لا مفر من اتباعه ولا يقبل من المسلم أن ينحرف عنه ، والأصل الذى يقوم عليه الحكم يتكون من ثلاث شعب : الشورى ، العدالة ، الحكم بما أنزل الله والرجوع إلى الكتاب والسنة واعتبارهما المصدر الوحيد للحكم فى الإسلام .

(١) ثريا عبد الرؤوف جبريل : الخدمة الاجتماعية والفئات الخاصة (القاهرة ، بل برنت للطباعة والنشر ، ١٤٠٨ هـ ،

ص ١٩) .

(٢) سورة النور : الآية ٦١ .

قال تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (١) .

ويقول سبحانه : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (٢) .

والرد إلى الرسول بعد وفاته هو الرجوع إلى سنته ، والرد إلى الله سبحانه وتعالى هو الرجوع إلى كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٣) .

قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (٤) .

ثانياً : اعتبار الشورى في الإسلام هي الأساس للوصول إلى السياسة الاجتماعية وتنفيذها :

لقد أوجب الله على الأمة طاعة أولى الأمر فيما يرتضونه لمصالحهم ، وهؤلاء سن الله لهم قانوناً يسرون عليه يعفيهم به من الوقوع في أخطاء قد تجر الدولة إلى الخراب ، وهذا القانون هو الشورى . فالشورى قاعدة من قواعد الشرعية الإسلامية التي يطبق بها القرآن الكريم .

قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٥) .

وقال جل شأنه : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٦) .

ولم يكن النص على الشورى نظرياً فقد طبق النبي - ﷺ - على عظيم قدره ومنزله وتأيدته بوحى السماء فى كثير من الشئون التي لم ينص عليها القرآن مشورة أصحابه وكان يعمل بما يظهر له أنه الصواب ، فالله سبحانه وتعالى قال لرسوله :

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٣) محمد أحمد أبو زهرة : المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام (مؤتمر التوجيه الاجتماعى فى الإسلام . القاهرة ، الحديثة للطباعة ، ١٩٧١ . ص ١١٧) .

(٤) سورة النساء : الآية ١٠٥ .

(٥) سورة الشورى : الآية ٣٨ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ .

أى لا يحملك ما كان من نتائج المشاورة على أن تركها بل شاوَرهم فى الأمر ، وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يريد أن تكون سياسة المسلمين قائمة على مبدأ الشورى وألا يستبد بها فرد مهما كانت نتيجة المشاورة^(١) .

وفى الحديث الشريف ما يؤكد أهمية الشورى فى الإسلام للاتباع فى كل أمور المسلمين ومنها :

- عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله - ﷺ - قال لأبى بكر وعمر : «لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما»^(٢) .

- عن أبى هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «المستشار مؤتمن»^(٣)

«إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه»^(٤) .

ومن دراسة مبدأ الشورى وتطبيقاته فى الحياة الإسلامية نلاحظ عدة أمور هى :

١- أن النص على الشورى كان من المرونة بحيث لم يقيد المسلمين بصورة معينة ولا بكيفية خاصة للشورى يلتزم بها الناس فلا يخرجون عليها ، فقد ترك لأولياء الأمور وللشعوب عامة أن تختار الطريقة المناسبة على أن يكون تطبيق الشورى تطبيقاً حقيقياً صحيحاً.

٢- أن استشارة المسلمين واجبة فى جميع المسائل والمصالح ومنها وضع وتنفيذ السياسة الاجتماعية ولا يقيد إلا بقيدى :

أولهما : أن الشورى لا تكون فيما ورد فيه نص إلا أن تكون فى حدود التنفيذ والتنظيم لما بينه القرآن والسنة .

ثانيهما : أنه لا يصح أن تنتهى الشورى إلى ما يخالف نصاً أو يخرج على روح الشريعة .

ومثل هذين القيدى لا يغيران شيئاً من حقيقة الشورى لأن النصوص الواردة لا يمكن أن تقف أمام أى تحديد سليم أو تطوير صريح ، بل إننا نستطيع القول بأن اقتصار الإسلام

(١) ثريا عبد العزوف جبريل : الخطة الاجتماعية والفئات الخاصة (القاهرة ، بل برنت للطباعة والنشر ١٤٠٨ هـ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه ابن ماجه وأبو داود والترمذى

(٤) رواه ابن ماجه .

فى شئون الحياة على القواعد العامة من أهم العوامل لأمره بالشورى وذلك لمجاعة الزمن وسد الحاجة للتطور والتقدم (١) .

ثالثاً : تدخل الدولة لتوفير برامج الرعاية الاجتماعية التى تتضمنها السياسة باعتبارها حقوقاً للمواطنين :

نادى الإسلام بمسئولية الدولة عن توفير الرعاية الاجتماعية للمواطنين ، فقد قرر الإسلام للإنسان من منطلق أنه خليفة الله على الأرض كل الحقوق التى تحفظ كرامته وأكد على التزام الدولة بكفالة هذه الحقوق وضمانيها ، وهنا ينبغى أن نؤكد على أن مسئولية الدولة ينبغى ألا تقتصر على مجرد النص على الحقوق وتقريرها والنهى عن المساس بها نظرياً وإنما مسئولية الدولة فى الفكر الإسلامى مسئولية إيجابية بمعنى أنها تمتد إلى تهيئة الوسائل لكفالة هذه الحقوق وممارستها عملياً والعقاب على من يعتدى عليها (٢) .

وتدخل الدولة فى تقديم برامج الرعاية الاجتماعية لا يقوم فى التصور الإسلامى على مجرد الاستجابة للضغوط السياسية الضيقة أو الاستجابة لتوازنات القوى المتقلبة ، وإنما تقوم على شعور الحاكم بالمسئولية أمام الله سبحانه وتعالى فى ضوء ما شرع من حقوق العباد على الوجه الذى يرى فيه عمر مثلاً أنه لو عثرت بغلة فى العراق لكان متحملاً للمسئولية عما أصابها (٣) .

فالإسلام ينظر إلى كل أوجه الرعاية الاجتماعية كحق للمواطنين تلتزم الدولة بتوفيره، ومن أمثلة ذلك ما قرره الإسلام بالنسبة للتعليم كأحد أوجه الرعاية الاجتماعية فلقد أولى القرآن الكريم عناية بالعلم ، وترتيباً على ذلك اتجهت الدولة الإسلامية إلى تهيئة سبل التعليم والثقافة للأفراد ، كما اهتم الإسلام بالرعاية الصحية ، ويتمثل ذلك فى حشه على العناية بالصحة والوقاية والعلاج من الأمراض وبناء المستشفيات ، كما نظم رعاية وتأمين الإنسان فى حالات البطالة والمرض والعجز والتمل قبل أن تعرفه البشرية (٤) . أى أنه من واجب الدولة أن تكفل الحاجات الإنسانية اللازمة لكل فرد من أفرادها ولهذا فرضت الزكاة

(١) عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ ، ص ١٨٣ - ١٨٤) .

(٢) نبيل محمد صادق : نحو مدرسة إسلامية فى الخدمة الاجتماعية (كفر الشيخ ، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية ، ١٩٩١ ، ص ٤١) .

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٦١) .

(٤) نبيل محمد صادق : نحو مدرسة إسلامية فى الخدمة الاجتماعية (كفر الشيخ ، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية ، ١٩٩١ ، ص ٤٢) .

فى الإسلام (١) حتى ىعتبر تأمين أفراد المجتمع فى حياتهم المعيشية أساس العبادة فى الإسلام والسبيل إليها حتى أن موسى عليه السلام حين دعا الله تعالى بقوله :

﴿رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى﴾ (٢) .

قرنه بقوله : ﴿كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً﴾ (٣) .

بل اعتبر الإسلام مجرد ترك أحد أفراد المجتمع جائعاً هو تكذيب للدين نفسه (٤) .

قال تعالى : ﴿أرايت الذى يكذب بالدين * فذلك الذى يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين﴾ (٥) .

لذا فإن واجب الدولة أن تتدخل لتوفير برامج الرعاية الاجتماعية التى تتضمنها السياسة المقترحة باعتبارها حقاً للمواطنين قرره الإسلام وشعوراً من الحاكم بالمسئولية أمام الله سبحانه وتعالى .

رابعاً : الاعتماد على مجموعة من التشريعات تكفل تحقيق أهداف السياسة المقترحة فى تقديم أوجه الرعاية للمواطنين :

حتى نضمن نجاح السياسة المقترحة فى خدمة الناس فى المجتمع والعمل على إسعادهم يلزم أن تلتزم الدولة بالتشريعات التى وضعها الإسلام لخدمة المستفيدين من السياسة ورعايتهم وأهم تلك التشريعات ما يلى (٦) :

١- تشريع المساعدة :

وهو يشمل : المدين والغارم واليتامى ، والقاتل خطأ ، والمنقطع فى بلده ويسمى ابن السبيل .

٢- تشريع الجوار :

قال تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل﴾ (٧) .

(١) أبو الأعلى الموددى : نظرية الإسلام وهديه (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١ ، ص ٣٠٧) .

(٢) سورة طه : الآيات ٢٥ - ٢٦ .

(٣) سورة طه : الآيات ٣٣ - ٣٤ .

(٤) محمد شوقى الفنجرى : الإسلام والمشكلة الاقتصادية (الرياض ، دار الوطن للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ ، ص ٩٤ - ٩٥) .

(٥) سورة الماعون : الآيات ١ - ٣ .

(٦) عبد العزيز الحياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١ ، ص ٣١٨ - ٣٢١) .

(٧) سورة النساء : الآية ٣٦ .

٣- تشريع الماعون :

قال تعالى : ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون
ويمنعون الماعون﴾ (١) .

٤- تشريع المشاركة :

وذلك عندما يحين وقت المواسم الزراعية :

قال تعالى : ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾ (٢) .

٥ - تشريع الضيافة :

قال رسول الله - ﷺ - : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ،
جائزته يوم ليلة ، والضيافة ثلاثة أيام وما بعد ذلك صدقة» .
وفى رواية لمسلم :

«لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه ، قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه ؟
قل : يقيم عنده ولا شيء له يقريه به» (٣) .

٦- تشريع الإعفاف :

قال تعالى : ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ (٤) .

٧- تشريعات الإسعاف في حالات الجوع والعطش المهلكة :

قال رسول الله - ﷺ - : «أرى رجل مات ضياعاً بين أغنياء فقد برئت منهم
ذمة الله ورسوله»، وكذلك في حالات الكوارث الخاصة كالفيضانات والزلازل والحرائق .

٨- تشريعات الطوارئ كحالات تعرض البلاد لهجوم عدو :

قال تعالى ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ (٥) .

وقال رسول الله - ﷺ - : «من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج
الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» (٦) .

(١) سورة الماعون : الآيات ٤ - ٧ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٤١ .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) سورة النور : الآية ٣٢ .

(٥) سورة التوبة : الآية ٤١ .

(٦) رواه مسلم .

٩- تشريعات الإعانات العائلية :

كمساعدات الزواج وعلاوات الأولاد ، فقد كان رسول الله - ﷺ - إذا أتاه في قسمه من يومه فأعطى أهل حظين وأعطى الأعزب حظاً واحداً ، وكان عمر - رضى الله عنه - يفرض لكل مولود عطاء يزداد إلى عطاء أبيه (مائة درهم) ، كلما نما الولد زاد العطاء .

ولما كانت هذه التشريعات التي وضعها الإسلام لتحقيق التكافل الاجتماعي وتوفير الرعاية الاجتماعية للمواطنين تستلزم موارد مالية لضمان تنفيذها وإلا ظلت نظرية بحثة ، فقد سن الإسلام التشريعات المالية اللازمة للتنفيذ باعتبارها جزءاً من تشريعات التكافل الاجتماعي وهي :

١- تشريع الزكاة ، وتؤخذ بنسبة محدودة من النقدين (الذهب والفضة) وعروض التجارة والزروع والثمار وكل ما يستتبت من الأرض، وتصرف لفتات معينة تعتبر حقاً لهم. قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ .

٢- تشريع الوقف ذرياً كان أو خيرياً .

٣- تشريع النفقات .

٤- تشريع الوصية .

٥- تشريع الغنائم .

٦- تشريع الركاكز .

٧- تشريع الكفارات عن الذنوب والإيمان والظهار ومخالفات الحج والصوم .

٨- تشريع النذور .

٩- تشريع الأضاحي .

١٠- تشريع صدقة الفطر وهي زكاة الفطر في رمضان .

١١- تشريعات الخزانة العامة بالنسبة لمواردها المتعددة من زكاة ، ولحمس الغنائم وركاز وخراج الأرض وحزبة وتركبة من لا وارث له .

١٢- تشريع الكفاية .

وما أحرى المجتمع أن يلتزم بهذه التشريعات التي في ضوئها تتحدد بعض مجالات الرعاية وتتوفر الموارد المالية اللازمة لتنفيذ البرامج والمشروعات التي تكفل تحقيق أهداف السياسة الاجتماعية .

خامساً : الاعتماد على الإنسان بعد الله سبحانه وتعالى كأساس للتغيير وتنفيذ السياسة :

الإنسان فى نظر الإسلام هو أسمى من فى الوجود ، والإسلام جاء لتأكيد هذه المكانة له ، ذلك أن الإسلام جاء ليحقق للإنسانية مبدأ العدالة الإنسانية فى جميع جوانبها ومن ثم كان المنهج الإسلامى يهدف إلى بناء الفرد ، ومن بناء الفرد ينطلق إلى بناء المجتمع على اعتبار أن الإنسان هو أداة التغيير فى المجتمع .

وإذا كانت حكمة خلق الإنسان هى الخلافة ممثلة فى شرطيةا العبودية لله وحده والسيادة على الأرض حتى تحين الوفاة ويحىء يوم الحساب ، فإنه بذلك تتحدد مهمته ورسالته فى الحياة الدنيا وذلك بشقيها وهما : عبادة الله بإقامة منهجه ، وسيادة الكون بتعميره وإحيائه ، ومن هنا كان إحداث التغيير فى المجتمع وتنميته وتعميره هو جوهر الخلافة يعديها^(١) .

قال تعالى ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾^(٢) .

وقال سبحانه : ﴿فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾^(٣) .

ويلخص الرسول عليه الصلاة والسلام حقيقة الدنيا ورسالة الإنسان فيها بقوله : «إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله استخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون»^(٤) . والفرد فى المجتمع مكلف فى نظر الإسلام بأن يرفع مصالح الجماعة على أساس أنه حارس لها وعليه أن يقوم بدوره بدون ضرر بالآخرين .

قال : - - ﷺ - : «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا فى سفينة فصار بعضهم فى أسفلها وصار بعضهم فى أعلاها ، فكان الذين فى أسفلها يملأون بالماء على الذين فى أعلاها ، فتأذوا به ، فأخذوا فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه ، فقالوا: مالك قال: تأذيتم بى ولا بد من الماء . فإن أخذوا على يديه انجوه ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»^(٥) . ويعتبر من أنواع التغيير المسئول عنها الإنسان تكليفه بأن يحسن علمه الخاص، ذلك أن ثمرة العمل الخاص ملك الجماعة وعائدة عليها فى النهاية .

(١) محمد شرقى الفنجري : الإسلام والمشكلة الاقتصادية (الرياض ، دار الوطن للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ ، ص ١٠٦ - ١٠٩) .

(٢) سورة هود : الآية ٦١ .

(٣) سورة الجمعة : الآية رقم ١٠ .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) رواه البخارى .

قال تعالى : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾^(١) .
كما أن كل فرد مسئول عن رعاية ما هو فى حوزته من مصالح وتبعات .
قال رسول الله - ﷺ - «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»^(٢) .
كما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر من أنواع التغيير المسئول عنها
الإنسان نحو الآخرين فى المجتمع والتفاعل عن هذا الواجب الاجتماعى يؤخذ به الفرد .
قال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر﴾ .

وقال - ﷺ - : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فمن لم يستطيع فبلسانه ،
فمن لم يستطيع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان» .

وحتى يستطيع الإنسان أن يقوم بدوره فى إحداث التغيير وتنفيذ السياسة المقترحة
فإنه يتبغى أن يتم بناء تلك الشخصية الإنسانية بحيث تتوفر فيها صفات من أهمها : أن
تكون داعية إلى الخير ، متعاونة ، ساعية لقضاء حوائج الناس ، محبة للفضيلة ومؤثرة لمصلحة
غيرها على مصلحتها ، وصادقة .

سادساً : الاهتمام بالبعد العقائدى كأساس يؤثر فى كل الأبعاد الأخرى للمجتمع
إذا صلح هذا الأساس صلح المجتمع كله حيث إن العقيدة تدفع المسلم للتكيف وفقاً
للمنهج الإسلامى :

لقد أوضح لنا الإسلام أن أساس المجتمع الصالح عقيدة صالحة ، وأن المجتمع الذى
تنظمه عقيدة صالحة ينبثق عنها تشريع ينظم علاقات الناس ، وأخلاق وقيم تنبنى عليها
أعرافهم وعاداتهم . بما يضمن للمجتمع وحدته وتماسكه ، ويسوده العدل والنظام وتكافل
جماعته وأفراده وتحكمه الطمأنينة والسلام .

ومن هنا كان أساس المجتمع فى نظر الإسلام العقيدة الإسلامية . بما تشتمل عليه من
الإيمان بالله إيماناً واضحاً خالق لا شريك له ، والإيمان بالملائكة والأنبياء والرسل والكتب
السمائية واليوم الآخر ، والقضاء والقدر خيرهما وشرهما من الله ، وبما ينبثق عنها من
الأنظمة والأعراف التى تسود المجتمع وتحكم أفراده .

ومن هذا الإيمان يصدر التصور الذى يدرك به الإنسان المسلم حقيقة الله وحقيقة
الكون الذى يعيش فيه ، وحقيقة الحياة التى ينتسب إليها ، وحقيقة نفسه وذاته ، وكيف

(١) سورة التوبة : الآية رقم ١٠٥ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه .

سلوكه ومعاملاته على أساسها وتعامله مع الكون على هداها^(١). خصوصاً أن مشكلة التخلف تتجه إلى أن يكون مردها اليوم إلى غياب البعد العقائدي ، وأى عمل يصدر من الإنسان ولا يقوم على أساس التقوى وصدق الإيمان فهو باطل ، ولو ألبسه صاحبه أفضل صورة من البر والإحسان. وكل قول يصدر عن قلب لا يؤمن بالله فإن الله لا يرفعه إليه ولا يثيب صاحبه عليه مهما كانت صورته لأنه صادر عن عقيدة ترعى فى عملها جانب المخلوق دون الخالق .

قال تعالى : ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾^(٢) .

وقال سبحانه : ﴿أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾^(٣) . وعلى الجانب الآخر نجد أن القلوب التى عمرت بالإيمان والتقوى تقوم فيها الرقابة الدينية على كل عمل من أعمال الإنسان فلا يصدر عنه قول أو عمل إلا فى ظل الخشية من الله .

المبحث السادس : دور الخدمة الاجتماعية في وضع وتنفيذ السياسة المقترحة :

تسعى مهنة الخدمة الاجتماعية إلى إحداث التوازن بين الأفراد وأنفسهم ، وبين مجتمعهم ، كما تعمل على إحداث تغييرات مقصودة في الوحدات الإنسانية التى تتعامل معها واستثمار طاقات وقدرات هذه الوحدات لتحقيق أفضل أداء ممكن لوظائفها الاجتماعية.

وتساهم المهنة مع غيرها من المهن في المجتمع في وضع وتنفيذ السياسة الاجتماعية ، وعلى ضوء ما تم اقتراحه فيما تضمنته السياسة الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامى يمكن للخدمة الاجتماعية أن تساهم بدور فعال في إنجاح تلك السياسة ، ويتضمن ذلك :

أولاً : تدعيم مشاركة المواطنين في وضع وتنفيذ السياسة :

إن الشورى في الإسلام من الأمور المهمة التى تضمن تضافر الجهود في سبيل تحقيق الأهداف ، ويمكن للخدمة الاجتماعية أن تساهم في زيادة مشاركة المواطنين في وضع وتنفيذ السياسة المقترحة من خلال تشجيع صور المشاركة التى أقرها الإسلام .

(١) عبد العزيز الخياط : المجتمع للتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١ ، ص

ص ١١ - ١٤).

(٢) سورة النور : الآية ٣٩ .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ١٨ .

وتهتم الخدمة الاجتماعية بضرورة إعداد الناس للمشاركة في المجتمع عن طريق إمدادهم بالمعلومات والإرشادات حتى يكونوا على مستوى المشاركة في عملية وضع السياسة ، وأيضاً في مساعدتهم على تحديد مجالات وأوقات المشاركة حتى يمكن الاستفادة من المشاركين من خلال مشاركتهم بالرأى أو المال أو الجهد حسبما يتطلب الموقف بما يتناسب وظروف أفراد المجتمع .

ثانياً : إيقاظ الشعور بالمسئولية الشخصية لدى أفراد المجتمع ليكون لهم دور في الاعتماد عليهم بعد الله - سبحانه وتعالى - كأساس للتغيير ، إلى جانب إيقاظ الشعور بالتعاون في سبيل الخير وتحقيق أهداف السياسة :

وبخاصة أن الإسلام اهتم اهتماماً كبيراً بالتأكيد على مشاركة الفرد والجماعة والدولة في تحقيق الخير للجميع ، وعلى أداء حق الغير والجماعة وولاء الفرد لجماعته ومجتمعه ، وذلك من خلال المساهمة في تكوين الفرد المتوازن الذى لطبيعته المتوازنة لن يعتدى على حقوق غيره ، بل يمكن أن تتوازن المسئولية للفرد مع المسئولية الاجتماعية . مما يحقق أهداف السياسة المقترحة ، حيث يتم ذلك على أساس من حقائق المنهج الإسلامى على أساس التوازن الكامل بين مطالب الفرد وحق الجماعة في جو من الحرية والعدالة والمساواة في الحقوق والواجبات .

ثالثاً : دراسة المجتمع والتعرف عليه وعلى مشكلاته كأساس لوضع وتنفيذ السياسة :

وتهدف دراسة المجتمع إلى التعرف على السياق الاجتماعى والثقافى والاقتصادى الذى سيكون موضع تنفيذ السياسة وطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة والقوى الاجتماعية المسيطرة وعادات المجتمع وتقاليده واتجاهاته بما يساهم في وضع وتحديد برامج الرعاية التى تتضمنها السياسة، ذلك أن من الأسس المقررة في تصميم البرامج أن كل برنامج يصمم على أساس منبت الصلة بالواقع الثقافى والاجتماعى الذى يعمل في إطاره محكوم عليه منذ اليوم الأول بالفشل أو على الأقل بضعف الفاعلية^(١) .

وبالجانب الآخر الذى تهتم به الخدمة الاجتماعية في دراسة المجتمع هو مشكلات المجتمع ومعرفة نوعية تلك المشكلات بالنسبة لغيرها وعدد الذين يتأثرون بها الجهود التى بذلت لحلها .

بالإضافة إلى ذلك تهتم المهنة بدراسة إمكانات المجتمع الذاتية المتاحة سواء قوى بشرية أو مادية أو اقتصادية وأجهزة الخدمات القائمة ومدى فاعليتها وكيفية تطوير أدائها والاستفادة منها^(٢) .

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٩) .

(٢) محمد أحمد عبد الحادى : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية (ندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ١٧-١٨) .

ومن خلال استفادة الخدمة الاجتماعية بتلك الدراسات فإنها يمكن أن تكون أساساً لوضع برامج وخدمات وفقاً لما تستهدفه السياسة من أهداف للفرد والمجتمع على حد سواء .
رابعاً : الفهم الواعي لموضوع الجهود المهنية للخدمة الاجتماعية .. وهو الإنسان والذي على أساسه يمكن للمهنة أن تنجح في جهود التدخل المهني طبقاً للتصور الإسلامي :

إذا كانت الخدمة الاجتماعية كمهنة تستهدف مساعدة الإنسان كفرد أو كعضو في جماعة أو مجتمع على مواجهة مشكلاته وإشباع حاجاته ، مع تنمية قدراته إلى أقصى حد ممكن ، فإن من الواضح أن عملية المساعدة لا بد أن تكون مبنية في الأساس على فهم كاف لموضوع تلك الجهود المهنية ألا وهو الإنسان من حيث طبيعته ومكوناته التي ركب منها أو من حيث ديناميات التفاعل بين تلك المكونات .

ولما كانت سياسات وبرامج ومؤسسات الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية تمثل الرعاء الذي تتم في إطاره الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية فإن وضوح التصور الإسلامي للأسس التي تقوم عليها تلك السياسات والبرامج والمؤسسات يعتبر شرطاً لازماً لا بد منه لنجاح جهود التدخل المهني .

لذا فإن على المهنة أن تقوم بإعادة صياغة معارفها ومبادئها وطرقها في التدخل بشكل ينطلق من التصور الإسلامي . والافتراضات الأساسية حول الإنسان والمجتمع والكون ، والتوصل إلى نظرية الممارسة في الخدمة الاجتماعية بما تشمله من المواقف والأعراض التي تتطلب التدخل ، كما تشمل الأهداف التي يوجه نحوها العمل المهني في كل نوع من تلك المواقف ، إضافة إلى استراتيجيات وأدوات التدخل الملائمة لكل منهما^(١) .

خامساً : تحليل السياسة واقتراح مؤشرات بتعديلها على أساس المنظور الإسلامي الذي يحقق التغيير المنشود في الفرد والجماعة والمجتمع :

يمكن للخدمة الاجتماعية عن طريق الممارسين والأكاديميين المساهمة في وضع وتحليل السياسة الاجتماعية في ضوء خبراتهم المهنية للتعرف على مدى تحقيق السياسة لأهدافها في إشباع أقصى قدر من الاحتياجات الأساسية وضمان حد الكفاية لكل فرد من منظور المصالح المقصودة في التشريع من خلال عمل الأخصائيين الاجتماعيين في تقديم الخدمات للأفراد والجماعات والمجتمعات في المؤسسات الأولية والثانوية للخدمة الاجتماعية التي تضطلع بمسئولية تقديم البرامج والمشروعات التي تساعد على تحقيق أهداف السياسة ثم

(١) إبراهيم عبد الرحمن ورجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٤) .

التوصل إلى أسلوب لتعديل السياسة بالتعامل مع متخذى القرارات الخاصة بوضع السياسة بحيث توضع وفق أحكام الشريعة الإسلامية لتحقيق أهداف المجتمع وتكون متكاملة متوازنة تتخذ من إشباع الاحتياجات الروحية محوراً لجميع ما يقدم من خدمات لإشباع الاحتياجات المادية .

سادساً : العمل مع المنظمات والهيئات التى تساهم في تقديم الخدمات المرتبطة بتحقيق أهداف السياسة :

يحتاج تنفيذ السياسة المقترحة إلى أن تطور المهنة من أسلوب عملها في المنظمات التقليدية الحالية لممارسة المهنة على أساس من التصور الإسلامى للإنسان والمجتمع والكون . خصوصاً أن المهنة ما زالت في حاجة إلى جهود تبذل لاستخلاص ما تحتاج في مجال الممارسة في المؤسسات التقليدية وذلك من خلال قيام العاملين في هذه المجالات ببلورة الافتراضات الأساسية التى يقوم عليها التصور النظرى للأبعاد اللازم تأصيلها في ضوء خبراتهم^(١) :

١- الطبيعة البشرية في المنظور الإسلامى .

٢- السنن النفسية والاجتماعية .

٣- تفسير المشكلات الفردية والمشكلات الاجتماعية .

٤- سياسات وبرامج الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية .

٥- أساليب التدخل المهنى للخدمة الاجتماعية .

وإلى جانب ذلك فإن دور المهنة يتضمن العمل مع المؤسسات الإسلامية التى تهتم بتقديم تلك الخدمات إلى جانب المؤسسات التقليدية كالجمعيات الخيرية ومكاتب الدعوة والإرشاد والمساجد والمؤسسات التى تعمل في مجالات الكوارث والإغاثة والتهجير وغيرها من المؤسسات والتى يمكن للخدمة الاجتماعية أن تقوم بدور يساهم في تحقيق السياسة المقترحة من خلال مساعدة تلك المؤسسات .

سابعاً : الاهتمام بإعداد الأخصائى المسلم الذى يمثل قدوة المجتمع الذى يعيش فيه والاهتمام بتكوين شخصيته الإسلامية :

تحتاج مساهمة مهنة الخدمة الاجتماعية في وضع وتنفيذ ومتابعة وتقويم السياسة الاجتماعية قيام المتخصصين في المهنة وهم الأخصائىون الاجتماعيون بدورهم في ذلك ، ويلزم ذلك القيام بعدة إجراءات قد تكون ملائمة لإعداد الأخصائى الاجتماعي ومنها :

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٥).

١- الاهتمام بالإعداد النظري للأخصائي الاجتماعي بحيث يتضمن دراسة مواد شرعية بالإضافة إلى دراسة طرق ومجالات الخدمة الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والكون .

٢- الاهتمام بالإعداد العلمي للأخصائيين الاجتماعيين من خلال الاهتمام بتدريبهم في مؤسسات العمل الإسلامي وتحديد الخطط التي سيتم التدريب عليها بما يكسب الطلاب المعارف والخبرات والمهارات والسمات الشخصية التي تساعد على ممارسة عملهم بعد التخرج .

٣- بذل جهود نشطة ومكثفة وواسعة النطاق حتى تتمكن من بلورة ذلك التصور الإسلامي واستكشاف أبعاده والتعرف على حلوه ، ثم إسقاط هذا التصور على نظرية الممارسة الحالية واستبعاد ما لا يتوافق معه ثم البناء على قواعد هذا التصور وعلى ما يعمد من الأطر التصورية التفصيلية المستمدة من المشاهدات المحققة ومن خبرات الممارسة حتى يبلغ الأمر غايته بظهور نظرية الممارسة المنطلقة من التصور الإسلامي^(١).

ثامناً : اهتمام الخدمة الاجتماعية بإجراء الدراسات العلمية والبحوث في المجالات التي تحتاج لذلك لاستنباط المبادئ الجزئية التفصيلية الموجهة للمواقف العملية المحددة وإلى ابتكار أساليب التدخل الإجرائية الملائمة :

ومن أهم الموضوعات التي يجب أن تهتم بدراستها المهنة ما يلي :

- دراسة حول الأساليب المهنية اللازمة لإعداد الأخصائي الاجتماعي المسلم نظرياً وعملياً.

- دراسات تقويمية للتعرف على حقيقة البرامج التي تقدم من خلال مؤسسات الممارسة الحالية ووضعها بالنسبة لما يجب أن تكون عليه تلك البرامج في ضوء التصور الإسلامي .

- دراسات لتحديد أدوات وأساليب الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية بطرقها المتعددة في المجالات التي تقع في نطاق السياسة الاجتماعية .

- دراسات مرتبطة بطبيعة المشكلات الفردية والاجتماعية وأغراضها والأساليب التي يمكن استخدامها في حلها في ضوء التصور الإسلامي .

- دراسات مرتبطة بالزكاة كأساس لتمويل برامج السياسة الاجتماعية مصادرها ومصارفها .

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة

الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢١) .

- دراسات وصفية تاريخية لما كان يقدم من برامج متنوعة لرعاية الفئات التي تخدمهم السياسة في الدولة الإسلامية الأولى .
- دراسة لنوعية المؤسسات التي تقدم من خلالها الخدمات كالمساجد والمدارس وغيرها في الإسلام .
- دراسات عن علاقة مهنة الخدمة الاجتماعية بالمهن الأخرى لتحقيق أهداف السياسة في ضوء التصور الإسلامي .
- دراسات لتحديد دور الأخصائي الاجتماعي المسلم ارتباطاً بكل مجال من مجالات الممارسة التي تتضمنها السياسة .

خدمة الجماعة وتنمية الشخصية الإسلامية

د . نبيل إبراهيم أحمد عبد الرحيم

مقدمة :

إن النظرة الفاحصة والمدققة لما يجري من محاولات بشأن التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية بعامة ، والخدمة الاجتماعية بصفة خاصة يمكن أن تدفع إلى القول بأن هناك تنامياً ونضجاً في المحاولات الحالية إذا ما قورنت بالمحاولات الأولى التي سلكت هذا الاتجاه . وقد اتجه الباحث إلى الاهتمام بدراسة قضية يرى أنها قضية مهمة - لو صح التعبير - بالنسبة لتخصصه الدقيق - طريقة العمل مع الجماعات في الخدمة الاجتماعية - ألا وهي قضية إسهام طريقة العمل مع الجماعات في تنمية الشخصية الإسلامية .

وإعطاء تلك القضية هذه الأهمية يعود إلى أهمية الإنسان في الكون باعتباره خليفة الله على الأرض ، لذا سخر الله له كل مافى الأرض والكون لخدمته حتى يؤدي أمانته التي أوتمن عليها ، وإن عظم هذه الأمانة يدفعنا إلى طرح التساؤل التالى : هل أي إنسان قادر على أن ينهض بتلك المسؤولية ؟ أم أن هذا الإنسان القادر على حمل تلك الأمانة له مواصفات خاصة ؟

وفي تقدير الباحث أن الإنسان المؤهل لحمل تلك الأمانة هو الإنسان المسلم الذى يتسم بسمات الشخصية الإسلامية كما حددت في كتاب الله وسنة رسول - ﷺ - وهذا التحديد لنوعية الشخصية القادرة على حمل تلك الأمانة دفع الباحث إلى أن يطرح سؤالاً محورياً آخر مؤداه:

هل هذه الشخصية - بمعالمها المحددة - متوفرة في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة ؟ والحقيقة أنه برصد أوضاع الإنسان المسلم في مجتمعاتنا المعاصرة يمكن أن نصل بسهولة إلى القول بأن هذه الشخصية ليست متوفرة أو على الأقل هي نادرة الوجود .

وقد كان من الطبيعى بل ومن المتوقع - في ضوء هذه الإجابة - أن نهتم بالتعرف على العوامل التي كانت وراء عدم توافر أو ندرة هذه الشخصية ، بيد أن هذا الأمر لا يدخل في نطاق اهتمام هذا البحث ، لذا وتجنباً للدخول في التفاصيل لتفسير هذا الظاهرة نكتفى بالقول باختصار أن هذا الوضع يرجع إلى تضافر مجموعة من المتغيرات الداخلية والخارجية والتي تفاعلت معاً وأفرزت فى النهاية غياب أو ندرة أو عدم توفر الشخصية الإسلامية في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة ، وفي ضوء هذا الواقع المريع كان طبعياً أن يطرح سؤالاً مفاده :

هل يمكن إجراء تغيير - أو تنمية - فى شخصية الإنسان المسلم حتى تعود هذه الشخصية إلى طبيعتها الإسلامية ، شكلاً وسلوكاً ، قولاً وعملاً ؟

الحقيقة أن الإجابة عن هذا السؤال بالإيجاب ممكنة ، غير أن ذلك يحتاج إلى إحداث تغييرات جوهرية متعددة الجوانب فى المجتمعات الإسلامية لعل أبرزها إحداث تغييرات مقصودة ومتناسقة فى نظم المجتمعات الإسلامية ومؤسساتها ، بيد أن هذا التغيير ربما يطول انتظاره ، لذا كان من المناسب أن نطرح السؤال التالى : هل يمكن لطريقة العمل مع الجماعات فى الخدمة الاجتماعية أن تسهم - فى ظل الأوضاع الحالية - فى تنمية الشخصية الإسلامية وهي القضية المحورية لهذا البحث ؟

ولقد حاول الباحث فى معالجته لهذه القضية الابتعاد عن الدخول فى التفاصيل الخاصة بمعالم الشخصية المسلمة - التى تزخر بها كثير من المؤلفات - واتجه إلى الاهتمام بإبراز الجوانب الخاصة بإسهام طريقة خدمة الجماعة فى تنمية الشخصية الإسلامية ، لذا عنى بإبراز الخيرات الجماعية وإسهامها فى تكوين الشخصية الإسلامية ، كما اهتم بتبيان الأساليب الإسلامية التى يمكن أن تفيد فيها الطريقة فى تحقيق تلك المهمة ، وعنى بتصميم برنامج - مقترح - فى العمل الجماعات لتنمية الشخصية الإسلامية ، وهذا البرنامج يمكن أن يخضع للاختبار فى أرض الواقع لمعرفة مدى ملاءمته لتحقيق الغاية التى صمم من أجلها ، وفى ضوء ما تسفر عنه نتائج هذا الاختبار يمكن الحكم على مدى ملاءمته أو احتياجه إلى إعادة مراجعة حتى يكون صالحاً للتطبيق وتحقيق الهدف الذى صمم من أجله .

وفى إطار تناول الباحث لقضية هذا البحث ومحاوره المختلفة - السابق التنويه عنها - برزت قضية فرعية مفادها : هل الأخصائى الاجتماعى الحالي فى المجتمعات الإسلامية - شخصية وإعداداً - قادر على الاضطلاع بمهمة استخدام الجماعات فى تنمية الشخصية الإسلامية ؟

فى الحقيقة أنه نظراً لأهمية هذه القضية الفرعية فقد اهتم الباحث بمناقشتها مبنياً وجهة نظره فيما ينبغى أن يكون عليه الإعداد المهنى لأخصائى العمل مع الجماعات ، وموضحاً لأهم السمات التى ينبغى أن تتوافر فى هؤلاء الأخصائيين .

ويهم الباحث فى مستهل هذه الدراسة أن يؤكد على أن القضية التى يهتم بمناقشتها تعد قضية مهمة وعورية وتحتاج إلى اهتمام يتساوى مع أهميتها من الباحثين المهتمين بقضية التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية - لأن ما قدمه لا يعدو أن يكون محاولة متواضعة فى هذا الشأن - كما أن الواجب يقتضى أن يشير إلى أن القضية لها جوانب كثيرة تستأهل البحث والعناية ولا سيما قضية تصميم برامج متعددة للعمل مع الجماعات المختلفة تسهم فى تنمية الشخصية الإسلامية .

الشخصية الإسلامية وأبعادها :

يحدد لنا الدين الإسلامي الحنيف ملامح وأبعاد أساسية لا بد من توافرها في الإنسان حتى يصدق إسلامه وإيمانه ، وهي كفيلة بأن تحقق له الفلاح والنجاح والأمن في الحياة الدنيا وفي الآخرة^(١) .

وليس هنا مجال لعرض التعريفات المختلفة للشخصية إلا أنه يمكن تحديد مفهوم الشخصية الذي نعينه في هذا البحث فيما يلي :

"الشخصية هي مجموعة الصفات والقدرات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية التي تضافى على الإنسان فرديته"^(٢) .

وتشكل العقيدة الإسلامية نموذجاً فريداً من الشخصية السوية المتوازنة المتكاملة التي تستشعر الأمن والأمان والقوة لثقتها في ربها ثم في نفسها^(٣) ، ويوضح لنا القرآن الكريم أهم خصائص الشخصية الإسلامية في سورة الفرقان - يقول تعالى :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا * وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يَضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما * ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا * والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما * والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾^(٤) وتشير هذه الآيات البينات إلى أن شخصية المؤمن تتسم بالتواضع وحب الله وعبادته والخوف من عذابه وتقوى الله في السر والعلن ، وتتسم بالاعتدال في الإنفاق ونبذ وكرهية الشرك ، وعدم قتل النفس إلا الحق ، والبعد عن الفواحش مظهر منها وما

(١) نبيل السمالوطى : النظام التربوي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية ، بحث مقدم إلى ندوة التربوي في المجتمع الإسلامي ، جدة ، السعودية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٦م ، ص ٢٤٥ .

(٢) عبد الحميد عبد المحسن عبد الحميد : الأنشطة الطلابية وأثرها في تكامل شخصية الطالب : مدخل إسلامي ، مجلة بحوث ودراسات ، كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٤٨ .

(٣) نبيل السمالوطى : النظام التربوي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٢٤٦ .

(٤) سورة الفرقان : الآيات من ٦٣-٧٤ .

بظن كالزنا ، والتوبة إلى الله والرجوع إليه ، والتفكير في آيات الله سواء المشهودة كالكون والإنسان وكل المخلوقات أو المقروءة وهي القرآن الكريم ، كذلك فإن المؤمن لا يشهد الزور ودائم التضرع إلى الله لإصلاح الزوج والذرية^(١).

إن الشخصية الإسلامية شخصية بسيطة تشبع حاجات النفس والعقل والروح والجسم في توازن ، وبالشكل الذي يرسمه لنا الإسلام عقيدة وشريعة ، وهذا يعنى أن الشخصية الإسلامية تتسم بالحفاظ على نقاء الفطرة وإشباع الحاجات الروحية والجسمية والنفسية بالأساليب السوية وإعلاء الغرائز التي لم تكن بعد الفرصة لإشباعها بالشكل السوي السليم .

كما أن الشخصية الإسلامية شخصية جادة نشيطة عاملة تؤمن بقيمة العمل الموجه للخير في كل مجالات الحياة العلمية والاقتصادية والاجتماعية ، وهي تنطلق في هذا الإيمان من توجيهات القرآن وتوجيهات هدي السنة المطهرة ، ويمكن أن نحدد باختصار ملامح وأبعاد الشخصية الإسلامية في الآتي (٢) :

البعد الأول : علاقة المسلم بخالقه وتمثل في العقيدة والعبادات .

البعد الثاني : علاقة المسلم بنفسه وتمثل في السمات الجسمية والعقلية والمعرفية والانفعالية والعاطفية .

البعد الثالث : علاقة المسلم ببيئته الاجتماعية وتمثل في السمات المتعلقة بالعلاقات الأسرية (علاقة المسلم بوالديه وإخوته وأقاربه) والسمات المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية والسمات المتعلقة بالجانب الخلقى .

من هنا يجب التأكيد على أهمية فهم الشخصية الإسلامية وأبعادها المختلفة كما يحددها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وكما أفاض فيها الفقهاء نجد أنها تجمع كل

(١) نيل السالوطي : النظام التربوي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) يمكن الرجوع إلى :

- سيد عثمان : المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة ، دراسة نفسية وتربوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩ م .

- عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية ، دراسة قرآنية ، ط ٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ م .

- سعد الدين الجيزاوى : فصول في تربية الشخصية الإسلامية ، دراسات في الإسلام ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، العدد ٨١-١٩٨٦ م .

- حسن محمود جاد الكريم : محاولة لإعادة بناء الذات المسلمة ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨٣ م .

- حسنى محمد الشرقاوى : نحو علم نفس إسلامى ، ط ٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الإسكندرية ، ١٩٧٩ .

الخصائص إلى جانب شيء مهم وأساسى وهو أن هذه الخصائص (الإيجاز - الابتكارية - حب العلم والعمل - القدرة على مواجهة المشكلات - الدقة - الصدق - الأمانة .. إلخ) تنبثق من الإيمان بالله وتنطلق من دوافع إيمانية تمثل قوة دفع كبيرة أقوى من كل الدوافع والمنطلقات الوضعية - وقد حدد الإسلام أساليب الاهتمام والتوجيه والعناية لهذه الشخصية من خلال اتباع الأساليب الإسلامية .

الخبرات الجماعية التي توفرها خدمة الجماعة وعلاقتها بتنمية الشخصية الإسلامية: ترتكز ممارسة خدمة الجماعة على القيمة الإيجابية للخبرات الجماعية وتأثيرها على الأفراد ، هذه الخبرات التي تتيحها الأنشطة المختلفة للبرنامج ، وكذلك تلك الخبرات الناجمة عن العلاقات الاجتماعية التي تتيحها الحياة الجماعية . واستفادة الأفراد من الخبرات الجماعية التي تتيحها عضوية الجماعة كثيرة ومتعددة ، فبالإضافة إلى مقابلة العديد من الاحتياجات النفسية والاجتماعية للأفراد في مراحل نموهم المختلفة ، فقد اتضح من الممارسة المهنية لخدمة الجماعة إمكانية استخدام الخبرة الجماعية كوسيلة للإعداد وللشاركة النشطة من الأعضاء في الجماعات المختلفة ، تلك المشاركة التي تسهم في تكوين وإعداد الإنسان الصالح ، ويمكن تحديد بعض الجوانب التي تؤكد هذه الخبرة على الوجه التالي (١) :

١- للخبرة الجماعية أثرها في تهيئة وإعداد الأفراد للمشاركة الفعالة في مجتمعاتنا المحلية .

٢- يتضح تأثير الخبرة الجماعية في العديد من الجماعات التي تستخدم المناقشة الجماعية كأسلوب لدراسة مختلف القضايا الاجتماعية التي تهتم الأفراد ومجتمعهم .

٣- تسهم الخبرة الجماعية في إتاحة الفرصة للأفراد لتنمية قدراتهم على الاشتراك مع الغير عن طريق إسهام الأفراد واشتراكهم مع الآخرين في كل ما يتعلق بهم من أمور إنشاء الحياة الجماعية.

٤- أهمية الخبرة الجماعية في ترشيد واستثمار أوقات فراغ الأفراد بما يعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالنفع .

(١) يمكن الرجوع إلى :

- محمد شمس الدين أحمد : العمل مع الجماعات في محيط الخدمة الاجتماعية ، القاهرة مكتبة يوم المنشريات .
١٩٨٦ م .

- عبد الحميد عبد المحسن عبد الحميد : الممارسة المهنية في العمل مع الجماعات ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،
١٩٩١ م .

- مجموعة من الدراسات والبحوث التي أجريت في مجال العمل مع الجماعات .

٥- للخبرة الجماعية دور فى تدعيم الاتجاهات المقبولة اجتماعياً لدى الأفراد ، وكذلك تدعيم السلوك الإيجابى ، وغرس القيم الاجتماعية الصالحة ، والذي من شأنه أن يساعد فى تكوين الإنسان الصالح لنفسه وللمجتمع .

الإعداد المهني لأخصائى الجماعة كمدخل لتنمية الشخصية الإسلامية :

رغم ماتقدمه الخبرة الجماعية من فوائد لكل من الفرد والجماعة والمجتمع ، فإن الأمر يتطلب ضرورة توافر الريادة الحكيمة للجماعات والتي يمكن أن تستثمر الخبرة الجماعية على الوجه الأمثل ، وبتعبير متكافئ فنحن فى حاجة إلى غط من أخصائى العمل مع الجماعات المزودين بمهارات معينة واتجاهات محددة .

هذا وقد أوضحت الدراسات والبحوث التي أجريت فى مجال الممارسة المهنية للعمل مع الجماعات العديد من المهارات والاتجاهات التي تزيد من فاعلية هذه الممارسة ونعرض لبعض منها بإيجاز على النحو التالى :

١- القدرة على تكوين العلاقة الناجحة مع الجماعة ، وهذا يتطلب الوعي الذاتى من أخصائى الجماعة وتكريس قدراته وجهوده لتنمية أعضاء الجماعة لاستخدام طاقاتهم الاستخدام الأمثل .

وترتكز مهارة أخصائى الجماعة فى تكوين العلاقات مع الجماعة على النهم العقلانى لديناميكية السلوك الفردى ، والتنسيق المنطقي للأفكار لتشخيص السلوك الجماعى داخل إطاره الاجتماعى ، هذا بالإضافة إلى أن ذلك يتطلب من الأخصائى النهم الملائم لكل موقف على حدة والذي يمكنه من التعامل معه بفاعلية وفى نفس الوقت الحفاظ على مسؤوليته المهنية .

٢- معرفة الأنشطة الجماعية التى من المحتمل أن تهتم جماعات معينة ، وهذا لا يعنى أن يكون ملماً بكل المهارات الترويجية أو التعليمية التى يمكن أن تكون مطلوبة ، ولكن عليه أن يكون على إدراك كاف بالبرامج التي تساعد على تنمية مهاراتهم الذاتية ، والتي قد تتطلب قيادة متخصصة إذا احتاج لذلك .

٣- يجب أن يزود أخصائى الجماعة بالمهارة فى الاتصال بأفراد الجماعة خصوصاً هؤلاء الذين يحتاجون لمساعدة أكبر من تلك التي يمكن أن توفرها الجماعة لهم ؛ وذلك يتطلب من الأخصائى القدرة على إدراك السلوك غير السوي ، ويكون قادراً كذلك على إدراك الحاجة إلى المساعدة الفردية ، وأن يعرف المصادر المتاحة التي قد يتطلب الأمر الاستعانة بها ، كما تتضمن تلك المهارة قدرة الأخصائى على استقبال المحولين إليه وأن يضع الأفراد فى المواقف الجماعية المساعدة لهم . وهو فى هذا يستخدم على نحو واسع تشخيص

الآخرين ، ولكن تطبيق العلاج يكون من خلال أدواته الخاصة المتاحة من خلال البرنامج والعلاقات داخل الجماعة .

٤- يجب على أخصائى الجماعة ضرورة إدراك قيمة وأهمية الجماعات المختلفة كأدوات أساسية في عملية المساعدة المهنية ، حيث إن الخبرات الجماعية المتنوعة لها قيم مختلفة لأفراد معينين أو لأوقات محددة في الحياة .

وهكذا يتضح لنا تعدد المهارات المطلوبة لأخصائى الجماعة ، تلك المهارات التى تستخدم نظاماً خاصاً في الإعداد المهني لأخصائى العمل مع الجماعات (١) .

كما يتضح مما تقدم حاجة أخصائى الجماعات إلى إعداد عام يتمثل فيما يحصل عليه أخصائيو العمل مع الأفراد والمجتمعات ، وفي ذات الوقت في حاجة إلى إعداد خاص يتعلق بسياق طريقة العمل مع الجماعات بصفة عامة ومن المنظور الإسلامى بصفة خاصة .

متطلبات الإعداد المهني لأخصائى الجماعة في المجتمعات الإسلامية :

وعن عملية الإعداد المهني لأخصائى العمل مع الجماعات في المجتمعات الإسلامية نعرض لأهم العناصر التي يجب أن تتضمنها تلك العملية ومتطلباتها على النحو التالي :

١- الاهتمام باختيار أخصائى الجماعات بالتأكد من توافر صفات الشخصية المسلمة فيمن يقع عليهم الاختيار ، وإعطاء عناية بالغة لتنمية جوانب هذه الشخصية من خلال برامج الإعداد المهني .

٢- أن يتضمن النسق المعرفي لإعداد أخصائى الجماعات الاهتمام بتوجيه مقررات هذا النسق ومحتوياته توجيهياً إسلامياً أو ما اصطلح على تسميته بالتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (٢) .

٣- إعطاء عناية بالغة بتدريب أخصائى الجماعات على تصميم وتنفيذ البرامج المختلفة الاجتماعية والثقافية والفنية والرياضية والتي تتسق مع الاتجاه الإسلامى .

٤- وحتى تؤتى عملية الإعداد بأبعادها السابق التنويه عنها ينبغي الاهتمام بما يلي :
(أ) الإمام الواعى لأخصائى الجماعات بأصول المنهج الإسلامى وبكيفية إعماله في برامج وأنشطة الجماعات المختلفة .

(ب) إكساب أخصائى خدمة الجماعة المهارة في إعمال القيم الإسلامية مثل العدل والمساواة والصدق والتعاون ... إلخ في ممارستهم المهنية مع الجماعات التى يعملون معها .

(١) المصدر السابق .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب : اتوجهية الإسلامى للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامى

للعلوم الذي تنظمه رابطة الجماعات الإسلامية ، بالتعاون مع جامعة الأزهر ، القاهرة ، إبريل ١٩٩٢ .

(ج) إكساب أخصائيي العمل مع الجماعات المهارة في استخدام أساليب التربية الإسلامية في العمل مع الجماعات سواء في تصميم البرامج أو تنفيذها أو تقويمها .

٥- إعطاء عناية بالغة - وبصفة مستمرة - بتنمية الجوانب الإسلامية في شخصية أخصائيي العمل مع الجماعات من خلال تنظيم دورات تدريبية - قبل وأثناء العمل - تصمم محتوياتها وأساليبها والخبرات التي تتيحها والمهارات التي توفرها لتدعيم هذه الجوانب .

٦- ومن الطبيعي أن تتجه ممارسات أخصائيي العمل مع الجماعات في ضوء هذا الإعداد إلى الاهتمام بتنمية شخصية أعضاء الجماعات التي يعملون معها من خلال العناية بالجوانب التالية:

(أ) أن تشتمل برامج العمل مع الجماعات على أنشطة من شأنها الحفاظ على فطرة الإنسان وتنميتها في الاتجاه الإسلامي الصحيح .

(ب) العناية بتزويد أعضاء الجماعات بالمعارف والخبرات والمهارات التي تمكنهم من مواجهة المواقف الحياتية المختلفة وفق المنهج الإسلامي .

(ج) التركيز على تنمية الولاء والانتماء لدى أعضاء الجماعات لمجتمعهم الإسلامي وأن يكونوا أعضاء فاعلين في توجيه غيرهم من أعضاء المجتمع للتمسك بالسلوك الإسلامي القويم في كل مناحي حياتهم .

(د) العناية بتقويم سلوك أعضاء الجماعات في الاتجاه الإسلامي الصحيح .

سمات أخصائي الجماعة المسلم :

بالإضافة إلى الإعداد المهني لأخصائيي الجماعات والمتطلبات الضرورية لهذا الإعداد في المجتمعات الإسلامية ، نذكر سمات أخصائي الجماعة المسلم والتي يجب أن يتحلى بها وتمكنه من أداء عمله على أحسن وجه ممكن وهي :

١- صلة قوية بالله :

أخصائيي العمل مع الجماعات موجه ومرشد ومعين للجماعات التي يعمل معها ، وعليه هو أولاً أن يمتن صلته بالله في يقين وقوة ويجعل إيمانه قائماً على مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وبذلك يكون كل هدفه أن يعرف أعضاء الجماعة بربهم الخالق ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة .

٢- تطابق القول مع العمل :

على أخصائي الجماعة أن يهتم بتعليم نفسه ، وأن يعطي عناية بالغة للتقويم الذاتي وأن يتطابق أداؤه مع أفعاله ، فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤديها أحق بالتقدير من مرشد الناس وموجههم ، قال تعالى : ﴿اتَّأَمَّرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون^(١) ومعنى ذلك أن يكون أخصائى الجماعة فى منأى عن التناقض فى القول والعمل ، وأن يحرص على جعل أفعاله مصدقة لأقواله ، وأن يكون قدوة لغيره فى العمل، وأخصائى الجماعات أخرج الناس إلى هذا الالتزام الأخلاقى حيث إنهم القدوة والمثل الصالح لأعضاء الجماعات .
وأخصائى الجماعة كمسلم وباعتباره موجهاً ومرشداً ملتزم بأن يعمل بعلمه قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢).

ومن هنا يجب على أخصائى الجماعة أن يكون نموذجاً للتصرف السليم فى جميع المواقف التى تعترضه سواء فى داخل الجماعة أو خارجها ، فأخصائى الجماعة الذى يحث أعضاء جماعته على الصلاة ، وهو فى نفس الوقت لا يؤديها أو يتكاسل عنها يسئ إلى نفسه ومهنته ومجتمعه .

وأخصائى الجماعة الذى يحث أعضاء جماعته على أهمية الالتزام بالمواعيد ، وأهمية الوفاء بها ثم يحضر إلى المؤسسة متأخراً يمحو بتصرف واحد عشرات الأقوال التى صيها فى آذانهم .

مما تقدم يتضح أن القول والعمل لا ينبغي أن يتفصل أحدهما عن الآخر ، ولنا فى رسول الله - ﷺ - الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة^(٣) .

٣- العدل فى معاملة الأعضاء :

ينبغى أن يكون أخصائى الجماعة المسلم مثلاً يحتذى فى العدالة والنزاهة والكمال . فيجب ألا يقف أخصائى الجماعة موقفاً يرى منه الأعضاء الميل إلى أحدهم دون الآخر لغرض شخصى أو نفسى حتى يمتلكهم جميعاً وألا يضع نفسه موضع نقد لهم .
إن عضو الجماعة يطيع أخصائى الجماعة فى كل أوامره إذا كانت مقبولة ومقرونة بإفهامه الأسباب . إنه لا يكفى أن يأمر بل ينبغى أن يصحب الأمر السبب ، وأن يكون هناك حكم ثالث بينهما هو الحق ، والعدالة التى تطالب بها فى كل حال من الأحوال .

٤- الصدق مع الأعضاء :

الصدق - فوق أنه فى حد ذاته سلوك سام وصفة راقية - هو منبع الثقة ، لأن الصادق لا يخالف الواقع^(٤) والصدق فى أخصائى الجماعة الذى يعمل مع الجماعات ضرورة

(١) سورة البقرة : آية ٤٤ .

(٢) سورة الصف : آية ٢-٣ .

(٣) أحمد عبد الحميد أبو عرايس : الوجهة الأخلاقية للترية الإسلامية ، مجلة بحوث ودراسات فى العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ١٠٢ .

(٤) على بن صالح المرشد : مستلزمات الدعوة فى العصر الحاضر ، القاهرة مكتبة لية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ٢٢٢ .

ملحة ، كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١) .
وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٢) .

وفي هذا الشأن ينبغي على أخصائي الجماعات أن يقولوا لا تدرى إذا كانوا لا يدرون
وذلك إقرار بالحق ، ورسولنا - ﷺ - وهو القدوة الحسنة حينما سأله جبريل - عليه السلام -
- عن موعد الساعة أجابه بقوله : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .

أخصائي الجماعة المتحلي بالالتزام بالحق لا ينجل من قول لا أدري ويشعر دائماً
بحاجته إلى التزود بالعلم والمعرفة حتى يمكنه مساعدة الجماعة على أحسن وجه ممكن .

٥- الحلم وسعة الصدر :

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٣)
فكمال العلم في الحلم ولين الكلام مفتاح القلوب ، فأخصائي الجماعة يستطيع أن يعالج
أمراض النفوس وهو هاديء مطمئن القلب لا يستفزه الغضب ولا يستثيره الحمق ، فتفر منه
القلوب وتشمئز منه النفوس ، فلو كان أخصائي الجماعة سيء الخلق قاسى القلب ، فأغلظ
للجماعة التي يعمل معها في القول ، تفرقوا عنه وانصرفوا من حوله ، فعلى أخصائي
الجماعات أن يهتموا بالحلم وسعة الصدر ليصلوا إلى غرضهم ، ولا يشعلوا همهم الغضب
والانفعال ، لأن ذلك ينفر الأعضاء منهم ويكفى أخصائيو الجماعات أن يتعلموا من
توجيهات القرآن الكريم المؤكدة على الحلم وسعة الصدر والعفو حيث قال تعالى :
﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤) .

٦- حسن الخلق :

للأخلاق في الإسلام مكانة عظيمة جداً تظهر من وجوه كثيرة ، كما أن خلق
لإسلام هو حياة المسلم ، وفي النماذج القرآنية وفي النماذج المأخوذة من السنة النبوية
عشرات من الجوانب التي يرى الإسلام أتباعه عليها ليحققوا جانب الاستقامة بعد أن يفوا
بطلب العقيدة . ومن هذه الجوانب :

الصدق ، قول الحق وشهادة الحق ، الوفاء بالعهد ، مخاطبة الناس بالحسنى ، العدل ،
لمساواة ، الشجاعة ، التعفف ، الصبر ، الإيثار والمروءة ، التعاون على البر والتقوى ، عدم
يذاء الآخرين أو العدوان عليهم ، الاعتزاز بالإسلام ، تحمل المسؤولية الفردية والجماعية
وطاعة الوالدين ، صلة الأرحام ، التزوي والحلم والأناة والرفق والبعد عن الغضب ... إلخ

(١) سورة التوبة : آية ١١٩ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٧٠ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .

(٤) سورة النور : آية ٢٢ .

وهذه الجوانب نجدها في النماذج القرآنية ، ونجدها في النماذج التي وردت في السنة لظهرة ، كما أن بعضها ورد في القصص ، وبعضها في الأمثال ، وبعضها في المشاهد ، وبعضها في الصفات التي امتدحها الإسلام لنقتدى بها أو التي شجبها لتبتعد عنها ، كما أن بعضها قد وصف لفظياً والبعض الآخر قد تم عملياً^(١) .

كما عرف الدين بحسن الخلق فقد جاء في الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي - ﷺ - فقال يا رسول الله : ما الدين ؟ فقال الرسول - ﷺ - : «حسن الخلق»^(٢) .

فحسن الخلق كلمة يندرج تحتها الكثير من الصفات الكريمة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم ، ففي كمالها كمال الإيمان ، وفي نقصانها نقصان الإيمان^(٣) ولا أدل على ذلك من الثناء على رسول الله محمد - ﷺ - بأنه على خلق عظيم ، حيث يقول عز وجل : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤) .

وهذا يعنى أن حسن الخلق ركن الإسلام العظيم الذي لا يقوم الدين بدون ، ومن أكثر ما يرجح كفة الحسنات يوم الحساب حسن الخلق .

مما تقدم يتضح أهمية حسن الخلق وأهمية أن يتحلى به أخصائى الجماعة وضرورة أن يضع الأعضاء موضع التقدير والاحترام ويعمل على مساعدتهم دون تكبر منه أو تعال ، وعليه أن يكون قدوة عملية في سيرته ومنهجه وخلقه وكلامه وهيئته ليكون نموذجاً رائعاً يقتدى به ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة .

الأساليب الإسلامية التي يمكن اتباعها في خدمة الجماعة لتنمية الشخصية الإسلامية:

الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها ، فطرة خيرة وطبيعة زكية ، ولذا فإن تربية الفطرة الإنسانية والعناية بها وتوجيهها يجعلها صالحة نقية خيرة ، قادرة على الصمود أمام تيارات الفساد . وإذا أهملت الفطرة من التربية والعناية والرعاية تغلبت عليها عوامل الخبث والشر فوجهتها نحو الجريمة والسلوك المشين قولاً وعملاً .

(١) محمد محروس الشناوى : التصوير الإسلامى لنماذج السلوك البشرى - مجلة بحوث ودراسات في العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، العدد الثامن ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ٣٥٦ - ٣٥٩ .

(٢) على بن صالح المرشد : مصدر سابق ، ص ٢٣١ .

(٣) توفيق الراعى : الدعوة إلى الله ، الرسالة ، الرسالة ، الهدف ، مكتبة الفلاح ، الكويت ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٣٦٣ .

(٤) سورة القلم : آية ٤ .

يقول الله عز وجل : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقد تضمن المنهج الإسلامى العديد من الأساليب التى تساعد الأفراد على تعلم وتبيان ما جاء به سواء في جانب العقيدة أو العبادات أو المعاملات أو غيرها من جوانب حياة الإنسان وعلاقاته ، وكذلك على تغيير سلوكهم إلى السلوك القويم الأصلح .

وفى ضوء ما تقدم ينبغي أن يعطى أخصائيو العمل مع الجماعات جل عنايتهم لاختيار المنهج الملائم والأساليب المتسقة مع هذا المنهج بحيث يتجه المنهج وأساليبه المنتقاة إلى العناية بالفطرة الأصلية للإنسان وكيفية توجيهها الوجهة الصحيحة التى ترتقى وتسمو بالذات الإسلامية من جوانبها المختلفة الاجتماعية والجسمية والنفسية والعقلية والروحية .

ومن الأساليب التى يمكن أن يكون لها إسهامها في تنمية الذات الإنسانية وتنمية الشخصية الإسلامية ما يلى :

١- أسلوب القدوة الصالحة^(٢) :

لقد فطر الناس على الحاجة للقوة ، والبحث عن الأسوة لتكون لهم نبراساً يضيء سبيل الحق ، ومثالاً حياً يبين لهم حقيقة المنهج وكيفية تطبيقه . لذلك بعث الله محمداً - ﷺ - ليكون قدوة للناس ، ويحقق المنهج الإسلامى .

فمن الثابت أن رسول الله - ﷺ - كان خلقه القرآن^(٣) وكان بدعائه وسلوكه يتأول القرآن الكريم (يطبق معانيه) ويأمر أصحابه بذلك ، وكان الصحابة لا يجاوزون قراءة السورة حتى يفهموا معانيها ويعملوا بما فيها . وهكذا روى القرآن نفس الرسول - ﷺ - وأصحابه ومن تبعهم بكل مافي الكلمة من معنى ، فعُدل سلوكهم ، وصحح مفاهيمهم وحدد مثلهم العليا ، وقادهم بدافع من أعماق نفوسهم ، حتى فتحوا أكبر الممالك وغيروا نظام الحياة فيها ، وقادوا شعوب العالم ، وأخذوا بزمام الثقافة العالمية ، ورفعوا راية الحضارة الإسلامية .

فالقدوة واقع حي يلمسه أفراد المجتمع ، وهي تدعو إلى الامثال بالعمل قبل القول ، لذا فإن تأثير القدوة أبلغ وأكثر من مجرد التربية والتعليم بالمقال فقط .

(١) سورة الروم : آية ٣٠ .

(٢) نبيل السمالوطى : بناء المجتمع الإسلامى ونظمه ، ط ١ ، دار الشروق ، جدة ، السعودية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١٣٧-١٣٨ .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن عائشة - انظر صحيح الجامع الصغير للألبانى ، رقم ٤٦٧٨ ، ج ٤ ، ص ٢٣٨ نشر المكتب الإسلامى بيروت .

وبما أن القدوة الحسنة إحدى الطرق لاكتساب الفضائل بأنواعها والكمال السلوكي فقد اتخذها الإسلام وسيلة من وسائله لبناء المجتمع الصالح ، وترقيته في سلم الكمال السلوكي (١).

ومما يدل على أهمية القدوة أنها تعتبر من أهم المؤثرات التي تؤثر في الإنسان فالقدوة بإمكانها أن تبني مجتمعاً صالحاً إن كانت خيرة ، وكذلك قد تهدمه إن كانت شريرة .

فأسلوب القدوة الصالحة .. النموذج الأمثل .. وخير أسوة في التربية الإسلامية هو محمد - ﷺ - إذ يقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢) ، ويتجلى في هذا الأسلوب دور أخصائى الجماعات ، مما يحتم إجراء عملية انتقاء للقدوة حسب معايير التربية الإسلامية وفلسفتها وأهدافها . حيث يتم عن طريق التقليد والمحاكاة انتقال الصفات إلى أعضاء الجماعات حيث إن القدوة الحسنة ذات الفضائل الخلقية الرفيعة تكون لدى أفراد المجتمع ممن حولها الاقتناع الكامل بأن الوصول إلى هذه الفضائل والتحلى بها ممكن وغير مستحيل ، والإنسان مפותور على المحاكاة والتقليد ، وهذا مما يسهل عليه اكتساب الفضائل والسلوك الإسلامى إذا جعل أمام عينيه قدوة حسنة يقتدى بها .

إن أخصائى العمل مع الجماعات أخرج ما يكونون إلى الالتزام الأخلاقى حيث أنه يمثل القدوة الحسنة ، والمثل الذى يحتذيه أعضاء الجماعة .

٢- أسلوب التوجيه والإرشاد :

يحتفل القرآن الكريم بالعديد من المواعظ والتوجيهات الكريمة والتي لها دورها في تنمية وتربية شخصية الإنسان ، وتعميق المفاهيم وترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية .

ويجب على أخصائى الجماعات أن يستمروا في توجيه العطاء في كل موقف وحسب طبيعة الموقف . حيث يتسم هذا التوجيه بالواقعية وبذلك يكون نوعاً من الدعوة غير المباشرة ، وفي هذه الحالة يكون تأثيره أقوى وأثبت .

كما يجب أن تتسم التوجيهات والإرشادات التي يسديها أخصائى الجماعة للأعضاء بالأسلوب الحسن والبعد عن الجفاف . مع إشعار الأعضاء أن الأخصائى حريص على صالحهم .

يقول تعالى : ﴿إِذْ أَدْعَى إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٣) .

(١) عبد الرحمن الميداني : أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٧٧ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٢١ .

(٣) سورة النحل : آية ١٢٥ .

٣- أسلوب الترغيب والترهيب :

يعتمد الإسلام في صياغة الشخصية الإسلامية وتنميتها معرفياً وعقلياً ونفسياً على أسلوب الثواب والعقاب، ويميل الإنسان إلى الخيرات والسلوك الذي يقترن بخيرات سارة (١) . ويعتمد على التشجيع بذكر ما يقوم به العضو في مختلف مراحل نموه من أعمال حسنة، ومدحها أمام الآخرين والثناء عليها سواء كانت إنجازاً عملياً أو أخلاقاً طيبة أو تصرفات حسنة ، ويستخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب حيث يحرص باستمرار على تأكيد أن هناك نتائج إيجابية للإيمان ومراقبة الله والتحلّي بالقيم الإسلامية . وهناك نتائج سلبية سيئة للانحراف عن العقيدة سواء في الدنيا أو الآخرة ، يقول تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (٢) .

والترهيب يعنى التحذير من التقصير وقد يعتمد على أساليب منها التوبيخ والتأديب، ويوصى علماء التربية المسلمين وغيرهم أن يتم ذلك على انفراد ، ومعالجة تحفظ ماء الوجه ، حتى لا يعود على الوقاحة إذا تم توبيخه بحضور الآخرين .

وأخصائيو الجماعات أثناء عملهم مع الجماعات يقومون بوضع الحدود للسلوك غير المقبول رغم حبهم للأعضاء ومساعدتهم على التحصيل (٣) ، ولكن يجب عليهم أن يلتزموا بالإطار الأخلاقي للإسلام في وضع هذه الحدود حتى تأتي عملية المساعدة بهدفها المنشود من غرس القيم والاتجاهات الإيجابية في نفوس الأعضاء وتوجيه سلوكهم الوجهة الطيبة .

٤- أسلوب المحاولة والخطأ :

أخصائيو الجماعة الناجح هو الذي يستخدم أسلوب المحاولة والخطأ أثناء عمله مع الجماعة حيث إن الفرد يميل إلى تكرار السلوك الذي يصاحبه أو يتبعه ثواب ، كما ينزع إلى التخلي عن السلوك الذي يصاحبه أو يتبعه عقاب ، فلا استجابة الناجحة تقترن بحالة من الرضا والارتياح، الأمر الذي يقوى الروابط بين المثير والاستجابة الناجحة والعكس صحيح . إن الرسول ﷺ استخدم أسلوب التجربة والخطأ في تعليم أصحابه عليهم الرضا من الله ، ذلك أنه - عليه السلام - كان يراقبهم برهة وهم يطبقون تعاليم الإسلام ثم

(١) وليد شلائف فايف : مشكلات الشباب والنهج الإسلامي في علاجها ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) سورة فصلت : آية ٣٠ - ٣٢ .

(٣) انظر محمد شمس الدين أحمد : مصدر سابق ، في طريقة العمل مع الجماعات ، ص ٣٩ - ٥١ .

يصحح لهم أخطائهم ، حتى تعلموا بالممارسة والتجربة الذاتية ، وكان في هذا يطبق مبدأ من مبادئ التعلم وهو التعلم بالعمل ، ومن أهم الأمثلة حديث المسئ صلاته الذي أخطأ عدة مرات في الصلاة وهو يصلي أمام الرسول - عليه الصلاة والسلام- ، وبعد عدة مرات اشتاق إلى التعلم فأرشده - عليه الصلاة والسلام - فتعلم الصحابي واستفاد من خطئه ومن إرشاد النبي - عليه السلام- له .

٥- أسلوب القصة :

تؤدي القصة من خلال مضامينها التربوية دوراً في غرس الإيمان والقيم والاتجاهات والميول المطلوبة في نفس الفرد . ويراعى القرآن الكريم هذا الميل الطبيعي لدى الإنسان إلى القصة ، فيقدم العديد من القصص المحتوية على مضامين إيمانية تربوية عميقة كأسلوب فعال في تربية المسلمين ، فالقصص القرآني لا يقف عند عرض الأحداث وإنما ينتهي إلى وضع قيمة بنائية تعليمية توجيهية يستفيد منها الفرد والجماعة والمجتمع في كل وقت .

وقد استخدم القرآن في أغراضه الدينية البحتة ، كل أنواع القصة^(١) .

القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية فيستوى أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأى شخص يمثل فيه ذلك النموذج ، والقصة المضروبة للتمثيل والتي لا تمثل واقعة بذاتها ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة وفي أي عصر من العصور .

من النوع الأول ، كل قصص الأنبياء وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من هذا الكذب ، وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر : موسى وفرعون ، عيسى وبنى إسرائيل ، صالح وثور ، هود وعاد ، شعيب ومدين ، لوط وقريته ، نوح وقومه ... الخ .

ومن النوع الثاني قصة ابني آدم :

قال تعالى : ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلك قال إنما يتقبل الله من المتقين﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً﴾^(٣) .

(١) محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ١٥٦-١٥٨ .

(٢) سورة المائدة : آية ٢٧ .

(٣) سورة الكهف : آية ٣٢ .

ومن أمثلة القصص التي أوردها القرآن : قصص آدم ، نوح ، موسى ، يوسف ، عيسى ، ابنى آدم عليهم جميعا السلام ، ويمكن تلخيص الجوانب التي يركز عليها القصص القرآنى فيما يلى^(١) :

- الدعوة إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان .
- الدعوة إلى الإصلاح ونبذ الأخلاق الفاسدة .
- بيان عاقبة المؤمنين الذين آمنوا بالله وبما أرسل به رسلهم من نصر وفوز .
- بيان عاقبة المكذبين من هلاك وعذاب .
- بيان معجزات الله التي خص بها رسله .
- بيان قدرة الله على البعث .
- بيان عاقبة كفر النعمة والغرور .

مما تقدم يجب على أخصائى الجماعات أن يوظفوا القصة فى القرآن الكريم لخدمة أهداف دينية من أجل توجيه أعضاء الجماعات ، وأن يعى أخصائى الجماعات أن القرآن الكريم ليس كتاب قصص ، غير أن إعجاز بلاغة القرآن الكريم ودقة الأداء وفنية التعبير ، جعل القصص القرآنى الذى يحتوى على مضامين دينية وتربوية طليقة بليغة من المنظور الفنى.

وهذا يشير إلى إمكانية استخدام أخصائى الجماعات القصص القرآنى كأسلوب فى صياغة وتنمية الشخصية المسلمة بشرط نقاء مضمونها واتفاقه مع مبادئ الإسلام .

٦- أسلوب الحوار والنقاش :

ينظر الإسلام إلى الإنسان على أنه أفضل المخلوقات عند الله ، وبالتالى فهو كائن حى له حرية الاجتماع بالآخرين ، ويرى أن فى اجتماع الناس خيراً كثيراً على أن يكون ذلك موجهاً للخير ، وأن يكون ذلك من خلال حرية الرأي والفكر والحوار البناء^(٢) .

إن التفاعل فى الاتصال بين أفراد الجماعة النقاشية بشأن موضوع معين يعتبر عصب المناقشة الحيوية الذى يدل على نشاط الجماعة وحيويتها مما يحقق لإدارة المناقشة الوصول إلى الهدف المطلوب منها .

كما أن الاشتراك فى المناقشة يقوم على اقتناع من الفرد عضو الجماعة بأن هناك ضرورة لمشاركته ، ولم تفرض عليه من قبل فرد أو جماعة دفعته إلى المشاركة فى ذلك التزاماً

(١) انظر محمد عروس الشناوى : مصلر سابق ، ص ص ٣٥٦ - ٣٥٩ .

(٢) انظر : مصطفى حسان : المناقشة الجماعية من المنظور الإسلامى ، المؤتمر الدولى التاسع للإحصاءات والحسابات العلمية والبحوث الاجتماعية والسكانية ، ١٩٨٤ .

بقول الله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١) . إذا كان ذلك في أمور الدين فما بالك بأمور الحياة العادية التي ترتبط برأى الفرد وظروفه الخاصة .

والشورى في المناقشة والحوار مطلوبة ، وتعنى المشاركة في المشورة إيجابية عضو الجماعة بأن يدلى برأيه مسترشداً في ذلك بأمور دعا إليها الرسول عليه الصلاة والسلام حيث يقول : «الدين النصيحة» كما يقول عليه السلام «الدال على الخير كفاعله» .

والأمر بالشورى في المناقشة الجماعية ليس مقصوراً على طرح القضية على بساط الشورى فحسب بل لابد من تحقيق معنى الشورى وأسلوب اتخاذ القرار النهائي أيضاً .

كذلك من الأمور المطلوبة في الشورى التدخل بالحديث وإبداء الرأى بعد التمكن من الرأى ، ولا يتدخل الفرد دون علم حتى يكون للمناقشة قيمة وللمشورة نتائج طيبة وإيجابية ويكون حديثه إضافة جديدة ، ولا شك أن الشورى بين الأعضاء تؤدي إلى الإحساس بالمسئولية والالتزام بمعايير الجماعة الأمر الذى يؤدي إلى نمو الجماعة وأعضائها .

ومما يُسمى المناقشة في الإسلام إيجابية العضو في التفاعل مع الآخرين ويكون الحديث بالقدر المناسب عند استخدام المناقشة كوسيلة في تفاعل الجماعة وأعضائها لزيادة غورهم ، حيث ينظر الإسلام للمناقشة على أنها أداة مهمة وعلى أن الحوار وسيلة ، وليس غاية في حد ذاته لذلك يهتم الإسلام بأسلوب الحوار فيقول الله تعالى : ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٢) .

ويقول تعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾^(٣) . لذلك ينظر الإسلام للكلمة على أنها مسئولية لا تلقى دون اعتبار بل لها هدف ونتيجة ، كما أن الصمت هنا له حكمة وضرورة ، وأن صمت عضو الجماعة يمكنه من فهم ما يقال ، وبالتالي يستطيع أن يتابع ويستفيد من المناقشة ، وليس معنى ذلك أن يصمت عضو الجماعة الواعى إشاراً للسلامة وتجنباً للخطأ وعدم الوقوع في المحذور ، ولكن يجب أن يكون صمته صمت الواعى الذى يسادر للحديث عندما يرى أن له دوراً في ذلك .

كما ينهى الإسلام عن التقليد واتباع الهوى في إصدار الأحكام في المناقشة ، ويحرص على الموضوعية في الحديث والبعد عن الثرثرة أو الجدل العقيم .

٧- أسلوب استخدام الواقع فى الوقت الحاضر :

أخصائى الجماعة الناجح هو الذى يستثمر الأحداث والمواقف المختلفة المتنوعة لتوجيه الأعضاء ومساعدتهم على اكتساب الكثير من الخبرات الجماعية الحياتية . وسبحانه عز وجل

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٦ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٥٣ .

(٣) سورة الأنعام : آية ١٥٢ .

يعلم المؤمنون أخطاءهم خلال المواقف الفعلية الواقعية حتى يتخلصوا منها ، ويتحقق لهم النصر والغلبة والعزة ، يقول تعالى : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْبَرِينَ﴾^(١) .

٨- أسلوب استثمار وقت الترويح :

الإسلام شأنه شأن كل العلوم الإنسانية والاجتماعية ، بل إن الإسلام كان رائداً في اهتمامه وحنه على استثمار أوقات ترويح الأفراد ولكن في إطار مراعاة المبادئ والمثل والقيم الأخلاقية التي تسهم في بناء وتكوين الشخصية المسلمة الصالحة .

والدين الإسلامي دين يعمل على رفع المستوى الخلقى في الإنسان دون أن يعطل فطرته أو يدمر ميوله أو يدفن مواهبه . بل هو حريص على إيقاظ الفطرة بما لا يخل بالسلوك الإنساني الفاضل الذي يدعو إليه الإسلام ، ويتحرى إشباع الميل والرغبات بما لا يؤدي إلى خلل في الوظائف العضوية ، وينمي المواهب بالشكل الذي يعود على الفرد والمجتمع بأعظم النتائج .

ومن منطلقات استثمار وقت الترويح في الإسلام أنها تقوم على قاعدتين أساسيتين هما الواقعية والشمول^(٢) ، فواقعية الإسلام أنه دين واقعي أي أنه يعيش واقع الإنسان بكل ظروفه وملابساته ، وذلك جزء من نظرة هذا الدين العظيم إلى الإنسان والكون والحياة ، كما أن الواقعية هنا ليس معناها أن يطوع الإسلام مبادئه لتوافق الحياة على أي لون أو لتساير الواقع على أي شكل ، أما عن نظرة الإسلام الشمولية للإنسان فقد أحاط الإسلام الإنسان بتشريعاته من جميع جوانبه ، ونفذ إلى أغوار طبيعته وخصائصه دون أن يغفل ناحية أو يهملها لحساب أخرى ، جسمه ، روحه ، عواطفه ، غرائزه ، أفكاره ، وجدانه ، وذلك ناشئ أساساً مما اختص الله به هذا الدين من صفة الشمول التي امتدت حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣) . ويقول سبحانه وتعالى أيضاً : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤) . والشخصية الإسلامية تجدد في إيمانها وصلتها بالله راحة وطمأنينة ومرفاً في خضم مصاعب الحياة يجب فهمه وعدم الاستهانة به إذا أحسننا تربية وتوجيه الأعضاء .

(١) سورة التوبة : آية ٢٥ .

(٢) انظر جملة على الخولي : فلسفة الترويح في الإسلام ، بحث مقدم إلى ندوة الترويح في المجتمع الإسلامي ، جدة ، السعودية ، ١٤٠٣ هـ ، ص ص ٦٥-٦٧ .

(٣) سورة الأنعام : آية ٣٨ .

(٤) سورة النحل : آية ٨٩ .

ولذلك كان استثمار وقت الترويح من خلال النشاطات الروحية كأساس ومنطلق في تنشئة الأجيال المسلمة له أهميته في توجيه حياة المسلم .

مما تقدم يجب على أخصائى الجماعات أن يتبعوا أسلوب استثمار وقت الترويح بحيث يكون فعالاً في جوانب الشخصية المختلفة الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية بما يضىء عليها من ألوان البهجة والسرور ، على أن تكون الأنشطة المستخدمة في أوقات الترويح لها التأثير الإيجابي والموجه في تنمية جوانب الشخصية الإسلامية بأبعادها المختلفة .

مقترح لبرنامج في العمل مع الجماعات لتنمية الشخصية الإسلامية :

الهدف من البرنامج المقترح :

الهدف الرئيسى من البرنامج المقترح هو إعداد وتنمية الشخصية الإسلامية لأعضاء الجماعات الذى يهدف بالضرورة إلى الخروج بتصور واضح للشخصية الإسلامية الفردية والجماعية المراد بناؤها وتنميتها ، وهذا الهدف العام يمكن أن يتحقق من خلال تحقيق مجموعة من الأهداف الفرعية التالية :

١- تكوين عضو الجماعة الذى يؤمن بالله تعالى خالق الكون والحياة ومدبر أمرها وحده فلا يعبد أحداً إلا هو ، ولا يتجه ولا يلجأ لأحد إلا إليه .

٢- تكوين عضو الجماعة الذى يؤمن باليوم الآخر ، ومافيه من حساب وثواب ويرسل الله وأنبيائه وملائكته وكتبه وبالقدر خيره وشره .

٣- تكوين عضو الجماعة المفعم قلبه بحب الله ورسوله ودينه .

٤- تكوين عضو الجماعة المتحلى بالقيم والأخلاق والعواطف الروحية والإنسانية المستمدة من الدين .

٥- تكوين عضو الجماعة الذى يهتم بشئون المسلمين ويود لهم الخير ويخدم مصالحهم ويسعى لإصلاح أحوالهم .

٦- تكوين عضو الجماعة الراعى بثقافته الإسلامية الواسعة وبغاياتها الروحية والإنسانية والمعتز بتراته الإسلامى .

٧- تكوين عضو الجماعة المحصن بنور الإيمان وخشية الله والخوف منه .

خصائص البرنامج المقترح :

المنهج الإسلامى يتميز بخصائص معينة لا تتميز بها المناهج الأخرى مما جعله أفضل المناهج في إعداد وتنمية الشخصية الإسلامية ، وأهم خصائص هذا المنهج التى يسعى البرنامج المقترح إلى تحقيقها ما يلى :

١- الشمول والتكامل :

فالمنهج الإسلامي هو منهج رباني يسعى إلى تكوين الإنسان الصالح ، كما أنه يهتم بجميع جوانب الإنسان الجسمية والروحية والعقلية والاجتماعية ، فليس هناك منهج أشمل من هذا المنهج.

البرنامج المقترح يسترشد ويستفيد من شمولية وتكاملية المنهج الإسلامي واهتمامه بجميع جوانب الإنسان حتى يستطيع تنمية وإعداد الشخصية الإسلامية .

٢- التوازن :

فالمنهج الإسلامي يوازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح ، توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته^(١). والبرنامج المقترح يسعى إلى تحقيق هذا التوازن بحيث يشمل جميع جوانب الإنسان .

٣- الإيجابية :

من نتائج المزج بين طاقات الإنسان كلها وربطها بعضها ببعض ، أن يتحول المخلوق البشري إلى طاقة إيجابية عاملة في واقع الحياة^(٢) ، والبرنامج المقترح يعمل على توجيه طاقات الأعضاء في مساراتها الصحيحة كالجهاد والإنتاج والبناء والاستمتاع المشروع وهدم الباطل ، وهذا يعني تصريفها فيما يرضى الله سبحانه وتعالى .

٤- انواقعية :

الإسلام يأخذ الكائن البشري بواقعه الذي هو عليه ، يعرف حدود طاقاته ويعرف مطالبه وضروراته ، ويتدر هذه وتلك ، ومعنى هذا واقعية تشمل المثالية في طياتها ، ومثالية لا تغفل واقع الحياة ، والبرنامج المقترح في هذا الإطار يستخدم الواقع في الوقت الحاضر أي البدء مع الجماعة من حيث اللحظة الموجودة فيها ، ويكون البرنامج في حدود قدرات وطاقات الأعضاء فلا هو أعلى منهم فلا يستطيعون تنفيذه ولا هو أقل منهم فتغتر عزيمتهم .

مبادئ البرنامج المقترح :

١- الاهتمام بغرس القيم الروحية والخلقية في نفوس الجماعة .

٢- أهمية القدوة الحسنة لأعضاء الجماعات .

(١) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، ص ٢٨

(٢) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، مصلر سابق ، ص ٣٣-٣٤ .

٣- الاهتمام والالتزام بالمبادئ والمثل والتعاليم الإسلامية بشكل تكاملي في تصميم وتنفيذ البرامج المختلفة للجماعات .

ومن أبرز هذه المبادئ التي يتعين الاهتمام بها في الممارسة المهنية في العمل مع الجماعات ما يلي :

أ- ترسيخ مبدأ الشورى فكرياً وممارسة لما له من فائدة في مساعدة الجماعة على توفير الفرص العادلة أمام الجميع .

ب- إتاحة هامش من الحرية لأعضاء الجماعات يتسق والمرحلة العمرية لأعضائها والمستوى وعي ونضج هؤلاء الأعضاء .

ج- تصميم برامج من شأنها إتاحة الفرص للتفاعلات الإيجابية الموجهة بين أعضاء الجماعات .

د- العناية بتصميم وتنفيذ برامج من شأنها تحقيق التنمية الفردية لعضو الجماعة في إطار التنمية الجماعية كوحدة واحدة وبشكل متسق ومتوازن .

أساليب البرنامج المقترح :

يجب على أخصائي الجماعات أن يهتموا باختيار المنهج الملائم والأساليب المتسقة مع هذا المنهج بحيث يتجه المنهج وأساليبه المتتقة إلى العناية بإعداد وتنمية الشخصية الإسلامية من جوانبها المختلفة : الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والاجتماعية ، ومن الأساليب التي يمكن أن يكون لها إسهامها في ذلك ما يلي :

١- التمدد الصالحة .

٢- التوجيه والموعظة الحسنة .

٣- الترغيب والترهيب .

٤- القصص القرآني .

٥- النقاش والحوار .

٦- استثمار الأحداث والظروف والمواقف الحالية .

٧- المحاولة والخطأ .

٨- توجيه طاقات الإنسان في مساراتها الصحيحة .

٩- استثمار وقت الترويح .

وقد سبق توضيح تلك الأساليب ودورها في تنمية الشخصية الإسلامية في الجزء الخاص بالأساليب التي يمكن اتباعها في خدمة الجماعة .

محتويات البرنامج المقترح :

لاشك أن أي هدف منشود يحتاج إلى عوامل تتضافر جميعاً لتحقيقه ، وهذا يتطلب الاستفادة القصوى من الإمكانيات المتاحة عبر برنامج مدروس ومعروف .
والهدف العام يمكن أن يترجم بواسطة برامج روحية ، فكرية ، ثقافية ، جسمية ورياضية ، سلوكية ، عبادية ، ترفيهية ، ترويقية .

١- برامج روحية :

إن الجانب الروحي في الإنسان هو أساس وجوده ، وبه تتحقق إنسانيته ، وبقدر سمو هذا الجانب يكون استعلاء الإنسان على غرائزه ، وارتقاؤه على نفسه التي تأمره بالسوء والفحشاء ، وتحكمه في نزعاته ، فالعناية بهذا الجانب في الإنسان هو هدف الإسلام الأسمى، فطاقة الروح من أكبر طاقات الإنسان التي لها أثر كبير على سلوكه^(١) .

من أجل هذا فقد عنى الإسلام بتربيتها بطرق متميزة ، وذلك بعقد الصلة الدائمة بين الجانب الروحي من الإنسان وبين الله - سبحانه وتعالى - في كل لحظة وفي كل عمل يقوم به الإنسان في حدود إمكاناته وطاقاته ، قال تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾^(٢) .

والإسلام من مهماته الرئيسية بناء وتطوير الجانب الروحي من الإنسان ، فحين يجتمع الروح والعقل السليمان المستقيمان في توجيه الإنسان فإنه يتكامل بناؤه ويتصبح لبنة صالحة في كيان المجتمع المسلم .

ومهمة بناء الجانب الروحي في الإنسان من أعسر الواجبات وأكثرها مشقة ، فهو يحتاج لمجاهدة متواصلة ، وعندما نريد بناء هذا الجانب المهم لابد أن نلتزم نهج الرسول - ﷺ - القويم في تكوين الفرد المسلم ، والبدء مع الإنسان وهو صغير بما يتصل بالعقيدة الإسلامية من الإيمان بالله ، وربط قلبه بهذا الإله القادر العظيم .

وبهذا الأسلوب يمكن إيجاد الوازع الديني في قلبه ، وهذا كفيل بإيجاد المسلم المستقيم على طاعة الله .

ويتضح بعد ذلك أن الجانب الروحي هو الجانب الأساسي في العمل الإسلامي ، وبصلاح هذا الجانب الذي يتصل بالعقيدة يصلح المسلم ، وبالتالي مجتمع المسلمين ، لذا فإن العناية بهذا الجانب - في رأينا - من أهم الجوانب التي يجب أن تعمل خدمة الجماعة على تحقيقه لتنمية الشخصية الإسلامية للأعضاء ، ويتم ذلك بالطرق التالية :

(١) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٤٠ .

(٢) سورة التغابن : آية ١٦ .

- تلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره .
- الحرص على صلاة الجماعة في كل الأوقات ، وقيام الليل ، وذكر الله تعالى تأكيداً وعملاً بالآيات الكريمة ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (١) .
- الالتزام بتعاليم الإسلام في السلوك العام وتوفير القدوة الإسلامية الصالحة .
- التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

- التذكير بالسنن العملية والأذكار المستحبة في المناسبات المختلفة ، وأداؤها في أكثر من مناسبة حتى تتشربها النفوس ، وتتعود على أدائها في حياتها الخاصة ، ومن أمثلة ذلك : (الأدعية المأثورة المستحب ترديدها في اليوم والليلة ، كدعاء الاستيقاظ من النوم ، دعاء لبس الثوب وخلعه ، دعاء الخروج من المنزل ودخوله ، دعاء المشي إلى المسجد ودخوله والخروج منه ، دعاء التخلي ، دعاء الرضوء والغسل والآذان ، دعاء الطعام ، دعاء التهجد والأرق والرؤيا ، ختام الصلاة ، ختام المجلس ، دعاء الاستخارة الشرعية ، صلاة الحاجة ، دعاء السفر ، أدعية الزواج والأولاد ، أدعية السلام والتحية ، أدعية عوارض الحياة ، أدعية المرض والرفاة) .

٢- برامج فكرية وثقافية :-

يريد الإسلام من كل فرد مسلم أن تكون له شخصية متميزة ، ويعيش حياة مستقلة ، لا أن يذوب في غيره ويصبح إمعة ، يزول عقله بجانب من يقلده ، وعليه أن يستعين بإرادته ، ويرتفع فوق مستوى التأثير بالهوى ، أو بأي عامل من العوامل التي من شأنها أن تعطل العقل وتبعده عن التفكير السوي وبذلك تتأسس لدى الفرد ملكة التفكير وموهبة البحث ، والاستقصاء والمتابعة .

فالاهتمام بثقافة وأفكار عضو الجماعة المسلم يعتبر بمثابة الدواء والوقاية من التحديات الفكرية العديدة التي تكيد للإسلام وللمسلمين ، فالمبادئ المعروضة في سوق الأفكار كثيرة ، والاتجاهات الاجتماعية والفكرية والسياسية أكثر من أن تحصى .. لذلك فإن ترشيد مسيرة أعضاء الجماعات بتحصينهم بالفكر الإسلامي الصحيح وحمائتهم من التيارات الهدامة من النشاطات المهمة التي يجب أن يشتمل عليها برنامج خدمة الجماعة ، وذلك من خلال المكتبة الإسلامية والمحاضرات الموجهة والمدرسة ، والطرق إلى ذلك كثيرة ومتعددة .

كما تتعدد البرامج الثقافية والفكرية التي يستعين بها أخصائي الجماعة خصوصاً تلك التي أقرتها الشريعة الإسلامية مثل القصص والمساجلات الشعرية وإلقاء الشعر والمناظرات

(١) سورة المزمل : آية ١-٤ .

والندوات والمحاضرات والمناقشات والألعاب الذهنية ومجلات الحائط واجتماعات البحث وغير ذلك من الأنشطة التي تسهم في صقل خبرات ومهارات الأعضاء وإعدادهم ليكونوا أعضاء صالحين لأسرهم ولمجتمعهم ، وفيما يلي تأثير تلك الأنشطة الثقافية والفكرية في شخصية عضو الجماعة المسلم :

- زيادة البصيرة لدى الأعضاء .
- تدريب الأعضاء على التفكير المنطقي السليم .
- تنمية القدرة على الإقناع .
- تدريب الأعضاء على المناقشة الراحية المقنعة .
- مساعدة الأعضاء على استخدام ما لديهم من قدرة على التصور والتخيل استخداماً نافعاً يعود عليهم وعلى المجتمع بالفائدة .
- التدريب على الخطابة .
- كيفية كتابة الآيات والأحاديث .

٣- برامج جسمية ورياضية :

عندما ننظر إلى النهج الإسلامي نجد أنه قد اهتم ببناء الإنسان من الناحية الخلقية ، كاهتمامه بالناحية الخلقية ، ليتكون بذلك الفرد المسلم الذي يجمع بين قوة البدن ، وقوة العقل والروح ، وذلك لما للجسم من أهمية في القيام بالأعمال الإسلامية التي تتطلب سلامته . وقد أشاء القرآن الكريم بيسطة الجسم ، واعتبرها نعمة من نعم الله (١) قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مِنْ يَشَاءِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

فالإسلام يحث على تقوية الجسم ، ويريد من كل فرد أن يكون قوياً في جسمه ، بجانب قوة روحه وعقله ، يقول الرسول - ﷺ - : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» (٣) .

إن الشريعة الإسلامية قد تضمنت ما يساعد على بناء الفرد المسلم جسمياً ، إذ لم تقتصر فقط على بناء الجانب الروحي منه ، وعندما نبحث عن سبب اهتمام الإسلام بهذا

(١) انظر محمد يصاد : العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ، مكتبة الأئمة المصرية ، ١٩٧٢ ، ط ٢ ، ص ٧٣ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٤٧ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ٢١٥ ، وانظر سنن ابن ماجه باب الزهد .

الجانب نجد أن الجسم إذا قوي يكون أقدر على أداء الواجبات الدينية والدنيوية ، فعبادة الله سبحانه وتعالى تحتاج إلى جهد وطاقة جسمية ، والإسلام بتشريعاته ليس فيه ما يضعف الجسم ، بل نجد التخفيف في بعض التشريعات ، وذلك من أجل صحة الجسم .

ومن هنا كان لجسم الإنسان عليه حق ، فينبغي والحالة هذه الاهتمام بكل ما من شأنه تقوية الجسم والحفاظ على صحته في هذه الحياة والابتعاد عن كل ما يرهقه .

وبما أن الرياضة هي أسلوب تربية الجسم السليم المعافي ، بالإضافة إلى أنها وسيلة لإيجاد التعاون والاحتكاك المباشر في جو ودي إسلامي مثالي والأمثلة كثيرة على تأكيد الإسلام على أهمية ممارسة الإنسان للأنشطة الرياضية المختلفة ، لما لها من تأثير في إعداد المؤمن القوي ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١) . ومن أمثلة هذه الرياضات :

- اللعب بالكرة (قدم - طائرة - سلة) .
 - ألعاب الجري (مسابقات العدو) .
 - ألعاب الماء والسباحة .
 - ركوب الخيل .
 - الرماية والكراتيه .
 - لعبة الجودو .. إلخ .
- والبرامج الجسمية والرياضية تسهم في تنمية شخصيات الأعضاء الممارسين لها مع مراعاة التقيد بتواعد الشريعة الإسلامية فهي تعمل على :
- التعبير عما في نفوس الأعضاء وتدريبهم على ضوابط النفس .
 - النمر الجسمي والعقلي .
 - إعلاء الكثير من سلوك العضو ونزعاته غير المرغوب فيها .
 - توثيق أواصر العلاقات بين العضو وقرنائه الآخرين .
- وهناك ألعاب شعبية محلية كثيرة يمكن ممارستها ويترك اختيار المناسب منها لطبيعة وظروف البرنامج .

٤- برامج سلوكية وعبادية :

لاشك أن الجانب السلوكي والعبادي من أهم عناصر الشخصية المتكاملة التي تؤدي إلى الترابط الاجتماعي بين الجماعات ، لذلك يجب أن يوضع الأعضاء المشاركون في البرنامج في ظروف تبرز فيها حقيقة اكتسابهم هذه المزايا الخلقية ، وأن توضع لهم البرامج التي تنمي فيهم الأخلاق والسلوك الإسلامي الصحيح وتمرينهم على ذلك من خلال

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

الممارسات والمواقف ، وهذا يقود إلى التخلص من العادات والقيم والميول الفاسدة ويساعد على اكتساب العادات الحسنة ، كما يساعد على دراسة نفسية وخريطة عقل الأعضاء ومعرفة المشاكل التي يعانون منها تمهيداً لتقديم الحلول الناجحة لها^(١) .

ومن أهم ما ينبغي مراعاته في الجانب السلوكي والعبادي :

- حسن تلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه والتدبر في معانيه وعقد حلقات خاصة بذلك.

- الوفاء بالعهد والكلمة والوعد فلا تنقض مهما كانت الظروف .

- العمل على إحياء العادات الإسلامية في كل مظاهر الحياة ، ومن ذلك التحية والسلام والحرص على الكلام باللغة العربية ما أمكن ، واللباس الإسلامي وتحري السنة المطهرة في كل شأن.

- التقرب إلى الله بنوافل العبادات من صيام تطوعي وقيام ليل ، والحرص على صلاة الجماعة في المسجد .. الخ .

- الحرص على الاجتماعات وسائر الأنشطة الاجتماعية أو الروحية أو الرياضية وعدم التخلف إلا لعذر قاهر .

- يمكن الاستفادة من بعض التيسيرات التي أباحها الإسلام في حالات السفر ، خصوصاً في الأيام الأولى مثل : المسح على الجورب والجمع والتصر في الصلاة .. الخ .

٥- برامج ترفيهية ترويفية :

لما كان الإسلام وهو المنهاج الأمثل الذي توجه قيمه وفكره كل شئون الحياة .. ويقدم النظرة المحيطة الشاملة والمستوعبة ، فإننا نحاول أن نقدم بعض الأسس الأولية التي تساعد على توجيه النشاطات الترويحية والترفيهية في برامج العمل مع الجماعات .

ولا يخفى ما للترويح من أهمية قصوى في بناء شخصية الفرد المسلم وتوجيه سلوكه والإسهام في استقراره وإحداث التوازن والانسجام فيه .

والإسلام أجاز من الأساليب والأنشطة الترويحية ما يتفق مع قيمه وأخلاقه وآدابه ولم يجعل الهدف من ممارسة النشاط الترويحي بأشكاله المختلفة ، شغلاً لأوقات الفراغ أو إشباعاً لرغبات النفس وهوامها ، وإنما جعل الهدف منه استثمار الوقت بما يعود على المسلم بالفوائد الجسمية والعقلية والروحية .. ويعينه على تحمل أعباء الحياة .. وهذا يعني أن الإسلام لم

(١) انظر النواة العالمية للشباب الإسلامي ، المخيمات الإسلامية ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٠ هـ .

يجعل الترويح هدفاً في حد ذاته ، بل جعله عاملاً مساعداً للحياة الجادة والاستمرار فيها ، ودافعاً إلى مزيد من العمل والعبادة .

ولذلك فإن الإسلام لا يعارض بأي شكل أية صورة أو لون من ألوان الترويح طالما أن مادته ووسيلته لا تصطدم مباشرة مع أي مبدأ من مبادئ الإسلام وتشريعاته وأهدافه ومقاصده^(١).

وعلى أخصائى الجماعات أن يهتموا بالضوابط التالية أثناء ممارسة الأعضاء للبرامج الترفيهية والترويحية والتي تسهم في بناء شخصية العضو المسلم :

- أن يراعى أخصائى الجماعة أن يكون النشاط الذي يمارسه العضو المسلم في وقت الترويح داخلياً في حيز الإباحة الشرعية ، ولا يكون من المحرم شرعاً عمله .

- مراعاة أن يكون نوع النشاط الترويحي مما يعزز قيم الانتماء إلى الأمة ويعهد للناشطة طريق الاعتزاز بدينها وشخصيتها الإسلامية .

- أن يكون النشاط الترويحي مما يعزز القيم الإيجابية والتشاركية في المجتمع ، ويحاصر قيم السلبية فيه^(٢) .

- التأكيد على الموضوعات التي لها صلة بتاريخ المسلمين وحضارتهم .

- تنقية الممارسات الترويحية القائمة مما علق بها من شوائب تتنافى مع القيم الإسلامية.

- أن يكون الترويح نافعاً ، فقد نهى الرسول - ﷺ - عن الألعاب التي لا تنفع فيها ، فضلاً عن تحريم الإسلام القاطع للألعاب التي فيها ضرر فردي أو جماعي .

- ألا يشغل الترويح حيزاً كبيراً في الوقت والجهد والرعاية والعناية بحيث يطفى على بقية البرامج .

- النهى عما لا خير فيه من الكلام والانصراف عن فاحش الألفاظ .

- التحكم الدقيق في البرنامج حتى لا يتحول إلى هزل محض وتتغلب روح المرح على روح الجد وتنحل تبعاً لذلك عناصر القوة .

(١) يحيى بسيونى مصطفى ، البدائل الإسلامية لمجالات الترويح المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٠ (المقدمة) .

(٢) انظر : جمال سلطان : إشكالية وقت الفراغ ، مجلة المسلم المعاصر ، بيروت ، لبنان ، السنة ١٠٤١ هـ ، العددان ٥٥-٥٦ .

- عدم إيذاء الآخرين عن طريق اتخاذ نقائصهم وعيوبهم الخلقية مادة للإضحاك والسخرية واللمز ، وعدم السماح بالدعابات التي تتناول خصائص الشعوب والمدن واللغات والألوان .

- إبعاد الحزن والهم والتشاؤم ، واستقبال الحياة بالبشر والأمل والبشاشة .

- صيانة رجولة الرجل من مظاهر الضعف والتكسر والافحلال والمحافظة على أنوثة الأنثى وعدم التشبه بالجنس الآخر .

ولعل الإسلام له حكمة من تعدد تلك الأنشطة الترويحية والترفيهية تتمثل في اختيار كل فرد لما يتلاءم مع احتياجاته وإمكانياته وقدراته ، هذا بالإضافة إلى استغناء الإنسان عن التطلع إلى أنواع اللهو الممنوع .

ومما تقدم نود أن نشير إلى أن محتويات البرنامج السابقة الذكر لا يعتبر حصراً لكل الأنشطة الجماعية فهي كثيرة ومتعددة ، وإنما أردنا أن نمثل بما يمكن أن تسهم به تلك الأنشطة في تنمية الشخصية الإسلامية للأعضاء ، وذلك من خلال مدى شرعية هذه الأنشطة في الإسلام .

مقياس لدرجة التوكل على الله في الخدمة الاجتماعية

د. نوال على خليل المسيري

مقدمة :

من ثمرات الإيمان الصادق (التوكل على الله) والثقة التامة بالإله الواحد الذي لا شريك له في ملكه ، ولا تدبير فوق تدبيره وهو أرحم الراحمين بعباده .

ومن وصل إلى مرتبة التوكل الصحيح على الله ، فقد وصل إلى منزلة الأمن والرضا وسكون النفس ، وعاش هادئ الأعصاب ، مطمئن القلب لا يتزلزل لشيء في الحياة .

ويهدف هذا البحث إلى بناء مقياس يتم من خلاله قياس درجة توكل العميل على الله لفرد في جماعة أو مجتمع ويمكن للأخصائي الاجتماعي تطبيقه قبل القيام بعملية المساعدة. حيث أنه يعطى فكرة عن شيء غامض يرتبط بشخصية العميل إلى أن تتضح الأمور .

وتفيد نتائج هذا المقياس في الكشف عن جانب التوكل في شخصية العميل وبالتالي تقديم المساعدة المطلوبة له .

ويبدو التوكل على الله واضحاً بصفة خاصة في المواقف الحرجة أو الصعبة التي يتعرض لها الفرد .

وقد تم تصميم هذا المقياس وإطاره النظري في ضوء الأصول الإسلامية من القرآن والسنة المطهرة وتراث السلف مع الاستفادة من الكتابات المختلفة في التأصيل الإسلامي والخدمة الاجتماعية .

راجية من الله تعالى أن يحقق الفائدة المطلوبة ويوفقنا جميعاً لطلب العلم النافع إنه نعم المولى ونعم النصير .

أولاً : مفهوم التوكل على الله :

لقد ورد مفهوم التوكل في العديد من الأصول الإسلامية ، فنجد الإمام أبا حامد محمد بن محمد الغزالي يحدد مفهوم التوكل في كتاب إحياء علوم الدين على أنه مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول إليه وكيلاً ويسمى المفوض إليه متكلاً عليه ومتوكلاً عليه ما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتيممه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزاً أو قصوراً .

فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده^(١) .
كما عرف التوكل فى موضع آخر بأنه المتوكل على الله الذى يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره .
وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل فى استجلاب المصالح ، أو دفع المضار ، من أمور الدنيا والآخرة كلها^(٢) .
وعرفه ابن سيده بأنه : "وتكل بالله وتوكل عليه واتكل واستسلم إليه ، وتكرر فى الحديث ذلك التوكل يقال : توكل بالأمر إذا ضمن القيام ووكلت أمرى إلى فلان أى ألقأته إليه واعتمدت فيه عليه ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفأيته ، إذا عجز عن القيام بأمر نفسه ووكل إليه الأمر^(٣) .
وعرف التوكل فى كتابات أخرى بأنه "الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد ... وهى كلمة نفسية ، الاسترسال مع الله على ما يريد فى كل ما أراد سبحانه ، فى الجهاد فى الضرب فى الأرض طلباً للرزق ، فى التزود من العلم ، فى حسن الخلق .
إنه الاسترسال مع الله على ما يريد ، وهذا يقتضى أن يسكن الإنسان إلى النتائج بعد أن يكون قد اتخذ الأسباب بقدر طاقته ، ويقتضى أمراً آخر هو : الابتعاد عن كل ما لا يريد سبحانه^(٤) ولقد حدد مفهوم التوكل أيضاً على أنه "الاعتصام بالله تعالى" . إنه الاعتصام بالله تعالى فى اتباع أوامره واجتناب نواهيه وهو الاعتصام بالله تعالى فى الحركة وفى النتائج أى السكون إليه فى كل ذلك مع السكينة فيما يتعلق بالنتائج^(٥) .
وإذا توكل الإنسان على الله سبحانه فإن ثمة ذلك هو كفاية الله للمتوكل يقول سبحانه : ﴿إِن الله يحب المتوكلين﴾^(٦) .

(١) الإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى : إحياء علوم الدين ، المجلد الرابع (دمشق ، مكتبة عبد الركييل للدراسى ، ١٣٤٧) ص ٢٢٣ .

(٢) محمد فائز المظ : من كنوز الإسلام (عمان : مكتبة الأقصى ، ١٩٨٤) ص ٨٦ .

(٣) أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠ ج ط ٢ (بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٩٨٥) ص ١٨٨ .

(٤) عبد الحليم محمود : الإسلام والتوكل على الله ، مقال منشور فى مجلة الأزهر ، الجزء التاسع ، (القاهرة ، جامعة الأزهر ، ١٩٧٤) ص ٩٠٩ .

(٥) أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى : مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٠ .

(٦) محمد الطيب النجار : الإيمان ومقوماته ، مقال منشور فى مجلة الأزهر ، العدد العاشر (القاهرة ، جامعة الأزهر ، ١٩٧٥) ص ١٩٠٠ .

كما عرف التوكل أيضاً بأنه "إذا أردت أن تعمل عملاً عملته بكل جد وإتقان مع اعتقادك أن التوفيق فيه يأتي من الله لا من عملك لأن الله هو الذي علمك ما يجب أن تعمل وألهمك العمل وأعانك عليه وسهل لك سبيله ثم وفقك فيه . لهذا فإنك تطلب من الله التوفيق ويأتي النجاح منه سبحانه^(١) .

كما عرفه الإمام أحمد بأنه عمل القلب ومعنى ذلك أنه عمل قلب ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح ، ولا هو من باب العلوم والإدراكات .

ومن الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول : هو علم القلب بكفاية الرب للعبد ومنهم من يفسره بالسكون وطمود القلب فيقول : التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب ، وهو ترك الاختيار ، والاسترسال مع مجارى الأقدار .

ومنهم من يفسره بالرضا : فيقول هو الرضا بالمقدور ، وقبل التوكل هجر العلائق ، ومواصلة الحقائق^(٢) .

وحقيقة الأمر أن التوكل حالة مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها ، والكل أشار إلى واحد من هذه الأمور أو اثنين أو أكثر .

فأول ذلك : معرفة بالله وصفاته : من قدرته وكفايته وقيوميته ، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصلورها عن مشيئته وقدرته ، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها الفرد قدمه في مقام التوكل .

وعرف التوكل أيضاً بأنه صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة^(٣) .

قال الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ سورة الطلاق آية (٢، ٣) .

فمن حقق التوكل والتقوى اكتفى بذلك في مصالح دينه ودنياه .

وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن النبي - ﷺ - قال : «لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً» . رواه الترمذى وغيره . وقال الترمذى : حسن صحيح ، قال أبو حاتم الرازى : هذا الحديث أصل في التوكل وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق .

(١) محمد فائز المط : مرجع سبق ذكره ، ص ٨٨ .

(٢) ابن رجب الحنبلى ، ابن القيم ، أبو حامد الغزالي : تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف (بيروت ،

مكتبة دار العلم ، بدون تاريخ) ص ص ٩٩ : ١٠٠ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٠٣ .

وقال سعيد بن جبير : تحقيق التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدرات بها ، وجرت سنته في خلقته بذلك ، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب ، مع أمره بالتوكل ، فالسعى في الأسباب بالجوارح طاعة لله ، والتوكل بالقلب عليه إيمان به (١) .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ سورة النساء ، آية ٧١ .
هذا ويختلط بالتوكل مفهوم آخر وهو التواكل وهو علة كثير من المسلمين إذ يعتقدون أن الله يرسل النجاح والتوفيق والرزق وسواها دون عمل ولا علم كمن أغلق الباب عليه منتظراً أن تمطر السماء عليه رزقاً فباء بالخذلان والخسران . لهذا قال رسول الله - ﷺ - للأعرابي إذ سأله أترك الناقة بالباب متكلاً على الله أم أعقلها لتلا تضيق فقال : "اعتلها وتوكل" . وفي التوكل على الله والاعتماد عليه الثواب الجزيل ، والمعونة والتوفيق ، وهو عبادة وثقة بالله ومحبة ، فقد قال سبحانه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وكما أن التوكل على الله فرض فلا يجوز التوكل على سواه ، إذ لا ينفع ولا يضر (٢) .
وبتحليل ما سبق ذكره من مفاهيم ومعاني خاصة بالتوكل على الله يمكن تحديد أبعاد المفهوم في :

- (١) المعرفة بالله وقدرته وصفاته مع عقد النية .
 - (٢) الأخذ بالأسباب والبدء بالعمل .
 - (٣) الرجاء في توفيق الله والرضا بتقديره .
- وبالنظر إلى تلك الأبعاد نجد أنها ترتبط ارتباطاً كبيراً بدرجات التوكل على الله . وهذا يسوقنا إلى الحديث عن .

درجات التوكل :

التوكل على الله من أفضل العبادات وأعلى مقامات التوحيد ، قال ابن القيم رحمه الله : جعل التوكل شرطاً في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه .
قال تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة إبراهيم ، آية ١٢ .
فكلما قوى إيمان العبد كان توكله أقوى وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل .
وقال تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ الفرقان ، آية ٥٩ .

(١) مصطفى ناجي : التوكل في الكتاب والسنة (بيروت ، مكتبة دار القلم ، بلون تاريخ) ص ١٣١ .

(٢) محمد فائز اللط : مرجع سبق ذكره ، ص ٩١ : ٩٢ .

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس ، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقوماته إلا على ساق التوكل .

قال تعالى ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً﴾ المزمل ، آية ١٠ .
لقد أمر الله رسوله - ﷺ - أن يتوكل عليه .

قال تعالى : ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ النساء ، آية ٨١ .

قال تعالى : ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ الشعراء ، آية ٢١٧ .

قال تعالى : ﴿فإذا عزمته فتوكل على الله﴾ سورة آل عمران ، آية ١٥٩ .

وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به رسوله - ﷺ - أن يتوكلوا على الله عز وجل .

قال تعالى : ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ سورة المائدة ، آية ٢٣ .

فالمؤمنون هم الذين يتوكلون على الله عز وجل .

قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم

آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ سورة الأتقال ، آية ٢ .

وقال تعالى : ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ سورة المتحنة ، آية

٤ .

وقال تعالى : ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ سورة

النحل : آية ٩٩ .

وقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى - ﷺ - قال : «سبعون ألفاً من أتى

يدخلون الجنة بغير حساب» قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال - ﷺ - : «هم الذين لا

يسرقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» . مسلم ، كتاب الإيمان : ٣٧٢ .

قال تعالى : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ سورة الطلاق ، آية ٢ .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم

عليه السلام حينما ألقى فى النار ، قال الله للنار : كونى يا نار برداً وسلاماً على إبراهيم

(الأنبياء : ٦٩) . وقالها النبى - ﷺ - حينما قال له الناس .

قال تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً

وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يحسبهم سوء﴾ سورة آل

عمران ، آية ١٧٣ - ١٧٤ البخارى .

فالتوكل على الله هو العمل بعد القيام بكل ما يحتاج إليه نجاح العمل (١) .

(١) مصطفى عبد الواحد : المؤمن بين الرجاء والخوف ، مقال منشور فى مجلة الأزهر ، العدد العاشر (القاهرة ،

جامعة الأزهر ، ١٩٢٥) ص ١٩٠١ .

فالإسلام يدعو ويحض على العمل وبعد ذلك يفتح الباب للأمل فهو يدعو إلى التوكل وينهى عن التواكل .

وهنا فقد حددت درجات التوكل في :-

أولاً : عقد النية على العمل ، فالتوكل عمل قلبي ليس بقبول اللسان ولا عمل الجوارح بل يرتبط بالمعرفة بالله وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته ، وهذه تعتبر أول درجة من درجات التوكل (١) .

ثانياً : الأخذ بالأسباب [إثبات الأسباب والمسببات] فإن من نفاها فتوكله مدخول .

وإن نفاها لأسباب لا يستقيم له توكل ، لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول التوكل فيه فهو كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به ، فإذا اعتقد العبد أن توكله لم ينصبه الله سبباً ، ولا جعل دعاءه سبباً لنيل شيء ، فقد وقع في الوهم الباطل ، فإن الله سبحانه وتعالى قضى بحصول الشيع إذا أكل الفرد ، والرى إذا شرب ، فإذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو .

وقضى بحصول الحج والوصول إلى مكة إذا سافر وركب الطريق ، فإذا جلس في بيته لم يصل إلى مكة (٢) .

فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه . فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل .

فبالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه . والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على سباق التوكل ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية (٣) .

ويعتقد الكثيرون أن التوكل على الله يقتضي ترك العمل بالأسباب وعدم السعي لطلب الرزق ، وأن فعل شيء من ذلك قاذح في التوكل وهذا فهم خاطئ .

والله تعالى أمر "عباده" بالسعي في طلب الرزق فقال : ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ .

فعلى العبد أن يذل الأسباب دون الاتكال عليها في تحقيق مراده بل يتوكل على الله مالك الأمر كله (٤) .

(١) محمد الطاهر بن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية (تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٨) ص ٨٥ .

(٢) محمد الطيب النجار ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٠٢ .

(٣) ابن رجب الحنبلي : مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٣ : ١٠٤ .

(٤) الإمام ابن قيم الجوزية ، تهذيب عبد المنعم صالح العلي العربي : تهذيب مدارج السالكين (بيروت ، دار القلم ، ١٩٩٠) ص ٣٤٢ : ٣٤٣ .

فالعامل بما أمر الله لازم لصحة التوكل عليه ، وترقب الخير منه ، والأخذ بالأسباب والوسائل التي رتب الله عليها المسببات والنتائج من المقررات الشرعية التي لا شك فيها ، ولعل ذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلُ الْكِتَابِ ، مَنْ يَعْدِلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (١) .

"فالتوكل على الله مع إهمال الأخذ بالأسباب وإغفال العمل بمقتضى الإيمان لا يسمى توكلًا ولا يسمى إيمانًا ، ولهذا قال النبي - ﷺ - "ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قومًا غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم .. وقالوا نحن نحسن الظن بالله .. وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل" (٢) .

فذلك يفهم منه أن الإيمان لا يكون بمجرد تخيل الأمانى وتمنى الحصول عليها بغير الأسباب الموصلة إليها (ولكن الإيمان الحقيقي باسم الإيمان هو ما استقر في نفس المؤمن أنه حق فاطمأن إليه ، وحرص عليه ، ثم كان عمله موافقاً له ، مصداقاً لوجوده أو دعوى اعتقاده ، وهذا الإيمان بهذا المعنى الواسع العميق هو الذى يستقيم معه ويدخل منه أو يتبعه معنى التوكل على الله ، وهذا ما يلمح فى قوله تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فقد جعل الإيمان شرطاً للتوكل عليه (٣) .

والإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل كما قال - ﷺ - ، والتوكل ليس عاطفة سلبية بل هو قوة إيجابية وطاقة روحية تدفع المؤمن إلى العمل والانتاج ، والأخذ بوسائل القوة وأسباب التقدم ، ولهذا يقول النبي - ﷺ - : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» (٤) .

"ثم يذكر وسائل القوة فيقول : احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان" .

غير أنه يجب أن يلاحظ أن الاعتماد على الأسباب ليس معناه الثقة المطلقة فى أنها تؤدي إلى الخير المنشود منها ، بل يجب الإيمان بأنها وأن ما يراد منها مردهما إلى الله ، فهو خالق الأسباب والمسببات . وقد يعطل الأسباب عن عملها فلا تثمر الخير ، وقد يكون فيها الشر من حيث نرى فيها الخير . كما يفهم من قوله تعالى : ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ

(١) عبد الحليم محمود : مرجع سبق ذكره ، ص ٩١٠ .

(٢) الإمام بن قيم الجوزية : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤١ .

(٣) محمد الطيب بن عاشور : مرجع سبق ذكره ، ص ٨٨ .

(٤) الإمام حجة الإسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالي : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٨ .

خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿١﴾ ولهذا كان التوكل عليه لا عليها والاعتماد عليه لا على غيره (١) .

فالتوكل على الله يكون بمجموع أمرين : الاعتماد عليه والثقة به والإيمان بأن الخير منه وإليه، والعمل بما أمر به والأخذ بالوسائل والأسباب التي رتب عليها النتائج والمسببات .
ثالثاً : الرجاء في توفيق الله والرضا بتقديره وذلك بإسقاط التدبير والاستسلام لتدبير الله وإلقاء الأمور كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرهاً واضطراراً .

فإذا وضع الفرد قدمه في هذه الدرجة انتقل منها إلى درجة الرضا وهي ثمرة التوكل ومن فسر التوكل بها فلانما فسر به بأجل ثمراته وأعظم فوائده ، فإنه إذا توكل حق التوكل رضى بما يفعله وكيله .

والتوكل يكتنفه أمران : التوكل قبله ، والرضا بعده .

فمن توكل على الله قبل الفعل ورضى بالمقضى له بعد الفعل فقد قام بالعبودية أو معنى هذا (٢) .

"ولو تأملنا في قول النبي - ﷺ - في دعاء الاستخارة "اللهم إني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم" فهذا توكل وتفويض ثم قال : (فإنك تعلم ولا أعلم ، وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب) فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة ، وتوسل إليه سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسل إليه بها المتوسلون . ثم سأل ربه أن يقضى له الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلاً ، أو آجلاً ، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلاً أو آجلاً ، فهذا هو حاجته التي سألتها : فلم يبق عليه إلا الرضا بما يقتضيه له . فقال "واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به" .

فقد اشتمل الدعاء على هذه المعارف الإلهية والحقائق الإيمانية ، التي من جملتها : التوكل قبل وقوع المقدور والرضا بعده وهو ثمرة التوكل والتفويض علامة صحته ، فإن لم يرض بما قضى له فتفويضه معلول فاسد (٣) .

وباستكمال هذه الدرجات الثلاث من التوكل يستكمل الرضا ويحقق مقام التوكل وتثبت قدمه فيه وتحقق الآتي : لو توكلت على الله لرضيت بما يفعله الله لك .

(١) محمد المدني : التوكل على الله بين النظرية والتطبيق ، مقال منشور في مجلة الأزهر ، الجزء العاشر (القاهرة ، جامعة الأزهر ، ١٩٧٥) ص ١٢٤١ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٢٤٣ .

(٣) الإمام ابن قيم الجوزية : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤٤ .

وبتحليل طبيعة العلاقة بين التوكل على الله والخدمة الاجتماعية بطرقها المختلفة فإننا نجد أن أحد الأهداف التي تسعى الخدمة الاجتماعية إلى تحقيقها هي مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات على إشباع احتياجاتها ومواجهة المشكلات التي يتعرض لها كل منهم .

ومما أكدت عليه إحدى الدراسات في بحوث التأهيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية والتي قام بها الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن رجب - بحث بعنوان "التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية^(١) - أن التصور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية والاجتماعية يقوم على ثلاث مسلمات قام بعرضها فى شكل قضايا يمكن استنباط فروض قابلة للاختبار منها وهى :

المسلمة الأولى :

إن انقطاع أو ضعف صلة الإنسان بالله عز وجل يعتبر فى ذاته سبباً أساسياً وكافياً وحده لوقوع الفرد فى المشكلات الشخصية والمشكلات المتصلة بالعلاقات الاجتماعية فى هذه الحياة الدنيا ، كما يكون سبباً للهلاك فى الآخرة ، ويصدق ذلك عند كل مستويات إشباع الفرد للحاجات الدنيوية .

وتفسير ذلك أن انقطاع الصلة بالله أو ضعفها يودى إلى افتقاد إشباع الحاجات ألا وهى انتقار الروح إلى الارتباط بالله خالقها وبارئها الذى ليس لها من دونه ملجأ أو ملاذ ، هذا من جهة ، كما أن انقطاع الصلة بالله أمر يجلب سخط الله وغضبه وخذلانه للعبد من جهة أخرى ، فالإنسان إذا افتقد اليقين بالله سبحانه وتعالى ، وإذا ضل عن طريق الله ، فإنه يتخبط فى إشباع حاجاته الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية) على غير هدى من الله فيبالغ مبالغة شديدة فى الجزع من أى نقص فى إشباع تلك الحاجات التى هى عنده غاية الغايات ، وفوتها لا يعرض لا فى عاجل ولا فى آجل (فى الدنيا والآخرة) ، فتأثر بذلك حالته الانفعالية أو قد يمتد التأثير إلى إحداث أعراض بدنية ، وعلى جانب الآخر فإن من توفرت له الموارد الكثيرة لإشباع حاجاته المادية يميل إلى الطغيان والتجاوز ، فيكون بذلك سبباً فى المشكلات لنفسه ولغيره . ومن ذلك نستنتج أن نقص المعرفة واليقين والثقة بالله تعالى يودى إلى وقوع المشكلات سواء أشبعت الحاجات المادية أو كان الحرمان والافتقار إلى الموارد المادية .

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية : (بحث مقدم الى مؤتمر التوجيه الإسلامى

للعلوم والذى تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية ، بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة فى الفترة من ١٥ : ٢٠

شوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨ الى ٢٣ أبريل ١٩٩٢) ، ص ٦٢ : ٦٤ .

المسلمة الثانية :

أن القصور فى إشباع الحاجات الدنيوية (النفسية والمادية والاجتماعية) سبب أساسى - ولكنه ليس كافيا وحده - لوقوع الفرد فى المشكلات الشخصية والمشكلات المتصلة بالعلاقات الاجتماعية وذلك على أساس أنه حتى فى حالة وجود مثل ذلك القصور فى الموارد المادية مع حسن الصلة بالله سبحانه وتعالى فإن المشكلات التى يواجهها الفرد تكون أقل حدة بكثير ، ويتوقف الأمر على درجة ونوع تلك الصلة بالله جل وعلا .

المسلمة الثالثة :

إن التغير الاجتماعى السريع وما يودى إليه من تفكك اجتماعى هو سبب أساسى فى حدوث المشكلات الاجتماعية فى كل المجتمعات ، ولكن درجة حدة تلك المشكلات ودرجة انتشارها تكون أقل كثيراً فى حالة المجتمعات التى تهيم فيها القيم المستمدة من الإسلام والتى تعكس مؤسساتها ونظمها الاجتماعية تلك القيم الإلهية .

فالتصور الإسلامى من هذا المنطلق يقوم على أهم العوامل وهو نوع صلة الإنسان بربه ، تلك الصلة التى تعكسها شعب الإيمان ومنها التوكل على الله ، وفى هذا الموضع انقسم الناس إلى أربعة أقسام ، "كما أوردها شيخ الإسلام أحمد بن تيمية فى مجموعة الفتاوى" (١) .

القسم الأول :

قوم ينظرون إلى جانب الأمر والنهى والعبادة والطاعة شاهدين لإلهية الرب سبحانه وتعالى الذى أمروا أن يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة وهو حال كثير من المتفقهة والمتعبدة ، فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمة الله ولشعائره يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان لأمر الاستعانة بالله والتوكل عليه والملاجأ إليه والدعاء له وهى التى تقوى العبد وتيسر عليه الأمور .

ولهذا قال بعض السلف ، من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ولهذا روى أن حملة العرش إنما أطاقوا حمل العرش بقولهم لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ .

القسم الثانى :

يشهدون بربوبية الحق وافتقارهم إليه ويستعينون به لكن على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته ، وهذا حال كثير من المفتقرة والمتصوفة .

(١) أحمد بن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد الحنبلى : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - المجلد

العاشر ، بدون دار نشر وتاريخ ، ص ٣٢ : ٣٦ .

ولهذا كثيراً ما يعملون على الأحوال التي يتصرفون بها في الوجود ولا يقصرون ما يرضى الرب ويحبه ، وكثيراً ما يغلطون فيظنون أن معصيته مرضاته فيعودون إلى تعطيل الأمر والنهي ويسمون هذا حقيقة ، ويظنون أن هذه الحقيقة القدرية يجب الاسترسال معها دون مراعاة الحقيقة الأمرية الدينية التي هي تحوى مرضاة الرب ومحبة وأمره ونهيه ظاهراً وباطناً .

القسم الثالث :

وهو من أعرض عن عبادة الله واستعانت به فهؤلاء شر الأقسام .

القسم الرابع :

وهو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وقوله ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ فاستعانوا به على طاعته وشهدوا أنه إلههم الذى لا يجوز أن يعبد إلا إياه بطاعته وطاعة رسوله وأنه ربهم ﴿الذى ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع﴾ وأنه ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾ .

فالتوكل على الله صفة من صفات المؤمنين ... ﴿الله لا إله إلا هو وعلى الله فيتوكل المؤمنون﴾ وحين يتوكل المؤمن على ربه فإنه يستند إلى السبب الأقوى والركن المتين .. يستند إلى ذى الحكمة والرحمة والقوة والتدبير .. وهو سبحانه لن يضع من استند إليه ولن يخذل من توكل عليه . ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ .

والتوكل على الله يمنح القلب الطمأنينة والثبات فى مواجهة المشاكل والمواقف ، كما ينمى العزيمة ويقوى الإرادة ، ويفتح أبواب الرجاء ، وهو قوة إيجابية تدفع إلى العمل وتسد ابواب القلق ، وتقضى على الحيرة والتردد .

أنواع التوكل :

"التوكل على الله نوعان ، أحدهما توكل عليه فى صلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية ، والثانى : التوكل عليه فى حصول ما يثبه ويرضاه من الإيمان واليقين والدعوة إليه . وبين النوعين من الفضل ما لا يحصى إلا الله فمتى توكل عليه العبد فى النوع الثانى حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية ومتى توكل عليه فى النوع الأول دون الثانى كفاه أيضاً لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يثبه ويرضاه" (١) .

فأعظم التوكل عليه التوكل فى الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل فهذا توكل الرسل وبخاصة أتباعهم .

(١) ابن عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى ، ابن قيم الجوزية : الفوائد (بيروت ، دار الكتب العلمية ،

والتوكل تارة يكون توكل اضطرار وإلجاء بحيث لا يجد العبد ملجأ إلا التوكل كما إذا ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه وهذا لا يتخلف عنه الفرج والتيسير البتة ، وتارة يكون توكل اختيار وذلك التوكل مع وجود السبب المفضى إلى المراد. فإن كان السبب مأموراً به ذم على تركه وإن قام بالمسبب وترك التوكل ذم على تركه أيضاً فإنه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن والواجب القيام به والجمع بينهما ، وإن كان السبب محرماً حرم عليه مباشرته وتوحد السبب فى حقه فى التوكل ولم يبق سبب سواه فإن التوكل من أقوى الأسباب فى حصول المراد ودفع المكروه بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق .

وإن كان السبب مباحاً نظرت هل يضعف قيامك به التوكل أو لا يضعفه فإن أضعفك وفرق عليك قلبك وشتت همك فتركه أولى . وإن لم يضعفك فمباشرته أولى لأن حكمه أحكم الحاكمين .

وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به فتوكل اللسان شىء وتوكل القلب شىء ، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شىء وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شىء ؛ فقول العبد توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله تبت إلى الله وهو مصر على معصيته مرتكب لها" (١) .

والتوكل على الله نصف الدين . والنصف الثانى الإنابة فإن الدين الإسلامى استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هى العبادة . بل هو محض العبودية وخالص التوحيد ، إذا قام به صاحبه حقيقة .

فأفضل التوكل ، التوكل فى الواجب - واجب الحق وواجب الخلق ، وواجب النفس أوسع وأنفعه وهذا ما أمرتنا به السنة المطهرة والقرآن الكريم (٢) .
عن النبى - ﷺ - قال :

يا معاذ بن جبل ، قال : لبيك يا رسول الله وسعديك قال : يا معاذ قال : لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً) : قال : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار . قال : يا رسول الله أفلا أنحى به الناس فيستبشروا ؟ فقال : إذا يتكلموا . وأخبر بها معاذ عند موته تأمناً .

(البخارى ، كتاب مسلم ، : ٤٩)

(١) أحمد بن تيمية : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٨ .

(٢) محمد المننى : مرجع سبق ذكره ، ١٢٤٣ .

وفى شرح ابن حجر العسقلانى قوله (إذا يتكلموا) أى إن أخبرتهم يتكلموا ، يمتنعوا عن العمل اعتماداً على ما يتبادر من ظاهره" (١) .

ويؤكد ذلك حاصل السؤال (الذى سأله السائل للرسول - ﷺ -) ألا نترك مشقة العمل فإننا سنصير إلى ما قدر علينا ، وحاصل الجواب : لا مشقة لأن كل أحد ميسر لما خلق له ، وهو يسير على من يسره الله . قال الطيبي : الجواب من الأسلوب الحكيم ، منعهم عن ترك العمل وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية ، وزجرهم عن التصرف فى الأمور المغيبة فلا يجعلوا العبادة وتركها سبباً مستقلاً لدخول الجنة والنار بل هى علامات فقط" (٢) .

فالتوكل حقيقة الاعتماد ، وهو هنا مجاز فى الشروع فى الفعل مع رجاء السداد فيه من الله ، وهو شأن أهل الإيمان ، فالتوكل انفعال قلبى عقلى يتوجه به الفاعل إلى الله راجياً الإعانة ومستعيناً من الخيبة والعوائق .

وبذلك يظهر أن قوله "فتوكل على الله" ، دليل على جواب إذا ، والتقدير : فإذا عزمت فبادر ولا تتأخر وتوكل على الله ، لأن للتأخر آفات ، والتردد يضيع الأوقات" (٣) .

الخدمة الاجتماعية الإسلامية والتوكل على الله :

تهتم الخدمة الاجتماعية بالعمل مع الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال الطرق المهنية الثلاثة خدمة الفرد وخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع ، وإذا نظرنا إلى مضمون الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية فى العمل مع تلك الوحدات الثلاث نجد أنها تنصب أساساً على وجود موقف معين قد يكون هذا الموقف مرتبط بمواجهة مشكلة معينة أو تكيف أو سوء تكيف أو إشباع حاجة معينة إلى آخره من الوظائف المختلفة التى يمكن أن تقوم بها الخدمة الاجتماعية .

وبصرف النظر عن الطريقة المهنية المستخدمة فإن جميع طرق مهنة الخدمة الاجتماعية تنتم لإشباع الاحتياجات المختلفة للفرد سواء فى داخل أسرة أو فى داخل جماعة أو مجتمع فى إطار الطريقة المهنية التى يستخدمها الأخصائى الاجتماعى .

هذا ، وقد بذلت إحدى المحاولات من قبل إحدى الباحثات فى وضع تصور للمنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية من خلال تحليل العلاقة بين حدوث المشكلات الفردية

(١) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : فتح البارى ، شرح صحيح البخارى (بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٩) ص ٢٢٧ .

(٢) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : مرجع سبق ذكره ، ص ٦٦ .

(٣) ابن عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى ، ابن قيم الجوزية : مرجع سبق ذكره ، ص ٨٨ .

والنقص فى إشباع الحاجات الإنسانية . هذا وقد تم تحليل هذه العلاقة فى ضوء المنظور الغربى للمشكلات الفردية حيث أغفل تماماً البعد المتعلق بصلة الإنسان بخالقه والإيمان باليوم الآخر ، كما أنه من هذا المنظور يتصور أن بيئة الإنسان مهما بلغت من كفاية لن يمكنها إشباع حاجاته ورغباته كافة بصورة تشعره بالرضا والسعادة ، نظراً لتنوع هذه الحاجات وتغيرها وتحددتها بين لحظة وأخرى .

ويتفاوت الناس فى مدى استطاعتهم التغلب على مشكلاتهم نظراً لتفاوتهم فى القوة على جهاد النفس والصبر المتوقعة على قوة إيمانهم بالله وتوكلهم عليه والتزامهم بطاعته أى على مستوى إشباعهم الحاجة لحفظ الدين (الوظائف الغائية) . فقد يكون الفساد تاماً فلا يشكل لدى صاحبه مشكلة لأنه لا يشعر بإزعاج بل يتمتع بحياته الدنيوية أو ربما لا يكون الفساد تاماً بحيث يشكل لديه نوعاً من القلق والشك وعدم الاطمئنان بما وجد عليه نفسه من كفر أو شرك .

وتؤكد النتائج التى جاءت بها الدراسة التى قام بها سوليفان على أشخاص مسلمين يمرون بأزمات ويشعرون بتوتر نتيجة عدم استطاعتهم تحمل أعبائهم أن السبب فى ذلك يرجع إلى العديد من العوامل التى أهمها تفسيرهم الخاطيء لأحداث الحياة وللودائع التى يمنحها الله لهم (الثروة / القوة / العقل) باعتقادهم أنها إنجازات بشرية .

كما أنهم يوجهون اعتمادهم وخضوعهم إلى الوجهة الخاطئة (الشرك) ، وتقرر الدراسة أيضاً أن الشخص الذى يعانى من الاضطراب العصبى أو الاختلال العقلى هو شخص إما أنه أنكر الإيمان بالله أو أن توجهه لعبادة الله والإيمان به تتخلله تناقضات ومعتقدات خاطئة .

وبهذا نرى أنه لكى نحدد أبعاد المشكلة ونتوصل إلى مسبباتها لابد من التعرف على مدى قوة إيمان الفرد بالله عز وجل وصحة اعتقاداته وتوجهاته كما جاء فى الكتابات الإسلامية .

وانتهت دراسة الباحثة المذكورة "عفاف الدباغ"^(١) إلى أن المشكلات الفردية غالباً ما ترجع إلى أحد أو بعض العوامل التالية :

١- الفساد التام فى الاعتقاد والذى أساسه عدم التوحيد لله سبحانه وتعالى وعدم الإيمان باليوم الآخر (موت القلب) .

٢- أنواع من الفساد فى الاعتقاد وفى الإرادة (مرضى القلب ، مرضى شبهة ، مرضى شهوة) .

(١) عفاف إبراهيم الدباغ : المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية (بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية فى الفترة من ١٠ : ١٣ أغسطس ١٩٩١) ص ١٢ : ١٧ .

٣- النفس الأمانة بالسوء .

٤- الشيطان .

وهذا لا يعنى أن الإنسان المؤمن التقى لا تعرض له مشكلات ولكنه يمكن أن يواجهها بقوة وثبات القلب .

والنظر إلى المشكلات الفردية من المنظور الإسلامى لابد أن يعتمد على قاعدتين أساسيتين هما :

١- أن الله المتصرف فى خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه يقول عز وجل : ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ . (الأنعام : ١٧ ، ١٨) .

٢- قول الله عز وجل : ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ . (النساء : ٧٩) .

وتقوم نظرية الممارسة فى الخدمة الاجتماعية على ثلاث عمليات أساسية تعد فى مضمونها عمليات للمساعدة تناولتها العديد من الكتابات الأجنبية فى الخدمة الاجتماعية ، فأشارت إليها بعض الكتابات على أنها تتضمن عملية تقدير الموقف والتدخل المهني^(١) .

وتناولتها كتابات أخرى على أنها ثلاث عمليات تشمل تقدير الموقف والتدخل المهني والتقويم وآخرون تحدثوا عنها فى أربع عمليات تشمل البحث عن أسباب وعلاقة العميل^(٢) بالمشكلة ثم اتخاذ قرار والبدء بالعمل وتقويم العمل^(٣) .

وسواء كانت ثلاث عمليات أو أكثر فإن عملية المساعدة التى يقوم بها الأخصائى الاجتماعى لعملائه لا تخرج عن كونها :

١- عملية تقدير للموقف أو المشكلة .

٢- التدخل المهني لمواجهة الموقف .

٣- تقويم نتائج التدخل المهني .

(1) Max Siporin : Interoduction to Social Work Practice (New York : Macmillan Publishing, Co, Inc., 1976) P.46 .

(2) Francis J. Turner : Social work treatment (New York, Macmillan Publishing, Co, Inc, 1986) PP 103 : 164 .

(3) Sheila Dainow & Caroline Bailey Deve oping skills with people (N.Y, Prentice Hall, Inc, 1990) p. 28 .

وبتحليل محتوى الكتابات الغربية التي انصبت على عمليات المساعدة التي تقوم بها الخدمة الاجتماعية . نجد أنها اهتمت أساساً بعملية النقص في إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية والمادية والتي ينتج عنها المشكلات بأنواعها ، سواء كانت هذه المشكلات فردية ترتبط بالفرد نفسه أو مشكلات ترتبط بالنظم الاجتماعية في المجتمع وعمليات التخطيط لمواجهة تلك المشكلات . وهنا وجدنا مستويين لممارسة الخدمة الاجتماعية مستوى العمل مع الوحدات الكبرى Macro ومستوى العمل مع الوحدات الصغرى Micro وتنوعت الكتابات في الخدمة الاجتماعية حول تلك المستويات ومواجهة المشاكل المرتبطة بكل مستوى .

ولكن ما يعنيننا هنا هو أن عملية التدخل المهني لا يمكن أن تتم بدون القيام بتقدير للموقف أو المشكلة ... ولكن المشكلة هنا في عملية التقدير أو الاختلاف في تناول تلك العملية من المنظور الغربي والمنظور الإسلامي .

فهذه المشكلات أو المواقف التي تتطلب التدخل جميعاً إنما تتوقف في المنظور الغربي عند حدود هذه الحياة الدنيا من جهة .

ولقد أثبتت الكتابات في التأهيل والتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية أنه لا يمكن فهم هذه المشكلات والصعوبات بالاعتصار على دراسة الحاجات الدنيوية وحدها ، وإنما يكون هذا الفهم ممكناً إذا استطعنا أولاً وقبل كل شيء أن نتعرف على نوع صلة الإنسان بربه المبنية على مفهوم الشعور بالافتقار إلى الله سبحانه وتعالى باعتبار أن هذا الشعور يكون أساساً لارتباط الإنسان بخالقه ، على أساس أن رضا الله سبحانه وتعالى عن العبد فيه كفاية إشباع تلك الحاجات الدنيوية .

هذا وقد توصلت دراسة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن رجب حول التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية إلى أنه لا يجوز في المنظور الإسلامي للخدمة الاجتماعية إغفال إشباع الحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية) وإن كان إشباعها ينبغي أن يكون إشباعاً متوازناً لا يجعل منها أبداً هدفاً في ذاتها بحيث لا تكون أكبر هم العبد ولا تكون مبلغ علمه .

وبهذا انتهى إلى أن المنظور الإسلامي يستوعب الاهتمامات والحاجات الدنيوية للإنسان التي أسرف المنظور الغربي في التركيز عليها ، ولكنه يقدرها حق قدرها دون زيادة أو نقصان ، ويضعها في موضعها الصحيح من حاجات الإنسان في الدنيا (المتضمنة لأشواقه الروحية) ومن حاجاته المتصلة بالحياة الأخرى .

وبناء على ذلك فإن عملية تقدير الموقف في المنظور الإسلامي للخدمة الاجتماعية ينبغي أن تتضمن دراسة ما يتصل بالحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية) غير المشبعة ولكنها أيضاً ينبغي أن تتضمن قبل هذا وبعده تقدير الموقف أيضاً فيما يتعلق (بنوع

صلة العميل بربه) . سواء من النواحي المعرفية المتعلقة بصحة الاعتقاد والسلامة من البدعيات والشركيات أو من النواحي القلبية الوجدانية أو من النواحي السلوكية التعبدية بالمعنى الضيق للعبادات والمعنى الواسع للعبادة الذى يشمل طاعة الله فيما أمر ونهى فى كل جوانب الحياة. ومن هنا كان اهتمام الباحثة بأهمية تصميم مقياس للتوكل على الله فى الخدمة الاجتماعية يقيس درجة توكل العميل على الله كمؤشر يساعد الأخصائى الاجتماعى فى الكشف عن بعض الجوانب الإيمانية فى شخصية العميل وعلاقته بربه حتى يتعرف على جوانب القصور والتي فى ضوئها يقوم بعملية تقدير المشكلة والموقف الذى يتعامل معه وبناء عليه يحدد استراتيجيات التدخل المهني الملائمة لطبيعة ذلك الجانب . خصوصاً كما سبق أن ذكرنا أن المحاولات البحثية المبذولة فى التأصيل الإسلامى والتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية قد أكدت على هذا الجانب الروحى "صلة الإنسان بربه" . وهنا يجب أن تبذل الجهود والمساعى من قبل الباحثين فى الخدمة الاجتماعية فى هذا الجانب المهم الذى يساعد على القيام بأهم عملية من عمليات الخدمة الاجتماعية وهى تقدير الموقف أو المشكلة والتي يترتب عليها نجاح العمليات الأخرى المساعدة .

مقياس التوكل على الله :

- يعتبر مقياس التوكل على الله فى الخدمة الاجتماعية إطاراً ودليلاً إرشادياً يمكن للأخصائى الاجتماعى استخدامه فى العمل مع الفرد داخل الأسرة أو الجماعة أو المجتمع ليقىس من خلاله درجة توكله على اعتبار أن التوكل على الله شعبة من شعب الإيمان . كما أنه يرتبط بعلاقة الإنسان بربه وخالقه ، وتحدد طبيعة هذه العلاقة مدى قدرة الإنسان على مواجهة المشاكل أو المواقف التى يتعرض لها .

- ويمكن استخدام هذا المقياس فى مجالات الخدمة الاجتماعية الطبية والنفسية ورعاية الشباب والعمالية والأسرية والتأهيل المهني والمعاقين والضمان الاجتماعى إلى غيره من المجالات المتاحة ، وقد تم استبعاد فئة المنحرفين الصغار والكبار لأن ما يقومون به من أفعال وأعمال لا تعد مشروعة وتخرج عن نطاق التوكل على الله انطلاقاً من أن الفرد يجب أن يسلك مذهباً مشروع ويأخذ بالأسباب المشروعة ، المباحة .

فالفقير لكى يسد فقره أو جوعه هل يسلك طريق السرقة ؟ أم يتجه إلى أسباب وأساليب أخرى . والزوج الذى يعانى من مشاكل مستمرة مع زوجته وأسرته ولم يجد أمامه وسيلة لمواجهة مشاكله هل يلجأ إلى شرب الخمر أو إدمان المخدرات هروباً من واقعه المؤلم .. هنا تلعب علاقة الإنسان بخالقه دوراً كبيراً فى مواجهة تلك المواقف والتأقلم معها أو محاولة الأخذ بالأسباب المشروعة ، وكما سبقت الإشارة فى درجات التوكل فإن التوكل على الله نوعان :

أ- توكل اضطرار (لا يجد العبد إلا التوكل كلما ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه) .

ب- توكل اختيار (توكل مع وجود السبب المفضى إلى المراد فإذا كان التوكل مأموراً به ذم على تركه وإن قام السبب وترك التوكل ذم على تركه أيضاً) .
وقد يلجأ إلى سبب محرم عليه مباشرة وقد يكون السبب مباحاً .

فالتوكل على الله لا يظهر حقيقة إلا عندما يتعرض الفرد لموقف معين كما أنه مرتبط بالإيمان بالله وعلاقة الإنسان بخالقه وربّه .

- استخدام الأخصائي الاجتماعي لمقياس التوكل على الله وتطبيقه على العملاء قبل القيام بعملية المساعدة سيساعد كثيراً فى الكشف عن الجوانب الروحية فى شخصية العميل ويحدد أيضاً درجة الإيمان بالله خصوصاً وأن هناك نمطاً من العملاء سقيم الاعتقاد ، يختلط التوحيد عنده ببعض الشوكيات أو البدعيات وهنا نتوقع أن يكون مثل هذا الشخص مصاباً بأمراض القلوب التى وصفها الكثيرون من أهل العلم ، ثقة مثل هؤلاء العملاء فى الله وصدق التوكل عليه تكون محل شك شديد ، كما أن احتمالات انحرافهم فى التجاوزات فى إشباع الشهوات تكون كبيرة ، ومن هنا فإن الخذلان يكون نصيبهم .
فنجدهم يصابون بالهلع والجزع الشديد عند الابتلاء بالنقص كما يصابون بالشح والطغيان أن رآه استغنى . وفى كل الأحوال فهم مصدر للمشكلات لأنفسهم أو لغيرهم^(١) .

وهنا نتوقع أن يكون الأخصائي الاجتماعي المسلم لا يفتقد إلى التوكل على الله .
ويجب أن تتوفر لديه تلك الشعبة المهمة من شعب الإيمان بالله حتى يستطيع فهم شخصية العميل من ذلك الجوانب الروحية وتقدير درجة توكله على الله بما يؤدى إلى القيام بعملية تقدير الموقف وفهمه جيداً حتى يمكن للأخصائي الاجتماعي أن يقوم بتحديد واختيار استراتيجيات التدخل المهنية المناسبة للموقف ونمط شخصية العميل .

الهدف من مقياس التوكل على الله وأهميته :

يتبلور الهدف الرئيسى من هذا المقياس فى قياس درجة توكل العميل على الله حتى يتمكن الأخصائي الاجتماعي من تحقيق أهداف عملية المساعدة التى يقوم بها ، وتحدد أهمية قياس درجة التوكل بصفة خاصة فى عملية تقدير الموقف Assessment أو المشكلة أو الحالة وذلك لكشف الجوانب الروحية فى شخصية العميل والتى تحدد علاقة الإنسان بربه وخالقه .

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٧٢ : ٧٣ .

وبناء على تلك العملية المهمة من عمليات المساعدة (التقدير) يستطيع الأخصائي الاجتماعي في ضوء ما توصل إليه من نتائج تحديد استراتيجيات التدخل المهني الملائمة لدرجة توكل العميل على الله أو عدم توكله بالإضافة إلى الجوانب الأخرى المرتبطة بالموقف والمشكلة التي يتعامل معها .

وبالنسبة للأهداف العملية التي يسعى هذا المقياس إلى تحقيقها فهي :

- أن بناء وتصميم مثل هذا المقياس يعتبر محاولة من محاولات التأصيل الإسلامي للمجالات المهنية للخدمة الاجتماعية .

- يحدد هذا المقياس درجة توكل العميل على الله وأن تحديد تلك الدرجة يساعد كمؤشر في تحديد علاقة الإنسان بربه وقدرته على مواجهة الموقف أو المشكلة التي يعاني منها .

- إن استخدام الأخصائي الاجتماعي لمقياس التوكل على الله في المجالات المهنية المختلفة لممارسة الخدمة الاجتماعية يوضح لنا اهتمام الأخصائي الاجتماعي بهذا الجانب الإسلامي المهم ودرجة توكله هو على الله وفهمه لمضمون التوكل وأبعاده .

- استخدام هذا المقياس يساعد في الكشف عن جوانب القصور الروحي في شخصيات العملاء وهذا بالتالي يساعد في تحديد أنواع العلاج الإسلامي الروحي المناسب لتلك الأنماط من الشخصيات . كما أنه يساعد في تحديد مسار استراتيجيات التدخل المهني الملائمة للموقف أو المشكلة .

- إن اهتمام الأخصائيين الاجتماعيين بتطبيق هذا المقياس في المؤسسات المختلفة المرتبطة بمجالات الخدمة الاجتماعية يساعد أيضاً في تنمية الوعي الإسلامي لدى فئات العملاء وتنمية الجانب الروحي لديهم وتقوية صلتهم بالله تعالى نظراً لأهمية تلك العلاقة في مساعدة العميل على تقبل وضعه ومشكلته دون جزع أو هلع أمام تلك المواقف الصعبة والسعي لمواجهتها بالأساليب والطرق المشروعة والرجاء من الله تعالى على تقديم ما فيه خير الفرد .

وترجع أهمية تصميم مقياس التوكل على الله في الخدمة الاجتماعية إلى أهمية قياس درجة الارتقاء الروحي للعملاء . وهذا ما أكدت عليه دراسة كاندا Canda - التي أشار إليها الدكتور إبراهيم عبد الرحمن في بحثه بعنوان التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية - من توسيع نطاق مفهوم (الشخص في البيئة) الذي يعتبر محور ارتكاز الخدمة الاجتماعية لكي يشمل ليس فقط (دراسة علاقات العميل مع البيئة الاجتماعية) وإنما أيضاً مع العالم غير الإنساني ، ومع الحقيقة المطلقة ، وهناك أيضاً بعض المحاولات الإسلامية من قبيل صالح

الصنيع عام ١٩٨٩ من خلال دراسة أجراها بعنوان العلاقة بين مستوى التدين والسلوك الإجرامى وقام ببناء مقياس مستوى التدين .

وعلى هذا فإننا كأخصائين اجتماعيين مطالبون ببذل جهود كبيرة لبلورة أدوات تصلح لقياس مثل هذه المفاهيم الروحية لاستخدامها فى تقدير موقف العملاء وذلك للتعبير عن فكرة نوع صلة العميل بالله سبحانه وتعالى والتي تعين فى تقدير موقف العميل فى الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية .

ويعتبر مقياس التوكل على الله فى الخدمة الاجتماعية والذي قامت بتصميمه الباحثة فى ضوء التراث الإسلامى ومحاولات التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية أحد المحاولات التى أكدت عليها نتائج وتوصيات تلك الدراسة التى قام بها الدكتور إبراهيم عبد الرحمن بعنوان التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية حتى يتحقق التواصل الفكرى والمعرفى وتحقيق الفائدة المطلوبة من وراء جهود التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية والله من وراء القصد وعلى الله التوفيق ..

بناء المقياس والإجراءات المنهجية المستخدمة :

انطلاقاً من الأسس العلمية لبناء وتصميم المقاييس فى العلوم الاجتماعية قامت الباحثة باتباع الخطوات الآتية فى بناء مقياس التوكل على الله وهى :

١- تم تحديد الموضوع الرئيسى الذى تم فى ضوئه بناء المقياس وهو التوكل على الله فى الخدمة الاجتماعية وقد تم استنباط تلك الفكرة من قراءات الباحثة فى التأصيل الإسلامى ومحاولات التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية باعتبار أن التوكل على الله شعبة من شعب الإيمان التى يتم فى ضوئها تحديد علاقة الإنسان بخالقه كما أنها يمكن أن تكشف عن قدرة الفرد على مواجهة المواقف أو المشاكل التى يعانى منها أو تصادفه فى حياته .

٢- قامت الباحثة باستعراض التراث الإسلامى من كتب التوحيد والفقه والسنة والأحاديث . بالإضافة إلى الكتابات المختلفة فى التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية وذلك لجمع أكبر قدر ممكن من المادة العلمية الإسلامية حول موضوع التوكل على الله والإيمان بالله .

٣- تم استعراض الدراسات السابقة المرتبطة بالموضوع سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وذلك بهدف تحديد المفهوم الإجرائى للتوكل على الله والذي سيتم من خلاله صياغة عبارات المقياس .

٤- قامت الباحثة بتحديد عبارات المقياس والمرتبطة بأبعاد مفهوم التوكل على الله والذي تم تحديده فى ضوء التراث الإسلامى وكتابات التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية والدراسات السابقة المرتبطة به .

٥- تم التحقق من الصدق الموضوعي للمقياس وذلك بالرجوع إل العديد من الكتابات والمراجع الإسلامية والقرآن والسنة المطهرة وكتب التوحيد وغيرها من الكتابات الإسلامية .

٦- تم عرض المقياس في صورته المبدئية على مجموعة من المحكمين من أعضاء هيئة التدريس المهتمين بالتأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية في كل من الرياض بالمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية وقد بلغ عددهم تسعة أعضاء ، وذلك للتحقيق من الصدق الظاهري Face Validity من حيث نوع العبارات وكيفية صياغتها ومدى وضوح هذه المفردات ومناسبة العبارات للغرض بالإضافة إلى مدى مطابقة تلك العبارات لمفهوم التوكل وتحديد العبارات السالبة والموجبة والتي تقيس التوكل القوى والضعيف وقد تم الاسترشاد بأراء المحكمين في إعادة صياغة بعض العبارات أو حذف البعض منها وتحديد السالب والموجب منها . وقد بلغ عدد عبارات المقياس في صورته المبدئية ٨٥ عبارة .

٧- قامت الباحثة بعد ذلك بإعادة صياغة عبارات المقياس فى ضوء آراء المحكمين وذلك تمهيداً لإجراء صدق المضمون (الصدق المنطقي) حيث قامت بتحديد أوزان للعبارات الواردة متبعة في ذلك طريقة ليكرت في إعداد المقاييس وقد تم تحديد أربعة أوزان اشتملت على :

موافق جداً - موافق - موافق إلى حد ما - غير موافق

هذا وقد بلغت عبارات المقياس ٧٥ عبارة ، وبعد ذلك تم تطبيق المقياس على عينة من العملاء فى كل من المؤسسات الآتية :

أ- مؤسسة تأهيل مهني .

ب- مستشفى .

ج- مؤسسة ضمان اجتماعي .

وقد تم اختيار خمسة عملاء من كل مؤسسة من تلك المؤسسات بمدينة الإسكندرية والذين يعانون من مشكلات ويترددون على تلك المؤسسات ، كما تم اختيار عينة من الأفراد العاديين الذين لا يترددون على أي مؤسسة ولا يعانون من مشكلات محددة لتطبيق المقياس عليهم وقد بلغ عددهم ١٠ أفراد من الذكور والإناث . وذلك للتحقق من الصدق التنبؤي للمقياس . وبناء على نتائج اختبار الصدق الأول والتي كانت ٤٠ ، تم إجراء بعض التعديلات في العبارات الواردة وذلك فى كل من عبارة رقم :

٢ ، ٦ ، ٩ ، ١١ ، ١٤ ، ١٨

وبتطبيق معامل الارتباط التالي بعد إعادة الاختبار على عينة العملاء المختارة من خلال المعادلة التالية :-

$$r(1) = n - 11$$

$$r(1) = \frac{n + n(1 - r) - 11}{\sqrt{70 \times 2 \times 3 \times 3}} = \frac{54 \times 3}{54} = 0.9$$

وبحساب معامل الصدق نجد أنه قد زاد من ٤٠ إلى ٤٥ ،

٨- أما فيما يتعلق بمعامل الثبات ، فقد قامت الباحثة بالتحقق من ثبات المقياس باستخدام قانون سبيرمان وبراون وهو :

$$r_{12} = \frac{r_{11} + r_{22}}{2}$$

ترتيب العينة	العبارات					درجات العبارات السلبية	درجات العبارات الإيجابية
	١	٢	٣	٤	٥		
١	١	٠	١	١	٠	٣	١
٢	١	١	١	١	٠	٢	٢
٣	١	١	٠	١	١	٣	٢
٤	١	١	٠	١	١	٣	٣
٥	١	١	١	٠	١	٢	٣
٦	١	١	١	٠	١	٢	١
٧	١	١	١	٠	١	٣	١
٨	١	١	١	٠	١	٣	٢
٩	١	١	١	٠	١	٣	٢
١٠	١	١	١	٠	١	٣	٣

وبحساب معامل ارتباط سبيرمان يكون معامل ثبات المقياس كالتالي :

$$\frac{n^2}{n+1} = 11^2$$

$$.82 = \frac{1.38}{1.69} = \frac{.96 \times 2}{.69 + 1}$$

وهذا يعنى أن معامل ثبات المقياس ٨٢ وهي نسبة لابأس بها .

٩- قامت الباحثة بصياغة المقياس في شكله النهائي ووضع الأوزان على اعتبار أربعة أوزان أساسية للتوكل وهي :-

موافق تماماً ، موافق ، موافق إلى حد ما ، غير موافق
طريقة تصحيح المقياس :

١- يتم تصحيح المقياس بناء على المستويات الأربعة الآتية :

موافق تماماً	٣ ثلاث درجات
موافق	٢ درجتان
موافق إلى حد ما	١ درجة واحدة
غير موافق	صفر

العبارات السلبية في المقياس هي :

٤ ، ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٦٨ ، ٦٩ .

يتكون المقياس من ٧٥ عبارة ، تعبر عن التوكل على الله لدى الفرد المسلم والمستمدة من الأسس والتواعد الإسلامية في الكتاب والسنة .

وتشتمل الدرجة الكلية للمقياس على عدد للعبارات x الدرجة الكبرى العبارة الواحدة .

$$225 = 3 \times 75 =$$

درجة التوكل

الدرجة الكلية =

٧٥

ويمكن حساب الدرجة الكلية كما يلي :

وفيما يلي مقياس التوكل على الله في صورته النهائية .

العبارات	موافق تماماً	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق
١- الله وحده مالك الضرر والنفع وكل ما علينا العمل .				
٢- كل ما يواجهني من أمور مقدره ومكتوبة ولا أستطيع التغير فيها ولكني مطالب بالعمل .				
٣- إذا فاقَت المشكلة قدراتي سلمت أمري إلى الله .				
٤- أدعوا الله كثيراً عندما تواجهني مشكلة. أو صعوبة أكثر من أي وقت آخر				
٥- إذا لم أسع إلى رزقي سيموت أولادي جوعاً.				
٦- أقدم على أمر فيه مشقة خشية الفشل .				
٧- كل ما أحققه من نجاح في حياتي بفضل مجهودي وعلمي .				
٨- أرى أن من يلجأون للدعاء لحل مشاكلهم أشخاص سليون .				
٩- الله هو المقدر وعلى الإنسان أن يعمل للدفع ما يواجهه من صعوبات .				
١٠- أدعوا الله دائماً في السراء والضراء				
١١- أسعى جاهداً للبحث عن حل للمشكلة التي أعاني منها وأترك أمري إلى الله .				
١٢- أبحث دائماً عن مصدر أي مشكلة تواجهني وأعتمد على جهدي فقط في حلها.				
١٣- أشعر بالضيق الشديد عندما تواجهني مشكلة لا أستطيع حلها .				
١٤- أعاني من الخوف المستمر من المستقبل.				
١٥- أعاني من الخوف المستمر عندما تواجهني مشكلة .				
١٦- أقلق دائماً أمام ما يواجهني في حياتي من عقبات .				
١٧- يصيبني التوتر أمام أي صعوبة تواجهني حتى				

				لو كانت بسيطة .
				١٨- أهتم دائماً بتحقيق كل ما أرغب فيه اعتماداً على نفسي .
				١٩- أشعر بحيرة في تدبير أمورى عندما تواجهني مشكلة .
				٢٠- أستعين بالله دائماً في كل المواقف التي تواجهني .
				٢١- لا أشعر بضيق عندما تواجهني مشكلة أو موقف صعب وأنظر فيما يجب فعله .
				٢٢- عندما يواجهني موقف صعب أو مشكلة أثق في قدرة الله على حلها .
				٢٣- من يكثر الدعاء إلى الله لحل مشاكلهم أشخاص سليون .
				٢٤- عندما تواجهني مشكلة أسعى إلى حلها دون توتر أو توجس .
				٢٥- لا أشعر باليأس عند مواجهة موقف صعب أو مشكلة وأبذل جهدي راضياً بما يقدره الله .
				٢٦- إذا واجهتني مشكلة أشعر باليأس وقلة الحيلة والضعف .
				٢٧- على الإنسان أن يترك نفسه للقدر ولا يفعل شيئاً .
				٢٨- الله يقدر كل الأمور ولكن الإنسان يسعى قدر طاقته .
				٢٩- أسعى لحل مشكلتي وأترك النتيجة على الله .
				٣٠- أنتهج أى وسيلة المهم حل مشكلتي .
				٣١- على الإنسان أن يصل إلى هدفه بأي وسيلة مهما كانت مشروعة أو غير مشروعة لحل مشكلته .
				٣٢- إذا وجدت نفسي عاجزاً عن مواجهة مشكلتي أسلم أمري إلى الله .
				٣٣- إذا واجهتني أى مشكلة أعتقد أن حلها

				<p>يكون في التضرع إلى الله والدعاء فقط.</p> <p>٣٤- أشعر أنني قادر على حل مشكلتي بجهدي وحده.</p> <p>٣٥- أربط نفسي دائماً بالآخرين لأنهم يساعدونني على حل مشاكلي .</p> <p>٣٦- عندما تواجهني مشكلة لا أشعر بالخوف والضييق بل أسعى إلى حلها بقدر وسعي وطاقتي.</p> <p>٣٧- أعتد على الآخرين دائماً في حل مشاكلي.</p> <p>٣٨- عندما تواجهني مشكلة أشاور فيها من هم أعرف وأقدر مني فقط .</p> <p>٣٩- أعتد على نفسي في مواجهة أمورى ولا أعتد على الغييات .</p> <p>٤٠- أسعى إلى حل المشكلة التي تواجهني وأنا متأكد من قدرتي في السعي على حلها بنفسى.</p> <p>٤١- أترك الأمر إلى الله وحده عندما تواجهني مشكلة ولا أسعى بنفسى لحلها.</p> <p>٤٢- الإنسان يجب أن يعتمد على نفسه فقط لحل مشاكله .</p> <p>٤٣- أعتد على حل مشكلتي وأنا معتقد تماماً في قدرتي وحدى على حلها.</p> <p>٤٤- إذا واجهت مشكلة أسلم أمري إلى الله وأسعى أيضاً لحلها قدر جهدي .</p> <p>٤٥- أتحمّل دائماً عبء مواجهة مشاكلي بمفردى.</p> <p>٤٦- أتردد دائماً في محاولة البدء لحل مشكلتي .</p> <p>٤٧- أبذل جهدي في حل مشكلتي وأترك النتيجة على الله .</p> <p>٤٨- أعلم أن الله مطلع على وعالم بمشاكلي .</p> <p>٤٩- عندما تواجهني مشكلة أنتظر فرج الله ولا أفعل شيئاً لحلها .</p>
--	--	--	--	--

			<p>٥٠- أشعر بالضيق وأقلق خوفاً من عدم القدرة على حل مشكلتي .</p> <p>٥١- لا أشعر بالخوف دائماً من فشل المحاولات المبذولة لحل مشكلتي .</p> <p>٥٢- أعاني من القلق والضيق تحسباً لعدم مقدرة الآخرين على مساعدتي في حل المشكلة .</p> <p>٥٣- أشعر بالطمأنينة والراحة عندما يئذل الآخرون المساعي لحل مشكلتي لقدرتهم على حلها .</p> <p>٥٤- أكرر محاولاتي وسعياً لحل المشكلة التي تواجهني .</p> <p>٥٥- أعمل على مساعدة نفسي لأن الله أمرنا بالعمل وعلينا أن ننفذ أوامره .</p> <p>٥٦- تتسببني حالات من التشاؤم في بعض الأوقات ونحو بعض الأمور .</p> <p>٥٧- المؤمن دائماً مصاب وعليه الصبر مادام ليس في قدرته عمل شيء .</p> <p>٥٨- إذا لم أنجح في حل مشكلتي أبدأ من جديد وأعلم أن الخير فيما اختاره الله .</p> <p>٥٩- ألتجأ إلى الله في كل المواقف الصعبة التي تمر بي .</p> <p>٦٠- أسعى لحل مشكلتي وأترك النتيجة عند الله دون تفكير .</p> <p>٦١- أسلك الوسائل المشروعة لحل مشكلتي وأرجو من الله التوفيق .</p> <p>٦٢- أشعر أن الله يقف بجاني دائماً في كل أموري .</p> <p>٦٣- أثق في قدرة الله دائماً على مساعدتي في اجتياز المتاعب التي تواجهني .</p> <p>٦٤- أوكل أموري كلها إلى الله لأنه كفيل بتدبيرها على أحسن وجه .</p> <p>٦٥- لا أشعر بالضيق إذا فشلت المحاولات المبذولة لحل مشكلتي وأبدأ من جديد .</p> <p>٦٦- الله لا يخيب رجاء من يعمل ويتوكل عليه .</p>
--	--	--	---

				٦٧- أتق بأن الله يختار دائماً الأفضل لي.
				٦٨- أشعر بالتشاؤم إذا فشلت المحاولات المبذولة لحل مشكلتي .
				٦٩- تتأبني حالات من التشاؤم في بعض الأوقات .
				٧٠- أتضرع إلى الله بالدعاء لنجاح المحاولات المبذولة لحل مشكلتي .
				٧١- أرضى بما يختاره الله لي من أمور خيرها وشرها.
				٧٢- إذا لم يمكن حل مشكلتي أسلم أمري إلى الله .
				٧٣- إذا لم يمكن حل مشكلتي أعرف أن الله قد اختار لي الخير .
				٧٤- إذا عزمت على أمر يتعلق بمشكلتي أسعى إلى تنقيته وأترك الباقي على الله .
				٧٥- الله يقدر لنا دائماً الخير وعلينا أن نشق دائماً في قلرة الله على مساعدتنا في كل الأمور .

المحور الثانى

من مجالات الخدمة الاجتماعية فى المنهج الإسلامى

- دور خدمة الفرد فى مجال الدعوة الإسلامية .تصور مقترح .
- التوجيه الإسلامى للشباب لمواجهة التطرف .
- الخدمة الاجتماعية مع المسنين بنظرة إسلامية .
- سياسات الرعاية الاجتماعية للمسنين بين الفكر الوضعى والتصور الإسلامى .
- دور الأخصائى الاجتماعى مع المرضى المشرفين على الموت مقارنة .
- تعاطى للمسكرات كمشكلة اجتماعية - الوقاية والعلاج - من منظور إسلامى .
- الخدمة الاجتماعية الإسلامية فى القوات المسلحة .

دور خدمة الفرد فى مجال الدعوة الإسلامية

تصور مقترح

د. عادل محمد موسى جواهر

مشكلة الدراسة :

لقد أبدى المتخصصون فى الخدمة الاجتماعية فى الدول الإسلامية فى العقود الأخيرة اهتماماً متزايداً بقضية المراجعة النقدية المتعمقة للافتراضات الأساسية التى تبنى عليها المهنة وللمبادئ التى تستند إليها بغرض إحداث التغييرات اللازمة فى ممارستها العملية لكى تصبح أكثر استجابة لحاجات المجتمعات التى تتم فيها الممارسة .

ولقد شاء الله ببالغ حكمته أن تصل تلك المراجعات المتعمقة فى السنوات الأخيرة إلى غاياتها ، إذ تتم فى ضوء ما تشهده المجتمعات الإسلامية اليوم من عودة للرعى واليقظة الإسلامية المباركة حيث نشأ عن هذا اتجاه جهود المتخصصين فى الخدمة الاجتماعية بشكل جاد إلى استلهم الأطر النظرية والممارسات التطبيقية لهذه المهنة من منظور الإسلام ، وتصوره المحدد للإنسان والكون والمجتمع دون تفريط فيما صح من الأطر والممارسات الحديثة التى لا تتنافى مع التصور الإسلامى ، وذلك فيما أصبح يعرف اليوم بالتأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية أو التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية أو الخدمة الاجتماعية من وجهة إسلامية^(١) .

وتستمد مهنة الخدمة الاجتماعية وجودها واستمرارها فى أى مجتمع من تبنيتها للقضايا والمشكلات الاجتماعية التى تهتم المجتمع ، ولم تعد أدوار الخدمة الاجتماعية قاصرة على المجالات التقليدية على الرغم من أهميتها كمرعاة الأحداث والمعوقين والمسنين بل بدأت تهتم هذه المهنة بمجالات السياسة وحماية البيئة والاقتصاد والدين ، وإن غياب المهنة عن فهم العوامل والتعامل معها سيؤثر بشكل واضح على دور المهنة فى المجتمع .

ولقد شكل الدين أحد الدعامات الرئيسية التى قامت عليها مهنة الخدمة الاجتماعية فى الخارج ، وما زال يؤثر ويتأثر بممارسة الخدمة الاجتماعية هناك ، وسيتمدد فى المستقبل

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم الذى تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة فى الفترة من ١٥-٢٠ شوال

١٤١٢ هـ الموافق ١٨-٢٣ إبريل ١٩٩٢ م - ص ١ .

بشكل أكثر وضوحاً على الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية ، ولذلك فليس غريباً علينا أن تهتم الخدمة الاجتماعية بالدين الإسلامى ، وتعمل على الاستفادة منه وإفادة المجتمع الإسلامى بما يمكن أن تقدمه مساهمتها منها فى حل مشكلاته وإشباع احتياجاته .

والدعوة إلى الإسلام مسئولية كل مسلم ، كما أنها مسئولية كل المهنيين بصفة خاصة نظراً للدور المنوط بهم وللمكانة الاجتماعية التى يحظون بها على اختلاف مستوياتهم^(١) . فالدعوة واجبة على الأفراد ، كما أنها واجبة على الأمة جمعاء ، كما أن هناك وجوباً آخر للدعوة وهو الوجوب التعليمى ، وهذا الوجوب على "الفرقة" وهى الجماعة من الناس يكونون فى بلدة واحدة أو قرية واحدة ، حيث عليهم أن يندبوا من بينهم من ينفر ليتعلم العلم الذى تقوم به الدعوة إلى الله ، ويعرف به الحق من الباطل ويدعو به إلى الله على بصيرة ، ثم تعود هذه الطائفة إلى الفرقة لتعلمها وتنذر بها وتحذر بها وتدعوها إلى الله تعالى وتعلمها الحلال والحرام^(٢) .

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾^(٣) ولا يقتصر ذلك على العلم الشرعى، بل ينطبق على كل العلوم التى تحتاجها الأمة لحفظ أمنها وحفظ اقتصادها وصناعاتها وكل أنواع العلوم التى تحتاجها ، كما أن الدعوة أصبحت لها فروع وتخصصات ومجالات وطرق ووسائل عديدة وشاملة^(٤) . ومهنة الخدمة الاجتماعية إحدى المهن العاملة فى المجتمع الإسلامى ، والتى يمكن أن تكون لها مساهماتها الإيجابية فى مجال الدعوة الإسلامية على اعتبار أن الدعوة الإسلامية تعتبر مسئولية كل المهن والعلوم فى المجتمع الإسلامى ، والتى من بينها مهنة الخدمة الاجتماعية^(٥) وخدمة الفرد كطريقة من طرق مهنة الخدمة الاجتماعية يمكن أن يكون لها مساهماتها الإيجابية فى مجال الدعوة الإسلامية باعتبارها أحد الطرق العاملة مع الإنسان والتى ستوضح من خلال استعراض مكونات هذه الدراسة .

(١) محمد أحمد عبد الهادى : الخدمة الاجتماعية فى مجال الدعوة الإسلامية ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، فى الفترة من ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ م - ص ٣ .

(٢) محمد زين لفادى العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ - ص ٦ .

(٣) سورة التوبة : آية ١٢٢ .

(٤) محمد زين لفادى العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ - ص ٧ .

(٥) محمد أحمد عبد الهادى : الخدمة الاجتماعية فى مجال الدعوة الإسلامية ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، فى الفترة من ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ م - ص ٣ .

القضايا التي يثيرها موضوع الدراسة :

يمكن بلورة الدراسة من خلال القضايا التالية :

١- قد يتساءل البعض إذا كان عمل الخدمة الاجتماعية وخدمة الفرد كأحد طرقها هو مع المشكلات الفردية والاجتماعية والانحرافية فما علاقة ذلك بالدعوة إلى الله في مقابل أن علاج المشكلات الفردية والاجتماعية والانحرافية من منظور إسلامي هو بمثابة إصلاح توجه الفرد إلى الله ، كما أن تقديم الخدمات المباشرة من شأنه أن يساعد في أمر الدعوة الإسلامية (بمعنى أنه من الأمور المعاونة في أمر الدعوة) .

٢- يرى البعض أن مجال عمل مهنة الخدمة الاجتماعية ، وخدمة الفرد كأحد طرقها هو المساعدة في علاج المشكلات الاجتماعية والفردية أو العمل على المستوى الوقائي أو التثقيف ، وليس العمل في مجال الدعوة الإسلامية حيث أن شأن العمل في مجال الدعوة الإسلامية يجب أن ينحصر في المتخصصين في العلم الشرعي .

٣- هل هناك التقاء بين طريقة خدمة الفرد من منظور إسلامي والدعوة الإسلامية ؟ أم أن كلا منهما يختلف عن الآخر اختلافاً يجعلهما لا يلتقيان من قريب أو بعيد في بعض الجوانب ؟ .

٤- هل الخدمة الاجتماعية كمهنة وخدمة الفرد كأحد طرقها تمارس دوراً أساسياً في مجال الدعوة الإسلامية أم تمارس دوراً معاوناً في هذا المجال ؟

٥- هل الدعوة الإسلامية موجهة للمسلمين فقط ولماذا ؟ أم لغير المسلمين ولماذا ؟ أم لكل من المسلم وغير المسلم ؟ ، وهل الأساليب المستخدمة في الدعوة الإسلامية تختلف باختلاف العمل مع الشخص من حيث كونه مسلماً أو غير مسلم ؟

٦- قضية مدى توفر النماذج النظرية ونماذج التدخل في الخدمة الاجتماعية بصفة عامة وخدمة الفرد بصفة خاصة من منظور إسلامي ، في مقابل توفر بعض هذه النماذج (كنموذج العمل مع الوحدات الصغيرة) وتصورات علم النفس للإنسان من منظور إسلامي والشخصية المسلمة والعلاج من منظور إسلامي .

٧- العمل من خلال مؤسسات تقليدية في مقابل عدم تقليدية المؤسسة ، بمعنى أن الخدمة الاجتماعية وطرقها والتي من بينها طريقة خدمة الفرد توصف بأنها مؤسسية ، وفي هذه الحالة هل ستمارس الدعوة من خلال المؤسسات التقليدية وهي غير مهيأة لذلك أم ستمارس من خلال مؤسسات متخصصة في الدعوة ومعدة لذلك الغرض ؟

٨- هل يتطلب ذلك الإبقاء على مجالات عمل الخدمة الاجتماعية التقليدية كالمجال الطبي والأحداث والمسنين والتعليمي ؟ أم يتطلب الأمر تدعيمها بما يتناسب مع أهداف الدعوة الإسلامية واستحداث مجالات عمل جديدة تتناسب مع مجال الدعوة الإسلامية فالإغاثة الإسلامية والعمل مع الأيتام والعمل مع الدول الجهادية والعمل مع مشكلات الانحراف والجريمة والجهاد في سبيل الله ومكاتب الجاليات والدعوة والإرشاد ؟

٩- النظر في إعداد الأخصائي الاجتماعي العامل في مجال الدعوة الإسلامية في مقابل الإبقاء على الشكل التقليدي للإعداد المهني للأخصائي الاجتماعي ، بمعنى هل يتطلب الأمر إعداداً مهنياً للأخصائي الاجتماعي يتناسب مع العمل في مجال الدعوة الإسلامية ومتطلباتها ومجالاتها أم يمكن الاكتفاء بالشكل الحالي للإعداد المهني للأخصائي الاجتماعي ؟

١٠- هل سيتم الاعتماد على الأساليب التقليدية لخدمة الفرد للعمل في مجال الدعوة الإسلامية في مقابل الخروج عن هذا الإطار التقليدي إلى أساليب أخرى تتناسب مع أمر الدعوة ؟

وتأسيساً على ما تقدم يمكن تحديد مشتملات الدراسة فيما يلي :

أولاً : مفهوم الدعوة الإسلامية :

المفهوم المحوري في هذه الدراسة هو "مفهوم الدعوة الإسلامية" وعند تحديد هذا المفهوم ، نجد أن هناك تعريفات عديدة له ، فالبعض ينظر إليه من الناحية اللغوية ، والبعض من منظور فردي ، وينظر إليه البعض بالمعنى العام كما ينظر إليه البعض بمعنى الوجوب ، أو باعتباره عملية حث على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو ينظر له على أنه تبليغ الناس بالإسلام ، والبعض ينظر له على أنه القيام بتبليغ دين الله جل وعلا . فمن الناحية اللغوية تعني الدعوة "الطلب والسؤال" إذ أن الدعاء يتضمن الميل إلى الشيء والترغيب فيه ، ودعوة الله تعني أدعو دعاء أى ابتهلت بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير ودعاء الخلق إلى التوحيد^(١).

كما ينظر البعض للمفهوم من منظور فردي على أنه "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وهو واجب على كل فرد مسلم .

وهذا النوع من الدعوة لا بد لكل مسلم أن يباشره بنفسه ولا يحمله عنه غيره . ذلك لأن كل إنسان قد يعرف منكراً لا يطلع عليه غيره يلزمه النهي عنه ولا تبرأ ذمته إلا بذلك ، كما قد يعرف من المعروف مالا يعرفه غيره فيتأكد في حقه إبلاغه والقيام به^(٢) .

(١) أحمد محمد علي المغربي القيومي : للصباح للنشر ، القاهرة ، مطبعة الحلبي غير ميين سنة النشر ، - ص ٨٨ .

(٢) محمد زين الهادي العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ٦ .

أما الدعوة بمعناها العام ، فهي واجبة على الأمة وجوب كفاية في جملتها ، إن قام بها نفر منهم سقط وجوبها عن جملة الأمة ، وإن لم يقم بها أحد أثم الجميع .
وهناك وجوب آخر للدعوة ، وهو الوجوب التعليمي للدعوة والذي سبق الإشارة إليه عند الحديث عن مشكلة الدراسة .

وتعرف الدعوة الإسلامية أيضاً بأنها معالجة توصيل الدعوة الإسلامية إلى الناس بالضرورة والتي تتناسب وعصرنا الذي نعيشه ، حيث يلزم كل مسلم يعيش عصره بما هو مطلوب ومناسب له ، في ضوء القواعد الشرعية وهو يستظل تحت ظلها الوارف الذي لا ينحسر^(١) .

وهناك من يرى أن الدعوة الإسلامية "فريضة عين" يصبح المتخلفون عنها آثمين شرعاً ، ولا يرفع الإثم عنهم إلا نهوضهم بتبعات الدعوة إلى الإسلام وإسهامهم الفعلي في حدود طاقاتهم وإمكانياتهم بتهيئة كل الأسباب والوسائل لإقامة دولة الإسلام ، وحجتهم في ذلك أن "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" .

وعلى ذلك فإن دعوة الناس إلى الإسلام وإقناعهم به وتهيئتهم للنزول عند أصوله وأحكامه من الوسائل التي يتحقق بها إقامة المجتمع الإسلامي ، وإذا كان تحقق المجتمع المسلم واجباً بذاته فتصبح كل وسيلة لإقامته وإيجاده واجباً^(٢) . كما تعنى الدعوة الإسلامية "دعوة غير المسلمين لاعتناق الإسلام ، وتصحيح المفاهيم والتصورات الخاطئة عن الإسلام لدى بعض المسلمين وإبراز المفاهيم الصحيحة للإسلام"^(٣) .

ثانياً : أوجه الالتقاء بين أهداف الدعوة الإسلامية وأهداف خدمة الفرد من منظور إسلامي :

١ - أهداف الدعوة الإسلامية :

تهدف الدعوة الإسلامية إلى تحقيق الأهداف التالية :

١ - هدف الدعوة الإسلامية الأول هو :

علاج الخلل الإنساني الذي طمس الفطرة وتقويم السلوك الإنساني الذي انحرف عن الطريق المستقيم ومداواة العلل الإنسانية ، وكان هذا الهدف هو جهد الأنبياء الأول^(٤) .

(١) محمد زين الهادي العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ - ص ١٥ - ١٦

(٢) فتحى يكن : كيف ندعو إلى الإسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٩٧٧ م - ١٣٧٩ هـ ، - ص ١٥ .

(٣) المملكة العربية السعودية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، نشرات مكتب الدعوة والإرشاد بالشفا (قسم الجاليات) ، ١٩٩٣ .

(٤) توفيق يوسف الراعي : النساء الداعيات ، المنصورة ، دار الرفاء للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م - ص ٢٦ .

فيقول الله سبحانه وتعالى ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (١) .

وقد أرسل الله - سبحانه وتعالى - الرسل والكتب السماوية ، ومن هذه الكتب التوراة والإنجيل والزبور والقرآن لتحقيق هذا الهدف لما شاع فى الأمم من الظلم وبخس الكيل والميزان وأكل أموال الناس بالباطل والإسراف فى الشهوات والابتعاد عن الصراط المستقيم (٢) وهذا الهدف يتحدد فى مسارين هما:

(أ) الدعوة إلى التوحيد وإقرار معنى الألوهية وحقيقة الربوبية فى الناس وترجمة ذلك حقيقة فى حس المؤمن وكيانه فيشعر أن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت بيده الملك والأمر ، لا إله إلا هو ، فينبذ الأنداد ويترك الخرافة (٣) . يقول الله سبحانه وتعالى ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لى إلا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقنى وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾ (٤) .

(ب) الدعوة إلى التكليف الشرعية وأخذ الناس بها لمداواة عللهم ، وهى مرحلة تفرض فيها الفرائض وتقنن فيها الشرائع ويكلف الناس بها ويدينون لها .

قال تعالى : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ (٥) .

٢- ربط الإنسان بفكرة الثواب والعقاب :

تهدف الدعوة الإسلامية إلى ربط الإنسان بفكرة الثواب والعقاب أى الجنة والنار وأوضح القرآن الكريم أن من أهداف الدعوة الإسلامية إخراج الإنسان من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى الوحدةانية (٦) .

(١) سورة البقرة : آية ٣٨ .

(٢) توفيق يوسف الراعى : النساء الداعيات ، المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١١ هـ .

(٣) توفيق يوسف الراعى : النساء الداعيات ، المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١١٤١ هـ - ١٩٩٠ م ص ٢٨ .

(٤) سورة الشعراء : آية ٦٩ - ٨٢ .

(٥) سورة المائدة : آية ٤٥ .

(٦) محمد سعيد للولوى : المربى عمده ، الزينة النبوية ، شملها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروة للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م - ص ٦٩ .

قال تعالى ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ (١)

وسعى الرسول -ﷺ- إلى إخراج الناس من حر جهنم إلى نعيم الجنة ، وكان يطلب منهم أن يرحموا أنفسهم من النار وبين لهم أن اتباع كتاب الله وهدى نبيه سبيل إلى الخلاص من نار جهنم بنعيم الآخرة (٢) .

٣- الرجوع للفطرة :

يقرر الرسول عليه الصلاة والسلام فكرة الفطرة وأصالتها في النفس الإنسانية وأنها أصل الخلقة ، فالإنسان صاف تقي مبرأ من الذنوب والخطايا خال من التهم ، فلا تلاحقه عقد النقص التي تعتريه في بعض العقائد وتجعله قد هبط إلى الأرض يحمل ذنب آدم وخطيئته، وإن كان آدم قد أخطأ فما ذنب أبنائه أن يتحملوا تبعته ، ولكن الله العادل قد تاب على آدم وسامحه قال تعالى : ﴿فلتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ (٣) .

ووهب الله الإنسان عقلاً وجسماً حوى غرائز وميول ونوازع فطرية وجعله كائناً إنسانياً ليس ملكاً ولا شيطاناً ثم حاسبه على ما هو عليه فلم يطالبه بأكثر مما يستطيع . يقول سبحانه وتعالى : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ (٤) .

وعلى الإنسان أن يستخدم ميوله وغرائزه ونوازعه الفطرية في اتجاه الخير ، والدين الإسلامي الحنيف قد استغل هذه النوازع لمصلحة الإنسان ومصلحة الإنسانية ، وبذلك يحث الإنسان أهدافه الإنسانية ويوازن بينهما ليصبحاً أمراً واحداً في النهاية والأمثلة في الرجوع للفطرة كثيرة ومتعددة فهي تشمل جميع مناشط الحياة (٥) .

(١) سورة إبراهيم : آية ١ .

(٢) محمد سعيد المولوى : المربى محمد ، التزية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م - ص ٧٠ .

(٣) سورة البقرة : آية ٣٧ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٨٦ .

(٥) محمد سعيد المولوى : المربى محمد ، التزية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ٧٤-٧٩ .

٤- تحرير العقول :

تهدف الدعوة الإسلامية إلى تحرير العقول من القيود الزائفة التي كانت تسيطر عليها، وسارت في هذا بالطرق السلبية مرة وبالطرق الإيجابية مرة أخرى ، فحاولت هدم التصورات الباطلة التي تصورها العرب في سالف أيامهم ، ثم هلفت بعد الهدم إلى بناء تصورات صحيحة تستقيم مع القواعد الأساسية للعقل السليم ، فلقد كان الجاهليون ينظرون إلى موروثاتهم العقلية المألوفة والعرف المتفق عليه نظرتهم إلى العادات التي ترتبط بها مصالح العيش ومصالح السيادة والجاه ، ولم يكونوا يطبقون انتقاد هذه الموروثات المألوفة ولذلك كان هناك تعصب أعمى لتراث الآباء والأجداد مما كان معوقاً لانبعاثات العقل والفكر وعلموا لكل تحديد وإصلاح ، وبالتالي كان هدف الدعوة هو هدم ذلك الصرح لتبني صرحاً جديداً عن طريق الحجج والمحاکمات العقلية وضرب الأمثال .

٥- تحرير النفوس :

تهدف الدعوة الإسلامية إلى تحرير النفوس وذلك بتحتليم الطواغيت والأرباب الذين اعتقد الناس بسيطرتهم ونفعهم وضرهم ، ودعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى عبادة الله الواحد الأحد الإله الصمد ، وبين أنه ليس لأحد من سلطان على الإنسان إلا الله وما من أحد يحياه أو يميتة إلا الله ، وما من أحد يملك له ضرراً ولا نفعاً وما من أحد يرزقه إلا الله ، والله وحده هو الذي يستطيع والكل سواه عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً^(١) .

٦- تحرير الأخلاق :

بعث الرسول - ﷺ - والأخلاق بين العرب فيها ما هو على ما تركه الأنبياء ومنها ما تطرقت إليه يد الفساد والتحويل والتغيير ، فهدف الرسول عليه الصلاة والسلام إلى إصلاح ما فسد وإلى إبقاء ما وجد صحيحاً وإلى إتمام ما نقص ، فقال الرسول - ﷺ - «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» .

فقد كانت لدى العرب أخلاق عديدة صحيحة كالصدق والوفاء والشجاعة ، إلا أن بعضها كان فاقداً للمثل الأعلى ، فجاء الرسول عليه الصلاة والسلام وأبقى على هذه الأخلاق وجعل لها مثلاً أعلى وربطها بالنية والغاية والنتيجة والعاقبة ، وهناك نوع آخر من الأخلاق خرج عن معناه وترك غايته الأصلية فجاء الرسول عليه الصلاة والسلام وأصلح ما اعوج من هذه الأخلاق وهذا من أهداف الدعوة الإسلامية^(٢) .

(١) محمد سعيد المنلوي : للرأي محمد ، التزية النبوية ، شملها ، أهلفها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ٧٩-٨١ .

(٢) محمد سعيد المنلوي : للرأي محمد ، التزية النبوية ، شملها ، أهلفها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ٨٦ .

٧- تحرير الجسد :

الأصل في الدعوة الإسلامية أن يكون الجسد قوياً ، لأن الإسلام دين يعلم أن الحق لا ترسخ أركانه إلا إذا كانت هناك قوة تحميه ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (١) .

إن الجسد حين يكون قوياً يكون أقدر على تحمل المشاق ، وبالتالي يتحقق فيه تحرره من العبودية للشهوات والمذلة ، فتحرير الجسد من لبنات بناء الإنسان الكامل المتحرر عقلاً ونفساً ووجداناً وهدف من أهداف الدعوة الإسلامية (٢) .

٨- التعليم والتربية :

تهدف الدعوة الإسلامية إلى التعليم والتربية قال الله تعالى : ﴿رَبِّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣) .

٩- أهداف أخرى للدعوة :

لقد حض الرسول عليه الصلاة والسلام الأبناء على البر بالوالدين والإحسان إليهم وحسن صحبتهم مبتدئاً بالأم ، كما أوصى الآباء والأمهات بحسن رعايتهم لأولادهم وتربيتهم تربية كاملة حسنة وجعل ذلك مسئولية أمام الله عز وجل .

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : جاء رجل إلى رسول الله - ﷺ - فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال "أمك" قال ثم من ؟ قال "أمك" قال ثم من ؟ قال "أمك" قال ثم من ؟ قال "أبوك" (٤) .

وصلة الأرحام والإحسان إلى الجار ومساعدة الآخرين في الكرب وحب الخير لكل إنسان والابتعاد عن ظلم الآخرين وأداء الحقوق والواجبات والعدل ، وبالتالي يأمن الناس على أنفسهم وبالتالي تشمل الدعوة المجتمع الإسلامي كله ويصبح كالجسد الواحد (٥) .

(١) سورة الأنفال : آية ٦٠ .

(٢) محمد سعيد الملولوى : المربي محمد ، التربية النبوية ، شملها ، أهلها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ٨٦ - ٨٨ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٢٩ .

(٤) "متفق عليه" .

(٥) محمد سعيد الملولوى : المربي محمد ، التربية النبوية ، شملها ، أهلها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ٩١ - ٩٦ .

٢- أهداف خدمة الفرد من منظور إسلامي :

تنظر خدمة الفرد من منظور إسلامي إلى الإنسان باعتباره وحدة تتكون من "جسد وروح".

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فِإِذَا سُوِّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١) وفي المنظور التقليدي يعتبر البعد الروحي غائباً ، ويتسم بمحدودية نظره واقتصراره على الأهداف المادية وقطع الصلة بين الإنسان وخالقه واستبعاده الحياة الأخرى ، والاعتقاد في أن الإنسان تموت نفسه وروحه بمعنى أنه لا حياة للنفس بعد موت الجسد.

أما النظرة الإسلامية تغاير تماماً المنظور التقليدي في رؤيته للإنسان والغاية من خلقه ، فرؤية المنظور الإسلامي للإنسان باعتباره جسداً وروحاً وأن الغاية من خلقه هي عبادة الله سبحانه وتعالى^(٢).

وهناك من يحدد وظيفة الإنسان من المنظور الإسلامي في :

١ - عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى : ﴿وَاسْتَعْمِرْكُمْ فِيهَا﴾^(٣).

وذلك لتحصيل ما به صلاح المعاش لنفسه وغيره .

٢ - عبادة الله سبحانه وتعالى ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤).

٣ - الاستخلاف في الأرض ، يقول تعالى : ﴿وَيَسْتَخْلَفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(٥).

وعلى ذلك يكون الهدف من وجود الإنسان هو الاستخلاف في الأرض وعبادة الله سبحانه وتعالى ، والاستخلاف في الأرض يقتضي السعي وإشباع الحاجات في الإطار الإسلامي الذي يبيحه الله سبحانه وتعالى والبعد عما يحرمه^(٦).

(١) سورة ص : الآية ٧١ ، ٧٢ .

(٢) عقاف الدباغ : المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ م - ص ٢٢ .

(٣) سورة هود : آية ٦١ .

(٤) سورة الناريات : آية ٥٦ .

(٥) سورة الأعراف : آية ١٢٩ .

(٦) عقاف الدباغ : المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ م - ص ٢٤ .

وعلى ذلك تتحدد أهداف خدمة الفرد من المنظور الإسلامي في مساعدة الفرد على التخلص من عوامل انحرافه ومعصية للخالق . مع مساعدة كل محتاج وغير قادر^(١) .

ومن هنا تتحقق عبودية الإنسان لخالقه (الجانب الروحي) ، وإشباع حاجاته المادية (الجانب المادي) مع إشباع هذه الحاجات المادية في الإطار الإسلامي .

ويتحقق ذلك من خلال تهذيب النفس وإصلاحها ، ونشر الفضائل بين الناس ومساعدتهم على التحلي بالأخلاق الحميدة والتمسك بالقيم الإسلامية والعمل وفق ما تأمر به الشريعة الإسلامية^(٢) .

ثالثاً : مدى توفر عناصر خدمة الفرد من منظور إسلامي في عملية الدعوة الإسلامية :

يحاول الباحث في هذا البحث أن يتعرف على متطلبات الدعوة الإسلامية ، ثم يحاول التعرف على ما إذا كانت هذه المتطلبات متوفرة في خدمة الفرد من منظور إسلامي أم لا ؟

وفي محاولة للتحقق من ذلك سوف يعرض الباحث لمتطلبات الدعوة الإسلامية ، ثم يحاول التحقق عما إذا كانت هذه المتطلبات متضمنة في خدمة الفرد الإسلامية أم لا ؟

أ - متطلبات الدعوة الإسلامية :

تطلب الدعوة الإسلامية مجموعة من العناصر والأركان عرضها على النحو التالي :

١ - "رجال" نذروا أنفسهم لتبليغ حقيقة الدين كما علموها^(٣) طاعة لقول الرسول - ﷺ : "بلغوا عني ولو آية"^(٤) .

وهؤلاء الرجال قد يكونون من أهل العلم المتخصصين أو من الشخصيات العاملة في مجال الدعوة والذين يدعون إلى الله على بصيرة .

(١) عبد المنعم السهوري : نحو مفهوم لخدمة الفرد من المنظور الإسلامي ، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة القاهرة (فرع الفيوم) في الفترة من ٢١ - ٢٣ مارس ، ١٩٩٠ م ، ص ٩ .

(٢) عبد المنعم السهوري : نحو مفهوم لخدمة الفرد من المنظور الإسلامي ، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة القاهرة (فرع الفيوم) في الفترة من ٢١ - ٢٣ مارس ، ١٩٩٠ م ، ص ١٠ ، ١١ .

(٣) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٧٧ .

(٤) "رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، عن المعجم للفهرس لألفاظ الحديث النبوي" .

٢ - كما تتطلب الدعوة "مكاناً" وهذا المكان قد يكون المسجد أو التجمعات العامة والأندية والجمعيات والجامعات والمدارس وكل الهيئات التي يتعين على أهل الفكر المساهمة في توجيهها وتنقيف منسوبيها بالثقافة الإسلامية التي تأخذ بنواصيهم إلى الخير وتجنبهم الفواحش والمنكر^(١) .

٣ - "المدعون" وهؤلاء قد يكونون من المسلمين أو من غير المسلمين .

٤ - "الرسالة الدعوية" وتتضمن هذه الرسالة الدعوة إلى التوحيد ، والدعوة إلى التكليف الشرعية وربط الإنسان بفكرة الثواب والعقاب والرجوع للفطرة وتحرير العقول والنفوس والأخلاق والجسد وغيرها من الأمور الدعوية^(٢) .

وبعد استعراض متطلبات الدعوة الإسلامية سوف يعرض الباحث لعناصر خدمة الفرد من المنظور الإسلامي ، ثم يحاول التعرف على ما إذا كانت هذه العناصر يمكن تضمينها في عملية الدعوة الإسلامية أم لا ؟

ب - عناصر خدمة الفرد من منظور إسلامي :

يتبادر إلى ذهن تساؤل مؤداه ، هل عناصر خدمة الفرد يمكن تضمينها في عملية الدعوة الإسلامية ؟

للإجابة عن هذا التساؤل يجب أن أحدد عناصر خدمة الفرد من المنظور التقليدي ، ثم أحاول الإجابة عن تساؤل آخر هو : هل تختلف عناصر خدمة الفرد في المنظور التقليدي عنها في المنظور الإسلامي ؟

تحدد عناصر خدمة الفرد في المنظور التقليدي في خمس عناصر هي العميل ، المشكلة المؤسسة ، الأنصائي الاجتماعي ، عملية المساعدة^(٣) .

وللإجابة عن التساؤل الذي مؤداه : هل تختلف عناصر خدمة الفرد في المنظور التقليدي عنها في المنظور الإسلامي ؟ ، فهذه العناصر لا تختلف في كلا المنظورين من حيث الشكل أو من ناحية مسمياتها ، أما من حيث المضمون فهي تختلف اختلافاً حقيقياً كما يلي:

(١) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ١٤٠٢ هـ ، ص ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) محمد سعيد المولدى : الربى محمد ، التربية النبوية ، شملها ، أهدافها طرائفها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة لنشر والوزيع ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ص ٦٩ - ٩٦ .

(٣) عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد في المجتمع النامي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ م ، ص ١٢٥ .

١ - العميل :

العميل في المنظور التقليدي هو ذلك الشخص الذي أحاطت به المشكلة ، ليجد نفسه عاجزاً عن مواجهتها بالرغم من القدرات الكامنة فيه وفي بيئته ، وهذا العجز الذي وصل إليه والذي أفقده القدرة على أن يستغل طاقاته الذاتية وبيئته المحيطة هو الذي دفعه لأن يلجأ إلى إحدى المؤسسات الاجتماعية لكي تعينه على الوصول للهدف الذي يريد تحقيقه^(١).

أما عن العميل من المنظور الإسلامي فهو الشخص الذي تواجهه مشكلة بسبب ضعف في الوازع الديني وانخساره لديه ، أو الشخص الذي ابتعد عن الله سبحانه وتعالى وعن تعاليمه ، وبالتالي عند تعرضه لأي متاعب نفسية أو عقبات ، فإن هذه المتاعب والعقبات تؤثر عليه لأنه لا يتقبلها ولا يهونها على نفسه بل يضخمها فتزداد وتؤثر عليه سلباً ، بعكس الشخص المؤمن الذي يحس بالرضا في أي شيء وبالتالي تهون عليه المشاكل^(٢) . ويمكن تقسيم العملاء من المنظور الإسلامي إلى الأقسام التالية^(٣) :

١ - قسم أعرض عن عبادة الله والاستعانة به .

٢ - قسم يشهد بربوبية الحق وافتقارهم إليه ويستعينون به ولكن على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبه فيفعلون المعصية ظانين أنها طاعة .

٣ - قسم ينظر إلى جانب الأمر والنهي والطاعة شاهدين لألوهية الرب - سبحانه وتعالى - الذي أمروا أن يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة ، لأنهم يغلب عليهم الضعف والعجز ، لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه هي تقوي العبد وتيسر عليه الأمور .

ويري الباحث أنه يمكن تقسيم العملاء في مجال الدعوة الإسلامية إلى قسمين رئيسيين

هما :

(١) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خلمة الفرد) سلسلة كتب الخلمة الاجتماعية (٢) ط، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٥٤ .

(٢) عادل محمد جوهر : نموذج ديني مقترح في علاج مشكلة إدمان المخدرات من وجهة نظر الإسلام ، المؤتمر العربي الأول لمواجهة مشكلات الإدمان (الوقاية ، العلاج ، المتابعة) ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، مجلد الأبحاث ، ١٣ - ١٦ سبتمبر ، ١٩٨٨ م ، ص ٤٤٩ .

(٣) عفاف الدباغ : المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية ، المعهد العالمي لفكر الإسلام ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخلمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ م ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

- ١ - العملاء غير المسلمين : وهؤلاء يحتاجون إلى دعوتهم إلى الدخول في الإسلام .
 - ٢ - العملاء من المسلمين : وهؤلاء يمكن تقسيمهم إلى قسمين كما يلي :
(أ) مسلمون عصاة : أي يعرفون الحق ويعرضون عنه ، وهؤلاء يحتاجون إلى مساعدتهم للرجوع للحق .
 - (ب) مسلمون يجهلون أو لا يعرفون الأحكام الشرعية للإسلام ، وهؤلاء في حاجة إلى من يعرفهم الأحكام الشرعية للإسلام والتمسك بها .
- ٢ - المشكلة :

تعرف المشكلة في خدمة الفرد من المنظور التقليدي بأنها "موقف الفرد وتعجز فيه قدراته عن مواجهته بفاعلية مما يعوق أدائه لبعض وظائفه الاجتماعية^(١) .

أما عن المشكلة من المنظور الإسلامي فهي تحدث نتيجة لانحسار وضعف الوازع الديني لدى الأفراد مما يؤدي إلى القلق والتوتر فتحدث المشكلة ، أو قد ترجع إلى قلة الوعي الديني أو عدم الدراية بالأحكام الدينية التي تمنع من الوقوع في المشكلات^(٢) .

كما قد تحدث المشكلة من وجهة نظر المنظور الإسلامي للحالات التالية :

- ١ - الكفر والعياذ بالله .
 - ٢ - النفاق والعياذ بالله .
 - ٣ - القلب الذي له مدتان ، وهو القلب الذي يتمكن فيه الإيمان ولم يزهر فيه سراج ليدفع شبهات الباطل وشهوات الغي ، بل فيه مدة من الإيمان ، وهو يشهد لله بالوحدانية ولبيّه - ﷺ بالرسالة ، وفيه من خلافه وهي ظلمات الجهل وغيم الشبهات وهوى الشهوات الذي أطفأ مصباح بصيرته ، وهذا القلب وصف بالمرض لأنه قلب له حياة وبه عله ، وله مدتان يمد بهذه مرة وبهذه أخرى ، وهذا النوع من الحالات يسيطر عليها الشيطان ويتحدد دور الشيطان مع هذه الحالات فيما يلي :
- أ - التزيين والإغواء والاستهواء .
 - ب - الوعد والتسويل والتخويف .
 - ج - النزاع بين الناس وإيقاع العداوة بينهم والحزن .

(١) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (نخلة الفرد) سلسلة كتب الخلعة الاجتماعية (٢) ط

، الأسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٥٩ .

(٢) عادل محمد جوهر : نموذج ديني مقترح في علاج مشكلة إدمان المخدرات من وجهة نظر الإسلام ، المؤتمر العربي

الأول لمواجهة مشكلات إدمان (الوقاية ، العلاج ، المتابعة) ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، مجلد الأبحاث ،

١٣ - ١٦ سبتمبر ، ١٩٨٨ م - ص ٤٥٣ .

د - مس الإنسان بالنصب والعذاب .

هـ - إيقاع النسيان لذكر الله بالإنسان .

و - تعليم الناس السحر (١) .

ويرى الباحث أنه يمكن تحديد الحالات أو الموضوعات أو المواقف التي تسبب المشكلات في مجال الدعوة الإسلامية والتي ينبغي التركيز عليها في هذا المجال كما يلي :

١ - الكفر والعياذ بالله ، وهذه الحالة تحتاج إلى دعوة صاحبها إلى الإسلام والإيمان .

٢ - النفاق والعياذ بالله .

٣ - القلب الذي له مدتان .

ويقول الله سبحانه وتعالى في حق الكافر ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢) .

ويقول في حق المنافق : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ، يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ، فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٣) .

وفي حق القلب الذي له مدتان ، يقول الله سبحانه وتعالى في حقه : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٤) .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥) .

٣ - المؤسسة :

المؤسسة في المنظور التقليدي هي المكان الذي تمارس فيه خدمة الفرد ، وهي إحدى الموارد البيئية التي يلجأ إليها العميل أو يحول إليها من الهيئات المختلفة على أمل أن تخلصه من

(١) عفاف الدباغ : المنظور الإسلامي لتفسير المشكلات الفردية ، للعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى

نقوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ م ، ص ص ٢٠ - ٢٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ٦ ، ٧ .

(٣) سورة البقرة : آية ٨ - ١٠ .

(٤) سورة يوسف : آية ٥ .

(٥) سورة النساء : آية ٨٣ .

المشكلة التي يعاني منها ، وهي لابد أن تتوفر لها الإمكانيات اللازمة سواء كانت هذه الإمكانيات بشرية تتمثل في الأشخاص المهنيين المعدين إعداداً سليماً ، أو الإمكانيات المادية التي تتمثل في الميزانية والمكان نفسه وشروط المؤسسة وفلسفتها^(١) والمؤسسة من المنظور الإسلامي يجب أن تتطور لكي تتناسب مع هذا الشكل من الممارسة بحيث تركز على الطابع الإسلامي الذي يجب أن يهتم بالمحافظة على القيم وتنميتها واقتداء العملاء بسلوك العاملين بهذه المؤسسات وإمدادهم بالأخلاق الفاضلة^(٢) .

أما عن المؤسسة في مجال الدعوة الإسلامية فإن "المسجد" يعد مكاناً رئيسياً للدعوة فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾^(٣) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾^(٤) .

كما أن هناك مؤسسات أخرى للدعوة مثل السجن ، فقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾^(٥) .

كما أن الأندية الثقافية والرياضية من مؤسسات الدعوة ، وهذه ليست بدعة ، فقد كان الرسول - ﷺ - يغشى أندية قریش وغيرها داعياً إلى الله ومذكراً به عارضاً الإسلام في أحسن ما يمكن أن يعرض فيه من صورة ، بل وطالبا الحماية والجوار حتى يبلغ عن ربه^(٦) .

والسوق من أماكن الدعوة ، وقد مر الرسول - ﷺ - مرة بالسوق وأدخل يده في صرة الطعام فوجد فيه بللاً ، فقال ما هذا يا صاحب الطعام ، فقال : أصابته السماء يا رسول الله ، فقال أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غش فليس مني^(٧) .

(١) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خزمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية (٢) ط، الأسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٦٢ .

(٢) عادل محمد جوهر : نموذج ديني مقترح في علاج مشكلة إدمان المخدرات من وجهة نظر الإسلام ، المؤتمر العربي الأول لمواجهة مشكلات الإدمان (الوقاية ، العلاج ، المتابعة) ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، مجلد الأبحاث ، ١٣ - ١٦ سبتمبر ، ١٩٨٨ م ، ص ٤٤٧ .

(٣) سورة التوبة : آية ١٨ .

(٤) سورة البقرة : آية ١١٤ .

(٥) سورة يوسف : آية ٣٣ .

(٦) محمد زين الهادي العماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٧٧ .

(٧) "صحيح مسلم بشرح النووي" ، كتاب الإيمان ، حديث (١٦٤) ، ٢ / ١٠٨ .

كما أن قاعات المحاضرات والاجتماعات العامة بالجامعات أو قاعات الفنادق وجميع المؤسسات يمكن أن تكون أماكن للدعوة^(١).

كما أن الجيش يمكن أن يكون من أماكن الدعوة ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾^(٢) ويقول : ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾^(٣).

كما أن الشركات والمصانع ودور العلم وجمعيات اللاجئين والمراكز الإسلامية من أماكن الدعوة أيضاً^(٤).

ويرى الباحث :

أن جميع المؤسسات الموجودة في المجتمع يمكن أن تكون أماكن للدعوة بشرط أن تتطور هذه المؤسسات لكي تتناسب مع هذا الشكل من الممارسة ويجب استحداث مؤسسات أخرى لأمر الدعوة كمكاتب الجاليات والإغاثة الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي وغيرها .

٤ - الأخصائي الاجتماعي :

الأخصائي الاجتماعي من المنظور التقليدي هو الشخص المهني المعد إعداداً كافياً لممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية^(٥).

أما عن الأخصائي من المنظور الإسلامي فهو الشخص المعد إعداداً إسلامياً لممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ، ويجب أن يتصف بالقدرة على تكوين العلاقات والتأثير على الآخرين ودقة الملاحظة وحسن الخلق والاعتزان الانفعالي والتسامح

(١) محمد زين الهادي العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٨٥ .

(٢) سورة النساء : آية ٧٤ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٥٤ .

(٤) محمد زين الهادي العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٩٥ - ٢٠٧ .

(٥) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية (٢) ط

٢ ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٦٤ .

وإنكار الذات وأن يعمل بعمله واحترام وتقدير الآخرين وأن يكون عادلاً ومتصفاً بالقدره الصالحة والصبر والجلد وتطهير النفس ظاهرها وباطنها^(١) .

أما عن صفات الأخصائي الاجتماعي العامل في مجال الدعوة فيمكن تحديدها في الإيمان العميق والعلم الدقيق ، ومواجهة الظلم والظالمين ، والعلم بالمدعوين ، والعلم بالتيارات الفكرية المختلفة ، والعلم بطرق الدعوة ووسائلها وغاياتها "أي العلم بفن الدعوة" والخلق الوثيق "كالصبر والحلم" والتواصي بالحق، والتواصي وابتغاء وجه الله ، والثقة بالله ، وعفة اللسان ، الصدق ، الإحساس بالأمانة^(٢) والحكمة والموعظة الحسنة والعلم واليقين والإخلاص في الدعوة والتسلح بالصبر والنصح والقدوة الحسنة والثقة في جانب الله ولين الجانب^(٣) .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾^(٥) .

وقال تعالى : ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾^(٦) .

وقال تعالى : ﴿يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تثنى تستكثر ، ولربك فاصبر﴾^(٧) .

(١) عبد المنعم السهري : نحو مفهوم الخدمة الفرد من المنظور الإسلامي ، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة القاهرة (فرع الفيوم) في الفترة من ٢١ - ٢٣ مارس ، ١٩٩٠ م ، ص ١٧ - ٢١ .

(٢) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٠١ ، ١٢٥ .

(٣) الشوادفي الباز أحمد حسن : منهج الدعوة والدعاة ، مجلة الجندي المسلم ، مجلة إسلامية ثقافية عسكرية فصلية ، تصدر عن إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة ، رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ١٩٩٢ م - ١٤١٢ هـ ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٤) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٥) سورة يوسف : آية ١٠٨ .

(٦) سورة الأحقاف : آية ٣٥ .

(٧) سورة المدثر : الآية ١ - ٧ .

ويقول تعالى على لسان نوح - عليه السلام - : ﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ (١) ..

ويقول على لسان هود - عليه السلام - : ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (٣) .

٥ - عملية المساعدة :

عملية المساعدة في المنظور التقليدي هي التأثير في ذات العميل أو في ظروفه المحيطة أو في كليهما لاستعادة قدرات العميل لأداء وظيفته الاجتماعية (٤) وعملية المساعدة في المنظور الإسلامي ، هي العلاج القائم على أساليب هذا المنظور ، والتي من خلالها يمكن تقوية الوازع الديني لدى العميل وتوضيح موقف الدين من مشكلة العميل . ومساعدة العميل على الامثال للأوامر والنواهي الدينية (٥) .

أما عن عملية المساعدة في مجال الدعوة الإسلامية فهي تختلف باختلاف مستوى المجتمع ، ففي المجتمعات الفقيرة يجب أن تركز عملية المساعدة على :

أولاً : الخدمات العملية :

مثل بناء المدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام وملاجئ العجزة ، ومن خلال تلك المؤسسات تقوم الدعوة على أن يختار لها المدرسون والأطباء والأخصائيون الاجتماعيون والدعاة الأكفاء . والسبب في هذا النوع من وسائل الدعوة هو أن مثل هؤلاء الناس تشغلهم أمور معاشهم ، وبالتالي إذا ما وجدوا من يتكفل لهم بذلك أو يجزء منه فإنهم يكونون له رداً خاصاً ، فالناس جلبوا على حب من أحسن إليهم .

(١) سورة الأعراف : الآية ٦١ - ٦٢ .

(٢) سورة الأعراف : آية ٦٨ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٢١ .

(٤) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية (٢) ط

٢ ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٥) عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد في المجتمع النامي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ ، ص ١٠٨ .

وهناك جهات أخرى لها دعوات نصرانية مثلاً تمد لهم يد العون والمساعدة من كساء وغذاء وتعليم وعلاج ، ثم تدعوهم وهي تمد لهم ذلك العون باسم "يسوع المسيح" والناس تستجيب تحت ضغط وذل المسبغة والفاقة .

ثانياً : الدعوة القائمة على أسلوب الوعظ النظري والتوجيه :

أما في المجتمعات الغنية فإن الناس تتسم حياتهم بالهدوء والأخذ بأسباب الراحة في المركب والسكن والملبس وكل سبل العيش ، وبالتالي يكون التركيز على المعاني الروحية التي تخفف عنهم ما يشعرونه من معاناة واضطرابات نفسية بسبب حياة التمتع وكثرة تجاذب المادة لهم من الخدمات العملية كما في المجتمعات الفقيرة^(١) .

ويرى الباحث أن عملية المساعدة في مجال الدعوة الإسلامية تأخذ مسارين هما :

١ - الخدمات العملية كالمساعدات الاقتصادية وإقامة المستشفيات والمدارس والملاجئ الخاصة بالأيتام وغيرها .

٢ - المعاني الروحية التي تركز على الوعظ والإرشاد والتوجيه والترغيب وغيرها .
ولكن ينوه الباحث إلى أن البدء بأحدهما يختلف من مجتمع إلى آخر باختلاف المستوى الاقتصادي للمجتمع ، فإذا كان المستوى الاقتصادي للمجتمع مرتفعاً كان البدء بالمعاني الروحية ، أما إذا كان المستوى الاقتصادي للمجتمع منخفضاً كان البدء بالخدمات العملية .

رابعاً : دور خدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية :

اتضح من استعراض أهداف الدعوة الإسلامية وأهداف خدمة الفرد من منظور إسلامي أن هناك التقاء بينهما في الأهداف المتمثلة في أن تكون الوجهة لله - سبحانه وتعالى - خالصة ، ودعوة الشخص إلى القيام بالتكاليف الشرعية (الجانب الروحي) وأيضاً إشباع الحاجات للمدعويين في الإطار الإسلامي (الجانب المادي) ، وبالتالي يمكن بلورة دور خدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية من خلال "دور أساسي لخدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية يتمثل في مساعدة المدعويين على أن تكون وجهتهم الله سبحانه وتعالى (وهذا هو الجانب الروحي) ، ودور مساعد لخدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية يتمثل في إشباع الحاجات المادية للمدعويين (وهذا هو الجانب المادي) ، بالإضافة إلى دور يتعلق بالأمر

(١) محمد زين لفادي العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ص ص ٤٤ -

بالمعروف والنهي عن المنكر باعتبار الأخصائي الاجتماعي "شخصاً مسلماً" شأنه شأن أي مسلم في المجتمع الإسلامي .

ويمكن تناول هذا الدور من خلال ما يلي :

أ - النموذج الذي يمكن الاعتماد عليه في مجال الدعوة الإسلامية .

ب - دور خدمة الفرد في مؤسسات الدعوة الإسلامية .

١ - التدخل المهني للأخصائي الاجتماعي مع المدعوين من منظور فردي (يتمثل ذلك في دور أساسي) .

٢ - الأدوار التبادلية بين الأخصائي الاجتماعي والداعية من خريجي كليات الدعوة ومعاهد الدعوة والشريعة من منظور فردي (ويتمثل ذلك في دور مساعد) .

٣ - المشاركة في أمر الدعوة الإسلامية من خلال "عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" .

ج - مداخل مقترحة في خدمة الفرد من منظور إسلامي في مجال الدعوة الإسلامية .

يمكن تناول هذا الدور على النحو التالي :

أ - النموذج الذي يمكن الاعتماد عليه في مجال الدعوة الإسلامية :

يرى البعض أن الخدمة الاجتماعية ليس لها نظرية أو نموذج للتدخل من منظور إسلامي للعمل في مجال الدعوة الإسلامية ، ولكن يمكن القول : إن هناك نماذج يمكن الاعتماد عليها في مجال الدعوة الإسلامية .

ومن أمثلة ذلك : النموذج الذي أعد بواسطة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن رجب للعمل على مستوى الوحدات الصغيرة من منظور إسلامي ، كما أن الخدمة الاجتماعية بحكم اتساع قاعدتها العملية لتأخذ من علوم كثيرة وخاصة علم النفس ، فإنها يمكنها أن تستفيد من النماذج الخاصة بعلم النفس التي تصلح لتفسير السلوك الإنساني من منظور إسلامي انطلاقاً من تصورات علماء النفس من منظور إسلامي والشخصية المسلمة والعلاج من منظور إسلامي ، ونظراً لأن العلم تراكمي ، وأنه لا بد من الاستفادة من خبرات الباحثين السابقين في نفس المجال الذي يبحث فيه باحث معين فإنه في هذه الدراسة يمكن الاستفادة من النموذج الذي سبقت الإشارة إليه في مجال الدعوة الإسلامية ، ويمكن عرض هذا النموذج على النحو التالي :

تنطلق نظرية الممارسة في الخدمة الاجتماعية من منظور إسلامي من خلال مجموعتين من القوائم كما يلي^(١) .

أولاهما : تحوي متلازمات الأعراض ، أو الأحوال التي تستدعي التدخل المهني من جهة.

ثانيتهما : تحوي بياناً باستراتيجيات وأدوات التدخل المهني المحددة الملائمة لمواجهة تلك الأعراض أو على الأقل التخفيف منها (وذلك في حالة التدخل على المستوى العلاجي) أو تصحيح الموقف (في حالة التدخل على المستوى الوقائي) أو إحداث التغييرات الإيجابية المرغوبة (في حالة التدخل على المستوى التنموي) .

ويود الباحث :

أن يؤكد أن الحديث عن المنظور الإسلامي لا يعني استبعاد أو إهمال ما جاء في العلم الحديث حول نظرية الممارسة .

وفي ضوء ذلك تتمثل نظرية الممارسة من المنظور الإسلامي فيما يلي :

- ١ - القيام بمهمة تقدير الموقف : (Assessment) لتحديد نوع الصعوبة أو المشكلة أو الحالة التي تواجه العميل والتي تحتاج إلى التدخل ، ويتطلب ذلك ما يلي :
 - * جمع بيانات دقيقة حول الوضع الراهن الذي يعيشه العميل بدءاً من وصف الشخصية إلى مسح الظروف البيئية .
 - * مقارنة الوضع الراهن بالسمات المعيارية التي تُحدد ما هو طبيعي أو سوي بالنسبة لمن هم في مثل خصائصه في ضوء النظرية المعتمدة .
 - * الانتهاء بتحديد مناطق الخلل أو مواضع الافتراق عن النمط المعياري ومقارنتها بمتلازمات الأعراض .

٢ - اختيار استراتيجية التدخل الملائمة والأدوات المناسبة لإحداث التعديل المناسب في العميل أو المحيطين ، ويتضمن ذلك ما يلي :

أولاً : تقدير الموقف أو المشكلة أو الحالة :

ويتضمن ذلك معرفة نوع صلة الإنسان بربه المبنية على مفهوم الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى ، وفي نفس الوقت يجب عدم إغفال إشباع الحاجات الدنيوية (المادية

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة في الفترة من ١٥ - ٢٠ شوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨ - ٢٣ إبريل ١٩٩٢ م ، ص ٦٨ - ٧٨ .

والنفسية والاجتماعية) إشباعاً متوازناً في علاقته بالله سبحانه وتعالى والمتوقع أن تنتهي الموقف إلى الحالات التالية :

الحالة الأولى :

أن يكون العميل صحيح الاعتقاد ومقيماً على التوحيد الخالص وهذا الاعتقاد يهيمن على القلب والوجدان ، وبالتالي لا يجزع ولا يفزع ولا يخاف ولا يضطرب .

الحالة الثانية :

أن يكون العميل صحيح الاعتقاد ، ولكن هذا الاعتقاد الصحيح لا أثر له على القلب والوجدان، وهنا تكون مداخل الشيطان على هذا الإنسان كثيرة .

الحالة الثالثة :

أن يكون العميل سقيم الاعتقاد يختلط التوحيد لديه ببعض الشراكيات أو البدعيات ولذلك يتعرض للجزع والهلح الشديد عند مواجهة المواقف الشديدة أو عند الابتلاء .

ثانياً : استراتيجيات وأدوات التدخل المهني :

لاشك أن كل فئة من الفئات الثلاث ستطلب نوعاً مختلفاً من التدخل كما يلي :

النوع الأول : حالة سلامة الاعتقاد مع حياة القلب وصفاء الفطرة :

هذه الحالة لا يتوقع أن يواجه الأخصائي صعوبة كبيرة في العمل معها لأنها لا تكون معتدة بتفاعلات نفسية أو وجدانية ، ويتميز صاحبها بالاستقامة ، ولديها من عناصر القوة ما يتيح للأخصائي التعامل بصورة طيبة ، وفي هذه الحالة قد يكون التعامل من خلال معونات مالية وبعض المعونات التيسيرية التي تتعلق بالدفاع أو المفاوضات مع المنظمات الرسمية .

النوع الثاني : حالة صحة الاعتقاد دون هيمنته على القلب :

إن هذا العميل يصبر على مواجهة مشاكله حيناً ، ولكنه يعود للجزع أحياناً كثيرة لأنه يسلم نفسه لنفسه أكثر من تسليمها لخالقه ومولاه ، وهذا العميل يتطلب من الأخصائي مساعدته على الخروج من إطار الماديات وارتباط النفس بها ، لإفساح المجال أمام أنس الروح بالعبادات والطاعات ، وهذه الحالة تتطلب استراتيجية متعددة الأوجه تستهدف معاونة العميل على إعادة النظر في حياته واستعادة توازنه .

النوع الثالث : حالة فساد الاعتقاد وسقم القلوب :

يتمثل العلاج في هذه الحالة أساساً في العمل على تصحيح العقيدة أولاً حتى يفتح الباب أمام إمكانية إصلاح القلب ، ويتضمن ذلك تحديد الاختلال في الاعتقاد ثم العمل على إزالة تلك الاختلالات وإعادة تعليم العميل ما ينبغي أن يحل محلها من سليم الاعتقاد ،

سواء قام الأخصائي بذلك بنفسه أم بالاعتماد على أهل العلم الشرعي ، ثم يستكمل الأخصائي تدخله وفقاً للاستراتيجيات السابق وضعها .

ب - دور خدمة الفرد في مؤسسات الدعوة الإسلامية :

ويمكن تناول هذا الدور من خلال الآتي :

- ١ - التدخل المهني للأخصائي مع المدعويين من منظور فردي .
- ٢ - الأدوار التبادلية بين الأخصائي والداعية من خريجي كليات الدعوة ومعاهدها والشرعية من منظور فردي .

٣ - المشاركة في أمر الدعوة الإسلامية من خلال "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".
لكي نتناول التدخل المهني للأخصائي الاجتماعي مع المدعويين من منظور فردي يجب أن ينوه الباحث إلى أنه سوف يعتمد في مناقشة هذا التدخل على النموذج الذي سبقت الإشارة إليه ، بالإضافة إلى بعض مرثيات علماء النفس من منظور إسلامي للشخصية المسلمة ، وأساليب العلاج في علم النفس من منظور إسلامي ، ويمكن التدخل المهني للأخصائي الاجتماعي مع المدعويين من منظور فردي على النحو التالي :

- أ - تحديد أهداف التدخل المهني .
- ب - تحديد مشكلات المدعويين وتقدير موقفهم .
- ج - تحديد استراتيجية التدخل والأساليب المستخدمة في ذلك .

أولاً : تحديد أهداف التدخل :

يسعى التدخل المهني في مجال الدعوة الإسلامية إلى تحقيق هدفين رئيسيين على النحو التالي:

- ١ - إصلاح توجه الفرد لكي يكون لله سبحانه وتعالى والقيام بتنفيذ التكاليف الشرعية .
- ٢ - إشباع الحاجات المادية في إطار الشريعة الإسلامية ، وضرورة توازنها مع الجوانب الروحية^(١) .

(١) توفيق يوسف الواعي : النساء الداعيات ، المنصورة ، دار الراء للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، ص ٢٦ .

محمد سعيد للولوى : المربي محمد ، التربية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائفها ، الكويت ، مكتبة دار العروة للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ص ٦٩ - ٧٩ .

عفاف الدباغ : المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ ، ص ٢٤ .

ولكن بأيهما نبدأ ، هل بإصلاح التوجه أم بتقديم الخدمات 'لادية ؟ فهذا ما يحدث حوله الخلاف ، حيث يرى البعض أن ذلك يختلف من مجتمع لآخر حيث يرون أن المجتمع الفقير يكون البدء فيه بتقديم الخدمات المادية يليها التركيز على الجوانب الروحية ، في حين في المجتمع الغني يكون التركيز أولاً على الجوانب الروحية^(١) .
كما أن البعض يرى أن تقديم الخدمات المادية يجب أن يكون وسيلة وليس هدفاً ولا يجب أن يطغى على عملية الدعوة ذاتها^(٢) .

ثانياً : تحديد مشكلات المدعوين وتقدير موقفهم :

لكي نحدد مشكلات المدعوين فإنه يمكن تصنيفها إلى قسمين على النحو التالي :

أ - مشكلات المدعوين من غير المسلمين .

ب - مشكلات المدعوين من المسلمين ، وتقسم قسمين :

١ - مشكلات المسلمين حديثاً .

٢ - مشكلات المسلمين .

ويمكن تحديد ذلك على النحو التالي :

أ - مشكلات المدعوين من غير المسلمين :

إن ما يهمني بالنسبة للمدعوين من غير المسلمين هو التركيز على مشاكلهم المتعلقة بالعبادات السلوكية غير الصحيحة والانحرافات الأخلاقية والمشكلات العقائدية .

ولتقدير موقف المدعو في هذه الحالة انطلاقاً من المنظور الذي سبق أن أكدت على الاعتماد عليه، يمكن اعتبار هذا العميل ممن تنطبق عليهم الحالة الناشئة وهي فساد الاعتقاد وسقم القلوب .

ب - مشكلات المدعوين من المسلمين : وتقسم قسمين هما :

١ - مشكلات المدعوين من المسلمين حديثاً .

٢ - مشكلات المسلمين .

وفيما يلي يمكن تناول ذلك على النحو التالي :

(١) محمد زين الهادي العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٧ .
(٢) محمد أحمد عبد الهادي : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، في الفترة من ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ ، ص ٢٠ .

١ - مشكلات المدعوين من المسلمين حديثاً^(١) :

تواجه المسلمين حديثاً العديد من المشكلات والتي يمكن تحديدها كما يلي :

- * احتياج المسلمين حديثاً إلى المعلومات والحقائق الإسلامية التي تساعد على المضي قدماً في الإسلام بما يدعم إسلامهم واحتياجهم إلى تعلم الأصول والمبادئ الإسلامية .
- * وجود بعض المشكلات مع أصحاب العمل كنتيجة لإسلام هؤلاء الأفراد حيث يتسببون في حدوث مشكلات مع زملائهم من غير المسلمين في مجال العمل .
- * تعرض البعض منهم للفصل وما يترتب على ذلك من مشكلات الإسكان والإعاشة .

- * وجود بعض المسلمين حديثاً ممن لا عمل لهم (يعانون من البطالة) .
- * تعرض بعض المسلمين حديثاً إلى مشكلات أسرية لإشهار إسلامهم .
- * وجود بعض المشكلات المادية .
- * مشكلات تتعلق بصعوبة التعامل مع الآخرين كنتيجة لعدم معرفة البعض للغة العربية .

- * انقطاع البعض منهم عن التردد على مكاتب الجاليات إما لارتدادهم مرة أخرى عن الإسلام أو لعدم سماح أصحاب الأعمال لهم بالتردد على المكتب .

ولتقدير موقف المدعوين في هذه الحالة يمكن اعتبار المدعوين من هذه الحالة ممن تنطبق عليهم الحالة الثانية من النموذج ، وهي حالة صحة الاعتقاد دون هيمنته على القلب ، وذلك لأن العميل في هذه الحالة قد صحح اعتقاده لكنه مازال يحتاج إلى الكثير لكي يهيمن هذا الاعتقاد الصحيح على القلب.

٢ - مشكلات المدعوين من المسلمين^(٢) .

وهؤلاء المسلمون يقسمون إلى ثلاثة أصناف :

- ١ - مسلمون ملتزمون .
- ٢ - مسلمون عاصون .
- ٣ - مسلمون يجهلون الحكم الشرعي .

(١) تقرير عن مكتب الجاليات ، أعد بواسطة طلاب التدريب الميداني بقسم الخدمة الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد

بن سعود الإسلامية بالرياض ، بمكتب الجاليات بالبطحاء ، تحت إشراف رشاد عبد اللطيف ١٩٩٢ م .

(٢) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية

بالرياض ، ١٤٠٢ هـ ، ص ص ١٨٩ - ١٩٦ .

ويواجه المسلمون مشكلات عديدة من أهمها ما يلي :

- ١- تبرج النساء .
- ٢- تخنث الرجال .
- ٣- سوء أدب الصغار مع الكبار .
- ٤- قسوة الأزواج في معاملة الزوجات .
- ٥- تمرد النساء على أزواجهن .
- ٦- انتهاك حرمت البيوت دون التمسك بقواعد الشرع في الزيارة والاستئذان .
- ٧- الدخول على غير المحارم .
- ٨- التعامل بالربا في بعض الأسواق .
- ٩- تطفيف المكيال والميزان .
- ١٠- احتكار السلع .
- ١١- بيع الفاسد من الطعام والشراب على أنه صحيح .
- ١٢- تدهور الأخلاق في الشوارع .
- ١٣- انتشار السباب واللعان .
- ١٤- شغل الشوارع والطرق بالسيارات والمركبات مما يعطل مصالح الناس ويتسبب في كثير من الحوادث والكوارث .
- ١٥- ما يسود الدوائر والمصالح من إهمال في أداء الأعمال ، وتسويق قضاء مصالح الناس.
- ١٦- استغلال النفوذ بالوساطة والمحسوبية والتهرب من تحمل المسؤولية .
- ١٧- تسرب الطلاب من المدرسة وقضاء الصغار معظم وقتهم بعيداً عن الأسرة مما يؤدي إلى انحراف الأحداث^(١) .
- ١٨- مشكلات الشباب مثل البطالة والقلق النفسي والاغتراب وعدم القدرة على تكوين أسرة المستقبل وما يترتب عليها من مشكلات ، ومشكلات الجريمة والانحراف

(١) الزين عباس عمارة : مدخل إلى الطب النفسي ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٨٦ ، ص ٣٠٧-٣٠٨ .
ثناء الختم : التغير الاجتماعي والتحديث ، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

والسلبية والتواكل والسلوك العدواني والإدمان وغيرها^(١) .

١٩ - مشكلات المسنين المتمثلة في المشكلات الصحية والمادية والنفسية والعقلية واضطراب العلاقة بالآخرين ومشكلات الإقامة^(٢) .

ولتقدير موقف المدعويين في هذه الحالة يمكن اعتبار المدعويين من المسلمين إحدى حالتين :

١ - الحالة الأولى :

وهو المسلم الملتزم ، لكنه يحتاج إلى بعض المساعدات المادية وبعض التسهيلات من المؤسسات الاجتماعية وتنطبق عليه الحالة الأولى من النموذج ، وهي حالة سلامة الاعتقاد مع حياة وصفاء الفطرة .

٢ - الحالة الثانية :

وهو المسلم غير الملتزم ، وهو تنطبق عليه الحالة الثانية من النموذج ، وهي سلامة الاعتقاد دون هيمنة على القلب .

ثالثاً : تحديد استراتيجية التدخل والأساليب المستخدمة في ذلك :

أ - فيما يتعلق بمشكلات المدعويين من غير المسلمين :

تمثل استراتيجية التدخل المهني ، في استراتيجية مزدوجة كما يلي :

١ - دعوة غير المسلمين في الإسلام ، ويتم ذلك من خلال مساعدة غير المسلم لكي تكون وجهته لله سبحانه وتعالى والتزامه بالتكاليف الشرعية .

٢ - مساعدة هذا المدعو للوصول إلى حالة صحة الاعتقاد مع حياة القلب وصفاء الفطرة ويمكن أن يستخدم في ذلك الأساليب التالية^(٣) .

(١) عادل محمد جوهر : المشكلات الفردية الناتجة عن البطالة لدى عينة من الشباب تحريجي الجامعة ، وتصور مقترح لنور خدعة الفرد في مواجهتها ، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، ٩ - ١١ ديسمبر ، ١٩٨٩ م ، ص ٥٧٠ - ٥٧٣ .

(٢) عادل محمد جوهر : المشكلات الفردية التي تواجه المسنين وأساليب رعايتهم اجتماعياً بالمؤسسات الإيوائية ، القاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، ١٩٨٠ .

(٣) محمد سلامة غباري : التدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية (٢) ط ٢ ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م .

على حسين زيدان : دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المتحررين (منظور إسلامي) المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ - ١٣ أغسطس ، ١٩٩١ .

إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة في الفترة من ١٥ - ٢٠ شوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨ - ٢٣ إبريل ١٩٩٢ م ، ص ٦٨ - ٧٨ .

- ١ - خدمة الفرد الجماعية .
 - ٢ - التدخل العقلي .
 - ٣ - التدخل الوظيفي .
 - ٤ - العلاج بالتوبة .
 - ٥ - العلاج بالاستغفار .
 - ٦ - الترهيب والترغيب .
 - ٧ - المساعدة على ترك رفاق السوء والاندماج في صحبة صالحة .
 - ٨ - العلاج بالعبادات .
 - ٩ - العلاج البيئي الإسلامي (من خلال الأسرة والصحة الطيبة) .
- ب - فيما يتعلق بمشكلات المدعوين من المسلمين :

يمكن تناول ذلك على النحو التالي :

١ - مشكلات المدعوين من المسلمين حديثاً :

ينطبق على المدعوين من المسلمين حديثاً ، الحالة الثانية من النموذج ، وهي حالة صحة الاعتقاد مع عدم هيمنة على القلب ، ومن هنا تتمثل إستراتيجية التدخل في تحقيق الهدف التالي :

مساعدة المدعو على الوصول إلى الحالة الأولى وهي حالة صحة الاعتقاد مع هيمنة على القلب .

ويمكن الاستعانة في ذلك بالأساليب التسع السابقة^(١) :

٢ - فيما يتعلق بمشكلات المسلمين :

سبق أن حددت موقف المدعوين من المسلمين بأنهم قد يتمون إلى الحالات التالية :

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة في الفترة من ١٥ - ٢٠ شوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨ - ٢٣ إبريل ١٩٩٢ م .

عفاف الدباغ : المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ .

محمد سلامة غباري : التدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية . (٢)

ط ٢ ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م .

١ - مسلم ملتزم : وهذا ينتمي إلى الحالة الأولى من النموذج وهي حالة صحة الاعتقاد مع هيمنته على القلب ، وهذا المدعو لا يحتاج إلى التدخل في الجوانب الروحية ، بل يكون التدخل في الجانب المادي وذلك من خلال إشباع الحاجات المادية لهذا المدعو ، ويمكن أن يستخدم في ذلك بعض الأساليب التوضيحية والمعونات الاقتصادية والخدمات التيسيرية^(١) .

٢ - مسلم عاصٍ أو يجهل الحكم الشرعي : وهذا ينتمي إلى الحالة الثانية من النموذج، وهي حالة صحة الاعتقاد مع عدم هيمنته على القلب ، وتكون الاستراتيجية المطلوبة في هذه الحالة هي الوصول إلى الحالة الأولى من النموذج ، وهي حالة صحة الاعتقاد مع هيمنته على القلب ، ويمكن الاستعانة في ذلك ببعض الأساليب الوارد ذكرها في الصفحة السابقة .

٢ - الأدوار التبادلية بين الأخصائي العامل في مجال الدعوة والداعية من خريجي كليات ومعاهد الدعوة والشريعة من منظور فردي :

أ - يستفيد الداعية من خريجي كليات ومعاهد الدعوة من الأخصائي الاجتماعي العامل في مجال الدعوة في جوانب عديدة من أهمها :

١ - الدراسة العلمية للظواهر والمشكلات الاجتماعية بغرض المساعدة في حلها ، حيث يحتاج الداعية (من خريجي كليات ومعاهد الدعوة) إلى فهم ودراسة المجتمع الذي يعمل فيه ودراسة مشكلاته والأسلوب المناسب للدعوة في هذا المجتمع ، وقد يعطي هذه الخبرة إلى الدعاة ويدربهم عليها ليقوموا بها عند الضرورة ، وعند توفر أخصائي اجتماعي يعمل معهم ويدربهم على بعض المهارات في العمل الدعوي .

٢ - دراسة المجتمع بهدف التعرف على طبيعة المجتمع الذي يعمل معه الداعية وطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة والقوى الاجتماعية المسيطرة وعادات المجتمع وتقاليده واتجاهاته والنظم الاقتصادية السائدة والمنظمات الاجتماعية الرسمية الموجودة والخدمات وطبيعتها أهلية أم حكومية ، والحالة التعليمية وحجم القوى الاجتماعية كالشباب ودورهم ومنظماتهم واهتماماتهم ومشكلاتهم والقوى الاجتماعية ذات النفوذ واهتماماتهم وعلاقاتهم في المجتمع .

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي نظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة في الفترة من ١٥ - ٢٠ شوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨ - ٢٣ إبريل ١٩٩٢ م ، ص ٦٩ - ٧٠ .

٣ - دراسة مشكلات المجتمع الذي يعمل فيه الداعية ومعرفة طبيعتها ، وهل هي مشكلات اقتصادية أو اجتماعية وعدد المتأثرين بها والجهود التي بذلت في حلها والقوى التي شاركت في الحل ونتائجه ، وأسباب الفشل في علاجها ومعرفة أهم تلك المشكلات وترتيبها حسب أهميتها وخطورتها وحجمها والإمكانات اللازمة لها والإمكانات المتاحة والتي يمكن إتاحتها ومصادرهما .

٤ - معرفة إمكانات المجتمع الذاتية المتاحة سواء كانت قوى بشرية أو مادية أو أجهزة وخدمات قائمة ، ومدى فاعليتها ، ومعرفة معوقات تلك الأجهزة ، وكيفية تطويرها ، وأثر ذلك على تنمية المجتمع والنهوض به^(١) .

٥ - دراسة المؤسسات والمنظمات التي تعمل في مجال الدعوة الإسلامية من حيث إمكاناتها ومواردها والخدمات التي تؤديها والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها والمشكلات الفنية والإدارية التي تواجهها ، ومن هذه المنظمات رابطة العالم الإسلامي ، ومكتب الجاليات والإغاثة الإسلامية وغيرها بهدف مساعدة هذه المؤسسات والمنظمات على أداء رسالتها المنوطة بها .

٦ - المساعدة في تنشيط التطوع في المؤسسات والمنظمات الإسلامية من خلال الدعوة إلى زيادة عدد المتطوعين باستخدام الأساليب الملائمة والتركيز على نوعيات معينة لازمة ومؤثرة في عملية الدعوة مثل الشباب والمهنيين والأطباء والمهندسين والاجتماعيين وغيرهم ، كما يمكن المساهمة في هذا الصدد من خلال تنظيم عملية التطوع وما يرتبط بها من عمل مقابلات وسجلات للمتطوعين وتوزيعهم على المجالات والاهتمامات الخاصة بهم حسب قدراتهم وإمكاناتهم وتدريبهم على العمل الذي سيوكل لهم ومتابعتهم في حل المشكلات التي تؤثر على أدائهم لعملهم .

٧ - تقديم المساعدات الاجتماعية في كافة أنشطة المنظمات الإسلامية والتي تقدم إلى المدعوين باستخدام الأساليب العلمية المعروفة في الخدمة الاجتماعية .

٨ - المساعدة في تقديم المساعدات للمسلمين من خلال المنظمات الإسلامية كالمساعدات الاقتصادية والطبية والتعليمية والإسكانية بشرط ألا تغطي على العمل ، وأن تكون وسيلة وليس هدفاً في حد ذاتها ، ويمكن تقديم هذه المساعدات من خلال العلماء

(١) محمد أحمد عبد الهادي : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، في الفترة من ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ ، ص ص ١٧ ، ١٨ .

الشرعيين والمهندسين والأطباء والمعلمين والأخصائيين الاجتماعيين ممن تتوفر فيهم القدرة على نشر الدعوة الإسلامية^(١) .

٩ - مساعدة الداعية في علاج مشكلات المدعوين والتي تؤثر على أدائه لمهمته الدعوية كالمشكلات السلوكية لبعض المدعوين ومشكلات الانحراف والجريمة والمشكلات النفسية وغيرها.

١٠ - القيام بالبحوث الاجتماعية التي توضح أعداد المدعوين وخصائصهم ومشكلاتهم وكيفية الإتصال بهم .

١١ - توضيح أهمية استخدام الأساليب الجماعية في الدعوة الإسلامية لضمان دخول أعداد كبيرة في الإسلام من غير المسلمين ، وتوجيه أكبر عدد ممكن من المسلمين إلى التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بما يوفر الوقت والجهد والتكلفة .

١٢ - المساهمة في التوصل إلى أدوات يمكن من خلالها تقدير مواقف المدعوين حتى يمكن التدخل معهم على أساس علمي سليم .

١٣ - إمداد الداعية بالمجالات التي يمكن أن يوجه لها العمل الدعوي على أساس الدراسة العلمية المستفيضة لهذه المجالات وتوضيح أولويات العمل بها ومداخل العمل الصحيحة بهذه المجالات كالمساجد والسجون والأندية الثقافية والرياضية والتجمعات المؤقتة والجيش والشركات والمصانع ودور العلم والمراكز الإسلامية وتجمعات اللاجئين وغيرها^(٢) .

١٤ - الاهتمام بالمسجد باعتباره مركز الإشعاع الديني وتدعيم نشاطه الثقافي والاجتماعي ودراسة العوامل التي تؤثر على سلبية بعض المسلمين في أداء الشعائر فيه وربط المسجد بالمجتمع المحلي ومشكلاته وقضاياها بشكل علمي .

١٥ - الاهتمام بالكتاتيب لأهميتها في تحفيظ القرآن ، ويمكن إمدادها ببعض الأساليب التي تجذب الأطفال ، وتروح عنهم في نفس الوقت كبعض الأنشطة الرياضية البسيطة وبعض الرحلات والجوانب الاجتماعية كوسيلة للمساعدة في تحقيق أهداف تلك المراكز ، لأهمية هذه المراكز في تكوين العقيدة الإسلامية .

(١) محمد أحمد عبد الهادي : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، في الفترة من ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ ، ص ١٧ - ٢٠ .

(٢) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٥٩ - ١٠٦ .

١٦ - الاهتمام باجتذاب القيادات المؤثرة في مجال الدعوة لما لهم من أثر طيب في مجال الدعوة الإسلامية ، وقدرتهم على الإقناع والإيمان بالدعوة وإخلاص النية لله والصبر والاحتمال والإصرار على تحقيق أهداف الدعوة^(١) .

ب - يستفيد الأخصائي العامل في مجال الدعوة من الداعية من خريجي كليات ومعاهد والشريعة الإسلامية :

١ - إمداد الأخصائي الاجتماعي العامل في مجال الدعوة بالمصادر والمعلومات والحقائق الأساسية في مجال الدعوة الإسلامية باعتباره دارساً على درجة كبيرة لهذه المصادر والمعلومات والحقائق^(٢) .

٢ - مساعدة الأخصائي الاجتماعي في تصحيح عقائد بعض الأفراد الذين يحتاجون لذلك باعتباره من أهل العلم الشرعي والذي يمكنه من المساهمة في ذلك^(٣) .

٣ - إمداد الأخصائي الاجتماعي ببعض الأساليب التي تمكنه في مجال الدعوة الإسلامية مثل الإقناع والقدرة والخطابة والدروس وغيرها^(٤) .

٣- المشاركة في أمر الدعوة الإسلامية من خلال عملية :

"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" :

لقد كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات الأمة الإسلامية ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٥) .

ويقول الله سبحانه وتعالى أيضاً : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٦) .

(١) محمد أحمد عبد الهادي : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، في الفترة من ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ ، ص ص ٢١ - ٢٤ .

(٢) مجلة الدعوة ، العدد (١٣٤٨) ، الخميس ، ٩ محرم ١٤١٣ هـ الموافق ٩ يوليو ، ١٩٩٢ م ، - ص ٢١ .

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي نظمته الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة في الفترة من ١٥ - ٢٠ شوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨ - ٢٣ إبريل ١٩٩٢ م - ص ٧٨ .

(٤) توفيق يوسف الواعي : النساء الداعيات ، للنصرة للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، - ص ص ٦٥ - ١٢٠ .

(٥) سورة آل عمران : أية ١١٠ .

(٦) سورة آل عمران : أية ١٠٤ .

ويعتضي هذا الأصل العظيم من أصول الإسلام يتعاون أفراد الأمة على دفع الشر عنها وفي التواصي بفعل الخير ، وفي هذا استقامة أمر المجتمع وأمر الفرد أيضاً ، ويعتبر ذلك مسئولية كل مسلم في المجتمع الإسلامي (١) .

ويعتبر الأخصائي الاجتماعي المسلم مكلف شأنه شأن أي مسلم في المجتمع الإسلامي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر استطاعته .

ج - مداخل مقترحة في خدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية :

يوجد في خدمة الفرد مجموعة من المداخل التي يمكن استخدامها في مجال الدعوة الإسلامية، وهذه المداخل هي :

أولاً : خدمة الفرد الجماعية :

هي اتجاه يزيد الالتحام بين أساليب خدمة الفرد وخدمة الجماعة وذلك منذ أن اعتبرت الأسرة وحدة علاجية في خدمة الفرد ، ومنذ انتشار المقابلات الجماعية في مؤسسات توجيه الأسرة وغيرها بالدول المتقدمة ، ويمكن التدخل من خلال هذا المدخل كما يلي :

- ١ - تحسين العلاقات والتفاعلات بين أعضاء الجماعة .
- ٢ - مساعدة الفرد في الجماعة على القيام بأدواره .
- ٣ - يكون التركيز على الفرد من خلال الجماعة .
- ٤ - يتم من خلال هذا المدخل توجيه الجماعة ككل حول العنصر المشترك بينها ، مع التركيز على الفرد صاحب المشكلة واستخدام الجماعة كأداة لتغييره (٢) .

ثانياً : مدخل المساعد :

وهو ما نسميه بالعلاج الذاتي من خلال آخرين لهم نفس الظروف ، أو بمعنى آخر التعلم من خلال تعليم الآخرين . ويمكن أن يستخدم هذا الأسلوب مع المنحرفين الذين تم علاجهم واستخدامهم كأدوات لعلاج آخرين لهم نفس الظروف من خلال الإعداد الإسلامي لهم . ويكون ذلك أسلوباً علاجياً مزدوجاً لهم ولمن يوجهونهم في نفس الوقت

(١) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ١٤٠٢ هـ ، ص ص ١٨٧ - ١٩٣ .

(٢) عبد الفتاح عثمان : المدارس للعصر في خدمة الفرد ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩ م ، ص ص ٦٥ -

ويتم هذا تحت الإشراف المهني^(١) ، وقد استخدم هذا الأسلوب في السجون حيث وجد أن المسجون يتقبل من زميله في السجن أكثر مما يتقبله من غيره، ذلك لأنه يشعر بصدقه وأنه مصاب بما أصيب به هو ، وعلى المسئولين عن إدارات السجون أن يتحسسوا عن هؤلاء ويستفيدون منهم في أمر الدعوة .

كما أن السجن قد يجمع أشخاصاً من ذوي الصلاح والتقوي والعلم ، ولا سيما المسجون لأسباب سياسية أو ديون مالية لم يستطع سدادها ، وكم من أناس حفظوا القرآن كله في السجون ودرسوا العلم فيه ومارسوا الدعوة فيه وأسوتهم وقدرتهم جميعاً في ذلك نبى الله يوسف - عليه الصلاة والسلام - فقد مارس الدعوة في السجن وتحين الفرصة حتى سنحت له .

ثالثاً : المدخل العقلي :

هو علاج مباشر توجيهي يستخدم فنيات معرفية لمساعدة العميل لتصحيح معتقداته الخاطئة واللاعقلانية وتحويل هذه الأفكار والمعتقدات التي يصاحبها خلل انفعالي وسلوكي إلى معتقدات يصحبها ضبط انفعالي وسلوكي^(٢) ، ويمكن استخدام المدخل العقلي في مجال الدعوة من خلال الحجة والمنطق والدراية بالدين وأحوال الناس^(٣) ، ويتم ذلك من خلال الصلة الطيبة بين الداعية والمدعو ، ثم إيقاظ الإيمان في نفس المدعو بطريق غير مباشر ، وفي هذا يتم التذكير بلطف ، ثم مرحلة التعرف على الإسلام بمعرفة الأنبياء وقصصهم والصالحين وأولياء الله والبررة ، ثم التعرف على رسول - ﷺ - وسيرته ودعوته وجهاده ، والتعرف على القرآن الكريم وقراءته ومعرفة ما في قراءته من ثواب وأجر ثم العمل والدعوة إلى الدين ، ثم مرحلة التدريب على التبليغ والالتزام الصحيح بمنهج الإسلام والقول فيه بعلم ودراية ومران^(٤) .

رابعاً : المدخل السلوكي :

(القدوة الحسنة) (الافتداء بالرسول والصحابة والتابعين) .

(١) عبد الفتاح عثمان : المدارس المعاصرة في خيمة الفرد ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩ م ، ص ٦٢ .

(٢) Albert , alis : Reason and Emotion in Psychotherapy , Newjersy , the Citadel press , 1981, p180.

(٣) توفيق يوسف الواعي : النساء الداعيات ، المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، ص ١٠٩ .

(٤) توفيق يوسف الواعي : النساء الداعيات ، المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، ص ١٠٦ - ١٠٩ .

يعزو هذا المدخل اضطراب شخصية العميل إلى العادة التعليمية ، وعلى هذا يمكن مساعدة العميل بتغيير سلوكه وعاداته عن طريق التعلم وذلك بتعليمه أنماط سلوكية جديدة ويمكنه الاستفادة منها في المواقف التي يتعرض لها وتثبت هذه الأنماط بواسطة عمليات التدعيم لتصبح عادة تعليمية حلت محل العادة القديمة^(١) .

ويمكن تغيير السلوك من خلال مبادئ التعلم بالتركيز على أساليب عديدة من بينها (القلوة الحسنة ، التدعيم الإيجابي ، التدعيم السلبي ، تشكيل الاستجابة)^(٢) ، ولكن يمكن التركيز على أسلوب (القلوة الحسنة) باعتباره من الأساليب الأكثر انتشاراً في مجال الدعوة الإسلامية .

خامساً : مدخل الأزمة :

يعتبر مدخل التدخل في الأزمات من المداخل المعاصرة في خدمة الفرد حيث يستخدم فيه مجموعة من التكنيكات الهامة التي تختلف عن التكنيكات التقليدية المتبعة مع الحالات العادية . وتعرف الأزمة بأنها النكسة أو الكارثة التي تصيب أكثر من أسرة واحدة في مكان واحد لأسباب طارئة أو خارجة عن إرادة الأسرة مثل حالات الحرائق والفيضانات والسيول وانهيار المنازل أو أي نوع من الحوادث تؤدي إلى خسائر في الأموال والأرواح والممتلكات . والأزمة في خدمة الفرد هي المشكلة كما نعرفها التي قد تصيب الفرد أو الأسرة أو الجماعة، حيث إن لها كل خصائص المشكلة من حيث فشل الأداء الاجتماعي للفرد أو الأسرة أو الجماعة الناتج عن عدم استخدام الإمكانيات الذاتية أو المجتمعية لضعف هذه الإمكانيات أو لعدم تواجدها أو لأسباب خارجة عن إرادة الفرد أو الأسرة أو الجماعة مما يستوجب الحاجة لتقديم المساعدة المهنية المتخصصة^(٣)، وتصنف الأزمات إلى (بيولوجية - الكوارث المفاجئة - أزمات البيئة) كما تصنف إلى (أزمات فردية - جماعية - مجتمعية) كما تصنف إلى أزمات يغلب عليها (الطابع المعنوي - أزمات يغلب عليها الطابع المادي) وتصنف إلى (أزمات فجائية - أزمات متوقعة)^(٤) ، ويرى الباحث أنه يمكن استخدام مدخل الأزمة في مجال الدعوة الإسلامية من خلال علاج الأزمات التي يتعرض لها الأفراد والجماعات

(١) عبد الفتاح عثمان : المدارس المعاصرة في خدمة الفرد ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩ ، ص ٦١ .

(٢) عبد العزيز التروحي : نظريات خدمة الفرد ، الجزء الأول ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٣ ، ص ٤٠ .

(3) Donna c . aguilara and Janicem . Messick , Crisis Intervention Theory and Methodology , 3 ed , The c . v . mosdy co , saint louis , 1978 , p . 6.

(4) Donna c . aguilara and Janicem . Messick , Crisis Intervention Theory and Methodology , 3 ed , The c . v . mosdy co , saint louis , 1978 , p . 15.

والمجتمعات المسلمة وغير المسلمة ثم دعوتها إلى الله سبحانه وتعالى وربطهم بالخالق سبحانه وتعالى ، واستغلال موقف الأزمة لتوضيح أنها عقوبة من الله سبحانه وتعالى أو أنها ابتلاء منه ، ويجب الرجوع لمنهج الله سبحانه وتعالى (لا عقوبة إلا للذنوب ، ولا رفع لهذه العقوبة إلا بتوبة) .

سادساً : التنمية الخلقية بتكوين العادة :

يتكون السلوك وخاصة الخلق بالممارسة والاعتياد وبكثرة الفعل والمواظبة عليه مع استعمال وسائل الإغراء والترغيب التي من شأنها أن تحبب إليه إتيان هذا الفعل الحميد واستخدام وسائل التنفير لكل ما هو ضده^(١) ، وهذا من الممكن استخدامه في مجال الدعوة الإسلامية في مجال العبادات مثل أداء الصلاة في أوقاتها والمواظبة عليها وأداء السنن والنوافل والحث عليها ، الزكاة ، الصوم ، الحج والعمرة ، والصدقة ، كما يمكن استخدامه في تكوين الفضائل والأخلاق ، وفي مجال الطاعات كمراعاة حقوق الجار وإمطاة الأذى عن الطريق والأمانة وعدم إيذاء الغير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

سابعاً : الترغيب والترهيب :

ويتم ذلك من خلال ترغيب (المدعو) في الإقبال على العبادات والقيام بالطاعات وترهيبه من عقاب الله في حالة استمراره في المعاصي ويمكن استخدام ذلك مع المسلمين ، كما يمكن استخدام هذا الأسلوب مع غير المسلمين بترغيبهم بالدخول للإسلام وتعديل عقائدهم ثم الاتجاه إلى العبادات والطاعات والإقبال عليها ، وترهيبهم من عذاب الله في حالة عدم دخول الإسلام^(٢) .

ثامناً : العلاج بالتوبة :

وهي ندم الإنسان على ما فات واستغفار الله ثم الاستقامة على الطاعة من غير ميل إلى المعصية ومن غير عودة إلى فعل الذنب^(٣) ، ويمكن استخدام هذا الأسلوب في مجال الدعوة الإسلامية للمسلمين غير الملتزمين ، وغير المسلمين بالتوبة إلى الله والدخول في الإسلام .

(١) محمد يصر : العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع ، ط ٣ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢ ، ص ٩ - ٢ .

(٢) محمد سلامة غباري : التدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خلمة الفرد) سلسلة كتب الخلطة الاجتماعية (٢) ط ٢ ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٢ .

(٣) فوزي سالم عفيفي : السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠٥ .

تاسعاً : العلاج بالصبر :

ويستخدم هذا النوع من العلاج عند الشدائد ، وهذا يتأتى بتنمية الإرادة وتدريبها وتكرار هذا التدريب حتى يصبح الصبر عادة ، وبالتالي يمكن استخدامه في مجال الدعوة الإسلامية عند الجزع والهلع من المصائب عند بعض المسلمين^(١) .

عاشراً : المساعدة على ترك رفاق السوء والاندماج في صحبة صالحة :

يمثل رفاق السوء عاملاً وسيطاً يساهم إلى جانب عوامل أخرى في الانحراف والبعد عن منهج الله إذا ضعف الإيمان بالله ، ولذلك يتطلب العمل إعادة المنحرف إلى الصراط المستقيم مرة أخرى ، ويتضمن دور الأخصائي العامل في مجال الدعوة ما يلي :

١ - تعريف المنحرف بالأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء وذلك بشرح الأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء من مخالفة لأوامر الله سبحانه وتعالى ونهيه عن مخالطتهم .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿فاعرض عن من تولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾^(٢) ، ويقول : ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾^(٣) .

٢ - تعريف المنحرف بالمزايا التي يجنيها الإنسان من الصحبة الصالحة في الدنيا والآخرة ، ويتضمن ذلك تعريف المنحرف بمزايا الصحبة الصالحة في الدنيا والآخرة .
يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾^(٤) .

٣ - تهيئة الصحبة الصالحة ومساعدة المنحرف على الاندماج فيها^(٥) ، وللأخصائي الاجتماعي دور كبير في إبعاد المنحرف عن رفاق السوء بعد ما يعلم المنحرف ما يناله من صحبتهم والإسراع بادماجه مع صحبة طيبة يطمئن إليها الأخصائي ، وذلك من زملاء

(١) محمد سلامة غباري : للدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خلمة الفرد) سلسلة كتب الخلمة الاجتماعية (٢) ط ٢ ، الأسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ١٠٤ .

(٢) سورة النجم : آية ٢٩ .

(٣) سورة الكهف : آية ٢٨ .

(٤) سورة لقمان : آية ١٥ .

(٥) علي حسين زيدان : دور الخلمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين (منظور إسلامي) للعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخلمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ - ١٣ أغسطس ، ١٩٩١ ، ص ٧٧ .

المدرسة أو العمل أو الجيرة أو الأقارب ، ويمكن الاستعانة في ذلك بالمؤسسات الموجودة في البيئة مثل المساجد والمدارس والأندية وغيرها .

الحادي عشر : العلاج بالعبادات :

العبادات هي الأقوال والأفعال التي أمر الله سبحانه وتعالى عبادة بقولها أو فعلها تحقيقاً لعبوديتهم وتقربهم إليه ، ويستهدف هذا النوع من العلاج مساعدة الشخص (المدعو) على الدخول في طاعة الله ، وإزالة ما قد يكون تراكم على قلبه من ألوان المعاصي واكتساب الحسنات التي تساعد على محو السيئات وتحصينه من غواية الشيطان .

التوجيه الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف

في الدعوة الإسلامية

د . السيد عبد الفتاح عفيفي

الجزء الأول - الإطار المنهجي للدراسة :

أولاً : مشكلة الدراسة وتساؤلاتها :

تبرز المشكلة بشكل واضح في موجات العنف والتطرف التي تتبناها بعض الجماعات الإسلامية في تصورها الخاص نحو الدعوة الإسلامية ، وممارسة العنف في أقصى درجاته إلى حد استباحة القتل أو تدمير بعض المنشآت - تحقيقاً لتوجهاتها نحو إحداث التغيير بالقوة والعنف ، ومهاجمة السيارات التي تنقل السائحين والأجانب لزيارة المعالم السياحية والاعتداء المسلح عليهم - مما أدى إلى مواجهات مسلحة مع أعضاء تلك الجماعات من قبل أجهزة الأمن في عدد من الدول الإسلامية مثل مصر ، الجزائر في الآونة الأخيرة .

وعلى الرغم من أن المجتمع المصري قد عرف بحضارته القديمة ومعرفته الرائدة للزراعة، واتسم المصري بالتدين - فقد ظهرت في المجتمع المصري بصفة خاصة خلال العقدين الماضيين تيارات العنف والتطرف والاعتداءات لعدد من الشخصيات العامة على أيدي شباب تلك الجماعات ، مما أثار التساؤلات لدى العامة والخاصة من أفراد المجتمع ، وليس بعيد اغتيال الدكتور / محمد الذهبي والدكتور / رفعت المحجوب ، والدكتور / فرج فوده ، ومحاولة اغتيال اللواء / حسن أبو باشا ، مكرم محمد أحمد، وصفوت الشريف .

وتكمن قضية الخلاف الجوهرية بين التيار الإسلامي المتنامي في مصر وبين الدولة في سعي هذا التيار إلى التغيير بالقوة بعد أن أعلنت الدولة رفضها لمقولة "الإسلام دين ودولة" تحت دعاوي كثيرة وإصرارها على عدم السماح بإنشاء حزب سياسي للإخوان المسلمين ، وتمسكها بالقوانين الوضعية دون تطبيق كامل للشريعة الإسلامية التي تقوم على الكتاب والسنة - وفي إيجاز شديد فهو خلاف بين التيار الإسلامي والعلمانية .

ولعل ذروة العنف في سلسلة الاعتداءات وأسلوب المواجهة المسلحة بين تلك الجماعات في مصر ، قد تجسد في حادث المنصة واعتقال أنور السادات في عام ١٩٨١ م ، حيث تتابعت أعمال العنف والتخطيط لها داخل تلك الجماعات رغم انقسام بعضها إلى فصائل وجماعات منشقة متعددة داخل التيار الإسلامي المتشدد ، لكنها تتفق جميعاً في

الجنوح إلى التطرف والمبالغة سواء بتكفير المجتمع أو الاغتراب عنه أو استخدام العنف المسلح. وعلى الرغم من أن المجتمع المصري في أعقاب النكسة العسكرية عام ١٩٦٧ م قد عانى من الإحساس بالهوان ، إلا أنه قد واکب عملية تصحيح مسار الأمة تنامي التيار الإسلامي في مصر خاصة بين الشباب - بل وشجع النظام السياسي هذا التيار لضرب التيارات اليسارية التي سعت بشدة إلى إبراز دور فاعل لها في الحياة الاجتماعية والسياسية بالمجتمع .

ثم جاء النصر من عند الله في حرب رمضان ١٣٩٣ هـ على العدو الصهيوني ليعزز فينا وعد الحق بنصره للمؤمنين ، وليؤكد ما شاع في الشارع المصري بعد النكسة بأن النصر قريب بعد العودة إلى الله .

ولكن وجه الغرابة الذي يمثل مشكلة الدراسة الرئيسية هو ذلك التناقض الصارخ بين ما يدعونا إليه الدين الإسلامي الخفيف من ناحية ، وتلك الممارسات المتطرفة لبعض أعضاء الجماعات الإسلامية من ناحية أخرى ، رغم علمهم بأن الإسلام يدعونا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة دون مبالغة أو تطرف فالإسلام هو دين المحبة والرحمة - وهل غايتهم في فرض التغيير بالقوة يبرر وسائلهم التي يمارسونها ؟

ويتفرع عن المشكلة الرئيسية عدة تساؤلات عن هؤلاء الشباب الذين اندمجوا في زمرة تلك الجماعات - هل هم ضحايا أم مذنبون ؟ وإذا كانوا ضحايا - فهم ضحايا من ؟ الدولة التي شجعت التيار الإسلامي في البداية ، ثم تراجعت تخوفاً من تسلطه وانتشاره نحو الحكم - أم هم مذنبون ؟

وهل ساعدت أساليب التحاور الخاطئة مع شباب تلك الجماعات ، وتبادل العنف بالعنف ووسائل الإعلام المرئية على تحدي مشاعر هؤلاء الشباب ، إضافة إلى مشكلات البطالة بين خريجي الجماعات والمعاهد العليا والمتوسطة ، وارتفاع الأسعار والتضخم ، التي هيأت المسرح السياسي والاجتماعي لمزيد من العنف والتطرف والعداء نحو السلطة ، ووقوع هؤلاء الشباب فريسة سهلة لاستقطاب أصحاب المصالح في الداخل والخارج لضرب الأمن والاستقرار في المجتمع المصري ، إزاء تعثر الدولة في حل تلك المشكلات وشعور شباب الخريجين بالاغتراب والإحباط ؟.

ويبقى تساؤل أخير هل من حل لتلك المشكلة يضع كل تلك الاعتبارات في الحسبان وسط فهم واع للمتغيرات الثقافية والاجتماعية التي طرأت علي المجتمع المصري والعالمي ، يجعل من الشباب طاقة خلاقة مبدعة نستثمرها في بناء الأمة بدلاً من أن تكون معول هدم ضدها ، ولتكتاف الدولة مع الشباب - كل الشباب - في ممارسة مهام الدعوة الإسلامية كما جاءت في الكتاب والسنة ؟

ثانياً : مفاهيم الدراسة :

تشتمل هذه الدراسة على ثلاثة مفاهيم محورية ، يجدر توضيحها من وجهة نظر الباحث حتى يمكن معرفة المقصود بها دون لبس أو غموض - وهي المفاهيم التالية :

التوجيه الإسلامي ، والشباب ، والتطرف في الدعوة الإسلامية ، وبإيجاز شديد نحدد كل مفهوم على حدة فيما يلي :

١ - التوجيه الإسلامي :

يقصد به توجيه الشباب للتأسي بسيرة السلف الصالح في الدعوة للعقيدة فكرياً وسلوكاً على ضوء مصادرها الأساسية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

على أن تتم عملية التصحيح من خلال الحوار المباشر والمناقشة الواعية بصدر رحب مع الشباب الذين يقومون بالدعوة الإسلامية بأساليب متطرفة ، وذلك بأن يتولى علماء العلوم الشرعية والفقهية تصحيح المفاهيم التي اختلطت على هؤلاء الشباب دون مصادرة مسبق لأفكارهم ، حتى يصلوا بهم إلى حد الإقناع والاعتناع بالأسلوب الأمثل للدعوة الإسلامية .

٢ - الشباب :

يصنف العلماء الشباب وفقاً لثلاثة معايير هي : المعيار الزمني ، والمعيار الاجتماعي والنفسي ، وهو الذي يحدد المفهوم طبقاً للقيام بأدوار اجتماعية معينة في البناء الاجتماعي والحالة النفسية التي تصاحب مرحلة عمرية معينة تتسم بالحياة والقدرة على التعلم والمرونة وغيرها ، والمعيار البيولوجي يربط بين اكتمال البناء العضوي لجسم الإنسان كالغدد والعضلات .

وقد رأيت الأخذ بالمعيار الزمني للشباب الذي يحدد مفهوم الشباب بمرحلة عمرية تتراوح ما بين ١٥ - ٣٠ سنة^(١) بوصف هذه المرحلة حجر الزاوية في كل التغيرات الأخرى التي تطرأ على الفرد .

٣ - التطرف في الدعوة الإسلامية :

يقصد بهذا المفهوم استباحة استخدام أساليب العنف والتخريب والنقض لكل من يعرق تقدم تلك الجماعات نحو أهدافها في تحقيق التغيير بالقوة - مما يشوه صورة الإسلام والمسلمين بل ويسيء إليهم ويخرج عن أصول الدعوة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

(١) المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية : المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري (١٩٥٢ - ١٩٨٠م) ،

القاهرة ، بلون ناشر ، ص ١٨١ .

ثالثاً : منهج الدراسة :

يعتبر المنهج العلمي هو الإطار الموجه لمسار الدراسة أو البحث لتحقيق أهدافه واختيار فروضة أو تساؤلاته ، وعلى ذلك فهو طريقة علمية منظمة لتقصي الوقائع (١) .
وتقوم هذه الدراسة على استخدام المنهج الوصفي التحليلي بوصفه المنهج الملائم لطبيعة الدراسة وتساؤلاتها .

رابعاً : البحوث والدراسات السابقة :

تعتبر دراسة التراث السابق من الدراسات والبحوث المتعلقة بمشكلة الدراسة مطلباً أساسياً للباحث لتعميق فهمه وإلمامه بأبعاد المشكلة ، وجوانبها المختلفة إلى جانب ضمان الابتعاد عن التكرار ، والبحث والدراسة في جوانب لم تزل الاهتمام الكافي من البحوث السابقة ، حتى يتحقق دائماً للعلم من خلال التراكم المعرفي ، والتحليل الدقيق للجوانب الغامضة دوام الازدهار والنماء.

وعلى الرغم من أن مشكلة الدراسة يندر وجود بحوث ودراسات سابقة مماثلة تماماً لموضوعها بشكله الراهن ، إلا أنه بمراجعة التراث المتعلق بالدراسات الإسلامية، والدراسات السوسولوجية تبين وجود عدد من الدراسات والبحوث ، وإن اقتضت إلى التكامل أو المزاوجة في تناول موضوعاتها بين المنظور الإسلامي ورؤية علم الاجتماع للعمل في مجالات الدعوة الإسلامية باستثناء دراسة واحدة ، هي دراسة زكي محمد إسماعيل ، بعنوان علم الاجتماع وتطبيقاته في مجال الدعوة الإسلامية ، مما يعكس لنا الحاجة إلى إبراز التوجه الإسلامي .

وفيما يلي عرض لتلك البحوث والدراسات :

- ١ - بحث جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٠ م - بعنوان - الشباب المصري في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وقد طبق البحث على عينة من الشباب قوامها عشرة آلاف شاب من فئات الطلاب ، والعمال والفلاحين ، والحرفيين ، وأصحاب المهن الفنية العالية ، والموظفين وربات البيوت - وتراوح أعمارهم ما بين ١٨ - ٣٠ سنة .
- وقد طبق الباحثون استمارة مقابلة ضمت (١٢١) سؤالاً تناولت إلى جانب البيانات الأساسية للمبحوثين دراسة القيم والاتجاهات السلوكية ، والاتجاهات الدينية ، والمشاركة

(1) Jahan , Gultuny : Theory and Methods of social Research . London George Allen ,
unwin, 1967 . p . 148.

الاجتماعية ، والمشاركة السياسية ، واتجاهات الشباب نحو وسائل الإعلام ودورها في تناول الإعلام الشبابي^(١) .

٢ - بحث عبد الله غلوم حسين ، عبد الرعوف عبد العزيز الجرداوي ، بعنوان : اتجاهات الشباب ومشكلاته - "الكويت - دراسة تطبيقية" وقد تناول هذا البحث في إطاره النظري عرضاً لاحتياجات النمو في مرحلة الشباب والمشكلات المصاحبة لنمو الشباب مثل التمرد على السلطة ، والعنف والثورة ، والانحرافات السلوكية والاعترا ب^(٢) .

كما ناقش وضع الشباب العربي في مواجهة الاعترا ب ، وأوضاع الشباب في الكويت والخليج العربي ، وعرض البحث نتائج الدراسة الميدانية التي طبقها باستخدام استمارة بحث شملت (٧١) سؤالاً تم تطبيقها على عينة عشوائية من الشباب الكويتي ممن تتراوح أعمارهم بين ١٨ - ٢٤ سنة ، وقد بلغ حجم العينة ٧٣ حالة .

وقد أسفر البحث عن اتجاهات إيجابية من المبحوثين نحو الأسرة والمؤسسات التعليمية والمؤسسات الدستورية ، والصحافة ، والتعاون العربي والخليجي واتجاهات سلبية نحو العمل ونحو مراكز الشباب والمكانة الاجتماعية وارتباطها بالاعتبارات الطبقية والعائلية ، وظهور المشكلات السلوكية بين الشباب وعجز المدرسة عن حل كثير منها ، ونقص مجالات الترويح .

٣ - دراسة زكي محمد إسماعيل بعنوان : علم الاجتماع الإسلامي وتطبيقاته الميدانية في مجال الدعوة - دراسة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا - وقد أكدت الدراسة الحاجة إلى وجود علم الاجتماع الإسلامي ، حيث يعني بدراسة النظم والظواهر الاجتماعية من خلال منظورين متميزين عن علم الاجتماع العام وهما المنظور البنائي أو المجتمعي الذي يضع في حسابه نوعية التكوين البنائي للمجتمع موضع الدراسة والعلاقات الاجتماعية في إطارها الداخلي بين المسلمين وبعضهم البعض ، أو في إطارها الخارجي بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى - وعلاقة الظاهرة الاجتماعية موضوع الدراسة بغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى ، أما المنظور الثاني فهو المنظور القيمي أو العقائدي . لإبراز مدى اتساق النظم والوقائع الاجتماعية مع مبادئ الشريعة الإسلامية ، ويفرق الباحث بين علم الاجتماع العام وعلم الاجتماع الإسلامي ، كما يفرق بين علم الاجتماع الإسلامي

(١) جامعة الإسكندرية : الشباب المصري في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، الإسكندرية ، بلون ناشر ، ١٩٨٦ م .

(٢) عبد الله غلوم حسين - عبد الرعوف عبد العزيز الجرداوي : اتجاهات الشباب ومشكلاته - "الكويت - دراسة تطبيقية" في - دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي ، المئمة ، مكتب للتابعة لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٧ - ٨٨ .

وعلم الاجتماع الديني ، مؤكداً أن علم الاجتماع الديني يهتم بدراسة الأنساق الدينية السائدة في مختلف أنواع المجتمعات البدائية ، والتقليدية والحديثة ، على اختلاف معتقداتها الدينية وأديانها السماوية وغيرها .

بينما علم الاجتماع الإسلامي هو العلم الذي يدرس النظم والظواهر الاجتماعية في مجتمع إسلامي ومن منطلق قيمي إسلامي ، ويشير الباحث إلى أن دراسة علم الاجتماع الإسلامي تساعدنا في الاستفادة بنظرياته ونتائجه وتعميماته في مجال الدعوة الإسلامية والوعظ والإرشاد كميدان للتطبيق العلمي ، حيث يتولى دعاة المسلمين ، وأولو الأمر من حكام المسلمين وضع توجيهاتها ونتائجها الإمبريقية موضع التنفيذ مما يؤدي إلى نجاح جهود الدعوة الإسلامية وتقبلها ومساندتها^(١) .

٤ - دراسة المجالس القومية المتخصصة بعنوان : تربية المواطن السوي ومواجهة الانحراف والتطرف ، وقد أشارت الدراسة إلى أن التطرف ظاهرة قديمة قدم الإنسان على الأرض ، ولكنه أصبح سمة العصر في النصف الثاني من القرن العشرين في مختلف دول العالم ، وتشير الدراسة إلى أن المجتمع المصري يمر الآن بفترة حرجية من حياته تتسم - عند البعض - باهتزاز القيم واضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية ، والجنوح إلى التطرف .

وتفسر هذه الدراسة دوافع وعوامل الانحراف والتطرف في المجتمع المصري بأنها نتاج للتغيرات الكثيرة والمتلاحقة فيه سواء كانت تلك التغيرات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية مما هيأ الفرصة للتطرف .

وتشير إلى تلك التغيرات بالآثار الناجمة عن الحروب الأربعة التي استنزفت الموارد في ظل تدهور خدمات البنية الأساسية والإسكان والمرافق والخدمات والإنتاج ، وتضاؤل دور الأسرة في تنشئة الأبناء نتيجة لانصراف الأب للعمل في الداخل أو الخارج ، وخروج كثير من الأمهات إلى العمل ، وقصور جهود الدعاة ، مشكلات البطالة بين الشباب وتسلل بعض المغرضين لمجال الدعوة .

وتعرض الدراسة لمقومات التنشئة السليمة والشخصية السوية ، وتبرز حاجة الشباب إلى إدراك الفهم الصحيح للإسلام وتوضيح القضايا الخلافية لهم والتي تثيرهم على المجتمع وفي مقدمتها الشريعة الإسلامية ، وأساليب الدعوة والتربية الدينية وتأثير أجهزة الإعلام . وتبرر الدراسة عدم عقلانية مطالب الشباب المتطرفين حول هذه القضايا ، بأن الدستور المصري ينص على أن الإسلام هو دين الدولة ، ومبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر

(١) زكي محمد إسماعيل : علم الاجتماع الإسلامي وتطبيقاته الميدانية في مجال الدعوة - في - مجلة كلية العلوم

الاجتماعية ، والرياض ، ع ٧ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م ، ص ٢٩٥ - ٣١٨ .

الرئيسي للتشريع - وأن كافة القوانين (المدني ، العقوبات ، والمرافعات والإجراءات الجنائية، والأحوال الشخصية) كلها تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية .

وأخيراً تنتهي الدراسة بعرض لبعض التوصيات تؤكد على ضرورة ممارسة الأزهر لدور أكبر في مجال الدعوة والفتوى ، ودعم مجمع البحوث الإسلامية ، وعودة هيئة كبار العلماء والدعوة إلى الحوار مع الجماعات المتطرفة ، وتدعيم دور الأسرة في رعاية الأبناء والاهتمام بالتربية الدينية والاجتماعية على مدار مختلف المراحل التعليمية^(١) .

وقد أفادت البحوث والدراسات السابقة الباحث في فهم مشكلة الدراسة الحالية وصياغة تساؤلاتها - لتكون إضافة جديدة تضاف إلى رصيد تلك الدراسات سعياً لفهم أعمق لكيفية التغلب عليها ومواجهتها .

الجزء الثاني : الإطار النظري للدراسة :

إذا أمعنا النظر في التراث النظري لمشكلة الدراسة لوجدنا قد برز في جانبيين من الدراسات كل منهما يغطي بعداً هاماً ، فالجانب الأول - يغطي قضية التوجيه الإسلامي في نشر الدعوة الإسلامية ، ثم يوضح معنى الدعوة لغة واصطلاحاً كما يتناول كيفية الدعوة للإسلام ومشكلات الدعوة .

أما الجانب الثاني - فقد تناول قضية النهم الخاطيء للدين لدى بعض الشباب وعلاقته بالتطرف ، كما تناول أحوال الشباب المصري في ظل المتغيرات المحيطة به محلياً وعالمياً ، والتحول من الإحياء الإسلامي إلى التطرف ، ثم عرض لأساليب التوجيه الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف .

وقد حرص الباحث على تناول التراث النظري بمنظور نقدي ، يقوم على الموضوعية والتحليل العلمي دون تقليل من جهد أحد أو القيمة العلمية للاجتهاد في تحليل القضايا المتصلة بمشكلة الدراسة من سبقه في تناولها من الباحثين .

وفي إيجاز شديد نعرض لتلك الموضوعات عى النحو التالي :

١ - التوجيه الإسلامي في نشر الدعوة الإسلامية :

ينشق هذا التوجيه من المصدرين الأساسيين للعقيدة الإسلامية وهما : القرآن الكريم والسنة المطهرة ، بوصفهما المنبع والمنهل الرئيسى للعقيدة والأصل الذي يحسم أي قضايا خلافية قد تثور بين الناس وبذلك تكون هي الفصيل الحاسم لما يدور من جدل حولها .

(١) المجالس القومية المتخصصة : تربية المواطن السوي لمواجهة الانحراف والتطرف ، القاهرة ، المجلس القومي

للخدمات والتنمية الاجتماعية، الدورة الحادية عشرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٧٣ - ١٨٤ .

ومن ناحية أخرى فإن القرآن والسنة لم يكتفيا بإسداء النصيحة وعرض العظة والعبرة ليتذكر أولو الألباب ، وإنما تخطت هذا الأمر من حدود التعريف ، والإبلاغ ، والتوعية والتبصير إلى الفعل الاجتماعي (Social Action) والدعوة إليه بالتوجيه للعمل والتصدي للخطأ بمواجهته بتصحيحه وتقويمه.

كذلك فإن "المتبع لأبعاد التحليل الاجتماعي في القرآن يستطيع أن يقف على أكثر من أربعمئة من ميادين المعرفة الاجتماعية ، يشتق منها الباحث أفكاراً وقضايا عامة يمكن أن توجه اهتماماته الامبريقية المختلفة ، وتشكل في جملتها إطاراً تصورياً ملائماً لدراسة الواقع" (١) وللتوجيه الإسلامي أساليبه في نشر الدعوة سنتناولها فيما بعد .

٢- معنى الدعوة لغة واصطلاحاً :

للدعوة لغة ، معان متعددة يمكن إيضاح أبرزها فيما يأتي :

- أ - الدعوة للشئ . بمعنى الحث على قصده .
- ب - الدعوة بمعنى النداء فيقال دعا فلان فلاناً ، إذا ناداه ، ودعوت الرجل إذا صحت به واستدعيته .
- ج - الدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقاً أو باطلاً - مثلاً قول الحق تبارك وتعالى عن يوسف عليه السلام ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾ (٢) .
- د - المحاولة القولية أو الفعلية والعملية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة (٣) .
- هـ - الابتهاال والسؤال : جاء في المصباح المنير ، في مادة "دعا" - دعوت الله دعاء أي أبتهل إليه بالسؤال ، وأرغب فيما عنده من الخير .
- و يطلق لفظ الداعية على من يدعو إلى هدى أو ضلال ، ويؤكد ذلك قول الرسول عليه السلام : "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً" (٤) .

(١) بشارات علي : أسس علم الاجتماع وقضاياها من منظور قرآني إسلامي - عرض وتحليل محمد علي محمد في بحالات علم الاجتماع المعاصر (أسس نظرية ودراسات واقعية) الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ١٦-١٧ .

(٢) سورة يوسف : آية ٣٣ .

(٣) المصباح المنير - في مادة دعا .

(٤) رواه مسلم ، وأبو داود ، وكتاب السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فكل داع يتميز بإضافته إلى ما يدعو إليه ، ويقول الإمام ابن القيم : الدعاة جمع داع كقاض وقضاه ورام ورماة ، والدعوة الإسلامية تعني الدعوة إلى الله بدعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام وإلى تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ - شريعته (١) .

٣ - كيفية الدعوة للإسلام ومشكلات الدعوة :

دعوة الناس إلى الإسلام ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، واجب إسلامي والدعوة إلى الإسلام هي المهمة الأساسية لكل داعية .

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ (٣) .

كما دعت السنة المطهرة إلى واجب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : - "يا أيها الناس إن الله يقول لكم ، مروا بالمعروف وانها عن المنكر ، قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألوني فلا أعطيكم ، وتستصروني فلا أنصركم" (٤) .

وللدعوة الناجحة للإسلام أصول وقواعد يجب أن يحرص عليها الدعاة ، فالدعوة موجهة لكل الناس لهذا فهي تستلزم من الداعية أن يخاطب كل فئة وفقاً لمستوى قدراتها تأسيساً بالرسول الكريم ، لقوله عليه الصلاة والسلام : "نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ، نكلمهم على قدر عقولهم" (٥) .

والطريق إلى دعوة الناس للإسلام ليس أحادي الاتجاه ، ولكنه ذو مداخل متعددة يسلكها الدعاة حيث يبدأون بإثارة اهتمام الناس بالإسلام بما يشعرهم بوجوده كمنهج حياة وكإمامة ، وكقيادة، وكريادة وسط التيارات والقوى العالمية المتصارعة .

(١) جمعة أمين عبد العزيز : الدعوة - قواعد وأصول ، ط ٢ ، الإسكندرية ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ١٤-١٥ .

(٢) سورة آل عمران : آية رقم (١٠٤) .

(٣) سورة فصلت : آية رقم (٣٢) .

(٤) رواية الترمذي - وقال حديث حسن .

(٥) رواه أبو داود .

وتلك خطوة تمهيدية لتهيئة عقول الناس ونفوسهم للتلقي تسبق عملية الإقناع^(١) ، ليتحولوا من حالة التلقي إلى حالة الفعل والإيمان سلوكاً وممارسة كمرتبة أعلى . ولنا في القرآن الكريم والسنة النبوية عظة وعبرة في الوسائل المناسبة للدعوة الإسلامية إذ تعتمد أساليب الدعوة على الحكمة ، والعظة الحسنة ، ومخاطبة الناس بالأسلوب المناسب لهم - تنفيذاً للتوجيه الرباني في قوله تعالى :

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٢) وقوله جل شأنه : ﴿وَمَنْ يَأْتِ الْحُكْمَ فَقَدْ أَوْتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٣) .

وتقوم الدعوة الإسلامية على إثارة اهتمام الناس بالإسلام كمنهج حياة من خلال تبني الدعوة للقضايا التي تشغل بالهم وحلها حلاً إسلامياً مناسباً ، مما يزيد من تهيئة عقولهم ومشاعرهم لتقبل المزيد من الفكر الإسلامي ، وهو ما يتفق مع مقولات النظرية العامة للقيمة للعالم رالف بري R.Perry التي ترى إمكانية تعديل القيم والاتجاهات لدى الناس إذا كونا لديهم اهتمامات جديدة^(٤) .

كما يجب أن يتصف المشتغلون بالدعوة بعدد من الصفات التي تؤهلهم لنجاح الدعوة ذاتها ، فالداعية يجب أن يلتزم بالعمل بما يقول ليكون قدوة ومثلاً لقومه لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥) .

كما يجب أن يتعدى الدعاة عن التجريح أو نقد أشخاص بعينهم أو توجيه التهم إليهم أو سبهم إذ نهى النبي (ص) عن ذلك لقوله "إني لم أبعث سباً ولا شتاً" كذلك فإن الإسلام يرفض أن يستعمل بعض أئمة المساجد منابر مساجدهم لأغراض شخصية ، وأن يتناول نقد الدعاة الجوانب الخاصة لبعض الأشخاص العامة لأن هذا ممن قبيح الغيبة المحرمة والتشهير بالناس .

ومن محظورات الدعوة أن يصدر بعض الدعاة حكمهم على بعض المسلمين بأنهم من أهل النار أو كفار خارجون عن الإسلام ؛ لأنهم لا يلتزمون بالإسلام في أعمالهم الظاهرة ، فليس الدعاة قضاة يصدرون قرارات بالرضا أو الحرمان من رحمة الله ، فالله وحده هو الأعلم بذلك وهو الذي سيتولى محاسبة عباده .

(١) فتحى يكن : كيف ندعو إلى الإسلام ؟ ط ٣ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٢٧ -

(٢) سورة النحل : آية رقم ١٢٥ .

(٣) سورة البقرة : آية رقم ٢٦٩ .

(٤) فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ٢٦ .

(٥) سورة فصلت : آية رقم ٣٣ .

ومسئولية الدعوة المتخصصة في دقائق وتفصيلات الأحكام الشرعية ليست مشاعاً لعامة الناس، وإنما هي من اختصاص العلماء حراس الدين، لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١).

بينما يجب على كل مسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ألا يتخطى حدود معرفته اليقينية وأن يترك الأمور المتخصصة والفتوى للعلماء المتخصصين، "إذ أنه لا بد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون عالمياً بما يأمر به وما ينكره، وقد عرف عن معظم هؤلاء أنهم من عوام الناس ولم يصلوا إلى هذه المرتبة التي تؤهلهم أو تمكنهم من فهم الدين أو الاجتهاد فيه. فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، كذلك لا بد من العلم بحال الأمور والمنهي، وهذا لا شك لا يتوافر في هؤلاء الذين حكموا على المجتمع بالكفر وخرجوا على الحاكم المسلم مع أنه يقيم الصلاة ولا ينكر الحكم بما أنزل الله وإن تأخر التطبيق لأسباب يمكن أن تزول يوماً ما" (٢).

وتواجه الدعوة الإسلامية مشكلات عديدة تعوقها عن تحقيق أهدافها المرجوة نحو فهم صحيح للعقيدة الإسلامية واتخاذها منهجاً للحياة سلوكاً وممارسة لإقامة المجتمع الإسلامي، ونشر الدعوة الإسلامية وتوصيلها لغير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة ولعل من أهم تلك المشكلات ما يلي:

أ- تخوف بعض حكام المسلمين من تطبيق الشريعة الإسلامية في بعض المجتمعات الإسلامية التي تضم أقليات دينية أخرى - تجنباً لاحتمالات حدوث فتنة طائفية بين أبناء الأمة تترقبها تيارات معادية أجنبية لإشغالها وضرب الوحدة الوطنية، والدعوة إلى الانقسام وتقسيم البلاد، مما دفعهم إلى تشجيع التيار العلماني لمواجهة تلك الصخرة.

ب- انصراف المسلمين عن أمور الدعوة الإسلامية وانشغالهم بالصراعات المذهبية السائدة بينهم، بين الشيعة والسنة من ناحية، وبين أبناء المذاهب المختلفة من أهل السنة من ناحية أخرى - مما أدى إلى فرقة المسلمين وتأخرهم والإساءة إلى الدعوة الإسلامية وسمعتها، وهي براء مما يمارسون من ألوان العنف والبطش خلال صراعاتهم الدائر.

(١) سورة التوبة: آية رقم ١٢٢.

(٢) عبد الغفار عزيز: مشكلات الدعوة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه، القاهرة، مؤتمر رابطة

الجامعات الإسلامية - عن دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة والتسيق بين كليات الشريعة، في الفترة ما

بين ٢٤/٢٠ شعبان ١٤٠٧هـ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٣١.

ج - انتشار المفاهيم الخاطئة بين جماعات التيار الإسلامي المتصارعة ، والتي تتعارض مع الفهم الصحيح للدين الإسلامي ، والجنوح إلى التطرف والمبالغة فكرياً وممارسة ، وإثارة نفوس الشباب وتعبئتها ضد الدولة وعلماء الدين ، والدعوة إلى الخصومة معهم مما أدى إلى "تشدد بعض الشباب واعتقادهم بتحريم كثير من الأمور مما لم يتفق علماء الأمة على تحريمه إلى حد أن بدأت تنتشر بعض الكتيبات التي تدعو الشباب إلى فكر معين" .

وقد أدى ذلك إلى بلبلة أفكار هؤلاء الشباب وتأثر الكثيرين منهم بتلك الأفكار ، فوقعوا صرعي الأمراض النفسية وأصبحوا حيارى بين ما يقوله العلماء الرسميون وما يروج له هؤلاء الذين دعوا الشباب إلى رفض هؤلاء العلماء وما يقدمونه لهم من فتاوى وأحكام .

ومن أمثلة الكتيبات التي نشرتها بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة والحافلة بالمفاهيم الخاطئة عن النظام الإسلامي ، ذلك الكتيب الصادر قبل انتخابات مجلس الشعب في مصر التي تمت بتاريخ ٦ إبريل ١٩٨٧ م - بعنوان : (القول السديد في بيان أن دخول المجلس مناف للتوحيد) ، وهو اختصار لرسالة إبلاغ الحق إلى الخلق ، لفضيلة الشيخ سيد الغباشي حيث يدعى هذا الكتيب إثبات تحريم الانتخابات والمشاركة في عضوية المجالس التشريعية عن طريق هذه الانتخابات ويرون أن ذلك جاهلية ، ويطلقون عليها مجالس الشرك والفسوق والعصيان^(١) .

د - غياب التخطيط العلمي لنشر الدعوة الإسلامية ، والحاجة إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة عنها لدى الشباب داخل الأمة الإسلامية وخارجها ، في الوقت الذي يخطط فيه أعداء الإسلام لضرب الصحوة الإسلامية في الداخل والخارج وتمزيق العالم الإسلامي والتخطيط لإثارة الفتن بين قياداته وشغلها بحروب أهلية طاحنة تستنزف قواها وقدراتها ، ترجساً منها وخيفة ، والعمل على أدها قبل أن يشتد عودها بعد أن بدأوا يتطلعون إلى الإسلام كحل لمشكلاتهم في معية انهيار وسقوط أئمة الشيوعية والمادية الزائفة وفشلها في إسعاد البشرية كما كانت تدعى^(٢) .

هـ - ضعف الموارد المالية المخصصة للدعوة الإسلامية الصحيحة في العالم الإسلامي لتمكينها من نشر الدعوة خارج حدوده في الأمم غير الإسلامية .

(١) عبد الغفار عزيز : مشكلات الدعوة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه ، مرجع سبق ، ص ٥ - ٦ .

(٢) السيد عبد الفتاح عفيفي : الشخصية الإسلامية - مقوماتها وأساليب تنميتها في السياق الثقافي للعاصر - دراسة اجتماعية من منظور الثقافة والشخصية ، دراسة مقدمة للمؤتمر الثاني لتوجيه الإسلام للخدمة الاجتماعية في الفترة ما بين ٧ - ١٠/٨/١٩٩٣م بالقاهرة ، الذي ينظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص ٢ .

و - الحاجة إلى إعادة النظر في الإعداد العلمي للدعاة من خريجي الجامعات الإسلامية وتعميق قدراتهم على حمل أمانة الدعوة الإسلامية بشكل متخصص ، والعناية بدراسة اللغات المختلفة والعلوم الإنسانية الأخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها إلى جانب العلوم الشرعية المتخصصة بعد أن أظهر واقع الممارسة تدني مستويات الإعداد العلمي والمهني للأجيال الجديدة.

٤ - الفهم الخاطي للدين لدى الشباب وعلاقته بالتطرف : ^{حرم}

يعتبر الفهم الخاطي للدين لدى الشباب من أخطر العقبات التي تواجه مسيرة الدعوة الإسلامية وتسيء إليها ، ويخالفني الشك في أن شحن الشباب المصري بالتفسيرات الخاطئة المتنافية للعقيدة الإسلامية الصحيحة دفع به إلى المغالاة والتطرف واستجابة العنف والقتل - هو أمر مخطط ومقصود من قبل جماعات في الداخل والخارج ، وترتدي عباءة الإسلام لضرب الفكر الإسلامي الصحيح لأهل السنة الذي طالما عهدته مصر على مر العصور .
وفيما يلي عرض موجز لنماذج من صور الفهم الخاطي لدى بعض الجماعات المتطرفة في فهمها لعدد من القضايا المتصلة بالنظام الإسلامي :

أ - سوء فهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويرون أن تغيير المنكر باليد وبالقوة هو أمر واجب وجوباً غنياً على معشر الشباب ، بل وينسبون هذا الفهم للإمام ابن تيمية في كتابه (مجموع الفتاوى) ، وهو فهم قاصر منهم يسيئون به إلى الإمام المفترى عليه ، إذ يؤكد الرجل على ضرورة الرفق في الدعوة ، ويستدل على ذلك بحديث النبي - ﷺ - " ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا كان العنف في شيء إلا شانه " .

ويرى الإمام ابن تيمية أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن تتوافر فيه ثلاثة شروط هي : العلم ، والرفق ، والصبر ، العلم قبل الأمر والنهي ، والرفق معه ، والصبر بعده .
أما من يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان أو باليد من غير فقه أو علم وبلا حكمة وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح ، وما يمكن وما لا يمكن فيصفهم الإمام نفسه بأنهم معتدون في حدود الله مع أنهم يأتون بالأمر والنهي معتقدين أنهم بذلك يطيعون الله ورسوله ، وقد فعل ذلك كثير من أهل البدع والأهواء كالخوارج والمعتزلة والرافضة^(١) .

ب - تنادي بعض الجماعات (الإسلامية) بتكفير المجتمعات الإسلامية الحالية في كثير من الدول الإسلامية لأنها لم تعد ملتزمة على حد زعمهم بالعقيدة الإسلامية ويكفرون الحاكم ويرون الخروج عليه لعدم تطبيق حكم وشرع الله ، وفكرة التكفير وفدت إلى مصر

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر : - عبد الغفار عزيز : مشكلات الدعوة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه

مرجع سابق ، ص ٢٨ - ٢٩ .

نقلًا عن المفكر الباكستاني المسلم أبو الأعلى المودودي بعد مقتل حسن البنا ، وبالغ في تطويرها سيد قطب . ولهذا يؤمنون باعتزال المجتمع لجاهليته وعودته إلى عصور الجاهلية قبل الإسلام^(١) ، وقد تبنى هذا الفكر المتطرف شكري مصطفى ، أمير جماعة التكفير والهجرة وأتباعه ، دون وعي باختلاف السياق الثقافي والديني للمجتمع المصري عن الفكر الهندوكي ، والجمع بين المجتمع والدولة في خصوصتهما .

ج - رفض فتاوى علماء الأزهر ومفتي البلاد وما يصدر عن دار الإفتاء الرسمية للبلاد ، والدعاة العاملين بوزارة الأوقاف في مصر ، ووصفهم بأنهم علماء السلطة ، والنظام السياسي ، يطوعون الدين على هوى الحاكم - على حد زعمهم - لهذا فإن فتواهم - في رأي تلك الجماعات (الإسلامية) - غير شرعية ، بل ويتمادى المتطرفون في وصفهم لهؤلاء العلماء بأنهم علماء السوء والضلال ولا أمل فيهم ولا رجاء منهم وقد غضب الله عليهم كأخبار اليهود .

ونحن نتساءل هنا هل من الدين كل هذا التطاول والافتراء والتعميم المطلق وإصدار الأحكام على المسلمين ونسبها إلى رب العباد عز وجل ؟

إن هذا التضليل الذي تتحمل أوزاره قيادات وزعامات تلك الجماعات التي تصدر تلك الأحكام مسئولة أمام الله عن النتائج المدمرة في حق الدين والأمة عندما يتلقاها شباب تلك الجماعات على أنها فتاوى وأوامر عليهم طاعتها طاعة مطلقة ، فيستبيحون العنف والقتل والإرهاب لكل من خالفهم في الرأي .

هـ - تحريم الجندية والهروب من الخدمة العسكرية ، بدعوى أن الجيش لا يقاتل في سبيل الله ادعاء باطل من تلك الجماعات ؛ ذلك لأن الدفاع عن الوطن أمر إلهي بنص القرآن الكريم في الدعوة للاستعداد العسكري لقوله تعالى :

﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ، تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ .

هـ - رفض إقامة الأحزاب السياسية والنظم البرلمانية الحالية ، والمطالبة بنظام الحكم الإسلامي الكامل الذي يقوم على الخلافة ، حيث لا يكون الحكم فيه إلا لمتخصصين في الدين الذين سماهم القرآن الكريم أهل الذكر ، وتستشهد الجماعات (الإسلامية) برفض حكم الأغلبية بقوله تعالى :

﴿وَإِنْ تَطَعَ أَكْثَرُ مِنَ الْأَرْضِ يَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

وهنا يظهر سوء فهم تلك الجماعات لهذا النص القرآني ، إن عقويا أو بقصد يعلمه الله ، إذ المقصود بمفهوم "أكثر من في الأرض" في زمن الرسول - ﷺ - هم الكفار^(٢) .

(١) سيد قطب : معالم في الطريق ، ط ٨ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ص ١١ .

(٢) عبد الغفار عزيز : مشكلات الدعوة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٧ وما بعدها .

الذين لا تعنيهم مصلحة الإسلام والمسلمين ، وليس المسلمين الذين أمرهم الله بالتعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان .

وقد كانت أول انتخابات في الإسلام في عهد الرسول الكريم في بيعة العقبة عندما طلب من الأوس والخزرج أن يختاروا بمعرفتهم اثني عشر نقيباً يمثلونهم فاختاروا ثلاثة من قبيلة الأوس ، وتسعة من الخزرج ، بنسبة عدد أفراد كل قبيلة .

٥- الشباب المصري في ظل المتغيرات، والتحول من الإحياء الإسلامي إلى التطرف:

تمثل شريحة الشباب المصري الشريحة العريضة في التركيب الديموجرافي للمجتمع ، وهو نفس الحال في معظم مجتمعات العالم الثالث . وقد وصلت نسبة الشباب في مصر نحو ٥٨٪ من سكان المجتمع - تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٣٠ سنة والعناية بدراسة الشباب ودوره في المجتمع لا ترجع إلى الثقل الديموجرافي له فحسب ، بل إلى قدرته الفعالة على توظيف طاقاته الهائلة في تنمية المجتمع وتطويره إذا نجحت الدولة في استثمارها والاستفادة منها - إذ أن شريحة الشباب هي الشريحة التي تتطلع إلى مشاركة الكبار لمسئولياتهم وإشباع احتياجاتهم المختلفة في فرص عمل ملائمة ، ودخول ميسرة ، ومسكن مناسب .

ونجاح المجتمع في تحقيق متطلبات الشباب يؤدي إلى حالة من الاستقرار والتنمية وعلى العكس فإن فشل أو عجز النظام السياسي عن تحقيق تلك المطالب يجعل المجتمع - حسبما يذهب علماء الاجتماع السياسي - مهدداً بانفجارات اجتماعية عديدة قد تحمل قدراً من الفوضى^(١) ، والقطعية أو الخصومة بين الشباب والمجتمع وهي تؤدي إلى التمزق والتدمير لكل منهما .

وقد كشف البحث في قضية الشباب أن لهم حضورهم في المعادلة الجيلية أو الاجتماعية ، وأن لهم دورهم في مراحل التاريخ المختلفة في صناعة الفاعلية والحركة فيه .

ففي مصر كان لشباب الفلاحين الفضل في التنمية الزراعية منذ عصر محمد علي وشق الترع والقنوات واستزراع الأرض ، كما كان لهم أيضاً دورهم البارز في دعم الثورات السياسية منذ ثورة عرابي وثورة ١٩١٩ ، وثورة ١٩٥٢ - حتى تحقق الاستقلال السياسي للبلاد ، وحدثت تحولات ومتغيرات جديدة نتيجة لغياب التوجهات الملائمة ، وفقدان الهدف أو المشروع القومي الواحد الذي تلتف حوله الأمة ، وسعى النظام السياسي في مصر

(١) على ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، تأملات في ظواهر الأحياء والعنف ، القاهرة ، مكتبة الحرية الحديثة للطباعة

والنشر ، ١٩٩٠ ، ص ١٩ ، ص ٥٩ .

إلى التخلص من الجماعات الشبابية القومية التي تربطها أيديولوجية قوية تنبع من العقيدة الإسلامية ، بعد أن حلت الثورة الأحزاب السياسية الأخرى ، لتتخلص بذلك من كل ما يعرفها أو يقاسمها ولواء الجماهير لها، مما أدى إلى سلسلة درامية من المواجهة والعنف والخصومة بين النظام السياسي أو الدولة وبين الجماعات الإسلامية ، "كما أدى ذلك إلى تقييد الدولة لحركة الشباب ، وبدأ التخطيط للشباب والعمل الشبابي يأخذ شكل الوصاية ، بل وامتدت هذه الوصاية أحياناً لتشمل المجتمع المصري بأكمله ، ولقد أدى فرض الوصاية ورفض المشاركة ، وهدم قيم المجتمع القديم دون تأسيس فعال لسياق قيمي يقود مسيرة التنمية في مجتمع الثورة إلى خلق نوع من الفراغ^(١) ، وتنامي مشاعر الاغتراب وفقدان الانتماء ومعاداة النظام السياسي لتوجهاته نحو التغريب (Westernization) ، والعلمانية .

وقد أدى ذلك إلى بروز الجماعات السرية التي تدعو إلى الإحياء الديني كأدلة للتغيير بالقوة بعد أن يئست من الحوار الهادئ مع الدولة والنظم السياسية المتعاقبة بعد الثورة وإصرارها على رفض السماح لها بإنشاء حزب سياسي أسوة بما كان لها قبل الثورة ، أو حتى على غرار الموافقة التي تمت لأصحاب الاتجاهات اليسارية في مصر بإنشاء حزب لهم ، وقد بدأت تلك الجماعات المسماة بالإسلامية بشكل سري في التكاثر بعد الثورة حتى وصلت إلى نحو خمسين جماعة أبرزها جماعات ثلاث هي جماعة الجهاد وجماعة التكفير والهجرة ، وجماعة الإخوان المسلمين الجدد . وبعد خصام دام خلال عقد الخمسينيات ، والستينيات ، والسبعينيات مع النظام السياسي في مصر أسفر القهر والرفض مع مطلع الثمانينات عن اغتيال رأس هذا النظام ومصرع أنور السادات .

وقد حسب الرافضون أو توقعوا نهاية للمواجهة ، وتحقيقاً لبعض مطالبهم في المشاركة السياسية وتطبيق الشريعة الإسلامية ، ورفض الدولة تلك المطالب ظل العنف المسلح هو لغة الحوار بين الطرفين .

ويربط علماء الاجتماع السياسي بين بروز ظاهرة العنف المسلح التي يقودها شباب تلك الجماعات في مصر ، وبين ثورة الشباب العالمية التي بدأت منذ عام ١٩٦٨ م ، في فرنسا وامتدت إلى أوروبا كلها والولايات المتحدة الأمريكية والدول الاشتراكية ، وما صاحبها من تغيرات اجتماعية هائلة بفعل الوفاق العالمي بين القوتين العظميين وانتهاء الحرب الباردة ، وسقوط بعض النظم السياسية في العالم الثالث ، وتفكك الاتحاد السوفيتي وانهياره ، والاتحاد اليوغوسلافي وانقسامه ، وهبوط فاعلية حركات التحرير الوطنية لافتقادها للدعم المادي والمعنوي .

(١) على ليلة : نفس المرجع لسابق ، ٦٤ .

يربطون بين تلك التغيرات الاجتماعية الهائلة على المسرح العالمي ، وأحداث العنف على أيدي بعض الشباب في مصر بقولهم :

"وأمام سقوط بعض الأنظمة وعجز البعض الآخر بدأ شباب العالم الثالث يستلهم شعارات ثورة الشباب في العالم المتقدم ، وإن كان بمضمون مختلف ، حيث قاد الشباب مظاهر التمرد والعنف والرفض مدمراً الأصول المادية لمجتمع تحت مظلة الدين كساحة للانتظار والتجمع من أجل مسيرة الخلاص ، بينما انصرف نوع آخر من الشباب إلى المخدرات كعالم خيالي يحقق له إشباعاً. عجز عن تحقيقها في عالم الواقع .

ويستطردون في تحليلهم لظاهرة العنف وأسبابها في العالم الثالث فيرجعونها إلى فشل الأنظمة السياسية في تحديد مسار واضح للتنمية ، مما أدى إلى انتكاسها والحرمان من المشاركة ، واحتكار سلطة إصدار القرار بينما الشباب هم المتحملون لآثار القرار إذا تمخض عن آثار سلبية^(١) ، وإلى متى يصمتون، وهم يشاهدون أحلى سنوات العمر تضيق نتيجة لعجز النظام الاجتماعي عن إشباع حاجاتهم ، مما يوفر لهم حياة كريهة وملائمة ، مثلما حدث في مصر حيث عانى كثير من الشباب من ظروف الاختناق في مستوى المعيشة ، والسكن ، والمواصلات وممارسة حياته اليومية بشكل متوتر .

ورغم منطقية العوامل والأسباب التي أدت إلى حدوث ظاهرة العنف وتشابهها بين ما حدث في دول العالم الثالث ، واتساق الأسباب مع النتائج ، وما جرى في مصر ، ومواكبه كل ذلك لثورات الشباب العالمية منذ أواخر الستينات في مختلف نواحي العالم ، إلا أنني أختلف في إرجاع أسباب التمرد والعنف والرفض في مصر إلى عوامل المحاكاة وانتشار عدوى الرفض والتمرد بمجرد تزامن الأحداث في مصر مع عدد محدود من الحالات في مناطق أخرى من العالم . ذلك لأن مبررات ذات خصوصية أعمق ، وعوامل أكثر فاعلية لها جذورها التاريخية في طبيعة العلاقة بين الجماعات الإسلامية والدولة قبل الثورة وبعدها كانت وراء قيام العنف والتطرف كذلك فإنه لو صح تفسير المحاكاة واستلهم شعارات ثورة الشباب في العالم المتقدم لكان من الممكن أن تعم حركة التطرف والتمرد كل أو معظم بلدان العالم، وهو ما لم يحدث .

ويمكن أن نوضح الجذور التاريخية للخلاف بين الجماعات الإسلامية والدولة في مصر في إيجاز شديد بأن مرد هذا الخلاف يرجع إلى خيارات مريرة وأزمة ثقة بين هذه الجماعات والنظام السياسي في مصر عبر مراحل زمنية متعاقبة ، فمنذ الثلاثينات شاركت جماعة

(١) على ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، تأملات في ظواهر الأجيال والعنف ، مرجع سابق ص ١١ - ١٢ ، ص ٥٩ .

الإخوان المسلمين في توحيد مشاعر المصريين ودعوتهم للجهاد لطرد الاستعمار والقضاء على الفساد وكذلك فعلت جماعة شباب محمد .

وقد ظهرت هذه الجماعات في إطار من التعددية السياسية ، وحرية التعبير عن رأيها في القضايا القومية الراهنة ، حتى ولو لم يأخذ النظام السياسي بوجهة نظرها ، وبذلك حدث نوع من التراضي بين الطرفين مما جعل الإحياء الإسلامي معتدلاً غير متطرف في الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، ولكن مرت جماعة الإخوان المسلمين منذ عام ١٩٤٨ وحتى ١٩٨٠م بعدد من المحن وعاشت فكر الأزمة ، ورغم أن تلك الجماعة بقيادة الشيخ / حسن البنا تميزت بالاعتدال الواضح ، إلا أنها كانت في بعض الأحيان تلجأ إلى العنف لفرض رأيها على الدولة^(١) - وبعد اغتيال الجماعة لرئيس الوزراء / محمود فهمي النقراشي باشا في عام ١٩٤٨ ردّاً على قرار حل الجماعة ، تصاعدت الأزمة باغتيال المرشد العام للجماعة الشيخ / حسن البنا - عن طريق أعوان القصر.

وبقتل زعيم الجماعة فقد الإخوان المسلمون رائد الحركة البارزة للبعث الإسلامي الحديث ، وفي عام ١٩٥٤م اتهم النظام السياسي الإخوان المسلمين بمحاولة اغتيال عبد الناصر ليزج بهم مرة أخرى في السجون ، ثم في عام ١٩٦٥م ، وفي عام ١٩٧٠م شجع النظام السياسي الجماعات الإسلامية الطلابية على القيام داخل الجامعات لتواجه الجماعات الأيديولوجية الأخرى المعادية للنظام السياسي مثل الشيوعيين والناصرين .

وفي قلب السجون ، وتحت قسوة التعذيب الذي لا يتصوره عقل ، وتحجر قلوب البشر نحو أعضاء الجماعة في محنهم المتتالية ، تولدت لدى جماعة الإخوان المسلمين والأجيال التالية من الجماعات الإسلامية مشاعر التطرف والعنف والضراوة .

وفي ظل المناخ ولد الفكر الإسلامي الحديث على يد سيد قطب من خلال كتابه الشهير "معالم في الطريق" ، وهو في مستشفى السجن خلال عقد السبعينيات حيث صنف النظام السياسي وباقي أفراد الأمة الذين لم يثوروا لسجنهم وتعذيبهم بهذه القسوة والوحشية إلى أنهم من الكفار ، وأن أفراد الجماعة المعذنين هم المسلمون الحقيقيون .

وبذلك تصاعد سيد قطب بفكر أبي الأعلى المودودي وجماعته الإسلامية في الهند بعد أن حكم قطب على الأمة والمجتمع بالكفر والجاهلية . وبذلك تطورت فكرة الإحياء الإسلامي المعتدلة بعد تصعيد المواجهات المستمرة للعنف إلى نظرية للتطرف تقوم على

(1) Kepel , G . : Muslim Extremism in Egypt , The prophet and pharoh , university of california press , Berkeley and Los Angeles , 1984 , p . 54.

مفهومى الحاكمية ، والجاهلية، حيث يرى مفهوم الحاكمية أنه لا سلطان إلا لله سبحانه ، لا الشعب ولا (الحزب) ولا أي من البشر ، وأن الكتاب والسنة هما اللذان يرجع المسلمون إليهما لأي من الأمور مع جواز الاجتهاد فيما لا نص فيه - وفقاً لأصول الاجتهاد المقررة في منهج الله ذاته .

أما مفهوم الجاهلية فهي حالة تتكرر كلما انحرف المجتمع عن نهج الإسلام والدعوة إلى عدم المصالحة معها كما فعل المسلمون الأوائل .

وقد حاولت الجماعات الإسلامية الأخرى تطوير فكر سيد قطب وأبي الأعلى المودودي وتقديمهما حيث شاع المؤيدون لفكرهما من خلال جماعة التكفير والهجرة ، التي قامت باختطاف الشيخ محمد الذهبي وقتله ، بينما انتقدت جماعة الجهاد هذا الفكر من خلال كتاب الفريضة الغائبة لعبد السلام فرج ، حيث انتقد كافة التيارات الإسلامية المعاصرة ، ووضع أولويات للجهاد تبدأ بالعمل على إقامة الدولة الإسلامية أولاً ، ثم تتجه للعبور البعيد بعد نجاحها في بناء المجتمع الإسلامي، ومما يذكر أن كتاب الفريضة الغائبة كان يمثل دستور هذه الجماعة المسنولة عن اغتيال أنور السادات ، من هذا العرض نجد صراعاً متواصلاً بين الدولة من ناحية وتلك الجماعات من ناحية أخرى ، أو بين النظام العلماني وبين التوجه للإحياء الإسلامي بالعودة إلى الأصول الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية والمشاركة في صنع القرار ، وسط أزمات معاصرة أخرى تزيد من معاناة الشباب مثل مشكلات البطالة ، والإسكان ، والغزو الثقافي ، والإعلام الذي يتحدى المشاعر الدينية ، وارتفاع الأسعار ، وضعف المرتبات ، وقد اتجه الإحياء الإسلامي إلى مزيد من العنف بعد مراوغة السادات له واستخدامه كأداة لتحقيق أغراضه ، ثم انقلبه على التيار الإسلامي ، والسخرية من رموزه بعد أن زج بزعمائه في السجن ، ولا يعلم إلا الله ما تسفر عنه عملية التصعيد الحالية لمقابلة العنف والإصرار على أساليب التصفية الجسدية التي يبرأ منها الإسلام "إذ لا يدخل في الحساب من قريب أو بعيد ، أن يمس الإسلام من ذلك أدنى شائبة من شبهة إباحة فساد في الأرض ، فما في الدنيا من يتصور أن شريعة ما وضعية أو دينية ، يمكن أن تبيح الاغتيال والحراقة والاغتصاب ، فذلك ما لا يجوز على من له أدنى حظ من عقل ، متديناً كان أو ملحدًا" ، ولا هو مما يمكن أن يصدق بإطلاقه على شريعة الغاب ، فضلاً عن أن يصدق على شريعة إلهية خاتمة لرسالات الدين ومصدقة لها ، تمحق الفساد في الأرض وتقضى آياتها المحكمات البينات بحكم الخالق عز وجل^(١) :

(١) عائشة عبد الرحمن : (بنت الشاطئ) الإرهاب والإعلام بين التهويل والتهوين في جريدة الأهرام - قضايا وآراء ،

القاهرة مؤسسة الأهرام ، ع ٣٨٨٣٢ ، ط ٢ ، أول إبريل ١٩٩٣ م ، ص ٨ .

﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعاً﴾^(١) .

٦ - أساليب التوجيه الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف :

تتخذ أساليب التوجيه الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف ، صوراً شتى في محاولة لإدارة حوار هادف لتصحيح المفاهيم الخاطئة والتعرف على الرأي والرأي الآخر ، ومناقشة الحجة بالحجة وصولاً إلى فهم صحيح للقضايا الخلافية التي اندفع وراءها شباب المتطرفين من الجماعات الإسلامية .

يبد أنه من خلال استقراء الأحداث المتصاعدة للعنف والتطرف فإن تقسيم الواقع الراهن أثبت فشل الجهود الحكومية والرسمية للدولة ، من خلال اللقاءات الدورية والزيارات الميدانية للمحافظات المختلفة التي قام بها كل من وزير الأوقاف ومفتي البلاد ، والتي شارك في تنظيمها المحافظون وقيادات الأجهزة الحكومية ؛ ولعل مرد ذلك يرجع إلى مقاطعة شباب تلك الجماعات الإسلامية للمشاركة في تلك اللقاءات في إطار التوجيهات السلبية التي تدعو إلى الانسحاب واعتزال فكر هذا المجتمع ، والنظرة إلى قيادات الدعوة الرسمية للدولة على أنها قيادات تسعى لتحقيق هوى الحاكم والمحافظة على مصالحها المرتبطة به ، بل واعتبارهم سند النظام السياسي وأتباعه ، والمبالغة في الادعاء بتكفيرهم وتكفير المجتمع لدى بعض المتطرفين . ولهذا رغم ما بذله هؤلاء الدعاة من جهد صادق في زياراتهم الميدانية لمختلف المحافظات ، إلا أنها تحولت إلى شكل بلا مضمون حيث غابت عنها الجماعات الإسلامية الحقيقية المستهدفة لإجراء حوارات دينية متعمقة معها لحسم القضايا الخلافية .

وهناك عدة أساليب يمكن أن تحقق مزيداً من الفاعلية لتصحيح مسار العلاقة بين تلك الجماعات المتطرفة من ناحية ، والدولة من ناحية أخرى باعتبار أن الدولة تتحمل مسؤولية أكبر في وجوب حرصها على طاقات الشباب وتوجيهها الوجهة الصحيحة لخير المجتمع بأسره ، حتى وإن جنحت في تصوراتها ، وليكن تقويم المسار قائماً على الفهم المتعمق والمجادلة بالحسنى حتى يحقق نوعاً من التلاقي بين الطرفين ، دون محاولة لاستخدام العنف لأنه لن يؤدي إلا لخراب المجتمع وهدم طاقاتهم البشرية والاقتصادية .

وفيما يلي نعرض لعدد من الأساليب المقترحة في هذا المجال :

أ - الحوار والمناظرة بين قيادات التيار الإسلامي والدولة :

إن ما نعينه هنا ليس صورة مكررة للقاءات الرسمية التي قام بها مفتي البلاد ووزير الأوقاف ، وإنما صورة أخرى لدعوة كافة الاتجاهات المختلفة التي يضمها التيار الإسلامي في

(١) سورة المائدة : آية ٣٢ .

مصر بطوائفه المتعددة التي تزيد عن ثلاثين جماعة إسلامية أبرزها جماعة الجهاد ، والتكفير والهجرة ، والجماعات الطلابية بالجامعات ، والإخوان المسلمون الجدد وغيرهم .

وذلك على غرار اللقاءين اللذين تم عقدهما في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة في عام ١٩٢٢م ، ونقابة المهندسين بالإسكندرية عام ١٩٩٢م بعنوان "مصر بين الدولة الدينية والدولة المدنية" على شكل حوار بين أنصار التيار الإسلامي وما أسموه بالتيار العلماني . ولم تحضره أيضاً قيادات الجماعات الإسلامية الممثلة لكافة جوانب التيار الإسلامي ، كما غابت عنه قيادات الدعوة الإسلامية للدولة مثل مفتي البلاد ووزير الأوقاف ، وشيخ الأزهر .

كذلك فإنه من الأهمية بمكان كبير أن تضم هذه اللقاءات المقترحة للحوار والمناظرة شخصيات عامة تعتبر رموزاً للتيار الإسلامي المعتدل ، تحظى باحترام كافة الأطراف أمثال الشيخ / الشعراوي ، الشيخ / محمد الغزالي ، الدكتور / عبد الصبور شاهين للإسهام في مواجهة مخاطر التطرف والمغالاة بين التيارين المتصارعين بين التيار الإسلامي والعلمانية .

ب - دور وسائل الإعلام المختلفة :

للإعلام بوسائله المختلفة در خطير في تصعيد مشكلة التطرف لدى الجماعات الإسلامية باتباع سياسات تقوم على إثارة المشاعر الدينية في وسائل الإعلام المرئية من خلال البرامج الإعلامية المثيرة والمسلسلات الواقفة من ثقافات غير إسلامية لا تدعو إلى فضيلة ، ولكنها تحمل قمة التناقض الإعلامي الصارخ ، وأوضح مثال على ذلك ما نشاهده في مصر حينما تعرض أفلام هزيلة ومسرحيات هابطة تبث قيماً غريبة على مجتمعنا وفي قلب كل ذلك يتوقف الإرسال لكي يذيع آذان الصلاة ، وأحاديث الرسول (١) ، ويؤدي ذلك بطبيعة الحال إلى نوع من بلبلة الفكر وافتقاد الهوية وإثارة الحيرة والتساؤل لدى الكثيرين ، وخاصة الشباب .

وإذا كان البعض يدافع عن المسار الحالي للإعلام المرئي والمسموع والمقروء بدعوى أنه لم يعد في الإمكان مقاومة الغزو الثقافي ، إلا أنه على المستوى الرسمي لأجهزة وسائل إعلام الدولة لا يليق أن تنقل الدولة بنفسها هذا الغزو إلى داخل كل بيت وهي تعلم "ما لوسائل الاتصال الجماهيري من قدرة سحرية على عرض الأفكار والقيم التي تعتبر عنصراً لا يستهان به في صناعة المجتمع . وقد أصبحت هذه الحقيقة واقعاً تتحدث عنه النظريات الحديثة التي تتناول العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيري وجمهوره" (٢) .

(١) محمد حسين هيكل : خريف الغضب - قصة بداية ونهاية عصر السادات ، بيروت شركة المطبوعات للتوزيع ،

١٩٨٦ ، ص ١٩ .

(٢) جيهان رشتي : الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٧٨ م ، ص ٥٦٥ .

وتبرز في المقابل دعوة إلى قيام إعلام إسلامي ، ويقاوم فريق آخر هذ الدعوة بأن الدول العربية والإسلامية خصصت إذاعات خاصة للقرآن الكريم ، إلى جانب البرامج الدينية في الإذاعات ، والتلفاز، وأعمدة خاصة في الصحف لهذا الغرض ، ولكن الأمر يقتضي دون جدل أن يكون التوجه العام في كل هذه الوسائل الإعلامية توجهاً إسلامياً ينطلق من فكر إسلامي سمح يقوم على القرآن والسنة ويفتح باب الاجتهاد في المعاملات اليومية وقضايا العصر وفقاً لقواعد الاجتهاد المنضبطة في أصول الفقه تقديراً من القائمين على الإعلام الرسمي بخطورة دوره في صياغة العقل الجمعي والوجدان وترسيخ القيم ، دون استخفاف بالرموز الإسلامية ، وتقويم الفهم الخاطئ لدى الشباب عن العقيدة الإسلامية .

ج - اختيار الوسائل المناسبة للاتصال في الدعوة الإسلامية :

يعتبر اختيار وسائل الاتصال للدعوة الإسلامية أمراً ضرورياً لنجاح جهود الدعوة في مراحلها المختلفة التي مرت بها السرية إلى العلنية ثم العالمية ، حيث تعددت وسائل الاتصال في الدعوة لتلائم مع كل مرحلة من مراحل الدعوة ومع كل جمهور من جماهيرها^(١) .

وتشمل هذه الوسائل الاتصال الشخصي ، والاتصال الجمعي ، والاتصال غير اللفظي والرسائل أو الكتب ، والجمع بين أكثر من وسيلة في آن واحد .

ويأتي أسلوب الاتصال الشخصي المباشر بين الدعاة والمدعوين في مقدمة هذه الوسائل لقيامه مباشرة على الحوار والإقناع بالحسنى مما يجعله إذا تأثير فعال لهذا استخدمه الرسول عليه السلام في المرحلة السرية ، والمرحلة العلنية^(٢) .

وعلى الرغم من أن الدعوة الإسلامية واجبة على كل مسلم ، إلا أنه يجب التسليم بأن ذلك يجب أن يتم في حدود المعرفة اليقينية للمسلم كما جاءت في الكتاب والسنة ، وأن ترك المسائل الفقهية للدعاة المتخصصين في العلوم الشرعية ، فلكل علم رجالته المتخصصون حتى لا يترك الأمر - كما هو الحال الآن - لكل المدعين .

د - دور الخطابة في التوجيه الإسلامي :

تعتبر الخطابة أحد أساليب الاتصال الجمعي في الدعوة الإسلامية وتلعب الخطابة دوراً خطيراً لنشر الدعوة وإبلاغها للناس ، وتزدهر الخطابة في عصور الحرية الفكرية والقولية . "والحرية في الشريعة حرية مسئولة ولها حدودها التي لا تؤثر على المبدأ ، ولكنها تعني بضبط

(١) محمود يوسف مصطفى : العلاقات العامة والإعلام في الإسلام ، جلة ، مكتبة مصباح ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٤٢٥ .

(٢) إبراهيم إمام : الإعلام الإسلامي - المرحلة الشفهية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠م ، ص ٥٢ .

إيقاع ممارسة الحرية حتى لا تؤثر على حريات الآخرين ، وعلى مصالح أسمى للمجتمع المسلم والدولة الإسلامية^(١).

وإذا كان مجال الدعوة الإسلامية قد استطاع أن يتسلل إليه في مصر في الآونة الأخيرة كثير من المدعين الذين نصبوا أنفسهم رجالاً للدعوة في غيبة دور فاعل لعلماء الدعوة والأزهر ، فإنه بات ضرورياً على علماء الإسلام في الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يتصلوا بقوة وسرعة لتصحيح المفاهيم الخاطئة وأساليب الإثارة غير المسئولة التي أفسد بها المدعون عقول الناس في المساجد .

ولم يقتصر دور المسجد في عصر الرسول عليه السلام على العبادة فحسب ، بل كان ملتقى العلم وخدمة المجتمع ، وتدعيم العلاقات الطيبة بين المسلمين - "والمسجد في المجتمع المعاصر يستطيع أن يقدم خدمات جليلة عن طريق الدين ، الذي كان من المرونة والصلاحية، بحيث يمكن أن يوجد حلاً لكل مشكلة ، وحكماً لكل حادثة وجواباً لكل سؤال^(٢) .

هـ - أدب الحوار والمعارضة في الفكر السياسي الإسلامي :

عرف الفكر السياسي في الإسلام كل معاني الديمقراطية والمعارضة في آن واحد ذلك لأنه ليس هناك نظام سياسي لا يعرف المعارضة كحقيقة إنسانية طبيعية نابعة من عدم إمكانية إرضاء كل البشر ، وإن اختلفت النظم من حيث القدر الذي تسمح به في حرية التعبير والتشكيل والتمثيل للمعارضة ، وفي إيجاز شديد فإن حقيقة المعارضة تتركز في التعبير عن الحق الجماعي في المناقشة والتقويم لسلوك السلطة السياسية والتنفيذية والتشريعية ، وتقوم فلسفتها على تقبل الخلاف في الرأي واعتباره حقاً مشروعاً بحيث يصير من المقبول أن تعدد المفاهيم والتصورات على الرغم من بقاء الحقيقة واحدة^(٣) .

ومن ثم يرى البعض أن تغلغل القيم الدينية بما تتضمنه من شيوع لروح التسامح الإنسانية يخلق مناخاً مناسباً للتعبير عن حقيقة المعارضة . ومن أبرز ما يُستقى من الفقه الإسلامي في هذا الخصوص ذلك القول الذي ينظر إلى الثقل والأرجحية لرأي من الآراء

(١) جعفر عبد السلام : الإطار الشرعي لنشاط إعلامي - من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ، القاهرة ، بالتعاون بين مؤسسة اقرأ الخيرية ومركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر ، في الفترة ما بين ٣ شوال إلى ٢ ذي القعدة ١٤١٢ هـ الموافق من ٣ - ٥ مايو ١٩٩٢ م ، ص ٣٥٩ .

(٢) عبد الغفار عزيز : أصول الخطابة العربية بين مراحل التاريخ وفن التطبيق ، القاهرة ، دار الحقيقة للإعلام الدولي ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٦٠ .

(٣) نيفين عبد الخالق مصطفى : المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة الملك فيصل الإسلامية ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٦٣ - ٦٦ .

على أنه يمثل صواباً قد يحتمل الخطأ وأن غيره من الآراء قد يمثل خطأ قد يحتمل الصواب^(١) ، وبذلك يظل الباب مفتوحاً لإمكانية المناقشة والتقويم ، وقد دعانا الإسلام لأن نلتزم بأدب الحوار في الدعوة بالكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن دون عنف أو إرهاب أو قهر .

وتؤكد الآيات الكريمة ذلك في قول الحق :

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ .

* ويمكن للقارئ الرجوع لمزيد عن رسالة المسجد في خدمة المجتمع - في :

- مسعد الفاروق حمودة : دور المسجد في تنمية المجتمع ، القاهرة ، رسالة دكتوراه

- غير منشورة - بكلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان ، ١٩٨٣ .

"والصبر" هو أحد مسالك التعبير عن المعارضة الإسلامية وهو لا يعني الموافقة أو التسليم بمشروعية الظلم ، والصبر هو مذهب الجمهور من أهل السنة ومسلكتهم في مواجهة البغي أو الظلم. وهم في ذلك يرون أن على الحاكم الظالم الوزر وعلى المؤمن الصبر ، وقد ساند مبدأ الصبر فكر الإرجاء بمعنى إرجاء الحكم على الأعمال لله سبحانه وتعالى ، ولهذا لاقى هذا الفكر تعصيماً ومناصرة من السلطة الحاكمة لأنه يضمن مصالحهم^(٢) .

ولعل التطرف والعنف بين التيار الإسلامي والدولة يرجع إلى افتقار أدب الحوار بينهما لروح التسامح التي اتصف بها الإسلام ، وكذلك حالة الخصومة السياسية بفعل التجاوزات والانتهاكات المتبادلة - "فما زال الفكر العربي يعاني حالة الانقسام التي بينه وبين المؤسسة السياسية ، ما أدى إلى علاقة متوترة قائمة على الخوف والحذر المفرط ، لذا تقع المسؤولية على خطاب الإعلام العربي في تحقيق المصالحة بين الرأي الفكري ، والقرار السياسي^(٣) .

(١) محمد أبو زهرة / المذاهب الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، بلون تاريخ ، ص ٢٥ .

(٢) نيفين عبد الخالق مصطفى : المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي ، مرجع سابق ص ٣٠١ - ٣٠٤ .

(٣) محمد إبراهيم القيومي : فلسفة خطاب الإعلام العربي بين التبرير والتغيير ، القاهرة من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ، مؤسسة أقرأ بالتعاون مع جامعة الأزهر ، ٣ - ٥ مايو

١٩٩٢م ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

الجزء الثالث - استراتيجية جديدة لمواجهة التطرف :

تقوم هذه الاستراتيجية لمواجهة المشكلة ، والرؤية المستقبلية لها على ما نسميه بالاستراتيجية التربوية ، والتي تعتمد على تغيير نسق الفعل من خلال تغيير نسق القيم والمعاني والتصورات لدى الشباب من خلال الخطط والبرامج التربوية المناسبة ، وتشمل العمل على إعادة النظر في أساليب التوجيه التقليدية الحالية التي تقوم على التحدث من طرف واحد دون مشاركة فاعلة لقيادات التيار الإسلامي وشبابه ، والدعوة إلى الحوار والمناظرة لإجلاء الحقيقة وتخليص فكر الشباب من شوائب التطرف والتعصب الأعمى لمقولات الادعاء بالجهاد ، والتكفير والهجرة .

وترتكز تلك الاستراتيجية على سياسات وخطط وبرامج ، تسعى جميعاً إلى تبني أساليب جديدة في التعامل مع المشكلة بأسلوب علمي عقلاني لا يعتمد على إجراءات القمع الأمني وحده ، واعتبار جهاز الشرطة هو المسئول الوحيد عن تلك المواجهة ، وتبادل العنف بالعنف بين جماعة المتطرفين والأجهزة الأمنية والتربص بها ، والدخول في سلسلة من الشار على المستوى القومي ، بل يعمل على مشاركة أفراد المجتمع أنفسهم مع أجهزة الدولة المختلفة في التصدي لمحاولتهم لتخريب الاقتصاد الوطني بضرب السياحة ومهاجمة أجهزة الشرطة كرموز لسيادة الدولة .

فلقد أثبتت التجربة "أن المتطرفين قد لا يهربون تصدي أجهزة الأمن الرسمية لمقاومتهم ، بل يستغلونه في كسب عواطف الجماهير ويرتلون أمامها قميص الشهداء الذين تبطش بهم أجهزة الدولة لأنهم على حق ، وهذه الأجهزة ومن ورائها الدولة على باطل"^(١) . وتنطلق الاستراتيجية الجديدة من فكرة مفادها أن يتم عزل تلك الجماعات عن قياداتها الفكرية المخططة للتخريب والتطرف ، ذلك لأنها هي العقول المدبرة التي تصدر الفتاوى للشباب باستجابة تلك الأفعال المدمرة ، سعياً لتحقيق مآربها الخاصة للتغيير بالقوة والعنف .

وترتكز هذه الاستراتيجية على ثلاثة محاور وهي :-

أولاً : تصحيح المفاهيم الخاطئة المتصلة بالعقيدة الإسلامية وأحكامها في مجال الدعوة وأساليبها ، والتربية الدينية ، وتطبيق الشريعة الإسلامية ، من خلال الحوار البناء والمناظرة الهادفة بين أقطاب الدعوة الإسلامية من العلماء والدعاة وبين قيادات وطوائف الشباب من التيار الإسلامي حول كل القضايا الخلافية التي يكثر الجدل والاجتهاد حولها .

(١) المجالس القومية المتخصصة : تربية للواطن السوري ومواجهة الانحراف والتطرف ، مرجع سابق ، ص ١٧٩ .

ثانياً : حل المشكلات الاجتماعية التي هيأت المسرح السياسي للتطرف في المجتمع المصري مثل مشكلات البطالة ، والإسكان ، وضعف المرتبات وارتفاع الأسعار ورفض الدولة السماح بإقامة حزب للجماعات الإسلامية ، وحصول بعض الطوائف المهنية على امتيازات دون غيرها مثل (القوات المسلحة، الشرطة ، والقضاء ، والإعلام ، والسلك السياسي وغيرهم) .

مما أثار تبايناً وصراعاً بين النقابات المهنية أدى إلى بروز ما يعرف في علم الاجتماع السياسي بجماعات الضغط .

ثالثاً : إعادة النظر في سياسات العمل الإعلامي بوسائله المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة، وصياغتها صياغة إسلامية وغربية براجها ومحتوياتها للابتعاد عن الإثارة والابتذال والاستخفاف بالرموز الدينية ، والدعوة لاستنبات القيم والفضائل التي تحفل بها العقيدة الإسلامية ، والإسهام في تكوين الشخصية الإسلامية السوية بعيداً عن التطرف والعلمانية في آن واحد .

ومع تقديرنا لكثير من الكتابات التي طرحها نخبة من الصفوة الفكرية بالمجتمع فإن هناك بعض المقولات التي تدرج تحت التفسير السوسيولوجي لمشكلة التطرف تستحق التأمل والتحاور معها ونقدتها نقداً موضوعياً وهي :

١- القول بأن غياب القيادة الكارزمية لظاهرة الإحياء الإسلامي من العناصر التي عطلت دائماً عملية اكتمالها ، نتيجة لعدم وجود القيادة القادرة على تطوير تصور شامل جغرافياً وتاريخياً يحدد الأهداف العامة للإحياء والاستراتيجيات أو التكتيكات اللازمة لتجسيده ، فعلى خلاف الحركات الثورية ذات المركز الواحد ، الذي تقوده شخصية أو جماعة كارزمية نجد حركة الإحياء الإسلامي متعددة المراكز وتفتقد القيادة الكارزمية المركزية^(١) .

ونحن نختلف في اعتبار حركة الإحياء الإسلامي ذات خصوصية معينة تختلف عن الحركات الثورية الأخرى نتيجة لتعدد مراكزها ، إذ إن هذا التعدد على مستوى العالم الإسلامي هو نتيجة لتباين الأسباب الدافعة إلى الثورة ، ودرجة الوفاق أو الاختلاف بين الجماعات الإسلامية والدولة .

ولهذا لا يمكن تصور وجود قيادة لشخصية أو جماعة كارزمية تقود الحركة في آن واحد في أرجاء العالم الإسلامي ، وإنما تتوالد قيادات موقفية متعددة في كل مجتمع وفقاً لتصاعد الأزمات مع الحكومات والنظم السياسية .

(١) على ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، مرجع سابق ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

وعلى ذلك فهذه القيادات بتشخيصنا الراهن لها هي قيادات الأزمات أو ما يمكن أن نسميه أزمة الفكر ، فكر الأزمات التي لم تنضج بعد لتكون شخصية أو جماعة كارزمية بمفهوم علم الاجتماع السياسي .

٢- الادعاء بأن الثورة الإيرانية قد قدمت للحركات الإسلامية مثلاً عملياً للثورة الإسلامية النموذجية في العصر الراهن ، وبذلك مثلت دفعة هائلة لحركة الإحياء الإسلامي في المجتمعات الإسلامية^(١) .

وعلى الرغم من المبالغة اللفظية حول فكرة "النموذجية" التي تختلف عن مفهوم النموذج في الدراسات السوسيولوجية ، إلا أن المتأمل لقيادة الثورة الإسلامية في إيران يلحظ أن حركة الإحياء الإسلامي فيها قامت على أكثاف فقهاء الدعوة وفقهاء الحوزة العلمية في قم ، التي تولت أيضاً التخطيط لحشد الجماهير وتحريكها للإطاحة بالحكم^(٢) .

وهو أمر يختلف عن حركة الإحياء الإسلامي في المجتمع المصري التي تقوم على جماعات متعددة متباينة الفهم لأسلوب الدعوة الأمثل من غير المتخصصين فيها .

كذلك فإن الثورة الإسلامية الإيرانية قد فقدت مثالياتها في حربها الطويلة مع العراق وتكفيرها للمذاهب الإسلامية الأصلية لأهل السنة والجماعة ومحاربتها لفكر السنة والعمل على نشر المذهب الشيعي في مختلف أنحاء العالم - ولا يخفى على أحد أن مصر لم تكن ولن تكون مسرحاً للفكر الشيعي، مما يجرد هذا النموذج من مساعيه المشبوهة لتصدير الثورة الإسلامية الإيرانية بفكرها إلى مصر والجزائر وغيرها .

٣ - القول بأنه "على الرغم من أن الجماعات الإسلامية قد نشأت داخل أسوار الجامعات إلا أنها كانت تهدف أساساً إلى نقل المجتمع الخارجي من مجتمع جاهلي إلى مجتمع إسلامي - وقد بدأت فاعليتها تمتد إلى ما بعد أسوار الجامعة من خلال حدثين كبيرين هما تنظيم صلاة الفطر ، وصلاة عيد الأضحى في أماكن مفتوحة تضم آلاف المصلين كنوع من استعراض القوة في مواجهة النظام السياسي^(٣) .

ونحن نختلف مع هذا التحليل في نقطتين جوهريتين : النقطة الأولى هي الموافقة على ما يدور في خلد وفكر تلك الجماعات التي تتهم المجتمع بالجاهلية والسعي إلى نقله من حالة الجاهلية إلى وضع المجتمع الإسلامي - على حد زعمهم - وكما يعرف الكاتب فإنه ليس من حق أحد أن يكفر المسلمين لمجرد اختلافهم معه في الرأي أو عدم تأييده .

(١) السيد زهرة : حركة الإحياء الإسلامي ، مؤشرات ودوافعها ، السياسية الدولية ، ع ٦١ ، يوليو ١٩٨١ م ، ص .

(٢) فهمي هويدي : إيران من الداخل ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٥ .

(٣) على ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، مرجع سابق ، ص ٤٥١ .

أما النقطة الثانية فتتعلق بتفسير الكاتب إلى امتداد فاعلية الجامعات الإسلامية إلى خارج أسوار الجامعة مستشهداً على ذلك بإقامة صلاتي العيدين في الساحات والميادين كأماكن مفتوحة - تضم آلاف المصلين ، مفسراً ذلك - على حد قوله - بأنه نوع من استعراض القوة في مواجهة النظام السياسي .

ونحن نختلف معه في هذا التفسير الذي ذهب إليه كما هو معروف شرعاً فإن صلاة العيدين طبقاً للسنة يجب صلاتها في الأماكن المفتوحة وليس في المساجد ولهذا فإن سعي الجامعات الإسلامية لتنظيم ذلك هو محاولة لتطبيق الشريعة الإسلامية وفقاً لأصول العبادات، وكسباً للمشاعر الدينية من الجماهير وتعاطفها مع الحس الديني وليس استعراضاً للقوة في مواجهة النظام السياسي طبقاً لتلك المقولة.

٤ - القول بأن "حركة الإحياء الإسلامي المعاصرة تفتقر إلى وجود المشروع الاجتماعي الحضاري الإسلامي مما أدى إلى تقييد انطلاق الحركة ، وبرغم ذلك فقد بدأت بعض إرهابات لصياغة مشروع اجتماعي حضاري إسلامي (كذلك الذي قدمه أبو الأعلى المودودي ، سيد قطب ، باقر الصدر) - والقول بأن الثورة الإيرانية قد بدأت تفرزه من خلال تفاعلاتها ، ويبقى أن تتفاعل هذه الاقترابات المتنوعة لكي تنتهي في النهاية إلى صياغة المشروع الاجتماعي والحضاري والإسلامي - الذي يتفق عليه الجميع والذي يتحرك أيضاً بحمية إلى تجسيده" (١) .

وإذا كنا نسلم بأن غياب المشروع الاجتماعي الحضاري عن حركة الإحياء الإسلامي المعاصرة هو سمة بارزة بالإضافة إلى الحد من قدرتها على الانطلاق ، إلا أننا لا نتفق مع رأي الكاتب بأن الثورة الإيرانية قد بدأت في إفراز هذا المشروع من خلال تفاعلاتها ، ذلك لأن هذه الثورة قد شوهت صورة حركة الإحياء الإسلامي أكثر مما أفادتها، وذلك من خلال التحليل الدقيق لدورها في الأحداث المؤسفة التي شجعت فيها جماعة من المتطرفين على الاستيلاء على الحرم المكي الشريف في اليوم الأول من القرن الرابع عشر الهجري الموافق ٢٠ نوفمبر عام ١٩٧٩م - رغم تظاهرها بالبراءة - وحشد جنسيات إسلامية أخرى لتنفيذ تلك المؤامرة . هذا بالإضافة إلى تورطها في الحرب الأهلية في لبنان ، وتمويل الجامعات الإسلامية المتطرفة في مصر والجزائر .

وحتى لو غضضنا الطرف عن تلك الأدوار المشبوهة ، فإن انبثاق المشروع الاجتماعي والحضاري الإسلامي المرتقب من إيران بالذات لن ينال قبولاً جماعياً أو اتفاقاً عليه لتجسيده إلى واقع مأمول ، ذلك لأن حساسية الاختلافات المنهجية الجذرية بين فكر الشيعة (في إيران) وفكر السنة في الدول الإسلامية الأخرى سوف تحول دون تحقيق أدنى اتفاق عليه .

(١) علي ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، مرجع سابق ، ص ٤٦٨ .

ولهذا يظل هذا التوقع لرؤية المستقبلية لحركة الإحياء الإسلامي أملاً بعيد المنال في ظل هذا التفسير . ويظل البديل لهذا الخيال ، وهو أن تنهض إحدى الأمم الإسلامية لدعوة كافة دول العالم الإسلامي إلى مؤتمر عالمي للدعوة الإسلامية لوضع استراتيجية شاملة لها ، ومشروع اجتماعي حضاري للأمة الإسلامية تلتف حوله كل الدول والمجتمعات الإسلامية توازره وتعمل على تنفيذ دورها في إطار استراتيجية موحدة ومشروع متكامل يقدم نموذجاً للتنمية الإسلامية الشاملة بديلاً عن نماذج التنمية الغربية التي أخفقت في إشباع احتياجات الشباب .

ولعل كلا من مصر والمملكة العربية السعودية هما الدولتان المهيأتان للقيام بهذا الدور معاً أو إحداهما ، بعلمائهما ودعاتها ، فكر السنة والجماعة الذي يسود كلا منهما ، وإمكاناتها ، ومكانتها في التاريخ الإسلامي .

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل

الخدمة الاجتماعية مع المسنين بنظرة إسلامية

د. الفاروق زكى يونس

مقدمة :

لاشك أن من أهم التغيرات التى يشهدها المجتمع الإنساني المعاصر ، ما يتصل بالتركيبة السكانية المتغيرة لمجتمعات العصر ، ومن أهم معالم تلك التركيبة ذلك التغير الكبير في نسبة المسنين إلى المجموع الكلى للسكان ، مع إقحام هذه النسبة إلى الزيادة المطردة . أصبحت أعداد المسنين تتزايد بسرعة واستمرار بين سكان العالم ، ولا تقتصر هذه الظاهرة على الدول المتقدمة صناعياً في الغرب أو الشرق ، وإنما تشهد دول العالم الثالث كذلك تلك الزيادة المطردة في أعداد المسنين ، مع بعض الاختلاف في نسبتها إلى مجموع السكان في تلك الدول . إذ تشير الإحصاءات الدولية إلى أن عدد المسنين (٦٠ سنة فأكثر) على مستوى العالم بلغ ٢٥٠ مليوناً عام ١٩٦٠ ، ثم ارتفع هذا العدد إلى ٣٧٦ مليوناً عام ١٩٨٠ ، كما تشير التقديرات إلى أن عدد المسنين في العالم سوف يرتفع إلى ٦٠٠ مليون عام ٢٠٢٠ ، وفي المقابل ترتفع نسبة المسنين إلى سكان العالم من ٨.٢٪ عام ١٩٥٠ إلى ١٢.٥٪ عام ٢٠٢٠ (نسبة تقديرية) .

هذه التركيبة السكانية المتغيرة لا تعتبر ظاهرة ديمغرافية فحسب ، بل ظاهرة مركبة لها انعكاساتها على مختلف جوانب الحياة والعلاقات في المجتمع ، خاصة وأن تلك الزيادة لم تقتصر على أعداد المسنين ، وإنما شملت كذلك متوسط عمر الفرد الذى ارتفع إلى أكثر من ٧٠ عاماً في كثير من الدول المتقدمة صناعياً ، ومن ثم يوصف هذا التغير بأنه من أكثر ظواهر النصف الثانى من القرن العشرين إثارة وتأثيراً . فلم يحدث في التاريخ الإنسانى أن عاش المسنون بهذه الأعداد الكبيرة مثل من يعيشون في عالم اليوم . هذه الظاهرة الفريدة لا بد وأن يكون لها آثار عميقة على المجتمع في مجملته ، وعلى الأسرة والأنظمة الاجتماعية الأخرى وعلى السياسة الاجتماعية والخدمات وعلى المهنة الإنسانية التى تتعامل مع المسنين وتشارك في رسم السياسات ، وعلى الأخص الطب والخدمات الاجتماعية ، بل وعلى المسنين أنفسهم . إذ كلما تضاعفت أعداد المسنين مع الزيادة المطردة في متوسط عمر الفرد ، كلما تعددت وتنوعت الاحتياجات ، ظهرت المشكلات على طريق الوفاء بتلك الاحتياجات ، الأمر الذى يجعل من رعاية المسنين قضية ملحة من قضايا العصر . وإن اختلف التعامل مع هذه القضية باختلاف المجتمعات ، واختلاف البناء الاجتماعي والثقافي لكل مجتمع .

حقيقة إن لكل فئة عمرية حاجاتها ومشكلاتها . ولكن ضغط المشكلات التى صاحب تضاعف أعداد المسنين وخاصة في دول الغرب الصناعية ، قد أدى إلى تحول في

النظرة إلى تلك القضية، لتحول من مشكلات المسنين إلى المسنين كمشكلة . حيث أصبحت الشيخوخة توصف بأنها مشكلة اجتماعية تتطلب عملاً اجتماعياً جماعياً ، وسياسات اجتماعية للتعامل مع تلك المشكلة . وحقيقة كان للتقدم في العمر مشكلاته في أى مجتمع خلال التاريخ الإنسانى ، كما كانت كثير من المجتمعات تنظر للتقدم في العمر نظرة احترام وتقدير . وقد تعرض المسنون في كل الأزمنة لمشكلات الضعف الجسمى والعقلى ، إلا أنه وحتى وقت قريب كانت تلك الأعراض المصاحبة للشيخوخة ، وليست الشيخوخة ذاتها ، هى التى توصف بأنها مشكلات ، حيث كانت محصورة في المسنين الذين يعانون من أعراض المرض ، ومن ثم وقعت مسئولية العناية بتلك الفئة على الأسرة أكثر من المجتمع ، إلا أنه ومع التحولات الاقتصادية والاجتماعية التى صاحبت التصنيع ، بدءاً بالمجتمعات الغربية ، أخذت مشكلات المسنين أبعاداً جديدة ، اقتصادية واجتماعية ، إلى جانب الأبعاد الجسمية والنفسية . وهكذا أصبحت الشيخوخة ذاتها مشكلة في تلك المجتمعات أو كان التحول من مشكلات الشيخوخة إلى الشيخوخة كمشكلة .

إزاء هذا التحول ، كان لابد وأن يتحرك المجتمع بنظمه ومؤسساته ، وبرامجه وخدماته ، استجابة للاحتياجات المتغيرة للمسنين ، على طريق الاستجابة المناسبة للشيخوخة كمشكلة ، وهنا يثور التساؤل عن موقف الخدمة الاجتماعية من هذه التغيرات ، خاصة وقد ارتبطت الخدمة الاجتماعية منذ نشأتها بالرعاية الاجتماعية بصفة عامة وبرعاية الفئات ذات الاحتياجات الخاصة ، ومنهم المسنون من المتوقع أن تتحرك الخدمة الاجتماعية في المجتمعات الغربية لتشمل بخدماتها الفئات المحتاجة من المسنين ، وخاصة بعد أن تقلص دور الجماعات الأولية ، ومنها الأسرة ، عن رعاية المسنين وهكذا أصبحت رعاية المسنين أحد المجالات النامية لممارسة الخدمة الاجتماعية ، ومن الطبيعى أن يقوم العمل مع المسنين على أساس من الأطر النظرية التى تقوم عليها الخدمة الاجتماعية ، وأن يلتزم بالقيم الاجتماعية والمهنية التى توجه علاقة الممارس بوحدة الخدمة ، وأن يستهدف من الأهداف ، ويوظف من المناهج والمهارات ما تواضعت عليه الخدمة الاجتماعية في التجربة الغربية .

ومن المعروف كذلك أن الخدمة الاجتماعية الغربية نشأت استجابة للتحولات التى شهدتها المجتمعات الغربية ، وخاصة في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . ومن ثم تشكلت في نماذج تعتبر نتاجاً للبيئة الاجتماعية والثقافية التى نشأت فيها . ومع ذلك فقد انتقلت الخدمة الاجتماعية بتقاليدها الغربية وبتراثها الثقافى ، ونماذجها في الممارسة إلى مختلف دول العالم ، ومنها العالم العربى الإسلامى . الأمر الذى أثار قضايا عديدة حول جدوى تطبيق النموذج الغربى للخدمة الاجتماعية في دول العالم الثالث . وقد بدأ الحوار ، ومازال ، حول تلك القضايا في الإطار العربى الإسلامى . وساهم الحوار في

إثراء الفكر على الطريق نحو أنسب نماذج الخدمة الاجتماعية ، إسلامياً وعربياً . في هذا الإطار تطرح قضية المسنين في العالم الإسلامي، وإلى أي حد تصلح الخدمة الاجتماعية بنموذجها الغربي للتعامل مع تلك القضية ، خاصة وأن رعاية المسنين في المجتمع الإسلامي تعتبر جزءاً من نظام متكامل للرعاية الاجتماعية تتفق مع فطرة الإنسان التي فطره الله عليها. هذه الدراسة محاولة للإسهام في هذا الحوار . اختارت مجال المسنين باعتباره أحد المجالات الحديثة التي استقطبت اهتمام العديد من العلوم والمهن الإنسانية وخاصة الخدمة الاجتماعية والتي انتشر الأخذ بها في المجتمعات العربية والإسلامية .

تهدف هذه الدراسة إلى عرض الملامح الأساسية للعمل مع المسنين كمجال لممارسة الخدمة الاجتماعية وذلك بنظرة إسلامية ، وتعتمد في ذلك على منهج وصفي تحليلي يستعرض الأساس النظري الذي يقوم عليه العمل مع المسنين ، والقيم التي توجه ممارسه ، سعياً إلى إعادة ترتيب رعاية المسنين كمجال لممارسة الخدمة الاجتماعية على ضوء الصيغة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة ، والله المستعان .

النظريات الاجتماعية في الشيخوخة :

إن العناية بالدراسة العلمية للشيخوخة تعتبر من ظواهر القرن العشرين ، بدأ الاهتمام بهذا النوع من الدراسة من جانب علم الشيخوخة وعلم الشيخوخة الاجتماعي منذ الخمسينيات في المجتمع الأمريكي . وقد ارتبط ذلك بما شهدته تلك الحقبة من ظواهر تتصل بالحياة المتغيرة للمسنين ، متمثلة في العزلة الاجتماعية ، وما صاحبها وترتب عليها من ضرورة إعادة النظر في أهداف الحياة لدى المسن ، وحاجته إلى معيار جديد لتقدير الذات ، بدأ المجتمع الأمريكي يتجه إلى تلك الظواهر، مع شعور ضمني بالذنب ؛ في هذه الحقبة ظهر علم الشيخوخة ، واتجه إلى الدراسة العلمية للظواهر المتصلة بالشيخوخة والتقدم في السن ومن ثم يتبعى التعامل مع النظريات التي ظهرت عن الشيخوخة في إطار الوسط الثقافي والاجتماعي الذي نمت فيه (1) .

نظرية فك الارتباط :

وتعتبر من أقدم النظريات في علم الشيخوخة وأكثرها انتشاراً ، وتأثيراً ، على الرغم مما واجهته من اعتراضات وانتقادات وصلت إلى حد الرفض الكلي من جانب البعض ، تشير

(1) Brown , A . (1990) . The Social Processes of Aging and Old Age . N . J . Prentice - Hall . pp. 56 .

هذه النظرية إلى عملية التقدم في السن باعتبارها تتضمن بالضرورة تقليص النشاط أو الانسحاب الذي لا بد منه من جانب المسن ، الأمر الذي يؤدي إلى الحد تدريجياً من تفاعله مع المحيطين به في الوسط الاجتماعي ، قد تبدأ هذه العملية من جانب المسن نفسه ، أو من جانب الأطراف الأخرى في نفس النسق .

على أنه في كلتا الحالتين يستعد الفرد والمجتمع من خلال تلك العملية ، للانسحاب النهائي للمسن بالوفاة ، أو بالمرض الذي يقعد المسن . يسلم أصحاب هذه النظرية بأن هذه العملية تحقق مصلحة الفرد والمجتمع .

فالانسحاب يحرر المسن من الضغوط التي يفرضها عليه المجتمع من أجل الاستمرار في الإنتاج ، كما أنه يهيئ الفرصة للأجيال الشابة ، وهي أكثر نشاطاً وأحدث تدريباً لكي تحل محل المسنين وتقوم بالأدوار المطلوبة لأطراف الحياة في المجتمع ، حتى لا تؤدي وفاة المسنين إلى نوع من الخلل في المجتمع ، نتيجة للانقطاع المفاجئ عن مختلف الأدوار الاجتماعية التي كانوا يقومون بها^(١).

أثارت هذه النظرية كثيراً من الجدل ، وكانت عرضة لانتقادات شديدة ، على أساس أن حتمية فك الارتباط أو الانسحاب أمر غير مقبول . إذ لم يقدم أصحابها دليلاً على رغبة المسنين في الانسحاب أو رضائهم عنه ، وقبولهم به ، علاوة على القول بأن الانسحاب يتم بطريقة طبيعية وتدرجية . إضافة إلى ذلك فإن الاتجاه في المجتمعات المعاصرة قد يكون على خلاف ذلك ، حيث يشجع المسنون على الاعتماد على الذات ، والاندماج في الحياة وممارسة الأنشطة لأطول فترة ممكنة ، بل يرى البعض أن الانسحاب في مرحلة الشيخوخة ، إذا رغب فيه البعض ، قد يكون استمراراً لمشاركة محدودة من جانب المسن خلال حياته . الأمر الذي ينبغي ألا يعمم على كل المسنين إذ قد لا يكون من مصلحة المسنين تحقيق هذا الانسحاب^(٢) ولا يغيب عنا موقف الإسلام في هذا الصدد ، فالباب مفتوح أمام المسنين ، كما هو أمام غيرهم ، للمشاركة في الحياة العامة ، ما داموا قادرين على ذلك .

نظرية النشاط :

في مقابل نظرية فك الارتباط ظهرت هذه النظرية في جامعة شيكاغو الأمريكية في منتصف الخمسينيات ، وتقوم على التسليم بأن للمسنيين نفس الحاجات الاجتماعية والنفسية

(1) Cummings & Henry 1961 .

(2) Youmenn , G . 1977 . "Some Perspectives on Disengagement Theory" . in Let's . Learn about Aging . J . Barry & C. Wingrove (eds.) New York : John Wiley & Sons : 161-164 .

المرتبطة بممارسة الأنشطة المختلفة ، مثلهم في ذلك مثل الفئات الأصغر سناً ، فالشيخوخة السوية إذن تتطلب المحافظة على مختلف الأنشطة والاتجاهات التي سادت في حياة المسن في أوسط العمر ، وذلك لأطول فترة ممكنة ، مما قد يتطلب منه البحث عن بدائل لبعض الأنشطة أو الأدوار التي لا بد من التوقف عنها بالتقاعد ، تؤكد هذه النظرية أن فهمنا لفك الارتباط لا ينبغي أن يقلل من أهمية فهمنا لما يعنيه الارتباط في حياة الفرد الأمريكي ، وخاصة من الطبقة المتوسطة ، إن القيم السائدة بين أفراد هذه الطبقة تؤكد على أن النشاط والإنتاج أمور ضرورية لتحقيق حياة ناجحة ، ومن هنا يأتي الموقف المناهض لهذه الطبقة بالنسبة للتقاعد ، وهكذا يظهر التعارض بين هذه النظرية وسابقتها فك الارتباط ، إذ تسلم نظرية النشاط باستمرار العلاقة بين الشخصية الفردية والنسق الاجتماعي ، مع انتقال الفرد من أوسط العمر إلى الشيخوخة الأمر الذي يؤدي إلى الاستمرار في الحكم على سلوكيات كبار السن بمعايير أوسط العمر⁽¹⁾ . بناء على هذه النظرية يصبح السبيل إلى شيخوخة ناجحة هو المحافظة على أعلى درجة من النشاط ، إذ كلما تدنى هذا النشاط كلما انعكس سلباً على التكيف مع الحياة ، وما يترتب على ذلك من عدم إحساسهم بالنفع ، وبالتالي عدم رضائهم عن تلك الحياة .

الواقع أن هذه النظرية تعتبر على نحو ما تعبيراً عن المعتقدات التي كانت سائدة بين الأمريكيين بخصوص التقدم في السن في الفترة التي ظهرت فيها ، ولذلك فهي لا تمثل نظرية علمية بقدر ما هي تقنين لأفكار شائعة . ومع ذلك الاتجاه نحو إنشاء مراكز أو نواد للمسنين لمساعدتهم على الاستمرار في النشاط ، وعلى الرغم من انتشار هذه النظرية ، فقد فشلت في تفسير ظواهر الانسحاب وتدنى الأحوال الشخصية عند بعض المسنين ، بل وانصراف البعض الآخر عن المشاركة في تلك النوادي أو المراكز . إضافة إلى ذلك فقد فشلت النظرية في الكشف عن أنواع الأنشطة الملائمة للمسنين ، ودرجة النشاط المناسبة لهم ، كما فشلت في تفسير إغراض البعض عن ممارسة النشاط ، مع قدرتهم على ذلك .

نظريات النمو :

نتيجة للانتقادات التي أثارها نظريتنا فك الارتباط والنشاط ، اتجه الباحثون وجهة أخرى في محاولة لربطها بالتجارب والخبرات التي يمر بها الشخص خلال مراحل العمر المتتالية أو خلال دورة الحياة باعتبار أن هذه الخبرات تساهم في تشكيل اتجاهات الفرد

(1) Havighurst , R. (1963) . "Successful Aging" in Process of Aging : Social and Psychological Perspectives . R . Williams et al (eds.) New York : Atherton : P299.

ومدرجاته ، وأسلوبه في التكيف خلال مرحلة الشيخوخة ، ومن هنا كان الاتجاه إلى نظريات النمو (من فرويد إلى أريكسون) . يمر الفرد في نموه بمراحل متتالية ومتداخلة ، بحيث يصبح الانتقال من مرحلة إلى أخرى تدريجياً ، وبدرجة أكبر من الأحداث التي تميز كل مرحلة ، وإذا كانت كل مرحلة تشهد ظواهر جديدة ، إلا أنها ليست مستقلة عن سابقتها ، لأن النمو ، حتى يصبح تنموياً ، لا بد أن يكون تراكمياً ، كما أن النمو في نفس الوقت لا رجعة فيه إلى الوراء . وتهتم الدراسات النفسية بعملية النمو من ناحيتين : إحداهما مراحل النمو ، والأخرى الأعباء المرتبطة بالنمو ومراحلها ، وقد تعددت الدراسات حول الأعباء التنموية للشيخوخة ، والتي تمثل تحديات لكبار السن ، نذكر منها ما انتهت إليه تلك الدراسات من إبراز خمسة أعباء تنموية أمام المسنين^(١) :

١- الاعتراف بما يصاحب الشيخوخة من بعض القيود أو الحدود (جسمية وعقلية).

٢- التغير في الأنشطة البدنية والأدوار الاجتماعية .

٣- البحث عن أساليب جديدة لإشباع الحاجات الجسمية والانفعالية والاقتصادية .

٤- الوصول إلى معيار جديد لتقدير الذات من خلال أدوار جديدة لا تقوم أساساً على العمر.

٥- البحث عن قيم وأهداف جديدة في الحياة .

وهكذا تقوم معظم نظريات النمو على الاعتقاد بأن لكل مرحلة عمرية متطلبات تنموية معينة ، لا بد من الوفاء بها ، تمهيداً للانتقال للمرحلة التالية .

والفشل في ذلك يمثل خروجاً عن المألوف في عملية النمو . وبناء عليه هناك نظرة جديدة لتكيف الفرد مع مرحلة الشيخوخة ، وذلك بالرجوع إلى تاريخ الفرد ، والتعرف على نموه خلال المراحل المتعاقبة ، وبذلك فإن هذه النظريات لا تؤكد على نمط سلوكي معين كالنظريات السابقة ، وإنما تتعدد أنماط التكيف بتعدد التجارب السابقة للمسنين أملاً في المستقبل ، وخاصة بالنسبة لأولئك الذين بلغوا الشيخوخة دون الوفاء بمتطلبات المراحل السابقة ، ولذلك يرى البعض أن هذه النظريات تتسم بقدر من التشاؤم لا مبرر له ، بل يتساءل هنا البعض عن فرص المسن في تحسين أحواله في الشيخوخة ، على الرغم من أخطاء الماضي^(٢) .

(1) Clark , M . & Anderson B . B . (1967) . Culture and Aging III : Springfield : Thomas .

(2) Cox, H. 1992. Later Life: The Realities of Aging , N, J. Prentice - Hall, Cox: P 36 .

نظرية الاستمرار :

وتقوم على الجمع بين الاستمرارية في عملية التنشئة الاجتماعية وبين مفهوم مراحل الحياة في علم نفس النمو ، ليصبح جوهر النظرية هو استمرار أنماط السلوك في مراحل العمر المتتالية . ويرى أصحاب هذه النظرية من علماء الاجتماع أن تجارب الفرد في مرحلة ما من حياته تعدد للدور أو الأدوار المطلوبة منه في المرحلة التالية ، بل إن تربية الأطفال تسهم في استمرار عملية التنشئة الاجتماعية ، من خلال إعداد الطفل للمراحل المتعاقبة من الحياة . وبناء على ذلك يفسر أصحاب النظرية ما قد يصاحب التقاعد من مشكلات ، على أساس أن التقاعد لا يحقق الاستمرار ، بل قد يعد انقطاعاً عن مراحل العمر السابقة (توقف العمل كدور هام في الحياة ، عدم الحاجة إلى مهارات العمل ، ضعف دوافع الإنجاز والنجاح) .

وهكذا يعتقد أنصار هذه النظرية أن عادات الناس واهتماماتهم ، وحالتهم الصحية ، وتجاربهم في الحياة ، تسهم في تحديد قدرتهم على المحافظة على أسلوبهم في الحياة عند التقاعد . إذ أن تجربة الفرد طوال حياته تنمى فيه استعدادات لأسلوب معين في الحياة يحاول الحفاظ عليه ، ما أمكن ذلك ، وفي مقابل نظريات فك الارتباط والنشاط التي ترى اتجاهات واحداً للتكيف مع الشيخوخة ، فإن نظرية الاستمرار تنطلق من التسليم بأن الفرد يحاول المحافظة على أسلوبه في الحياة لأطول فترة ممكنة . أما التكيف فيمكن أن يسير في اتجاهات مختلفة ، بناءً على إدراك الفرد لمركزه ودوره المتغير ، ومحاولة التكيف معه . وبدلاً من أن ينسحب الفرد يمكن أن يكون نشطاً من أجل التكيف ، لأن تاريخ الفرد وأسلوب حياته يتدخلان فيما يقرره المسن من التخلي عن بعض الأدوار والحفاظ على البعض الآخر^(١).

من استعراض هذه النظريات يتضح لنا ، لأول وهلة ، أنها لم تقدم تفسيرات مقنعة للشيخوخة وعملية التقدم في السن . وقد شهد على ذلك شاهد من أهلها ، إذ يعلق على ذلك أحد الباحثين في علم الشيخوخة الاجتماعي بقوله : "إن بعض النظريات تقدم إجابات مختلفة على نفس التساؤلات ، بل وأحياناً متعارضة مع نظريات أخرى" ومن ثم أصبحت تفتقر إلى عمومية التطبيق ، ويرجع السبب في ذلك إلى ارتباطها زمانياً وثقافياً^(٢) . ويقصد بذلك ما سبق الإشارة إليه من نشأة تلك النظريات في إطار المجتمع الأمريكي متأثرة بالأحوال المتغيرة للمسنين ، والمشكلات التي أفرزتها تلك المتغيرات .

(1) Cox, H. (1992). Later Life : The Realities of Aging. N. J. Prentice - Hall : 36 .

(2) Brown, A. (1990). The Social Processes of Aging and Old Age. N. J. Prentice - Hall : 71 .

والواقع أننا إذا نظرنا إلى تلك النظريات من منظور إسلامي نجد أنه ينطبق عليها ما ينطبق على النظريات الأكثر عمومية والتي انتهت إليها العلوم الاجتماعية ، سواء ما يتصل منها بالطبيعة البشرية مثل النظريات الفرويدية والسلوكية ، والتي ترى في الإنسان مجرد كائن عضوي ، مدفوع بدوافع مادية ، أو تلك التي تتصل بسلوك الإنسان في البيئة الاجتماعية ، وخاصة نظريات التنظيم الاجتماعي ، التي اقتصرت في معظمها على العلاقات الاجتماعية بين الناس ، وأغفلت علاقات هؤلاء الناس ، أفراداً وجماعات ، بالملأ الأعلى .

علارة على أن كلتا الطائفتين من النظريات اقتصرت في تحليلاتها على الحياة الدنيا مع إغفال تام للحياة الآخرة . وفي ذلك يشير إبراهيم عبد الرحمن في دراسة له عن التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية إلى هذه النقطة في قوله : "إن تلك النظريات إنما تبدأ وتنتهي بالإنسان ، وكأنه جاء من فراغ ، وينتهي إلى عدم ، وأنه بين هاتين النقطتين مجرد كائن عضوي تدفعه حاجاته دفعاً إلى تنظيم علاقاته مع غيره ... أما عن حياته الروحية ومتطلباتها ، وعن صلته بخالقه وآثارها ، وعن شرائع ربه التي ارتضاها لخلقه وأما عن البعث والجزاء في يوم تشخص فيه الأبصار ، وأما عن الحياة الأخرى ، التي هي الحياة الحقيقية بكل معنى لا ينكره إلا الجاحدون ، فكل هذه الجوانب غائبة غياباً تاماً عن تلك النظريات جميعاً" (١) .

وإذا كانت نظريات النمو قد حظيت بقبول أكبر من الخدمة الاجتماعية الغربية في عملها مع المسنين ، فإن تلك النظريات تشترك مع غيرها في إغفال الجانب الروحي في حياة الإنسان مع أهمية هذا الجانب للإنسان عموماً . بل وقد تزداد أهميته خلال مرحلة الشيخوخة الأمر الذي يتطلب تصحيح أو استكمال تلك النظريات من خلال تفهمنا لموقف الإسلام من الشيخوخة والتقدم في السن .

الشيخوخة من منظور إسلامي :

وردت في القرآن الكريم عدة آيات تصور ما يحدث للإنسان خلال مراحل العمر المتتالية ، بدءاً بالطفولة وانتهاءً بالشيخوخة والوفاة ، وهي تصور ما يحدث للإنسان في شيخوخته من ضعف قواه البدنية والعقلية متمثلة في ضعف القوة عموماً ، ووهن العظم ، وشيب الرأس ، وضعف القدرة على الحفظ والتذكر ، وقلة العلم . على أن هذه التغيرات تعتبر في رأي علماء المسلمين "تطورات طبيعية ينبغي أن يتلقاها المسن على أنها أمر حتمي قضاه الله على عباده ، وهذا ما يجعل المسن يتقبله بصدر رحب ، دون ضجر أو ضيق . بل

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب (١٩٩٢) . "التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية" . بحث قدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم . رابطة الجامعات الإسلامية - القاهرة ، ص ٣٥ .

يجعله يحس بأنه في كنف الله ورعايته ، ولهذا تقل أو تنذر في المجتمع الإسلامي حوادث انتحار المسنين أو إصابتهم بالإكتئاب" (١) .

ومن الآيات التي تناولت خصائص مرحلة الشيخوخة قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ ، لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٢) .

الله تعالى هو الذى خلق الخلق ، وهو الذى يتوفاهم ، ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم ، وبعد أن كان يعلم ، أصبح ينسى كثيراً مما علمه . كما يشير القرآن في آية أخرى إلى أن طول العمر ، أو الهرم ، يعتبر تنكيساً في الخلق ، والتكيس هو قلب الشيء على رأسه ، أو بمعنى آخر تبديل الشباب هرمًا ، والقوة ضعفاً ، ويقول تعالى : ﴿وَمَنْ نَعْمَرِهِ نَنْكَسِهِ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣) .

ومن أبداع الصور التي صور بها القرآن حال الإنسان في الشيخوخة ، وما يعترى الجسم من ضعف أو وهن قوله تعالى : ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (٤) ، وهن العظم يشير إلى ضعف القوى ، كما يشير شيب الرأس إلى علامات الشيخوخة بعد الشباب .

أما عن المراحل التي يتنقل فيها الإنسان خلال رحلة العمر ، فيصورها القرآن أبلغ تصوير في قوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥) . فالله هو الخالق ، وهو المبدع ، وهو صاحب التصرف المطلق في خلقه : ﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (٦) . خلق الله الإنسان في أطوار ، خلقه من بدن وروح ، وخلفه لغاية هي عبادته سبحانه وتعالى باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه . فإذا قر ذلك في قلب المسن تقبل الشيخوخة التي هي خلق الله ، فتطمئن القلوب ، وترضى النفوس . من هذا المنظور الإسلامي للشيخوخة تبرز أهمية مراجعة

(١) محمد متولى (١٩٩٢)، "الإسلام والشيخوخة" . محاضرة في أسبوع التمريض الثامن - جمعية التمريض الكويتية .

(٢) سورة النحل : الآية ٧٠ .

(٣) سورة يس : الآية ٦٨ .

(٤) سورة مريم : الآية ٢-٤ .

(٥) سورة الروم : الآية ٥٤ .

(٦) سورة الأعراف : الآية ٥٤ .

الأساس النظرى للخدمة الاجتماعية مع المسنين ، فالشيخوخة ليست نشاطاً دائماً . وليست انسحاباً تاماً ، وإنما هى مراحل ذات بداية وتؤدى إلى نهاية قدرها الله على عباده ، وهى حياة دنيوية زائلة تؤدى إلى حياة أخروية باقية . ومن الطبيعى أن يؤدى تعديل الأساس النظرى إلى تعديل في عمليات الخدمة الاجتماعية . إلا أن الخدمة الاجتماعية وإن تأسست ممارستها على نظريات ، فإنها في نفس الوقت تلتزم بقيم معينة ، ومن الطبيعى أن يؤثر نسق القيم على أساليب الخدمة الاجتماعية مع المسنين .

قيم الخدمة الاجتماعية :

إن ممارسة الخدمة الاجتماعية مع المسنين إذا كانت تقوم على أساس معرفى من النظريات المتصلة بالشيخوخة ، فإنها تلتزم في نفس الوقت بنسق من القيم ، التى يلتزم بها الأخصائى الاجتماعى في اختياره لأنسب المعارف النظرية بالنسبة للمسنن في الموقف ، بل إن ممارسة الخدمة الاجتماعية تقوم على مثلث ذى ركائز ثلاث : المعرفة والقيم والمهارة ، وإذا كانت المعرفة النظرية التى سبق عرضها تحتاج إلى قدر من الحذر في الانتفاع بها ، فإنها تحتاج أيضاً إلى كثير من التعديلات والإضافات على ضوء المنظور الإسلامى ، فقيم الخدمة الاجتماعية تحتاج إلى وقفة . نظراً لخطورة الدور الذى تقوم به القيم في توجيه العمل مع المسنين ، بل في صياغة أهداف المهنة ، خاصة وأن قيم الخدمة الاجتماعية بصفة عامة هى نتاج تراث ثقافى غريب ، يغلب عليه الطابع الأمريكى .

وفي نفس الوقت فإن القيم المهنية لا تنفصل عن قيم المجتمع الذى تمارس فيه ، بل إن المهن تعمل على تكريس قيم مجتمعية وفي المقابل تحصل المهنة على تصديق المجتمع ، واعترافه بها ، من خلال التشريعات والتمويل وتفويض المهنة في بعض وظائف المجتمع ، وهكذا ونتيجة الارتباط بقيم مجتمعية معينة ، فإنها تمثل في هذه الحالة ضمير المجتمع بالنسبة لتلك القيم (١) ، بناءً على ذلك عرض القيم المهنية يتطلب عرض أهم القيم المجتمعية وخاصة تلك التى تنعكس سلباً أو إيجاباً على المسنين في المجتمع . وهنا نشير في البداية إلى مصادر القيم المتصلة بالناس والمجتمع في الغرب بصفة عامة ، والتى حددتها إحدى الدراسات فيما يلى (٢) :

١ - الدين المسيحى : وخاصة التأكيد على قيمة الإنسان ومسئولية الفرد تجاه جاره .

(1) Hepworth, D. & Larsen J. (1990). Direct Social Work Practice : Theory and Skills. Belmon, Calif : Wadsworth .

(2) Brill,N.(1990).Working with people: The Helping Process. New York: Longman 25-26 .

٢- المثل الديمقراطية : وخاصة المساواة بين الناس ، وحق الإنسان في الحياة والحرية والسعى وراء السعادة .

٣- الأخلاقيات البيوريتانية : التأكيد على أن صفات الشخص وأخلاقه هي كل شيء ، والظروف لا شيء . الإنسان الأخلاقي هو الجاد في عمله المعتمد على نفسه ، أما اللعب فرذيلة .

٤- الداروينية الاجتماعية : التأكيد على أن البقاء للأصلح والأقوى خلال العملية التطورية التي تنتهي إلى بقاء الفرد وإلى مجتمع الأقوياء .

ومن الطبيعي أن تختلف هذه المصادر في أهميتها ، وبالتالي أهمية ما يصدر عنها من قيم باختلاف ظروف الزمان والمكان ، والواقع أن الخدمة الاجتماعية الغربية وإن تأثرت في مراحلها الباكرة بقيم الدين المسيحي ، فقد تأثرت في مراحل لاحقة بالبيوريتانية والداروينية . خاصة وقد مارست الفلسفة الفردية تأثيراً واضحاً على ممارسة الخدمة الاجتماعية رداً من الزمان ، بل مازالت رواسب هذه الفلسفة تؤثر على الخدمة الاجتماعية الأمريكية ، الأمر الذي لا بد وأن ينعكس على أساليب العمل مع المسنين ، وذلك في إطار النظرة المجتمعية المعاصرة للمسنين في المجتمع الغربي ، وإذا كان الأمر كذلك ، فهل من سبيل لعرض أهم القيم المجتمعية حتى نتبين دورها في توجيه قيم الخدمة الاجتماعية .

يشير أحد الباحثين في دراسة له عن الشيخوخة إلى أهم الصفات والخصائص التي تحظى بقيمة كبيرة في المجتمع الأمريكي ، ونلخصها فيما يلي :

١- الإنجاز والقدرة على الإنجاز .

٢- إنتاج السلع والخدمات .

٣- النجاح في تنمية العلاقات الإنسانية والمحافظة عليها .

٤- الاستقلالية والاعتماد على الذات .

٥- القدرة على الاستمتاع بالحياة .

٦- المعرفة والوعي .

٧- تحصيل التكنولوجيا واستيعابها .

٨- الجاذبية والحسية .

٩- الحيوية البدنية .

١٠- القوة والتأثير .

١١- الثراء المادي .

علماً بأن الاستقلالية والاعتماد على الذات في المجتمع الأمريكي تعنى أموراً أهمها : دخل كاف - مسكن مستقل - صحة جيدة تمكن صاحبها من الحركة والسعى في الحياة⁽¹⁾. يتضح من استعراض هذه الصفات التي يرقى بعضها إلى مرتبة القيم أنها تكرر خصائص الشبابية والفردية والإنتاجية ، وبالتالي لا تتيح لقطاع كبير من المسنين تحقيقها أو الوفاء بمتطلباتها ، الأمر الذي يؤدي في معظم الأحيان إلى التقسيم السلبي للشيوخوخنة والتقدم في السن ، كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

وفي إطار الصفات والخصائص ذات القيمة في المجتمع الأمريكي ننتقل إلى القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع الأمريكي والمؤثرة على سلوك الناس وعلاقاتهم بعضهم البعض . وإذا كان من الصعب حصر كل تلك القيم فإننا نكتفى بنماذج من أبرز القيم الاجتماعية والتي تعرضها إحدى الدراسات على الوجه التالي :

- الإنجاز والنجاح .
- النشاط والعمل .
- الأخلاقيات الإنسانية .
- الكفاءة والواقعية .
- التقدم .
- الرفاهية المادية .
- الحرية .
- المساواة .
- العلم والعلمانية .
- الديمقراطية .
- المسؤولية الفردية .
- الوطنية .

وبدون الدخول في تحليلات مسهبة لكل تلك القيم تكفى الإشارة إلى التأكيد على الجانب المادى في حياة الإنسان لتصبح الرفاهية المادية قيمة من قيم المجتمع ، وبالتالي معياراً للحكم على الناس ، وتحديد موقعهم في شبكة العلاقات الاجتماعية ، وفي نفس الوقت فقد أغفل نسق القيم كل ما يتعلق بالجانب الروحى في حياة الإنسان ، ليصبح في ظل ذلك النسق دابة تسعى نحو الإشباع الحسى والثراء المادى ، لتتوقف عند ذلك غاية الحياة . وإذا كانت القيم تدفع الناس دفعا للنشاط والعمل والإنجاز ، فيبدو أن كل ذلك موجه نحو غاية الغايات ، وهى الإشباع المادى ، وإن كنا لا نغفل قيم الديمقراطية والحرية والمساواة ، إلا أن نسق القيم يؤثر في بعضه البعض الأمر الذي يؤدي إلى تقارب وزن هذه القيم وأثرها في توجيه حياة الناس .

(1) Kalish, R, (1975). Late Adulthood : Perspectives on Human Development .
Monterey . Calif : Brooks Cole : 75 .

وإذا ارتفعت العلمانية في هذا النسق إلى مصاف القيم ، فإن معنى ذلك التأكيد على الحياة الدنيا، وهي الفانية ، مع إغفال واضح للحياة الآخرة ، وهي الباقية . فكيف يؤثر ذلك على المسنين باعتبارهم أقرب الفئات العمرية إلى لقاء الله سبحانه وتعالى .

لقد ساهم النسق القيمي ، بتفاعله مع عوامل أخرى ، في تنمية الصورة السلبية للشيخوخة ، وللمسنين في المجتمع الغربي بصفة عامة . وهي نتيجة انتهى إليها عدد من الدراسات . تشير إحدى تلك الدراسات إلى ظاهرة الخط من قيمة الشيخوخة ، وذلك في معرض التعليق على موقف المجتمع الغربي منها في القول : "يثير المسنون تأنيباً للضمير . لقد قاموا خلال حياتهم بأعمال شتى ، وواجهوا مطالب تلك الحياة ليقعوا في النهاية فريسة للعزلة والحرمان . إنهم ينتشرون بيننا بحضورهم الهادئ ، شواهد على الخلل الذي أصاب العدالة الاجتماعية⁽¹⁾ .

وعلى الرغم من نمو وتقديم خدمات رعاية للمسنين في المجتمعات الغربية عامة ، ترصد الدراسات حالة التدنى المستمر لأحوال المسنين . وتصور لنا الكاتبة الفرنسية سيمون دى بوفوار حالة المسنين في المجتمع الغربي بصورة درامية بدءاً بالتساؤل : "هل مازال المسنون من البشر ؟ إن المجتمع لا يوفر لهم الحد الأدنى الضروري . إنه يحكم عليهم بحياة الفقر ، وسكن الأحياء المتخلفة ، وتدهور الحالة الصحية ، وحياة العزلة واليأس . كما لو كان المجتمع يؤكد على أن المسنين لا يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها غيرهم من الأفراد في المجتمع" .

لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تفاعلت كل هذه العوامل المجتمعة لتؤدي إلى ظاهرة جديدة للفرقة بين الناس على أساس العمر ، أطلق عليها التعصب العمري ، والتي يعرفها روبرت بلر بأنها "عملية منظمة لوضع الناس في قوالب ، والفرقة ضد اللون أو ضد الجنس . وهكذا يصنف كبار السن على أنهم مخرفون ، جامدون في الفكر . إن الفرقة العمرية وجئت الأجيال الشابة إلى أن ترى في المسنين أناساً مختلفين عنهم . ومن ثم يخفون في معاملتهم كبشر" .

(1) Rosow, I. (1977). Socialization to Old Age. Berkeley, Calif, : University of California Press.

-De Beauvoir, S. (1972). The Coming of Age. New York : Butman's : 160.

-Butler, R. (1975). Why Survive . New York : Harper & Row . Clark, E. 1988.

"Conceptulizing Spirituality for Social work : Insights from diverse Perspectives" . Social Thought : Winter , 1988: 12 .

- Johnson 1986 : 58 - 59 .

بعد هذا العرض الموجز لتلك النماذج من قيم المجتمع الغربى ، والأمريكى بصفة خاصة وما تركته من آثار على حياة الناس وعلاقاتهم ، تنتقل إلى القيم المهنية ، قيم الخدمة الاجتماعية ، باعتبارها موجهات للأخصائيين الاجتماعيين ، في عملهم مع المسنين ، أفراداً أو جماعات . ومعروف أن قيم الخدمة الاجتماعية ، والتي ترجع بجذورها إلى التجربة الغربية ، قد تشكلت في إطار قيم المجتمع الغربى عامة ، والأمريكى خاصة . ودون الدخول في دراسة تفصيلية للقيم وتصنيفاتها وعلاقتها بالمكونات الأساسية للممارسة ، نكتفى بإحدى الصور التى قدمتها إحدى الدراسات الحديثة عن قيم الخدمة الاجتماعية ، في التجربة الأمريكية ، والتي تقسمها إلى ثلاث فئات على ثلاثة مستويات.

١- صور عليّة مفضلة لدى الناس :

- قيمة الإنسان وكرامته .
- القدرة الفطرية للإنسان على التغير في سبيل حياة أفضل .
- مسئولية الفرد عن نفسه وعن غيره في المجتمع .
- الانتماء كحاجة للإنسان .
- تفرد الإنسان على الرغم من عمومية الحاجات .

٢- غايات مفضلة للناس :

- مسئولية المجتمع عن توفير الفرص لنمو الفرد بالشكل الذى يساعد الناس على استثمار طاقاتهم .
- توفير الموارد والخدمات اللازمة لإشباع حاجات الناس .
- تكافؤ الفرص لكل الناس في توجيه شئون مجتمعهم (المسئولية الاجتماعية) .

٣- أساليب مفضلة للتعامل مع الناس :

- معاملة الناس بالاحترام والكرامة .
- مساعدة الناس على التفاعل مع الآخرين حتى يستجيب المجتمع لاحتياجات كل الناس فيه .

- التعامل مع الفرد كإنسان له كيانه الذاتى المستقل (مع تشابهه مع الآخرين) .

من استعراض هذه السلسلة من القيم نلاحظ أن القيمة الإنسانية تمثل المحور الذى تلور حوله قيم الخدمة الاجتماعية . إذ تؤمن الخدمة الاجتماعية بالإنسان ، وتؤكد على حقه في احترام كرامته بغض النظر عن الاعتبارات التى تفرق بين إنسان وآخر ، كاعتبار الجنس أو اللون أو العقيدة أو المذهب السياسى ، لأنها اعتبارات لا تمس جوهر الإنسان ، وبالتالى ينبغى ألا تؤثر على حقوق الإنسان وفي مقدمتها الحرية والمسئولية ، والمساواة والعدالة وتكافؤ الفرص . والواقع أن الخدمة الاجتماعية تستجيب بذلك إلى موقف الإسلام

من تكريم الإنسان ورفع شأنه . ومن ثم تصبح الكرامة الإنسانية حقاً للناس جميعاً ، لأنها تتعلق بالإنسان ، وبنوعه لا بشخصه . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١) .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الكرامة الإنسانية ، حين تتعلق بنوع الإنسان لا بشخصه ، ينبغي ألا ترتبط بأى مرحلة من مراحل العمر ، بحيث يصبح حق الإنسان في احترام كرامته حقاً مقررأ في كل مراحل العمر ، في الصِّغَر والكِبَر ، في الشباب والشيخوخة . وهنا قد تتعارض القيم المهنية للخدمة الاجتماعية مع القيم الاجتماعية للمجتمع ، وخاصة تلك التي تؤكد على الشبابية والإنتاجية والاعتماد على الذات ، والتي سبق الإشارة إليها ، خاصة وأن الكرامة الإنسانية وما تفرزه من حقوق لا تتم في فراغ ، وإنما تتم في إطار اجتماعي . وهكذا تتفاعل مع شبكة القيم السائدة في المجتمع . ومن ثم تتأكد الحقوق من خلال العلاقات الاجتماعية بين الناس .

وهكذا ترتبط القيمة الإنسانية بعدد من القيم الأخرى في المجتمع الإسلامي . نذكر منها وفي مقدمتها القيم المتصلة بالعمل مع المسنين مثل صلة الرحم والأخوة ، والتكافل الاجتماعي .

إن القيم المهنية للخدمة الاجتماعية ، وإن أكدت على مسئولية الفرد ومسئولية المجتمع ، إلا أنها أغفلت التزامات القرابة ، التي ينبغي أن تحظى بالأولوية في الرعاية الاجتماعية عامة ، ورعاية المسنين خاصة . ودعوة الإسلام إلى التعاطف والتقارب بين أولى الأرحام دعوة معروفة ، دعوة تستجيب للفطرة الإنسانية ، التي تتوقع وتتقبل الرعاية من أولى الأرحام وذوى القربى مصداقاً لقوله تعالى :

﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (٢) .

وإذا كانت القيمة الإنسانية تقرر حقوقاً للإنسان باعتبار وحدة الأصل التي صدر عنها الناس جميعاً ، فإن الأخوة في الإسلام تقرر حقوقاً والتزامات متبادلة بين المسلمين . ومن هنا ترتفع الأخوة إلى مرتبة القيم ، تأكيداً لارتباط المؤمنين برباط روحى واحد ، وغاية في الحياة واحدة . وهكذا تخاطب شريعة الإسلام المسلمين جميعاً ، أينما وجدوا ، باعتبارهم أمة واحدة ، وإن تعددت أوطانهم تربطهم أخوة الدين ، التي هى أقوى من أى رباط . يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٣) .

(١) سورة الإسراء : الآية ٧٠ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٧٥ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

﴿إِنَّمَا هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رِبِّكُمْ فَاعْبُدُون﴾^(١) .

والأخوة كقيمة في المجتمع الإسلامي ترتبط بالتكافل الاجتماعي كقيمة تفرض على المسلم أن يتعاون مع أخيه المسلم في مواجهة أعباء الحياة ، مادياً ومعنوياً . فالتكافل الاجتماعي في رأى أحد علماء المسلمين : "لازم من لوازم الأخوة ، بل هو أبرز لوازمها ، وهو شعور الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ، ومحمول على أخيه ، يسأل عن نفسه ، ويسأل عن غيره"^(٢) .

بقيت الإشارة إلى حقيقة أن قيم الخدمة الاجتماعية تتفق مع قيم المجتمع الغربى في إغفالها الواضح للقيم الروحية . ويظهر ذلك بصفة خاصة في تلك القيم المتصلة بغايات الناس في الحياة ، والتي تدور جميعاً حول الحاجات الدنيوية ، وتوفير الموارد لإشباع تلك الحاجات . وهنا يقف دور الخدمة الاجتماعية عند مساعدة الناس على استثمار مواردهم في تذليل الصعوبات التي تعترض ذلك الإشباع . ويعكس ذلك ما شهدته الخدمة الغربية في تاريخها الحديث من تجاهل واضح للبعد الدينى في حياة الناس ، الأمر الذى انعكس على ممارسة المهنة . إذ على الرغم من أن الخدمة الاجتماعية قد نشأت متأثرة بتعاليم الدين المسيحى ، إلا أنه ، ومع حركة العلمانية التي سيطرت على الخدمة الاجتماعية منذ مطلع القرن العشرين ، قد استبدلت الدوافع الدينية للمهنة بالفكر العلماني مثل نظريات الحقوق الطبيعية ، ومصالح المجتمع ومسئولية الدولة مع إهمال واضح للجانب الروحى في حاجات الناس وتجارب الإنسان^(٣) .

وعليه فإن الخدمة الاجتماعية في المنظور الإسلامى ، وإن اتفقت معها التجربة الغربية في التأكيد على القيمة الإنسانية وما يرتبط بها من حقوق ، إلا أنها ترفض حصر غايات الإنسان في أمور الدنيا ، وفي الحاجات المادية والاجتماعية . وإنما ينبغى أن تأخذ الغايات الروحية ، في المنظور الإسلامى ، مكان الصدارة ، وخاصة صلة الإنسان بالله ، وطاعته له ، وافتقاره إليه . إن ضعف الصلة بالله ، والضلال عن طريق الله ، يؤدي إلى التخبط في إشباع الحاجات الدنيوية^(٤) . وكيف لا تكون تقوى الله وطاعته غاية العباد ، وقد خلق الله الإنسان ، وفضله على كثير من خلقه ، وجعل غايته هى عبادة الله . قال تعالى : ﴿وَمَا

(١) سورة الأنبياء : الآية ٩٢ .

(٢) عمود شلتوت (١٩٦٦) . "الإسلام عقيدة وشرعة" . دار القلم - القاهرة : ٤٤٣ .

(3) Canda (1988) : 30 .

(٤) إبراهيم عبد الرحمن رجب (١٩٩٢) . "التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية" . بحث قدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم . رابطة الجامعات الإسلامية - القاهرة : ٤٦ - ٤٧ .

خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يُطْعَمون . إن الله هو الرّزاق ذو القوة المتين^(١) . في هذا الإطار تنتقل إلى مناقشة الاحتياجات المتغيرة للمسنين، وأساليب مقابلة هذه الاحتياجات في مجتمعات العصر ، وموقف الخدمة الاجتماعية في هذا الصدد .

الاحتياجات المتغيرة للمسنين :

إن للمسنين كثمة عمرية حاجات ترتبط بحالتهم البدنية والنفسية والاجتماعية ، وذلك في إطار من النمط الثقافي السائد . وقد يكون من الصعب الوصول إلى تحديد دقيق لكل حاجات المسنين ، على أساس أنها تختلف باختلاف المجتمعات والعصور . علاوة على أن المسنين ليسوا بجماعة متجانسة ، ومن ثم يتفقون في كل حاجاتهم . ولكن لا يمنع الأمر من أن هناك حاجات أساسية ترتبط بمرحلة الشيخوخة ، أو تتخذ أهمية خاصة في هذه المرحلة ، أو يواجه المسنون بعض المشكلات في إشباعها . على أن ذلك لا يعنى أن للمسنين حاجات خاصة ينفردون بها عن بقية الفئات العمرية . وقد تعددت تصنيفات الحاجات عند المسنين ، نذكر منها تصنيفاً ورد في إطار دراسة عن الخدمة الاجتماعية مع المسنين على النحو التالي^(٢) :

أ- الحاجات الأولية :

وتشمل الحاجات المادية (الغذاء ، اللبس ، السكن ، الجنس) ، والحاجات الاقتصادية (الدخل) والحاجات الصحية (البدنية والنفسية والحاجة للأمن والحماية) ، والحاجات الاجتماعية (الأدوار والعلاقات الاجتماعية في الأسرة والمجتمع) .

ب- الحاجات الثانوية :

وتشمل الحاجة للنشاط والحركة ، الحاجة لشغل وقت الفراغ ، الحاجات الثقافية (الإعلام والمعرفة والفن) ، الحاجات السياسية (ممارسة حقوق المواطنة والمشاركة في شئون المجتمع) وأخيراً الحاجات الروحية .

حقيقة إن النظرة السريعة لهذا التصنيف تكشف عن أنها حاجات عامة تنطبق على كل الفئات العمرية ، إلا أنه من المعروف أن أولويات تلك الحاجات تختلف من فئة إلى أخرى . إلى جانب أن الناس قد يشتركون في حاجة واحدة ، ولكن أسلوب إشباع تلك

(١) الذاريات : ص ٥٦ - ٥٨ .

(2) Lowy , L . (1979) . Social Work with the Aging : The Challenge and Promise of Later years . New York : Harper & Row : 112 .

الحاجة يختلف من فئة إلى أخرى . ولكن الذى يلفت النظر حقيقة في هذا التصنيف موقفه من الحاجات الروحية ، والتي يضعها ضمن الحاجات الثانوية ، بل في أدنى مرتبة من تلك الحاجات ، مع أنه يتعامل مع حاجات المسنين . ويعكس ذلك ، كما سبق أن أشرنا ، موقف الخدمة الاجتماعية الغربية من البعد الدينى في الممارسة المهنية . ويكفى أن نشير في هذا الصدد إلى الكتاب الشهير في أوساط الخدمة الاجتماعية الغربية للسيدة شارلوت تول بعنوان (الحاجة الإنسانية العامة) والذي ناقش الحاجات الإنسانية في ١٧٤ صفحة خصص منها لما أسماه الحاجات الروحية للفرد سطراً فقط (١).

ولعله من الملاحظ أنه كلما تقدم العمر بالفرد نحو الشيخوخة كلما تقلصت تدريجياً الحاجات المادية متزامنة مع انخفاض مطرد في الأدوار والعلاقات والالتزامات الاجتماعية ، مع انخفاض نسبي في الحركة والنشاط . ومن الطبيعي في مقابل ذلك أن يزداد الإقبال على الجوانب الروحية في الحياة ، تعويضاً للفرد عما قد يكون قد فاتته في غابر أيامه ، وتكفيراً عما يكون قد أسرف فيه على نفسه ، واستعداداً للحياة الآخرة والتي هي في المنظور الإسلامى الحياة الحقيقية أو دار البقاء . بقيت الإشارة إلى خدمات رعاية المسنين استكمالاً للصورة التي ينبغي أن تربط بين الاحتياجات والموارد .

خدمات رعاية المسنين :

من الطبيعي أن تختلف خدمات رعاية المسنين باختلاف المجتمعات ، وباختلاف نظرتنا للشيخوخة ، والإطار الاجتماعى والثقافى السائد ، والدور المتغير للأسرة والدولة في توفير الرعاية المطلوبة ، والعلاقة بين دور الدولة ودور القطاع الأهلى في هذا الصدد . وبناءً على ما سبق ذكره بالنسبة لحاجات المسنين ، يتوقع أن تتجه السياسة الاجتماعية للدولة في المجتمع الغربى إلى توجيه الاهتمام الأكبر للحاجات الدنيوية للمسنين . حقيقة تختلف سياسات رعاية المسنين بين الدول الغربية ، إلا أنه ونسبة للزيادة المطردة في أعداد المسنين في تلك الدول ، وتقلص دور الأسرة والجماعات القراية في رعاية المسنين من أفرادها فقد أدى ذلك إلى تضخم في حجم التشريعات والبرامج والخدمات في مجال رعاية المسنين ، تقدمها المؤسسات الحكومية والأهلية ، ولعل من أهم الخدمات التى انتشرت في عديد من الدول العربية النماذج التالية :

١- خدمات الأمن الاقتصادية :

وتشمل التأمينات الاجتماعية التى تؤمن دخلاً مناسباً للفرد العامل عند بلوغه سن الشيخوخة ، إلى جانب المساعدات العامة والتي تغطى المسنين ممن لا تشكلهم التأمينات الاجتماعية وذلك بشروط معينة .

(1) Towle , C . (1965) . Common Human Needs . New York : NASW : 11 .

٢- الخدمات الصحية :

وتعتبر من أهم الخدمات المطلوبة للمسنين خاصة وأن مشكلات المرض ، وتكلفة العلاج الطبي، تعتبر من أهم مصادر القلق لدى المسنين ، لزيادة نسبة الإصابة بالأمراض ، وزيادة نسبة الأمراض المزمنة بين المسنين ولأن بعض تلك الأمراض قد يمكن علاجه ولكن لا شفاء منه ، فإن كثيراً من المسنين يعيشون حياتهم العادية بهذه الأمراض ، مع حاجتهم في سبيل ذلك إلى خدمات طبية مستمرة .

٣- خدمات تيسير الحياة اليومية :

تؤمن الخدمة الاجتماعية أن من أهم خدمات رعاية المسنين هي تلك التي تقدم لهم مع أسرهم أو في منازلهم لأنها تمكنهم من الاستمرار في حياتهم العادية عوضاً عن نقلهم إلى مؤسسات . وتشمل صوراً مختلفة مثل : خدمات التدبير المنزلي ، وخدمات الزيارات المنزلية ومجالسة المسنين وتقوم بها جماعات تطوعية .

والجدير بالذكر هنا أن من أحدث البرامج التي أجهت إليها بعض الدول الغربية حديثاً خدمات الجار الطيب ، وفيها يتعهد أحد الجيران بمتابعة شئون جاره من المسنين وخاصة قعيد البيت ، وتوفير ما يلزمه من خدمات ومتابعة حالته وتقرب هذه الخدمات من موقف الإسلام من العلاقة بين الجيران والتزامات هذه العلاقة والتي تقررت منذ أربعة عشر قرناً^(١) .

٤- خدمات تنمية المشاركة والعلاقات الاجتماعية :

وهي خدمات تساعد المسنين على تنمية علاقاتهم بالآخرين ، واستمرار اتصالهم بالعالم الخارجي من خلال أندية المسنين وغيرها من المؤسسات ، والتي تسهم بخدماتها في الحد من الشعور بالوحدة والعزلة الاجتماعية التي يعاني منها أعداد متزايدة من المسنين في المجتمعات الغربية .

٥- الخدمات المهنية المتخصصة :

مثل خدمات الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين والتي تساهم في مواجهة مشكلات التكيف الفردي والأسري . بالنظر إلى هذه الشبكة من خدمات وبرامج رعاية المسنين في إطار السياسة الاجتماعية في المجتمعات الغربية والتي أخذت في معظمها بنموذج دولة الرعاية ، نجد أنها ولاشك قد ساهمت بدور كبير ، لا مجال لتقييمه الآن ، في مواجهة ضغط الحاجات المتغيرة

(1) Mckoewn,T.&Lowe,C.1977.An Introduction to Social Medicine. London: Blackwell Scientific : 338 .

للأعداد المتزايدة من المسنين ، في زمن تقاعست فيه الجماعات الأولية عن أداء دورها تجاه المسنين من أعضائها ، وفي مقدمتها الأسرة والجيرة والمجتمعات المحلية . ولكن إلى أى حد نجحت تلك السياسة في تقديم الرعاية الحقيقية المناسبة للمسنين ، وإلى أى حد يمكن الأخذ بهذه السياسة في رعاية المسنين في مجتمعاتنا الإسلامية ؟

وهنا لا يمكن أن ننكر ما قامت به تلك السياسة من دور ضرورى ومطلوب في الاستجابة للاحتياجات المتغيرة للمسنين ، ولكننا نشك في نجاح تلك السياسة في وضع المسنين في المركز الاجتماعي المناسب ، وتقديم الرعاية المناسبة لهم. ودليل ذلك ما ذكرناه سابقاً من الأوضاع المتردية للأعداد الفقيرة من المسنين ، والتي كشفت عنها العديد من الدراسات والبحوث الغربية في علم الشيخوخة ، وما يمكن أن نضيفه لاحقاً : تلك الظاهرة السلبية التي كشفت عنها إحدى الدراسات وأطلقت عليها وصمة الشيخوخة والتي تلحق بالمسنين في تلك المجتمعات . وأبرز سمات تلك الوصمة النظرة السلبية تجاه المسنين ، حيث ينظر إليهم على أنهم لا أهمية لهم ولا فائدة منهم . وما لم يكن لديهم مهارات متميزة أو دخل كافٍ يوفر لهم حياة كريمة ، فإن الوصمة تؤثر على فرصهم في الحياة ، الأمر الذي يؤدي بالكثير منهم إلى حياة الفقر والمرض والعزلة الاجتماعية. ولا يقتصر ذلك على نظرة الناس إلى المسنين بل إن ذلك يؤثر على نظرة المسنين إلى أنفسهم ، ويعزز إحساسهم بالدونية^(١) .

والواقع أن هذه السياسة الاجتماعية كانت عرضة لهجوم شديد خلال الثمانينات في عديد من الدول الأوروبية التي أخذت بنموذج دولة الرعاية . فقد وصفها البعض في بريطانيا (مع تجربتها الطويلة في هذا الصدد) بأنها "الطريق إلى العبودية والخراب الاقتصادي"^(٢) وفي الولايات المتحدة تمحور الهجوم على تلك السياسة الاجتماعية حول فشلها في المحافظة على تنمية الأساليب التقليدية القديمة في مواجهة المشكلات وتنميتها ، وانحسار دور الأسرة ، والجماعات العرقية ، والمجتمعات المحلية ، والهيئات الدينية في هذا الصدد ، الأمر الذي يتطلب الاقتداء بتقاليد الماضى في وضع السياسات الاجتماعية ، ومنها بالطبع سياسة رعاية المسنين^(٣) .

(1) Athchley, R.(1980) .Social Forces in Later Life . Belmont ,Calif . : Wadsworth: 15 - 16 .

(2) Mishra, R. (1984). The Welfare State in Crisis: Social Thought and Social Change . Sussex : Wheatsheaf : 1 .

(3) Glazer (1988) : 3 .

وعلى الرغم مما تقدم فقد اُتجهت كثير من دول العالم الثالث ، ومنها دول عربية وإسلامية إلى الأخذ بتلك السياسات الاجتماعية . وكان آخرها الدول العربية النفطية في المجتمع العربي ، حيث ساعدت الثروة التي حققها النفط ، على أن تتحمل الدولة النفقات المتزايدة لخدمات الرعاية الاجتماعية التي تقدم للمواطنين بالجمان . وهكذا حلت الدولة في فترة وجيزة محل الأسرة والجماعات القروية والمجتمعات المحلية في إشباع الحاجات المتغيرة للناس ، وفي تغذية النزعات الاستهلاكية ، الأمر الذي أدى إلى عديد من الظواهر السلبية التي ظهرت على مسرح الحياة في المجتمعات الخليجية^(١) .

وبدلاً من إحياء القيم الإسلامية كركائز لسياسة اجتماعية تحقق التكامل والتكافل الاجتماعي ، تبنت كثير من الدول الإسلامية النموذج الغربي ، الذي نشأ في بيئة ثقافية واجتماعية ودينية مغايرة ، الأمر الذي أدى إلى ما تعانيه تلك الدول من آثار سلبية تتمثل في عجز ذلك النموذج المستورد عن الاستجابة للحاجات المتغيرة للناس ، حتى وإن حقق قدراً من الرفاهية المادية للبعض . فقد عجز عن تقديم الرعاية المناسبة لقطاعات كبيرة من المواطنين ومنهم المسنون^(٢) ، الأمر الذي يتطلب عرضاً موجزاً لأهم الأسس التي تقوم عليها الرعاية الاجتماعية للمسنين من المنظور الإسلامي ، والتي تمثل الإطار الذي ينبغي أن تمارس فيه الخدمة الاجتماعية .

رعاية المسنين من منظور إسلامي :

إن التنظيم الإسلامي للرعاية الاجتماعية جاء بصيغة فريدة ومتكاملة ، تتفق مع الطبيعة الاجتماعية للإنسان ، وتستجيب لفطرة الإنسان التي فطره الله عليها . فإذا كانت العلاقات الاجتماعية تبدأ بالأسرة وتنتهي إلى المجتمع الإنساني ، فإن التزامات الرعاية الاجتماعية تتجاوب مع التزامات العلاقات الاجتماعية المتدرجة بين الناس ، بدءاً بالعلاقة الزوجية ، وعلاقة الأبوة والبنوة ، علاقة القرابة أو صلة الرحم ، علاقة الجيرة ثم علاقة الأخوة في الإسلام وإنهاء بالمجتمع الإنساني^(٣) .

(١) الفاروق زكي يونس (١٩٨٩) . "الرفاهية وبناء الإنسان : حوّل اتجاهات السياسة الاجتماعية في دول الخليج العربي" . بحث قدم إلى الملتقى الثقافي الثاني لجمعية ورؤابط الاجتماعيين في الدول العربية الخليجية ، الكويت .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب (١٩٩٢) . "التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية" . بحث قدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم . رابطة الجامعات الإسلامية - القاهرة : ٧ - ٩ .

(٣) الفاروق يونس ١٩٨١ "الرعاية الاجتماعية في الإسلام" . بحث مقدم للمؤتمر الدولي لعلماء المسلمين . إسلام آباد (باكستان) .

في هذا الإطار من التنظيم الإسلامى للرعاية الاجتماعية ينبغي النظر في رعاية المسنين حقيقة إننا لا ننكر دور الدولة ممثلة للمجتمع في تقديم خدمات الرعاية الاجتماعية اللازمة للمسنين ، فتلک وظیفتهام ومسئولیتها ، وإنما ينبغي أن توضع مسئولية الدولة في موضعها الصحيح من النظام الإسلامى الذى يجعل رعاية المسنين أولاً حقاً للأبناء على الأبناء (بشرط القدرة) الأمر الذى ينسجم مع الفطرة الإنسانية وقد تعددت آيات القرآن الكريم التى تحدد حقوق الآباء على الأبناء ، وخاصة حين يتقدم بهم السن ، بقوله تعالى :

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً * إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما * فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً * واخفص لهما جناح الذل من الرحمة * وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾^(١) تبدأ الآية الكريمة بلفظ "وقضى" والذى يفيد الأمر والوصية . وفيها يُقرن الله تعالى عبادته ببر الوالدين ، ونمضى الآية في تفاصيل أساليب معاملة الأبناء للآباء مع تقدم السن بهم ، خاصة وأنهم الآن عند الابن بعد أن كان الابن عندهما ، منها التأدب فيما يوجهه إليهما من قول أو عمل ، حتى كلمة أف ، التى هى أقل القول ، فقد نهت عنها الآية ، نهت عن القول السيئ والفعل السيئ (لا تنهرهما) أى الابتعاد عن كل ما يراه الأب أو الأم نهراً ولو كان بالصمت . بعدها جاء الأمر بالقول الكريم الذى فيه التأدب والتوقير والمودة ، وجاء الأمر بالرحمة .

ويعرض القرآن رعاية الأبوين ، وهى أكرم صور رعاية المسنين ، من زاوية أخرى في سورة الأحقاف . بقوله الله تعالى :

﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ، حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذرىتى إنى ثبت إليك وإنى من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصديق الذى كانوا يوعدون﴾^(٢) .

في الآية تذكير للإنسان بما تحملته أمه من ألم الحمل والوضع ، ورعايته فى الرضاع والطفولة والشباب ، حتى إذا بلغ أشده وأصبح رب أسرة ، وسطاً بين آباءه وأبنائه يذكر رحمة الأبوين وبرهما ، ومسئوليته عن أبنائه ورعايته لهم . يستغفر الله من خطأ ارتكبه ، ويسمع وعد الله بتقبل صالح عمله والتجاوز عن سيئاته وحشره مع أهل الجنة .

وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتؤكد على حق الوالدين على الأبناء ، برهم ورعايتهم . عن أبى هريرة قال : "قال رجل : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال - ﷺ - ((أملك ثم أملك ثم أملك ثم أباك ثم أدناك أدناك)) .

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة الأحقاف : الآية ١٥ - ١٦ .

بل يحض الإسلام على رعاية الوالدين المسنين حتى لو كانا مشركين . عن أسماء بنت أبي بكر قالت : "قدمت على أمى وهى مشركة في عهد قريش فقلت يا رسول الله : قدمت على أمى وهى راغبة أفأصلها ، قال : نعم صلى أمك .

ومن الأحاديث ما جاء ترغيباً في رعاية الوالدين ، وبعضهما يقدم بر الوالدين على الجهاد . عن معاوية بن جاهمة السلمى أن جاهمة جاء إلى النبي - ﷺ - فقال : يا رسول الله أردت الغزو وجئتك استشيرك ، فقال : فهل لك أم قال : نعم ، قال : فالزمها ، فإن الجنة عند رجلها^(١) . بل إن رعاية الوالدين تعود على الأبناء بنعم من الله . عن ابن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من سره أن يمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه ، وليصل رحمه .

وفي نفس الوقت فمن الأحاديث النبوية ما يحمل ترهيباً من عقوق الوالدين ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي - ﷺ - قال : الكبائر : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس^(٢) .

ورعاية المسنين في الإسلام لا تقتصر على الأبوة والبنوة وصلة الرحم ، وإنما جاءت الأحاديث لتحض على رعاية المسنين عموماً . عن ابن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ - "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر"^(٣) .

بقيت الإشارة إلى أن الرعاية الاجتماعية للمسنين في الإسلام تفتح لهم أولاً باب المشاركة الإيجابية في الحياة العامة ، ما داموا قادرين على ذلك ، أما إذا أقعدتهم الشيخوخة فمن الطبيعي أن تتولى الأسرة رعايتهم ، فهذا حق لهم ، وهو في نفس الوقت قربة إلى الله وطاعة ، وبدءاً ببر الوالدين ، وصلة الرحم ، وحقوق الجوار ، وحقوق الأخوة في المجتمع الإسلامى . فإن تعذر ذلك تكون مسئولية الدولة ممثلة للمجتمع في ضمان حق الرعاية . في هذا الإطار من الرعاية التى تقوم على هدى من الله ، ينبغى أن تكون ممارسة الخدمة الاجتماعية . وفي هذا الإطار كذلك توجه التدخلات المهنية للأخصائيين الاجتماعيين إلى الأطراف المتداخلة في الموقف أو في عملية المساعدة نحو الأخذ بما شرع الله ، ففيه هدى الله البصير بفطرة الإنسان الذى استخلفه في الأرض لعنارتها . ومن الطبيعي في ظل هذا التوجه ألا تقتصر عملية المساعدة على إشباع الحاجات الدنيوية ، أو إصلاح الخلل في العلاقات الاجتماعية ، أو القصور في أداء الأدوار ، وإنما ينبغى أن تتجه إلى صلة نسق العمل مع الله

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه الترمذى .

سبحانه وتعالى ، سواء من جانب المسن أو أبنائه أو الوسط الأسرى ، وذلك هو البداية على الطريق الصحيح لعملية المساعدة ، التي نناقشها بإيجاز .

الخدمة الاجتماعية وعملية المساعدة :

إن العمل مع الأفراد والأسر والجماعات وغيرها من الأنساق يبنى على نظريات السلوك الإنساني ، وينطلق من نماذج مختلفة للممارسة ويطبق تدخلات مهنية متنوعة ، ويتعامل مع عملاء ومشكلات مختلفة . وعلى الرغم من هذا التنوع ، فإن عملية المساعدة تستهدف الأهداف المهنية العامة للخدمة الاجتماعية . وقد تنوعت النماذج المتصلة بتحديد المراحل التي تمر بها عملية المساعدة ، ومع ذلك يكاد يتفق المنظرون في الخدمة الاجتماعية على أن تلك العملية تمر بمراحل ثلاث ، لكل مرحلة أهدافاً خاصة بها ، وأنشطة ومهارات معينة ، وإن كان ذلك لا يعنى استقلال هذه المراحل عن بعضها البعض ، وإنما هناك التواصل والتداخل . تلخص إحدى الدراسات الحديثة المراحل على النحو التالي^(١) :

١ - الاستكشاف ، تقدير الموقف ، التخطيط .

٢ - التنفيذ وتحقيق الهدف .

٣ - إنهاء العملية والتقييم .

إن الأخذ بهذا النموذج أو غيره في العمل مع المسنين أمر لا غبار عليه ، ولكن الخطورة تكمن في مضمون تلك المراحل ، وألوان المعرفة والقيم والمهارات التي يستعين بها الأخصائي الاجتماعي في كل مرحلة ، خاصة مع موقف الخدمة الاجتماعية الغربية ، والأمريكية خاصة ، تجاه الدين - والذي سبق الإشارة إليه ، وعلى الرغم من الاعتراف بأن حياة الإنسان موزعة على ثلاث أبعاد : الجسمي والعقلي والروحي ، وأن البعد الروحي هو الذي يؤكد إنسانية الإنسان ، إلا أن الخدمة الاجتماعية وأدبياتها قد تجاهلت أو استبعدت أثر الدين على الممارسة لفترة طويلة . وحتى بعض المؤلفات التي ذكرت الدين فقد تعرضت له كموضوع جانبي ، أو فكرة هامشية^(٢) ، حقيقة أن المناخ الفكري للمهنة قد تغير بعض الشيء في السنوات الأخيرة ، فقد ظهر عدد من البحوث والمؤلفات والمقالات حول البعد الديني في الخدمة الاجتماعية ، كما تناولته بعض المؤتمرات بالناقشة دليلاً على تزايد الاهتمام بالموضوع ، إلى جانب صدور مجلة متخصصة في هذا الموضوع عام ١٩٩١ ، تحت عنوان : الروحانية والخدمة الاجتماعية . إلا أن الأمر مازال في بداياته الأولى ، ومازال يلقي مقاومة

(1) Hepworth , D. & Larsen J . (1990) . Direct Social Work Practice : Theory and Skills, Belmont , Calif : Wadsworth : 29 .

(2) Leowenberg (1988) : 2 - 5 .

من كثير من دوائر الخدمة الاجتماعية . وتشير إحدى الدراسات إلى ما انتهت إليه الخدمة الاجتماعية الأمريكية من تناقض في القول :

"من المثير للعجب أن الخدمة الاجتماعية التي تزعم أن اهتمامها الأول أو الأوحد هو الإنسان في كليته أو في بيئته الكلية ، قد تجاهلت البعد الديني لفترة طويلة . فإذا استمرت الخدمة الاجتماعية في إهمالها للدين ، مع العناية بتنمية التكنولوجيا ، سوف ينتهي بها الأمر إلى نتيجة مأساوية ، خاصة ، تنامي الاتجاه نحو التشكيك في كفاءة العلم والاعتراف بأهمية الدين" (١) .

إذا كان ذلك هو المناخ الفكري الذي تتم فيه عملية المساعدة ، وإذا أصبحت تلك هي نقطة الانطلاق في الخدمة الاجتماعية مع المسنين ، فأى مردود يمكن أن نتوقعه من عملية المساعدة؟ وأى إنجاز يمكن أن نحققه الخدمة الاجتماعية للمسنين ؟ يكفي للرد على ذلك استحضار الصورة المتدنية التي انتهى إليها وضع المسنين في المجتمع الغربي ، حتى لو طال البعض منهم جانب من الرفاهية المادية . وعلى أية حال فإن هذه النقطة من الدراسة : عملية المساعدة وأساليب التدخل المهني مع المسنين ، من منظور إسلامي ، تتطلب مزيداً من البحث والاستقصاء . ونسبة لأنه لا يمكن الفصل بين التوجه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، وبين من يحمل الأمانة من الممارسين لهذه المهنة ، فإن الخدمة الاجتماعية مهما حققت من غور على طريق التأصيل الإسلامي ، ستظل بعيدة عن الهدف المنشود ما لم تضع في الاعتبار أساليب التنشئة والإعداد والتنمية الروحية للأخصائيين الاجتماعيين ، والمواصفات اللازمة للعمل مع المسنين ، لأن "فاقد الشيء لا يعطيه" كما يقال . وكلها قضايا جوهرية نسأل الله التوفيق في استكمال دراستها في بحوث لاحقة إن شاء الله .

وفي الختام ننوه بالصيغة الإسلامية لرعاية المسنين ، ونوجه للنبع الفياض من التراث الإسلامي حول المسنين الذي لم يقتصر على تكريم المسنين في حياتهم ، وإنما يستمر التكريم بعد وفاتهم ، وذلك في أروع صورة لبر الوالدين في الحياة وبعد الممات .

عن مالك بن ربيعة الساعدي قال : "بينما أنا جالس عند رسول الله - ﷺ - إذ جاءه رجل من الأنصار فقال : هل بقي على من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به ؟ فقال : خصال أربع : الصلاة عليهما ، وإتفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك من قبلهما . فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما" (٢) .

(1) Faver , c .(1987) . " Religious Beliefs , Professional Values and Social : 210.

(٢) رواه أبو داود والبيهقي .

سياسات الرعاية الاجتماعية للمسنين بين الفكر الوضعي

والتصور الإسلامي

د . أحمد يوسف محمد بشير

بين يدي هذا البحث :

هذا البحث يمثل مساهمة متواضعة على صعيد الجهود المبذولة لتوجيه الخدمة الاجتماعية إسلامياً سواء كان ذلك على مستوى البناء المعرفي النظري أو الممارسة المهنية في شتى المجالات ، إيماناً من الباحث بأهمية وحتمية هذا التوجه الذي يستهدف إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح ، ويتناول البحث أحد المجالات الهامة للممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية وهو مجال "رعاية المسنين" والذي يعتبر "وفقاً لتقسيم باركر ١٩٨٧" أحد المجالات المستحدثة للخدمة الاجتماعية^(١) مستهدفاً المراجعة النقدية التحليلية للسياسات الاجتماعية إزاء المسنين ، والتي تمخض عنها الفكر الوضعي سواء في المجتمعات الغربية (المنتجة لهذه السياسات) أو في المجتمعات العربية والإسلامية والتي يسير معظمها - إن لم يكن جميعها - في إطار النموذج الغربي ، وكيف أن هذه السياسات إنما جاءت ترجمة للسياق الاجتماعي والثقافي للمجتمع الغربي وطبيعة تصوره للإنسان والحياة والمجتمع بشكل عام ونظرة "للمسن" بشكل خاص .

ونعني بالسياسات الوضعية "تلك السياسات التي أثمرها الفكر البشري البحث والتي لا تنزع إلى أصل ديني أو توجيه سماوي ، تميزاً لها عن تلك السياسات التي تستند في توجيهها وفلسفتها وأهدافها إلى قيم دينية سماوية تستثير بهديها وتستلهم منها ما يصبو مسيرتها ويرشد اتجاهاتها وأساليبها بما يتفق وطبيعة الإنسان كما خلقه الله عز وجل وهو أعلم بمكوناته ونوازعه ودوافع سلوكه وتصرفاته ما ظهر منها وما بطن ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيف الخبير﴾^(٢) فالسياسات الوضعية إذن هي فكر بشري خالص من حيث الأطر المرجعية والمصدر والأسلوب وظروف النشأة وعوامل التكوين والتطور .

لأن هذا البحث ينظر إلى هذه السياسات الوضعية من زاوية الرؤية وهي رؤية موضوعية تقبل وترفض إلا أنها تقبل ما تقبل عن ينة وترفض ما ترفض عن ينة ، لا شك

(1) Paul E. Weinderger ; "Perspectives on Social Welfare" , N. Y; Macmillan Publishing Co. ; Inc., 1979, P. 56 .

(2) سورة الملك : الآية ١٤ .

أن لهذه الرؤية أصول وقواعد ومبادئ أساسية وقواعد ثابتة وهى حقائق إيمانية ذات مصدر إلهي .

وبين يدي هذا البحث نطرح تساؤلا مؤداه :

هل نجحت السياسات الاجتماعية الوضعية لرعاية المسنين في تحقيق الأهداف التى تتوخاها، والآمال التى عقدت عليها والمتمثلة في رعاية هذه الفئة وإشباع احتياجاتها ومواجهة مشكلاتها ؟ إن الدراسات والبحوث والكتابات العديدة تؤكد ، والواقع يشهد أن هذه السياسات وما تم في إطارها من برامج وخطط ومشروعات وخدمات لم تحقق بعد ما هو مؤمل منها في هذا الصدد ، لا في المجتمعات الغربية ، ولا في غيرها ، لأسباب ترجع في المقام الأول - في تصور الباحث - إلى العديد من جوانب القصور التى شابت هذه السياسات والبرامج لكونها مبنية على تصور يخالف لطبيعة الإنسان ، هذا بالطبع إلى جانب عوامل أخرى اقتصادية كانت أو اجتماعية أو سياسية ، أو هى جميعا تضافرت فأدت إلى قصور هذه السياسات وعدم فعاليتها في تحقيق أهدافها مما دفع الكثيرين إلى المناداة بضرورة تبنى سياسات جديدة إزاء المسنين تختلف عن تلك السياسات القائمة والتى لم تنجح في حل المشكلة إلى الآن.

إن نقطة الضعف المحورية في هذه السياسات هى استنادها إلى العقل البشري مستقلا عن أى توجيه سماوى ، وهو (العقل البشري) مهما أوتى من كمالات فإنه يتصف بالعجز والقصور ، ولا بد للعقول من نور الوحي لكى يضئ لها الطريق ويصرها بالنافع من الضار، فالعقل كالعين والوحي كالنور ولا بد للعين من نور ترى في ضوءه^(١) .

ويأمل الباحث أن يسهم هذا البحث - على صعيد البحث العلمي - مع غيره من البحوث في هذا الميدان في استنهاض همة الباحثين والمهتمين بمجال رعاية المسنين في بذل المزيد من الجهود نحو بلورة نماذج وسياسات تنبثق من المنظور الإسلامي في إطار التوجه الحالي المعنى بالتوجيه الإسلامي لمجالات الممارسة المهنية .

وعلى صعيد العمل الميداني يتوخى الباحث أن يسهم هذا البحث -على تواضعه- في لفت أنظار المسؤولين وصناع القرار والمهتمين بقضايا المسنين إلى العمل على أن تنطلق سياسات وبرامج رعاية المسنين في مجتمعاتنا العربية والإسلامية من الخصوصية الحضارية الإسلامية التى تميز -دون أدنى شك- عن منطلقات سياسات الحضارات المادية ، وأن

(١) عبد الحميد أحمد أبو سليمان : "أزمة العقل للمسلم" ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ط : ٢ ،

تستلهم هذه السياسات من المبادئ والقواعد التي احتوتها مصادر الثقافة الإسلامية وعلى رأسها الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة (قولاً وعملاً وتقريراً) والممارسات التطبيقية التي حفل بها صدر الإسلام الأول وعصور ازدهار الأمة الإسلامية .

هذا ويدور البحث الراهن حول مجموعة من العناصر هي :

أولاً : أهمية موضوع البحث .

ثانياً : الإطار الاجتماعي والثقافي لظاهرة الكبر .

ثالثاً : مدخل رعاية المسنين في العلم .

رابعاً : العوامل المؤثرة في السياسات الوضعية الحالية لرعاية المسنين .

خامساً : جوانب القصور في السياسات الوضعية وفق الرؤية الإسلامية .

أولاً : أهمية موضوع البحث :

١- لعل النظرة التحليلية لبرامج وسياسات الرعاية الاجتماعية في المجتمعات الصناعية تعكس بوضوح كيف أن هذه السياسات توجه من خلال أيديولوجية المجتمع وفلسفته العامة، مما يشير إلى السمة المحلية لنسق الرعاية الاجتماعية ، واختلافه من مجتمع لآخر نظراً لارتباطه بطبيعة المجتمع وإمكاناته ودرجة تقدمه ، وطبيعة المشكلات التي يواجهها ، وعلى الرغم من ذلك فإن "ظهور الرعاية الاجتماعية في الدول النامية لم يكن استجابة أصيلة لإشباع الاحتياجات الأساسية المراد إشباعها ، وإنما استوردت ونقلت من المجتمعات الصناعية الغربية ولم يذل جيد يذكر في دراسة التوافق بين هذه التكنولوجيا الجديدة وبين الثقافة المحلية والبناء الاجتماعي الوطني" (١) .

٢- ولم يختلف الأمر بالنسبة للمجتمعات العربية الإسلامية عن غيرها ، فلقد تأثرت سياسات الرعاية الاجتماعية في هذه المجتمعات بالنموذج الغربي دون اعتبار لخصائص البناء الاجتماعي والثقافي ، والخصوصية التاريخية المتميزة لهذه المجتمعات ، ومدى ملائمة التجربة الغربية لطبيعة المجتمع الإسلامي ، واحتياجات أفرادها ، الأمر الذي انعكس - وكان هذا طبعاً - على درجة فعالية نظم الرعاية الاجتماعية واستجابتها لأهداف واحتياجات المجتمعات الإسلامية ومشكلاتها .

٣- والعجيب في الأمر ، أن تتمسك المجتمعات الإسلامية بالسياسات والنماذج الغربية في الوقت الذي تعالت فيه صيحات النقد والمجروح على هذه السياسات والنماذج حتى من قبل الغربيين أنفسهم حيث يشير "يونس" إلى أن السياسة الاجتماعية الأمريكية

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "نحو تأصيل الخطة الاجتماعية في الدول النامية" في : إبراهيم رجب وآخرين :

"نماذج ونظريات تنظيم المجتمع" ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٨٤ .

تعرضت في الثمانينيات لهجوم شديد لفشلها في المحافظة على تنمية الأساليب التقليدية القديمة في مواجهة المشكلات ، وانحسار دور الأسرة والجماعات العرقية والمجتمعات المحلية والهيئات الدينية في هذا الصدد ، الأمر الذي تطلب الدعوة إلى إحياء أساليب الحياة والضوابط التقليدية لا في صورة عودة إلى الماضي ، بقدر ما هي الاستفادة بتجربة الماضي في سياسات اجتماعية تستفيد من الأنظمة التقليدية^(١) .

٤- وفيما يتعلق (برعاية المسنين) لم يختلف الأمر كثيراً ، فلقد تأثرت سياسات رعاية المسنين في المجتمعات الإسلامية بالنموذج الغربي الذي نشأ متأثراً بأيدولوجية محددة ونظم سياسة تترجم التركيب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للمجتمعات الغربية ، هذا في الوقت الذي تعرضت فيه السياسات الغربية للهجوم من الغربيين أنفسهم ، وتعالى أصواتهم بضرورة تبنى سياسات جديدة أكثر واقعية وإنسانية لرعاية المسنين من السياسات القائمة ، فلقد أظهرت الدراسات التي درأت حول قضايا الكبر والمسنين أن اتجاه المجتمعات الحضرية في البلاد الصناعية إلى الاعتماد على المؤسسات الإيوائية لرعاية المسنين أو الأجهزة البديلة للأسرة في توفير احتياجاتهم قد أظهر كثيراً من العيوب والمآسى الإنسانية ، وأخل بالتماسك بين الفئات لأفراد المجتمع الأمر الذي أبرز أهمية مواصلة الأسرة لدورها باعتبارها الجهاز المجتمعي الأقدر على توفير هذه الرعاية والاحتضان للكبار من أفرادها^(٢) .

٥- إن المشكلات والتغيرات التي يتعرض لها المسنون تختلف من مجتمع لآخر تبعاً للسياق الاجتماعي والثقافي الذي يعيشون في كنفه والذي يحدد طبيعة نظرة المجتمع لكبار السن وموقفه منهم ، ومن هنا كان من الضروري والأمر كذلك أن تختلف السياسات والبرامج المعتمدة لمواجهة هذه المشكلات ورعاية هذه الفئة بحيث تأتي منسجمة مع هذا السياق .

٦- إن أهم ما يلفت النظر في السياسات الاجتماعية إزاء المسنين في المجتمعات العربية الإسلامية أنها تنور حول عناصر جزئية مبتسرة تفتقد التكامل والشمول في مواجهة وعلاج المشكلات وإشباع الاحتياجات ، ودون ربط كافة العناصر المجتمعية والحضارية في نطاق شمولي متكامل ، وبالنظر إلى أدبيات رعاية المسنين في هذه المجتمعات نجد أنها - في الأغلب

(١) الفاروق زكى يونس : "سياسة الرعاية الاجتماعية من منظور إسلامي" ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، للعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة ، (١٠-١٣ أغسطس ، ١٩٩١ ، ص : ٩-١٠) .

(٢) على فؤاد أحمد : "العمل الاجتماعي مع المسنين" في : عزت سيد إسماعيل وآخرين : التقدم في السن دراسات نفسية اجتماعية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٣ .

الأعم - تغفل "محورية" البعد الروحي والأخلاقي في مواجهة مشكلة المسنين أو حتى في نشأتها ، وتغفل أيضا البعد الخاص بتميز وخصوصية المعالجة الإسلامية لهذه المشكلة وإن ذكر هذا البعد فإنما يشار إليه على استحياء في إطار هامشي يتعلق بإشارات مقتضبة حول اهتمام الأديان السماوية "والإسلام من بينها" دون اهتمام بترجمة هذا البعد الحيوي والهام ليكون محورا تدور حوله كافة سياسات وبرامج وأشكال رعاية المسنين في هذه المجتمعات.

٧- إن هذا البحث يمثل رؤية مهنية - من وجهة نظر الخدمة الاجتماعية - فيما يتعلق بسياسات رعاية المسنين ، خاصة وأن دور الخدمة الاجتماعية كمهنة لم يعد قاصرا على تنفيذ برامج ومشروعات الرعاية الاجتماعية فحسب وإنما أصبح من الأغراض الأساسية لها المساهمة في صنع وتطور السياسة الاجتماعية والعمل ، والعمل على سد الفجوة بين احتياجات نسق العمل وتشريعات السياسة الاجتماعية^(١)، ومن ناحية أخرى فإن الخدمة الاجتماعية كمهنة تلعب أدوارا أساسية في مجال العمل مع المسنين وتنظيم برامج رعايتهم ، ليس فقط فيما يتعلق بتقديم الخدمات المباشرة للمسنين ، وإنما تعمل في ذات الوقت بقتل وضعيا المتميز وخصوصيتها المتفردة بين مهن المساعدة الإنسانية ، على دعم الجيود المتنوعة والتنسيق والربط فيما بينها بما يحقق أكبر عائد لصالح المسنين والمجتمع .

٨- إن هذا البحث يركز على خصوصية الرؤية الإسلامية في مجال رعاية المسنين في المجتمعات العربية الإسلامية الأمر الذي يرجع ضمن ما يرجع إلى المبررات التالية :

- أن الإسلام هو دين هذه المجتمعات ويشكل عصب نسيجها الثقافي ، وله خصوصيته المتميزة من حيث كونه منيحا شاملا للحياة بجميع جوانبها ومجالاتها .
- أنه يستلزم - في ضوء هذه الخصوصية - ضرورة تحقيق الانسجام بين الارتباط العاطفي به في الجانب العقدي والروحي والفردى ، والارتباط الواقعي والعملي في الجانب التشريعي والتنظيمي والاجتماعي والمؤسسى .
- ومن هنا تكتسب الدعوة إلى التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية والنظم الاجتماعية في المجتمع المسلم أهميتها البالغة باعتبارها عاملا أساسيا من عوامل تحقيق هذا الارتباط المنشود .
- وما دامت الخدمة الاجتماعية هى إحدى مهن المساعدة الإنسانية ، يصبح من الضروري والمنطقي ، في نفس الوقت الاهتمام بتوجيه تعاليمها ومناهجها ومجالات ممارستها وفقا لهدى الإسلام وتوجيهاته .

(1) Allen Pincus & Anne Minahan., "A model for Social Work Practice" in Harry Specht & Anne Vickery (eds) "Integrating Social Work Methods, London, George Allen & Univ, 1977, P. 75-77 .

• وتعاظم أهمية صياغة الخدمة الاجتماعية فلسفة وغاية ومنهجها وممارسة في إطار التوجيه الإسلامي في ضوء إدراكنا لأهمية هذه المهنة في حياة المجتمعات .

٩- أصبحت مشكلة المسنين واحدة من القضايا الهامة المطروحة على صعيد المجتمعات الغربية الصناعية وبدأت تلحق بها في ذلك المجتمعات النامية بما فيها المجتمعات الإسلامية ، ويرجع تزايد الاهتمام بقضايا المسنين ، في العصر الحاضر إلى مجموعة من العوامل أهمها :

أ- شهد هذا القرن في كثير من مناطق العالم زيادة كبيرة في أعداد المسنين ونسبتهم إلى مجموعة السكان بالمقارنة بأعدادهم ونسبتهم في القرون السابقة ، وطبقاً لتقديرات الأمم المتحدة فإن عدد الأشخاص الذين بلغوا سن الستين أو تجاوزوها سيتزايد حتى عام ٢٠٠٠ إلى أن يبلغ ٥٩٠ مليون مسن وسيشكل المسنون نسبة ١٤٪ من سكان العالم بعد أقل من ٥٤ عاماً^(١)، كما أن هذه المعدلات إنما تعنى في الواقع زيادة في الطلب على برامج الرعاية الاجتماعية والخدمات الطبية والعلاجية الأمر الذي أصبح يقلق بال صانعي القرارات في المجتمعات المعاصرة .

ب- دواعي عصرية ترجع إلى طبيعة العصر والتغيرات السريعة والمتلاحقة ، إذ إن مشكلة المسنين هي وليدة الصناعة والتقدم المادي والتكنولوجي ، وهي نتاج التنظيم الاجتماعي المعاصر الذي أحدث الكثير من التغيرات الاجتماعية وبالأذات في البناء الأسري ويشير (براون Browin .C) إلى ذلك بقوله : "إن الأسرة ظلت مشغولة عن رعاية مسنيها لفترات طويلة إلى أن جاء التخضر والثورة الصناعية فأثرا تأثيراً سلبياً على هذا الدور"^(٢) .

ج- دواعي دينية حيث يعد الاهتمام بالمسنين ورعايتهم وتوفير الاحترام والتقدير الخاص لهم من الأمور التي أولتها الشرائع السماوية (والإسلام خاتماً) عناية خاصة في إطار اهتمامه بالإنسان ، في شتى مراحل حياته .

د- دواعي تنموية ، تتمثل في أن ظاهرة الكبر الفردي والكبر السكاني لها تأثيرها إن سلباً أو إيجاباً ، ففي حالة إهمال الأعداد المتزايدة للمسنين قد تؤدي إلى إعاقة حركة التنمية على المستوى القومي، وفي حالة الاهتمام بوضع السياسات التي تنوحي تحقيق المشاركة الفعالة للمسنين في شئون المجتمع والحياة العامة تؤدي إلى دفع مسيرة التقدم والتنمية .

(١) إبراهيم خليفة - عبد الله الشمري : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربي" ، مجله المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٥٣ .

(2) Charance Browin & Mary O'day ; "Services to the Elderly" , in Neil Gilbert & Harry Soecht , (eds), Handbook of the Society Services, New jersy ; Prentice - Hall Inc, 1981, p. 102 .

هـ- دواعى علمية تتمثل في ازدياد الوعي علمياً بما يواجهه المسنون من مشكلات نفسية واجتماعية وصحية واقتصادية ، وظهور علوم جديدة أسهمت بقدر كبير في تفهم الظواهر المختلفة المرتبطة بالكبر مثل علم الكبر ، وعلم طب الكبر ، وعلم الطب الاجتماعي .

١٠- أن ثمة حقائق ومسلمات يستند إليها البحث الراهن لعل أهمها :

• أن هذا البحث وهو يسعى إلى المراجعة النقدية للسياسات الوضعية لرعاية المسنين من زوايا الرؤية الإسلامية لا يقف موقف الرافض لهذه السياسات جملة وتفصيلاً ، ولا ينطلق من افتراض أن هذه السياسات هي خطأ مطلق أو شر محض فإن ذلك يتنافى مع إحدى البديهيات الإسلامية التي تنص على أن " الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها" .

ثانياً : الإطار الاجتماعي والثقافي لظاهرة الكبر :

لا شك أن للسياق الاجتماعي الذي يعيش فيه المسنون وطبيعة نظرة المجتمع لهم ولمشكلاتهم أثره على درجة اهتمام المجتمع بالتعامل مع هذه المشكلات من ناحية ، والتعامل مع أصحابها من ناحية أخرى ، ذلك السياق وتلك النظرة التي يعد من بين محدداتها الأساسية المعارف الإنسانية والتجارب والخبرات التي كثفت لتصبح نوعاً من العادات والتقاليد والأعراف والقيم التي تحكم سلوك الأفراد والجماعات وتوجه المجتمع وفلسفته في الحياة ، ولما كان لكل مجتمع محدداته الخاصة به وبالتالي إطاره الثقافي وخصوصيته الحضارية كان لابد - تبعاً لذلك - أن يختلف وضع المسنين ، ونوعية المشكلات التي تواجههم ، وطبيعة البرامج الموجهة لرعايتهم من مجتمع لآخر (ويرى (جيمس بيرن J . E . Biran) أن ثمة محكين رئيسيين للشيخوخة الناجحة (Aging Successful) أحدهما داخلي سيكولوجي يتعلق بالسن ذاته ، والآخر خارجي اجتماعي يتعلق بالسياق المجتمعي الذي يعيش فيه ، وما بين هذين المحكين من ارتباط وثيق وتفاعل حتمي ، ويتضمن المحك الأول الرضا عن الحياة كما يخبره الشخص المسن وما لديه من اتجاهات إيجابية خاصة باعتبار الذات (أى نظرة المسن لنفسه) ، أما الآخر فيتعلق بكفالة الفرد لأدواره الاجتماعية ، هذا المحك يتحدد بدوره بموقف المجتمع من المسنين ومن ظاهرة تقدم العمر ، ويتجلى ذلك في اتجاهات الأبناء والشباب والراشدين نحو المسنين ونحو ظاهرة الشيخوخة^(١) .

(1) J . E . Biran "Sychology of Agging" , New Jersey ; Prentice - Hall, Inc. 1964, p. p.

ورغم اتفاق الباحث مع هذا الرأي على المستوى التحليلي إلا أنه يود التأكيد على أهمية الإطار الثقافي والحضاري الذي يحكم كلا المحكين معا ، ذلك الإطار الذي يشكل ويحدد نظرة المسن إلى نفسه وإلى مرحلة التقدم في العمر من ناحية ، ونظرة المجتمع والأجيال المعاصرة للمسنين من ناحية أخرى ، وتمشياً مع تلك النظرة التحليلية فإننا نتناول فيما يلي هذين المحكين ودورهما في تحديد طبيعة ظاهرة الشيخوخة ومشكلات وأساليب مواجهة هذه المشكلات .

١- المحك الاجتماعي (نظرة المجتمع للمسنين) :

يقرر "إريك إريكسون" في نظريته للنمو أن الشيخوخة تعتبر مرحلة (نمائية) تتحدد كثيراً بالواقع الثقافي وبنظرة المجتمع إلى ظاهرة التقدم في السن ، والتي تجعل من هذه المرحلة مرحلة نمائية عادية أو مرحلة (أزمة Crisis)^(١) الأمر الذي يؤكد أهمية دور البيئة والمجتمع والمورث الثقافي والتاريخية وانعكاساتها على موقف المجتمع من المسنين بشكل عام ؛ ولذلك وجدنا أن وضع المسنين يختلف من مجتمع لآخر ومن وسط اجتماعي وثقافي إلى وسط آخر يختلف عنه .

أ- قبالة نسبة للمجتمعات التقليدية :

فإن الموقف الاعتباري للمسنين يركز على إمكانات البناء الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع والذي يغلب عليه النشاط الزراعي ونمط العائلة (الأسرة الممتدة) حيث كان في استطاعة المسنين القيام بأعمال ذات فائدة جملة للأسرة والمجتمع^(٢) حيث ينظر إليهم كمعلمين ومستشارين لهم باع طويل في الحكمة والتجربة العملية في الحياة كما أن خبراتهم ومهاراتهم المكتسبة على مدار الحياة أساسية ، حيث أسهمت إسهاماً جوهرياً في تقدم أسرهم وفي تقدم الجماعة ككل ، وحتى في حالة عجز المسن عن الإنتاج الجسماني فإن قيمته داخل الأسرة لا تهتز حيث ينظر إليه دائماً كمثل أعلى يحتذى به ومصدر للنصيحة المتكاملة ، وتعتبر رعاية الشخص المسن مسئولية الأسرة الأساسية ، وكان الشخص المسن يشارك الأسرة في المسكن طيلة حياته^(٣)، ولا شك أن ذلك كله من شأنه أن ينعكس على نظرة المسن لذاته ويخفف من الآثار والاضطرابات النفسية والاجتماعية التي تواجهه .

(١) طلعت منصور غبريال : "دراسة في الاتجاهات النفسية نحو المسنين لدى بعض الفئات العمرية في المجتمع الكويتي ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، ربيع ١٩٨٧ ، ص ٧ .

(٢) صلاح عبد اللطال : "مستقبل التنمية" نحو بديل حضاري إسلامي ، دار الشرق الأوسط للنشر ، القاهرة ١٩٩١ ص ٩٩ .

(٣) راشد محمد أبا الخليل : الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم" دار الخريف ، الرياض ١٩٩١ ، ص ٥٣ .

ب - وفيما يتعلق بالمجتمعات الصناعية المتقدمة :

فإن الأمر مختلف ، تبعاً لاختلاف البناء الاجتماعي والاقتصادي الذي يغلب عليه النشاط الصناعي والتقدم التكنولوجي ونمط الأسرة النووية المنعزلة ، وأدى التخصص وتقسيم العمل إلى زيادة اعتماد الإنسان على غيره اجتماعياً إلى حد بعيد ، هذا بالطبع فضلاً من ضياع القيم العائلية وسيادة المعايير المادية في تقييم العلاقات الإنسانية ، كل ذلك أدى إلى مجموعة من النتائج لأوضاع المسنين في هذه المجتمعات لعل أهمها :

• تدهور المكانة الاجتماعية للمسنين في هذه المجتمعات التي تقوم على تقديس العمل والإنجاز والقوة والشباب .

• النظر إلى المسنين على أنهم يشكلون عبئاً على عائلاتهم وعلى المجتمع ككل .

• عزلة المسنين عن المجتمع وانزائهم عن الحياة الاجتماعية .

• تقلص (أو فقدان) الأدوار الاجتماعية للمسنين بالنسبة للأسرة في المجتمع .

• تراجع دور الأسرة في رعاية مسنيها لتحل محلها مؤسسات أخرى .

• أصبح التقدم في السن يمثل شبحاً مخيفاً للإنسان .

ونكتفى هنا بهذا ، وسوف نتناول بالتفصيل واقع المسنين في المجتمعات الغربية

الحديثة فيما بعد .

ج - واقع المسنين في المجتمعات الإسلامية :

وإذا نظرنا إلى الواقع الاجتماعي للمسنين في المجتمعات العربية الإسلامية لوجدنا أنه لايفصل عن الركائز الحضارية لها مهما طرأ عليها من تغييرات سياسية واقتصادية ، إذ أن الإيمان بالله وأفعال البر بالوالدين ومن في مقامهما من أهم الثوابت الراسخة ، ومهما حدث من تشوهات وبقع سوداء متناثرة في نسيج العلاقات الوالدية إلا أن القاعدة العامة هي احترام علاقات الآباء وكبار السن ، مما يشكل توجهاً حضارياً يؤثر في السياسات الاجتماعية إزاء المسنين أو ينبغي له ذلك .

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك بوادر تشير إلى أن هذه الأوضاع آخذة في التغيير ، وأن ثمة تحولات طرأت على هذه المجتمعات لها آثارها السلبية على هذه الفئة مع مشاغل التنمية التي تحتل مساحة كبرى من اهتمام هذه المجتمعات .

إن قيماً جديدة مرتبطة بالتحضر الزائد تطغى على بعض القيم التقليدية الأصيلة التي كانت تقرد مكانة خاصة لكبار السن في المجتمع الإسلامي ، كما أن التغييرات الاجتماعية الكبيرة والتطورات السريعة كل ذلك أفقد بعض المسنين قسطاً من الأدوار التقليدية التي كانت وفقاً عليهم ، والتي كانت تلعب دوراً هاماً في توافقهـم النفسى والاجتماعى واختزال

ما يمكن أن يتعرضوا له من مشكلات ومصاعب^(١) وأعطى المسنين شعوراً بالعزلة المتزايدة حتى وإن لم يكونوا بالفعل معزولين ، كما أن هذه الأوضاع والاتجاهات يرجح جداً أن تتزايد مستقبلاً ، الأمر الذى يحتم سرعة تدارك الموقف والاستعداد له لتحاشي تضخم المشكلات واستفحالها وصعوبة مواجهتها .

وهناك بعض الدراسات التى تشير إلى بروز مشكلة المسنين في بعض المجتمعات العربية وتعزو ذلك لعوامل التصنيع الحديث ، وتغير تركيب الأسرة ، واختلاف دور المرأة والهجرة المتزايدة للمناطق الحضرية^(٢) .

إن ما ذكرناه آنفاً لا ينفى أن هناك بعض الجوانب الإيجابية التى تتميز بها المجتمعات العربية الإسلامية ، والتى يمكن استثمارها وتدعيمها والاستفادة منها لصالح المسنين هذه الجوانب نذكر منها :

• أن هذه المجتمعات لم تعرف بعد المشكلات التى يتعرض لها كبار السن بالحدة نفسها التى عرفتتها المجتمعات المتقدمة ، وأن مشكلة المسنين لم تأخذ بعد شكلاً صارخاً وحاداً .

• ارتباط كبار السن بالسلطة والمكانة داخل الأسرة وخارجها الأمر الذى يتصل بدوره بالعلاقة بين كبر السن والوقار والاتزان والحكمة .

• ارتباط الكبر بطبيعة العلاقة بين الأبناء والآباء خاصة الاتجاه الإيجابي القوى من الأبناء نحو آبائهم ، ذلك الاتجاه المستند بشكل قوى على القيم الإسلامية السائدة .

• أن هذه المجتمعات - انطلاقاً من تعاليم الإسلام وقيمه السامية - مازالت تقدر قيمة المسنين وتعطيهم حقهم في الاحترام والتقدير والمشورة والقيادة .

• أنه وحتى في المناطق الحضرية ، ورغم تحول الأسرة من النمط الممتد إلى النمط النووي فإن هذا الأخير (الأسرة النووية) يأخذ طابعاً في المجتمعات العربية يختلف عما هو موجود في المجتمعات المتقدمة ، ذلك أن الأسرة النووية المسلمة في المجتمع العربي تعتبر غير منعزلة عن أسرتى التوجيه (Orientation Familles) (أسرة الزوج وأسرة الزوجة) ، فلقد أثبتت بعض الدراسات التى تمت في هذا الصدد أن الزوج والزوجة على صلة بالنسق القرابى حتى في المستويات الثقافية العليا^(٣) .

(١) إبراهيم خليفة - عبد الله الشمري : الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربى " ، مجلة المستقبل العربى ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ص ٤٩ .

(٢) راشد محمد أبى الخليل : الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين فى العالم " دار الخريف ، الرياض ١٩٩١ ، ص ١٥٠ .

(٣) سناء الخولى : " الأسرة فى عالم متغير " الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١١٢ .

ولعل أبلغ دليل على عدم عزلة الأسرة النووية في المجتمع العربي المسلم ما نلمسه من اقتناع نظري وعملي بالعون المتبادل حسب الظروف ، والذي يعكس الرواسب القوية لطابع الأسرة التقليدية ، كما يعكس الجذور العميقة لنسق القيم الذي يركز على مبادئ العون لنوى القرى وخفض جناح الذل من الرحمة للو الدين ومن في حكمهما^(١).

٢- المحك السيكلوجي (نظرة المسن لذاته) :

وتحدد هذه النظرة - كما سبق وأشرنا - بدرجة كبيرة بموقف المجتمع وثقافته من فئة المسنين، الأمر الذي يعبر عن نفسه من خلال الاتجاهات الاجتماعية التي تبديها الأجيال المختلفة (الصغار والشباب والرجال) حيال هذه المرحلة العمرية المتقدمة من حياة الإنسان ، كما أن نظرة الممن ، لذاته والفكرة التي يكونها عن نفسه لا تنشأ بعد وصوله إلى هذه المرحلة وإنما تتكون خلال السنوات السابقة من حياته ، وتعتمد على الاتجاهات الاجتماعية نحو الموضوع أكثر من الخبرة الشخصية في معايشة هذه الفترة ، وإذا كانت هذه النظرة أو الفكرة سلبية وغير محبة فإنها تؤدي إلى التخوف من الوصول إلى مرحلة الشيخوخة^(٢) وفي هذه الحالة فمن المتوقع أن يخبر المسن هذه المرحلة كأزمة (Crisis) في الغالب وهي ما يطلق عليه "ايريكسون" أزمة تكامل الأنا التي تبدو في شكل اليأس والقنوط اللذين يسيطران على الحياة النفسية للمسن^(٣).

ويحدث العكس إذا كانت هذه النظرة تتسم بالإيجابية فإن ذلك يؤدي إلى تكامل الأنا الذي هو حالة عقلية قوامها اقتناع الشخص المسن بأن حياته نظاماً ومعنى وبأنها مقبولة وضرورية^(٤).

وبينما تتضمن الاتجاهات الاجتماعية التي يحملها المجتمع الغربي نحو المسنين (كما سيتبين) اتجاهات سلبية غير مرضية تجعل من الصعب أن يرى المسن هذه المرحلة إلا على أنها مرحلة سلبية من مراحل الحياة ، ونجد أن التقدم في العمر في المجتمع المسلم لا يمثل أزمة بالنسبة لمسن ، حيث لا زال المسنون يحتلون مكانة اجتماعية لائقة قوامها الوفاء والاحترام والتقدير في ظل التعاليم الإسلامية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الإسلام يربى

(١) إبراهيم خليفة - عبد الله الشمري : الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربي " : مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ص ٥٤ .

(٢) إبراهيم خليفة - عبد الله الشمري : الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربي " ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ص ٥٠ .

(٣) طلعت منصور غبريال : "دراسة في الاتجاهات النفسية نحو المسنين لدى بعض الفئات العمرية في المجتمع الكويتي ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، ربيع ١٩٨٧ ، ص ٧٤ .

(٤) طلعت منصور غبريال : "دراسة في الاتجاهات النفسية نحو المسنين لدى بعض الفئات العمرية في المجتمع الكويتي ، مجلة العلوم الاجتماعية - الكويت ، ربيع ١٩٨٧ ، ص ٧٤ .

المسلم على الأمل والرجاء في رحمة الله ، ويرفض اليأس والتقنوط مهما كانت الظروف - قال تعالى - ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) فالمؤمن - حال كونه مؤمناً - لا يئأس من روح الله عز وجل ولا يقنط من رحمته ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ...﴾^(٢) كما أن تعاليم الإسلام تربي المسلم على أن ينظر إلى الشيخوخة والتقدم في العمر على أنها نعمة من الله - عز وجل - ففي الحديث "ألا أخبركم بخياركم قالوا بلى ، قال : خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً"^(٣) وفي الحديث أيضاً : "خير الناس من طال عمره وحسن عمله"^(٤) .

إن المسلم - وفقاً لعقيدته - ينظر إلى هذه الحياة على أنها إحدى نعم الله عليه ومن حقه أن يتنعم بما فيها من خير ، وعليه - في المقابل - أن يصبر على ما فيها من ضر ، فإنه أصابته النعماء شكر ، وإذا حلت به الضراء صبر كما جاء في الحديث "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"^(٥) .

وإذا كان "إدوارد كاندا" يقرر أن لكل إنسان حاجات روحية تتصل بإيجاد معنى وهدف لهذه الحياة وأن المعتقدات والممارسات الدينية غالباً ما تلعب دوراً حاسماً في فهم الإنسان لنفسه وللعالم من حوله ، خصوصاً فيما يتعلق بالتوصل إلى نوع من المعنى والهدف في العلاقات بين الذات والآخرين والبيئة والحقيقة المطلقة^(٦) فإن المسلم لا ينظر للحياة نظرة قوامها العيشية وضياح المعنى والهدف وإنما ينظر إليها على أنها دار ابتلاء واختبار ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٧) وعلى المؤمن أن يأخذ على عاتقه ما يمكنه من اجتياز هذا الاختبار بنجاح سيراً على منهج الله واستهداء بنور شريعته الغراء .

وإذا كان البعض يعتبر أن أزمة التقدم في العمر هي انعكاس للايقين بالدور الاجتماعي (Social Role Uncertainty) فإن المسن في الإسلام لا ينتهي دوره في الحياة والمجتمع بمجرد بلوغه هذه المرحلة وإنما يتعاضد هذا الدور حكمة وعطاء وعملاً واجتهاداً ،

(١) سورة يوسف : الآية ٨٧ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٥٣ .

(٣) رواه الحاكم عن جابر .

(٤) رواه أحمد والترمذي عن عبد الله بن بشير ورمز السيوطي لصحته .

(٥) رواه مسلم عن صهيب بن سنان .

(٦) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "المنهج العلمي من وجهة نظر إسلامية في نطاق العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة عبد الإنسانية"، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخلمة الاجتماعية ، للعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، (١٠-١٣ أغسطس ١٩٩١)، ص ٥٩ .

(٧) سورة الملك : الآية ٢ .

وهو (المسلم) لا يعرف ما يسمى باللايقين بالدور الاجتماعي ، حتى ولو كانت نظرية المجتمع واتجاهاته نحو مرحلة التقدم تخلق مناخاً مهيئاً لهذه الحالة ، وإنما - في ظل الهدي الإسلامي - يوطن نفسه على أن يكون له يكون له دوره الفعال في هذه الحياة مهما كانت سليات المناخ الذي يعيش في كنفه ، وهو يعلم أن عليه ألا يكون إمعة يقول إذا أحسن الناس أحسنت وإذا أساءوا أسأت ، وإنما يوطن نفسه إذا أحسنوا أن يحسن وإذا أساءوا أن يتجنب إساءتهم ويظل على إحسانه "فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه كائن ذو وعى وذو إرادة يوجه حياته كفاعل وليس كمجرد كائن منفعل بالمؤثرات الخارجية"^(١).

ثالثاً : مداخل رعاية المسنين في العالم :

إن السياسة الاجتماعية لرعاية المسنين في أى مجتمع إنما هي انعكاس طبيعي لظروفه وأوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، التى تحدد خيارات المجتمع إزاء نوع الرعاية التى يوجهها للمسنين سواء رعاية أسرية أو رعاية مؤسسية إيوائية ، ومن هنا سلكت المجتمعات في معالجتها لمشكلة المسنين طرقاً متعددة ، ولكل مجتمع طريقته الخاصة المرتبطة بثقافته ، وبنوع نظره لمرحلة التقدم في العمر وكذلك نظرة المختصين وصناع القرارات والسياسات لهذه الفئة العمرية .

وعلى الرغم من أن معظم المجتمعات قد بدأت بالفعل في معالجة مشكلة المسنين وذلك بوضع السياسات والخطط والبرامج اللازمة لرعاية هذه الفئة طبقاً لظروف كل مجتمع وثقافته ، إلا أنه لم يصل أى مجتمع حتى الآن إلى تطوير نظام رعاية شاملة ومتكاملة للمسنين ، ويكشف استعراض التراث البحثي والدراسات المتعددة في مجال سياسات رعاية المسنين في المجتمعات الغربية عن أن هناك محاولات جادة للسيطرة على حاجات المسنين ومشكلاتهم كما تراها هذه المجتمعات ، وأن هناك أكثر من مدخل لتوفير الرعاية المنظمة لهذه الفئة من سكان المجتمع .

ومن الملاحظ أن التجربة الغربية لا تركز على استخدام مدخل واحد دون غيره من المداخل بل إن هناك تعددية في النظم المختلفة^(٢) وطبقاً لما تقرره منظمة الصحة العالمية :

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "مداخل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية" ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخلمة الاجتماعية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة : (١٠-١٣ أغسطس ١٩٩١) ، ص

(٢) محروس محمود خليفة : "دراسة عن الوضع الراهن لرعاية المسنين في المملكة العربية السعودية ، البرامج والمؤسسات" للنامة ، البحرين ، الندوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية الخليجية ١٩٨٢ ، ص ٥٢ .

"فإن النظم والمداخل الحالية لتقديم الخدمات لرعاية المسنين أصبحت مجال انتقاد لأنها مجزأة وليست منظّمة بل تفتقر إلى معايير بديهية لتوفير الخدمات^(١) .

وبصفة عامة يمكن تصنيف المداخل والنماذج السائدة لرعاية المسنين إلى ثلاثة أنواع على النحو التالي :

١ - المدخل الأسري Family Care Approach :

ويقصد به الرعاية داخل الأسرة أو عن طريقها بحيث يتحمل عضو أو أكثر من أعضاء الأسرة مسؤولياتهم تجاه رعاية الآباء والأمهات المسنين أو أى فرد ينتمى إلى الأسرة كالأشقاء أو زوجاتهم...إلخ.

وتتمثل أهمية هذا المدخل فى كونه أفضل المداخل لرعاية المسنين لكونه ينسجم والطبيعة الإنسانية ، إذ إن استمرار وجود المسن فى نفس المناخ الأسرى الذى أمضى فيه حياته يعث على اطمئنانه النفسى وتوافقه الاجتماعى ، ذلك المناخ الذى يزداد جاذبية مع التقدم فى السن حيث إنه يمثل تجسيدا لكل ارتباطاته العاطفية والاجتماعية ، كما أن وجود الإنسان فى وسط الأشياء التى أحبها يمدّه باستمرار بذكريات الأوقات الخالية^(٢) .

وتشير نتائج العديد من الدراسات والبحوث إلى أن كبار السن الذين يوجد لديهم أبناء بالغون يفضلون تلقى الرعاية فى بيوت أبنائهم رافضين أى شكل من أشكال الرعاية المؤسسية الداخلية المغلقة متى توافرت الظروف لذلك^(٣) .

ولاشك أن لهذا المدخل التقليدي أهميته القصوى بالنسبة لمجتمعاتنا يتفق ، حيث أن الطبيعة الاجتماعية للإنسان العربى وخصائص العلاقات الإنسانية ، فى هذا الصدد كشف استطلاع رأى لعينة من كبار السن فى سلطنة عمان عن رفض أغليبيتهم الرعاية خارج بيئاتهم الأسرية^(٤) ولقد أكد الإسلام على هذا النمط من الرعاية وأولاه عناية خاصة بحيث

(١) راشد محمد ابا الخليل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين فى العالم" دار الخريف ، الرياض ١٩٩١ . ص ٣٦ ، ص ٣٦.

(٢) روبرت هوجرنوت : "نحو شيخوخة جديدة" . مجلة العلم والمجتمع ، العدد (٧٥) ، "الشيخوخة وتطور بحوثها" ، مجلة ربع سنوية تصدر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، اليونسكو ، باريس ، يونية /أغسطس ١٩٨٩ ، ص ٤.

(٣) وحيد الدين خان "الإسلام والعصر الحديث" ترجمة ظفر الإسلام خان النفائس ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٦ ، ص ١٦٨ .

(٤) صلاح عبد المتعال : "مستقبل التنمية" نحو بديل حضارى إسلامى ، دار الشرق الأوسط للنشر ، القاهرة ، ، ص ١١٨ ١٩٩١ .

جعله الأمان للإنسان حينما يصل إلى هذه المرحلة من العمر ، إن جميع برامج وأجهزة رعاية المسنين على تنوعها ومهما كان مستوى أدائها مرتفعاً وكفاءة العمل بها عالية لا يمكن أن توفر للمسنيين ماتوفره الأسرة لهم من حب حقيقى وعلاقات حميمة، وأمان ومشاعر إنسانية، كما أن كفالة الأسرة لمسنيها ورعايتها لهم لاتعود فائدته على المسن وحده إنما تعود على أفراد الأسرة جميعاً صغاراً وكباراً فهي تنمى ذلك الشعور بالانتماء الإنساني الذى لا بد وأن ينمو فى الأسرة حتى يمتد من أفرادها إلى جيرانهم ومجتمعهم ووطنهم الأكبر^(١) وكحل لمشكلة المسنين فى المجتمعات الغربية اقترح "الفين توفلر" فى كتابه "الموجة الثالثة" ضرورة العودة جزئياً إلى التقاليد التى تجعل المسنين لايعزلون عن أسرهم وأحفادهم بعمل طوعى من الجيل الناشئ ، مع تقديم المغريات المادية والحكومية (كتخفيض الضرائب مثلاً) للأسرة التى تهتم بمسنيها وترعاهم صحياً واجتماعياً ونفسياً بدلاً من تركهم ينتظرون الموت فى دور العجزة^(٢) وفى نفس الاتجاه يشير "روبرت هوجوزت" إلى أن أسر وعائلات المسنين أنفسهم ينبغي أن تشكل عنصراً أساسياً فى السياسات الاجتماعية لرعاية المسنين^(٣) .

٢- مدخل الرعاية المفتوحة للمسنين Open Care for the Aged :

بدأ هذا النظام فى السويد كنظام أساسى لرعاية المسنين فى المجتمع ، وانتقل إلى عدد آخر من المجتمعات الأوربية ، وهو نظام للخدمات لتدعيم الحياة المجتمعية ، ويرمى إلى العمل بعيداً عن الجهود المؤسسية أو الرعاية الأسرية ، ويقصد به أحياناً العيش فى الفنادق الترفيهية أو خدمات المنازل وهو مايعنى العيش فى وسط من الخدمات ، ويستند هذا النموذج إلى توفير ظروف أسرية محلية أو ظروف بيئية مشابهة للحياة الأسرية للشخص المسن الذى يكون بحاجة للرعاية ويشمل هذا النظام العديد من البرامج والخدمات منها :

خدمات الرعاية المنزلية .

خدمات بيوت التمريض .

خدمات بيوت المسنين .

(١) على فؤاد أحمد : "العمل الاجتماعى مع المسنين" فى عزت سيد إسماعيل وآخرين : التقدم فى السن دراسات نفسية اجتماعية دار القلم ، الكويت ١٩٨٤ ، ص ١٩١ .

(٢) مظفر صلاح الدين شعبان : "المسنون بين العلم والحضارة" مجلة الفيصل ، دار الفيصل الثقافية ، عدد (٦٨) الرياض ، ديسمبر ١٩٨٣ ، ص ١٢٣ .

(٣) روبرت هوجونوت : "نحو شيخوخة جديدة" مجلة العلم والمجتمع ، العدد (٧٥) ، "الشيخوخة وتطور بحثها" ، مجلة ربع سنوية تصدر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، اليونسكو باريس ، يونية/أغسطس ١٩٨٩ ، ص ٥ .

خدمات الغرف .

خدمات الرعاية الطبية طويلة الأمد .

ويلاحظ أن غالبية هذه البرامج تقوم على أساس أن المسنين من الفئات المعتمدة على الآخرين ، أى أنهم فاقدون للقوة والقدرة ، ومن هنا فإن هذا النظام ينقصه الاستفادة من المسنين كطاقة إنتاجية فى المجتمع بسبب هذه النظرة السلبية ، ويشير "هوجونوت" إلى أن تطبيق نظام خدمات الرعاية المنزلية فى فرنسا منذ بداية السبعينات ، قد عمل فى أحيان ليست قليلة على تقييد المهارات الذاتية لدعم المسن من قبل جيرانه أو حتى أقاربه ، ومن هنا ظهرت الحاجة من جديد - على حد قوله - إلى تعريف وتعليم وتدريب عائلات المسنين وأقاربهم وجيرانهم وتحريك دوافعهم الذاتية وتقوية إمكانات الدعم الطبيعى لديهم^(١) .

٣- مدخل الرعاية المؤسسية المغلقة Institutionalization Closed Care :

وهو أحد الأنظمة التى شاع استخدامها فى الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأخرى. وظهرت الحاجة لهذا النظام كنتيجة طبيعية ترتبت على انتهاء (أو انحسار) الوظيفة التقليدية للأسرة فى رعاية أفرادها المسنين وعدم كفايتها - كما سبق أن أوضحنا - فى تحقيق الإشباع الكافى للحاجات الخاصة لهذه الفئات ومن ثم حدث التحول نحو الرعاية المؤسسية ، وعلى الرغم من الآثار السلبية التى ترتبت على تطبيق هذا النظام إلا أن بعض الدراسات تشير إلى أن كلا من النظام الأمريكى والإنجليزى يتجه نحو التوسع فى استخدامه كبديل مناسب لمواجهة حاجات ومشكلات المسنين ، ويغلب على هذا النظام الاتجاه العلاجى والطبى طويل المدى (Medical approach long care) خصوصاً فى الولايات المتحدة الأمريكية^(٢) .

وهناك مدخل آخر يعد من أحدث الاتجاهات فى رعاية المسنين ، ويقوم على تهيئة فرص العمل أمام المسنين القادرين فى بعض المشروعات التطوعية ، يشتركون فيها مع غيرهم من المواطنين ، وبالتالى يفيدون بخبراتهم الآخرين مثل مشروعات الخدمة فى المدارس

(١) روبرت هوجونوت : "نحو شيخوخة جديدة" مجلة العلم والمجتمع ، العدد (٧٥) ، "الشيخوخة وتطور بحوثها" ، مجلة ربيع سنوية تصدر عن منظمة الأمم للتحلة للتربية والعلوم والثقافة ، اليونسكو بباريس ، يونيو / أغسطس ١٩٨٩ ص ٤ .

(٢) محروس محمود خليفة : "دراسة عن الوضع الراهن لرعاية المسنين فى المملكة العربية السعودية : البرامج والمؤسسات" ، المنامة البحرين ، الندوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية الخليجية ، ١٩٨٢ ، ص ٦٥ .

والمكتبات والمستشفيات ودور الإصلاح ومراكز الرعاية الصحية وخدمات الهاتف ... إلخ^(١) ومن الدول التي أخذت بهذا النظام الولايات المتحدة الأمريكية .

هذا بالإضافة - بالطبع - إلى ذلك النوع من الرعاية المجتمعية ، والذي ينتشر في أغلب المجتمعات المعاصرة والخاص بمعاشات المتقاعدين والتأمين والضمان الاجتماعي .

رابعاً : العوامل المؤثرة في السياسات الوضعية الحالية لرعاية المسنين :

تأثرت السياسات الاجتماعية الوضعية إزاء المسنين بعاملين أساسيين شكلا هذه السياسات ، ونماذج الخدمات والبرامج والخطط التي تمت في إطارها :

١ - طبيعة المجتمع الغربي :

لماذا المجتمع الغربي بالذات ؟ الواقع أن الإجابة على هذا السؤال تشمل في أن السياسات الاجتماعية الحالية لرعاية المسنين السائدة في أغلب المجتمعات هي سياسات غربية، وحتى تلك السياسات التي اعتمدتها المجتمعات النامية ، قد تأثرت بالتجربة الغربية في هذا الصدد إما ناقلة أو مقلدة ، ولسنا هنا -بطبيعة الحال- بصدد تحليل طبيعة المجتمع الغربي واستقصاء ظروفه وأوضاعه وثقافته بشكل تفصيلي فإن ذلك يخرج عن نطاق هذا البحث ، إلا أننا نحاول -وفي عجلة- الإشارة إلى بعض السمات التي تميز الثقافة الغربية والتي تحكم نظرة المجتمع الغربي وتصوره عن الإنسان والحياة والمجتمع ، في محاولة لبيان انعكاسات هذه الثقافة على أوضاع المسنين ومشكلاتهم وعلى سياسات الرعاية الاجتماعية التي تتبناها هذه المجتمعات لرعاية مسنيها أو تلك التي تسير في ركابها وتأثر بها .

والمطلع إلى واقع المجتمعات الغربية والمتابع لكتابات الفلاسفة والمفكرين الغربيين يستطيع أن يدرك عناء أن التطور الاقتصادي في الغرب انتهى في القرن الماضي إلى اعتماد النظام الرأسمالي وبلورته ضمن الفلسفة المادية في الوجود ، والفلسفة الحسية في المعرفة والأخلاق والنفعية البراجماتية في التشريع والسلوك ، ولقد تمثلت حصيلة التطورات المادية والفكرية والسياسية خلال هذه الحقبة الزمنية في انهيار تام لأركان المجتمع التقليدي بكل نظم وأفكاره ومؤسساته ونمو متزايد للفردية Individualism وانهيار تام للاتجاهات الاجتماعية وإيمان بأسبقية الفرد على المجتمع والقيم والقوانين ، واهتزاز لنظم كانت شبه مقدسة كالأسرة والطبقة والطائفية والملكية والدين وغير ذلك ، إضافة إلى الاضطرابات الأخرى التي شملت المجتمع الجديد بوصفها جزءاً لا يتجزأ من طبيعته ومن أهمها الصراعات

(١) حامد عبد الحادي : "اتجاهات حديثة في رعاية المسنين . أوراق للنبوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية

الخليجية ، النامة ، (٢٧-٣٠ نوفمبر ١٩٨٢) ، ص ٤٣ .

الطبقية التي ولدتها ظروف العمل الصناعي ونظام المصنع والأشكال المختلفة للاستقلال^(١). ويشير بير باسكالون إلى النمو الليبرالي الاقتصادي الذي تميزت به هذه المجتمعات أدى إلى إفساد الوسط الاجتماعي للإنسان حيث تقوم التنمية الليبرالية على الإقرار بالإشجازات وحرية ممارسة مختلف أشكال الاستقلال الذاتي ، وتؤدي في الأغلب الأعم إلى تمزيق مؤلم للوحدات الاجتماعية التقليدية ، وما يتبع ذلك من اضمحلال النظام العائلي الواسع (الممتد) وزوال النظم الاجتماعية القائمة على العرف ، وإحلال نظم ومؤسسات تقوم على العقد وتكافؤ الفرص ، وبترأخي الروابط العشيرية تقلص الحقوق المعترف بها للفئات الاجتماعية^(٢).

وهكذا فإن أحادية الاتجاه التي ميزت الحضارة الغربية ، وما حققته من إنجازات في الجوانب المادية للحياة ، كانت له آثاره الواضحة على الحياة الاجتماعية ، ويشير فلاسفة الحضارة الغربية أنفسهم إلى أن الخطر الحقيقي الذي يهدد الإنسان الغربي يكمن في أن قدرته على تشكيل ذاته على المستوى الفردي والجماعي قد تراجعت تراجعاً حاداً خلف قدرته على تشكيل بيئته تشكيلاً مادياً^(٣) ، كما أن الدرجة العالية من التحديث والتقدم الصناعي الذي وصلت إليه هذه المجتمعات قد أدى إلى تقليل درجة التكامل الاجتماعي Social Integration وانتشار العديد من الظواهر التي تمس سلامة الحياة الاجتماعية والتي أصبحت تقلق بال فلاسفة والمفكرين وتزعج صناع القرار في هذه المجتمعات ومن هذه الظواهر :

* تقلص الأسرة الغربية (بناء ووظيفة) بل أنها أصبحت على حد تعبير (بوم وبوم Boum and Boum) تواجه خطر الاختفاء تماماً^(٤).

* ارتفاع معدلات الجريمة وانحراف الأحداث وفشل المؤسسات الاجتماعية في مواجهة هذه المشكلات .

* التركيز على الثراء والنجاح الاقتصادي مع إهمال إنسانية الإنسان وإغفال قيمة العلاقات الإنسانية بين الناس بحيث أصبح الفرد يركز قواه العقلية في خدمة وجوده المادي

(١) محمود عودة : "نشأة علم الاجتماع" دراسة في سوسيولوجيا المعرفة ، في دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، مجموعة من أساتذة علم الاجتماع ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٥١ .

(٢) بير باسكالون : "نظرات في هذا الزمان" أو تأملات في النمو ترجمة صلاح الدين برمدا ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨٥ ، ص ٢٢٢ .

(٣) محمود حمدي زقزوق : "الحضارة فريضة إسلامية" للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، فبراير / إبريل ١٩٩٢ ، ص ص ٣٢ - ٣٣ .

(٤) راشد محمد أبا الخليل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم" دار الخريف ، الرياض ١٩٩١ ، ص ٣٦ ، ص ٥٦ .

الخاص ، وأصبحت الرفاهية المادية وزيادة الدخل ، وثقافة الاستهلاك هي أسمى درجات المثل الأعلى الذى تتحرك نحوه إرادة الإنسان .

* انتشار الاضطرابات النفسية والعصبية كنتيجة طبيعية لفقدان المعنى والهدف الذى يعيش الإنسان من أجله والفراغ الروحي والضياع العقدي وانعدام هداية الروحي .
- والآن ما هي الآثار التى ترتبت على كل هذه المظاهر - التى تشكل طبيعة المجتمع الغربي - على نظرة هذا المجتمع للمسنين وعلى سياسات الرعاية ؟
في هذا الإطار يمكن الإشارة إلى عدد من هذه الآثار:

* إن تمجيد الثقافة الغربية للعمل والإنجاز ، وتقويمها المتعاضم للتفاس والتفوق والنجاح يؤدي إلى تدهور مكانة المسنين في المجتمع .

* من الطبيعي في ظل هذا التوجه أن يهتم المجتمع بشكل أساسي بتوجيه الاستثمارات لخدمة صغار السن والشباب ، وأن يوضع المسنون في قائمة الجماعات (أو الفئات) ذات الأولوية في الاستفادة من البرامج والخدمات .

* إهمال أثر الدين والنواحي الروحية في التوافق الاجتماعي والتفسي للمسن ، وانعدام البعد الروحي في سياسات الرعاية الاجتماعية التي تنتهجها هذه المجتمعات لرعاية مسنيها .

* إن طبيعة العلاقات الاجتماعية في المجتمع الغربي - من الضعف والترهل - بحيث لا تستطيع أن تلزم الأبناء أن يأخذوا على عاتقهم مسئولية ذويهم وأقاربهم من المسنين .
وبالإضافة إلى ما سبق فإن ثمة ظواهر لها أثرها البالغ على وضعية المسنين وسياسات رعايتهم في المجتمعات الغربية نذكر منها :

* صراع الأجيال :

لقد أثبتت العديد من الدراسات التى أجريت في المجتمعات الغربية اتساع المسافة النفسية والاجتماعية بين المسنين وبين الجيل اللاحقة نتيجة لسرعة وشمول التطورات الاجتماعية التى تتعرض لها هذه المجتمعات ، وما يسود اتجاهات الشباب نحو المسنين من رفض غالباً ، الأمر الذى يؤدي إلى نوع من الصراع بين المسنين والفئات العمرية الأخرى يطلق عليه البعض :- "الصراع بين جماعة الأكرية والأقلية"^(١) ، وتمثل هذه الظاهرة في شيوع الاتجاهات السالبة وغير المرغوب فيها بين الشباب نحو المسنين من ناحية ، والسخط الذى يسود الكثيرين من كبار السن نحو جيل الشباب كنتيجة طبيعية لهذه الاتجاهات خاصة،

(١) طلعت منصور غبريال : "دراسة في الاتجاهات النفسية نحو المسنين لدى بعض الفئات العمرية في المجتمع الكويتي" ،

مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، ربيع ١٩٨٧ ، ص ٩٧ .

وأن كبار السن يدون اهتماماً بالغاً وحساسية مفرطة حول ما إذا كانوا موضع قبول أو رفض من الشباب والراشدين والمحيطين بهم بصفة عامة .

ويمثل هذا الصراع إحدى المشكلات الهامة التي ينشأ عنها سوء توافق المسنين مع أفراد المجتمع ، كما ينعكس على اتجاهات السياسة الاجتماعية التي تجعل من المسنين مشكلة عبء اقتصادي واجتماعي على المجتمع .

وإذا كان التواصل بين الأجيال قد أفقده التحضر بعض الود وكثيراً من التراحم في بعض المجتمعات الإسلامية ، الأمر الذي أدى بدوره إلى اختلال منظومة العلاقة بين الأجيال وتحول مقاييس الكيف في علاقات الجيرة والأرحام إلى مقاييس الكم والوحدة النقدية^(١) ، فإن ذلك لم يحدث إلا نتيجة للتخلي عن القيم الإسلامية التي تعمل على تقريب المسافات بين الأجيال وحلول قيم مستحدثة محلها تقوم على المصلحة المتبادلة والمنفعة المادية خاصة مع موجة الانفتاح التي تسود هذه المجتمعات .

إن الإسلام لا يسمح بما يسمى "بالصراع بين الأجيال" فهو يربى الصغار والشباب على احترام وتوقير كبار السن وإجلالهم ، وأن ما وصل إليه الشباب من علم وخبرة صنع الكثير منه جيل الشيوخ والكبار ، "من علمني حرفاً صرت له عبداً" قيمة سامية تقوم على الوفاء والاعتراف بالحق وإرجاع الفضل لنويه ، كما أن الشيخوخة مرحلة حتمية يصل إليها كل إنسان ، وتقدير الأجيال اللاحقة للمسنين ورعايتهم هو أمر سيرتد إلى هذه الأجيال : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢) .

وفي الحديث : "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا"^(٣) .

إن هذا الحديث الشريف يعكس رؤية الإسلام الفريدة والتميزة لما ينبغي أن تكون عليه العلاقات بين الأجيال والفئات العمرية المختلفة ، رحمة للصغير وتوقيراً للكبير في تواصل مستمر يعكس الاستمرارية بين مختلف الأجيال .

وتأتي توجيهات الإسلام في هذا الصدد لتأخذ مساراً ذا اتجاهين فيوصي الشباب بالكبار خيراً : ففي الحديث : "ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قبض الله من يكرمه عند سنه" ، وفي ذات الوقت وعلى نفس المستوى يوصي الكبار بالشباب : "أوصيكم بالشباب

(١) صلاح عبد المتعال : "مستقبل التنمية" نحو بديل حضاري إسلامي ، دار الشرق الأوسط للنشر ، القاهرة ،

١٩٩١ ، ص ٩٨ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٠ .

(٣) رواه الترمذی .

خيراً فإنهم أرق أفئدة .." الحديث^(١) ، وهكذا فالمسلمون - وفق تعاليم الإسلام - يؤمنون بالتقاء الأجيال وتكاملها ، والكبار منهم (الشيخوخ) يفرقون - أو ينبغي لهم أن يفرقوا - بين فريضة تقديم التجربة الكاملة إلى الجيل الجديد وبين ما يوصف بأنه وصاية على الأجيال الصاعدة .

* المسنون ضحايا الجريمة :

فلقد تزايدت معدلات الجرائم التي تقع على المسنين ، وتشير الدراسات إلى تنوع هذه الجرائم كالسرقة والنشل والاحتيال والقتل والإيذاء ، الأمر الذي حدا بالمؤتمر الدولي للمسنين الذي عقد في "فينيا" إلى إصدار التوصية رقم (٢٣) والتي تقول^(٢) : "إن تزايد حدوث الجريمة ضد كبار السن في بعض البلدان لا يقع ضحية لها أولئك الذين تأثروا بها مباشرة فحسب بل العديد من كبار السن الذين أصبحوا يخشون ترك مساكنهم ، وينبغي توجيه الجهود نحو الهيئات المنفذة للقانون ونحو كبار السن لزيادة وعيهم بمدى الجريمة التي ترتكب ضد كبار السن وآثارهم عليهم" .

إن هذه الظاهرة وانتشارها بهذا الشكل - خاصة وأن ضحاياها هم المسنون وهم الفئة المستضعفة في المجتمع - لا يمكن مواجهتها بالقوانين والأجهزة الأمنية فحسب ، بل تأتي هنا أهمية القيم الدينية والمبادئ الأخلاقية التي تشكل وازعاً داخلياً يكبح جماح الفرد ويضبط سلوكه ، ويمنعه من الانحراف ، الإسلام يقدم الحل الأمثل لمثل هذه الظواهر ، وهو حرب على الجريمة وعلاج لكل انحراف ، ومنهج الواقعي في معالجة هاتين الظاهرتين الاجتماعيتين المرضيتين طريقتان لا ثالث لهما^(٣) :

* غرس الوازع الديني وإيقاظ الضمير وذلك بالتربية الخلقية وتهذيب النفوس :
"الأسلوب الوقائي" .

* أسلوب الردع والجزاء الذي يقوم عليه النظام الجنائي الإسلامي ، لذلك شرع الله الحدود والقصاص والتعزيرات : "أسلوب علاجي" .

(١) إسماعيل المحجلوني الجراحي : "كشف الخفاء ومزيل الإلباس" ، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه : أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٣ ، ص ٢١٥ .

(٢) محمد رياض الخاني : دور الطب الوقائي في الجرائم التي ترتكب من المسنين أو عليهم " المجلة العربية للدراسات الأمنية ، العدد (٦) ، الرياض ، شوال ١٤٠٨ ، ص ٧٣ .

(٣) محمد سلام مذكور : "تهديد المسؤولية الجنائية في الشريعة الإسلامية" أبحاث الندوة العلمية للدراسة أثر تطبيق الشريعة في مكافحة الجريمة ، الرياض ١٣٩٦ ، ص ٤ .

* انتحار المسنين :

وفي ظل مجتمعات ينظر فيها للشيوخ على أنها مصدر للتعاسة والشقاء والعزلة وانعدام الفائدة، كان طبيعياً أن تتزايد معدلات انتحار المسنين نتيجة للشعور بعدم التقبل للذات واليأس والقنوط والإحساس بالإهمال ، خاصة وأن قوانين العقوبات في العالم الغربي لا تعتبر الانتحار (Suicide) جريمة ولا تعاقب المتحرر ، وفي هذا الإطار انتشرت في السنوات الأخيرة ما يسمى بظاهرة الموت الرحيم "اليوتانازيا" (Mercy Killing - Euthanasia) عن طريق قطع وسائل الإنعاش عن المسن بناء على رغبته^(١)، ولسنا في حاجة إلى التأكيد على العلاقة الوثيقة بين انتشار هذه الظواهر في المجتمعات الغربية وبين الفراغ والخواء الروحي الذي تعاني منه هذه المجتمعات ، والذي يجعل الفرد في حاجة ماسة إلى تفسير مقبول للحياة وفلسفتها يساعده على حل مشاكله المتزايدة والتي ينشأ بعضها بسبب اجشاث العامل الروحي من تكوينه^(٢) ، إن الإيمان يمثل بحق "سكينة النفس" ويمثل الدواء الحقيقي من أمراضها وبخاصة تلك الأمراض الناجمة عن الخوف واليأس والقلق ، وما أجمل ما قاله بعضهم حين وصف الإيمان بأنه :

"سند العزائم في الشدائد ، وبلسم الصبر وعماد الرضى والقناعة بالحفظ ونور الأمل في الصدور ، وسكن النفس إذا أوحشتها الحياة ، وعزاء القلوب إذا نزل الموت أو قرب أيامه" .

٢- العلوم الاجتماعية والسلوكية :

تقوم سياسات الرعاية الاجتماعية ضمن ما تقوم على ما توصلت إليه العلوم الاجتماعية والسلوكية من نتائج ونظريات فيما يتعلق بالإنسان والمجتمع ، ومن هنا فإن نجاح هذه السياسات إنما يتوقف على مدى صدق تلك النتائج وأصالتها في إعطاء تفسير مقبول للسلوك الإنساني والحياة ، ولا شك أن تاريخ هذه العلوم والذي وصل إلى جديره بأن تضع أيدينا على حقيقة لا يجادل بشأنها إلا مكابر - وهي أن هذه العلوم وإن تكن قد انتشرت اليوم في العالم كله إلا أنها في منشئها - ومن غير المنكر للمسلمين التي سبقتها

(١) محمد رياض الحفاني : "دور الطب الوقائي في الجرائم التي ترتكب من المسنين أو عليهم" مجلة العربية للدراسات الأمنية ، مركز الدراسات الأمنية ، العدد (٦) ، الرياض ، شوال ١٤٠٨ ، ص ٧٦ .

(٢) مالك بلزني : "علم النفس الحديث يتطلب إسلامي" مقتطفات من الندوة العالمية الرابع حول قضايا :

للتهجئة في العلوم السلوكية ، المعهد العالي للدراسات والبحوث ، الخرطوم ، (١٥ - ٢٢ يناير ١٩٨٧) ، ص ٢ .

وأهمها جهود العلماء المسلمين - عمل أوروبي ، وما زالت قيادتها الفكرية عند الغربيين^(١) ، وبالتالي فهي تأثرت بطبيعة المجتمع الغربي ، وتعكس نظرياتها قيم هذا المجتمع ومفاهيمه ومعتقداته وغاياته ، وتشكل بالتالي على تلك الأسس والغايات الغربية مختلف ألوان السلوك والنشاطات في المؤسسات الاجتماعية .

وفي ضوء هذه الحقيقة يحذر "المختارى" من الركون إلى هذه العلوم وما توصلت إليه من نتائج (كما هي) عند دراسة وتحليل المشكلات الاجتماعية والقضايا الإنسانية في المجتمع الإسلامي ، فيقرر : أن علم الاجتماع كما يدرس حالياً في الغرب ومن حيث هو نموذج مرجعي لباقي التحاليل الأخرى ، بالرغم من قيمته التحليلية والإجرائية لا يمكن اعتماده أو الركون إليه نموذجاً علمياً لتحليل وتشرح مشاكل الأمة لأنه وليد أمور اجتماعية مختلفة من حيث العقيدة والهدف والمثال والنماذج التي يريد بناءها^(٢) ، ويشخص "رجب" أزمة هذه العلوم وقصورها عن فهم الإنسان والمجتمع ، حين يقرر "أن ذلك إنما يرجع إلى"^(٣) :

* أن هذه العلوم استبعدت تماماً كل ما يخضع للملاحظة من نطاق الدراسة وأخرجت الجوانب الروحية المتعلقة بصلة الإنسان بربه من نطاق الدراسة العلمية فأهملت بذلك قطاعاً كاملاً من العوامل الحاكمة على السلوك البشري والتنظيم الاجتماعي .

* أنها استبعدت الدين والوحي كمصادر للوصول إلى المعرفة العلمية الصحيحة نتيجة لما شاب الديانات السائدة في الغرب فيما يتصل بنظرتها للعلم وفي تعاملها مع رجاله فأضاعت بذلك كل أمل في الهداية المستمدة من الوحي الصحيح في دين الإسلام .

* أنها زعمت لنفسها حياداً قيمياً لم تلتزم به في الواقع فأتت المجال لاعتبار قيم الثقافة بمثابة المعيار الذي يقاس إليه كل تقييم إنساني أو متجهة إلى نسبية قيمة أضاعت كل تقييم .

ويؤكد "رايموندس" عالم الاجتماع الأمريكي المعاصر على هذا القصور الذي شاب هذه العلوم حين يقول^(٤) :

(١) جعفر شيخ إدريس : "إسلامية العلوم وموضوعيتها" ، مجلة المسلم المعاصر ، تصدرها مؤسسة المسلم المعاصر ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، العدد (٥٠) ، ديسمبر / فبراير ١٩٨٧ / ١٩٨٨ م ، ص ٨ .

(٢) أحمد المختارى : "نحو علم اجتماع إسلامي" ، مجلة المسلم المعاصر ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، العدد (٤٣) ، السنة (١١) ، ١٤٠٥ ، ص ٤٨ .

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "النهج العلمي للبحث من وجهة نظر إسلامية في نطاق العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية" ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، (١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١) ، ص ٣١ .

(٤) نيل السمالوطي : "الأيولوجيا وأزمة علم الاجتماع" ، دار الكتاب الجامعي ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ٤٣ .

"إن العلوم الاجتماعية الموضوعية لم تعد تكفى الإنسان المعاصر لأنه يسعى إلى حلول لمشكلاته المادية والنفسية والاجتماعية ، ويسعى دائماً وراء توجيهات تخلصه من محنته الدنيوية فهو في حاجة إلى استجلاء معنى الحياة والوجود الإنساني".

ولقد كان طبيعياً - في ضوء ذلك كله - أن تتعالى صيحات العلماء والمفكرين في المجتمعات الإسلامية لتنادى بضرورة وأهمية توجيه هذه العلوم توجيهاً إسلامياً ، خاصة وأن هذه العلوم بوضعها الحالي - تتضمن في أصولها المنهجية وتصوراتها الفلسفية التي تستند إليها نداءً ظاهراً أو خفياً للتصور الدينى جملة والتصور الإسلامى على وجه الخصوص ، كما أننا ندنا بحمد الله - التعاليم الإلهية الصحيحة التي تشكل خميرة هذه العلوم الإنسانية وأدواتها والكثير من وسائلها وتبصر بوظائفها .

فإذا كانت الثقافة الغربية تضع حدود المعرفة في إطار الفهم الجزئي للوجود ، فإن الثقافة الإسلامية تجتاز حدود المعرفة في إطار الفهم الكلي للوجود ، فالإسلام يحيط بفهم كليات الحياة وذلك بسبب أنه يفسرها تفسيراً شاملاً للأبعاد النهائية كالموت والولادة ويعتمد في ذلك على اختيارات وجدانية بالجلس^(١).

خامساً : جوانب القصور في السياسات الوضعية وفق الرؤية الإسلامية :

بعد العرض السابق للسياق الاجتماعي والثقافي والعلمي الذي نشأت في إطاره وتأثرت به السياسات الوضعية إزاء المسنين في المجتمعات الغربية ، والتي تعتبر معظم السياسات والبرامج الموجهة نحو رعاية المسنين في المجتمعات الإسلامية ، نعرض فيما يلي لأهم أوجه القصور في هذه السياسات والتي أثرت إلى حد كبير على درجة فعاليتها في مواجهة مشكلة المسنين وذلك في ضوء التصور الإسلامي :

١ - بين التجانس والاختلاف :

قامت هذه السياسات على أساس النظر إلى كبار السن على أنهم يمثلون جماعة أو فئة واحدة متجانسة بشكل عام ، ولذلك فإن صناعات السياسات والمهتمين بوضع الخطط والبرامج التطبيقية كانوا يحرصون على أن يضعوا نصب أعينهم هذا التجانس المفترض بين هؤلاء الناس عند التخطيط من أجلهم^(٢) ، ولكن الحقيقة أن المسنين لا يمثلون فئة عمرية واحدة ، ولا يمثلون تجانساً في تركيب وبناء الفئة العمرية بل على العكس من ذلك تتضمن

(١) ليوبولد قايس : (محمد أسد) : "الإسلام على مفترق الطرق" ، ترجمة عمر فروج ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٣٥ - ٣٤ .

(٢) إبراهيم خليفة - عبد الله الشمري : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربي" ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٥٦ .

تبايناً واختلافاً في نمط المسن وتاريخه الاجتماعي ونوع صلته بالله - عز وجل - فضلاً عن الاختلافات الأخرى المرتبطة بالحالة الصحية ، الخلفية ، الثقافية ، الوضع الأسري ، القيم ، الجنس .. إلخ ، مما يعنى صعوبة وضع برامج ذات صفة عامة (Universal Programmes) عند التخطيط لرعاية المسنين .

ومن ثم فإن هذه الفروق والاختلافات التى أثبتتها نتائج البحوث الاجتماعية ، وهذا "اللاتجانس" بين المسنين ، إنما يترتب عليه عدة أمور فيما يتعلق بالسياسات الاجتماعية لرعاية المسنين نشير إليها فيما يلى :

أنه لا يمكن لصانعى السياسات الاجتماعية وواضعى البرامج أن يتغاضوا عن هذه الفروق والاختلافات ، وإلا جاءت هذه السياسات والبرامج مخالفة للواقع وبالتالي مفقودة لأهم مقومات نجاحها وفعاليتها وهو "الواقعية" .

* أن "اللاتجانس" يعطى المخططین مجالاً أوسع للعمل مع أفراد وجماعات هذه الفئة العمرية بحسب إمكاناتهم وظروفهم وانتماءاتهم ، وبحسب احتياجات المجتمعات المحلية ، والجوارات السكنية التى يقطنونها ، لا في مجال رعاية المسنين فحسب وإنما في مختلف مجالات الرعاية الاجتماعية .

* أنه وعلى المستوى التطبيقي فإن الممارسة المهنية وبرامج التدخل المهني لمواجهة مشكلات المسنين في محيط الخدمة الاجتماعية ينبغي أن تضع في اعتبارها هذه السمة "اللاتجانس" ويؤكد (مير وما كلويد) على هذه الحقيقة بقولهما : "إن النسق القيمي للخدمة الاجتماعية يقوم ضمن ما يقوم على الاعتقاد بفرديّة كل إنسان وبأنه من المتعذر تصنيف الناس في قوالب جامدة بناء على معيار واحد أو أكثر" (١) .

* أن هذه الاختلافات إنما تبرز أهمية المدخل الأسري لرعاية المسنين ، ذلك لأن الخصوصية المتميزة لكل حالة من حالات المسنين إنما تلقى عبثاً ضخماً على سياسات وبرامج الخدمات العامة ، ومن ثم يمكن للأسرة أن تسهم بفاعلية أكثر في رعاية أفراد هذه الفئة في بيئاتهم الطبيعية وبدون عزلهم عن الحياة الاجتماعية في المجتمع متى توافرت الظروف الملائمة لذلك ، ومن هنا فإن الإسلام حين يؤكد على رعاية المسنين في محيط الأسرة ويعطى لها الأولوية المطلقة فإنه يقدم علاجاً شافياً لهذه الإشكالية التى لا يمكن لصانعى السياسة الاجتماعية أن يتهربوا منها ، ليبقى بعد ذلك أولئك الذين لا أسر لهم أو الذين يحتاجون إلى رعاية من نوع خاص .

(1) Danna L. Maceod & Henry J. Meyer ; " A Study of the Values of Social Workers in Ewin J . Thomas , (eds) , " Behavioral Social for Science Workers " n , j , ; hte free press , 1967 , p . 405.

* أنه وعلى الرغم من أن النظرة التخطيطية لبرامج رعاية المسنين لا يمكن أن تتهرب من إيجاد تصنيف مقبول يسمح بالتعامل مع المسنين ككثافات وليس كأفراد ، إلا أن ذلك لا ينبغي أن يعنى بحال وضع جميع المسنين في (سلة واحدة) والتعامل معهم بنوع من التعميم (التعسفي) ، بل يعنى ضرورة إيجاد معايير للتصنيف المقبول التي يمكن تصميم برامج رعاية المسنين في ضوءها دون تعسف ، وفي هذا الصدد يمكن اقتراح مجموعة من المعايير للتمييز بين الفئات المختلفة للمسنين لأغراض صنع السياسات وتخطيط البرامج .

٢- بين العجز والقدرة :

وترتبط هذه النقطة بما سبقها ، إذ أن الاعتقاد بتجانس المسنين كان قوامه النظر إليهم على أنهم من الفئات المعتمدة على الآخرين وأنهم فاقدون للقدرة والقوة ، وأن كبر السن ما هو إلا حالة من العجز الجسمي والعقلي والنفسي ، والواقع أن هذه النظرة إنما ترجع إلى عدة عوامل لعل أهمها :

* ذلك الاتجاه الذي يقسم الحياة إلى مراحل متعاقبة تتميز كل منها بسمات معينة كما لو هناك انقطاع وانفصال بين كل مرحلة وأخرى ، في حين أن حياة الإنسان ما هي إلا مسيرة متكاملة ووحدة متصلة لا انفصال بينها .

* النظر إلى الشيخوخة في ذاتها على أنها أحد الأمراض أو أنها حالة "باثولوجية" .

* أن الدراسات المختبرية أثبتت أن أداء المسنين أقل أداءً من صغار السن ، إلا أن "كرندال" يؤكد على أنه "يجب علينا في هذا الصدد أن نلاحظ عن حق أن فروق الأداء ليست كبيرة" ، ويقول أيضاً "نشك أن تكون هذه الفروق ذات أهمية في معظم حالات الحياة اليومية^(١) .

* ارتباط الشيخوخة تاريخياً وتراثياً بسن الإحاطة إلى التقاعد حيث ينتقل الإنسان في سن معينة إلى حالة من البطالة الاجتماعية وما يتبعها من الكسل والعجز والوهن .

وفي ضوء هذه النظرة وجدنا من يشير إلى أن كبار السن سيصبحون الفئة من السكان ذات العقول المصابة بالخربة^(٢) ، وذيوع الاعتقاد بأن مشكلة المسنين تكمن أساساً في ضعفهم الجسماني وانهيار قواهم البدنية ، ولقد ترتب على ذلك عدة نتائج لعل أهمها :

* أن السياسات الوضعية قد قامت على أساس هذه النظرة السلبية للمسنين ، كيف أنهم يحتاجون دائماً (وعلى وجه العموم) إلى الرعاية تقديمها لهم ويتضح ذلك من مراجعة نماذج الخدمات والبرامج المقدمة للمسنين والتي قامت على هدى هذه السياسات .

(١) راشد محمد أبا الخيل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم" ، دار الخريف ، الرياض ١٩٩١ ، ص ٤٥ .

(٢) إبراهيم خليفة - عبد الله الشمري : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن

العربي" ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٥٦ .

* أن هذه السياسات والبرامج قد أعطت حل اهتمامها للمشكلات والآثار الصحية المرتبة على الكبر ، والرعاية الطبية طويلة المدى وأغفلت الجوانب الأخرى .

* أن سياسات وبرامج الرعاية المستندة إلى هذا التصور تغفل عنصراً هاماً يتمثل في وضع الخطط والبرامج التي تكفل إفساح المجال أمام المسنين للاستفادة منهم كطاقة إنتاجية في المجتمع .

* أن لهذه النظرة انعكاساتها السلبية على الفكرة التي يكونها الإنسان عن مرحلة التقدم في العمر ونظراته لها على أنها مرحلة العجز واليأس والقنوط وأنها مصدر للتعاسة والشقاء والآنزواء عن الحياة .

* أن النظر إلى المسنين على أنهم بحاجة إلى العطف والشفقة نتيجة عجزهم يترتب عليه تدهور منظومة المكانة الاجتماعية لهذه الفئة في المجتمع .

أن هذه النظرة السلبية للمسنين تحتاج إلى مراجعة في ضوء تعاليم الإسلام التي ترفض الربط بين السن والعجز ، وبالتالي ترفض الربط بين السن وبين القدرة على العطاء ، فالإنسان في التصور الإسلامي مكلف بالعمل والعطاء لا إلى أن يبلغ سنًا معينة وإنما إلى آخر لحظة من لحظات حياته ما دام ذلك ممكناً ، والقرآن لم يربط النبوة بالعمر ، وعرض نماذج النبوة في نسق ممتد ، وذكر أنبياء تقدمت بهم السن وطالت بهم الدعوة إلى الله "كإبراهيم وزكريا ونوح" على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام ، ومن ناحية أخرى فإن مشاهد السيرة النبوية تدلنا على أن المجاهدين الأوائل لم يكن يمنعهم من الخروج إلى الجهاد بلوغهم مرحلة الكهولة أو الشيخوخة ، إذ إن الجهاد في سبيل الله يظل فريضة ما دام الإنسان قادراً ، فالقدرة لا ترتبط إطلاقاً بالسن حيث أن الضعفاء هم أصحاب الوهن في أي عمر^(١) .

فالتقدم في العمر إذاً لا يعنى "العجز" ولا يعنى التوقف عن العطاء في منظور الإسلام ، وهو بهذا يفتح الباب أمام المسنين للمشاركة الإيجابية الفعالة في الحياة العامة ما داموا قادرين على ذلك ، ينظر إلى هذه المشاركة على أنها تكليف للمسلم لا يسقط ببلوغه حداً معيناً من السن وإنما يسقط فقط عند عجزه عن الاستطاعة والقدرة على الرفاء به وفي هذه الحالة فإن الإسلام يوفر له الرعاية الواجبة حيث يكون .

٣- بين الجزئية والشمول :

تعتمد السياسات الحالية على النظرة الجزئية التي تفتقر إلى الشمول والتوازن وضبط النسب عند تعاملها مع المسنين نتيجة "للتجائس" المفترض بينهم من ناحية ، ولنتيجة للرؤية القاصرة لمشكلاتهم من ناحية أخرى ، ولذلك كان من الطبيعي أن تركز هذه السياسات والبرامج على جوانب معينة من مشكلة المسنين وتغفل جوانب أخرى بسبب النظرة الأحادية

(١) صلاح عبد المتعال : "مستقبل التنمية" نحو بديل حضاري إسلامي ، دار الشرق الأوسط للنشر ، القاهرة ١٩٩١ .

الضيقة التي تتوهم أنها اكتشفت الحقيقة المطلقة كلها ، وفي هذا الصدد نجد التركيز على البرامج الصحية والخدمات الطبية ، أو التركيز على الجوانب الاقتصادية وتأمين الدخل ، دون النظر إلى المسنين من منطلق شمولي ، والواقع أن قضايا المسنين - كما تؤكد الدراسات العلمية - ليست قاصرة على هذا الجانب أو ذاك وإنما هي قضايا متعددة ومتنوعة ، وبالتالي تعدد الاهتمامات والتخصصات التي تتناولها فهناك الجانب الصحي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، والتعليمي ، والترويحي ، والروحي ، والعلمي ... إلخ . والتصور الإسلامي يرفض عقلية التبعض والتفكيك والنظرات الجزئية ، ويعتمد على التفكير الشامل الذي يتناول الظاهرة من جميع جوانبها ويتحري جميع أجزائها وما يتعلق بها ، ومن ثم يوجه الجهود بشكل متوازن إلى جميع هذه الجوانب ، في رعاية شاملة متكاملة.

٤ - بين التقاعد الإجباري والعمل المستمر :

تقوم السياسات الوضعية على افتراض أساسي مؤداه : أن مجرد الإحالة للتقاعد تصيب الإنسان بالأمراض الجسمية والعقلية ، وتدفعه إلى الانطواء والانزواء عن الحياة العامة ، وأن اعتزال الخدمة له آثاره العقلية والجسمية الضارة بالنسبة للمسنن ، ويرتبط هذا التصور بطبيعة المجتمع الغربي الذي يمجّد القوة والشباب ويقدم العمل والإنجاز ، ولكن الحقيقة أن التقاعد - في حد ذاته - ليس هو المسئول أو السبب المباشر لتلك الأعراض الجسمية والعقلية أو حتى الاجتماعية ، وإنما المسئول عن ذلك - ما أشارت الدراسات والبحوث العلمية - "هو بقاء التقاعد واستمراره في حالة من الركود دون تشغيل طاقاته واستثمار إمكاناته كعنصر قادر على العطاء ، الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى سياسات عامة تنمي قدرات المتقاعدين وتستثمرها في مصالحهم وصالح مجتمعهم" (١) ، وفي هذا الصدد يصبح الإنفاق على المسنين هو استثمار دائم له عائده المجزى على المسن وعلى المجتمع في نفس الوقت ، ولقد أوصت خطة العمل الدولية التي وضعتها الأمم المتحدة في عام ١٩٨٢م بعدم سن القوانين التي تحرم أو تستبعد القيام بأعمال إضافية بعد التقاعد ، واقترحت أن تتخذ التدابير اللازمة لمساعدة المتقاعدين والمسنين على القيام بأعمال جزئية (٢) .

وإذا نظرنا إلى الإسلام نجد أنه لا يعترف "بالتقاعد الإجباري" وما ترتب عليه من حرمان الإنسان من حق أساسي كفله الإسلام وأوجب على ولاية الأمور تهيئة المناخ الملائم

(١) إبراهيم خليفة - عبد الله الشمري : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربي" ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٦٠ .

(٢) إبراهيم خليفة - عبد الله الشمري : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربي" ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٥٠ .

له ليمارس من خلاله هذا الحق ، وإذا كانت الظروف والمستجدات قد دفعت الدول والحكومات إلى سن القوانين التي تحدد سنا معينة لاعتزال العمل الرسمي (الوظيفة) لإتاحة الفرص للشباب والأجيال الصاعدة لأداء دورها في خدمة المجتمع ، فإن هذا لا يعنى - أو ينبغي أن لا يعنى - حكماً على الإنسان بالتحول إلى نوع من البطالة والعجز والكسل والخمول والاعتماد على الآخرين ، ومن هنا فإن الرؤية الإسلامية لا تعترف بتلك المقولة التي تربط التقاعد والإصابة بالأمراض العقلية والجسمية لسبب بسيط وهو أن مفهوم العمل في الإسلام لا يقتصر على ذلك النوع من العمل الذي يخضع صاحبه للتشريعات المنظمة للتقاعد ، أعنى العمل الرسمي أو "الوظيفة الرسمية" كما هو الحال في المفهوم الوضعي ، إذ إن آفاق العمل مفتوحة أمام المسلم للدين والدنيا ، وليس لقوة أن تقف في طريقه أو تمنعه عن العمل ما دام قادراً عليه وراعياً فيه ، بل وربما ينظر المسلم إلى التقاعد عن العمل الرسمي أو اعتزال الخدمة على أنه متغير إيجابي في حياته يحرره من قيود الوظيفة ويطلق لطاقاته وقدراته العنان في أعمال تعود بالنفع عليه وعلى أسرته ومجتمعه وأمته ودينه ، إن الإسلام يرى أن مهمة الإنسان في الحياة الدنيا هي خلافة الله في الأرض : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (١) ، وأن دوره في أداء هذه المهمة وغايته منها هو عبادة الله عز وجل - : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢) .

ومفهوم العبادة في الإسلام يتسع حتى أنه يشمل جميع الأعمال والأنشطة والمشاعر وحتى الرغبات التي يطلق لها العنان في سبيل الله وابتغاء مرضاة الله .

ومن هنا فالعمل جزء من العبادة في تصور الإسلام ويرتبط العمل في القرآن الكريم بالإيمان ويرتبط بقيمة أخرى هي إتقان العمل واستمراريته حتى "ولو قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها" ، كما جاء في الحديث الشريف (٣) .

وفي ضوء ذلك ينبغي أن تقوم السياسات الاجتماعية لرعاية المسنين وفق الرؤية الإسلامية على أساس النظر إلى كبار السن باعتبارهم طاقة منتجة لا مجرد عالة على المجتمع ، والوضع يؤكد ذلك فإننا نرى القادة والحكام والسياسيين والعلماء على مستوى كثير من المجتمعات هم من كبار السن الذين توارزهم الحكمة والخبرة والحنكة التي اكتسبوها على مر السنين .

(١) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

(٢) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٣) رواه أحمد .

كذلك فإن مبدأ الشورى في الإسلام يتيح الفرصة أمام كبار السن ليشعروا بقيمتهم وكيانهم في خدمة مجتمعهم في شتى مجالات الحياة بإسداء النصيح والمشورة ، وتقديم الآراء والخبرات التى ترتبط بمجالات تخصصهم ، قال تعالى في سمات المؤمنين : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(١) ، وقال : ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾^(٢) .

إن كبار السن لهم أهميتهم الخاصة عند تطبيق هذا المبدأ في حياة المجتمع المسلم ، ويحتوى تاريخ الإسلام على العديد من المواقف التى رجع فيها أولو الأمر إلى الشيوخ وكبار السن للاستفادة بأرائهم في إدارة دفة الأمور أو إيجاد الحلول لما يواجههم من مشكلات .

٥- بين الحاجات المادية والأشواق الروحية :

سبق أن أشرنا إلى أن سياسات وبرامج رعاية المسنين تقوم على النظرة الآلية المادية للإنسان مع إغفال الأبعاد الروحية ، سواء في تفسير سلوك الإنسان في هذه المرحلة العمرية والمشكلات التى يتعرض لها ، أو في الجهود والبرامج التى توجه لرعاية المسنين ومواجهة مشكلاتهم ، وقد ترتب على ذلك الاهتمام بإشباع الحاجات المادية - باعتبارها هى الأساس - مع إغفال الاحتياجات والأشواق الروحية إلا نادراً .

ويود الباحث هنا أن يشير إلى أنه لا يميل إلى التقليل من قيمة وأهمية الحاجات المادية لكبار السن ، وإنما يود التأكيد على خطورة إغفال الجوانب الروحية وإشباع الحاجات والأشواق الروحية للإنسان وما يترتب على ذلك من آثار ونتائج لا تفلح الجهود والخدمات المادية في مواجهتها أو تلافيتها .

ويشير "إبراهيم رجب" إلى أن إغفال سياسات الرعاية الاجتماعية للأبعاد الروحية نشأ عنه عدم اكتراث بقيمة العلاقات الاجتماعية الطبيعية بين الناس وجرأة شديدة على تقطيع أوصال العلاقات الإنسانية بشكل مصطنع عند تصميم برامج الرعاية الاجتماعية^(٣) ، ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك انتشار مؤسسات رعاية المسنين ، وما يترتب على إيداع المسن من آثار نفسية واجتماعية كما سيوضح .

والتصور الإسلامى للإنسان يقضى بأن توجه الجهود في توازن وشمول لكافة جوانب الإنسان، كما أن أى جهد يخلو من إرضاء الجانب الروحى في الإنسان لا يخلف وراءه إلا الإحساس بعدم الرضا رغم كل مظاهر التقدم المادى التى يمكن تحقيقها .

(١) سورة الشورى : الآية ٣٨ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية" بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامى

للعلوم ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، (٢٤ - ٢٩ أكتوبر ١٩٩٢) ، ص ٥٧ .

إن التصور الإسلامي لرعاية المسنين يقوم على أن اجانب الروحي هو الأساس وهو المحور الذى ينبغى أن تدور حوله كافة أشكال الرعاية الأخرى اقتصادية كانت أو اجتماعية أو وطنية أو نفسية .. إلخ.

ودليلنا على ذلك ما جاء في الحديث الشريف : "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهى القلب" ، فمن صلح قلبه صلح جسده قطعاً بخلاف العكس^(١) ، ولذلك تقرر الشريعة الإسلامية - كما أبان علماء الأصول - أن جميع المصالح الإنسانية في هذه الحياة تتجمع في كليات خمس مرتبة في سلم يبدأ بالأهم فما دونه وهى الدين ، الحياة ، العقل ، النسل ، المال ، وإن تحقيق كل مصلحة يندرج في ثلاث مراحل تبدأ بالأهم فما دونه أيضاً وهى : الضروريات ، الحاجات ، والتحسينات .

إن النزعة الروحية عند الإنسان وشعوره النفسي والوجداني لا يمكن تليته أو إشباعه إلا من خلال الدين ، لأن العقيدة الدينية هى التى تصل الإنسان بخالقه جل وعلا وتضعه مع صفاته العليا أمام عتبة اليقين والاطمئنان والرضا وتطلق أشواقه الروحية ، قال تعالى : ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾^(٢) .

وإذا كان الإنسان في كل مراحل حياته في حاجة ماسة إلى الإشباع الروحي المتوافق مع تكوينه الفطري لتحقيق السعادة والسكينة والطمأنينة التى ينشدها فإنه يكون أشد حاجة إلى ذلك في مرحلة الكبر .

٦ - بين العزلة والاندماج :

تعرف العزلة (Segregation) بأنها "تلك الحالة النفسية الناتجة عن فقدان الفرد لنظام المساندة مع تناقص المشاركة في النشاطات الاجتماعية ، وقله الشعور بالإنجاز الاجتماعي"^(٣) ، وهى بهذا المعنى أصبحت من المشكلات التى يعانى منها المسنون في المجتمعات الغربية نتيجة للعديد من العوامل التى يشير "فيلد" إلى بعضها بقوله "ما أقل إدراكنا للضغوط الاجتماعية التى طالما تحملها المسن مثل تضيق دائرة العلاقات الاجتماعية للفرد ، وانتقال رفقاء عمره نتيجة المرض أو الوفاة ، فليس من اليسير على الشخص المسن تكوين صداقات جديدة والنتيجة هى انفصال المسنين التام عن عالم العمل وشعورهم بأنه لا فائدة

(١) ابن تيمية : "الإيمان" ، تحقيق ومراجعة هاشم محمد الشاذلى ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٦ .

(٢) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

(٣) راشد محمد أبا الخيل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم" دار الخريف ، الرياض ، ١٩٩١ ، ص ٦٠ .

ترتجى منهم وإحساسهم بالوحدة (Lonelines) والعزلة ولا حيلة لهم للقضاء على ملل فراغ الأيام الطويلة^(١) .

ومهما تكن الأسباب فإن بعد الشخص المسن عن أسرته ومجتمعه ومحيطه الاجتماعي الذي عاش فيه وارتبط به وألفه سنوات طوال يمكن أن يتركه وحيداً ومكتئباً وهي حالة تزيد من أو حتى تسبب الكثير من المشاكل النفسية والبدنية فضلاً عن مضاعفاتها بالنسبة للفرد والمجتمع .

ولقد لوحظ أن معظم السياسات التي سارت عليها الدول المتقدمة قد باعدت بين المسنين وبين الحياة المجتمعية ، الأمر الذي ترتب عليه عزلة المسنين عن تيار الحياة المجتمعية ونسيجها ، كنتيجة طبيعية لأوجه القصور التي يمكن رصدها سواء في الفصل بين سياسات رعاية المسنين وبين غيرها من سياسات الرعاية الاجتماعية للفئات الأخرى أو في طبيعة البرامج والمشروعات والتي نشأت في إطار هذه السياسات ، وفي الصدد يمكن أن نشير إلى الملاحظات التالية^(٢) :

* غياب التكامل بين سياسات رعاية المسنين وسياسات الرعاية الاجتماعية بشكل عام ، حيث يتم وضع الخطط والسياسات الخاصة برعاية المسنين منفصلة عن الخطط القومية وسياسات الرعاية الاجتماعية .

* التركيز على المؤسسات الاجتماعية الإيوائية لرعاية المسنين وما نتج عنه من عزلهم بعيداً عن الحياة العادية لأسرهم وللفئات العمرية الأخرى في المجتمع .

* أن سياسات التنمية وخططها اعتبرت المسنين بعيدة كل البعد عن إمكانية المشاركة الجادة والفعالة في العمل الإنتاجي ووضعهم في فئات المتقاعدين .

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى فإن من الخطأ وضع سياسات رعاية المسنين في غياب الارتباط والتكامل بين هذه السياسات وبين الخطط القومية وسياسات الرعاية الاجتماعية بشكل عام ، وأن كل سياسة تهتم بالمسنين ينبغي أن يكون ضمن السياسة القومية العامة سواء منها السياسة الاقتصادية أو سياسة التنمية الاجتماعية عدا ما يمكن أن يتصل بصفات وخصائص ومشكلات المسنين أنفسهم ، وبالتالي المشروعات والبرامج التي تضعها الحكومات لجميع الفئات من جميع الأعمار ينبغي أن تشمل المسنين كذلك وكل الوسائل

(١) راشد محمد أبا الخيل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم" دار الخريف ، الرياض ، ١٩٩١ ، ص ٦١ .

(٢) علي فؤاد أحمد : "العمل الاجتماعي مع المسنين" في : عزت سيد إسماعيل ، دراسات نفسية اجتماعية ، دار القلم ،

الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ٨٥ .

والأساليب التي من شأنها أن تدعم الأسرة لابد وأن تراعى مشاكل واحتياجات كبار السن فيها^(١).

وهذا يعنى أن كل السياسات والبرامج الموجهة نحو مجالات رعاية الأسرة ، والطفولة والشباب، والسياسات التعليمية، والصحية، الإعلامية، وسياسات الإسكان، وتنمية المجتمع المحلي... إلخ، ينبغي أن تضع في اعتبارها ظروف ومواقف وقضايا المسنين في المجتمع. والرؤية الإسلامية تقوم - كما سبق وأشرنا - على تحقيق هذا التكامل والشمول بين هذه المجالات المختلفة.

المؤسسات الإيوائية :

وفيما يتعلق بالملاحظة الثانية والمتعلقة بالرعاية المؤسسية الإيوائية وما ترتب عليها من عزل المسنين عن الحياة في المجتمع، فلقد سبقت الإشارة إلى أن هذا اللون من الرعاية يعد واحداً من أنظمة الرعاية المغلقة، والواقع أن هذا النمط يرتبط إلى حد كبير بطبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمع الغربي، وتدهور (أو تقلص) الوظائف التقليدية للأسرة. ومن السهل علينا أن نتيين النتائج السلبية التي ترتبت على التركيز على هذا المدخل في رعاية المسنين لعل من أهمها :

- * عزل المسنين عن أسرهم وعن الحياة العامة في المجتمع.
- * ضعف مكانتهم الاجتماعية في المجتمع.
- * الإخلال بالتماسك بين الفئات العصرية لأفراد المجتمع بشكل عام.
- * زيادة مشاعر الاعتماد (Dependency) والسلبية والتواكل والكسل لدى النزلاء.
- * فضلاً عن أشكال المعاناة النفسية والاجتماعية التي تصاحب حياة "النزيل" في هذه المؤسسات.

ويشير "فيلد" إلى هذه الآثار السلبية للرعاية المؤسسية بقوله : "قد يقع المسنون ليسوء الحظ في دائرة الإهمال، والوحدة والاكتماب ما لم تتحقق احتياجاتهم العاطفية، فعندما يدركون أنهم قد أصبحوا عبئاً على المجتمع فإنهم يشعرون دائماً بعدم فائدتهم وأنهم ليسوا محبوبين، وبالتالي يصابون بالملل وخيبة الأمل في الحياة مما يفاقم إحساسهم بالوحدة والاكتماب، ويمكن تخطيط هذه الدائرة بأسلوب التفاعل الاجتماعي إلا أن الدائرة تسوء بدخول المسنين إلى المؤسسات الاجتماعية"^(٢).

(١) حامد عبد الهادي : "إنجازات حديثة في رعاية المسنين"، وأوراق الندوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية الخليجية، للنامة (٢٧ - ٣٠ نوفمبر ١٩٨٢)، ص ٢٥.

(٢) راشد محمد أبها الخليل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم" دار الخريف، الرياض، ١٩٩١، ص ٥١.

ولقد أثبتت الدراسات الميدانية أن مسنى الرعاية الاجتماعية بالمؤسسات الإيوائية هم أكثر معاناة للأمراض الجسمية والنفسية من غيرهم^(١) ، كما تشير دراسات "ماسون" أن إجهادات المسنين النزلاء في مؤسسات أو دور خاصة بهم نحو أنفسهم تضمنت مشاعر سلبية عن الذات أكثر من غيرهم^(٢) .

ولا يتوقف الأمر على المسنين أنفسهم بل يتعداهم إلى الشباب الذين يرفضون فكرة وجود هذه المؤسسات في مجتمعنا الإسلامي ، ففي دراسة عن نظرة الشباب للمسنين^(٣) يرى الشباب أن وجود المسن بين أفراد أسرته يمكن أن يساعده على حل بعض مشاكله ومن ثم لا يؤيدون فكرة المؤسسات الخاصة بالمسنين .

أن ما سبق على أهميته لا يعنى أن المؤسسات هي شر محض ، إذ إن هناك حالات خاصة وظروف خاصة معينة تحتم وجود هذا اللون من الرعاية ، وإنما نريد - وانطلاقاً من رؤيتنا الإسلامية - أن نؤكد على أنه ينبغي النظر إلى هذه المؤسسات على أنها الملاذ الأخير، وأن تحتل درجة متأخرة في سلم أولويات رعاية المسنين وأن يتم اللجوء إليها فقط في الحالات والظروف الخاصة التي لا تتوفر لها الرعاية الواجبة من خلال الترتيبات المجتمعية التقليدية كالأسرة والجيرة والمنظمات المحلية ، أو تلك الحالات التي تتطلب نوعاً خاصاً من الرعاية لا تستطيع هذه التنظيمات التقليدية القيام به .

ولقد سبق أن أشرنا إلى أن الإسلام يعتبر الأسرة هي المؤسسة الأساسية والمحورية المسؤولة عن مسنيها في إطار التكاليف الشرعية ، فالمسؤولية تقع على الأسرة وذوى القربى والجيران ، والمجتمع المحلي ، أما في الحالات الاستثنائية مثل عدم وجود أسرة أو أقارب للمسن أصلاً ، أو في حالات رفض الأسرة أو مقاومتها القيام بتقبل أحد مسنيها ورعايته داخلها ، إما لعدم توفر الإمكانيات أو الظروف ، أو لاستحالة القيام بذلك لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية في ضوء ظروف الحالة الصحية (جسمية أو عقلية) للمسن ، هنا تبدو الحاجة ملحة - لا سيما مع فقدان الأسرة الحديثة للمقومات الأساسية التي كانت تجعلها

(١) محمد عودة : "مشكلات مرحلة الشيخوخة" ، دراسة ميدانية لعينة من المسنين ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، عدد (٢٣) ، ١٩٨٦ ، ص ٤٩ .

(٢) طلعت منصور غريال : "دراسة في الاتجاهات النفسية نحو المسنين لدى بعض الفئات العمرية في المجتمع الكويتي" ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، ربيع ١٩٨٧ ، ص ٧٢ .

(٣) بلرية شريف عبد الوهاب : "نظرة الشباب نحو المسنين - دراسة تجريبية لطلاب كلية الآداب بسوهاج" ، المؤتمر الدولي للصحة النفسية للمسنين ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

قادرة على القيام بوظيفة الرعاية لأفرادها المسنين - للبحث عن بدائل للأسرة تقوم بهذه المهمة ، ومن بين هذه البدائل بطبيعة الحال الرعاية المؤسسية . غير أننا نؤكد هنا على بعض الاعتبارات التي ينبغي وضع الاهتمام بالنسبة لهذا النمط من الرعاية في ضوء التصور الإسلامي بحملها فيما يلي :

- أن تكون هذه المؤسسات جزءاً من المجتمع المحلي تتفاعل معه ويتفاعل معها وألا تقتصر على المسنين فقط وإنما ينبغي أن تستقبل أصدقاء المسن وزملاءه وأقاربه كنوع من استمرارية العلاقات الاجتماعية ، كما يتضمن ذلك أيضاً خروج المسنين النزلاء إلى المجتمع المحلي في برامج منظمة لتوثيق صلتهم بالمجتمع ولتفادي العزلة التي تفرضها الإقامة في مثل هذه المؤسسات .

- التدقيق في اختيار العاملين بهذه المؤسسات بحيث يكونوا من المشهود لهم بالصلاح والتقوى والرغبة في إرضاء الله تعالى والتحلى بصفات التقوى والرحمة وحب الناس ، حتى ينعكس ذلك على أسلوب تعاملهم مع المسنين وعلى المناخ الذي يسود الحياة داخل هذه المؤسسات .

- أن تقوم هذه المؤسسات على إشباع الحاجات الروحية وأن تعتبر البعد الروحي محوراً تدور حوله كافة ألوان الإشباعات الأخرى ، ونشير هنا إلى أن الإحساس بالعزلة يتفاقم إذا كانت صلة الإنسان بربه ضعيفة أو مقطوعة ، والمؤمن العارف بالله والذي يكون على صلة وثيقة به لا يتطرق إليه الإحساس بالعزلة أو الوحدة أو الملل لأنه يشعر دائماً أنه في معية الله عز وجل يأنس به ويستمد منه العون والتأييد الذي يجعله أكثر صلابة في مواجهة المشكلات والصعوبات التي تعترضه . قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(١) وأن راحة المؤمن في توثيق صلته بالله عن طريق أداء العبادات التي افترضها الله عليه ، فعن الصلاة كان الرسول ﷺ يقول : «أرحنا بها يا بلال» ولذلك ينبغي أن تهتم هذه المؤسسات بتكثيف الجرعات الإيمانية للمسنين والتي تحقق لهم التوازن النفسي .

- التركيز على إيجاد شكل من أشكال التعاون بين هذه المؤسسات وبين المؤسسات والهيئات الأخرى القائمة في المجتمع المحلي والقومي مثل الهيئات الخيرية ، ومؤسسات رعاية الشباب (أندية ومراكز الشباب) والمدارس والجامعات ومعاهد العلم لتهيئة المناخ الملائم للتكامل والتواصل بين الأجيال ، والاستفادة من جهود الشباب من خلال هذه المؤسسات في رعاية المسنين ، ولتعديل الاتجاهات السلبية التي قد تكون لدى الشباب نحو المسنين ،

(١) سورة النحل : الآية ١٢٨ .

فضلاً عما يمكن أن يؤدي إليه ذلك من التخفيف من مشاعر الاغتراب والإحساس بالوحدة والعزلة لدى النزلاء وإشعارهم بقيمتهم وأنهم ما زالوا مقبولين ومرغوباً فيهم ، وأخيراً يمكن أن يستفيد هؤلاء الشباب من خبرات وتجارب المسنين من خلال احتكاكهم بهم وقربهم منهم .

سياسات التنمية والمسنين :

ونأتي إلى النقطة الثالثة والتي تتمثل في أن سياسات وخطط التنمية وضعت على أساس اعتبار المسنين بعيداً عن إمكانية المشاركة الجادة أو الفعالة في العمل الإنتاجي ، مما يضاعف من إحساسهم بالعزلة ، ويرجع ذلك - كما سبق أن أشرنا - إلى النظرة السلبية لمرحلة التقدم في العمر على أنها مرحلة العجز وفقدان القدرة على مواصلة العمل والنشاط ، وهي نظرة سبق أن أوضحنا خطأها وخطورتها في نفس الوقت . ونضيف هنا أن استمرار المسن في العمل والعطاء ومشاركته الإيجابية في مختلف مجالات الحياة لا يعني تأمين الجانب الاقتصادي للمسن والمتمثل في مصدر دخل مستمر فحسب ، - فإن هذا الجانب على أهميته بالنسبة للمسن يبدو أقل بالنسبة للجوانب الأخرى التي يحققها العمل والنشاط في حياة المسن ، لعل منها :

- ضمان حسن توافق المسن نفسياً واجتماعياً ومقاومته للتدهور العقلي والنفسي الذي يمكن أن يتعرض له في هذه المرحلة .

- التخلص من الفراغ والشعور بالوحدة والعزلة والإحساس بعدم الفائدة المصاحب للخمول والكسل والانقطاع عن العمل والانسحاب من الحياة ، ولعل ذلك هو السبب فيما أشارت إليه نتائج بعض الدراسات من أن الأشخاص في كل المستويات المهنية يميلون إلى النظر إلى التقاعد نظرة سلبية⁽¹⁾.

- أن العمل يساعد المسنين على حل الكثير من مشكلاتهم الاجتماعية وتأمين فرص الصداقة والعلاقات الاجتماعية والإبداع والمكانة الاجتماعية .

- الفائدة التي تعود على المجتمع ككل والمتمثلة في دعم الجهود التنموية والاستفادة من قدرات وإمكانيات خبرات كبار السن واستثمارها لصالح المجتمع في برامج ومشروعات تلائم هذه الفئة من الناس بدلاً من حرمان المجتمع من عطائهم وجهودهم ، وخاصة وأن لديهم قدرات كامنة يتمثل بعضها في وفرة الوقت والخبرة ، وحاجتهم إلى تحقيق الذات

(1) Gordon F. Streib & wayne E.thompson ; personal and social Adjustement in Retirement",in wilma donalsue & clark Tibbitts, (eds) "the New Frontiers of Aging" an Arbor, university of Michigan press, 1957, p. 180 .

والشعور بالقيمة والرضا عن النفس ، إن إدماج المسنين في أنشطة المجتمع بدلاً من عزلهم والعمل من أجل إيجاد أدوار بديلة عن تلك التي فقدت نتيجة للتقدم في العمر والتقاعد ، يمكن أن يؤدي إلى تدعيم بقية الخدمات بحيث يؤثر في تحقيق أهداف الرعاية الاجتماعية للمسنين^(١) .

٧- بين العمل مع الكبار والإعداد للكبر :

الواقع أن النظرة التحليلية للسياسات الاجتماعية إزاء المسنين تشير بوضوح إلى أن هذه السياسات يكاد ينحصر اهتمامها في العمل مع المسنين فقط ، دون أن يتعداهم إلى العمل مع غيرهم من الفئات الأصغر سناً وبعبارة أخرى فإن هذه السياسات تقتصر على من وصلوا إلى مرحلة الكبر دون الاهتمام بإعداد الإنسان لهذه المرحلة منذ المراحل المبكرة من حياته . إن هذه النظرة القاصرة تتجاهل حقيقة ينبغي التنبيه لها وهي أن معظم مشكلات الشيخوخة إنما هي مشكلات يمكن الوقاية منها وتحاشيها أو على أضعف الاحتمالات تأخيرها بإجراءات وسلوكيات وعادات يلتزم بها الإنسان في مراحل عمره المبكرة ، فالوقاية والتربية الصحيحة (الشاملة لكل أبعاد وجوانب الشخصية الإنسانية) تبعد شبح أمراض الشيخوخة وتقلل من آثارها ومشكلاتها أو على الأقل ظهورها ، كما أن الهوايات والمهارات المبكرة تعاون على مواصلة الحياة الإنتاجية في مجالات جديدة للمسنين بعد عجزهم عن القيام بأعمالهم الأصلية التي تتطلب جهداً بدنياً خاصاً ، وهذا يعني أن التعامل مع قضايا المسنين يقتضي العمل مع مراحل الطفولة والفتوة والشباب والرجولة لإعدادهم وتهيئتهم لمرحلة الكبر^(٢) . خاصة وأن الاتجاهات الحديثة تنظر إلى الشيخوخة على أنها عملية دائمة مستمرة على مدى العمر كله ، وينبغي التأكيد على أن إعداد السكان للمراحل المتأخرة من العمر جزء لا يتجزأ من السياسات الاجتماعية^(٣) .

والإسلام ينظر إلى الشيخوخة على أنها الثمرة الحقيقية ، والمحصلة الطبيعية للمراحل السابقة في حياة الإنسان ، فإن كان الإنسان في شبابه وكهولته (من الأربعين إلى الخمسين) صالحاً فإن هذا الصلاح ينسحب على مرحلة الشيخوخة ويمتد إليها ليصير المسن صالحاً

(١) محروس محمود خليفة : "دراسة الوضع الراهن لرعاية المسنين في المملكة العربية السعودية ، البرامج والمؤسسات" ،

المنامة ، البحرين ، الندوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية الخليجية ، ١٩٨٢ ، ص ٦٥ .

(٢) على فؤاد أحمد : "العمل الاجتماعي مع المسنين" في : غزت سيد إسماعيل وآخرين : التقدم في السن دراسات

نفسية اجتماعية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٧ .

(٣) إبراهيم خليفة - عبد الله الشمري : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن

العربي" مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٥٣ .

يعرف ربه - عز وجل - حق المعرفة ، ويمتليء قلبه بالرحمة ، وإن كانت المراحل السابقة فساداً وهوى وضلالاً وتيهاً فإن ذلك ينسحب على الشيخوخة فيكون صاحبها في نقمة وعذاب وآلام وربما يبلغ أرذل العمر ابتلاء واختباراً له^(١).

وفي هذا السياق نفهم معنى قول رسول الله ﷺ «وشاب نشأ في عبادة الله .. الحديث» حين عده من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله^(٢).

كما ينبغي الاهتمام ببرامج الإعداد للتقاعد والتي تستهدف التخفيف من حدة الاضطرابات العاطفية التي يواجهها كبار السن من ناحية ، والتخفيف من الآثار المادية الناشئة عن التوقف عن العمل وازدياد أعباء المعيشة في سن الشيخوخة من ناحية أخرى .

٨- بين اضطراب المصلحة والالتزام الشرعي :

لقد سبق أن أوضحنا أن الاهتمام بالمسنين في المجتمعات الغربية (وخاصة في الولايات المتحدة) قد تأثر كثيراً بقدرة المسنين على تنظيم أنفسهم وفرض ضغط سياسي لصالحهم كقوة سياسية ، وفي هذا الإطار جاء الاهتمام بالتخطيط المجتمعي لرعاية كبار السن في أمريكا كنتيجة طبيعية للجهود والضغوط التي مارسها المسنون من خلال حركة المسنين الأمريكية في عام ١٩٦٥ حيث نجحت هذه الحركة في إرغام الحكومة الأمريكية على توفير الأموال المساعدة على بناء مؤسسات للمسنين وتطوير الخدمات المختلفة لرعايتهم^(٣). ولا شك أن هذا الأمر يترتب عليه أن المسنين لا يستطيعون الحصول على حقوقهم إلا من خلال منظمات سياسية دفاعية تمارس العمل في ظل عمليات سياسية معقدة ومتشابكة ، البقاء فيها لمن يملك القوة على العملية السياسية ، كما أن ترك الأمور للصراع "ديمقراطياً" بين جماعات المصالح المختلفة قد أدى - حسبما يشير (رجب) - "إلى كثير من الفوضى والاضطراب في برامج الرعاية الاجتماعية"^(٤).

(١) على فؤاد أحمد : "العمل الاجتماعي مع المسنين" في : عزت سيد إسماعيل وآخرين : التقدم في السن دراسات نفسية اجتماعية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ١١٨ .

(٢) رواه البخاري .

(٣) Elaine M. Brody ., "Aging" in Encyclopedia of social work, Vol 1, N . Y ., National Association of social workers, 1971 .

(٤) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "التوجيه الإسلامي للخبرة الاجتماعية" بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، ٢٤ - ٢٩ أكتوبر ١٩٩٢ ، ص ٥٦ .

إن الإسلام لا ينظر إلى المشكلة من هذه الزاوية النفعية "البراجماتية" وإنما ينظر إليها على أساس أن المسكين إنسان له كرامته التي أسبغها الله عليه ، والتي ينبغي الحفاظ عليها كما أن له حق الرعاية على المجتمع كله ممثلاً في ولي الأمر الذي ينبغي أن يتحمل مسؤوليته وأن يؤدي ما أوجبه الله عليه من واقع استشعاره لخطورة موقعه في المجتمع الإسلامي .

ولذلك فإن رعاية المسكين في الإسلام إنما تقوم على قاعدتين بينهما ارتباط وثيق :

- الأولى تتعلق بالتكافل الاجتماعي العام بين أفراد المجتمع بدءاً ، من الأسرة وانتهاء بالامة الإسلامية مروراً بذوى القربى ، وعلاقات الجوار ، والمجتمع المحلي ، والمجتمع القومي .

- الثانية : مسؤولية الدولة الإسلامية عن ضمان مستوى الكفاية أو حد الكفاية من المعيشة لكل أفراد المجتمع الإسلامي كحق أساسي لهم قبلها ، ويؤكد (رجب) على هذه المسؤولية بقوله : أما بالنسبة لتدخل الدولة في تقديم برامج الرعاية الاجتماعية فإنه لا يقوم - في التصور الإسلامي - على مجرد الاستجابة للضغوط السياسية الضيقة أو الاستجابة لتوازنات القوى المتطلبة ، وإنما يقوم على شعور الحاكم " بالمسؤولية أمام الله تعالى " في ضوء ما شرع من حقوق للعباد ، على الوجه الذي يرى فيه عمر مثلاً أنه لو عثرت بغلة في العراق لكان متحملاً للمسؤولية عما أصابها وفي صورة تناقض بشكل صارخ مع ما تشير به المكيافيلية أو البراجماتية القصيرة النظر التي تستشري في نظم الحكم الحديثة في المجتمعات المعاصرة" (١) .

وإلى هذا المعنى تشير العديد من النصوص نذكر منها سبيل على المثال : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ... الحديث" (٢) وحديث : "ما من عبد يسترعيه الله رعية ويموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة" (٣) وهي رواية مسلم : "ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة" (٤) .

وهكذا فالوظيفة الأساسية للدولة في الإسلام هي حماية المصالح ومن أهم هذه المصالح التي تشتد الحاجة إليها تأمين الضمان الاجتماعي عن طريق مسؤولية الدولة ممثلة في الحاكم

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "التوجيه الإسلامي للخلمة الاجتماعية" بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي

للعلوم ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، ٢٤ - ٢٩ أكتوبر ١٩٩٢ ، ص ٦١ .

(٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم .

عن المحتاجين والفقراء ، والأيتام والمسنين ، وغيرهم ، والمسنون - في التصور الإسلامي - لهم حقوق متساوية ومماثلة تماماً لحقوق الآخرين في الحياة والعيش الكريم الذي يحفظ عليهم كرامتهم وأدميتهم ، ورعايتهم فرض شرعى على ولاية الأمور القيام به امتثالاً لأمر الله - عز وجل - وطاعة له .

٩- بين مفهوم الوطن ومفهوم الأمة :

يتفق الباحث مع ما قرره "يونس" من أن سياسة الرعاية الاجتماعية في معظم الدول الإسلامية ، ونتيجة لتأثير التجربة الغربية تقوم على أساس الجنسية أو المواطنة ، بمعنى أن المسلم لابد أن يكون متمتعاً بجنسية الدولة التى يقيم فيها حتى يتمتع بخدمات الرعاية الاجتماعية ، ومعنى ذلك أن يعامل المسلم معاملة الأجنبي في بلاد المسلمين الأمر الذي يجافي المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية الذي يمتد ليمثل الأمة الإسلامية^(١) . والواقع أن فكرة القومية أو الوطنية هي فكرة دخيلة على الإسلام وهي فكرة غريبة بدأت في أعقاب الثورة الفرنسية ، وهي تعنى التجمع الوطنى بعيداً عن الدين ، ويشير "جون ستيوارت ميل" إلى مفهوم القومية بقوله : "إن القومية تجعل الناس لا يهتمون بحقوق أو مصالح أي جزء من الجنس البشري فيما عدا ذلك الذي يطلق عليه نفس اسمهم ويتكلم نفس لغتهم التى يتكلمون بها هم أنفسهم"^(٢) .

والإسلام يرفض الحدود المصطنعة بين المجتمعات الإسلامية ، ويقوم على وحدة الأمة الإسلامية: ﴿ وَإِنْ هَذِهِ أُمَمٌ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾^(٣) .

ووفق هذا التصور فإن سياسات الرعاية الاجتماعية والاستفادة من برامجها تقوم أول ما تقوم على رابطة العقيدة والدين ، لا على المواطنة أو القومية فحسب ، وتأسيساً على ذلك يصبح للمسلم حق على المجتمع والدولة المسلمة ، حتى ولو لم يكن من مواطنيها ، كما أن لغير المسلم الحق بالانتفاع بخدمات الرعاية الاجتماعية طالما كان يعيش في كنف الدولة الإسلامية .

(١) الفاروق زكى يونس : "سياسة الرعاية الاجتماعية من منظور إسلامي" ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي

للخدمة الاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، (١٠-١٣ أغسطس) ، ١٩٩١ ص ١٧ .

(٢) أنور الجندى : "الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة" ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣٩ .

(٣) سورة المؤمنون : الآية ٥٢ .

دور الأخصائي الاجتماعي مع المرضى المشرفين على الموت "مقارنة بين المنظورين الإسلامي والغربي"

د . رشاد أحمد عبد اللطيف

أهمية دراسة الموضوع :

اهتمت علوم وتخصصات عديدة بدراسة الموت منها : الطب والتمريض والصحة العامة والعلوم الاجتماعية ، وبصفة خاصة علم النفس وعلم الاجتماع .. كما نشأ في العقود الأخيرة علم دراسة الموت والاحتضار (Thanatology) وتطور هذا العلم حتى أصبح مقبلاً رئيسياً في الجامعات وأصبح مجالاً جيداً للدراسة والبحث .

- إن معظم المؤلفات التي تحدثت عن الموت والمرضى المقبلين على الموت في الخدمة الاجتماعية كانت غربية ، فيما عدا بعض الأبحاث العربية التي تطرقت بطريق غير مباشر إلى هذا الموضوع من خلال الإشارة إلى الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية مع مرضى السرطان والقلب والفشل الكلوي .. بينما وجدت دراسة واحدة باللغة العربية ليست في مجال الخدمة الاجتماعية وموضوعها "قلق الموت"^(١).

- إن معظم الدراسات الاجتماعية التي تناولت الموضوع لم تبرز التصور الإسلامي للموت وكيفية التعامل مع المرضى المقبلين على الموت .

- إن فهم الأخصائي الاجتماعي للتصور الإسلامي للموت يساعده على فهم الأسس المحركة لسلوك المريض ، والإطار المرجعي الخاص بكل حالة ، ومدى تأثير العامل الديني على تقبلهم للمرض وتحمل الآلام المرتبطة به ، ومساعدة أسر هؤلاء المرضى على مواجهة أحزانهم وإعادة تأهيلهم (Rehabilitation) من خلال التكيف مع الظروف الجديدة بعد فقد العائل أو الإبن .. إلخ حتى لا يقع هؤلاء وخاصة ضعاف الإيمان منهم فريسة للأمراض الاجتماعية : الإدمان ، الإفراط في التدخين ، الاكتئاب ... إلخ .

- ويقول دافيد كلارك ١٩٧٤م : إن أعظم هدية قدمتها العلوم الاجتماعية للمهن الطبية النمو المطرد لنموذج المرض الاجتماعي بدل نموذج المرض الطبي كطريقة مختلفة للنظر إلى حالة شخص به علة أو يشكو ألماً .. حيث يضع هذا النموذج الاجتماعي للمرضي الأمر

(١) د . أحمد عبد الخالق ، قلق الموت الكريت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٦م ، ص ٥ - ١٥ .

كله في إطار أوسع .. فهو ينظر إلى الكائنات الإنسانية على أنها تشكل مجتمعاً هو تركيبة أدوار متشابكة .. ومن بين هذه الأدوار التي يقدمها لنا المجتمع دور "المريض" أى الشخص السقيم .. وفي هذا النموذج الاجتماعي ، يدل الطبي تبرز أهمية دور كل من الممارس لمهنة الخدمة الاجتماعية ، ودور التمريض ، والأخصائي الاجتماعي العارف لأمر الشريعة الإسلامية للعمل مع حالات المرضى الميئوس من شفائهم أو المشرفين على الموت.

- كما أن أعظم هدية قدمتها لنا الشريعة الإسلامية هو دراسة الموت لأن وفي دراسته تذكرة واحترام الإنسان لنفسه ، وحثه على الاستعداد لما بعد الموت ، ودعوة إلى حسن عبادته لله تعالى وإرشاده له إلى إسلام وجهه ونفسه وماله وولده لله سبحانه وتعالى .. فلا يكون لديه إذعان إلا لله تعالى ، ولا يكون عنده خوف إلا من الله تعالى .

أولاً : المنظور الإسلامي للموت :

يرى الدين الإسلامي أن الموت ليس ذلك المجهول الذي يثب الخوف والوهن في النفوس ، ولكنه قضاء الله ورحمته ، أن يعيش الإنسان عمراً زائلاً في الدنيا ثم يعيش عمراً خالداً في الآخرة ﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾^(١) ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾^(٢) واليوم الآخر أصل قوى من أصول الدين الإسلامي لذا اهتم به القرآن الكريم ، وكما أن للحياة حكمة ، فإن للموت حكمة وغاية كذلك وتكتمل الحكمتان في اختيار الإنسان وامتحانه في حياة أخرى باقية^(٣). لذلك نزع الإسلام الخوف والوهن من الموت من صدور المسلمين وأنزل السكينة بدلاً منها ، بل إن الإسلام حبيب الموت إلى الناس ، ورغبهم فيه ، روى عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قوله ((ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وماله على الأرض من شيء ، إلا الشهيد يتعنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)). كما يعتبر الموت بالنسبة إلى المؤمن ولادة جديدة .. فيقول الرسول - ﷺ - ((الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)) ، ويقول تعالى ﴿والذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾^(٤) . فقد قدم الموت على الحياة على أساس أنه الحياة الحقيقية وجعله الله نعمة .

(١) سورة الحجر : الآية ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

(٣) د . أحمد محمد عبد الخالق "قلق الموت" ، الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٧م ، ص ١٤ .

(٤) سورة الملك : الآية ٢ .

في إطار ذلك نجد أن المؤمنين بدرجة شديدة قد وصل بهم الزهد إلى الدرجة التي لا يخشون الموت منها أبداً ، بل بعضهم يرنو إليه مشتاقاً ، ويتنظره متلئفاً ، ويترقبه راجياً ...
مؤمنين بقول الله تعالى : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بَرُوجٍ مَّشِيدَةٍ﴾^(١) وفي قوله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَىْ أَرْضٍ مَيُوتُ﴾^(٢) .

فضل ذكر الموت في التصور الإسلامي :

- استحباب ذكر الموت والاستعداد له :

حيث روى عن الرسول - ﷺ - قال : «أكثرُوا من ذكر هادم اللذات ، فما ذكر في كثير إلا قلله ، ولا في قليل إلا كثره»^(٣) .

- انتظار الموت وعدم الخوف منه :

قال كعب : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها ، وقال إبراهيم اليتيم : شيثان قطعاً عنى لذة الدنيا : ذكر الموت ، والوقوف بين يدي الله عز وجل -^(٤) .

- قصر الأمل والرغبة في حسن الخاتمة :

روى عن عليّ كرم الله وجهه أن رسول الله - ﷺ - قال «إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا»^(٥) .

- الموت حتم في مواعده المقرر :

ولا علاقة له بالصحة أو المكان ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بَرُوجٍ مَّشِيدَةٍ﴾^(٦) . كما أن الموت لا ينجو منه أحد ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَأَن . وَيَقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٧) .

(١) سورة النساء : الآية ٧٨ .

(٢) سورة لقمان : الآية ٣٤ .

(٣) رواه البيهقي .

(٤) أبو حامد الغزالي ، سكرات الموت وشدة ، القاهرة ، مكتبة القرآن ، ١٩٨٦ ، ص ٣٠ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٧ .

(٦) سورة النساء : الآية ٧٨ .

(٧) سورة الرحمن : الآيتان ٢٦ - ٢٧ .

— أنه أحد النعم التي تنعم الله بها على الإنسان :

فنعمة الموت كنعمة الحياة بل هي مقدمة عليها ، قال تعالى : ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾^(١) .

— من دعاء الأبرار المؤمنين طلب الوفاة مع الأبرار :

﴿ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاعفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾^(٢) . وعن الرسول -ﷺ - «إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح .. قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يؤتى بها ؟ قال : نعم التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله»^(٣) .

الخصائص المميزة للمريض المؤمن بالله والمشفرف على الموت :

أولاً : الرضى بما قدره الله تعالى :

أ- أنه راض بما قضى الله له ، وما قدره عليه

إيماناً منه بأن الله سبحانه وتعالى لا يفعل شيئاً عبثاً ولا يقضى أمراً يريد به عسراً لعباده ، وأن الخير مطوى في جوف ما نطن أنه كارثة وشر .. وهذا ما يهون على المريض مرضه ، ويعطيه قوة لأنه كان قانعاً بقضاء الله وقدره ، ويقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : «لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»^(٤) . وهذا يعد عن القلق والاضطراب .

ب - أنه يعرف أن الله قد كتب على نفسه متى تموت أن تموت

قال تعالى : ﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾^(٥) .

وقال تعالى : ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾^(٦) .

وقال تعالى : ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾^(٧) .

(١) سورة الملك : الآية ٢ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩٣ .

(٣) تنقي عليه .

(٤) د . يوسف القرضاوى ، الإيمان والحياة ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٧ ، ص ١٨٣ .

(٥) سورة نوح : الآية ٤ .

(٦) سورة الأعراف : الآية ٣٤ .

(٧) سورة فاطر : الآية ١١ .

وهذا ما يضيف على نفس وقلب وفكر المريض الأمن والسكينة والطمأنينة والصبر على الآلام المترتبة على المرض .

ج - أنه يدرك أنه لا كاشف لما أصابه من ضرر أو مرض إلا الله سبحانه وتعالى ، حينما يدرك أنه لا كاشف ولا شفاء لمرض إلا بيد الله سبحانه وتعالى تهدأ نفس المريض ملتسماً قول الله تعالى : ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾ (١) .

وإن تنزل بالإنسان شدة ، أو مرض لا شفاء منه فلا رافع ولا صارف له إلا هو فالله سبحانه وتعالى المتفرد بالفعل ، المتصرف في الخلق ، دون شريك أو ممانع .

د - الاسترجاع حيث يسعى المريض المؤمن عند الابتلاء بالمرض إلى :

أن يقول اللهم "أجرتني في مصيبتى وأخلف لى خيراً منها" .

ويقول ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ .

ويقول ذلك مستلهماً بهدى الله سبحانه وتعالى .. وما وقر في قلبه من إيمان ، قالت

أم سلمة : سمعت رسول الله ﷺ - يقول «ما من مؤمن تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لى خيراً منها إلا خلف الله خيراً منها» .

ثانياً : المريض لا يعرف (أو) و "يا ليت" وتشمل ذلك :

أ - عدم التحسّر على الماضي والسخط على الحاضر والخوف من المستقبل :

لا يقول ليتنى فعلت ذلك ، ليتنى تركت هذا الأمر ، لو أنى فعلت كذا لكان

كذا... لو أطال الله في عمري لعملت كذا .. إلخ لأنه يؤمن بقضاء الله وقدره فلا يسلم فريسة للمرض وأحداثه ، بل يعتقد أنه أمر قضاءه الله لا بد أن ينفذ .. وأن ما فيه من حرص إنما هو من قضاء الله وقدره ولا يقابل بغير الرضى والتسليم .

لا يقول لو أنى فعلت كذا لكان كذا ولكن يقول "قدر الله وما شاء فعل" ، وأن

يلتزم بقول الله سبحانه وتعالى ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾ (٢) .

(١) سورة يونس : الآية ١٠٧ .

(٢) سورة الحديد : الآيتان ٢٢ - ٢٣ .

ب - عدم اليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى وقدرته على شفائه أو رحمته ورفع درجاته بعد الموت :

مما يضيف على نفسه الأمن ويوعده عن كلمة "لو" و "يا لست" لأن ما فاتته لم يكن ليصيبه ، ولأنه يعلم أن ذلك ليس من صنعه وإنما من صنع الله ومن فضله ويرجو من الله أن يعطيه خيراً بعد البلاء .

ثالثاً : وضوح الغاية والطريق أمام المريض المؤمن :

المريض المشرف على الموت .. المؤمن بالله - سبحانه وتعالى - لديه غاية واحدة يحرص عليها ويسعى إليها وهي "رضوان الله تعالى" لا يبالي معه بشدة مرض أو مسئولية أهل لأن الله هو المتكفل بذلك.. فلمَ الخوف ؟ إنه يدرك أن الحياة امتداد للآخرة فهو يدرك ما يلي :

أ - أن الموت نهاية كل حي :

ولا يفرد بالبقاء سوى الله .. وفي الموت يستوى كل البشر بما فيهم محمد رسول الله - ﷺ - فالموت حتم سواء نتيجة مرض أو غير ذلك . قال تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ (٢) .

أن يدرك أن الموت زائر لا بد من لقائه وقادم لا ريب فيه والخوف والجزع والألم لا يشيه ﴿ قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ﴾ (٣) . ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾ (٤) .

وبالتالى لا بد من الصبر والإيمان وتجنب اليأس والخوف لأنه لا يطيل أجلاً كما أن الصحة والعافية لا تقصر عمراً .

ب - أن الموت ليس نهاية المطاف :

وإنما هو حلقة لما بعدها من حلقات النشأة المقدره المدبرة ، التى لم توجد عبثاً ولا سدى .

ويرى المريض المشرف على الموت أن الموت ليس عدماً محضاً ولا فناء صرفاً ، إنه انتقال من حياة إلى حياة ومن طور إلى طور ، وقال يحيى بن معاذ : " لا يكره لقاء الموت إلا مريب ، فهو يقرب الحبيب من الحبيب " .

(١) سورة العنكبوت : الآية ٥٧ .

(٢) سورة لقمان : الآية ٣٤ .

(٣) سورة الجمعة : الآية ٨ .

(٤) سورة النساء : الآية ٧٨ .

وقيل لأعرابي اشتد مرضه وأشرف على الموت : إنك ستموت ، فقال : وإلى أين يذهب بي بعد الموت ؟ قالوا : إلى الله ، فقال ، ويحكم وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا عنده؟^(١). وصدق الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ لَحْنُ أَوْلِيَائِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ، نَزَلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾^(٢).

ج - أن الموت من حكم الله وتديره :
ولا علاقة له بما أصابه من مرض شديد ، يقول الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ، وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابُ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابُ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾^(٣).

ولهذا يسعى المريض المؤمن إلى الاستغفار والتوبة لتخفيف البلاء ومواجهة الآلام ، قال تعالى : ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ، يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾^(٤).

د - الرغبة في حياة الآخرة :
والاهتمام بالغايات البعيدة وبذلك لا تشغل نفس المريض المشرف على الموت بالخوف والجزع من قدومه حيث أن الإنسان لا يملك شيئاً في شأن الموت والحياة ، ولكن يكون الانشغال بما هو أنفع للنفس في المجال الذي تملكه ، وتملك فيه الاختيار : تختار الدنيا أم الآخرة .

والمؤمن لا يحب الحياة حب المريض على متاعها الأدنى ، المتهافت على لذائذها حباً يخيفه من الموت ، ولتتمتع بثواب الأرض ، بل يحب المؤمن الموت لأنه يعجل به لقاء ربه وفي الحديث "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"^(٥).

كما أن المريض المؤمن يرى أن المصائب والابتلاء بالمرض يكفر السيئات ويرفع الدرجات^(٦).

(١) د . يوسف القرضاوى ، الإيمان والحياة ، (القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٧٧) ص ١٥٠.

(٢) سورة فصلت : الآيات ٣٠ - ٣٢ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

(٤) سورة هود : الآية ٣ .

(٥) متفق عليه .

(٦) ابن تيمية ، الحسنة والسيئة (القاهرة ، مطبعة المدنى ، ١٩٧٢) .

رابعاً : عدم الهلع والخوف من الموت وذلك للعوامل الآتية :

أ - حسن الصلة بالله والالتزام بمراقبته :
من خلال المداومة على الصلاة المستوفية لشروطها الفكرية والقلبية والنفسية والروحية والجسدية ، وهو ما دل عليه قول الله تعالى : ﴿إِلَّا الْمَصْلِينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(١) وهذا يضمن على المريض المؤمن السكينة والثقة والاعتماد على الله .
ب - حسن تأدية الحقوق لأربابها :

سواء قبل المرض أو أثناء المرض أو بعد الوفاة طمعاً في مرضاة الله سبحانه وتعالى ، والتقرب إليه بالوسيلة والقيام بواجبه تجاه أسرته وأقاربه ، ومساعدة الفقراء والمساكين وذوى الحاجات من المسلمين .

ج - التصديق يوم الدين وما أعد الله من جزاء والخوف من عذاب يوم القيامة وهذا يجعل ألم المرض أمام ألم يوم الساعة يهون :
قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَصْدُقُونَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾^(٢) .

د - تحصين الفروج من المعاصي والمحرمات التي نهى عنها الله ، وعدم الإقبال عليها ، والطمع لأن ذلك يزيد من الأمل في الحياة ، والابتعاد عن المحرمات يزيد من الأمل بالله والطمع بالفوز بالآخرة .
خامساً : الصلاة والدعاء والأمل في الشفاء من بواعث السكينة لدى المريض المشرف على الموت :

أ - الصلاة تعين المريض على التعبير بدقة وأمانة عما يشغل نفسه ، ويثقل عليها .
ب - الصلاة تشعر المريض بأنه ليس متفرداً بحمل مشكلاته وهمومه حيث ينكر المريض ما يشغله عن الله سبحانه وتعالى .
ولقد أشار معظم النفسيين إلى أن علاج التوتر العصبي والتأزم الروحي يتوقف إلى حد كبير على الإفضاء بمبعث التوتر ومنشأ الأزمة إلى صديق أو قريب ، فإذا لم يجد المريض من ينصت إليه كفاه بالله ولياً .

ج - الصلاة تشعر المريض بالسكينة وقت شدة الرض ، حين يلجأ المريض في ساعة العسرة يدعو ربه طالباً الفرج والشفاء ، ومن فوائد الصلاة ما قام به رسول الله - ﷺ - بعد عودته من الطائف دأى القدمين ، مجروح الفؤاد من سوء ما لقي من القوم ، فما كان

(١) سورة المعارج : الآيتان ٢٢ - ٢٣ .

(٢) سورة المعارج : الآيتان ٢٦ - ٢٨ .

منه إلا أن رفع يديه إلى السماء يقرع أبوابها بهذه الكلمات «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي» (١) .

سادساً : الأمل في الشفاء من عند الله سبحانه وتعالى :

الأمل قوة تشرح الصدر ، وتبعث النشاط في الروح والبدن ، وذلك عكس اليأس من رحمة الله ، فهو العقبة الكئود التي تحطم النفس وتوهن الجسد .

وقال ابن مسعود : الهلاك في اثنين : "القنوط والعجب" . والقنوط هو اليأس والعجب هو الإعجاب بالنفس والغرور .

وإذا تغلب اليأس على إنسان - وبصفة خاصة المريض المشرف على الموت - اسودت الدنيا في وجهه وأظلمت عيناه ، وأغلقت أمامه الأبواب ، وتقطعت دونه الأسباب ، وهذا ما أشارت إليه بعض الكتابات الغربية حول المشاعر التي تتاب المرضى المشرفين على الموت (٢) من مشاعر قلق وهلع وخوف ، وليس بعجيب أن نجد ذلك بين من ضعف إيمانهم بالله وبين غير المؤمنين بالله سبحانه وتعالى لأنهم عاشوا بأنفسهم فحسب .. وهذا شك في الله وحكمته ، ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليثوس كفور﴾ ثم استثنى من ذلك بعده ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات﴾ (٣) .

وقال الله تعالى : ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر كان يئوساً﴾ (٤) ﴿وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾ (٥) .

والمريض المؤمن لديه أمل في رحمة الله فهو أكثر تفاؤلاً واستبشاراً ، وأبعد عن التشاؤم والتبرم ، إذ أن الإيمان بالنسبة له معناه الاعتقاد بقوة عليا تدبر هذا الكون لا يخفى عليها شيء ، ولا تعجز عن شيء ، يجيب المريض المضطر إذا دعاه ، ويكشف عنه المرض والابتلاء ويغفر الذنوب ويعفو عن السيئات .

إنه في مرضه لا ينقطع أمله في العافية : ﴿الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (٦) .

(١) د . يوسف القرضاوى ، الإيمان والحياة (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٧) ص ١١٩ .

(٢) راجع الجزء الخاص بذلك في البحث .

(٣) سورة هود : الآيات من ٩ - ١١ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ٨٣ .

(٥) سورة فصلت : الآية ٤٩ .

(٦) سورة الشعراء : الآيات ٧٨ - ٨٠ .

إن المريض المشرف على الموت يرى الأمل في ملاقاته الله - سبحانه وتعالى -
والدعاء إليه بكشف الضر والعافية ، والقصاص القرآني يحفل بكثير من ذلك :
﴿وأيوب إذ نادى ربه إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له
فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾^(١) .
فبدون الأمل في رحمة الله تقع النفس في محذور ، ويشوبها القلق والخوف الذى هو
سمة من سمات النفس غير المطمئنة ، وفي إطار ما تقدم :

يستهيئ المريض المؤمن بكل صعب ، ويستعذب كل ألم مرتبط بالمرض لكنه يدرك
أن الله معه وعنايته تحيط بها ، وكيف يشعر بالخوف والألم والحزن وهو يقرأ قول الله
تعالى : ﴿والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾^(٢) .
وكيف يخاف الله - سبحانه وتعالى - يقول : ﴿ألمن يمشى مكباً على وجهه
أهدى أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم﴾^(٣) .

ولقد أثبت التجارب العلمية الحديثة والأبحاث التى قام بها علماء العلوم الاجتماعية
والنفسية والذين اهتموا بدراسة المشاعر النفسية المحيطة بالمرض والظروف والضغوط
الاجتماعية المحيطة بالمريض ، أن علاج معظم هذه الحالات أثبت جدواه من خلال استخدام
المدخل الدينى والاعتصام بعروة الإيمان .

لقد قال أحد السلف "وما أصبت في دنياى بمصيبة إلا رأيت الله فيها نعماً ثلاث :
أنها لم تكن في دينى ، وأنها لم تكن أكبر منها ، وأنى أرجو ثواب الله عليها"^(٤) .
ولقد أصاب أحد الصالحين شيء في قدمه فلم يتوجع ولم يتأوه ، بل ابتسم واسترجع ، ف قيل
له : يصيبك هذا ولا تتوجع ، فقال : إن حلاوة ثوابه أنستى مرارة وجعه .
ولقد حث رسول الله ﷺ - أمته على قول : «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا
ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا»^(٥) .

(١) سورة الأنبياء : الآيتان ٨٣ - ٨٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١١٥ .

(٣) سورة الملك : الآية ٢٢ .

(٤) د . يوسف القرضاوى ، الإيمان والحياة ، مرجع سابق ذكره ، ص ١٨٢ .

(٥) رواه الترمذى والحاكم .

ثانياً : المنظور الغربي للموت :

وإذا انتقلنا إلى المنظور غير الإسلامي للموت نرى أن الفكر الغربي يعكس ذلك من خلال الأبحاث والكتابات التي تحدثت عن الموت ، حيث يرون أنه "قوة تدميرية وإبداعية معاً" ويرى "ماير" أن الخوف من الموت أساس الاضطراب النفسي ومن ذلك أصل الذهان والمرض العقلي ، كما يرى "براون" أن الصراع مع الموت هو المصدر الأساسي للقلق الإنساني ، ويرى كارل يونج أن قلق الموت مصدر أساسي للبؤس العصبي خصوصاً في النصف الثاني من حياة الإنسان .. ويرى "أونست بيكر" أن مشكلات التكيف والاضطرابات النفسية مختلفة أنواعها والتي تضم الاكتئاب والفصام والعصاب والانحرافات الجنسية يمكن أن تضع جميعها في إطار واحد هو الخوف من الموت ، وترى "ميلاني كلاين" أن قلق الموت هو أساس كل قلق (١) .

وقد اهتم علم الاجتماع بالموت (كتاب دوركايم عن الانتحار) وفي عام ١٩٠١ قدم "شينكوت" بحثاً عن "الموت والاحتضار" ، واهتم علم النفس والمجالات الغربية منه بشكل منفصل بالموت والموضوعات المرتبطة به حيث أسست عام ١٩٧٠م مجلة "النهاية" : الموت والاحتضار (Omega : Journal of Death and dying) وظهرت دوريتان هما : مجلة علم الموت والاحتضار (Journal of Thanatology) ومجلة التربية المتصلة بالموت (Death Education) وظهرت في السنوات الأخيرة (٨٠ - ١٩٨٥م) بحوث متعددة عن خبرة الاقتراب من الموت (Near Death) أو ما يسمى بعلم دراسة مشارف الموت (Circumthanat Ology) وقد أبرزت هذه الدراسات جوهر المنظور الغربي للموت على أنه :

- واحد من الألم أو موت في سلام .
- عقاب أو انفصال عمن يحبهم الإنسان على الأرض .
- عدم الاعتقاد في الحياة الأخرى وما بها من نعيم .
- الإصابة بالاكتئاب و الانتواء و الهستيريا عند الإصابة بمرض الموت .
- إن الذين لا يؤمنون بالآخرة يحاولون أن يجعلوا من هذا الكون - الحياة الدنيا - عالماً أبدياً لأفراحهم ، ولذلك بحثوا كثيراً عن أسباب الموت حتى يتمكنوا من الحيلولة دون وقوع

(١) د . أحمد عبد الخالق ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢ - ٤٣ .

هذه الأسباب من أجل تخليد الحياة ، ولكنهم أخفقوا إخفاقاً شديداً وكلما بحثوا في هذا الموضوع وبصفة خاصة مع المرضى المشرفين على الموت ، رجع إليهم بحثهم برسالة جديدة عن حتمية الموت وأنه لا مناص منه .

ولقد قال د . كيرك في بحث له عن "الزمن الداخلي" فذكر الجهود المحققة التي بذلت في هذا الصدد ثم قال "إن الإنسان لم يسأم أبداً من البحث عن الخلود والسعى وراءه ، مع أنه لن يظفر به إلى الأبد ، فتركيبه الجسماني يخضع لقوانين معينة ، إنه يستطيع أن يوقف الزمن الفسيولوجي لأعضاء الجسد ، حتى يؤخر الموت لفترة قصيرة ، ولكنه لن يتغلب على الموت أبداً" (١) .

ولقد أشار "ت . د . ماير في" بحث له عن الحياة بعد الموت فقال : إنها حقيقة تمثيلية، وليست بحقيقة لفظية وحاولوا إجراء عمليات قياس للتأكد من هذه الحقيقة في ضوء ثلاث متغيرات هي (النية - القول - العمل) .

سمات المريض غير المؤمن عند الإصابة بمرض الموت :

أولاً : عدم الرضى بما قدره الله تعالى ... ويتمثل في :

أ - اليأس والضعف : حيث ينظر إلى ما أصابه من ابتلاء بمرض الموت نظرة يأس وقنوط قائلاً : لماذا أنا بالذات .. ؟ لماذا أكون مريضاً وغيرى أصحاء ؟ .. إنه لا ينتظر من الله فرجاً ويركز على النواحي المادية من حياته .. وفي ذلك يقول الله تعالى ... ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور﴾ (٢) .

وقال الله تعالى : ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره منه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ .

ب - الهلع .. والجزع : يمكنان حب المريض لذاته ، وحب السلامة ، وفي هذا الموقف يجد الإنسان المريض نفسه أمام مرض شديد لا أمل في الشفاء منه .. يتفجر فيه الألم، ويعبر عن ذلك بالجزع وإعلان الضجر عما هو فيه ويظهر ذلك في الاضطراب والقلق والصياح ، والبكاء المستمر، وحركات الأعضاء دون عقل ولا اتزان ، وتوجيه اللوم إلى الآخرين من الأسرة ، الأطباء ، التمريض .

(١) وحيد الدين خان ، الإسلام يتحدى (المند ، دار البحوث العلمية ، ١٩٨١) ص ٨ .

(٢) سورة هود : آية ٩ .

ولقد عبر عن ذلك الطبيب العقلي (كارل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) ،
موضحاً أن نسبة الأمراض العقلية تتزايد بشكل سريع وضخم في المجتمعات التي لا تستقر
فيها النواحي النفسية ويسودها الصراع المادي .

والمستعرض للتراث الغربي يجد أن هناك كثيراً من الكتابات توضح التمزق النفسي
بين الشباب.. وفي ذلك يقولون في كتاب لأحد المؤلفين الألمان ويسمى (بروشت) عنوانه
(أمام الباب) يقول : نحن جيل بلا رابط ولا عمق ، عمقنا الهاوية ، نحن جيل بلا دين ولا
راحة ، شمسنا ضيقة ، وشبابنا بلا شباب ، إننا جيل بلا قيود ، ولا حدود ولا إيمان .

هذه بالتالي تنعكس على شخصية الإنسان غير المؤمن عندما يصاب بالمرض ..
وبصفة خاصة إذا كان المرض لا شفاء منه .. أو أمل الشفاء فيه قليل على حسب التحليل
الطبي مثل (بعض أمراض السرطان - الفشل الكلوي الحاد - القلب ... إلخ) فإنه يصاب
بالهلع والجزع .

وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
جَذُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلْمَسْكِينِ وَالْمَحْرُومِ ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (١) .

ج - الغضب : وقد أشارت إليه كثير من الأبحاث التي أجريت على المرضى
بالمستشفيات ومنها ما أشارت إليه (Ross) في مقال لها عن مراحل العمل مع المرضى
المشرفين على الموت وكانت إحدى هذه المراحل (مرحلة الغضب) والاعتراض على الإصابة
بالمرض ، وبكاء المريض المستمر .. وتسأله لماذا هو بالذات !! لماذا يا ربى ألا يوجد أحد
غيري (٢) .

وفي مقالة أخرى تحدثت فيها (Nancy . W) عن العمل في مجال الحزن وتقصد به
العمل مع المرضى المشرفين على الموت وأسرههم وقد أبرزت دراستها الميدانية أن أهم سمات
المريض (الغضب ، المقاومة ، الاعتراض) (٣) .

(١) سورة المعارج : الآيات ١٩ - ٢٦ .

(2) Elisdabeth Kobler - ross, on Death and Dying (N . y : Macmillan, 1769) p . 77.

(3) Nancy Wenileerg, the health care : social workers Rele in faciletating Grief work :
An emperhical stady, social work in health care, vol 10 (N . Y, The howorth
press, 1985) p . 107 .

والله سبحانه وتعالى يدعونا إلى إمساك الغضب فيقول الله تعالى ﴿فما أو تيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾^(١) .
ثانياً : عدم إدراك قدرة الله على الابتلاء وكشف الابتلاء :

أ - المريض غير المؤمن : يجهل غاية الخلق ، يفكر أن الدنيا دار الابتلاء ، وأن الآخرة دار الجزاء الأولى .. فهو كثير الدعاء في طلب الخير فهو لا يسأم منه .. فإذا مسه المرض فهو كشف هذا الابتلاء.. قال تعالى : ﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾^(٢) .
ويقول الله تعالى ﴿لا يسئم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾^(٣) .

إن هؤلاء المرضى غير المؤمنين ، وكذلك ضعاف الإيمان يدعون ربهم عند الشدائد والمرضى وينسون الله إذا كشف عنهم ما أحاط بهم من ابتلاء .

ب - لا يدرك أن المرض والموت من حكم الله وتديره .. وقد تكون هذه حقيقة غائبة على من يسعى إلى متاع الدنيا.. قال الله تعالى ﴿من يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾^(٤) .

ج - طول الأمل (حب البقاء) .. وطول الأمل له سببان : أحدهما الجهل ، والآخر حب الدنيا ، أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وبشهوراتها ولذاتها ثقل على قلبه مفارقتها ، وامتنع قلبه عن التفكير في الموت الذي هو سبب مفارقتها ، والإنسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيمنى بما يوافق مراده ، من مال وأهل وأصدقاء .. أما الجهل فيتمثل في أن الإنسان قد يركن إلى شبابه ويستبعد قرب الموت مع الشباب ، وقد يستبعد الموت بصحته .. ولو فكر قليلاً لعرف أن الموت لا يرتبط بالشباب أو الصحة^(٥) . أولئك الذين قال الله فيهم ﴿قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾^(٦) .

(١) سورة الشورى : آية ٣٦ .

(٢) سورة الروم : آية ٣٣ .

(٣) سورة فصلت : آية ٤٩ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٤٥ .

(٥) أحمد فائر ، اليوم الآخر في ظلال القرآن الكريم (الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٩٥هـ)

ص ٦١ .

(٦) سورة الجمعة : آية ٨ .

وروى عن عليّ كرم الله وجهه أن رسول الله - ﷺ - قال «إن أشد ما أخاف عليكم نخصلتان : اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا» .

وقال سبحانه وتعالى ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (١) .

وهؤلاء الذين يحبون الدنيا حباً شديداً من المرض .

ثالثاً : الشكوى للمخلوق :

فإذا شكى المريض مبتلى ربه إلى مخلوق مثله فقد شكى من يرحمه إلى من لا يرحمه . حتى وإن كانت هذه الشكوى إلى صديق .. ولا يعنى بذلك ما يرغب المريض فيه من مساعدة واستشارة .. مثل إخبار الرضى للطبيب بشكايته ، أو للأخصائى الاجتماعى ، أو من يرى أن هناك فائدة قد تعود عليه نتيجة هذه الاستشارة .. ولكن المقصود هنا الشكوى والتبرم التى يفهم منها عدم الاقتناع بإرادة الله سبحانه وتعالى .. قال شفيق البنجى (من شكى مصيبة نزلت به إلى غير الله لم يجد في قلبه حلالة لطاعة الله أبداً) (٢) .

الخدمة الاجتماعية وتعاملها مع المرضى المشرفين على الموت :

اتجهت الخدمة الاجتماعية بطرقها إلى العمل في هذا المجال بالولايات المتحدة الأمريكية .. ليس هذا فحسب بل قامت بعض الجامعات بوضع هذا الاتجاه كمقرر يدرسه بعض الدارسين للماجستير والدكتوراه ، وهو اتجاه غير مألوف في بلادنا العربية والإسلامية ؛ ويرجع ذلك إلى أننا نؤمن بأن الموت جزء لا يتجزأ من الحياة .. وأنه نهاية كل حى ، ولا يتفرد بالبقاء إلا الله ، قال تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣) . وفي الموت يستوى كل البشر بما فيهم محمد رسول الله - ﷺ - وأن الموت ليس نهاية المطاف ، إنما هو حلقة لها ما بعدها من حلقات النشأة المقدره المدبرة ، التى ليس شئ منها عبثاً ولا سدى . وإن لكل نفس كتاباً مؤجلاً إلى أجل مرسوم ، ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم ، فالخوف والهلع ، والحرص والتخوف لا تطيل أجلاً ، والشجاعة والإقدام والوفاء لا تقصر عمراً .. بذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس فتترك الاشتغال به ، ولا تجعله في الحسبان ، وهى تفكر في الأداء والوفاء بالتكاليف والالتزامات الإيجابية ، والموت غيب لا يدركه إنسان

(١) سورة البقرة : آية ٧٦ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، عدة الصابرين العبرين وذخيرة الشاكرين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٢ ص ٢٣٢ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٣٠ .

متى يدركه ، فمن أراد ألا يموت إلا مسلماً فسيبيله إلى ذلك منذ اللحظة أن يكون مسلماً ، وأن يكون في كل لحظة مسلماً. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١) .

فالموت حتم سيأتي في موعده المقدر ، ولا علاقة له بالمرض أو الصحة .. ﴿وَكُلْ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢) .

بهذه اللمسة يعالج المنهج القرآني كل ما يهيج في الخاطر عن هذا الأمر ، وكل ما يعرضه التصور الغربي المضطرب من أمور ترتبط بغياب العمق الإيجابي للإنسان المسلم . وإذا حاولنا أن نستعرض اتجاهات الخدمة الاجتماعية مع مرض الموت كما يطلق عليه أو على المرضى المشرفين على الموت ويقصد بهم (مرضى السرطان - الفشل الكلوي - القلب - الإيدز... إلخ) في المجتمعات الغربية وبصفة خاصة (إنجلترا وأمريكا) حيث لوحظ أن معظم الكتابات حول هذا الموضوع كانت في هذه البلاد الحضارية في الفكر المادي .. نجد أن البدايات الأولى لهذا الاتجاه بدأت في إنجلترا عام ١٨٠٠م بواسطة ميرى أيكن هيد (Mary Aiken Head) عندما أقامت منزلاً لرعاية المشرفين على الموت وقدمت الرعاية الاجتماعية لهم إلى جانب ما كانوا يحصلون عليه من رعاية طبية .. وذلك بدافع الإحسان والشفقة .

وفي عام ١٩٠٦م اهتمت جمعيات الإحسان بهؤلاء المرضى ، وطالبت بإحسائهم بالمستشفيات أو بعض المؤسسات التي تكون مهمتها الأولى رعاية هذا النوع من المرضى وبصفة خاصة السرطان .. وتقديم المساعدة الاجتماعية والمادية للأسر ، نظراً لما تعانيه أسرهم من مشقة وجهد في رعايتهم .. حيث انتشرت فيما بعد الجمعيات والمؤسسات التي تبتم بالمرضى المشرفين على الموت وفي نهاية الثمانينيات أصبحت لا توجد مقاطعة في إنجلترا إلا وبها مؤسسة أو دار أو قسم بالمستشفى لرعاية هذه النوعية من الأمراض .

ولقد تأثرت أمريكا بالحركة التي سادت إنجلترا ، حيث بدأ الاهتمام بالمرضى المشرفين على الموت في نهاية عام ١٨٠٠م ، إلا أن التطور كان أسرع وأشمل من إنجلترا .. حيث حدث تطور هائل لرعاية المرضى المشرفين على الموت ، وتقديم الرعاية الاجتماعية لهم ولأسرهم وذلك في عام ١٩٥٠م حيث رصدت الحكومة الأمريكية مبالغ طائلة للإتفاق على هذه الحالات .. كما اهتمت مدارس الخدمة الاجتماعية .. في ذلك الوقت بالعمل في هذا

(١) سورة البقرة : الآية ١٣٢ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٥٧ .

المجال الذى شد اهتمام المجتمع الأمريكى وفتحت أبواب العمل لعدد كبير من الاختصاصيين الاجتماعيين^(١) .. ولم يقتصر الأمر على الرعاية الطبية بالمستشفيات ولكن وجدت مؤسسات خيرية تحملت عبء توفير الرعاية الاجتماعية لأسر هؤلاء المرضى سميت ب (A . D . S) أو المؤسسات البديلة للرعاية (Alternative Delivery System) وهو نمط آخر من الرعاية غير مألوف في مجتمعنا العربى ، يقوم على تقديم نوع من الخدمات لم تستطع القيام به المستشفيات نتيجة ضغط أو عدم توافر الإمكانيات وتمول من مؤسسات خاصة أو من المتبرعين^(٢) .

وفي عام ١٩٧٠م ظهرت حركة رعاية المرضى المشرفين على الموت ، وركزت على أهمية رعايتهم في منازلهم نظراً لطول مدة العلاج ، وفشل العلاج الطبى في كثير من الحالات في مواجهة ما يعانون من أمراض تستلزم الارتفاع بالروح المعنوية للمريض أكثر من العلاج الإكلينيكي^(٣) .

وفي عام ١٩٨٤ .. كان هناك أكثر من ألف برنامج للمرضى المشرفين على الموت.. كما أشار المؤتمر القومى للمنظمات التى تهتم برعاية هؤلاء المرضى إلى ضرورة رعايتهم سواء كانوا بالمستشفيات أو يتلقون هذه الرعاية بالمنازل ، وأصبحت رعايتهم من الاتجاهات الحديثة في الولايات المتحدة الأمريكية .. واتجهت هذه الرعاية إلى الأخذ بفكرة العمل الفريقى المتكامل لدراسة حالة المريض وتهيئته اجتماعياً ونفسياً وطبياً لتقبل المرض وما ترتب عليه من فقدان الحياة بعد فترة قد تطول أو تقصر.. حسب حالة المريض الصحية .. ومدى تماسك أو ضعف الذات .. (والآجال يد الله سبحانه وتعالى) .. وهناك من يرى أن تدخل مهنة الخدمة الاجتماعية ضرورى وحيوى ليس مع المريض فقط ، ولكن مع الأسرة وما ترتب على الحالة المرضية من تهديد لأوضاعها أو القيام بوظائفها .

كما أن العمل في هذا المجال يمثل تحدياً جديداً يواجه الاختصاصيين الاجتماعيين الذين يعملون مع حالات "مرضى الشريان التاجى والموجودين في العناية المركزة على الدوام" وهم

(1) Linda, J, Proffitt, "Hospice" Encyclopedia of social work Vol 2 U . S . A ., N ASW, 1987) p. 813 .

(2) Paul B . Ginsburg and Glenn M . Hackbarth, Alterntive Delivery System and Medicare Health Affairs . (U . S . A ., Virginia, Millwood, Project of H . O . P . E ., 1986) P 9 .

(3) Lind, J, Proffitt, op . cit, p . 813 .

غالباً ما يكونون محاطين بالآلات الكثيرة وغالباً ما يعانون من آلام نفسية مرتبطة بهذه الأساليب التكنولوجية والخوف من الموت.. وأنه يجب على الأخصائي الاجتماعي أن يكون مستعداً للتعامل مع مظاهر الخوف التي يعاني منها هؤلاء المرضى .

كما أن دور الأخصائي الاجتماعي حاسم ومهم بالنسبة للفريق المعالج^(١) .

ولقد أشارت تقارير المنظمة الدولية لرعاية المرضى المشرفين على الموت عام ١٩٧٩ إلى الأسس التي تركز عليها برامج رعاية هؤلاء المرضى وهي :

١ - أن رعاية المرضى المشرفين على الموت هي نوع من الرعاية الشاملة للمريض وأسرته .. وأن الخدمات يجب أن تقدم لكل أعضاء الأسرة لما قد يترتب بعد وفاة المريض .

٢ - أن المريض يحتاج إلى الرعاية الإنسانية والاجتماعية أكثر من العلاج الطبي لأن الرعاية الطبية إذا كانت قد قامت بدور حاسم للسيطرة على المرض والتحكم في عدم انتشاره بالجسم . إلا أن هناك حالات أخرى قد لا يستطيع السيطرة عليها مثل حالات الإغماء المفاجيء ، والقيء ، وبعض العمليات النفسية المصاحبة للمرض والتي يحتاج فيها المريض إلى الدعم الروحي والنفسى والاجتماعى .

٣ - تقدم الرعاية لهؤلاء المرضى بواسطة فريق متكامل من المهنيين والمتخصصين ويضم (الأطباء ، والأخصائيين الاجتماعيين ، والأخصائيين النفسيين ، والمرضات ، والمتطوعين ، ورجال الدين ، ومن يقومون برعاية المريض بالمنزل ، وغيرهم ممن تستدعي حالة المريض تواجده) ويتم التنسيق بين هذا الفريق بواسطة الأخصائي الاجتماعي أو الممرضة . ويتولى إدارة هذا الفريق الطبيب الذى يتولى متابعة حالة المريض ، والحث على استمرار علاجه خلال الفترة المتبقية من حياته ، أو إلى أن يترك المريض المستشفى لاستمرار العلاج بالمنزل . ويقوم بمتابعة العلاج من خلال الممرضة أو من يرى ضرورة تواجده مع المريض لتقديم الرعاية الطبية اللازمة بالإضافة إلى الرعاية الاجتماعية من الأخصائي الاجتماعي .

٤ - أن رعاية هؤلاء المرضى تختلف عن رعاية أنواع أخرى من المرضى . أو رعاية الناقهين في دور رعاية الناقهين ، حيث إن الرعاية في حالات المرضى المشرفين على الموت تحتاج إلى صبر ومعاناة ، ويتم تدريب عدد من المتطوعين لمساعدة الأسرة في تقديم هذه الرعاية ، وهو إجراء غير مألوف في مجتمعنا العربى الإسلامى الذى يقوم على التكافل

(1) Foster, W . B . Role of the social Worker in the waiting room of the intensive care unite, Health and Social work, Vol 5, 1980. p. 3 .

الاجتماعى والتماسك الأسرى ، فلا يمكن أن يسمح بوجود شخص غريب بالمنزل لتقديم هذا اللون من الرعاية .

وأهمية تواجد شخص بجوار المريض ينبه - من وجهة نظرهم - إلى رفع الروح المعنوية للمريض ومواجهة الاحتياجات السريعة أو المشكلات الصحية الطارئة التى يعانى منها المريض ، أو القيام بأعمال القراءة للمريض ، وعزف الموسيقى ، وإلقاء الشعر ، أو مجرد الجلوس مع المريض كصديق يملأ عليه وقت فراغه ويزيل عنه الشعور بالوحدة والعزلة .

٥ - أن برامج رعاية المرضى المشرفين على الموت متاحة لمدة ٢٤ ساعة يومياً ، وطول الأسبوع، وهنا يكون عمل الأخصائى الاجتماعى عملاً غير تقليدى ، فلا بد من أن يكون هناك تنسيق ما بين الأخصائيين الاجتماعيين للتواجد كل الوقت ، وذلك للإجابة عن تساؤلات الأسرة أو استدعاء الأسرة في حالة الضرورة ، حتى يكون لدى الأسرة شعور بالاطمئنان على المريض . كما يستطيع الأخصائى أن ينقل للطبيب تطور الحالة أولاً بأول من حيث أبعادها الاجتماعية والنفسية .

٦ - أن هذه الرعاية شاملة للمريض سواء كان في منزله أو في المستشفى أو في أى مؤسسة أخرى للرعاية والتمريض ، وأن هذه الخدمات هى معبر ما بين المستشفى والمريض . وما بين إدارة الخدمة الاجتماعية وما يحيط بالمريض من ظروف ومشكلات سواء كان ذلك في إطار المستشفى أو خارج إطارها .

٧ - أن هذا النوع من الرعاية يقدم سواء أثناء مروره بعملية العلاج والرعاية أو بعد الوفاة حيث تنتقل الرعاية إلى الأسرة . وعمل الأخصائى الاجتماعى حينئذ يكون كمستشار للأسرة خلال فترة الحزن ويعمل على الإسراع بإنهاء الإجراءات الخاصة بالمريض ومساعدة الأسرة على مواجهة المشكلات التى قد تترتب على الوفاة^(١) .

هذا وقد أشار (Doman Lum) إلى أن عدد الأخصائيين الاجتماعيين الذين يعملون في مجال الرعاية الصحية بصفة عامة في الولايات المتحدة الأمريكية ٤٥ ألف أخصائى اجتماعى ، منهم ١٦ ألف أخصائى اجتماعى يعملون في حالات المرضى الحادة ورعاية المرضى الميئوس من شفائهم "مرض الموت" وأن دورهم يشمل :

١ - الاتصال الدائم بالمريض الذى يشرف على الموت وسرعة إعداد السجلات والملفات الخاصة به وعرضه على الطبيب أو القسم المختص .

(1) Linda . J ., Proffitt, Haspice, Op . Cit., p . 814 .

٢ - تفسير الحالة الأسرية للمريض ومعرفة ما يعانيه المريض من ضغوط نفسية واجتماعية.

٣ - القيام بعمليات الخروج (خروج المريض للعلاج في منزل الأسرة - أو إنهاء إجراءات الخروج بعد الوفاة)^(١).

هذا وقد ظهرت بعض الكتابات التي تتناول فلسفة رعاية المرضى بأمراض خطيرة وتحديد بعض الإسهامات التي يمكن أن تقوم بها مهنة الخدمة الاجتماعية . وقد عرفت الرعاية الاجتماعية للمرضى المشرفين على الموت بأنها "مختلف الخدمات التي تنظم وتقدم للمرضى بأمراض خطيرة والتي يحصلون عليها خلال الفترة الأخيرة من حياتهم . وأن هذه الخدمات تقدم بواسطة الأطباء ، وجهاز التمريض ، والفنيين والمستولين عن الأجهزة ، والأخصائيين الاجتماعيين ، والعمال العاديين بالمستشفى ، والأسرة ، وكل من له صلة بحالة المريض كل حسب ما يستطيع أن يسهم به في تخفيف الآلام التي يتعرض لها المريض" .

وتستهدف هذه الرعاية تقديم نوع من المواساة (الراحة) للمريض واستخدام الإمكانيات والموارد الموجودة بالبيئة لمساعدة الأسرة في حالة الحاجة إلى ذلك .

كما تنفرد هذه الرعاية عندما يدرك الأطباء أنه لا أمل في الشفاء ولا فائدة من استخدام العلاج الطبي . وأنه لو استخدم فلن تكون له فائدة . وأن كل ما يحتاج إليه المريض هو الرعاية الاجتماعية التي توفر له الراحة النفسية وترفع من روحه المعنوية^(٢) .

وقد أشارت (Nomi Golán) إلى عمليات التدخل المينى للخدمة الاجتماعية في مثل هذه المواقف ، والتي أطلقت عليها اسم "الأزمة" التي يتعرض لها المريض والأسرة بكل أفرادها . وقد استخدمت بعض المنطلقات النظرية التي يمكن أن يركز عليها عمل الأخصائي الاجتماعي وبصفة خاصة أخصائي خدمة الفرد . وإن هذا الأساس يعتمد على الاستفادة من معطيات "نظرية الأزمة" التي تعد مدخلاً نظرياً وعملياً ملائماً لطبيعة هذه المواقف ، وذلك لأن الشخص الذي يصاب بأحد الأمراض الخطيرة "أمراض الموت" تتنابه نزعات تدميرية للذات ، وعدم التوازن ، والحزن العميق ، وفي مثل هذه الحالات تفيد نظرية الأزمة في الحد من المشاعر والإسراع بالاستفادة بالإمكانيات المتوفرة بالمستشفى ليس فقط الإمكانيات الطبية

(1) Doman, Lum, Health services System, Encyclopedia of S . W ., OP . Cit ., p / 730 .

(2) Linda, J . Proffitt, Op . Cit ., p . 812 .

ولكن الإمكانيات الخاصة بعمل الأخصائي الاجتماعي ومهارته ، في امتصاص مثل هذه المشاعر^(١) .

وهذا يتطلب مجموعة من الخطوات يجب على أخصائي خدمة الفرد القيام بها مثل :

أ - عدم ترك المريض في قائمة الانتظار والتحرك السريع الفعال لمواجهة ما يتعرض المريض من إجراءات تعوق مواجهة ما يتعرض له من أزمة أو كارثة .

ب - أن يبدأ في استخدام العلاج الاجتماعي النفسي بمجرد تشخيص الحالة وتحديد نوعية المرض مستعيناً في ذلك بالمهارات الخاصة بالمهنة وبغيره من المهنيين والأخصائيين النفسيين والأطباء بالمستشفى .

ج - أن يعمل على إيجاد وتنمية الخدمات التي تواجه أى تطورات في حالة المريض أو أسرته .

د- أن تتم عملية المتابعة بصفة مستمرة سواء من خلال التليفون أو المقابلات ، أو الزيارات حتى لا يشعر المريض أو أسرته بأى نوع من الإهمال قد يكون له تأثير ضار على الحالة^(٢) .

وقد أشارت (Nomi Golan) إلى مدخل آخر للمساعدة في حالات المرضى المشرفين على الموت ، وذلك من خلال استخدام مدخل حل المشكلة . وعملت استخدام هذا المدخل بارتفاع تكاليف العلاج الخاص بالمرضى ، وعدم توفر مصدر مالى مناسب للإتفاق وعدم قيام شركات التأمين برعاية مثل هذه النوعية من الأمراض .. ورأت أن مدخل حل المشكلة يتمثل في قيام الأخصائي الاجتماعي بعمل ما يلي :

- جمع بيانات من المؤسسات الخيرية والحكومية والأفراد الراغبين في التبرع والمساعدة .

- تنمية الموارد المتصلة بخدمات الإسكان والغذاء ، والمواصلات .. ، وذلك للمرضى الذين يأتون من مناطق بعيدة .

(1) Baccom, W., Ratliff and Others, Social Work in Hospitals, (Illinois, Charles, Charles C. Thomas, 1982) p . 49 .

(2) Haward . j., Barad, Crisis, Crisis Intervention, Encycolopedio of S.W Op. Cit., 1977., P., 236.

- القيام بتوفير برامج تأهيلية لأسرة المريض . لمساعدتهم على رعاية المريض أو تقديم أى خدمة يحتاجها أثناء فترة الرعاية سواء بالمنزل أو المستشفى^(١) .

- القيام بإجراءات الخروج بالنسبة للمرضى الذين أثبت التقرير الطبى عدم جدوى العلاج لهم وضرورة استكمال بقية العلاج بالمنزل إلى أن تتم الوفاة .. وما يتعلق بذلك من ملفات وتقارير.. وتخصيص إحدى الممرضات أو أحد المتطوعين لمتابعة الحالة -(وهذا نادرا ما يحدث فى دولنا العربية)- أو القيام بإنهاء الإجراءات الخاصة بالمريض بعد الوفاة وسرعة نقل الجثمان وتوجيه الأسرة إلى المؤسسات التى يمكن أن تقدم لهم مساعدات لمواجهة أى مشكلات أو احتياجات خاصة بالأسرة أو أحد أفرادها .

ولقد أصبحت هذه الإجراءات (الخاصة لخدمات خروج المرضى) (Discharge Planning) من أهم واجبات الأخصائى الاجتماعى المشتغل بطريقة تنظيم المجتمع بالمستشفيات .. وأصبحت إحدى التحديات التى تواجه الأخصائين الاجتماعيين العاملين بالمستشفيات .. وذلك نظراً للضغط المتزايد على المستشفيات وارتفاع تكاليف العلاج .. مع قلة وجود الأسرة . لذلك أصبح البحث عن مصدر آخر لرعاية المريض بأقل التكاليف وأحسن خدمة^(٢) هو من الخدمات الحديثة للعاملين مع المرضى المشرفين على الموت .

كما يمكن للأخصائى الاجتماعى أن يستخدم مهارته المتصلة بالعمل مع الجماعات والأسس النظرية للعلاج الجماعى وديناميكية الجماعات لمساعدة المرضى المشرفين على الموت وذلك من خلال استخدام الجماعة كوسيط (Medium) لكى يتوافق المريض مع ما أصابه من مرض ومع البيئة المحيطة به . ويفيد استخدام الجماعة كعلاج فيما يلى :

- الحصول على معلومات أكثر تتصل بالمرض وكيفية متابعة العلاج من مرضى لهم نفس الظروف .

- محاولة توجيه اهتمام المريض إلى مجالات أخرى غير المرض وتحسين علاقته بزملائه، وبالأسرة ، وبالفريق المعالج أيضاً .

- إتاحة الفرصة للمريض لكى يعبر عن مشاعره واهتماماته وبالتالى التخفيف من حدة الأزمة التى قد يشعر بها المريض نتيجة الإصابة بمرض الموت^(٣) .

(1) Bascon, W., Op. Cit., P. 46.

(2) Julia, B. Raush and Hanita Scheriber, "Discharge Planning As A Teaching Mechanism", Social Work in Health Care, U.S.A NASW., 1985) P. 208.

(3) Bascon, W., Op. P. 46.

المراحل التي يمر بها المرضى المشرفون على الموت :

"من الكتابات الحديثة التي أشارت إلى المراحل المختلفة التي يمر بها المرضى المشرفون على الموت" أو المصابون بمرض الموت ، ما أشارت إليه إليزابيث روز (Elizabeth. K. Ross) وقد حددت بعض الأدوار التي يمكن أن يقوم بها الأخصائي الاجتماعي في كل مرحلة من هذه المراحل ، وهذه المرحلة هي :

١- مرحلة إنكار Denial المرض : I Can't be No, not me

حيث يبدأ المريض حين يدرك أنه مصاب بأحد الأمراض الخطيرة (الفشل الكلوي السرطان ، القلب .. إلخ) فيكون رد فعله الأول .. هو الإنكار .. وأنه لا بد أن هناك خطأ .. وأن هذا غير معقول .. هذه التساؤلات التي تدل على عدم الإيمان .. والتمسك بالحياة .. وعدم الإدراك لحكمة الله وتقديره - قال تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَكُم﴾ ولو نظروا وتدبروا ، عجبوا واستغربوا ولكنهم كانوا غائبين عن الحقيقة ، ويكون دور الأخصائي الاجتماعي هنا .. هو مهديء وملطف لمراجعة المريض بهذه الصدمة على المريض .. وترك الفرصة للمريض ليعبر عن كل مشاعره السلبية إلى أن يهدىء هذه الثورة .. أو الأزمة النفسية .

٢- مرحلة الغضب (Rage and anger) والثورة : Why me?

حيث يبدأ المريض - عند إدراكه لخطورة المرض المصاب به - وأن مصيره الموت يبدأ في التساؤل لماذا أنا يا الله ؟ ما الذي فعلته في حياتي ؟ إني مازلت أقوم بكثير من الأشياء الجيدة من أجل أسرتي .. وتجاه الأقارب .. وتجاه المعارف .. والأصدقاء .. لماذا أنا بينما الآخرون في صحة جيدة !! وعلى قيد الحياة !! .

إن الله هو الهدف الأساسي في هذه المرحلة .. وإن المريض يوجه هذه التساؤلات إليه - سبحانه- لكي يقيه من هذه المحنة .

إن القرآن يلمس مكن الخوف من الموت في النفس البشرية لمسة موجبة تطرد ذلك الخوف ، وهذه التساؤلات عن طريق الحقيقة الثابتة في شأن الابتلاء وشأن الموت وشأن الحياة وما بعد الحياة والموت والابتلاء قبل الموت من حكمة الله وتدبيره .. يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ، وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابُ الدُّنْيَا نَفْثَتهُ مِنْهَا ، وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابُ الْآخِرَةِ نَفْثَتهُ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ .

ومن دلائل عدم اليقين لدى الفكر الغربي .. أن المؤلفة ترى أن المريض في هذه المرحلة يعبر عن كثير من المشاعر السلبية والغضب تجاه الطبيب المعالج فيقول : إن الأطباء

غير أكفاء ، وتعاملهم غير إنسانى ، إن المستشفى لا تحسن معاملة المرضى ، وإنها غير دقيقة فى إجراء الفحوص ، إن الممرضات يهملن فى أداء الواجبات ويرغبن فى القضاء على حياته .. وقد يحدث المريض كثيراً من الضوضاء .. وقد تتأهب حالات بكاء شديد .. أو صمت تام .. ودوران بالغرفة التى يعالج فيها بدون هدف ، وهنا يكون دور الأخصائى الاجتماعى أكثر دقة ومهارة .. وذلك من خلال الآتى :

- أ- ترك الفرصة للمريض لكى يعبر عن كل هذه المشاعر .
- ب- الجلوس مع المريض والاستماع إليه بدون التقيد بوقت معين .
- ج - تقييم هذه المشاعر ومحاولة تهدئة المريض بقدر الإمكان .
- د- إعطاء بعض الأمثلة والتوضيحات لحالات مماثلة ولا يعد ولكن يتمنى للمريض الشفاء.

وإن هذه المرحلة قد تستغرق وقتاً طويلاً .. ولكن الوقت وترك الفرصة للمريض لكى يعبر عن مشاعره تجعله يواجه مثل هذه المشاعر .

وهنا نقول .. إن إلمام الأخصائى الاجتماعى بالأمور الدينية وبقواعد الشريعة الإسلامية . وتوعية المريض فى هذا الوقت الذى قد يغفل فيه المريض عن ذكر الله إلى التمسك بإرادة الله سبحانه وتعالى .. وأن لكل نفس كتاباً مؤجلاً إلى أجل مرسوم ولن تموت نفس حتى تستوفى هذا الأجل المرسوم .. ولماذا الحرص على الحياة .. وما الهدف منها؟ .

فالحياة إلى نهاية والموت الذى يفر منه الإنسان ملاقيه لا محالة . هذه الحقيقة لا بد أن تكون واضحة أمام المريض ..

عن أنس بن مالك رضى الله عنها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أربعة من الشقاء ، : جمود العين ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا» .

المرحلة الثالثة : المساومة والمجادلة :

(Bargaining- "I realize my death is inevitable, but)

وفى هذه المرحلة يدرك المريض حقيقة مرضه .. وأنه لا أمل فى الشفاء . ويبدأ المريض فى ترديد بعض التساؤلات مع نفسه .. ومناديا الله سبحانه وتعالى قائلاً :

- إننى فقط لو عشت ٦ شهور تالية من الممكن أن ..

- إننى لو شفيت من المرض سوف أقوم ...

إنه يبدأ فى الشعور بالذنب تجاه بعض الأفعال .. ويسترجع تاريخ حياته كشريط ليرى كل ما مرّ به من أحداث فى حياته سواء كانت سيئة أو جيدة . إنه يدين نفسه على بعض السلوكيات الخاطئة ويقول : يا ليتنى كنت عملت كذا .. يا ليتنى كنت ذهبت إلى المسجد للصلاة .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ذُرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾ .

ويتناسب فى هذه المرحلة الأخذ بالمدخل المتكامل .. فى تقديم النصح للمريض .. يستخدم الأخصائى الاجتماعى أحد الدعاة للجلوس مع المريض وإرشاده إلى التوبة .. وإلى مرضاة الله فى القول والعمل .. واستخدام القصص القرآنى مع المريض .

المرحلة الرابعة : الإحباط : (Depression, yes, it Will soon be over)

إنها مرحلة فى الحقيقة حزينة .. ولكنها مواجهة للواقع .. وفى هذه المرحلة يشعر المريض أنه قد أحيط به .. وأنه لا مفر .. فالمرض قاتل قاتل .. ومما يزيد من إحباطه وشعوره بالذنب .. ما قد يكون قد ارتكبه من إثم ، ولا يستطيع أن يقوم بأى شىء فى خلال هذه الفترة .. إنه يشعر بالذنب وبأنه فقد كل شىء .. خسر كل شىء فلم يعد المريض يملك شيئاً ﴿تدور أعينهم كالذى يغشى عليه الموت﴾ (١) .

ومن قول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِى تُفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَأَكُمْ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿وحتى إذا حضر أحدكم الموت قال إني تبت الآن﴾ (٢) .

كما يبدأ المريض فى هذه المرحلة فى التفكير فى لحظة الموت ، وإعداد نفسه إلى لقاء الله سبحانه وتعالى .. ويوصى أفراد الأسرة بنوعية المقبرة ومكان الدفن .. وفى هذه المرحلة لا ينظر المريض إلى الفترة المشرقة من حياته .. وفى الغالب يكون أكثر هدوءاً ولا يرغب فى مشاهدة الزائرين .. ويشعر المرضى أنهم فقدوا كل شىء وكل إنسان يحبونه .. ويمكن للأخصائى الاجتماعى أن يشرح ظروف المريض لأقرب الناس إليه وحينما يبدأ المريض فى الصمت المطبق .. وتبدأ عيناه فى النظر إلى بعيد .. فهنا تكون قد جاءت سكرة الموت (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) .

(١) سورة الأحزاب : الآية ١٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٨ .

مشهد مفزع مرعب مكروب مرهوب .. والإمام الغزالي يقول فى ذلك (اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن ينغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهره وغفلته٦) .

المرحلة الخامسة : التقبل وموت المريض : (Acceptance : I will soon pass on,)

وهذه المرحلة هى نهاية المطاف بالنسبة للمريض حيث تكون المرحلة الرابعة بداية لها، فقد بدأ المريض فى المرحلة السابقة يعاني من سكرات الموت ، وفى هذه المرحلة يكون قضاء الله سبحانه وتعالى قد وقع ، إنها مرحلة غير سعيدة ، وغير سارة لأسرة المريض ، تنفجر بها المشاعر، يلدو على أقارب المريض الصمت التام المطبق وتنساب الدموع ، ويهرع بعض أقارب المريض لإنهاء إجراءات الخروج ويساعد الأخصائى الاجتماعى أسرة المريض فى إنهاء هذه الإجراءات .

المنظور الإسلامى للموت ودور الأخصائى الاجتماعى المسلم مع المرضى المشرفين على الموت :

وإنتى أرى أن هذه المراحل التى أشارت إليها إليزابيث كوبر تتفق والثقافة الغربية المستمدة منها ، والتى تنكر فى كثير من ثنائها الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى وترك مشاعر المريض ومخاوفه للصراع ما بين الخير والشر ، ولعمليات علاجية اجتماعية ونفسية فى أساسها دون إشارة تذكر لأهمية العامل الدينى الذى يث الأمن والطمأنينة فى نفس المريض، ويصرف عنه نوازع الشيطان، حيث يمس القرآن الكريم قلب الإنسان ويشعر فى إطاره أنه إلى زوال .. يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ .

إن شعور الإنسان أنه مبتلى وممتحن بأيامه التى يقضيها على الأرض ، وبكل شئ يملكه وبكل متاع يتاح له ، يمنحه مناعة ضد الاغترار ، والافتخاد ويعطيه وقاية من الاستغراق فى متاع الدنيا .

وفيما يلى عرض للمراحل التى يمر بها المريض الذى قارب الموت .. وليس شرطاً أن يمر بها كل مريض على نفس الترتيب .

المرحلة الأولى :

معرفة نوعية المريض :

حيث يدخل المريض إلى المستشفى ، كأى مريض آخر ، ثم يفاجأ بالقرار الطبى الذى يقرر أن المريض مصاب بمرض خطير لا أمل فى الشفاء منه ، أو أن العلاج الطبى سوف يأخذ فترة معينة وبعدها لا فائدة من العلاج ، أو أن تكون حالة المريض سيئة للغاية ،

فيقال له من البداية لا فائدة من العلاج ، والأمر بيد الله سبحانه وتعالى ، في هذه المرحلة يسدى المريض -وبصفة خاصة - إذا كان إيمانه بالله سبحانه وتعالى ضعيفاً نوعاً من الاستغراب ، حيث يقول : (لابد أن هناك خطأ ما في التشخيص ، إن الطبيب الذى طالع الحالة غير متخصص .. إلخ ، هذه الاستهجمات) .

ويكون دور الإخصائى الاجتماعى فى هذه المرحلة هو أن يهدئ من روع المريض ، ويحاول أن يطلعه على بعض الأفلام التى توضح بعض الحالات الشبيهة بحالته ، يحاول أن يربطه بذكر الله وأن هذا المرض مقدر من الله -سبحانه وتعالى- وقد يكون ، هذا الابتلاء، رحمة ومغفرة من الله سبحانه وتعالى .

المرحلة الثانية :

التساؤل عن الأسباب والرغبة فى التعرف على المزيد من المعلومات عن المرض :
وهنا يبدأ المريض فى العديد من التساؤلات ، وسوف يسترجع كثيراً من الخبرات المتصلة بحياته (نمط المعيشة -نوع الأكل- نوع العمل- طبيعة العلاقات .. إلخ) ، والتى قد يكون لها علاقة بالإصابة بالمرض ، وقد يتساءل هنا عن الأسباب فى الإصابة بالمرض ، ولماذا بالذات هو الذى يصاب بالمرض ؟ ما الذى فعله فى حياته ؟ ويقول : إن هذا ابتلاء لعل فيه خيراً له فى حياته وفى آخرته ! وقد يقول الشخص ذو النفس الضعيفة إننى قمت بكل شئ طيب ، فلماذا ذلك يا رب !! لماذا أنا بالذات بينما هناك آخرون يعمون بالصحة والعافية .
إن إمام الأنخصائى الاجتماعى بالأمر الشرعية التى تساعد المريض على تقبل هذا المرض والإيمان بقضاء الله وقدره يساعد المريض إلى حد بعيد على تقبل هذا المرض والانتقال إلى المرحلة التالية والاتجاه نحو التوبة والاستغفار وذكر الله كثيراً .

المرحلة الثالثة :

إدراك طبيعة المرض ، وطول الأمل ، حيث يقول المريض : نعم إننى أدرك الحقيقة وأن مرضى لا شفاء منه !! (It is Really my ill , but) ثم يبدأ المريض فى نزاع مع نفسه ، ومع المرض ، وتساؤلات مع الله سبحانه وتعالى حيث يقول ، لو أن الله سبحانه وتعالى ، أطل فى عمري مدة ٦ شهور لو أن الله -سبحانه وتعالى- أطل فى عمري لغيرت نمط حياتى إلى ...

إذا عشت سوف أتبرع بكل شئ لأعمال الخير ولن هم فى نفس مرضى ، سوف أقلع عن سلوكى إلى سلوك آخر أحسن وأفضل .. إلخ .

يقول الإمام الغزالي هنا "إن طول الأجل له سيان ، أحدهما الجهل والآخر فيه حب الدنيا، أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وبشهوواتها ولذاتها ثقل على قلبه مفارقتها ، فامتنع

قلبه من التفكير فى الموت الذى هو سبب مفارقتها ، وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه ، والإنسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيمنى نفسه أبداً بما يوافق مراده ، وما يوافق مراده هو البقاء فى الدنيا ، وهذا جهل بحقيقة الموت وأنه ليس بعيداً عن الشاب والمسن والصحيح ، وصدق قول الله تعالى :

﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (١) .

وقول الله تعالى : ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ (٢) .

ويمكن للأخصائى الاجتماعى فى هذه المرحلة بما لديه من إعداد فى الأمور الدينية أن يساعد المريض على الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى ، وأن رحمة الله واسعة ، كما يمكنه أن يستخدم أحد الدعاة إذا لم تكن لديه خلفية واضحة عن التعامل مع هذه الحالات ، وهذا يستدعينا أن نقول : إن الأخصائى الاجتماعى الذى يعمل مع هذه الحالات له إعداد خاص يميزه من غيره من الأخصائيين الذين يعملون فى مجالات أخرى أو نوعية أخرى من المرضى لم يقاربوا الموت ، كما أن الأخصائى الاجتماعى فى هذا النوع تواجهه تحديات كثيرة تتعلق برغبة المريض فى الحياة أو رغبته فى الموت .. وبالمشكلات الخاصة الأسرة .. وبالعلاقته مع الفريق الذى ينظر إلى أن عمل الأخصائى هذه المرحلة أهم من العلاج الإكلينكى الذى أثبت عدم جدواه وأن الأمر بيد الله سبحانه وتعالى .. ومحاولة جعل الأيام المتبقية من حياة المريض أكثر هدوءاً .. ورفع روحه المعنوية إلى أكبر درجة ممكنة .

ويمكن للأخصائى الاجتماعى أن يقوم باستخدام القصص القرآنى .. وما أصاب بعض الرسل من ابتلاء .. وما أصاب بعض المؤمنين من مرض .. وأن رحمة الله سبحانه وتعالى وسعت كل شيء .

قال الله سبحانه وتعالى ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ .

ولهذا يكون الهدف الأساسى للأخصائى الاجتماعى فى هذه المرحلة هو :

- أن يساعد المريض على التوبة (بالإكثار من الصلاة - والإكثار من الدعاء - والعمل الصالح) .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

(٢) سورة الواقعة : الآيات ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .

- أن يساعد المريض على أن يدرك طبيعة الحياة وأنها امتداد للحياة الأخرى .
- أن يذكر للمريض الآيات القرآنية التي تحث على التوبة قال الله تعالى ﴿إِنْ أَلَّفَ يَحِبُّ التَّوَابِينَ وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (١) .
- وقال تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٢) .

المرحلة الرابعة :

الاستسلام للأمر الواقع .. وانتظار لحظة الموت :
((اليقين بالله)) :

حيث يصل المريض إلى هذه المرحلة .. وقد اشتد به المرض .. حيث يقول : ها هي النهاية قد قربت yes, it will soon be over!!

وفي هذه المرحلة قد يميل المريض إلى طلب أفراد الأسرة لرؤيتهم أكثر من أى وقت.. وإلى طلب الأصدقاء والمعارف المقربين .. كما يقضى وقت فراغه فى ذكر الله والقراءة والتوبة إلى الله وطلب السماح والمغفرة .. كما قد ينطوى على نفسه ويرفض مقابلة أى شخص .. وقد تتأهب حالات بكاء شديد .. وسرحان دائم قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنَفَخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٣) .

إن زوغان البصر فى حقيقة أمره .. هى رؤية الحياة بأكملها .. فى ساعة لم يعد فيها قادراً على إعادة عتارب الساعة إلى الوراء .

وقال الله تعالى : ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مِنْ رَاقٍ * وَظَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَانْفَضَّتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (٤) .

وهنا يكون دور الأخصائى الاجتماعى أكثر حساسية فهو من جانب يعايش اللحظات الأخيرة من حياة المريض ، ومن جانب آخر مطالب أن ينقل خبر الوفاة إلى الأسرة والأقارب المنتظرين خارج الغرفة .

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٤ .

(٢) سورة طه : الآية ٨٢ .

(٣) سورة ق : الآيات ١٨ - ٢٢ .

(٤) سورة القيامة : الآيات ٢٦ - ٣٠ .

كما يشمل دوره استدعاء أفراد الأسرة لمساعدته فى رفع الروح المعنوية للمريض ..
ومساعدته فى تذكير المريض بتلاوة القرآن .. والاستعداد للحظة الموت وتهوين سكرة
الموت .

فقد روى عن النبي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده
فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول : «اللهم هون على سكرات الموت» (١) .
وفى هذه المرحلة يأتى أقارب المريض ويجلسون بجواره .. ولكن بهدوء ودون حديث
وإذا تحدث أحد حدث بخير ، عن مسلم عن أم سلمة قالت : «قال رسول الله ﷺ إذا
حضر أحدكم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» (٢) .
ولهذا استحب أن يحضر لحظة الوفاة الصالحون وأهل الخير من أسرة وأقارب المريض
ليذكروه ويدعوا له وينتفع بذلك الميت .

فى إطار ما تقدم نحتاج إلى ممارسة مهنية متخصصة للعمل مع حالات المرضى
المشرفين على الموت تتسم بخصائص قد لا تتوافر لدى الأخصائيين الاجتماعيين فى مجالات
أخرى وأبرز هذه الخصائص :

- ١- العلم والمعرفة بالقرآن والسنة المطهرة وسيرة رسول الله ﷺ وسيرة الخلفاء
الراشدين والسلف الصالح .
- ٢- الاحتساب لوجه الله سبحانه وتعالى والنظر إلى الوليفة على اعتبار أنها رسالة
يرجو منها ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى .
- ٣- تفهم كافة الإجراءات المرتبطة بمرحلة ما قبل الوفاة وما بعدها .
- ٤- المهارة فى الاتصال بمؤسسات المجتمع لخدمة أسرة المريض قبل الوفاة وبعدها .

(١) متفق عليه .

(٢) شمس الدين القرطبي ، التذكرة فى أحوال اللواتى وأمور الآخرة ، (السعودية ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ،
بدون سنة نشر) ص ٣٢ .

تعاطى المسكرات كمشكلة اجتماعية

الوقاية والعلاج من منظور إسلامي

د . عاطف مصطفى مكاوي

مقدمة :

إن تعاطى المسكرات يعتبر ظاهرة قديمة وحديثة فقد عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ ومازالت هذه الظاهرة منتشرة في كل المجتمعات بصورة نسبية . وتعاطى المسكرات يؤدي إلى العديد من المشكلات والمخاطر والآثار السيئة على الفرد والأسرة والمجتمع ، صحياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً وعقلياً . ومن أخطر آثار تعاطى المسكرات على الفرد أنها تسلبه أعز ما يملك ألا وهو العقل منهبة له أو مغطية عليه أو مقلة أدائه لوظائفه .

ولقد حرم ديننا الإسلام الخفيف المسكرات ممثلة في الخمر وماشابهها تحريماً قاطعاً ، وحرم بيعها وتجارتها وصناعتها ، وعبر عنها القرآن الكريم بأنها «رجس من عمل الشيطان» وجب علينا اجتنابه ، عبر عنها رسولنا الأمين محمد ﷺ بأنها (أم الخبائث) ولقد نالت هذه الظاهرة ومازالت اهتماماً متزايداً من جانب الجمعيات والمؤسسات والهيئات الدولية والدارسين والباحثين .

ومن المعروف أن كثيراً من مجتمعاتنا العربية والإسلامية قد تعرضت لتأثيرات الحضارة الغربية الوافدة عليها ، وهذا التعرض ساهم في زيادة انتشار تعاطى المسكرات تقليداً ومحاكاة لهذه الدول . كما أن الكثير من مجتمعاتنا العربية والإسلامية قد حُكمت حكماً استعماريّاً مباشراً واصطبغت القوانين في كثير من هذه الدول بالصيغة الاستعمارية التي تبيح - وللأسف الشديد - شرب الخمر والإعلان عنها وبيعها والاتجار فيها رغم تحريمها تحريماً إسلامياً قاطعاً لا يدع مجالاً ولو قليلاً لتداولها ، أو التعامل معها بأي شكل من الأشكال وبأى صورة من الصور ، وكذلك حرم التداوى بها لأن الله - جل وعلا - لم يجعل دواء الأمة الإسلامية فيما حرم عليها .

وتعمل مهنة الخدمة الاجتماعية في مجالات عمل كثيرة ، ومن بين تلك المجالات مجال الإدمان على المسكرات والمخدرات ، ولها أساليبها الفنية والمهنية في توضيح الآثار الضارة للمسكرات وكيفية الوقاية والعلاج . حيث يعمل الأخصائي الاجتماعي ضمن فريق عمل داخل مؤسسات رعاية وعلاج المدمنين ، ويتكون هذا الفريق من الطبيب والطبيب النفسي والأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي وفريق تمرّض .

وفي الوقت الحاضر هناك اتجاه قوى للعودة بعلومنا الاجتماعية إلى الوجهة الصحيحة والصالحة للتعامل مع مشكلات البشر ألا وهي التأصيل الإسلامي لتلك العلوم ومن بينها مهنة الخدمة الاجتماعية التي يجب أن يكون لها إسهام في هذا الاتجاه .

وحيث إن الخدمة الاجتماعية تعمل مع الإنسان في صوره المختلفة كفرد وعضو في جماعة أو كعضو في مجتمع ، وأن هذا الإنسان قد يتعرض لمشاكل عديدة ومن بينها مشكلة تعاطي المسكرات ومن هنا يتدخل الأخصائي الاجتماعي مستخدماً معارفه وخبراته ومهاراته في معاونته ذلك الإنسان في العودة إلى حالة السواء وهي الإقلاع عن الإدمان أو تعاطي المسكرات ومهيئاً لذلك بيئة العمل أو المدرسة أو الأسرة لتفهم ظروف ودوافع ما وقع فيه وتقبله عضواً فعالاً بعد العلاج .

ولقد كان التركيز في علاج المدمنين ينصب على الجانب الجسمي والبدني فقط وإهمال الجانب الروحي لذلك الإنسان المسلم ، والذي يعلم جيداً أن تناول المسكرات من الأمور المحرمة ولكن تحت تأثير وغواية الشيطان ووسوسته قد انخرط نحو تيار الانحراف . لذلك وجب على الأخصائي الاجتماعي تدعيم وتأكيده مالدى الإنسان من قناعة بأنه واقع تحت غواية الشيطان ولا بد من العودة والرجوع والإقلاع عن الذنب .

وأخيراً فإن الأخصائي الاجتماعي المسلم في المجتمع المسلم يجب أن يكون له دور أكثر فاعلية في بيان أضرار المسكرات ، وأن يكون له إسهام في أساليب الوقاية والعلاج من المنظور الإسلامي ، لذلك تقوم فكرة هذه الدراسة حول تناول ذلك الموضوع من خلال مباحث ثلاث :

المبحث الأول : تعاطي المسكرات .

المبحث الثاني : المشكلات الاجتماعية لتعاطي المسكرات .

المبحث الثالث : الوقاية والعلاج من منظور إسلامي .

حيث سأحاول في هذا المبحث تناول موضوع حد شراب الخمر ومدى وإمكانية الاستفادة الخدمة الاجتماعية من تطبيق هذا الحد وقاية وعلاجاً .

المبحث الأول : تعاطي المسكرات :

أولاً : نبذة تاريخية :

علاقة الإنسان بالمسكرات علاقة قديمة جداً تعود إلى وجود الإنسان على هذه الأرض ، ويروى أنها عرفت عن طريق المصادفة عندما لاحظ أحدهم أن بعض الفواكه الناضجة الزائدة عن حاجته إذا ما تركت فترة من الوقت في جو دافئ انبعثت منها رائحة ليست بكريهة وإذا ما تناول شيئاً من عصيرها انتشى وهكذا أخذ يكرر العملية ليحصل على

مزيد من النشوة والسرور فانتشر أمره بين العامة ، فأخذوا يقلدونه حتى شاعت بين الناس وتعارفوا عليها وسرت بينهم سرىانا عظيماً^(١) .

ومن تقدم البشرية زاد تعرف الناس على المسكرات ، وتفتنوا في تحضيرها وترويجها حتى سادت المجتمعات القديمة ، ففي الصين القديمة نجد أن الأساطير تقص أن حمر الأرز قدم إلى الإمبراطوار (يو) فنثار عليهم وصب الخمر على الأرض وحذر من مغبة الاستمرار على شرب الخمر ومن ثم صار يمنع الناس من تناول هذا الشراب^(٢) .

وفي العراق نجد أن البابليين كانوا قد تعرفوا على المسكرات بعدة طرق منها استخراجها من الشعير ومن عصير شجرة النخيل حيث يتم الحصول عليها بشق أعلى جذع النخلة وجمع العصير المتساقط منها الذي يكون غير مسكر ولكنه يخمر لمدة يومين أو ثلاثة أيام فيصبح مسكراً جداً ، وكان البابليون يفرقون بين الشراب المسكر وغير المسكر ، وقد عثر في العهود المتأخرة على آثار يظهر فيها غزال يمسك بإبريق حمر وقدح^(٣) .

كان العرب في الجاهلية لديهم إقبال شديد على الخمر ، وتفنن العرب في صفاتها وأسمائها وأفرد لها الشعراء مكاناً بارزاً في شعرهم حتى بقيت تلك العادة بعد ظهور الإسلام بمئات السنين وحتى كان من لا يشربها من الشعراء المسلمين يصفها ويدع في وصفها وأسمائها وصفاتها ، وكانت حوانيت الخمارين مفتوحة دائماً ويرفرف عليها علم يسمى غاية.

وكان من شيوع تجارة الخمر أن أصبحت كلمة التجارة مرادفة لبيع الخمر وكلمة تاجر مرادفة لبائع الخمر ، وكانت كل العوامل المؤدية إلى الإدمان متوفرة فالخمر وفيرة والحصول عليها أمر ميسور ، وشرب الخمر إحدى صفات الرجولة ، وتقديمها مع الطعام يعتبر قمة الإكرام مع اعتقاد راسخ بأن الخمر دواء وغذاء ومقوية للبدن وباعثة للشجاعة والكرم^(٤) .

(١) صباح كرم شعبان : السياقة تحت تأثير المسكرات أو المخدرات ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ .

(٢) وول ديورانت : قصة الحضارة ، الكتاب الثالث ، ترجمة زكي نجيب محمود .

(٣) جورج كونتينوا : الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، ترجمة سليم التكريتي وبرهان التكريتي - دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٧٩ .

(٤) محمد علي البار : الخمر بين الطب والفقه ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٩٨٤ .

وجاء الإسلام فغير تلك المعتقدات الخاطئة وحرم الخمر تحريماً قاطعاً ، ووضع الحدود على ساقها وبائعها وشاربها .

ثانياً : المفاهيم الرئيسية في هذه الدراسة :

مفهوم السكر :

المعنى اللغوي : س ك ر - السكران ضد الصاحي والجمع سكرى وسكارى بفتح السين وضمها والمرأة "سَكْرِي" ولغة في بنى أسد "سكراته" ، و"سَكِر" من باب طرب والاسم "السُّكْر" بالضم و"أُسْكِرُهُ" الشراب و"السُّكِر" كثير السكر و"السُّكِر" بالتشديد الدائم السكر و"التساكر" إن يرى من نفسه ذلك وليس به و"السكر" بفتحتين نبيذ التمر وفي التنزيل : ﴿تَتَخَلَدُونَ مِنْهُ سُكَارًا﴾ و"سَكْرَةٌ" الموت شدته.

و"سَكْرٌ" النهر سَدَّه وبابه نصر و"السُّكْر" بالكسر العزم وهو المسناة وقوله تعالى : ﴿سُكِرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ أي حبست عن النظر وحُيرت وقيل غُطيت وغشيت ، وقرأها الحسن مخنفة وفسرها سحرت ، و"السكر" فارسي معرب واحدته سَكْرَةٌ (١) .

السكر في الشريعة : غيبة العقل متى تناول حمراً وما يشبه الخمر ويعتبر الإنسان سكران إذا فقد عقله فلم يعقل قليلاً ولا كثيراً وعند محمد وأبي يوسف وهم من فتناء الحنثية «أن السكران حر الذي يغلب على كلامه الهذيان» ويستدل على ذلك من قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (٢) .

السكر في القانون : المقصود بالسكر هي تلك الحالة التي يفقد فيها الشخص شعوره أو اختياره بصفه مؤقتة أو عارضة على إثر تعاطيه لكمية من سائل مسكر أو مادة مخدرة تكفي لإحداث هذه النتيجة ، ولاعبزة بنوع السائل المسكر أو المادة المخدرة ، فلننظر السكر تعبير عن الحالة الذهنية الناشئة عن تناول مايسكر أو يخدر ولايتصد به الإشارة إلى صنف بعينه من السوائل أو المواد التي تؤدي إلى هذه الحالة ، ولا أى وسيلة بعينها في تناولها أو تعاطيها وتختلف حالة السكر إذا عن حالة الجنون أو العاهة العقلية في أنها ليست مرضية كما أنها حالة طارئة ومؤقتة (٣) .

مفهوم المسكرات : جاءت الأسماء العديدة للمسكرات ، منها مايشمل عدة أنواع، ومنها ما يتناول نوعاً واحداً ومن أشملها السكر وهو مأخوذ من سكر الماء وسمى مغيب العقل

(١) الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، دار نهضة مصر ، القاهرة ص ٣٠٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ٤٣ .

(٣) عبد الخالق النواوي : التشريع في الشريعة والقانون ، المكتبة العصرية ، بيروت ص ١٧١/١٨٤ .

سكراً لأنه يسكر ويحجب عنه المعرفة ، ومن أسماء المسكرات "الخمر" وهي تؤنث وتذكر^(١).

المعنى اللغوي للخمر : خمره وخمر وخمور مثل تمر وتمر وتمر يقال "خمرة" صيرف قال ابن الإعرابي : سميت الخمر خمر لأنها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها، وقيل سميت بذلك لمخامرتها العقل ، والخمير الدائم الشرب للخمر ، والخمار نقيّة السكر تقول رجل خمر بوزن كيف وخمور .

واختمرت المرأة لبست الخمار ، والخمير ما يجعل في العجين تقول خمر العجين أى جعل فيه العجين وبابه ضرب ونصر . والتخمير التغطية يقال خمر إناءك والمخامرة المخالطة واستخمره استعبده ومنه حديث معاذ (من استخمر قوماً أولهم أحرار) أى أخذهم قهراً وتملك عليهم^(٢).

الخمر شرعاً : اتفق الفقهاء على أن النبي من العنب إذا غلى واشتد يسمى خمرًا ولكنهم اختلفوا فيما إذا كان الخمر مختصاً بالنبي من ماء العنب إذا غلى واشتد ، أم أنه يتجاوز إلى كل شراب مسكر على ثلاثة أقوال :

القول الأول : قول أبي حنيفة رحمه الله : إن الخمر مختص بالنبي من ماء العنب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد وسكن عن الغليان .

القول الثاني : قول جمهور من الجنفية والإمامية والزيدية : إن الخمر اسم مختص بالنبي من ماء العنب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد أم لم يقذف .

ووجه أبي حنيفة : إن الغليان بداية الشدة وكمالها بقذف الزبد - وأحكام الشرع قطعية تناط بالنهاية ، ووجه هذا الحكم : إن السكر يتحقق بدون قذف بالزبد .

القول الثالث : قول الجمهور : إن الخمر وإن كان اسماً للنبي من ماء العنب إذا غلى واشتد إلا أنه ينصرف إلى كل شراب مسكر ، وعليه فإنه كل مسكر خمر عند جمهور الفقهاء سواء كان من العنب أم من التمر أم من الخنطة ونحو ذلك^(٣) . وأيضاً فالخمر هو كل مخامر للعقل مغط عليه له وواقع الأمر أن الخمر لا تفعل أكثر من ذلك لأنها تغطي المناطق المخية العليا وهي الموجودة في القشرة لفص المخ (Crebrad Cortex) وهي مراكز الإرادة والأخلاق والفكر والرؤية وكافة التصرفات العقلية والعقل هو الذى يمنع الإنسان من كل ما هو ضار وكل ما يكتسبه الإنسان من موانع أخلاقية وأحكام خلال التشيئة

(١) صالح عبد الله الأطرم "المسكرات : حكمها أدلتها" بحث قدم إلى المؤتمر الإسلامى العالمى لمكافحة المسكرات والمخدرات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الفترة من ٢٧-٣٠ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ ، ص ٣٥٥ .

(٢) الإمام محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٨٩ .

(٣) ماجد أبو رنية : الأشربة وأحكامها ، جمعية عمال للطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٨٠م .

الاجتماعية، ولذلك فالسكران يتصرف تصرفات لا يدرکها ؛ لذلك سميت أم الكبائر لأن شارب الخمر قد يسرق ويقتل ويرتكب الفاحشة في محارمه دون وعى ، أعاذنا الله وجميع المسلمين منها (١).

وأخيراً فإن لفظ الخمر الوارد في القرآن الكريم هو اسم لكل مسكر من العنب والتمر والبر والشعير وغير ذلك ، قليلها وكثيرها كما تؤيده اللغة والسنة الصحيحة وأقوال سلف الأمة (٢).

رأى الباحث : أقصد بالمسكرات في هذا البحث كل ما يغيب عقل الإنسان أو يذهب به سواء كان خمراً أو كحولاً أو مشروباً روحياً امثالاً لقول الرسول ﷺ : «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام» رواه مسلم .

مدمن الخمر : في تعريف منظمة الصحة العالمية (WHO) في ١٩٥٢ لمدمن الخمر ما يوضح تحديد إدمان الخمر :

مدمنو الخمر هم الأفراد الذين يكثرون "يسرفون" في الشرب حتى تصل درجة اعتمادهم على الخمر ، بما يتضح معها وجود اختلالات عقلية واضحة أثناء التعاطي وتعطل في قواهم البدنية والصحية وفي علاقاتهم الاجتماعية مع الآخرين ، وفي اضطراب وظائفهم الاجتماعية والاقتصادية ولذلك فإنهم في حاجة إلى المعاونة العلاجية (٣).

ثالثاً : الشريعة الإسلامية وتحريم المسكرات :

خلق الله - سبحانه وتعالى - الإنسان وفضله على سائر المخلوقات ليكون خليفة له في أرضه ، ومتفذاً لمشيئته وإرادته ، وموضعاً لأسراره وحكمته ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض ليعمل فيها بثاقب نظره ونافذ فكره ، حتى يقف على بديع صنعته وعجيب قدرته وينفذ إلى ما أودعه فيها من الأسباب والقوانين التي اقتضتها حكمته وإرادته لتحقيق بذلك ما سبقت به المشيئة من فنون العمارة وأسباب الحضارة .

(١) فاطمة محمد صالح المحضار : المخدرات وأضرارها على الفرد والمجتمع وطريق الخلاص منها ، مطابع دار الهلال ، الرياض ١٤٠٥ هـ ، ص ٢١-٢٢ .

(٢) عبد الرحمن عبد الله : تفسير آيات الخمر ، بحث قدم إلى المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الفترة من ٢٧-٣٠ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ ، ص ١١٦ .

(٣) عبد المجيد سيد أحمد منصور : الإدمان أسبابه ومظاهره الوقاية والعلاج ، سلسلة كتب مكافحة الجريمة الكتاب الخامس ، ومركز أبحاث مكافحة الجريمة ، للمملكة العربية السعودية ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١٣٩ .

وقد منح الله سبحانه وتعالى الإنسان الآلة التي تصل به إلى ذلك وهي العقل ، وأمره بالمحافظة عليه وتجنب ما يحول بينه وبين أدائه لوظائفه ، فإذا ذهب عقله اضطر إلى درك البهائم واشتد إلى فصائل العجماوات ، وقد يعتدى الإنسان على ذلك العقل بأن يتعاطى مسكراً يؤدي إلى تعطله عن أداء وظائفه ولو لفترة من الوقت ، وهنا نجد أن شريعة الإسلام قد تدخلت لتضع الحد الفاصل وهو اعتبار المسكرات محرمة في الكتاب والسنة والإجماع^(١) ولم تحرم نصوص القرآن الخمر دفعة واحدة بل جاء التحريم تدريجياً ، لأن شرب الخمر كان منشئاً بين العرب حتى إذا أصبحت النفوس مهينة لاستقبال التحريم جاء النص القرآني الصريح في التحريم^(٢).

وقد مر التحريم "تحريم الخمر" باعتبارها مسكراً في القرآن الكريم في أربع مراحل وسأعرض لهذه المراحل باختصار كما يلي :

المرحلة الأولى : إن الخمر غير حسن في ذاته :

قال الله تعالى ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً﴾^(٣).

قال ابن عباس والحسن وغيرهما إن السكر هو ما حرم الله والرزق الحسن هو ما أحل الله.

المرحلة الثانية : إن إثم الخمر أكبر من نفعها :

قال الله تعالى : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾^(٤).

وفي هذا إشارة إلى أن تركهما هو الأولى مادام الإثم أكبر من النفع وأحكام الشرع والعقل تقتضي أن كل شيء مضرته أكبر من نفعه يحرم . وتعكس هذه الآية رداً لرسول الله ﷺ على سؤال المسلمين الأوائل حول هذا الموضوع في سنوات الإسلام الأولى . وفي هذا الوقت لم تكن الخمر محرمة تحريماً قاطعاً ، والرد يشرح الفوائد والمضار للخمر من الوجهة الاقتصادية دون التعرض لتأثير الخمر على صحة الأفراد .

(١) أحمد على طه ريان : المخدرات بين الطب والفقہ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨٥ ص ٥-٦ .

(٢) فكري أحمد عكاشة ، والخمر في الفقہ الإسلامی ، المختار الإسلامی للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ ص ١٦ .

(٣) سورة النحل : الآية ٦٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢١٩ .

المرحلة الثالثة : إن شارب الخمر لا يقرب الصلاة :

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(١) بهذا النص كان على المؤمن الامتناع عن شرب الخمر عند أوقات الصلاة حتى لا يصلى وهو سكران ، وهذا سيؤدى إلى أنه لا يسكر طول النهار وجزءاً من الليل فالشارب يتعود الانقطاع عنها بعد أن كان لا يستطيع ، وذلك لأن الصلاة المفروضة في خمسة أوقات معظمها متقارب ولا يكفى ما بينهما للسكر .

ولقد جاء فى تفسير القرطبي أن المراد من قوله تعالى : ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ أى حتى تعلموه أى حتى تعلموه متيقنين منه من غير غلط ، والسكران لا يعلم ما يقول ، ولذلك قال عثمان بن عفان رضى الله عنه إن السكران لا يلزمه طلاق وقد أجمع العلماء على أن السكران معتوه كالמושوس معتوه بالوسواس . وقال سفيان الثوري : حد السكر اختلال العقل فإذا استقرئ فخلط في قراءته وتكلم بما لا يعرف جلده وقال أحمد : إذا تغير عقله عن حال الصحة فهو سكران ، وحكى عن مالك نحوه قال ابن المنذر : إذا خلط في قراءته فهو سكران استدلالاً بقوله تعالى : ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٢) .

المرحلة الرابعة : إن الخمر رجس من عمل الشيطان :

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون؟^(٣) . وذلك في السنة الثالثة من الهجرة بعد موقعة أحد ولم يحتج الأمر إلى أكثر من مناد في نوادي المدينة : ألا أيها القوم إن الخمر قد حُرمت فمن كان في يده كأس حطمها ، ومن كان في فمه جرعة بجمها .

وعند نزول هذه الآية كان الإسلام قد قوى في نفوس الناس وتسامت أرواح المسلمين ، ولكن الأمر الذى يعد حيويًا بالنسبة لهذه الدراسة ليس هو الإرادة القوية التى ساندت الأفراد في فعل ما يؤمنون به فحسب ، ولكن أيضاً الفائدة البدنية المكتسبة من وراء هذا . ذلك أن شرب الخمر لمدة طويلة يؤدى إلى زيادة نسبة تركيز الكحول في الدم الذى يستتبع زيادة الجرعة التى يحتاجها المدمنون وإلى إطالة فترة النقاهة .

(١) سورة النساء : الآية ٤٣ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، الجزء الخامس ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ م ص ٢٠٣ .

(٣) سورة المائدة : الآيتان ٩٠-٩١ .

وتتضمن هذه الآية تحريماً نهائياً لشرب الخمر بالإضافة إلى شرح يتناول المصلحة الاجتماعية والنفسية التي وراء هذا التحريم^(١).

رابعاً : بعض الأحاديث النبوية وتحريم المسكرات :

رويت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في تحريم المسكرات ومنها :

١- (قال أبو هريرة أن النبي ﷺ أوتي ليلة أسرى به يابلياء - بقدهين من خمر ولبن ، فنظر إليهما فأخذ اللبن ، فقال له جبريل عليه السلام : الحمد لله الذي هدانا لهذا ، لو أخذت الخمر غوت أمتك)^(٢).

٢- عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ «كل شراب أسكر فهو حرام»^(٣).

٣- عن وائل الحضرمي (أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر فيها أو كره أن يصنعها فقال : إنما أصنعها للدواء فقال : إنه ليس بدواء ولكنه داء)^(٤).

خامساً : آراء الفقهاء في تحريم المسكرات :

حاول الفقهاء الوقوف عند المسكرات ودراستها وتحديدتها وبيان أحكامها ، وظهرت مدارس واجتهادات شتى ، ويلاحظ أن الجميع اتفقوا على أن المسكر من الخمر ، مع اختلاف حول مفهوم السكر وموضوعه والفقهاء الإسلاميون اختلفوا بهذا الموضوع ، وقد اختلف الفقهاء حول موضوع المسكرات ، ولكنهم اختلفوا في موضوع الخمر بالإجماع ، فالخمر لديهم اسم للنبيء من ماء العنب بعدما غلى واشتد وقذف بالزبد ثم سكن عن الغليان وصار صافياً مسكراً . وأجمع الفقهاء على إلحاق بقية المسكرات بالخمر ، وذهبوا إلى توسيع القاعدة لتشمل كل ما كان معروفاً من أشربة في ذلك الوقت وأشاروا إلى السكر والفضيخ ونقيع الزبيب والطلاء والبذق والمنصف والجمهوري والخليطان ونبذ العنسل أو التين وكل هذه ملحقة بالخمر في الحكم الشرعي . وذهبوا إلى أن الخمر هو كل ما يؤدي إلى ستر العقل وتغطيته معللين ذلك بأن الخمر تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهذه الصلة

(١) عائلة عبد العظيم البنا : الإسلام والزينة الصحية ، مكتب الزينة العربي لدول الخليج ، السعودية ١٤٠٤ هـ

ص ٨١ .

(٢) صحيح مسلم - الجزء الثالث ، ص ١١١٢ .

(٣) صحيح البخاري - الجزء الأول ص ١٥٣ .

(٤) صحيح مسلم الجزء الثالث ، ص ١٠٩٩ .

وجوده في جميع المسكرات وأجمعوا على أن الخمر من ماء العنب حرام سواء أسكر أو لم أسكر^(١).

مادساً : بعض التشريعات الوضعية الخاصة بموضوع المسكرات :

يوجد تباين كبير بين تشريع وآخر بسبب اختلاف وجهات النظر إلى موضوع مسكرات، ويبدأ الخلاف بدءاً من التسمية حيث يلاحظ أن بعضاً من التشريعات تطلق على مسكرات مصطلح الخمر وأخرى تسميها الكحول وغيرها تسميها المشروبات الروحية^(٢).

ومن ثم يتخذ كل تشريع منحى مغايراً في نظريته إلى مفهوم المسكرات ، حيث لاحظ أن أغلب التشريعات حاولت الابتعاد عن إيراد تعريف محدد جامع مانع للمسكرات ولاغابة في ذلك فكل تشريع إنما ينبع من خلفية اجتماعية وسياسية معينة ، وحسب نظرة تتمتع إلى موضوع السكر والمسكرات ، حيث تختلف بصدد المواقف والآراء .

وقد تفادى المشرع في لبنان والبحرين تعريف المسكرات .

بينما أشارت التشريعات في كل من ليبيا ومصر وسوريا والكويت إلى المشروبات روحية أو الخمرة أو المشروبات الكحولية وماهر في حكمها بلدون الخوض في بيان كوناتها وآثارها .

واكتفى المشرع اليمني بالقول كل مواد أو مشتقاتها والتي تؤثر في حرية الاختيار الإرادة وذلك بالنقص والإزالة^(٣).

وأما المشرع الأردني فقد حاول إيراد تعريف جامع ونص على "الكحول المشروبات الروحية على اختلاف أنواعها وتشمل العرق والكونياك والنيذ وجميع مشروبات الممزوجة بالكحول ومزيج الكحول ومستحضراته ومركباته وكل مشروب آخر نمر أو كحول تبين أنه بتحليل عينه منه في أى وقت يحتوى على ٢٪ من الكحول^(٤).

أما المشرع العراقي فقد حدد في قانون المشروبات الروحية رقم "٣" لسنة ١٩٣١ في مادة الأولى فقرة "د" أن المشروبات الروحية هي كحول الشراب والكحول المحتوية على يشيل والكحول والشراب والبيرة وأى سائل مؤلف من أكثر من ٢٪ من الكحول أو يحتوى

(١) صباح كرم شعبان : انسيقة تحت تأثير المسكرات أو المخدرات : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩/٣٢ .

(٢) صباح كرم شعبان : المرجع السابق ص ٢٣ .

(٣) ظاهرة تعاطى المسكرات: المنظمة الدولية العربية للدفاع الاجتماعى، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٩٧٣ ، ص ٢٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٤ .

على أكثر من هذا المقدار لتشمل العطور ولا مستحضرات الزينة أو المستحضرات الطبية المؤلفة من كحول أو محتوية عليها^(١) ولما كانت الاتجاهات السائدة في كافة التشريعات التركيز على المادة "المسكرة" وهي المادة "الكحولية" والمادة الكحولية مثبتة في الكتب العلمية والطبية فلا بد من توضيح المفهوم العلمي لمصطلح الكحول إتماماً للفائدة .

ومعادلة الكحول الكيميائية هي $(C_2 H_5 OH)$ حيث أنها تحتوي على جزئيتين من الكربون مذابة بخمس جزئيات من الهيدروجين وجزئية واحدة من كل من الأوكسجين والهيدروجين ويكون على شكل سائل عديم اللون ذو رائحة نفاذة له قابلية الذوبان في الماء ويتطاير عند تعرضه إلى الحرارة الاعتيادية ، ويمكن الحصول عليها عن طريق التخمير أو التقطير ، ومن خصائص مادة الكحول أنها سريعة الامتصاص من قبل الحجيرات الجسمية وذات تأثير متعدد على مراكز التحسس في الجسم البشري حيث تؤثر بصورة فاعلة على خلايا قشرة المخ ، وتهيج المعدة وتوسع العروق الجلدية وتببط وظيفة الكبد ويؤدي الاستمرار في تناول الكحول إلى ضعف تدريجي في العقل وعدم السيطرة واضطراب الحركة^(٢) .

رأى الباحث :

بالنسبة للتشريعات الوضعية الخاصة بموضوع المسكرات :

يرى الباحث أن هناك تبايناً واختلافاً بين التشريعات الوضعية في قضية تعاطي المسكرات وسيظل هذا التباين والاختلاف سارياً حتى يتم تطبيق شرع الله فيما يختص بتحريم المسكرات تحريماً قاطعاً ، وتطبيق حدود الله في شارب الخمر . ومن ثم يكون الرادع والزاجر مناسباً لتلك الجريمة . وإذا كانت هناك بعض المجتمعات المسلمة تبيح تعاطي الخمر وبيعها والاتجار فيها فستضيع معظم محاولات الإصلاح هباءً منثوراً.

المبحث الثاني : المشكلات الاجتماعية لتعاطي المسكرات :

أولاً : المسكرات مشكلة اجتماعية :

بعد تناول مشكلة المسكرات في القرآن والسنة واجتهادات الفقهاء ، وفي بعض التشريعات الوضعية سأعرض لها باعتبارها مشكلة اجتماعية .

(١) صباح كرم شعبان : السياقة تحت تأثير المسكرات أو المخدرات : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤ .

(٢) إبراهيم الليمي ، دراسة استطلاعية عن ظاهرة الإدمان على الكحول ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، بغداد ، ١٩٨٥ م ص ٣ .

لقد تعددت مفاهيم المشكلة الاجتماعية ، فيعرفها البعض بأنها وضع اجتماعي غير مرغوب فيه ، وهناك حاجة إلى جذب الانتباه إليه ، وذلك إما في رأى نسبة كبيرة من الناس في المجتمع أو في رأى أصحاب السلطة في المجتمع ، وهناك بعض الحقائق الاجتماعية يجب التعرض لها قبل الحكم على وضع اجتماعي معين بأنه غير مرغوب فيه منها : أنه قبل وجود جريمة أى مشكلة تتصل بالجريمة فيجب أن يكون هناك مجرمون وقبل وجود مشكلة إدمان هناك مدمنون وهكذا^(١).

وينذهب توماس كوين T. Quinn إلى أن المشكلة الاجتماعية هي عجز ما في وظائف النظم الاجتماعية التي تحدد أبعاد العلاقات الاجتماعية^(٢).

وترى زوفيا باتريم Zofia Batrym أن المشكلة الاجتماعية من وجهة نظر الخدمة الاجتماعية تتمثل في عجز عن أداء واجب معين في ظرف معين^(٣). بينما إيفلين شولمان Eveline D'Schulman تحدد خمس خطوات لحل وعلاج المشكلات تتضمن :
أولاً : تحديد المشكلة ثانياً : تحديد الأهداف ثالثاً : تحديد البدائل رابعاً : اختيار البديل الأمثل والأكثر قدرة على تحقيق الأهداف .
خامساً : التقويم النهائي للعمل^(٤).

كما يجب الاهتمام بتحديد أين توجد المشكلة ؟ ماهي المشكلة ؟ مالذي جعل المشكلة تظهر ؟ كيف يمكن مواجهتها ؟

وتتضمن ممارسة الخدمة الاجتماعية تحديد ما يؤديه الأخصائيون الاجتماعيون وكيفية تطبيق المعارف المهنية وتقديم خدمات مباشرة وغير مباشرة لتحسين نوعيه الحياة والوقاية من الوقوع في المشكلات وحل تلك المشكلات^(٥).

(1) Jon M. Shepard, Harwin L. Voss : Social Problems, N.Y (Macmillan Publishing Co., 1978 PP. 1-2 .

(٢) نيقولا تماشيف : نظرة علم الاجتماع ، ترجمة محمود عودة وآخرون ، ط ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣ م ص ١٨٤ .

(3) Zofia Batrym :The Nature of Social Work , N.Y.,(The Macmillan Press, L.T. D.1982)P.5

(4) Eveline D'Schulman(Editor): Intervention in Human Services, (Merrill Publishing Company Chio . 1986) PP.41-45 .

(5) Mary Wirtz Macht and Others : Social Work : An Introduction ,Printed in the U.S.A 1986 P.5

ويتضمن العمل مع المشكلات الاجتماعية تحليل تلك المشكلات مع الوضع في الاعتبار القوى والمراكز الاجتماعية للمتأثرين بها والمصادر التي توظف لحلها^(١).
والمشكلات الاجتماعية تعرف كذلك بأنها الاختلاف بين المستويات المرغوبة والظروف الواقعية^(٢).

ثانيا : طبيعة المشكلات الاجتماعية :

تعتبر برامج الرعاية الاجتماعية حلاً للمشكلات الاجتماعية ، والمشكلات الاجتماعية التي تواجهها برامج الرعاية الاجتماعية هي بالضرورة التي تؤثر على أعداد كبيرة من الأفراد ، ولكي نطلق على المشكلة أنها مشكلة اجتماعية فيجب أن يمتد تأثيرها على أكثر من شخص . كما أن المشكلات الاجتماعية ليست متساوية التأثير ، ويرى البعض أن أهمية المشكلة يعتمد على جانبي القوة والمكانة الاجتماعية لهؤلاء الذين حددوا المشكلة وحددوا مصادر الإنفاق على الحل وعدد الأفراد الذين يتأثرون بها .

ولهذا فكلما زاد عدد الأفراد المتأثرين بالمشكلة وزادت مكانة وقوة المهتمين بحل المشكلة ازدادت أهمية المشكلة الاجتماعية ، وازدادت برامج الرعاية الاجتماعية المقدمة لهؤلاء الأفراد كماً وكيفاً^(٣).

وإن السكر والإدمان على المسكرات آفة "مشكلة" فردية واجتماعية واقتصادية ، وقد ذهبت كل المحاولات وخاصة الوضعية منها لردع الناس عن هذا الولع أدراج الرياح ، فليس في العالم أى نظام سياسى استطاع مكافحة السكر مكافحة ناجحة ، فالرجل الغربى يقدر النشوة الناتجة عن الكحول ويعتبرها أقل المخدرات ضرراً .. مع أن أضرار الكحول لا تحصى ولا تعد^(٤).

ولا يشكل إدمان الخمر في كثير من الدول الإسلامية معضلة كبرى مثل الدول الأوربية وذلك للعوامل الدينية التي تحرم شرب الخمر على المسلمين ، ولكن الكثير من هذه

(1) Donald E. Chambers ; Social Policy Programs, N.Y., (Macmillan Publishing Company .1986)P.7

(2) John Stimson and Others : Social Problems , Definition and Solution, N.Y., (John Willey and Sons .1985)P393.

(3) Donald E. Chambers, Op. Cit, PP 7-8

(٤) محمد رفعت : الموسوعة الصحية : الآفات الاجتماعية والأمراض النفسية ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ،

بيروت ، ١٩٨٨ م ص ١٤ .

البول مازالت تواجه إدمان الخمر التي هي في زيادة مطردة ، ويجب التفرقة هنا بين التعود على الخمر وهو شرب نفس الكمية يومياً لعدة سنوات دون زيادة ظاهرة ، وبين الإدمان وهو زيادة الجرعة دائماً مع ظهور تدهور خلقى وأدبى واجتماعى في سلوك المدمن^(١) .

ثالثاً : مشكلات الإدمان على المسكرات :

إن الإدمان يشكل مشكلة خطيرة بين فئات الكبار والشباب معاً لما يصاحب ذلك من أفعال سلوكية ضارة ، إذ الكبار من المدمنين يسهمون في إهمال أبنائهم والإشراف الكامل عليهم لكثرة استمرارهم غائبين عن وعيهم مما يزيد من فرص تورط أبنائهم في أفعال لأن الإدمان لا يحدث إلا إذا اجتمع المسكر أو المخدر في بؤرة الاهتمام الرئيسية لفكر سعاطى وعواطفه وعلاقاته وبيئته ، ويقضى المدمن وقته مهموماً ومرتبكاً فى تخطيط أين ؟ ومتى ؟ وكيف يتعاطى جرعات المخدر أو المسكر التي اعتاد عليها ؟ ومن ثم يحطم ذاته ، ويحطم علاقاته مع الأسرة والأصدقاء والمهنة ومختلف الجماعات التي ينتمى إليها وتصبح باقى أهداف الحياة ثانوية بالنسبة له .

إن هذه الشخصيات المحطمة بسبب الإدمان سوف تظهر آثارها بالضرورة إذا تغلبت الظاهرة على القدرات البشرية فتتقص من كفايتها ، وينعكس ذلك على الطاقة الإنتاجية للمجتمع واقتصاده القومى بصفه عامة^(٢) .

وتتعدى مشكلة المدمن ذاته وتؤثر على مجال العائلة ، فإهماله لعمله وبيته يجعل الحياة الزوجية محطمة تماماً ، وينشأ الأطفال في جو مرضى يسبب لهم بعض الأمراض النفسية والعقلية عند نضجهم . ويتعرض مدمن الخمر والمسكرات عموماً لعدد من المضاعفات أهمها :

١- مضاعفات جسمية : مثل التهاب المعدة المزمن ، قرحة المعدة والإثنى عشر ، التهاب أطراف الأعصاب مع التتميل والحرقان في الأيدي والرجلين ، وتليف الكبد وعدم تمكنه من القيام بوظائفه ، وكذلك بعض الضعف في عضلات القلب .

٢- مضاعفات عقلية : وأهمها تدهور الشخصية والإتيان بسلوك شاذ غير اجتماعى ، مع ظهور الهذيان ، إما في هيئة حادة مثل الهذيان الارتعاشى ، أو مزمنة مثل حالة

(١) أحمد عكاشة : الطب النفسى المعاصر ، مكتب الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ٣٤٩ .

(٢) ياسين صالح أنلر قيرى (تدابير الوقاية والعلاج لظاهرة تعاطى للمسكرات والمواد المخدرة في المجتمع الإسلامى) بحث قدم إلى المؤتمر الإسلامى العالمى لمكافحة المسكرات والمخدرات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى الفترة من ٢٧-٣٠ جمادى الأولى هـ ص ١٥ .

كورساكوف أو الهذات الخيالية الاضطهادية والغريبة . وعادة ما يصاب المدمن بعدة أعراض عقلية من جراء كثرة تناوله للخمر ، ومن أمثلة ذلك: النسيان والقيام بتصرفات غريبة أو إهانات والاعتداء على أقاربه أثناء تناول العقار ، ثم نسيان ذلك صباح اليوم التالي وإنكاره التام لاحتمال حدوث هذا السلوك منه ، ويصاب كذلك المدمن بالضعف الجنسي ، ويبدأ في الشك في زوجته وفي سلوكها تعويضاً لضعف الجنسي ، وأحياناً ما يصاحب بأفكار اضطهادية أن الناس تتكلم عنه وتتجسس عليه وأنهم يتسممون ويضحكون من منظره . . وأن المدمن يصبح في حالة تهيج عصبي مستمر .

٣ - مضاعفات اجتماعية : وتعكس في جميع أوجه حياة المدمن فتسوء علاقته مع العائلة ويصبح عنيفاً في علاقته مع زوجته مما يشجع على الانفصال أو الطلاق ، ويهمل ذاته وعمله ويقل إنتاجه وتهبط الثقة بمقدرته ويبدأ في الانعزال ويفقد الكثير من اهتماماته وطموحه^(١).

ومن المضاعفات الاجتماعية كذلك تأثير الخمر على العلاقات الزوجية في المجتمعات التي تبيح تعاطي الخمر ، وترتفع نسبة طلاق النساء المدمنات على الخمر عن نسبة الطلاق بين المدمنين، وفي هذا ما يشير إلى تقبل زوجه المدمن لزوجها المدمن ، وزوجات المدمنين إما شاكيات باكية تحاول استدراج عطف زوجها وتثنيه عن عزمه ، وإما مذبذبة تشعر بالحب والكراهية نحو زوجها ، أو ضعيفة وقلقة ومتخوفة أو عدوانية متسلطة .

وتحاول زوجة المدمن عندما تشعر بإدمان الزوج ، التستر عليه وتحاول عزله اجتماعياً وتدير هي بنفسها توجيه الأسرة وإدارة شئونها وتستقل عن الزوج ، وعادة تحاول العلاج أو الطلاق .

والزوج المدمن لا يشارك في نشاطات الأسرة ولا يتفقد دوره المطلوب ، إذ يغيب عن البيت عند ظهور الأزمات التي تتطلب تصرفه ، وغالباً ما يشير هذا سخط الزوجة وعدم الرضا وتضرر من رائحة الخمر التي تفوح منه ومن تهديده ومن شجاره المتواصل .

وفي ردود فعل الزوجات لإدمان الأزواج ، تبين أن الكثير من الزوجات يعتمدن على أنفسهن وتتجاهلن سلوك الزوج ، ويقمن بمساعدة أطفالهن وإدارة شئون الأسرة ، بغية أن يشرب الزوج إلى رشده ويبدأ العلاج ، في حين تبين أن إنكار الزوجة والأبناء والسخرية من الزوج بل والشجار معه قد يترتب عنه نتائج إيجابية علاجية ، أفضل من التجاهل والخصام والسكوت ، أي أن التفاعل الإيجابي داخل الأسرة أفضل من رد الفعل السلبية ، ويعاني

(١) أحمد عكاشة ، الطب النفسي المعاصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥٦ .

للأبناء في الأسر التي يدمن فيها أحد الأبوين تعاطى الخمر ، يعانون من اضطرابات مادية وعاطفية ، حيث تضطرب العلاقة بين الأبوين ، ويواجه الأبناء مواقف تعوق النمو بصورة سليمة .

فالآباء المدمنون متقلبون من الناحية المزاجية ، يتصف سلوكهم بالعدوانية والقسوة مع الزوجة والأبناء والاكئاب وكثرة الغياب عن البيت ، وقد يحدث تذبذب في علاقة الأبناء بالآباء فقد يميل الطفل إلى الأب المدمن عند وجود الأم المتسلطة ، حيث يغالى الأب المدمن في تدليل الطفل والعطف عليه أثناء وعيه ليغضى شعوره بالذنب ، وقد يواجه أبناء المدمن احتمال الحرمان من الأب المدمن بسبب وفاته أو طلاق الأبوين ، ويشكو أبناء المدمنين من كثرة شجار الأبوين وعدم الاهتمام بالأبناء ، وقد يشكو الأبناء من أمراض جسمية وهمية كما أنهم يفتقدون العلاقات الاجتماعية الطيبة^(١) .

٤- الآثار الاقتصادية للخمر : ناقش كل من بيرى (Berry) وبولاند (Boland) شرب الخمر من الوجهة الاقتصادية وأوضحا الفائدة والتكلفة الناجمة عن التجاوز في شرب الخمر واستندت دراستهما على مبدأ أساسى للغاية :

من البديهيات الأولية أن هناك تشابها كبيرا في عملية اتخاذ القرار الخاص واتخاذ القرار العام . فمن المستحيل أن يختار مستهلك أن يشتري منتجاً ما ، تزيد قيمة ما يدفعه فيه عن قيمة الفائدة التي يحصل عليها من ورائه ، وعلى هذا النحو فإن على المجتمع أن يتحاشى تلك السلع التي تزيد قيمة الخسارة الناجمة عن شرائها عن قيمة مكسبها الاجتماعي .

ثم عدد بيرى وبولاند الآثار الاقتصادية الناجمة عن التجاوز في شرب الخمر :

- ١- قد يصبح مدمنو الخمر أقل قدرة على الانتاج .
- ٢- فقد العمل هو نهاية الطريق بالنسبة لمدمن الخمر .
- ٣- يزيد إدمان الخمر من مخاطر وقوع حوادث السيارات والعمل وحوادث المنزل .
- ٤- بذل جهود إضافية بالنسبة لسلامة المرور وتقوية أجهزة العدالة الجنائية والشرطة والمحاكم ، وما إلى ذلك مما يؤدي إلى انخفاض مستوى الخدمات العامة .
- ٥- يعاني العمال المدمنون للخمر من نسب أعلى من الغياب والتأخير والمرض عن العمال الذين لا يدمنون أو يتعاطون الخمر .

(١) عبد المجيد سيد أحمد منصور : الإدمان أسبابه ومظاهره الرقابة والعلاج : مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٦٥ ،

٦- فقد الدخل في استهلاك المنتجات الاقتصادية الأخرى^(١).

كما يشير كل من يولمان وهادوكس (Uelmen & Haddox) سنة ١٩٨٣ . إلى أن إدمان الخمر والكحوليات يكلف الولايات المتحدة الأمريكية وفقاً لإحصاء تم سنة ١٩٧٥ م يوازي ٤٣ بليون دولار سنوياً ، وهذا التقرير الخاص بآثر الكحوليات على الاقتصاد القومي ينظر إليه بطريقتين رئيسيتين :

١- عادة تعاطى الخمر تجعل الأفراد أقل قابلية لأداء أعمالهم ، والقيام بمسئولياتهم ، وبالتالي فإن المجتمع يفقد جانباً من جوانبه الاقتصادية عن طريق انخفاض الإنتاجية الخاصة بهؤلاء الأفراد .

٢- هناك خدمات عديدة تتأثر بنتائج تعاطى الخمر ، كهيئات الصحة والهيئات الاجتماعية ورجال الأمن ورجال المطافئ ، وغيرهم ممن يتدخلون في المشاكل الناجمة عن الدمار الذى يلحق بالمنشآت أو غيرها نتيجة الأفعال التى يرتكبها المدمنون ، إضافة إلى الخسائر التى يتحملها الأفراد الذين يلحق بهم الضرر من أفعال المدمورين وإدمان الخمر ، وما يتصل بها من مشاكل تحدث خسائر فادحة في الإنتاج ، وما يرتبط به من اقتصاد يؤثر بدوره على المجتمع بأكمله^(٢) .

وخلاصة القول :

هو أن مدمنى المسكرات يشكلون عائقاً كبيراً في طريق التنمية والتقدم الاقتصادى ويخلّفون عبئاً ثقيلاً على عائق الأمة بما يضيعون من ثروتها ، وما يجلبونه لها من مآسى ونكبات ، وأن الاقتصاد يحتاج إلى سواعد قوية ورجال أصحاء يقومون على رعاية الإنتاج وحراسته ، وإلى تفكير سليم صادر عن عقل واع مدرك لما ينفع وما يضر . وأن عقلاً أفسدته شرور المسكرات هو عاجز عن القيام بعمل مشر ، وبناء مفيد له أو لغيره^(٣) .

٥- الخمر والجنس : في بداية الشراب تزداد الرغبة في الجنس مما يؤدي إلى ارتكاب الجرائم الشاذة لغياب العقل والخلق ومع الاستمرار في الشراب تضعف بل تفقد القدرة الجنسية .

(١) عائلة عبد العظيم البنا : الإسلام والتربية الصحية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٥-٨٦ .

(٢) عبد المجيد سيد أحمد منصور ، الإدمان أسبابه ومظاهره الوقاية والعلاج ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٦ .

(٣) محمد بن حمود الوائلى : حكم الشريعة الإسلامية في المسكرات وطرق مكافحتها ، الجامعة الإسلامية المدينة

المنورة ، ١٤١٠ هـ ، ص ٣٤ .

٦- الخمر والعقم : "شرب الخمر يؤدي إلى ضمور في المبيض وتصلب في الخصيتين ، مما يؤدي غالباً إلى العقم عند من يدمن الشرب (شرب الخمر) ، كما قال القاضي إسماعيل الخطّاب في كتابه المسكرات ، وقد تعقب أبحاثه الأستاذ برطهو يلت بعدة أبحاث متوالية فتوصل إلى أن للمسكرات تأثيراً قاتلاً للحيوان المنوي الذنيسى فيغيره ويجعله غير صالح للتخلق .

هذه بعض أضرار الخمر ، وواحد منها كفيل بأن يجعل أى عاقل يتعد عنها ويؤثر لنفسه السلامة فلا أحد يريد أن يقتل صحته وتفكك به الأمراض (١) .

٧- إدمان الخمر وحوادث السيارات : من المعلوم أن الشخص أثناء قيادته للسيارة وهو سكران أو واقع تحت تأثير مسكر أو مخدر يكون فاقداً أو ضعيف السيطرة على قواه العقلية والجسمية بسبب تناول مادة مسكرة أو مخدرة ، وهذا بدوره يؤدي إلى عدم تمكنه من السيطرة التامة واللياقة المطلوبة لسياقة المركبة ، مما قد ينشأ عن هذه الحالة خطر يؤدي إلى احتمال وقوع أضرار لأطراف عديدة ، والذي يعمل المشرع دوماً على تفادي وقوعها عن طريق التدخل العقابي (٢) . وتؤثر الجرعات الصغيرة من الخمر على مهارة وكفاءة قائد السيارة ، وقدرته على مواجهة المشاكل المرورية ، ويسدو هذا واضحاً عند الشباب ، ومن السمات الواضحة على قادة السيارات المخمورين ما يأتي :

- ١- عدم القدرة على مواجهة الطوارئ المفاجئة .
- ٢- عدم القدرة على تلافي الحوادث البسيطة .
- ٣- التهور في القيادة أو الحذر المفرط .
- ٤- عدم القدرة على تركيز الانتباه في القيادة .
- ٥- عدم القدرة على الإمساك بعجلة القيادة باتزان من ارتعاش اليدين والتحرك يمنة ويسرة مع عدم الاتزان .
- ٦- الخطأ الظاهر عند الدخول إلى المنعطقات أو في التقاطعات الرئيسية .
- ٧- الخلط في تمييز إشارات المرور والألوان بصفة عامة .
- ٨- بطء ردود الأفعال .
- ٩- بطء عودة الإبصار الطبيعي عند التعرض لأضواء السيارات القادمة في الاتجاه المعاكس .

(١) فاطمة المحضار : المخدرات وأضرارها على الفرد والمجتمع ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٢٨-١٢٩ .

(٢) صباح كرم شعبان : السياقة تأثير المسكرات أو المخدرات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٩ .

ويتسبب تعاطى الخمر في ٥٠٪ من حوادث المركبات ، وللتحقق من معرفة درجة السكر عند السائق تفحص نسبة الكحول في الدم^(١) .

٨- الإدمان والجريمة : السلوك العدواني المرتبط بإدمان الخمر يترتب عليه ارتكاب جرائم العنف والجنس ، وتصل نسب الإدمان بين نزلاء السجون إلى ٥٠ ٪ . وحيث ترتفع نسبة الجرائم التي من أجلها دخلوا السجون ، والمتمثلة في جرائم السرقة والاعتداء والسطو والجرائم الجنسية ، كما تؤدي حالة الإدمان إلى تصور خاطئ للفرد المدمن عن نفسه وعن قدراته ، وقد تخيل له الحالة الإدمانية أنه قوى فيقوم بأعمال إجرامية كالعدوان على الآخرين والسرقة^(٢) .

٩- الإدمان والأمراض النفسية :

أ- الهذيان الارتعاشي وهو مرض يظهر بدون سبب واضح بعض الأحيان ، ولكنه يظهر بعد سكرة شديدة أو صدمة جسمية أو نفسية أو كسر في الأطراف أو مرض أو التهاب جرثومي أو انقطاع مفاجئ عن الشراب ، ونسبة المصابين به عالية في أوروبا وأمريكا .

ب- مرض أو "تناذر" كورساكوف ومن أعراضه شلل جزئي في الأطراف وألم والتهاب في الأعصاب ورواية بارعة للأكاذيب ، وعدم توازن^(٣) .

المبحث الثالث : الوقاية والعلاج :

أولاً : تمهيد :

يقوم الطب على أصليين هما :

١- الوقاية ٢- العلاج .

ولقد كان للإسلام عناية بهذين الأصلين وفي سبيل ذلك مزج بين المنافع الروحية والجسدية ليتسنى للمسلم سلامة في بدنه ، وسلامة في روحه ، فلا شك أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف^(٤) .

(١) عبد المجيد منصور : الإدمان أسبابه ومظاهره الوقاية والعلاج ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٥ .

(٢) للمرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٣) نبيل الطويل : الخمر ومضارها على الجسم والعقل ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٩-٣٠ .

(٤) محمد إبراهيم سليم : التداوى بالقرآن والاستشفاء بالرقى والتعاويذ ، مكتب القرآن للطبع والنشر القاهرة

ففى جانب الرقاية نراه يحثنا على حفظ الحياة التى وهبها الله لنا ، حيث قال جل شأنه ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (١) . ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢) . وهناك العديد من آيات القرآن الكريم التى تحث على تناول الحلال الطيب قال تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ (٤) ، وقد عوضنا الله عن الخبائث بالطيبات النافعة ، قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَطَيِّبَاتٍ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٥) ، ولقد حافظت الشريعة الإسلامية على الضرورات الخمس وهى :

١- حياة الإنسان : فتحرم قتله والاعتداء عليه .

٢- عرضه : فتحرم الزنا وما يؤدى إليه .

٣- عقله : فتحرم شرب الخمر وكل ما يذهب العقل أو يفسده .

٤- ماله : فتحرم السرقة .

٥- دينه : فتحرم الردة أو الدعوة إلى توهين العقيدة .

وبناء على ماتقدم نجد أن الشريعة الإسلامية قد حافظت على العتق من خلال تحريم كل ما يذهب أو يفسده أو يسبب أى ضرر من الأضرار على المدى القريب أو البعيد ، سواء على شخصية الفرد أو دينه أو أسرته أو مجتمعه ، كما حرمت الشريعة السكر بأنواعه كما جاء واضحاً فى الكتاب والسنة والإجماع فقد حرمت كل ما يذهب العقل أو يفسده سواء كان سائلاً أو جامداً أو غازاً (٦) .

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ٢٩ .

(٣) سورة الأعراف : الآيتان ١٥٦-١٥٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٧٢ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ٣٢ .

(٦) فاطمة المحضار : المخدرات وأضرارها على الفرد والمجتمع وطريق الخلاص منها ، مرجع سبق ذكره ص ١٠٠ .

أ) أساليب الوقاية :

١- يجب الاهتمام الكامل بتطبيق شريعة الله فيما أحل وفيما حرم ، فما ورد فيه نص لاجمال للاجتهاد فيه ، وبالنسبة للخمر ورد النص الصريح القاطع بحرماتها عليها أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴿١﴾.

٢- أن تهتم الأسرة بوظائفها وتتابع تربية أبنائها على طاعة الله ورسوله ﷺ .
٣- الاهتمام بتربية الناشئة على منهج الإسلام وتقوية الوازع الديني لديهم .
٤- التوعية الإسلامية لكل قطاعات المجتمع بأضرار وخطورة المسكرات وتحريمها شرعاً .

٥- الاهتمام بتوجيه طاقات الشباب وشغل أوقات فراغهم بممارسة الهوايات المفيدة وكل مامن شأنه تنمية قدراتهم الجسمية والنفسية والثقافية والدينية .

٦- تضمين مناهج التربية الدينية في كل مراحل التعليم معلومات كافية عن حكم الدين في تحريم المسكرات والعقاقير المخدرة وتبيان أضرارها النفسية والصحية والاجتماعية والمجتمعية .

٧- قيام وسائل الإعلام بتبصير الناس بالأضرار الناتجة عن تعاطي وإدمان المسكرات أو المخدرات ، كما يجب إصلاح هذه الأجهزة الإعلامية في المجتمعات الإسلامية حفاظاً على الدين والخلق وتطهيرها من نشر الرذائل ومطالبتها بمنع نشر الصحف والمجلات والأفلام والمسلسلات التي تروج للمسكرات بطريق مباشر أو غير مباشر .

٨- يجب حظر إنتاج الخمر أو تصنيعها أو استيرادها في الدول الإسلامية .

٩- دعوة الحكومات والمنظمات العالمية التي تحارب المخدرات وتبيح المسكرات إلى معاملة المسكرات معاملة المخدرات ، لأن ضررها لا يقل عن ضرر المخدرات واعتبار صنعها وبيعها وشربها جريمة .

١٠- توقيع أقصى العقوبات على المهربين والمروجين والمتاجرين في المسكرات والمخدرات بجميع أنواعها .

١١- توعية الأفراد بترشيد الإنفاق المادي ، فالرزق الحلال والمال فضل ونعمة من الله ويجب على المسلم صيانة المال وحفظه . فلا إنفاق إلا فيما أحله الله ، ولا استمتاع بالمال إلا في طيبات الحياة ، كما أن الرسول ﷺ قد نهى عن إضاعة المال وهل بعد الإنفاق في المسكرات والعقاقير المخدرة من إضاعة لمال الفرد والأسرة والدولة ؟

(١) سورة المائدة : الآية ٩٠ .

١٢- النظر إلى مشاكل التعاطى والإدمان على أنها مشاكل اجتماعية مرضية تحتاج إلى تفرى أسبابها وعلاجها .

(ب) أساليب العلاج :

إن المدمن مريض ، وهو خطر على نفسه وعلى الآخرين ، كما أنه يختلف عن الشخص المريض عقلياً في أنه مسئول عن كل ما يأتية من أفعال ، وهو يحتاج إلى علاج لما هو فيه^(١) . وتتضمن أساليب علاج الإدمان على المسكرات مايلي :

١- توفير السرية التامة لمن يتقدموا طواعية للعلاج .

٢- ضرورة اعتبار تعاطى المسكرات جزءاً من مشكلة الصحة في أى مجتمع إسلامى . ويترب على ذلك وجوب إعطاء الأولوية لتدابير علاج متعاطى ومدمنى العقاقير والعمل على إعادتهم لحظيرة المجتمع .

٣- تشجيع إنشاء عيادات ومصحات متخصصة لعلاج الإدمان مع ضمان الأمن والسرية للمتقدمين تلقائياً للعلاج ، على أن يتم العلاج في إطار نفسى اقتصادى طبى اجتماعى شامل .

٤- الدعوة إلى إدخال تدابير حديثة في أساليب معالجة المدمنين ، كالإيداع في مؤسسات متخصصة لمرضى المسكرات والعقاقير المخدرة وإلزام المتعاطين والمدمنين بالتردد على عيادات اجتماعية نفسية تنشأ لهذا الغرض .

٥- يقتضى علاج الإدمان على الخمر اكتشاف الإدمان في المراحل المبكرة .

أهداف علاج الإدمان على المسكرات^(٢) :

إن الهدف الرئيسى في علاج الإدمان على الخمر هو الامتناع الكامل والنهائى عن التعاطى مع توفير البدائل المناسبة ، وعلاج التوتر والقلق وتدريب المدمن وأسرته على مواجهة الظروف المسببة للتعاطى بأسلوب مغاير ، وتمر عمليات العلاج في الخطوات التالية :

١- تخليص الجسم من الخمر في مستشفى عام أو في مراكز متخصصة ، عندما يكون المدمن فى حالة سكر أو غيوبة .

٢- عند الإفاقة يحول المدمن إلى مستشفى لاستكمال العلاج النفسى وفي كثير من البلدان توجد مراكز متخصصة في علاج الإدمان .

(١) محمد رفعت : الموسوعة الصحية الآفات الاجتماعية والأمراض النفسية ، مرجع سبق ذكره ص ١٤ .

(٢) عبد المجيد منصور : الإدمان أسبابه ومظاهره الوقاية والعلاج ، مرجع سبق ذكره ص ٣٠٥-٣٠٦ .

٣- يقوم الفريق العلاجي في المستشفى ، طبيب نفسي وأخصائي اجتماعي وأخصائي نفسي وهيئة التمريض ، بتقويم المريض ودراسة الحالة والظروف التي أدت إلى الإدمان مع دراسة ظروف الأسرة وظروف العمل .

٤- يعالج المريض بالمهدئات أو بدائل مشابهة حيث يحقن المريض بهذه المهدئات مع كميات من الفيتامينات لمنع أعراض الامتناع .

ثانياً : دور الخدمة الاجتماعية في مكافحة الإدمان :

يجب الاهتمام بدور الخدمة الاجتماعية في المدارس والمؤسسات المختلفة لمساعدة الطلاب والعاملين في حل مشاكلهم الاجتماعية والنفسية ، لتجنبهم القلق والتوتر الذي يدفعهم إلى الهرب من مشاكلهم بالإقبال على تعاطي المسكرات أو المخدرات ، ويجب على الإخصائيين العاملين في تلك المؤسسات مواجهة المشكلات التي تعترضها في حدود وظائفهم واختصاصاتهم .

وفي مجال مكافحة مشكلة الإدمان يمكن للخدمة الاجتماعية أن تلعب دوراً هاماً سواء في علاج هذه المشكلة أو الوقاية منها ، كما أن الإخصائي الاجتماعي يستطيع أن يعمل مع الفرد المدمن لمساعدته على العلاج من الإدمان والإقلاع عن تعاطي المواد المخدرة ، كما يمكنه أن يعمل مع أسرة المدمن لمساعدتها على تقبل المدمن وعودته لحياته الأسرية ومواجهة المشكلات الأسرية التي تترتب على إدمان أحد أفرادها وأيضاً للأخصائي الاجتماعي دوره مع المجتمع بصفة عامة للوقاية من الإدمان^(١) .

ولا يخلو مجتمع من المجتمعات من المشكلات الاجتماعية التي تعبر عن نفسها في النهاية في صورة مواقف أو صعوبات أو مشكلات تواجه الأفراد أو الأسر ، وظهور هذه المشكلات يتطلب اتخاذ إجراءات لمواجهتها وللوقاية منها على مستوى المجتمع ككل أو إجراءات وممارسات تتخذ لمواجهة آثارها وأعراضها من خلال مساعدة الأفراد والأسر بطريقة مباشرة على حل تلك المشكلات وتنمية قدرتها على التعامل مع مثلها في المستقبل^(٢) .

(١) أحمد السهوري وآخرون : الخدمة الاجتماعية مع النماذج الخاصة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٩١ ، ص ص ١٤٠/١٤١ .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث قدم إلى " مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم " الذي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر ١٥-٢٠ شوال عام ١٤١٢ هـ ، الموافق ١٨-٢٣ أبريل ١٩٩٢ م ص ٥٢ .

دور الاخصائى الاجتماعى فى مجال الإدمان :

١- الدور الوقائى : ويتمثل هذا الدور فى الآتى :

أ) قيام الاخصائى الاجتماعى بإثارة اهتمام ووعى أفراد المجتمع بخطورة الإدمان وآثاره الضارة على الفرد والمجتمع ووسائل الوقاية منه .

ب) تنظيم الندوات والمحاضرات الثقافية حول الإدمان ومضاره فى المؤسسات الاجتماعية المختلفة التى يعمل بها أخصائىون اجتماعيون .

ج) تنظيم البرامج والأنشطة المختلفة التى تساعد المواطنين وخاصة الشباب على الابتعاد عن المسكرات بجميع أنواعها من خلال مزوالة الأنشطة الثقافية والتعليمية وإتاحة الكتب الثقافية والعلمية بأسعار مناسبة .

د) المساهمة فى حل المشكلات التى تتعرض لها الفئات التى يقوم الأخصائىون الاجتماعيون بالعمل (كالشباب والعمال والمسنين) لتخفيف الضغوط عليهم والتى قد تدفع للإدمان.

هـ) القيام بالبحوث والدراسات فى مجال الإدمان لإلقاء مزيد من الضوء على أسباب الإدمان والظروف المهيئة له وآثاره وطرق علاجه .

و) التوسع فى إنشاء العيادات التى ترعى المدمنين ، وتزويدها بالمختصين من الأطباء النفسيين والأخصائىين الاجتماعيين ، والعمل على المساعدة فى معالجة مشكلات الأفراد النفسية التى أثبتت نتائج بعض الأبحاث أنها من أهم الأسباب المؤدية للإدمان .

٢- الدور العلاجى : ويتمثل فى الآتى :

١- عندما يشترك الاخصائى الاجتماعى فى الفريق المعالج للمدمن فإنه يقوم ببحث حالة المدمن اجتماعياً وتقديم تقرير مفصل لأعضاء الفريق العلاجى ليكون على دراية بظروفه الاجتماعية الأسرية الاقتصادية والأسباب والظروف التى دفعته للإدمان .

٢- يقوم الاخصائى الاجتماعى بمساعدة المدمن على إدراك حقيقة ذاته ودوره الاجتماعى فى الأسرة وفى المجتمع ، ومساعدته على التوافق الاجتماعى والنفسى .

٣- مساعدة المدمن على تغيير الظروف البيئية التى دفعته للإدمان .

٤- تقديم الخدمات التى يحتاجها المدمن ، فهو قد يكون قد انقطع عن العمل وبالتالي قل أو انعدم مصدر دخله إذا كان يعمل فهو فى حاجة إلى مساعدة اقتصادية فيساعده الأخصائى الاجتماعى على ذلك ومساعدته للعودة إلى العمل

٥- محاولة المعاونة في تخفيض الضغوط النفسية الاجتماعية على المدمن مما يسهم في سرعة عودته للحياة الطبيعية .

٦- تهيئة البيئة لاستقبال المدمن العائد من العلاج وتوجيه الأسرة لكيفية معاملته وإعادة الثقة في نفسه وتدعيم قيامه بدوره الاجتماعي في الأسرة .

٧- العمل مع الجماعات العلاجية للمدمنين وتولى دوره فيها ومساعدة الجماعة على وضع وتصميم برامجها وأنشطتها لتحقيق الأهداف العلاجية .

٨- متابعة المدمن العائد من العلاج في بيئته الطبيعية ، حتى يتم التأكد من عدم عودته للإدمان مرة أخرى وتدعيم التغييرات الإيجابية التي حدثت في ذات المدمن وسلوكه في الأسرة ، والعمل على مواجهة ما يظهر من مشكلات وصعاب قد تؤثر على إرادته في البعد عن الإدمان^(١) .

وعادة يمر علاج المدمن بالمراحل التالية :

(أ) مرحلة أولى : ويتركز فيها العلاج على العلاج الطبى بصفة خاصة ، وذلك بإبعاد المدمن عن المسكرات والمخدرات ، وإعطائه مواد طبية بديلة تساعد على التخلص البدنى عن المخدر .

(ب) مرحلة ثانية : يتركز فيها العلاج النفسى الاجتماعى على يد اخصائيين اجتماعيين ونفسيين لإعادة التوازن النفسى والاجتماعى للمدمن ، ومساعدته على أداء أدواره الاجتماعية في محيط الأسرة والعمل .

(ج) مرحلة ثالثة : بعد خروج المدمن من المراكز الاجتماعية ، فيها يقوم الإخصائيون الاجتماعيون بمتابعة الحالة لمساعدة المدمن - السابق - على التغلب على أية عوائق تواجه ممارسته لحياته العادية مرة أخرى لضمان عدم حدوث انتكاسه^(٢) .

ثالثاً : كيف حل الإسلام مشكلة الخمر :

استخدمت كلمة الخمر فى القرآن الكريم لتشير إلى المشروبات الكحولية ، وفي عهد الرسول ﷺ كان مصدر الشراب الكحولى العنب (Grapes) التمر (Dates) القمح (Wheat) الشعير (Barley) ، العسل (Honey) وحيث إن الكحوليات يمكن تحضيرها فى الوقت الحاضر من مصادر أخرى فهي تعتبر من المسكرات ولقد ركز الإسلام على تأثير

(١) أحمد السهنورى وآخرون : الخلعة الاجتماعية مع الفئات الخاصة ، مرجع سبق ذكره ص ص ١٤٣/١٤٥ .

(٢) عبد الحليم رضا عبد العال : رسم سياسة اجتماعية للوقاية من الإدمان ، عبد الحليم رضا وآخرون أجهزة تنظيم

المجتمع، عمان للخدمات ، القاهرة ، ١٩٨٩م ص ١٢٢ .

الكحول "الخمر" على الناس ولم يركز على أصل أو شكل هذه المادة الكحولية ، وتعامل الإسلام مع المادة المسكرة بطريقة ممتازة في التحريم ، حيث إن المعلومات المرتبطة بتحريم الكحوليات في الإسلام يمكن الحصول عليها مباشرة من كلام الله جل وعلا في القرآن الكريم ، ومن أحاديث المصطفى ﷺ وقد ذكر تحريم الخمر في القرآن الكريم بشكل مباشر في ثلاثة مواضع (١) .

الأول : قول الله تعالى : ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (٢) .

الثاني : قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (٣) .

الثالث : قوله الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ، إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مِّنْتهُونَ﴾ (٤) .

وكانت هناك حكمة تشريعية من التدرج في هذا التحريم ، فمن فضل الله وكرمه أنه ذكر الخمر في سورة البقرة بما يدل على تحريمها دلالة ظنية فيها مجال للاجتهاد ليركها من لم تتمكن فتتها من نفسه . وذكرها في سورة النساء بما يقتضى تحريمها في الأوقات القريبة من الصلاة إذ نهى عن قربها في حال السكر ، فلم يبق لمن يريد شربها إلا الإغتياق بعد صلاة العشاء والصباح بعد صلاة الفجر لمن لا عمل له ولا يخشى أن يمتد سكره إلى وقت الظهر وقليل ما هم . ثم كان تحريم الخمر القاطع في سورة المائدة . ولقد كان تحريم الخمر بهذه الصورة لأنها كانت من معالم الجاهلية ومن التقاليد المتغلغلة في المجتمع آنذاك فقد كان العرب يشربونها يأسراف ويذكرونها في مجالسهم ويعتونها من المفاسد ، والعلاج الحاسم

(1) Muhammad Samiullah : Muslims In Alien Society , Some Important Problems With Solution In The light Of Islm , Pakistan Islamic Publications LTD., 1982 P.50.

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٩ .

(٣) سورة النساء : الآية ٤٣ .

(٤) سورة المائدة : الآيتان ٩٠-٩١ .

للخمر من أول الطريق كان سيثير كوامنهم ويثقل كاهلهم ويشق عليهم وربما يكون صارفاً لكثير من المدمنين عن الإسلام ، ولذلك وعلى عادة المنهج الإسلامى في علاج القضايا المتعلقة بالعادات والتقاليد والمألوفات ، فقد عالج قضية الخمر بوضع آيات من القرآن الكريم ، وعلى مراحل وفي رفق وتؤده وكسب المعركة دون حرب ودون توضحيات ودون إراقة دماء ، والذي أريق فقط هو دنان الخمر وزقاقها ، وجرعات منها كانت في أفواه الشارين حين سمعوا التحريم فمجوها من أفواههم^(١) .

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي التي تعمل على صلاح القلب وصحة النفس كما يعمل الغذاء على سلامة الجسد : وإن العقل الصحيح تصدر عنه أخلاق وأفعال صحيحة ، كما أن الجسم الصحيح يصدر عنه عمل صحيح ، ولا يستقيم أحدهما بدون الآخر ، إن الدين الإسلامى أمضى سلاح ضد الجريمة والانحراف بل هو الضابط الذى يجعل من يتمسك به يشعر بالمسئولية فيتعد عن كل ما يذهب الفضيلة أو يشين السلوك لأن ارتكاب الرذائل يتعارض مع سمو العقيدة وبجمال الأخلاق .

وإن العالم الإسلامى يملك من الأسلحة الروحية والمادية ما يستطيع أن يدفع بها عن نفسه غارة المسكرات والمخدرات ، وأعظم تلك الأسلحة هو دين الله الذى يحرم هذه الموبقات ..

إن مخاطبة قلب المدمن من خلال الحكمة والموعظة الإسلامية الحسنة التى يفتح باب التوبة أمامه ، أعظم تأثيراً من مخاطبة عقله بعرض أنواع أضرار المسكرات ، لأنه يعرف أضرار تلك السموم التى اصطلى بنارها ، أما مخاطبة قلبه بعظيم كرم الله وإحسانه ومغفرته لمن تاب وعمل صالحاً فإنه لن يضيع إذا صاحبه دعوة صادقة وحكمة بالغة .

إن العلاج الحاسم لمشكلة المسكرات هو العلاج الإسلامى الذى يتحقق فى تطبيق شرع الله والنزول عند أحكامه ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾^(٢) ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون﴾^(٣) .

(١) ماجد أبو رغيه : الأشربة وأحكامها فى الشريعة الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٣-٩٤ .

(٢) سورة الجاثية : الآية ١٨ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٣ .

إننا مهما بذلنا من جهود فى التعريف بأضرار المسكرات والمخدرات ، ورصدنا الأموال واستعنا بأحدث الأجهزة ، ووصلنا إلى أسلم الطرق وأكثرها دقة وإحكاماً فى المكافحة فإننا نبقى عاجزين عن السيطرة على ذلك السيل الجارف ما لم نصلح النفوس ، ونغرس العقيدة الصافية فى القلوب .

لقد رأينا نجاح العلاج الإسلامى منذ أربعة عشر قرناً فى القضاء على شرب الخمر مع شدة تعلق العرب بها ، وإفراطهم فى شربها وإكثارهم من وصفها ، والحديث عنها ، لأن الوحى كان ينزل على رسول الله ﷺ فتلقفه القلوب قبل الأسماع ، فيسرى معناه فى نفوس المسلمين فتتشط جوارحهم لتنفيذه وبهذا تعلم أصحاب رسول الله ﷺ القرآن وعملوا به ، فما كان القرآن عندهم يقرأ ويهجر ، ولكنه يقرأ ويطبق ، وبهذا التلقى الجاد لشرع الله تطهرت نفوسهم وأشربت قلوبهم معانى الإيمان ، واصطبغت حياتهم بصبغة الإسلام فقام كيان الفرد والأسرة والمجتمع على المحبة والتعاون على البر والتقوى فكانوا جميعاً كالجسد الواحد والبنیان المرصوص يشد بعضه بعضاً فلم يكن عسيراً على المسلم أن يتغلب على هوى نفسه وتطلعها إلى الشهوات ، لأن كل شئ حوله يمدّه بأسباب القوة والنصر على أهواء نفسه ، ولهذا كان لقوله سبحانه وتعالى : ﴿فاجتنبوه﴾ وقوله ﴿فهل أنتم متهون﴾ أعظم الأثر وأبلغه فى نفوسهم وفطمها عن تناول الخمر .

إن العقيدة الصحيحة حين تستقر فى القلوب تخضع النفوس وتنقاد الجوارح ، فيصبح كل فرد فى المجتمع عضواً صالحاً ينير الطريق فيهدى ، ويسعى لهداية غيره ، إن القانون الوضعى يمنع ويعاقب الخارجين عليه ، ولكنه يعجز أن يغرس فى النفوس وازعاً رادعاً لأن الرقابة التى يقوم بها من الظاهر ، ورقابة الشريعة الإسلامية من الأعماق ، تنبعث من خضوع المؤمن لربه وتسليمه لشرعه .

إن من لا يخاف الله ويخشاه يقدم على ارتكاب كل خطيئة فى الخفاء حين يغيب عن عيون الناس ، والمؤمن يعلم أن عليه رقياً لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء فيتعد عن كل ما يشين^(١) .

وتلك هى ثمرة الإيمان ، ولكى تنجح حملات القضاء على الخمر فى المجتمعات الإسلامية لابد من غرس بذرة الإيمان أولاً حتى تقتطف الثمار ، ولن يجدينا إذا فقدنا الإيمان أن نوضح بالأرقام والعلوم والطب وكل وسائل الإعلام أضرار الخمر أو الزنا أو الربا لن يجدى ذلك مع فقد الإيمان .

(١) محمد بن حمود الواصل : حكم الشريعة الإسلامية فى المسكرات وطرق مكافحتها ، مرجع سبق ذكره

إن المجتمع المدني بقيادة الرسول محمد ﷺ قد استطاع أن يتغلب على مشكلة الخمر التي كانت منتشرة في الجاهلية بين العرب ، وكانوا يعتقدون أن في الخمر غذاء ودواء وشفاء وأنها باعثة على الكرم حافزة على الشجاعة .

استطاع الإسلام في الماضي ويستطيع في الحاضر والمستقبل أن يحل مشكلة تناول الخمر وإدمانها بما لا تستطيعه أى وسيلة أخرى^(١) .

رأى الباحث :

يرى الباحث أن الإسلام بما يملك من إمكانيات وقيم وأخلاقيات يستطيع أن يغير من سلوكيات الناس وعاداتهم الخاطئة عن طريق الفهم الصحيح لأوامره وحدوده ونواهيه ، وذلك من خلال الحكمة والموعظة الحسنة ، ومن خلال الدعوة الجادة والصادقة والتي تتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل من يستطيع ذلك وفي حدود ولايته . فقد استطاع الإسلام في سنوات قلائل وفي المدينة وبعد السنة الثالثة من معركة أحد أن يقضى على الخمر قضاء يكاد يكون نهائياً من أفراد كانوا شديدي الولع بها ولكنها قضية الإيمان والتسليم المطلق لأوامر رب العالمين .

بينما نرى التشريعات الوضعية لم تزل حتى الآن متعثرة في القضاء على ظاهرة إدمان المسكرات وخير شاهد على ذلك التجربة الأمريكية التي فشلت فشلاً ذريعاً في القضاء على المسكرات وخير شاهد ما أنفق عليها من أموال ، وما أعلن عنها في وسائل الإعلام المختلفة .

رابعاً : الخدمة الاجتماعية وإمكانية الاستفادة من تطبيق حد شرب الخمر كأسلوب من أساليب الوقاية والعلاج :

يرى الباحث أن الخدمة الاجتماعية يمكن أن تلعب دوراً هاماً من خلال الاستفادة من تطبيق حد شرب الخمر على المدمنين ، وهذا الدور يمكن أن يكون وقائياً أو علاجياً .

ففي الجانب الوقائي يستطيع الأخصائي الاجتماعي المسلم الدعوة إلى إقامة ندوات ومحاضرات يدعى إليها رجال الدين الإسلامي ، وذلك من خلال عمله مع التجمعات الطلابية أو العمالية ، أو من خلال عمله في السجون أو مع المسنين لبيان وتوضيح حدود شرب الخمر والمسكرات والعقوبة الملائمة ، وكيفية تطبيقها ومن يطبقها ، ويكون إقامة مثل هذه الندوات من الناحية الواقعية زاجراً عن الوقوع في المعصية فمثل الشائع والمعروف يرى

(١) محمد على البار : مشكلة الخمر وحلها في الإسلام ، بحث قدم إلى المؤتمر الطبي الإسلامي عن الشريعة الإسلامية والقضايا الطبية المعاصرة ، القاهرة ، جامعة الأزهر بالاشتراك مع كلية الطب جامعة عين شمس في الفترة من ٢ -

أن الوقاية خير من العلاج ، وكذلك فإن التهديد بالعقاب وإقامة الحد يشكّلان رادعاً للسلوك المنحرف عند وقوع ذلك السلوك المنحرف ، وقد لا يعلم بعض مدمني المسكرات عن تلك الحدود شيئاً ، ومن ثم فمعرفة تلك الحدود قد يكون زاجراً ورادعاً عن تناول المسكرات . وتطبيق الحدود كجانب علاجي يحط من مكانة المدمن النفسية ويشعره بالدونية، خاصة وأن العقوبة حال تطبيقها تتم في وجود أفراد آخرين ، ومن ثم فهو يشعر بالدونية ، وأنه في موقف مذر ومخجل وقد يشوب إلى رشده حتى لا يتكرر ما حدث معه ويقطع عن المعصية والإدمان ، وهنا يدعم الأخصائي الاجتماعي المسلم ذلك الجانب الإيجابي والعقوبات ، وتطبيق الحدود لها حكمة كبرى في شريعتنا الإسلامية الغراء ، فالبعض يطيع الله حباً ورغبة في الطاعة وامثالاً لأوامر الله واجتناباً لنواهيه ، ولكن هناك على النقيض من يتبع هواه ولا يتجه إلى خالقه إلا خوفاً من العقوبات المقررة شرعاً - كحد الزنا والسرقة وحد شرب الخمر - والتي شرعت أساساً لتحافظ على مصالح الفرد والمجتمع .

إن عقاب العاصي (السارق أو الزاني أو شارب الخمر) يؤدي لأن يرتدع كلما أقبل على اللذة العاجلة تذكر ألم وشدة وقسوة العقاب فينأى بنفسه عن الوقوع في المعصية . ومدمن الخمر إذا أقيم عليه الحد فإنه سيفقد احترامه أمام الآخرين ، وسيفكر كثيراً قبل العودة إلى هذا الفعل مرات ومرات . والعقوبة وإقامة الحد رحمة من الله بعباده لأنها تظهرهم من الذنوب وتكون كفارة لهم من العقاب في الآخرة .

والأخصائي الاجتماعي المسلم الذي يقوم بدوره الوقائي والعلاجي في توضيح حد شارب الخمر من خلال ما يعقده من ندوات في مجالات وأماكن عمله المختلفة فإنه يقوم بهذا الدور متمثلاً قول الرسول الله ﷺ «(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)»^(١) فهو يحب لأخيه جلب المنفعة ودرء المفسدة وأيضاً امتثالاً لقول الرسول ﷺ «(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله)» فلا يحل للمسلم أن يرى أي فرد آخر في المجتمع الإسلامي يتعرض إلى سوء كأن يدمن مسكراً أو مخدراً ويقف منه موقف المتفرج لأنه بذلك يكون قد خذله ويكون قد ظلمه بل عليه نصحه وتوعيته .

وقيام الأخصائي الاجتماعي المسلم بهذا العمل كذلك يعتبر نوعاً من أنواع التعاون على البر ونفع الناس وفي هذا يقول الرسول ﷺ «(من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفع)»

(١) رواه مسلم عن جابر .

والعناية بصحة مدمن المسكرات ورده إلى رشده وبعده عن ذلك الطريق الموبوء نوع من أنواع الإحسان ينفع به المسلم أخاه المسلم .

وقد يجد الأخصائى الاجتماعى صعوبة في عمله وفي الاستفادة من التطبيق الفعلى لحد شارب الخمر ، وهذه الصعوبة سببها أن بعض المجتمعات الإسلامية تبيح تعاطى وشرب الخمر بل وإنتاجها والاتجار فيها ولا تقيم لشرع الله وزناً ، كما أن كثيراً من أفلام الخلاعة والمجون العربية والأجنبية تظهر مدمن الخمر على أنه شخص ذو مكانة عالية سامقة وأنه بطل فذ ولن يستقيم الحال بالتنبه لإقامة حدود الله على العصاة إلا بالتطبيق الكامل لشرع الله فيما أمر وفيما نهى ، لأن الله هو خالق البشر وهو أعلم بهم من أنفسهم وبما يصلحهم وما يفسدهم .

ولا يعنى ذلك أن يقف الأخصائى الاجتماعى المسلم موقف المتفرج فهو على الأقل يساهم في إقامة الندوات والمحاضرات التى توضح أضرار المسكرات على الفرد وعلى الأسرة وعلى المجتمع وأسس وأساليب الوقاية والعلاج .

والأخصائى الاجتماعى المسلم الذى يعمل من خلال فريق عمل في المستشفيات والمؤسسات العلاجية التى ترعى المدمنين يستطيع أيضاً أن يساهم في توعية المدمنين من خلال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهل هناك منكر أكثر خطورة من تناول مادة مسكرة حرّمها الله جل وعلا تسلب العقل وتذهب به وتغطى عليه ؟ بل ويزداد ضررها على الفرد نفسه وعلى أسرته ويقل إنتاجه وتسوء علاقاته مع الآخرين .

ومن هنا فإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو في حقيقته جهد من جانب كل فرد من أفراد المجتمع المسلم بما فى ذلك الإخصائين الاجتماعيين من أجل تطبيق المصلحة العامة للمجتمع المسلم ، فكل من يعلم أن المسكرات مضرّة يجد من واجبه أن ينقل خبرته ومعارفه لغيره من الناس عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، وذلك لأن مدمن المسكرات يضر نفسه ويضر غيره والرسول ﷺ يقول : «لا ضرر ولا ضرار»^(١) .
وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

(١) رواه الدار قطنى وابن ماجه وأحمد .

الخدمة الاجتماعية الإسلامية

فى القوات المسلحة

د . محمد أحمد عبد الهادى

مقدمة :

تعتبر الخدمة الاجتماعية العسكرية (Military Social Work) من أقدم مجالات الممارسة المهنية من حيث النشأة ، حيث ارتبطت نشأتها فى الولايات المتحدة الأمريكية بنشأة الجيش الأمريكى ، وكان من العوامل التى ساعدت على هذه النشأة المبكرة أنها وجدت فى الجيش من خلال هيئة الصليب الأحمر ، وظل دورها يتنامى فى المؤسسة العسكرية واتسع بصورة مضطرة ليشمل كل أسلحة القوات المسلحة الأمريكية (الجيش والقوات الجوية والبحرية) وامتدت خدماتها وأنشطتها إلى أسر الجنود وأبنائهم فى برامج مؤثرة وقوية للرعاية الاجتماعية .

وحدثت مصر حذو الولايات المتحدة الأمريكية فى الاعتراف بالعمل المهنى داخل القوات المسلحة من خلال الضباط المؤهلين كأخصائين اجتماعيين ، وإن كان حجم وأسلوب الممارسة المهنية يختلف اختلافاً واضحاً عنه فى الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة لعوامل متعددة .

ومما يلاحظ على أسلوبى الممارسة الأمريكى والمصرى أنه يستخدم الخدمة الاجتماعية التقليدية والتى تركز عادة على الجوانب العلاجية (Residual) فى الكثير من البرامج والأنشطة سواء بالنسبة للجنود أو لأسرهم . وإذا كان الأسلوب المهنى التقليدى القائم على حيادية المهنة يناسب المجتمع الأمريكى فإن القضية المطروحة على مستوى البلاد غير الأمريكية ، وبالذات الدول المتخلفة تتراوح ما بين التوطين والتأصيل ، وذلك انطلاقاً من عدم فاعلية الخدمة الاجتماعية فى تلك المجتمعات بالقدر الذى توجد به فى المجتمع الأمريكى بصفة خاصة ، ومن هنا فإن مراجعة الممارسة المهنية وأطرها النظرية بات أمراً مفروضاً منه ومسلماً به فى تلك المجتمعات ومنها المجتمعات الإسلامية .

ويدو أن اتجاه التوطين خاصة فى الدول العربية والإسلامية لم يجد أنصاره ما يحفزهم على الأخذ به وآثروا الاستمرار على ما تفرزه الكتابات الأجنبية خاصة الأمريكية منها .

أما أنصار التأصيل فإنهم وجدوا فى التأصيل الإسلامى ضالتهم المنشودة لاعتبارات عديدة لسنا بصدد سردها ، بل يكفى فيه رأيهم بأنه بليون التأصيل والتوجيه الإسلامى

للخدمة الاجتماعية، فإن المهنة لن تضرب بجذورها في المجتمع الإسلامي وستظل كالعهد بها في تلك المجتمعات مهنة هامشية ، ليس لها الدور الإيجابي الذي يتوقع منها ، وستظل مستهلكة لأدبيات المهنة بدون وعى لطبيعة الاختلافات الأيدولوجية والثقافية بين المجتمعات الغربية والمجتمعات الإسلامية ، مما يجعل نمو المهنة وتقديمها أمراً مستحيلاً .

وللتأصيل الإسلامي رغم حداثة عهده اتجاهات ومداخل متباينة ربما تفرضها طبيعة مرحلة البدء ، فمنها ما يرى أن الخدمة الاجتماعية كمهنة على المستوى العالمي قد تخطت مرحلة استعارة النماذج والأطر النظرية من العلوم والمهن الإنسانية الأخرى وأصبح لها بعض النماذج ، التي يمكن أن توجه الممارسة ، وبالتالي فإن التأصيل والتوجيه الإسلامي لابد أن يبدأ بأطر تصورية إسلامية تعكس منهج الإسلام وفلسفته وشريعته ، ومستفيدة في نفس الوقت مما صلح من أدبيات المهنة في الغرب .

وهناك من يرى أن الخدمة الاجتماعية كمهنة بدأت بممارسة عملية وإن كانت قد استفادت من علم النفس والسياسة والاجتماع ، إلا أنها مازالت حتى الآن تعتمد الممارسة طريقها الرئيسي في عملها ، وكل سعيها في اتجاه تكوين نظرية للممارسة المهنية (Practice Theory) أو نماذج علمية ذات نطاقات محدودة في التعميم ، نحن نميل لهذا الرأي استفادة من الوقت ورغبة في إفادة المجتمع من جهود مهنية علمية ذات توجيه إسلامي ، إذ إن الانتظار حتى تنضج النماذج والأطر الإسلامية قد يأخذ وقتاً طويلاً ، إضافة إلى ذروة تأصيل العلوم الإنسانية الأخرى ، كعلم النفس والاجتماع ، وهذا يحتاج إلى وقت أطول .

وبدأت هذه المحاولة بتحديد أهداف إسلامية للخدمة الاجتماعية تنبثق من منهج الإسلام وطبيعة التخلف الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية وحاجتها إلى التقدم والنمو ، وظهر هذا الاتجاه فيما سمي بالخدمة الاجتماعية الإسلامية ، على أن هذا الاتجاه ليس بديلاً عن الاتجاه الأول أو بديلاً عن غيره مما قد يظهر فيما بعد ، بل هو جهد يمكن له أن يتوازي ويتكامل معه ومع غيره.

والهدف الذي حددته الخدمة الاجتماعية الإسلامية لنفسها هو بناء الوعي الإسلامي على العقيدة الصحيحة ، وتنمية المجتمعات الإسلامية تنمية اجتماعية واقتصادية وفق المنهج الإسلامي الصحيح ، واستتبع ذلك الاهتمام بمجالات جديدة ، كمجال الدعوة الإسلامية والعمل مع منظمات الإغاثة والجمعيات الأهلية وغيرها ، وكلها يمكن وصفها بأنها محاولات في بدايتها الأولى.

ولقد بدا واضحاً لأنصار هذا الاتجاه ، أن مجال العمل في القوات المسلحة ، من أهم المجالات التي يمكن أن تعمل بها الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، باعتبار أهمية القوات المسلحة في المجتمعات عموماً وفي المجتمع الإسلامي خصوصاً ، ومن هنا تبلورت هذه

الدراسة التي حاول فيها الباحث ، أن يحدد تصوراً لهذا المجال الهام على ضوء أهداف الخدمة الاجتماعية والإسلامية .

المبحث الأول : الخدمة الاجتماعية العسكرية بين الاتجاه التقليدي والاتجاه الإسلامى :

إن ممارسة الخدمة الاجتماعية التقليدية في القوات المسلحة - أفرزتها حاجة القوات المحاربة إلى أية جهود إنسانية تساعد الجنود المحاربين وترفع من روحهم وهذا بالغ الأهمية ، إضافة إلى حل مشكلاتهم الاجتماعية والأسرية وتقديم الخدمة لهم ولأسرهم .

وأصبحت القوات المسلحة في الكثير من المجتمعات النامية مجالاً من مجالات الخدمة الاجتماعية التقليدية ، شأنها شأن مجالات أخرى متعددة مثل مجال التعليم والمجال الطبى والمدرسى والصناعى وغيره . وهى تمارس على غرار ما يتم في الولايات المتحدة الأمريكية وليست هناك صعوبة في الممارسة لأن الخدمة الاجتماعية مهنة غريبة والقوات المسلحة ذات تنظيم وبناء غريب ، ولهذا فيمكن القول بأن ممارسة الخدمة الاجتماعية تكون ممارسة تقليدية تقتضى من المينة الحياد والبعد عن المواقف الأيدولوجية ، وإن كان ذلك يصلح في المجتمعات الغربية التي أخذت موقفاً من الدين وعزلته عن النظام السياسى والعسكرى ، فإن ذلك يصبح أمراً مشكوكاً فيه في المجتمع الإسلامى .

والخدمة الاجتماعية التى يمكن ممارستها في المجتمعات الإسلامية هى الخدمة الاجتماعية الإسلامية لأن الهدف والنتائج باستخدامها تختلف ، حيث تهدف الخدمة الاجتماعية الإسلامية إلى بناء الوعى الإسلامى وتنمية العقيدة الصحيحة وهى أساس ضرورى للقوات المسلحة فى المجتمع الإسلامى .

والاختلاف الجوهرى ما بين الخدمة الاجتماعية التقليدية والخدمة الاجتماعية الإسلامية يكمن في أن الأخيرة لها قضية واضحة وملزمة ، وإطار فكرى وقيمى محدد مسبقاً هو الإسلام يجعلها تدور في فلكه مستهدفة ومسترشدة به ، وفق غاياته ، ملتزمة بفلسفته ، وشموليته وتكامله ، على عكس الحياد المبنى التقليدى الذى يمكن أن يستخدم مع أى نظام وفق أى مجتمع ، وكل ما تستطيعه هو التخفيف من المشكلات الاجتماعية التى تظهر نتيجة هذا النظام ، كما أن ممارساتها مهما كانت صورية أو إيجابية فإنها تكون في نطاقات محددة من أجل فئات محددة تعصف بها مشكلات طاغية أو في مجتمعات محلية ، وبشكل منعزل وفق الظروف المحلية والثقافية التى تختلف من مجتمع لآخر .

والخدمة الاجتماعية التقليدية وإن كانت قد انحازت إلى ما تسميه بالعدالة الاجتماعية بين طبقات وفئات المجتمع ، إلا أن هذا الهدف تحكمه أيضاً الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما يراه المجتمع بقواه المختلفة في هذا الاتجاه ، وهى ليست لديها نظرية واضحة تدعو إليها وتبناها ، بل هى رهينة استجابة القوى الاجتماعية المؤثرة في اتخاذ القرار من أن يسمح لها بتقديم بعض الخدمات الاجتماعية للفئات الاجتماعية المحرومة في هذا الاتجاه ، إن اتجاه الخدمة الاجتماعية في الأخذ بما يسمى (الصراع) و(الضغط) على الفئات القوية في المجتمع من أجل صالح هذه الفئات أصبح اتجاهاً محدداً قليل الجدوى ونتائجه ومخاطره التى تهدد النسيج الاجتماعي والتماسك الاجتماعي في المجتمع أكثر من فوائده ، وهناك تحفظات حالية على استخدامه في الولايات المتحدة بالصورة التى بدأ بها في الستينيات .

أما الخدمة الاجتماعية الإسلامية : عندما تعمل في المجتمع الإسلامى فإنها تعمل من أجل تحقيق الإسلام كنظام اجتماعى متكامل في المجتمع ، وهى تؤمن بأن الإسلام دين متكامل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في اتساق واتزان وشمول يعجز عنه أى نظام آخر ، ومن هنا فإن الخدمة الاجتماعية الإسلامية لديها الإطار الواضح ، فعلى سبيل المثال إن عملت في مجال الأسرة فهناك الموجهات والقيم التى وضعها الإسلام للعلاقات الأسرية ، وحقوق الزوج على زوجته ، والزوجة على زوجها ، والأولاد وعلاقاتهم بالأب والأم ، وصلة الرحم ورعاية الأبناء للآباء وطريقة معاملاتهم لها خاصة عندما يكبران في السن ، وكذا العلاقة بالجيران ... الخ وإن عملت في مجال القوات المسلحة فإن منهج الإسلام في التربية العسكرية وفي بناء الجندي ووعيه بوجوده ، يجب أن يكون هو السائد وبشكل واضح ، ولا تقتصر على سد الفجوات وتقديم الخدمات الاجتماعية فقط رغم أهمية ذلك في القوات المسلحة . على أننا يجب ألا نغرق في التفاؤل ونظن بأن تغيير أهداف الخدمة الاجتماعية التقليدية إلى أهداف إسلامية شىء مسلم به في المجتمع الإسلامى وكذا بالنسبة للقوات المسلحة في المجتمعات الإسلامية ، بل إن هناك صعوبات كثيرة ، خاصة في مجال القوات المسلحة لتشبع تلك النظم العسكرية بالنظام الغربى المتفوق فنياً كماً وكيفاً ، كما أن انتصار النموذج العسكرى الغربى في حربين عالميتين متاليتين وما استتبع ذلك من إملاء شروط المنتصر على غيره من دول المحور واستقسامه وتقسيمه للعالم الثالث إلى دول ودويلات تدور في فلكه ولا تخرج عن إرادته ، أدى ذلك إلى أن يكون التنظيم الإدارى والقيادى ونظريات القتال وأدوات وتقنيات الحرب كلها على غرار العسكرية الغربية ، وكذلك العلاقة بين الجنود والضباط والنظرية البيروقراطية العسكرية ووجود النظام الطبقي والطاعة المطلقة وعدم مناقشة الأوامر العسكرية من جانب المستوى الأدنى ، إضافة إلى تحية

الإسلام كدين يحث على الجهاد وتغييبه عمداً عن أن يكون له دور في القوات المسلحة في الدول الإسلامية ، اقتداء بالغرب ، والذي يعزل الجيش عن السياسة والدين كل ذلك يحتاج إلى جهود فائقة ، وفترات زمنية ليست بالقليلة .

أهمية الخدمة الاجتماعية العسكرية في المجتمع الإسلامي :

١- تبدو أهمية الخدمة الاجتماعية العسكرية من الارتباط التاريخي الذي مهد لنشأة المهنة نشأة مبكرة في المجال العسكري في الولايات المتحدة وهي بهذا تعتبر من أقدم المجالات المهنية ممارسة ولديها رصيد وافر يمكن الاستفادة به في محيط العمل مع القوات المسلحة في المجتمع الإسلامي .

٢- تأخذ الخدمة الاجتماعية العسكرية في المجتمع الإسلامي أهميتها من أهمية الجيش في المجتمع بصفة عامة ومن أهميته في المجتمع الإسلامي بصفة خاصة ، وتزداد هذه الأهمية في المجتمع الإسلامي كلما كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً متخلفاً . وسمة المجتمعات المتخلفة والتي تحررت من الاستعمار العسكري أنها مجتمعات ذات حكم عسكري يتولى الجيش فيها السلطة المدنية والعسكرية وهذا يدل على أهمية الجيش في الدول النامية والمجتمعات الإسلامية جزء منها .

٣- إن انتصار الاستعمارية (الخلافة) في الحربين العالميتين - كما أسلفنا - قد أدى إلى فرض أوضاع عسكرية لخدمة الاستعمار الجديد وتثبيت دعائم النظام الغربي ثقافياً واجتماعياً في المجتمعات النامية ، عزل الإسلام عزلاً متكاملاً عن توجيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية إدراكاً منه لخطورته كنظام متكامل يقف أمام أطماعهم في تلك الشعوب ، وفرضوا أنظمتهم ، هذه على تلك المجتمعات بالسلطة العسكرية خارجية أو داخلية ، يمكن للخدمة الاجتماعية الإسلامية أن تساعد على إيقاظ وتنمية وعي القوات المسلحة في الاتجاه الإسلامي الصحيح الذي به تعود الهوية للمجتمعات التي فقدتها .

٤- المساهمة في إعادة صياغة الأيدولوجية العسكرية على ضوء العقيدة الإسلامية والاهتمام بالتربية العسكرية ذات المفهوم الإسلامي بحيث تشكل وفقاً لها الاستراتيجية العسكرية، وهذا المفهوم يتطلب تربية وتنشئة اجتماعية في مراحل الإعداد التي تسبق الانضمام للخدمة العسكرية والتي تتم عن طريق الأسرة والمدرسة ، والخدمة الاجتماعية يمكن أن تقوم بدور واضح في هذا الاتجاه ، كما سيأتي تفصيله فيما بعد .

٥- إن الحاجة إلى إعادة الوعي بمفهوم التربية العسكرية هو السبيل الوحيد لاستمرار وجود المجتمعات الإسلامية ، ذلك لأن تاريخ الغرب مع المسلمين هو تاريخ الحروب الصليبية وحاضره امتداد لهذا التاريخ ، والهدف أن تترك تلك المجتمعات إسلامها ، فكما جاء في مجلة

العالم الإسلامي الإنجليزىة^(١) (أن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم ، ولهذا الخوف أسبابه منها أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عددياً بل دائماً في ازدياد واتساع ، ثم أن الإسلام ليس ديناً فحسب بل من أركانه الجهاد ، ووقف جلادستون^(٢) (زعيم حزب الأحرار البريطانى ومن مشاهير الخطباء في القرن التاسع عشر وكان من أعداء الخلافة الإسلامية) وقف يخطب مشيراً إلى القرآن الكريم : (إننا لن نستطيع الاستقرار في الشرق مادام فيه هذا الكتاب ...) ويستمر الهدف واضحاً لديهم وهو إخراج المسلمين عن دينهم كما جاء ذلك بوضوح في خطبة لصمويل زويمر^(٣) في مؤتمر القلنس عام ١٩٣٥ حيث بدأها بقوله : (... أيها الأخوان الزملاء ممن كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فأحاطتهم عناية الرب) - هكذا بوضوح بأن مهمة التصير هي استعمار بلاد الإسلام !! ثم يضيف في كلمته مؤكداً الهدف بقوله : (إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من دينه ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ولذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ...).

ومن هنا يجب أن يكون إسهام الخدمة الاجتماعية الإسلامية هو التركيز على هدف الوعي بالذات الإسلامية ومعرفة حقيقة ما يراد بها ، مع الدراسة العلمية لتلك الأساليب القديمة والحديثة.

٦- إن النظام العالمى الجديد الذى انفردت به الولايات المتحدة الأمريكية بالنفوذ والسيطرة على العالم - عقب انهيار الاتحاد السوفيتى - لم يعد يخفى عداؤه للإسلام بل إنه يعتبره العدو الباقى الوحيد الذى يجب القضاء عليه^(٤).

(١) نقلاً عن : على بن نفيع العليانى : أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الفرق الضالة فيه ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٥/١٩٨٥ ، ص ٢٩٧ .

(٢) نقلاً عن : عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام مؤتمر الفقه الإسلامى ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠١/١٩٨١ ، ص ١٩٦ .

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : الندوة العلمية للشباب الإسلامى ، الرياض ، ط ١٤٠٩/١٩٨٩ ، ١٦٢ .

وانظر أيضاً : مصطفى خالد وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٣ .

(٤) انظر على سبيل المثال :

-Richard Nixon, Seiz the Moment : America : Challenge in a one - Super power World, Simon & Schuster, New York, 1992 .

-Francis Fukuyama (The End of History?) In The National Interest, Summer, 1989 . pp. 3-18 .

-Mortimer B. Zackerman, Beware of Religious Stalinists, In U.S News & World Report March, 1993 .

وهذا ما يؤكد واقع المسلمين في شتى أنحاء العالم ، حيث يتعرضون للإبادة في الهند وفي كشمير وفي الفلبين وسيريلانكا وكمبوديا ودول أوروبا الشرقية التي تحررت من الشيوعية فعادت إليها الصليبية ، وما يحدث الآن في البوسنة والهرسك^(١) . مثال واضح لما يراد بالمسلمين تحت سمع وبصر وتأييد النظام العالمي الجديد ، ولذا فإن الاهتمام بالوعى العسكرى الإسلامى يجب أن يتناول القضية في كليتها وفي عموم الواقع الإسلامى للمجتمعات الإسلامية في العالم ككل . إن وعى المجتمعات الإسلامية وقوتها المسلحة بعنواها على المستوى العالمى يمكن أن تسهم فيه الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، نظراً لأهمية هذه النظرة الشمولية لتعرف المجتمعات خطورة الانعزال والتفرق ، فليس معنى عدم المعاناة المباشرة والحالية لمجتمع ما أنه بعيد عما يحدث لغيره ، بل إن المسألة فروق في التوقيت وأولوية في شخطط العلو ، حسب استراتيجية شاملة أعد لها من فترات بعيدة ، والمناخ العالمى يسمح حالياً بما لم يسمح به من قبل .

٧- إن الحاجة إلى الوعى بالتربية العسكرية الإسلامية يمكن أن يفيد في مواجهة مظاهر اختلاف الجهاز المناعى في المجتمع والنوط به حماية المجتمع من أعدائه ، من هذه المظاهر الاعتقاد الخاطىء أن تقدم المجتمعات الإسلامية لن يتم إلا إذا تركت الإسلام وتخلت عنه كما فعلت أوروبا بتركها المسيحية وهو ما يطلق عليه العلمانية وما يستتبع لك من تغريب المجتمع ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ، بل إن الأخطر من ذلك ليس هو تبنى هذه الاتجاهات لصنفة المجتمع ومثقفيه كما سنشير إلى ذلك فيما بعد ، ولكن الأخطر اعتقاد هؤلاء الصنفوة والمسؤولين بأن الإسلام هو الخطر الذى يجب أن نحاربه ، وتبنى مفاهيم الغرب التى يصور

(١) الحديث عن البوسنة والهرسك لا شتمله صفحات هذا البحث ولكن يمكن الإشارة فقط إلى أحد جوانب الأسلوب الوحشى الذى يتبعه الصرب الأرثوذكس وهو اغتصاب النساء والفتيات المسلمات ، لما يمثله ذلك من تعصب دينى ، إذ يعرفون بأن الزنا محرم في الإسلام والزواج الشرعى لا يكون إلا لرجل مسلم ، والصرب يلجأون للاغتصاب الجماعى لإضعاف معنويات المقاتلين المسلمين وتحطيم المرأة المسلمة ويمكن الإشارة إلى بعض حالات الاغتصاب كما ذكرها الغريون أنفسهم في صحفهم ومجلاتهم وعلى سبيل المثال التقرير الذى نشرته النيوزويك ويقرر أن عدد اللاتى تعرضن للاغتصاب ما بين ٣٠,٠٠٠ ثلاثون ألفاً و ٥٠,٠٠٠ وخمسون ألفاً منهم فتيات ما بين ٦-٧ سنوات (ترجمة التقرير نشرته مجلة المجتمع الكويتية الذى نشرته النيويورك تايمز الأمريكية في منتصف ديسمبر ١٩٩٢ والذى يقدر عدد المغتصابات ب ٥٠,٠٠٠ خمسين ألفاً وأنه في تزايد كل يوم .

وانظر كذلك التقرير الذى رفعته الدبلوماسية أن ووروتون إلى المجموعة الأوربية وذكرت ضمن ما ذكرت بأن جرائم الاغتصاب التى ارتكبت في حق النساء والبوسنويات قد اتسمت بالسادية ، لإحداث أكبر قدر من الإذلال لمن (مجلة المجتمع الكويتي، ١٩ يناير ١٩٩٣ ، العدد ١٠٣٤ ، السنة ٢٣ ، ص ٢٧) .

الإسلام على أنه التطرف والأصولية ، وأنهما خطر على الحضارة الحديثة ، مثال لذلك تصريح وزير خارجية تونس السيد عبد الله الفلال الذي نشر على لسانه في ربيع ١٩٩١ . وقال فيه : (لقد تحدثت في مناسبات عديدة إلى بعض زملائي في فرنسا وإيطاليا وألمانيا والولايات المتحدة ، ولكني لم ألس لديهم للأسف إلماً كاملاً بخطورة الجماعات الأصولية، وقد ينت لزملائي الغربيين أن تلك الجماعات تهدف إلى هدم كل المبادئ التي تقوم عليها الحضارة الحالية)^(١) .

لذلك تصبح قضية الوعي بالذات وبالعدو من أهم عوامل تقوية الأجهزة المناعية ، الدفاعية في الجسم^(٢) . وعلى رأس هذه الأجهزة الدفاعية القوات المسلحة .

مبحث الثاني : الخدمة الاجتماعية الإسلامية في المجال العسكري :

حمية العمل مع القوات المسلحة وضرورة الوعي بواجبها الدفاعي في المجتمع :

ليس خافياً على أحد أهمية القوات المسلحة في أي بلد من بلدان العالم فالقوة المسلحة هي التي تترجم الأهداف السياسية والاقتصادية على مستوى العالم إلى واقع ، وهي تنقسم دول العالم إلى دول مُستعمِرة ودول مُستعمِرة ، وإلى دول تابعة وأخرى متبوعة ، والحروب العالمية هي التصادم العسكري والتي ينتج عنها إعادة تقسيم العالم ، وفق إرادة المنتصر ، ولقد ساعد على استمرارية التفوق للدول التي انتصرت ازدياد تفوقها في أجهزة الحرب وأدواتها ، خاصة من أسلحة الدمار الشامل والسريع ، واحتفاظها بسبق الضربة الأولى أو القدرة على إجهاضها .

إن تنامي القوة العسكرية للغرب وعجز الكثير من البلاد النامية عن اللحاق به ، أو القدرة على مواجهته واتساع الفجوة بين الضعيف والقوي ، أدى بالكثير من هذه الدول إلى

(١) فهمي هويدي : بيان تنصيب (العلو) الأصول ، مجلة المجلة ، العدد ٦٨٧ ، بتاريخ ١٣/٤/١٩٩٣ .

(٢) من المعروف أن جسم الإنسان قد زوده الله بجهاز للدفاع والحماية وللناعة يسمى (Defensive Mechanism) وهذا الجهاز وظيفته حماية الجسم من أي جسم غريب أو جرثومة تحاول غزوه والإضرار به ، ومن خصائصه أنه يستطيع أن يميز بين خلايا وأنسجة الجسم وغيرها من الأجسام الغريبة ، فيما يعرف بالذات وغيرها (Self or Non - Self) وفي بعض الأحيان يفقد هذا الجهاز المناعي قدرته على التمييز فيهاجم خلايا الجسم بنفس الأسلوب الذي يهاجم به الأجسام الغريبة ، فيفقد بذلك وظيفته الأساسية في الدفاع ، بل يبدأ في تدمير خلايا الجسم مؤدياً إلى ما يسمى (Auto Immune Diseases) وينشأ عن ذلك الكثير من الأمراض التي يصعب علاجها وتؤدي في الغالب إلى الوفاة .

حالة من الاستسلام واليأس والسير وفق إرادة القوة العالمية ، والرضوخ لكل ما تمليه إرادتها السياسية والاقتصادية والعسكرية .

والواقع الذي نعيشه يقتضى منا النظر بموضوعية إليه ، فلا نقلل من خطورته وأهميته، وفي نفس الوقت لانيأس من مقاومته والتغلب عليه يقول تعالى :
﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١) .

وأول الخطوات التي تبعدنا عن اليأس هي استقراء التاريخ لا للوقوف عنده والتغني بأجماده، بل لجرعة من الثقة ضرورية ، حيث يعلمنا التاريخ أن المسلمين سادوا العالم وقهروا الفرس والروم واجتاحوا أوروبا عندما كانت عقيدتهم صحيحة وإيمانهم بنصر الله كاملاً .

النقطة الأخرى التي يفيد فيها استقراء التاريخ هو الاستفادة من عوامل الضعف والاضلال التي تنشت في الدولة الإسلامية في مراحلها المختلفة ، خاصة في عملية المواجهة بين المسلمين والنصارى في الأندلس ولا بد أن نعي الدرس جيداً ، وأخطر ما فيه هو الولاء والبراء ، فعندما ولى حكام وملوك الأندلس من المسلمين غيرهم من نصارى أوروبا ووصل بهم الأمر إلى الاستعانة بهم ضد المسلمين لينتصروا بهم ، أملاً في الاستمرار في الحكم وهذا ما وصفناه من قبل "بضعف الجهاز المناعي في المجتمع" والذي لا يستطيع فيه أن يفرق بين ذاته وبين عدوه ، والنتيجة معروفة ، ولعل قول أم عبد الله الأحمر الذي كان آخر الملوك الذين أيد ملكهم في الأندلس عندما كان يكي ماضار إليه ملكه حيث قالت له :

".. ايك على ملك ضيعته كالنساء !! ولم تحفظه كالرجال" .

الخطوة التالية بعد ذلك هي واقنا المعاصر فعلى الرغم مما فيه من هوان للمسلمين ، إلا أن ملحمة النضال الإسلامى في أفغانستان يجب أن تعطى للمجتمعات الإسلامية الكثير من الثقة والأمل في نصر الله حيث نجد أن شعباً فقيراً متخلفاً ، معدماً ، لا يملك من أسباب الحضارة الحديثة شيئاً ، حتى حكومته كانت عميلة للنظام الشيوعى السوفيتى - تلك هى أفغانستان ، بدأت جهادها الإسلامى بوضع وعشرين رجلاً والعدو يملك الجيش الثانى في العالم ودفع بكل قواته في هذه الحرب ، ثم كانت نتيجة الحرب هي نصر الله لجنوده المجاهدين ، وكانت هزيمة الاتحاد السوفيتى أحد العوامل الهامة التى عجلت بانتهائه وتفككه إلى جمهوريات متفرقة ، إن تكوين وبناء الجهاز الدفاعى في المجتمع لا تستطيع الخدمة الاجتماعية التقليدية أن تسهم فيه ، إذ إنها حيادية تهتم بالجانب العلاجى وتقديم الخدمات

(١) سورة يوسف : آية ٨٧ .

الاجتماعية والاقتصادية بصورة مباشرة وعلى المستوى الفردي ، في حين أن الخدمة الاجتماعية الإسلامية تهتم بتنمية الوعي وبناء العقيدة الإسلامية الصحيحة عند الفرد والجماعة والمجتمع وهذا الجانب هو ما يحتاجه المجتمع الإسلامي في مواجهة عدوه .

ويمكن أن نتناول في الصفحات الباقية من هذا البحث الأسس والأهداف التي تقوم عليها الخدمة الاجتماعية الإسلامية في المجال العسكري .

الأسس التي تقوم عليها الخدمة الاجتماعية الإسلامية في المجال العسكري :

يمكن تحديد أسس الخدمة الاجتماعية الإسلامية في المجال العسكري على ضوء أحد أهداف الخدمة الاجتماعية الإسلامية^(١) وهو بناء الوعي الإسلامي ، ويمكن أن يكون المقصود به هنا هو بناء الوعي الإسلامي الصحيح الذي تقوم عليه العقيدة التتالية الصحيحة وذلك على مستوى القوات المسلحة ومستوى المجتمع ذاته ، وبناء الوعي الإسلامي الجهادي يقوم أساساً على العقيدة الإسلامية وقوامها التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى وإخلاص العبودية له . يقول الله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) ثم بعد ذلك عبادة الله كما أراد وشرع ، كما جاءت الرسالات والرسول ، يقول سبحانه ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكِتَابُهُ وَرَسُولُهُ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٣) .

والإيمان بالله وملائكته ورسوله هو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ سورة آل عمران آية ١٩ . ويقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤) .

والإسلام دين عبادات ومعاملات ، كل محدد في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ .

(١) انظر محمد أحمد عبد الهادي : الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٩-١٩٨٩ ، ص ٩-

(٢) سورة الناريات : الآية ٥٦ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٨٥-٢٨٦ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٨٥ .

فأساس الوعي الإسلامي الصحيح هو عقيدة صحيحة ، ولذلك يجب أن نوجه جهود الأخصائيين الاجتماعيين في القوات المسلحة لتكوين وصقل هذه العقيدة وتخليصها مما شابها من تحريف أو طمس حتى تعود واضحة جلية لأنها جوهر الإسلام ، وذروة سنام الإسلام هو الجهاد في سبيل الله .

ويرتبط بناء الوعي لدى المجتمع ولدى قواته المسلحة بالفهم الصحيح لمفهوم الجهاد وأسبابه وأساليبه وضوابطه على ضوء القرآن والسنة ، وهو ما يجب أن تتناوله برامج عمل الأخصائيين الاجتماعيين ولأهمية هذا المفهوم فيمكن أن نشير إليه باختصار ، على أن يستكمله القارئ في كتب الفقه المختلفة ، فالجهاد لفظ إسلامي لم يرد في أى نص جاهلي لا بمعنى الحرب ولا بمعنى القتال ولا بغيرها ، والجهاد لا يضاف له أى لفظ في المعنى الاصطلاحي فليس هناك جهاد مقدس أو جهاد مشروع ، وإنما هناك جهاد ، فالجهاد ديني خالص لا يستعمل إلا إذا كانت الشروط الواردة في الشريعة الغراء قد استوفيت حتى تكون الحرب مشروعة فعندئذ تكون الحرب جهاداً^(١) .

وجاء في كتاب السير الكبير - باب الجهاد - ما يوسع منه وما لا يسع (قال أبو حنيفة - رحمه الله - : الجهاد واجب على المسلمين إلا أنهم في سعة من ذلك حتى يحتاج إليهم... فإذا حصل المقصود ببعض سقط عن الباقيين ولهذا كان فرضاً على الكفاية... حتى لو اجتمعوا على تركه اشتركوا في المآثم وفي مثل هذا يجب على الإمام النظر للمسلمين ، لأنه منصوب لذلك نائباً عن جماعتهم فعليه ألا يعطل الثغور ، ولا يدع الدعاء إلى الدين وحث المسلمين على الجهاد ، وإذا ندب الناس إلى ذلك فعليهم ألا يعصوه بالامتناع عن الخروج ولا ينبغي أن يدع المشركين بغير دعوة إلى الإسلام أو إعطاء جزية إذا تمكن من ذلك لأن التكليف بحسب الوسع^(٢) .

ويرى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية^(٣) . أن الله لما بعث نبيه وأمره بدعوة الخلق إلى دينه ، لم يأذن له في قتل أحد على ذلك ولا قتاله حتى هاجر إلى المدينة فأذن له وللمسلمين بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ أَنْ يَمْلِكُنَا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ يَأْتِيَنَا بِنُحُوتِ الْكَافِرِينَ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ وَبَدَأَ الْفِتْنَةَ يَوْمَ أُتُوهُ بِالْمَسْكِ الْأَوَّلِ فَأَمَرْتُ النَّبِيَّ أَنْ يَمْلِكُنَا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ كَافٍ فَجَاءَنَا بِالْقُرْآنِ وَمَا هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُم بِهِ تُنذَرُونَ﴾ .

(١) ظافر القاسمي : الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٨٦ .

(٢) نقلاً عن المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٣) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : السياسة الشرعية ، الرئاسة العامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

الرياض ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ ، ص ٨٥ - ٨٧ .

ينصره إن الله لقوى عزيز* الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهؤا عن المنكر والله عاقبة الامور﴿١﴾ . ثم أنه بعد ذلك أوجب عليهم القتال بقوله : ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهؤا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبؤا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾﴿٢﴾ . والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر ، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان ، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة ومن الصلاة والتطوع والصوم ، كما دل عليه الكتاب والسنة حتى قال النبي ﷺ : "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد" ، وقال : "إن في الجنة لمائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله" متفق عليه . وقال : "من اغبرت قدما في سبيل الله حرمه الله على النار" رواه البخارى .

وفي الصحيحين "أن رجلاً قال : يا رسول الله أخبرنى بشيء يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : "لا تستطيع ؟ أخبرنى به قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم ولا تفطر ، وتقوم ولا تفتر ؟ قال : لا ، قال : فذلك الذى يعدل الجهاد" . وفي السنن أنه ﷺ قال : "أن لكل أمة سياحة ، وسياحة أمتى الجهاد في سبيل الله" .

أهداف الخدمة الاجتماعية العسكرية في المجتمع الإسلامى :

يمكن تحديد أهداف الخدمة الاجتماعية العسكرية في المجتمع الإسلامى على مستوى الممارسة في مستويين كل منهما مكمل للآخر :

- الأول : هو العمل مع القوات المسلحة .
- الثانى : هو العمل المجتمعى على مستوى المجتمع المحلى أو المجتمع بصفة عامة إن تيسر لها ذلك .

وسنحاول أن نتناول هذين المستويين بشيء من التفصيل فيما يلى :

أولاً : أهداف العمل مع القوات المسلحة :

ذكرنا من قبل أن الخدمة الاجتماعية التقليدية قد ضربت بجذورها في القوات المسلحة في دول كثيرة وأصبح لها وظيفة لا يمكن الاستغناء عنها ، وخاصة في مجالات العلاج الاجتماعى وإعادة التكيف للأفراد داخل القوات المسلحة أو العمل في المستشفيات العسكرية.. وغير ذلك إلا أن الخدمة الاجتماعية الإسلامية ذات المفهوم القائم على بناء الوعي الإسلامى والتنمية الذاتية يمكن أن يكون لها دور أكثر فائدة في المجتمعات الإسلامية ،

(١) سورة الحج : الآيات ٣٩-٤١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٦ .

ذلك أن الإسلام يمثل عقيدة المجتمع ومنهجه وله تواجده في كافة النظم الاجتماعية الموجودة على عكس المجتمعات الغربية .

وإذا كان من المقبول في المجتمعات الغربية فصل الدين عن الدولة وغيابه في منظمات المجتمع خاصة العسكرية ، فإنه من غير المقبول أن تكون ذات النظرة هي السائدة في المجتمع الإسلامي .

ويمكن أن نحدد أهداف الخدمة الاجتماعية الإسلامية على مستويين :

أ- المستوى العلاجي .

ب- المستوى الوقائي والتموي .

أ- المستوى العلاجي :

وهو تطوير الدور القائم في المجالات العلاجية المختلفة سواء حالات إعادة التكييف للفرد داخل القوات المسلحة أو في العمل مع المرضى والمصابين في المستشفيات ، ويكون التطور قائماً على أساس المنظور الإسلامي في العلاج ذلك لجلدواه وأثره بالنسبة للمسلم ، ويمكن توضيح ذلك في أحد المواقف المبدئية التي تواجه أى من يلتحق بالقوات المسلحة ، فالتجنيد للقوات المسلحة في بعض البلاد الإسلامية يكون تجنيداً إجبارياً ، ويراها بعض الشباب فترة عقابية يحسب لها حساباتها المختلفة ويعد العدة للهروب منها والتخلف عنها إن أمكن ، فإذا أتيح له ذلك كان بها ونعمت ، وإن لم يتح له عدم الدخول ، هذا ما يتم في الغالب فإنه يبدأ في السعى والوساطة للهروب من الموقف بالنسبة له عن طريق الوساطة لاختيار سلاح معين والتحايل أطول فترة ممكنة . ولذا فإن استخدام المدخل الإسلامي مع هؤلاء له أهميته القصوى لأنه يغير نظرتهم السلبية نحو القوات المسلحة ويحول سخطه ومقاومته إلى رضى بما قسمه الله له وتفهم لدوره الجهادي ويكون ذلك بالآتي :

١- أن وجود القوات المسلحة يمكن أن يتحول من وجود شكلي إلى وجود إيماني لأنه في رباط لأن الرسول ﷺ يقول : ((عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)).

٢- إن الإحساس والوعى بقيمة القوات المسلحة في الإسلام ينمى لديهم الشعور بالمسؤولية وبالواجب المقدس وهو القتال في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا .

٣- إن الإسلام يتطلب من المسلم الصبر على المكاره والابتلاء بحيث يكون ذلك في سبيل الله ، لما ينتظر الصابرين من نعيم في الآخرة .

٤- وعلى مستوى الإصابة أو فقدان عضو نتيجة للعمليات العسكرية فإنه لا يوجد مادياً ما يعرض به الجندي عما فقده ، وتظل نغمته قائمة وسخطه على النظام

العسكري الذى أدى به إلى ما هو فيه من عجز ، إلا أن المدخل الإسلامى هو بفضل الله الذى يعث في نفسه السكينة انتظاراً لثواب أكبر من الله سبحانه وتعالى في الآخرة.

وبالنسبة لأسر الشهداء الذين استشهدوا في المعارك لا يوجد أى عوض مادي ولكن العرض الحقيقي عند الله ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾ (١).

ب- المستوى الوقائى والتموى :

يقصد هنا بالمستوى الوقائى والتموى تنمية الوعي لدى الجندى بأهمية وجوده في القوات المسلحة ، وبقيمة العمل الذى يؤديه في الدنيا والآخرة ، وهو حينما يطمئن إلى أن له هدفاً عظيماً يرضى عقيدته فإن قدراته وإمكانياته ستطلق في الاتجاه الصحيح .

والخدمة الاجتماعية الإسلامية يمكن أن تقدم البرامج والأنشطة في الاتجاه الذى يخدم هذه الأهداف مثل :

١- التعريف بالعدو :

كانت هناك برامج للتوعية منذ فترة في القوات المسلحة بعنوان (اعرف عدوك) وهذه البرامج يجب أن تعاد إلى الوجود بالشكل الإسلامى الصحيح ، فمعرفة العدو لا يمكن أن تتم إلا من خلال الفهم الصحيح للقرآن والسنة ، ولا بد أن تمتد لتبدأ من بداية الإسلام مروراً بالحرب الصليبية وانتهاء بما نحن فيه من تأمر يهودى صليبي على الإسلام ، ولا بد من معرفة الصور التى يتلون بها هذا العدو وطبيعة أهدافه ووسائله .

ويمكن أن يستخدم الأخصائى الاجتماعى في القوات المسلحة الأدوات التالية لتحقيق هذا الهدف :

- الندوات والمحاضرات ويختار لها أفضل العلماء من ذوى العقيدة الصحيحة والرأى الصادق .
- النشرات والكتب التى تحوى معارف ودراسات مبسطة وحقيقية عن العدو وتاريخه ضد المسلمين .
- صحائف الحائط في المعسكرات التى يكتبها الجنود والضباط في هذا الاتجاه .
- كل الوسائل التى تجدد الوعي بالتاريخ الإسلامى وبطولات المسلمين ضد أعداء الإسلام.

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٧ .

٢- الالتزام بالقيم والسلوك الإسلامي :

يجب أن تستثمر فترة وجود الجندي في القوات المسلحة في غرس الإسلام الصحيح لديه بتعويده على أسس الحياة الإسلامية من حب الجماعة والصلاة في أوقاتها وصلاة الجماعة والتحيب في النوافل وفي صيام بعض أيام الشهر تطوعاً ، والتأكيد على الصدق في القول والشجاعة في إبداء الرأي ، إضافة إلى التشجيع على حفظ القرآن الكريم أو بعض أجزائه ويمكن أن يستخدم الأخصائي الاجتماعي في هذا الاتجاه الأدوات الآتية :

- إقامة المسابقات التي تشجع على حفظ القرآن الكريم أو أجزاء منه وكذلك حفظ وفهم بعض الأحاديث النبوية الشريفة .

- وضع حوافز للفائزين تتمثل في الحج أو العمرة .

- تيسير فرص الحج والعمرة لأبناء القوات المسلحة ، ويمكن البحث عن وسائل رخيصة كالحج بالطريق البري مثلاً ، لزيادة عدد المستفيدين .

- الاهتمام بالنشاط الجماعي من خلال جماعات للنشاط الثقافي والفني والذي يسير في الاتجاه الإسلامي ويعت على المنافسة والنمو .

- الاهتمام بالنشاط الترويحي الذي يقوى أواصر العلاقات الإسلامية بين الجنود وبعضهم البعض وبين الجنود والضباط في الإطار الذي يقلل من الفجوة الطبقية بين الجنود والضباط ، وفي نفس الوقت يحفظ للضباط وجودهم القيادي حتى لا تختل الجوانب التنظيمية والإدارية التي تسير عليها المنظمة العسكرية .

الاهتمام بأسس القيادة الإسلامية الصحيحة والتبعية المخلصة دون قهر ، بل التزاماً بما أوجبه الإسلام على القائد والجندي .

ثانياً : أهداف الخدمة الاجتماعية الإسلامية العسكرية على مستوى المجتمع :

أ - مواجهة وعلاج آثار التغريب في المجتمع :

للخدمة الاجتماعية التقليدية دور واضح في تثقيف الجماهير وزيادة وعيهم بمشكلاتهم الاجتماعية وبقدراتهم من أجل التغلب على هذه المشكلات ، وتهتم طريقة تنظيم المجتمع بصفة خاصة بهذا الهدف ولها أساليبها وأدواتها من أجل تشجيع مشاركة المواطنين بعد توعيتهم واستشارتهم - نحو الحركة الإيجابية في هذا الاتجاه ، والتربية العسكرية الإسلامية تعتبر هدفاً مجتمعياً ومؤسسياً في نفس الوقت فهي هدف يجب أن يهيئ المجتمع له ، ويكون ذلك على مستوى المجتمع كله ، خاصة بعد غياب هذا المفهوم عن المجتمع وانصرافه عنه لعقود زمنية طويلة ، صاحبها هزيمة وتفكك في النظم الاجتماعية وأخذ بالنظم

الاجتماعية الغربية وهى ظاهرة يفسرها ابن خلدون في مقدمته بأن المغلوب مولع بتقليد الغالب ، وهذه الظواهر التغريبية ، كان لها آثارها على مستوى المجتمع ككل ولعل من أخطرها إفرازه لقيادات فكرية تبوأ مواقع قيادية مؤثرة في المجتمع في ظل الاستعمار حيث وجهت المجتمع من خلال نظمه التعليمية والاجتماعية والثقافية وجهة غربية فكانت ترى بأن حتمية التقدم والتطور لا يتم إلا من الغرب وبنفس قيمه وأساليه ومن هؤلاء طه حسين^(١) أحمد لطفى السيد . وحفلت الصحافة التى تصنع وتوجه رأى العام بعناصر غربية خطيرة من أمثال سلامة موسى وغيره .

ولقد كان من خطورة هذا الاتجاه التغريبى هو تأثير القوات المسلحة في الكثير من البلاد العربية والإسلامية بالنموذج الغربى وبطرح الإسلام جانباً في الكثير منها ، وشاء الله أن تبوأ الكثير من قيادات القوات المسلحة الحكم في هذه البلاد فأصبحت هناك فجوة قائمة بين تربيتهم وإعدادهم العسكرى بالمفهوم الغربى وقلة فهمهم للكثير من الأمور الدينية والمدنية ، إضافة إلى أنهم لم يجلبوا نموذجاً عسكرياً أو اجتماعياً إسلامياً جاهزاً من الأمور للتطبيق ، ولم يسعوا إلى ذلك مما ساعد على اتساع الهوة بين الاتجاهين ، واستثمر الاستعمار الغربى الفرصة مرة أخرى للوقعة بين الاتجاهين وتخويف هؤلاء بهؤلاء .

(١) أشرنا من قبل في كتاب الخلعة الاجتماعية الإسلامية إلى اتجاهات طه حسين التغريبية حيث توحد مع الثقافة الغربية وحمل لواعها وكانت خطورته أنه تولى مراكز ثقافية مؤثرة في المجتمع مثل وزارة المعارف إضافة إلى كونه حيث أصدر كتابه (الشعر الجاهلى) والذي صدر عام ١٩٢٦ ويدعو فيه إلى هدم التدين . وأثار منذ ظهوره ضجة هائلة في الصحف وفي المجلس النيابى . وتناولت السلطات القضائية مؤلفه بالتحقيق وجمعت نسخه من الأسواق حتى لا يتداولها الناس بعد أن ألقاه صاحبه على طلبة السنة الأولى في كلية الآداب . والكتاب مقسم إلى ثلاثة فصول آخرها الفصل الأول الذى يوضح منهجه في بحث الأدب الأبواب وهو أكثر إثارة . ولذلك اضطر صاحبه إلى إسقاطه ، أو إسقاط أكثره عندما طبع الكتاب باسم (من الأدب الجاهلى) وأعقب هذا بكتابه عن (مستقبل الثقافة في مصر) وهى دعوة كاملة إلى التغريب حيث يرى بأن سبيل النهضة (واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا تنواء ، وهى : أن نسبر سبز الأوربيين ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يجب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب) وهو شبيه بقول (أغا أوغلي أحمد) أحد غلاة الكمالين من الترك في أحد كتبه (إنا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين ، حتى الاتهابات التى في رثتهم والنجاسات التى في أمعائهم) .

وكنلك آراء سلامة موسى وكتابه (اليوم وغداً) والذي يدعو فيه صراحة وبكل سفور لمعاداة الدين ونبذ ويدعو فيه إلى إبطال شريعة الإسلام في تعدد الأزواج والطلاق وللعاقبة بالسجن لكل من يتزوج أكثر من امرأة ويمنع الطلاق إلا بحكم المحكمة ويدعو إلى إلغاء الأوقاف والأزهر الذى يثيتنا ثقافة القرون المظلمة ويسخر من المشايخ وطريقة لباسهم للحجة والقفطان ويهزأ بطريقتهم في الرضوء) . ولزيد من التفاصيل انظر الاتجاهات الوطنية لمحمد محمد حسين ، ص ٢٢١-٢٤٢ .

٥- في المجتمعات ذات الأقلية المسلمة والتي يواجه المسلمون فيها ظلماً يصل إلى حد التصفية الجسدية تحت مسمى (التصفية العرقية) ، كما يحدث للمسلمين في يوغوسلافيا السابقة وفي جمهوريات شرقى أوربا - الاتحاد السوفيتى سابقاً - وفي الهند وكشمير والفلبين وبورما وسيرى لانكا وغيرها من الدول التى يعانى فيها المسلمون الاضطهاد بصورة مختلفة، فإن استراتيجية الضغط والجهاد في سبيل الله بالقوة الدفاعية هي الاستراتيجية المناسبة بل والحتمية ، ويمكن أن يكون للخدمة الاجتماعية دور أساس في تنظيمهم وفي التوعية بالجهاد في سبيل الله وأهميته والدعوة إليه وجمع المال والإعلام المحلى والدولى لمناصرتهم ، وفي رعاية أسرهم وفي الحث على التطوع وتهيئة المتطوعين للعمل القتالى بتمية عقيدتهم وبث روح الجهاد الإسلامى فيهم باستخدام الأدوات والأساليب المهنية وتوظيفها في تحقيق هذه الأهداف .

المبحث الثالث : دور طرق الخدمة الاجتماعية في تنمية الوعي العسكرى

على المستوى المجتمعى :

أولاً : طريقة خدمة الفرد :

إذا تناولنا دور الخدمة الاجتماعية على مستوى الطرق فإننا نجد أن طريقة خدمة الفرد ، ربما تكون أقل هذه الطرق على مستوى تنمية الوعي الجهادى من الناحية الكمية ، ومن ناحية العمل المباشر في هذا الاتجاه حيث إننا نعلم بأن طريقة خدمة الفرد طريقة علاجية أكثر منها وقائية وتعمل مع حالات فردية وإذا عملت بطريقة جماعية فيما يطلق عليه (خدمة الفرد الجماعية) فإنها أيضاً تتم بطريقة علاجية ، ومن هنا فإن دورها سيكون أكثر أهمية عند الحديث عن الجزء الثانى من أهداف الخدمة الاجتماعية الإسلامية وهو الخاص بالبرنامج والخدمات التى يمكن أن تسهم بها الخدمة الاجتماعية في المجال العسكرى .

إلا أن هناك جانباً على درجة كبيرة من الأهمية يمكن أن تقوم به خدمة الفرد ، حيث هى الطريقة المؤهلة للعمل مع الأسرة لمساعدتها على مواجهة مشكلاتها الاجتماعية ، وهنا سنتكلم عن جانب تكوين الوعي الجهادى لدى الأسرة ويمكن أن يتم ذلك في إطار بناء الوعي الإسلامى الصحيح وتنمية العقيدة الإسلامية ، التى تعتبر أساس أى نشاط أو جهد إسلامى ، وخدمة الفرد يمكن أن تقوم بدور في تصحيح التوجيه الإسلامى لدى الأسرة والاطمئنان إلى سلامة العقيدة ووضوحها وخلوها مما قد يشوبها من شريكات وعادات اجتماعية بعيدة عن الإسلام ، وتأتى هذه عن طريق الدراسة الاجتماعية للأسرة ثم وضع خطة العلاج مع الاستفادة من العلماء والدعاة في ذلك ما أمكن .

ويجب الاهتمام بالأم وبأهمية دورها في الأسرة المسلمة خاصة فيما يتصل بتربية الأبناء ، ويمكن هنا أن توجه وتساعد في الآتي :

١- تدريب الأطفال على القيام بواجبات الدين من صلاة وصيام حسب المرحلة السنية المناسبة لتعويدهم على الطاعة والتحمل والصبر .

٢- أن تغرس في نفوس الأبناء وعياً بأن هناك أعداء للإسلام هم الكفار والمشركون، وأن تضرب لهم الأمثلة على عدائهم للإسلام وحبهم للشرسة ، وأن تستثمر ما تبثه وسائل الإعلام عن حرب المشركين والكفار للمسلمين كما يحدث في البوسنة والهرسك والهند وكشمير والفلبين . . وغيرها .

٣- أن تروى لهم قصص البطولة في الإسلام خاصة ما يمثّلهم في السن فعلى سبيل المثال : أن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقاتل في معركة بدر وكان على يمينه ويساره فتیان عمر كل منهما لا يزيد على أربعة عشر عاماً وسألاه أن يصف لهما أبا جهل لأنهما عزما على قتله ، وقد قتلاه فعلاً وقالاً ذلك لرسول الله ﷺ .

٤- تربية الفتاة المسلمة أيضاً على حب الجهاد في سبيل الله والإنفاق في سبيل الله ، وعلى دورها المتوقع في المستقبل كأم مسلمة ، وذلك عن طريق الأمثلة من سيرة المسلمات فهناك أسماء بنت أبي بكر ودورها مع رسول الله ﷺ ومع أيها عندما هاجرا وكانت تحمل لهما الغذاء في غار ثور وسميت بذات المطاقين ، ثم بعد ذلك تربيتهما لابنتها عبد الله بن الزبير وكيف شجعتة على الجهاد وقول كلمة الحق حين قال لها أخشى أن يمثل بي الحجاج بعد قتلى فقالت : ماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها !! وحينما تم ذلك وطلب لقاءها الحجاج ليتشفى فيها ، قالت له : (رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك..) وكذلك الخنساء وفرحها باستشهاد أبنائها.. وغير ذلك .

٥- غرس قيمة وأهمية الشهادة في سبيل الله ، وبأن الإسلام دين جهاد ونضال واختبار وابتلاء من أجل هدف سام وعظيم وهو الجنة ، وبأهمية العمل لما بعد الموت حتى لا يشتغل الناس بأمور دنياهم على حساب آخرتهم .

٦- توعية الأم بأهمية مناهضة (التغريب) الذي يتغلغل في الأسرة عن طريق المحاكاة في الملبس وفي طريقة الحياة الاجتماعية ، كالاختلاط والذهاب إلى المصايف ونزول البحر... وغير ذلك من صور التغريب الاجتماعي .

٧- توعية الأم وإرشادها إلى أساليب الاهتمام بتحفيظ أولادها قدر ما من القرآن الكريم مع حسن التجويد ، والاهتمام بإرسالهم إلى المسجد لتحقيق هذا الغرض والمداومة على صلاة الجماعة في المسجد والنوافل في المنزل . ولبعض المجتمعات الخيرية بالملكة العربية

والخدمة الاجتماعية الإسلامية في تشخيصها لمشكلات المجتمع يجب أن تهتم بهذه الجذور المريضة والتي أدت إلى الكثير من الأمراض الاجتماعية ومن أخطرها فقد (الهوية الإسلامية).

ب- الوعي بالتربية العسكرية الإسلامية :

إن إيجاد الوعي المجتمعي بالتربية العسكرية الإسلامية يحتاج إلى جهود في المجال التعليمي بمستوياته المختلفة ، وهذا يقتضى مناهج سليمة تهتم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة وتهتم بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وإبراز دور المجاهدين والتركيز على فترات ازدهار الحكم الإسلامي وليس على التاريخ الفرعوني أو ألف ليلة وليلة ، إضافة إلى الحاجة إلى جهود الإعلام والصحافة - في المجتمعات - والتي لا يخفى حالها على أحد حيث يسير في عكس اتجاه الوعي العسكري ولعل ما صرنا إليه ينبغي إلى قول صمويل زويمر في خطبته التي أشرنا إليها من قبل عام ١٩٣٥ . حيث يقول مخاطباً المنصرين : ((إنكم أعددتكم بوسائلكم الخاصة جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد .. إنكم أعددتكم نشأاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار ، لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا تبرأ أسمنى المراكز فقي سبيل الشهوات يجرى بكل شيء في سبيلها ... إن مهمتكم تتم على أكمل وجه) .

ج- التوجه والاهتمام المهني :

إن ما ذكرنا من مواجهة آثار التغريب في المجتمع قد يطرح على مستوى التنظيم والممارسة إحدى القضايا الهامة في الخدمة الاجتماعية والتي أشرنا إليها من قبل وهي قضية (الحياة المهنية) ، وقد تكون هذه هي المرة الأولى التي تطرح فيها هذه القضية - مجرد طرح - لكنها حسمت منذ أكثر من ربع قرن في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث ظهر - في الستينيات كاستجابة للظروف الاجتماعية والثقافية في ذلك الوقت نتيجة لثورة الفقراء والزواج من أجل العدالة الاجتماعية ومناهضة التفرقة العنصرية والحرب الفيتنامية - ما جعل القائمين على أمر الخدمة الاجتماعية يقطعون برأى ، إما الانحياز للمضطهدين والمظلومين ومناصرتهم ، وإما البقاء بعيداً عن هذا الاتجاه وذلك يعني تخليهم عن عملائهم وأصحاب الحاجة إلى جهودهم المهنية .

وظهر اتجاه مناصرة المظلومين والدفاع عن قضاياهم (Advocacy) وتنظيمهم من أجل الحصول على حقوقهم عن طريق مسمى باستراتيجية الضغط أو القوة وتكتيكات متعددة تبدأ من التفاوض وتنتهي باستخدام القوة وظهرت أدوات للمنظم الاجتماعي هذا الدور مثل دور المناصر والمدافع والمثير وغيرها .

ونحن نرى أن الخدمة الاجتماعية كمهنة لا يمكن لها أن تثبت وجودها في المجتمع إلا إذا تبنت قضاياها ودافعت عن حقوق عملائها ، ونرى أن تطور المهنة يأتي بممارسة الاتجاهات الحديثة في الخدمة الاجتماعية كالدفاع والمناصرة ، مع تقييم ما تسفر عنه الممارسة في هذا الاتجاه ، كما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية . وفي نفس الوقت نرى بأن هناك الكثير من الظروف الموضوعية التي تعوق الأخذ بهذا الاتجاه حالياً ومنها :

١- أن حرية الممارسة للمهنة ترتبط بطبيعة النظام السياسي والاجتماعي القائم في هذا المجتمع ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية يسمح النظام والدستور بالاختلاف والتعدد في الرأي والفكر والحياة ، على عكس الدول النامية التي ترى الحرية من جانب واحد فقط وهو جانب (السلطة) وأن الاتجاه لتعدد الآراء وحرية التنظيمات السياسية والاجتماعية سيجلب الفوضى ويهدد نظمها .

٢- أن قوة الخدمة الاجتماعية في المجتمع ترتبط بقوة تنظيماتها المهنية وبقدرتها على الدفاع عن المهنيين وحماية حقهم في العمل لاجتماعي طالما أن هناك مبرراً علمياً ونظرياً ، طالما أن عملها سيفيد من الفئات الاجتماعية في المجتمع . والواقع أن التنظيم المهني للاجتماعيين في الدول النامية يأتي في مؤخرة التنظيمات والنقابات المهنية الأخرى حيث تسبقها التنظيمات النقابية المختلفة في القوة والتأثير بل وفي التصدي لقضايا هي من صميم عمل الأخصائيين كمواجهة الزلازل والكوارث والإغاثة ، إضافة إلى تأكيد وجودهم في مجال العمل السياسي .

٣- أن هذه المعوقات يمكن النظر إليها من زاوية أخرى على أنها معوقات تواجه الخدمة الاجتماعية المنطلقة من منطلقات دينية كالخدمة الكاثوليكية أو الخدمة الاجتماعية البروتستانتية فإنها تأخذ العمل المهني من منظور ديني وعقائدي ، وهذا ما يمكن أن ينسحب على الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، فلا يمكن تصور الأخصائي الاجتماعي المسلم شخصاً حيادياً وكأن أمر دينه لا يعنيه ، خاصة وأن الإسلام دين ودولة ونظام اجتماعي متكامل سياسياً واقتصادياً ودينياً ، وأن الدعوة إليه والالتزام به فيه صلاح المجتمع الذي هو هدف الخدمة الاجتماعية في أي نظام .

٤- أن قضية التزنية العسكرية الإسلامية قضية تهم المجتمع ككل من حيث هو مجتمع مسلم ولا تهم طبقة أو فئة أو أقلية اجتماعية . وإذا كان المجتمع دستوره الرسمي ونظامه يعتبر الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع فإنه بحاجة إلى إستراتيجية الضغط في تبني قضية الجهاد في سبيل الله ، بل إن إستراتيجية الإقناع هي الأكثر جدوى بل هي التي تناسب تكون الوعي وتنميته من خلال عرض الفكرة وأهميتها على القيادات وال جماهير من خلال رسائل التوعية من صحف أو مجلات أو ندوات ومحاضرات ، ويتيح تعدد الصحف حزبية كانت أو حكومية إمكانية تحقيق هذا الوعي .

السعودية دور ممتاز في هذا المجال حيث تشجع الأسرة على الانتماء إلى المسجد وتهتم بالأم وأولادها .

٨ - تحاول الأم أن تكسب الطفل بعض القيم الإسلامية منذ الصغر كالإنفاق في سبيل الله خاصة تقديم العون المادي للشعوب التي يحارب فيها الإسلام .

٩ - أن يحفظ الأطفال بعض الأناشيد التي تدعو إلى الجهاد في سبيل الله وترغب في الشهادة وقد كثرت هذه الأناشيد في أيامنا هذه وذاع استعمالها على أشرطة (كاسيت) بإنشاد وصوت محبب إلى نفوس الأطفال^(١) .

ثانياً : طريقة خدمة الجماعة وتنمية الوعي العسكري :

تعتبر طريقة خدمة الجماعة من أهم الطرق التي يمكن استخدامها في تكوين التربية الجهادية والعسكرية الإسلامية .

وطريقة خدمة الجماعة حالياً ذات طابع تربوي ووقائي أكثر منه علاجي ، ولذا فإنه يمكن الاستفادة منها وتوجيهها لتحقيق التربية والتنشئة الجهادية والعسكرية ، خاصة العمل في المجال المدرسي وفي مجال رعاية الشباب وغيرها .

أ- الأسس والمبادئ التي يجب أن تهتم بها طريقة خدمة الجماعة :

١- تكوين العقيدة الإسلامية :

يجب أن تقوم برامج وممارسات طريقة خدمة الجماعة في هذا الاتجاه على أسس إسلامية تكون هي محور كافة البرامج والأنشطة الجماعية ، بهدف تكوين العقيدة الإسلامية الصحيحة وتنمية الوعي الإسلامي على ضوء تلك العقيدة . وأن يعرف أعضاء الجماعات بالتربية العلمية حقيقة التوحيد لله وإفراده بالربوبية ، وأن يرسخ هذا في وجدانهم من الصغر ، إن عرض تاريخ بعض الصحابة كبلال بن رباح وعمار بن ياسر وغيرهما وتعذيب المشركين لهم حتى ينطقوا بكلمة الشرك ويكفروا بوحدانية الله ، ولم تفلح كل صور التعذيب في إرغامهم على ذلك بل إن في قصة (الرجيع) وتذكير الأعضاء بها ما يقوى عقيدتهم وأصل قصة (الرجيع)^(٢) . هذه أن وفداً من قبائل (عضل والقارة) قدم على رسول الله يذكر أن أنباء الإسلام قد وصلت إليهم ، وأنهم يحتاجون إلى رجال يعلمونهم الدين ويقرئونهم القرآن ، فأرسل النبي معهم رهطاً من الدعاة يرأسهم (عاصم بن ثابت) فانطلق

(1) Donald Brieland, History and Evalution of social work, NASW . 1987. P 43 .

(٢) محمد الغزالي : فقه السيرة ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٢/١٤٠٢ ، ط ٨ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

الجميع حتى إذا كانوا بين (عسفان) و (مكة) قريباً من مياه (هذيل) شعر الدعاة بأن أصحابهم غدروا بهم واستصرخوا هذيلاً عليهم ، وفزع الدعاة إلى أسلحتهم يقاتلون الغادرين ومن أعانهم من قبيلة هذيل وماذا يجدى : قتال نفر يعدون على الأصابع لنحو مائة من الرماة ورائعهم قومهم يشدون أزهرهم ؟ لذلك لم يلبث عاصم وصنجه أن قتلوا ، واستسلم للأسر منهم ثلاثة نفر (خبيب) و (زيد بن الدثنة) و (عبد الله بن طارق) فاسترقهم الهذليون وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوه بها ، ومعنى بيعهم بمكة تسليمهم للقتلة المتربصين ، فإن أولئك النفر من الرجال الذين قاتلوا مع رسول الله - ﷺ - فى (بدر) و (أحد) ولأهل مكة لديهم ثارات يودون الاشتفاء منها وقد حاول عبد الله الإفلات من هذا المصير فقتل وأما (خبيب) و (زيد) فأخذهما أهل قريش ليقتلونهما أخذاً بثأرهم القديم .

فأما زيد فابتاعه صفوان بن أمية لقتله بأبيه ولما خرجوا به من الحرم اجتمع رهط من قريش - منهم أبو سفيان بن حرب - فقال له أبو سفيان - حين قدم ليقتل - أنشدك يا الله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت فى أهلك ؟ فقال : ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس فى أهلى .. فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ، ثم قتل (زيد) .

وأما خبيب فقد اشتراه عقبة بن الحارث ليقتله بأبيه فلما خرجوا (بخبيب) من الحرم ليصلبوه قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة . فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بديداً ، ولا تغادر منهم أحداً . رواه البخارى فى صحيحه وأحمد .

الابتلاء والتضحية :

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿ (١) ﴾ .

يجب أن يرسخ فى وجدان المسلم منذ الصغر أن الإسلام دين وعمل وجهاد وأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وأن سلعة الله غالية وهى الجنة ويحتاج من يصل إليها أن يقدم فى الدنيا ما يؤهله للوصول إليها ، ولنا فى رسول الله - ﷺ - القدوة

(١) سورة العنكبوت : الآية ١ : ٣ .

والمثل ، يقول محمد الغزالي^(١) . (.. ما كان محمد - ﷺ - رجل خيال يتيه في مذاهبه ثم يبنى حياته ودعوته على الخرافة ، بل كان رجل حقائق يصبر بعيداً كما يصبر قريباً ، فإذا أراد شيئاً هياً له أسبابه وبذل في تهيئتها - على ضوء الواقع المر - أقصى ما في طاقته من قدر وجهد ، وما فكر قط ولا فكر أحد من صحابته أن السماء تسعى له حيث يقعد ، أو تنشط له حيث يكسل ، أو تحتاط له حيث يفرط ، ولم تكن خوارق العادات ونواقض الأسباب والمسببات أساساً ولا طلاء في بناء رجل عظيم أو أمة عظيمة .. إنهم تعبوا أكثر مما تعب أعداؤهم ، وحملوا المغارم الباهظة في سبيل ربهم فكانوا في ميدان تنازع البقاء أولى بالرسوخ والتمكين .. قال الله لرسوله ﷺ ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ، وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ تَغْلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مِيلَةً وَاحِدَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ سورة النساء آية ١٠٢ .

بل إن ما حدث للمسلمين من متخاطعة عامة اضطر الرسول - ﷺ - إلى الاحتباس في شعب بني هاشم وانحاز إليهم بنو عبد المطلب كافرهم ومؤمنهم على سواء ، عدا أبي لهب فقد آزر قريشاً في خصومتها لقومه ، حيث تمخض حقد المشركين عن عقد معاهدة تعتبر المسلمين ومن يرض بدينهم أو يعطف عليهم أو يحمي أحداً منهم حزباً واحداً دون سائر الناس ، ثم اتفقوا ألا يبيعوا أو يتساعوا منهم وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توكيداً لنصوصها .. قال السهيلي : كانت الصحابة إذا قدمت إلى مكة يأتي أحداهم السوق ليشتري من الطعام قوتاً لعياله فيقوم أبو لهب فيقول : يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد - ﷺ - حتى لا يدركوا معكم شيئاً . وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فأنا ضامن لا نخسار عليكم فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يتصاغرون من الجوع وليس في يده شيء يطعمهم به ويغلو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرياً .. كم بقيت هذه الضائقة ؟ ثلاث سنين كالحلة ، كان رباط الإيمان وحده هو الذي يمسك القلوب ويصبر على البلاء .

(١) محمد الغزالي : المرجع السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون﴾ (١) .

وحياة الرسول ﷺ كلها جهاد وتضحية وصبر على الابتلاء ويكفى في مجال الجهاد والحرب أن الفترة التي قضاها في المدينة وهي عشر سنوات حفلت بتسع عشر غزوة . فعن بريده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة قاتل ثمان منهن» (٢) .

٢- الاستعداد والتأهب للجهاد أما النصر فهو من عند الله :

يقول تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ (٣) .

يرى الغزالي (٤) . بأنه ما من أيام القتال فيهن أوجب على المسلمين من أيام يهدد فيها الإسلام وآله بالفناء وتتألب عليه شتى القوى ، بل يصطالح ضده الخصوم الألداء ، محاولين سنحه إلى الأبد وقد وقع ذلك في صدر الإسلام ، قبل الهجرة وبعدها ووقع في هذه الأيام ، فسقطت أوطان الإسلام في أيدي لصوص الأرض ، ثم رسمت أنحبث السياسات للذهاب به رويداً رويداً ، وكيف تستغرب الدعوة إلى التسليح والإهابة بأهل النجدة أن يوطنوا أنفسهم على التضحية في سبيل الله ؟ وكيف تستنكر صناعة الموت في أمة يتواثب حولها الجزارون من كل فج ؟ وتمشياً مع توجيه الوحي وسياسة الواقع ، وحفاظاً على حق الله وحق الحياة درب النبي ﷺ رجاله على فنون الحرب واشترك معهم في التمارين والمناورات والمعارك .. عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ألا إن القوة هي الرمي.. (٥) . والرمي أعم من أن يكون بالسهم أو بالرصاص أو بالقنابل ، وعن فقيم اللحى (٦) . قال قلت لعقبة بن عامر : تختلف بين هذين الغرضين -تردد بينهما- وأنت شيخ كبير يشق عليه.

(١) سورة هود : الآية ١٦ .

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذرى : تحقيق محمد ناصر الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٢١ ، ط ٢ ، ص ٣٢٠ .

(٣) سورة الأنفال : آية ٦٠ .

(٤) محمد الغزالي ، المرجع السابق ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ولاحظ أنه قد كتب ذلك قبل مأساة البوستان والمهرسك وقبل ما يحدث في الهند وكشمير ودول الاتحاد السوفيتي .

(٥) حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد .

(٦) حديث صحيح أخرجه مسلم ..

قال عقبة : لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه . قال : وما ذاك ؟ قال : سمعته يقول ((من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا)) فانظر كيف يقى الشيوخ المسنون على تدريبهم فى إصابة الهدف ومهارة اليد ونشاط الحركة ، إن الإسلام يفترض المقدرة على القتال فيوجبها على الشباب والشيوخ جميعاً .

ويجب أن يعد الفتية والشباب على الثقة بالله وبأنفسهم وبأن الماضى من تاريخ الإسلام له صور من الحاضر تؤيده ، فما حدث فى افغانستان ليس ببعيد ، حيث بدأ الجهاد بفئة لم تتجاوز عشرين رجلاً ، ليس لديهم سوى بعض البنادق القليلة ومطلوب منهم أن يواجهوا الاتحاد السوفييتى أقوى الجيوش العسكرية بعد الولايات المتحدة وهى قوة كانت تخشاها الولايات المتحدة ذاتها وتعمل لها حسابها ، ومعروف حجم تسليح هذه القوات وإضافة إلى سلاحها العقائدى الملحد الذى لا يؤمن بالله أو بأى دين أو رسول .. ومع ذلك جاهد الأفغان المسلمون أكثر من تسع سنوات وكتب الله لهم النصر ، وهذه هى إسرائيل التى تملك القنابل الذرية وتأخذ السلاح من ترسانة الولايات المتحدة مباشرة دون قيد أو شرط .. تهزها مجموعة من الأطفال والشباب ، سلاحها بعد الإيمان بالله هو الحجارة !! يجب أن يعد الشباب على الصبر والإيمان بنصر الله والشهادة فى سبيله .

إن النصر فى المعارك لا يكون بكثرة العدد ووفرة السلاح ، وإنما يكون بقوة الروح المعنوية لدى الجيش ، وقد كان الجيش الإسلامى فى معاركه يمثل العقيدة النقية والإيمان المتقد والفرح بالاستشهاد والرغبة فى ثواب الله وجنته ، بينما كان جيش المشركين يمثل فساد العقيدة وتفسخ الأخلاق وتفكك الروابط الاجتماعية والانغماس فى الملذات^(١) .

على أنه يجب أن يراعى الأخصائى الاجتماعى قبل ذلك وبعده التزام السلوك الإسلامى وتمثله كقيم وممارسة ، وأن يحافظوا على صلاة الجماعة فى المسجد وعلى المواظبة على بعض النوافل كصوم التطوع ولو ثلاثة أيام كل شهر لما فى ذلك من التقرب إلى الله ومن الإسهام فى بناء الشخصية القادرة على التحمل والتضحية .

كما يجب وبصفة دائمة التحذير من عمليات التغريب وفقدان الهوية التى يسعى إليها الغرب بصفة دائمة والتحصن على قدر الإمكان من تلك الموجات العاتية ممثلة فى الأفلام والمسلسلات والأغاني الخليعة والملابس التى لا يعرف الناظر إليها إن كانت للبنات أم للولاد ، وأن يفهم ما وراء ذلك كله حتى لا ينطبق علينا قول الرسول - ﷺ - عن أبى سعيد الخدرى: قال رسول الله - ﷺ - : ((لتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر

(١) مصطفى السباعى : السيرة النبوية ، دروس وعبر ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٤٠٥ / ١٩٨٥ ، ط ٨ ،

وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا فى حجر ضب لاتبعتموهم» ، قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : (فمن)؟(١).

ب - دور أخصائى خدمة الجماعة :

يتحدد دور أخصائى خدمة الجماعة على ضوء المجال الذى يعمل فيه كالمجال المدرسى أو رعاية الشباب ، إذ إن المجال حدد نوع المؤسسة والهدف وسن الأعضاء .. وغير ذلك من الأمور والمتغيرات التى يجب أن يراعيها الأخصائى ، إلا أن الأخصائى يجب أن يتأكد بداية من وضوح الهدف الذى يسعى إليه وأن يتوافر لديه حد أدنى من الثقافة والفقه بالجهاد وبالسيرة النبوية خاصة فى مجال بناء العقيدة وغزوات الرسول ﷺ وبسيرة الصحابة رضوان الله عليهم ؟ وأن يختار من ذلك ما يناسب عملاءه ويمكن أن نأخذ المدرسة كنموذج ، حيث تعتبر من أهم مجالات عمل طريقة خدمة الجماعة ويمكن من خلالها وضع البرامج المتكاملة التى تحقق الرعى الجهادى وذلك عن طريق :

١- جماعات النشاط مثل الصحافة والإذاعة والخدمة العامة والنشاط الدينى والاجتماعى وغيرها ..

٢- المعسكرات والمخيمات الكشفية .

٣- المدارس الثانوية العسكرية ومادة التربية العسكرية .

وسنعطى بعض التفاصيل عن كل هذه الأساليب الثلاثة :

١- جماعات النشاط :

تعتبر جماعات النشاط هى أساس نشاط خدمة الجماعة فى المدرسة وعن طريقها يمكن تحقيق الأهداف المطلوبة ، وعادة ما تكون هذه الجماعات موجودة وقد تكون لها أنشطتها الاجتماعية التى تشبع احتياجات الأعضاء وهواياتهم بعيدة عن الجانب الدينى ، وهذا واضح فى أغلب المدارس فى الكثير من البلاد العربية نتيجة لما أسلفنا من قبل عن عمليات التغريب وفصل الدين عن المجتمع ونظمه الأساسية .

وهنا يجب أن يعيد الأخصائى الاجتماعى صياغة هذه الأهداف من جديد بحيث تتم الأنشطة الاجتماعية والثقافية من خلال البعد الإسلامى ووضعها فى إطارها الصحيح ، فإن كانت الجماعة لها نشاط علمى فيجب إبراز دور الإسلام فى العلم على ضوء القرآن الكريم وما به من آيات تحث على العلم والقوة ومن السنة كذلك ومن تاريخ المسلمين ودورهم فى العلم والأسباب التاريخية وراء تخلفهم والعوامل المعاصرة التى تحول دون تقدمهم العلمى ،

(١) مختصر صحيح مسلم ، ص ٥٢٦ ، حديث رقم ٢٠٠٢ .

وإن كانت الجماعة لها أهداف اجتماعية فيجب أن تتم وفق اهتمام الإسلام بقيم التعاون والإخاء والمساواة والعدالة وتقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد الأسرة واحترام الأبناء للآباء ولكبار السن ولعلاقات الجيرة في المجتمع المحلي وفي علاقات المجتمع ككل والعلاقات بين المجتمعات الإسلامية .. وهكذا.

وإذا كانت الجماعة تهتم بالثقافة والتوعية فلا بد أن تركز على الوعي الذاتى بالقدرات والإمكانات التى أودعها الله سبحانه وتعالى عند المسلمين وأهمية العقيدة فى بناء المجتمع حيث إنها كانت الأساس الذى جعل المجتمع الإسلامى الفقير بإمكاناته المادية والبشرية يقهر أكبر إمبراطوريتين هما الفرس والرومان .. وأن ينصب اهتمام الجماعة أيضاً بتوعية أعضاء الجماعة والمجتمع المدرسى ككل بحقيقة العدو الذى يترصد بالإسلام والمسلمين وكشف أساليبه ومخططاته .. إلخ .

أما إذا كانت هناك فرصة لتكوين جماعة أو جماعات أخرى فإن تنمية الوعي الجهادى يمكن أن يكون هدف جماعة من تلك الجماعات ويمكن أن تتصور المثل التالى :

٢- المعسكرات والمخيمات :

يقصد بالمعسكرات والمخيمات شئ واحد ، والمقصود بهما هو قضاء مجموعة من الأفراد وقت معين قد يكون يوماً أو أكثر بعيداً عن أماكن إقامتهم المعتادة وبطريقة مختلفة عما ألفوه لاكتساب بعض الخبرات أو الترويح عن النفس . وأهم ما تسهم به هذه المخيمات فى حياة الناس وإن اختلفت مشاربهم هو تنمية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وإكسابهم خبرات مشتركة وإيجاد نوع من التغيير فى أسلوب الحياة النمطى الذى اكتسب بطابع رسمى ماضى أدى إلى أن يصبح الإنسان أسيراً لنظام ثابت ويومى يودى إلى الملل والكآبة ، والمخيم شأنه شأن أى وسيلة يمكن أن يستخدم لأغراض صالحة وغير صالحة ، حسب الهدف منه .

هذا ويمكن أن تتعدد هذه المخيمات وتزداد فترتها الزمنية كلما تقدمت فى السن ، ففي المرحلة المتوسطة (الإعدادية) يجب أن تكون لمدة أسبوع أو أكثر ، وفى المرحلة الثانوية لمدة أسبوعين أو شهر وكذلك فى المرحلة الجامعية يمكن أن تمتد وتنتشر ، وهنا يمكن أن يكون النموذج الذى تقدمه الندوة العالمية للشباب الإسلامى^(١) نموذجاً يمكن أن يحتذى ، حيث تضع الندوة ضمن أهداف المخيمات الأحد عشر هدفاً ، هدفاً يتمثل فى الاشتراك فى برامج الخدمة الاجتماعية أو فى جهود الدعوة إلى الإسلام مثل دعوة غير المسلمين ، إمطة الأذى عن الطريق ، والحديث فى المساجد القرية ، وبذل مساعدات للسكان القريين من

(١) المخيمات الإسلامية : الندوة العالمية للشباب الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

المخيم ، والقيام بجولات فى المناطق المجاورة للتعرف على أحوال المسلمين وتسيير القوافل^(١) الخدمية والدعوية . ويقوم بذلك مجموعة متجانسة من الأفراد ذوى التخصصات المختلفة تتعاون مع عدد من الشباب المؤهلين تأهيلاً عالياً ملتزماً بالإسلام من أجل القيام بواجب الدعوة والإرشاد بتقديم الخدمات العامة التى تمس حياة الإنسان ابتداءً بتقديم العلاج الطبى والإغاثة وبرامج رعاية الطفولة والأمومة والخدمات البيطرية والزراعية وغيرها ، كما أن دعوة غير المسلمين تمثل جزءاً هاماً من برامج القافلة، ويمكن لهذه القوافل بالقيادة المهنية للأخصائى الاجتماعى أن تحقق هدفين فى آن واحد :

الأول : تنمية وتربية الشباب التريبة العسكرية النظامية المطلوبة .

الثانى : هو تقديم الشباب لبعض الخدمات الضرورية للمواطنين وإثارة الوعى لديهم والاهتمام بالتربية العسكرية الإسلامية .

٣- المدارس الثانوية العسكرية ومادة التربية العسكرية :

تعتبر المدارس الثانوية العسكرية التى أنشئت فى بعض البلاد الإسلامية كمدخل للاتحاق بالقوات المسلحة تعتبر من أفضل مجالات العمل أمام الأخصائى الاجتماعى الذى يعمل بمفهوم الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، ولذلك لو سمح بالوجود المبنى فى هذه المدارس لأمكن تحقيق هدف الإعداد الإسلامى لهؤلاء الشباب من خلال كافة البرامج الاجتماعية من أسر للنشاط الحر وخيمات والاهتمام ببرامج التثقيف الدينى وتكوين العقيدة الصحيحة وتنمية السلوك الإسلامى من خلال العمل الجماعى الملتزم بقيم الإسلام وتعاليمه . كما يمكن استثمار التربية العسكرية فى المدارس الثانوية بأن تأخذ اتجاهها الصحيح ، وأن يتم التعاون بين الأخصائى الاجتماعى ومعلم التربية العسكرية فى اكتساب الطلاب فى الجامعات والمخيمات المهارات العسكرية الأساسية ، وأن يعطى الأخصائى تصورات وأفكاره حول تطوير تلك الحصص التعليمية والأنشطة العسكرية ليكون لها جاذبية تجعل الطلاب يهتمون بها ويرغبون فيها ويعطونها الأهمية اللائقة بها .

ثالثاً : طريقة تنظيم المجتمع وتنمية الوعى المجتمعى بالتربية العسكرية :

إن تنمية الوعى بالتربية العسكرية على مستوى المجتمع ككل يحتاج إلى جهود تفوق إمكانات الخدمة الاجتماعية ، إضافة لضرورة وجود هذا الاتجاه عند الحكومات ذاتها ، ومن ثم يمكن أن تختفى كثير من العوائق التى تحول دون ذلك ، لأن الوعى المجتمعى العام يرتبط باستراتيجية الدولة وتوجيه إمكاناتها القومية خاصة أجهزة الإعلام العامة والمؤثرة على مستوى المجتمع ككل من صحافة وإذاعة وتلفاز ، إضافة إلى التوجيه المطلوب والمناسب لهذه

(١) للمرجع السابق ، ص ٩٨ .

السياسة على مستوى برامج التعليم والتنشئة الاجتماعية المختلفة وبرامج رعاية وتوجيه شباب .

إلا أن الخدمة الاجتماعية يمكن لها العمل بطريقة تنظيم المجتمع على مستوى المجتمعات صغيرة (Micro community) خاصة في المجتمع المحلي بتنظيماته المحلية المختلفة ويمكن أن أهداف طريقة تنظيم المجتمع في هذا المجال كالآتي :

١- تنمية الوعي بقضية التربية العسكرية وأهميتها ودور المجتمع في الإعداد لذلك
٢- الاهتمام بالدعوة للتطوع لمناصرة الشعوب الإسلامية المضطهدة على مستوى عالم الإسلامى .

٣- الاهتمام بتمويل وتجهيز المسلمين الذين يخوضون حروباً مع أعدائهم .

٤- رعاية أسر المقاتلين الشهداء .

ويمكن أن تتحقق تلك الأهداف عن طريق المؤسسات المجتمعية الآتية :

أ- المسجد :

سيظل المسجد -بفضل من الله- المؤسسة الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة في حياة المسلمين أكثر من غيرها خاصة في بناء العقيدة الإسلامية وصياغة رأى العام المسلم لمقاومة خطط الغزو الفكرى والتنصيرى ، وإن كنا نود ألا يقف دوره عند هذا الحد فقط ، والذي ساعدت عليه مراحل التدهور والتخلف الذى أصيبت به الدول الإسلامية عبر مراحل الهزيمة المتلاحقة ، بل نود أن يمتد دوره ليشمل صوراً متعددة للنشاط الاجتماعى المؤثر فى حياة لمجتمع الإسلامى ولا يبقى كما أراده الاستعمار معزولاً عن الحياة الاجتماعية والتأثير فيها ، فى مجال الرعى بالتربية العسكرية فإن المسجد هو أكثر المؤسسات تأثيراً فى هذا الاتجاه . يمكن للخطيب الواعى أن يتناول هذا الموضوع فى خطب الجمع من زوايا عديدة مختلفة ويربط ذلك بحياة المسلم العادية ويتناولها بالشكل الذى لا يجعل منها مجرد سرد تاريخى لا علاقة له بواقع المسلمين الآن ، أو يجعل من هذا التاريخ شيئاً مثالياً معجزاً ، ولا يساعد لمسلم على أن يخط المنهج البسيط الذى يحول هذه الصورة المثالية إلى صورة واقعية خاصة وأن الواقع الآن يزخر بالعديد من صور الحروب والعداء السافر للإسلام فى الكثير من بلاد عالم المختلفة .

ويمكن للمسجد أيضاً أن ينمى الرعى لدى الشباب بالتطوع لمناصرة المسلمين فى البلاد الإسلامية وكذلك حث المسلمين على بذل المال وتجهيز هؤلاء المسلمين ودعمهم

بالمال عملاً بقول الرسول - ﷺ - : «من جهز غازياً فقد غزا ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا» (١) .

ويمكن للخدمة الاجتماعية هنا أن تساعد المسؤولين عن المسجد في وضع الخطة التي تحقق مثل هذه الأهداف ، فيقدم لهم الأخصائي الاجتماعي المشورة الفنية والبحوث والدراسات التي تفيد في هذا المجال بحيث يتم الربط القوي بين المسجد والمجتمع .

ب- جمعيات النشاط الاجتماعي الأهلي :

تعتبر جمعيات النشاط الأهلي في الخدمة الاجتماعية إحدى الدعائم الأساسية التي قامت عليها المهنة ، وظل هذا الدور التاريخي ممتداً بالنسبة لها في كافة الدول على اختلاف مذاهبها ، حيث تقوم بما لا تستطيعه الحكومات في مجال الرعاية الاجتماعية وتسد ثغرة واسعة في هذا الاتجاه إضافة إلى ما تسهم به هذه المنظمات الأهلية من تنمية الشعور بالمسؤولية الاجتماعية لدى أفراد المجتمع وتوطيد دعائم التكافل الاجتماعي بين الفئات المختلفة .

وتهتم طريقة تنظيم المجتمع في هذه المؤسسات ببعض المهام والأهداف التي تسهم في زيادة فاعلية تلك المؤسسات بما يحقق أهدافها ويضمن لها الاستمرار في وظيفتها الاجتماعية ومن تلك المهام والواجبات الاهتمام بالتطوع والمتطوعين للانضمام لهذه المؤسسات والجمعيات الأهلية لأنهم القاعدة الرئيسية لهذا العمل وزيادة حجم المتطوعين لهذه المؤسسات يحقق أهداف طريقة تنظيم المجتمع في المشاركة الاجتماعية المنظمة والمستمرة ، والتي تتحمل واجبها ومسئوليتها الاجتماعية في المجتمع ، وتنظيم المجتمع كما هو معروف يستطيع في هذا الاتجاه أن يقوم بالآتي :

١- يسهم في توجيه هؤلاء المتطوعين للأنشطة القتالية التي تساعد القوات المسلحة النظامية ويفيد في مجالات الدفاع المدني والإسعافات الطبية .. وغيرها مما تقتضيه الحرب الفعلية في حالة قيامها ، وذلك بتهيئة البرامج المناسبة للتدريب وتوزيع المهام وتسجيل كافة البيانات التي تفيد في هذا المجال .

٢- تدريب وإعداد المتطوعين للعمل مع أسر المقاتلين والشهداء ، وذلك بتقديم المساعدات المالية المنظمة لهم والتي تكفل للأسرة كل احتياجاتها الضرورية وكأن المقاتل أو الشهيد مازال معهم لما في ذلك من حماية لهذه الأسرة وتشجيعاً لغيرها من الأسر ، ويتطلب ذلك أيضاً متابعة أبنائهم في كافة مراحل التعليم ورعايتهم الرعاية اللاحقة بهم وتنمية الإحساس بالبطولة والتضحية التي قدمها أبائهم في سبيل الله ولا بد أن يكون ذلك عملاً

(١) مختصر صحيح مسلم ، ص ٢٨٤ .

منظماً ومستمراً ويحظى باهتمام كافة المنظمات الأهلية الاجتماعية فى المجتمع المسلم وفى المجتمع غير المسلم فلا بد من إيجاد مثل هذه المؤسسات والجمعيات الخاصة ، ويمكن لخدمة الفرد أن تقوم بدور واضح فى هذا المجال خاصة بالعمل مع أسر الشهداء وفق ما لديها من خبرات وأساليب فى الرعاية الأسرية .

٣- تقديم كافة الرعاية الاجتماعية والتأهيل المهني لذوى الإعاقة التى نتجت عن مشاركة هؤلاء الأبطال فى العمل العسكرى ضد العدو ، وتقديمهم إلى المجتمع بالصورة التى تليق بهم وليكونوا نماذج حية على صور التضحية فى سبيل الله ويمكن للخدمة الاجتماعية فى مجال العمل مع ذوى الإعاقة أن تقوم بدور فعال فى ذلك وفق هدف إسلامى وهو المسؤولية الاجتماعية تجاه هؤلاء ، ولا يقتصر العمل معهم بأساليب خدمة الفرد فقط . بل يمكن أن تستخدم معهم طريقة تنظيم المجتمع فى إنشاء تنظيمات تقوم بمناصرتهم وحصولهم على حقوق من قبل الدولة .

٤- الاهتمام بحملات جمع المال من أجل مناصرة المسلمين ويمكن لطريقة تنظيم المجتمع فى هذا المجال أن تقوم بدور واضح من أجل التخطيط والتنظيم والمتابعة لهذه الحملات ، بحيث لا تترك للجهود الفردية والعشوائية ، بل تتم بأسلوب علمى يضمن لها بفضل الله الاستمرار والاستقرار والفاعلية المطلوبة ، وذلك من خلال خطة عامة ومتكاملة لها لجانها ومجالسها المنظمة وحساباتها الموجودة فى كافة الأماكن والجمعيات ، وتطوير وتدعيم الأساليب التقليدية القائمة والتى تتم فى المساجد فى أوقات معينة من السنة كشهر رمضان ودراسة أساليب جديدة تكفل مصادر جديدة للتمويل .

٥- رعاية يتامى المسلمين خاصة أبناء الشهداء وتوفير الجو الأسرى الملائم لهم وتوفير المؤسسات اللائقة بهم إذا تعذر وجودهم فى أسر طبيعية ، ويجب أن تولى الخدمة الاجتماعية الإسلامية هذا الاتجاه عناية خاصة حماية ليتامى المسلمين من جمعيات رعاية وكفالة الأيتام التى تقوم بتنصير أبناء المسلمين تحت شعار رعايتهم وتقديم الخدمات لهم ، كما يجب كشف هذه الأساليب لحماية المجتمعات الإسلامية من هذا الخطر وسد هذه الثغرة أمامهم .

حلقات النقاش

حول

- الخدمة الاجتماعية والدعوة إلى الله .
- قضايا المنهجية وانعكاساتها على العلم والمجتمع .

حلقة نقاشية حول الخدمة الاجتماعية والدعوة إلى الله

رئيس الجلسة :

الأستاذ الدكتور / جعفر عبد السلام

نائب رئيس جامعة الأزهر ومدير مركز صالح عبد الله كامل

المشاركون :

فضيلة الشيخ / محمد الغزالي

الأستاذ الدكتور / عبد العظيم الديب

الأستاذ بجامعة قطر

الأستاذ الدكتور / محمد كمال الدين إمام

الأستاذ بقسم الشريعة كلية الحقوق . جامعة الإسكندرية

الأستاذ الدكتور / محمد أحمد عبد الهادي

الأستاذ بقسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

فضيلة الشيخ / محمد الغزالي :

بسم الله الرحمن الرحيم ... من صعاليك العرب رجل اسمه عروة بن الورد ، طالعت سيرته ، ووددت لو أن عدداً من الملوك كانوا على مستواه الخلقى ، لأنه صعلوك كبير النفس إلى حد يشعر بالرهبة ، حيث قال ذات مرة (ذروني أطوف بالبلاد ، لعلني أفيض غناً فيه لذي الحق محملة ، أليس عظيماً أن تلم مملتنا ، وليس علينا في الحقوق معول) .

هذا الرجل كان ينجل من أن يجد أمامه خللاً ، ولا يستطيع أن يسده ، أو حاجة لا يستطيع قضاءها ، رجل كبير القلب كما نقول في عصرنا ، وهو يطلب المال لا ليزداد شبعاً أو ترفاً لنفسه وأهله ، بل يقول لعلني أفيض غناً فيه لذي الحق محملة .

وهكذا نجد أن طبيعة العظمة في كل عصر ، كما يوضحها أي دين ، والتي منها الإسلام ، هي أن يكون الإنسان مفضلاً على الآخرين ، له القدرة على العطاء ، وعلى أن يكون إنساناً ذا يدين سخيتين ويظهر هذا في الفرد كما يظهر في الدولة ، فكما أن الفرد لا يجوز أن يكون سلبياً لا خير فيه فكذلك الدولة لا يجوز أن تكون سلبية لا فائدة منها .

وأنا أنظر إلى قصة ذي القرنين . وقد كان صاحب مواهب ، وإمكانيات ، شكى له أهل البلدان بأن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ، ثم اقترحوا أن يجعلوا له خرجاً أي (مالاً) مكافأة على أن يقيم سداً بينهم وبين عدوهم ، وأنا أتصور أن ذا القرنين لو كان من مسلمي العصر الحاضر لقال لهؤلاء الناس : "والله العين بصيرة واليد قصيرة ، ما أستطيع أن أصنع لكم شيئاً وسوف أعمل ندوة أو مؤتمراً ندعوا الله أن يكفيننا شر هؤلاء" . وهذه طبيعة كل رجل سلبى ، أو كل رجل لم يفهم حقيقة الدين من أنه عطاء وقلوة وإبداع ، ولذلك قال لهم ذو القرنين : أي مال ؟ هذا المال أنفقه عليكم ، فأنا لا أريد مالا ويتضح هذا في قوله تعالى : ﴿هل نجعل لك خرجاً علي أن تجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ ثم صنع ورشة عمل ، وبدأ يحركهم معه ويتضح هذا في قوله تعالى : ﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً﴾ فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ، وهكذا يتضح أنه كان رجلاً قادراً على العطاء ، لأنه صاحب إمكانيات ، فهو ليس مفلساً أو ضائعاً .

إن ما يلاحظ في الأمة الإسلامية في هذا العصر هو أنها أمة سلبية ، لأنها لا تملك المواهب والإمكانيات الأدبية والقدرات العقلية التي تستطيع بها أن تكون متميزة على الآخرين ، وكما قلت : نحن لا نستطيع أن نصنع لأنفسنا ما صنعه ذو القرنين لأناس قصصه كي يحميهم وينفعهم بعلمه وقدراته ولكن عجزنا غريب في هذا المجال ، والسبب في نظرنا هو تعطل موارد الإيمان في العقل الإسلامي ، فأنا أنظر لآية تقول ﴿والله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ هذا جزء من

الكون المسخر للإنسان ، ثم قال تعالى ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ .

من هذا الفكر يأتي الإيمان ، فإذا كان الإنسان محجوب البصر ، مكفوف البصيرة ، لا يستطيع أن يرى أو يفهم فمن أين يأتي إليه الإيمان ، دعونا من إيمان الوراثة والتقليد وأتساءل لمن قال القرآن الكريم الآيات السابقة ؟ ﴿الله الذي سخر لكم البحر﴾ فأنا أنظر الآن للبحر المتوسط ، وأنظر إلى الشاطئ الجنوبي له ، والشمالي له ، فتجد أن الشاطئ الشمالي في إيطاليا واليونان وأسبانيا وفرنسا ، دولاً ملكت البحر ، فقد سخره لهم ، ثم انظر إلى جنوب البحر فأجد فيه المغرب بدوله الثلاث ، واللؤلؤ المجاورة ، فأسال نفسي ماذا يملك المسلمون في هذا الجانب ؟ هل لديهم ميناء لصنع غواصة أو مدرعة أو مدمرة ؟ لا يوجد شيء إطلاقاً ؟ رغم أن المسلمين الأوائل لم يكونوا كذلك فالمسلمون عندما بدأوا بدأوا من جزيرة العرب أي من الصحراء حيث سفينتها الجمل ، ولكنهم جاعوا من الصحراء وملكوا البحر المتوسط بعد ما فتحوا شرق البحر عن طريق سوريا ولبنان ثم أحسوا بأن البحر ليس ملكهم ، فهم على الشاطئ ولكن الإيطاليين والرومانيين يمتلكون أسطولاً يسير في البحر ، فقررنا فوراً أن تكون لهم أساطيل في البحر .

وفي هذا يقول ابن خلدون "كان الأسطول الروماني يتهرب من لقاء الأسطول العربي الإسلامي ، لأنه تغلب عليه كما تغلب الأسد علي فريسته" . هؤلاء هم أصحاب الصحراء الذين لم يكونوا يعرفون إلا الجمل ، لكن الإمكانيات العقلية تكونت لديهم بفضل فقه القرآن الكريم والذي يقول سخر لكم البحر ، وهو كلام موجه للعرب وليس للرومان ، إذن لابد أن يستفيدوا من هذا البحر ، وعندما دارت معركة (ذات الصواري) انهزم الرومان فيها ودخل المسلمون قبرص بالأسطول البحري ، ولعل أول سفينة كانت تحمل امرأة تجاهد عليها ، هي السفن التي فتحت قبرص وحاصرت القسطنطينية من البحر المتوسط ، وأذكر أن إحدى السيدات قالت للرسول ﷺ : أدع أن أكون من هؤلاء المجاهدين؟ انظروا إنها امرأة ، لو كان الحال مع رجل من هذه الأيام لوجدناه يقول "لماذا نذهب للبحر" وقد استجاب الله لهذه المرأة ونالت الشهادة ، وتم دفنها في قبرص .

هذا هو العطاء الذي لابد منه لكي تكون مسلماً مفضلاً على الآخرين أي صاحب يد عليا ، تعطي الإيمان ، كما قال : الرسول صلى الله عليه وسلم «علي كل مسلم صدقة ، قيل له قد لا يملك شيئاً قال : يأمر بالمعروف ، أو يمنع الناس من شره» ، المهم أن يكون فيه خير ، فاللوم الخالي من الخير لا يصبح مؤمناً ، ولكنه يكون كاذباً .

وأنا أنظر إلى الأمة الإسلامية الآن ، أجد أنها أمة تستطيع العطاء ، لأن خيرات الأرض كثيرة لديها ، ولكن فقرها فقر أخلاق ، وليس فقر أرزاق ، بمعنى أنهم ليس لديهم القدرة على العطاء ، وهذا يرجع لعدم التربية الإسلامية التي تجعلهم أصحاب فكر .

في حديث طويل لرسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أن المال لأربعة من الناس ،
الصنف الأول : رجل أتاه الله مالا وعلما فهو يعمل في ماله بعلمه . بمعنى يصل رحمه ، يعطي
المحتاج ، يسد به الخلل فهو في أعلى المنازل ، الصنف الثاني : رجل لا يملك المال ، ولكن
يملك هذه الرغبة النفسية بملك النية الحسنة في أن يعطي إذا ملك ، فهو كالأول وأجرهم
سواء ، أما الصنف الثالث والرابع فهو رجل أتاه الله مالا ، ولم يؤته علما ، تماما ككثير من
العرب الآن لديهم المال ، وليس لديهم العلم ، فهو يخبث في ماله ، لا يرى لله حقاً ، بل
ينفق منه على الشرور ، وفي بناء القصور واللذة الشخصية ، وفي الجاه الذاتي ... وهذا في
أسوأ المنازل ، ورجل لا يملك مالا ولا علما ، ولكنه يقول لو كان لي مال لكنت عملت فيه
مثما يعمل عظماء العرب في مالهم ، فهذا وزره ، وزر الرجل الثالث ، فهما سواء .

ولننظر لأحوال المسلمين ، أجد أن المسلمين من الصنفين الثالث والرابع ، فالصنف
الأول قلما يوجد وليس معنى ذلك أنه لا يوجد ، بل هناك ولكن قلة . فإذا كان العرب
يملكون ألف مليار دولار فس نجد أن هناك مليارات منه في الخير ، والباقي للشهوات الطائشة
عند بعض الناس ، وهذا شيء غريب لا تنصلح به الأمة وكنت أقرأ سورة ابراهيم فوجدت
هذه الآية ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ
الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ
لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَاثِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ
تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ وهكذا ذكرت كلمة (لكم) خمس
مرات في الآيات السابقة فهل هذا الكلام للأمريكيين أم الأوربيين ؟ كلمة (لكم) أي لكل
من استمع إليه وتدبر آياته ، والسؤال الآن هو ما الذي لنا في دنيا الناس الآن ؟ ليس لنا في
عالم البحر شيء ، أو الجو شيء ، أو البر إلا بعض الأسلحة التي نستوردها على أن تكون
لدى الآخرين قطع الغيار ، ثم يرسلون من يقوم بتدريتنا ، وهم مستغلون لسحبه في أي
وقت وانتهى الأمر .

في ظل هذا ما زلنا نعيش في حالة عدم وعي ، لذلك فإن الخدمة الاجتماعية في
أساسها هي فيض ينساب من تلقاء نفسه على الذين كثر الخير لديهم سواء أكان خيراً مادياً
أو أدبياً أو عقلياً ، فهم بطبيعة الإسلام في أنفسهم يدعون إلى الخير ، هذا هو المفروض في
الخدمة الاجتماعية ، ويوسفني جداً حينما قرأت أمس الأول في جريدة الجمهورية على - ما
أظن - هذا التعبير ، يقولون أنه في ألبانيا ، البلد الإسلامي نحو ١٠٠٠٠٠ مسلم هناك ٥%
فقط من المسيحيين وأن المائة ألف تعمل بينهم الكنيسة الكاثوليكية ، وأن الصيحة التي
أطلقتها الكنيسة بين مسلمي ألبانيا ... هي " اتركوا الإسلام تغتوا " اخلعوا ثوب الإسلام
تخلعوا ثوب الفقر " فهل نحن المسلمون الذين نحمل للناس ديناً يجردهم من الخير ، ويجعل

الفقر نصيبهم في هذه الحياة ؟ أهذا في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم لنرى من الذي يدعو بهذه الدعوة السابقة ؟ المسيحيون الذين لديهم تعليمات تقول لهم لأن يدخل الجمل في سم الخياط أهون من أن يدخل الغني ملكوت السموات ، أصبحوا الآن أغنياء يعطون فقراء المسلمين ، ونحن الذين كنا نتعب لإعلاء هذا الدين ، وقد امتلك المسلمون العالم ثم يأتي من يقول للمسلمين ذلك .

يا إخواني كان مفروضاً أن تكون الخدمة الاجتماعية عملنا نحن المسلمين ، هذا المفروض ، أما أن تأتي المسيحية الآن وتنتح ورشاً للعمل في شتى أنحاء العالم ، وذلك لكي يدخل هؤلاء في المسيحية ، ونحن جالسون نعظ وننصح فقط بكلمات ميتة ، وحالتنا تساعد الآخرين على الانصراف عنا ، فهل هذا الوضع يرضي الإسلام ؟ بالفعل لا يمكن قبول هذا .

في الواقع لا بد من إعلان الحرب على الأوضاع التي تعيش فيها الأمة الإسلامية ، لأنها أوضاع غير إسلامية ، ولكي نعود بالناس إلى الإسلام ، ألا نرمي قنبلة أو نحمل سلاحاً نصلح به الأوضاع لأن الفقر عندنا هو فقر نفوس وعقول وأخلاق وإدراك وفهم بمعنى أننا لا نفهم ديننا ، ولذلك يجب إن كنا نريد فعلاً أن نسود الأرض ، أن يعرض الإسلام دعوة مقرونة بالخير ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير﴾ هذا هو ديننا ، يجب أن نكون أصحاب دعوة حقيقية ، وأن نبهض بمقوماتنا الاجتماعية ، وأن ندرك أنفسنا قبل أن تأتي إسرائيل بتغيير العالم العربي ، لأنهم مع ضلالة القطعة التي يعيشون عليها من أرض الله ، يملكون ثروة من المواهب جعلتهم يهزمون ١٥٠ مليون عربي ، وجعلتهم يهزمون ملياراً وربع من المسلمين .

لذلك لا بد أن نعيد النظر في حياتنا ، لأن الإيمان عندنا معطل ، كيف يتحرك ؟ هذا هو عمل الدعاة الذين يريدون أن يصنعوا لله دولة على هذه الأرض ... والله ولي التوفيق .

أ . د / جعفر عبد السلام : رئيس الجلسة

شكراً لفضيلة الشيخ / محمد الغزالي على حديثه ، الذي أوضح فيه مقومات الأمة الإسلامية كما جاءت في القرآن والسنة ، وكيف أن المسلم لا بد أن يكون إيجابياً قوياً في الأرض يده فيها عليا ، وانتقل بعد ذلك إلى شرح الحالة التي نحن عليها الآن وكيف أن عقولنا معطلة ، وأن مواردنا منهكة ، ولا نستطيع أن نستخدمها الاستخدام الأمثل كما شرعه الله سبحانه وتعالى ، ثم أجرى مقارنة بين ما يفعله المسيحيون الآن ، وما يعجز عن فعله المسلمون وفي النهاية ترك المجال مفتوحاً وذلك للإجابة على سؤال أساسي وهو كيف يمكن للأمة الإسلامية أن تخرج من كبوتها وأن تصل إلى مكانتها اللائقة ، وأن تكون لها الأوصاف الواردة في القرآن والسنة ؟ ، لذا أتمنى لو أن السادة أعضاء حلقة المناقشة ركزوا على هذا السؤال .

أ.د / عبد العظيم الديب : الأستاذ بجامعة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم ... ولا شيء معه دائماً وأبداً ، نحمده سبحانه وتعالى ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد وأصلي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه إلى يوم الدين ... وبعد فأحب أن أشكر القائمين على العهد العالمي للفكر الإسلامي على هذا العمل الجاد ، وعلي دعوتنا للحضور .

منذ فترة ليست بالبعيدة قرأت بحثاً لأحد أساتذة الخدمة الاجتماعية عن نظام البلديات والمجالس البلدية ، وقد أجهد البحث صاحبه وبذل فيه مجهوداً مشكوراً ، وقد انتهى هذا الباحث إلى أن مصر لم تعرف نظام المجالس البلدية إلا بعد أن اتصلت بالغرب وعرفت منه هذا النظام ، فأخذته عن الفرنسيين حينما جاء نابليون ، ثم استكملته حينما استولى عليها الإنجليز ، وانتهى إلى هذا وسكت ، ونظراً لما بيني وبينه من ود ومعرفة أحاول أن أناقشه في هذا الامر ، فوجدته ينعي على هذه الأمة عجزها وتأخرها وتخلفها ، وأنها لم تعرف هذا النظام إلا عن هؤلاء الغربيين ، ويبدو من البحث الأسي والأسف ، ولكنني أود أن أقول له إنه ليس بالضرورة أن تكون أنظمة البلديات هي الأنظمة الوحيدة التي تدير المدن الكبرى والأحياء وتشرف عليها ، وسألته ما رأيك فيما هو معروف ومؤكد وشهد به الموافق والمخالف عن عظمة مدنتنا في عصور ازدهارنا ، وعن وعي نظافتها وتنسيقها ونظامها وروعيتها التي لا ينكرها جاحد ، فلم أحصل منه علي جواب بل صار يلف ويدور ويتهرب .

والحقيقة أن هذا الفهم نتيجة تطبيق مناهج وافدة ومستوردة ، وفي نفس الوقت ليس لمن يطبقها علم بتراث الأمة وتاريخها ، فلو علم أن نظام الحسبة ، ونظام شيوخ الحرف وغيره من الأنظمة كانت تتعاون فيما بينها وتتقاسم مهمات ومسئوليات مجالس البلديات ، فليس بالضرورة أن يكون عندنا مجلس للبلدية ، ولكن يمكن أن توزع مسئوليات المجالس البلدية على مؤسسات أخرى بأسماء أخرى ولكن أن ننقل عن الغرب بهذا الشكل المدمر دون تبصر أو تعقل جعلنا نصل إلى مثل هذه النتيجة ، وأقول هذا بمناسبة الخدمة الاجتماعية وأن هذه الخدمة ليست وافدة أو مستحدثة وليست جديدة ، إنما مجتمعتنا مارسها منذ عصر الإسلام الأول ، وإن لم يسمها بهذا الاسم ، والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية لا تقف عند حد . ولا تنحصر فعندنا الإحسان إلى الجار ، وحق المسلم على المسلم "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" "وتبسمك في وجه أخيك صدقة" .

وإرشادك في أرض الضلال صدقة " وإماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان" .

وفروض الكفاية ، فالذي يقوم بفرض الكفاية يكفي نفسه وكافة المسلمين الحرج والعقاب، ومن أنظمة الخدمة الاجتماعية أيضاً نظام الوقف ، فقد رأت أمتنا منه فتونا إلى أن وصل الأمر إلى حد الوقف على خداع المريض وهو أمر في منتهى العجب والغرابة ، أن يوقف من يوقف ماله على تخصيص من يخدع المريض الذي هو في النزاع حتى يهيء له موظفين وعاملين من هذا الوقف لي شعروه بأنه سيشفى ، وذلك حتى لا يستشعر اليأس من الشفاء ورهبة الموت ، هذا الحس الذي عرفته أمتنا على طول تاريخها ، يجعلنا نستقبل موضوع الخدمة الاجتماعية ودراساتها على أنها ليست مبتدعة ومستحدثة وإنما هي من أصولنا ومن مبادئنا وأسس مجتمعاتنا .

وهنا قد يقول البعض إن هذا خلاف لفظي ، والمفروض أن نسميها بر ، والبعض يقول لا بل خدمة اجتماعية ، لاتهم الأسماء المهم الأداء ، خاصة أن الأمم الواعية تعرف نفسها ، وتحافظ على أصولها وتراثها ومصطلحاتها ، وتتميز بعلومها ومبادئها ونظامها ، وعلى أية حال .. هذه كلمة عن نشأة الخدمة الاجتماعية وأسسها وعلاقتها بها ، ولا يظن أحد أننا ضد مدارس ومعاهد وكليات الخدمة الاجتماعية ، ولكن نريد أن نتناول هذه الأمور ، ونحن نعرف مكاننا منها أو منزلتنا منها ، لا نريد نعمة الاعتزاز ، وحسن التخدير بالماضي ، ولكن نعرف أين نقف ؟ وكيف نقف ؟ ونصل ما كان عليه آباؤنا وأجدادنا وأمتنا تأتي بعد ذلك إلى ما نريده من الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة ، أولاً الدعوة كما هو معروف مهمة كل مسلم ، فالله سبحانه يقول ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ، ومعنى ذلك أننا نتولى مهمة الإبلاغ بعد عصر الرسالة ، وبما أن هذه الرسالة هي الرسالة الخاتمة للأديان والرسالات ، وبما أن هذا الدين لكافة الناس ، فعلى المسلمين جميعاً أن يقوموا بالدعوة ، وكل منا مطالب بها بقدر ما يستطيع ، فمن ندعو ؟ الدعوة توجه للمسلمين وإلى غير المسلمين ، توجه لغير المسلمين تبليغاً لكلمة الله وتعريفاً بالرسالة ودعوة للدخول في الدين ، وتوجه إلى المسلمين توضيحاً وتعليماً وتذكيراً وتزكية وتربية وتوحيداً وبعثاً وجمعاً لكلمة الأمة حتى تقوم بدورها وتحمي دينها وترفع لوائها . وأحب أن أؤكد أولاً أن الدعوة إلى الاسلام ، لا تعني أبداً العدوان على الآخرين ، فالدارس لتاريخ المذاهب والدول يرى بنفسه أن الاسلام هو النظام الأوحى الذي أذن للمخالف بالبقاء معه ، لم تر الدنيا منذ كانت نظاماً أذن وسمح للمخالف أن يعيش معه إلا النظام الإسلامي ، حتى لأننا نجد أن الآخرين حينما اختلفوا مذاهب وشيعاً ما كانوا يسمحون ببقاء المذهب المخالف أياً كان وتاريخهم في ذلك معروف ، والدماء التي سالت بين الكاثوليك والبروتستانت خير شاهد على ذلك وقد وجد العرب حينما جاعوا إلى مصر بعض رجال الدين هارين من بطش الروم ، فماذا فعلوا ؟ سمحوا في الوقت الذي دخل فيه الاسلام مصر أن يمارس الآخرون شعائرهم الدينية ولذلك فإن الدعوة على أية حال واجب الأمة كلها .

ومسار الدعوة ببساطة هو التبليغ ، فكيف نبليغ ؟ المفهوم السائد في الحقيقة هو الحديث بما فيه من خطاب وحوار ولكن هذا المفهوم على أهميته لا يمثل إلا جانباً صغيراً من جوانب لا تعد ولا تحصى من وسائل الدعوة ، فلو نظرنا إلى المناطق التي انتشر فيها الإسلام في آسيا كلها ، نجد أن الإسلام انتشر هناك بالقدوة والحكمة والأسوة الحسنة فالذين دخلوا في الإسلام عن طريق الالتقاء بالتجار المسلمين أكثر عدداً من الذين دخلوا في البلاد التي فتحت في عهد الإسلام مع مراعاة أن الفتح لم يدخل الناس في الإسلام ، ولكنه أزال العقبات بين الناس والإسلام ، ونحن نعرف أن غزوة مؤتة كانت بسبب قتل أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكليف بهم مرة بعد مرة ، فكانت الغزوة لفتح الطريق لرسالة الإسلام ، وليس لإرغام الناس على الدخول في الإسلام .

وإذا كان هذا هو مفهوم الدعوة ببساطة فهل للخدمة الاجتماعية دور في الدعوة ومجالاتها؟ أعتقد أننا نستطيع بشيء من التنظيم أن نؤدي دوراً بالغاً في مجال الدعوة ، عندنا من الوقت والجهد فائض لا حصر له ، وعندنا من المال ما يكفي ويوجه فعلاً في مجال الدعوة، ولكن بدون ترشيد فقي إحدى البلاد الإسلامية في شرق آسيا وجدت مبعوثين دعاة من أكثر من دولة عربية وجهات دينية ، ولكنني وجدتهم متسافرين متقاطعين فكراً ومذهباً ، بل وجدت مشكلات بينهم ، ليس هذا الموضوع ، ولكن حينما وجدنا عملهم وجدنا المبعوث منهم يذهب ضائعاً من بداية الوصول للمطار ثم البحث عن مسكنه ووسائل المعيشة وحساب الراتب ، موظف يريد أن يعرف كيف يعيش ويدبر حاله ، بل إن البعض كان يسأل عن الرخيص في هذا البلد لكي يحمله إلى بلاده استثماراً وترجيحاً .. وهو حق له ، ولكن المبعوث بهذه الصورة ضائع لا يؤدي شيئاً، نسألهم ماذا تصنعون ؟ يوم الخميس محاضرات ، بعد العصر دروس في المساجد ، وانتهي الأمر على ذلك.

لقد طرأت في ذهني فكرة تدخل في نطاق الخدمة الاجتماعية ، وتدخل في نطاق موضوعنا ألا نستطيع حصر الكفاءات وحصر الجهود الضائعة لشباب لا يجدون عملاً ، ورجال يضيعون إجازات طويلة ، فبعض شباب الجامعات تزيد إجازاتهم عن أربعة أشهر وربما أكثر ، وبعض الموظفين في البلاد العربية وفي مصر وخاصة رجال التربية والتعليم تصل إجازاتهم إلى ثلاث أشهر ، ألا نستطيع حصر هذه الأوقات والكفاءات عن طريق نشر استثمار إحصاء في الصحف ، وشرح المشروع ويتم جمع هذه الاستثمارات ، ثم تبدأ مراكز الدعوة المعروفة من قبل رابطة العالم الإسلامي والأزهر ، وتبدأ مثل هذه المراكز في حصر هذه الكفاءات وتوزيعها ، وهذه الكفاءات يتم تصنيفها حسب قدراتها ، لأننا في مجال الدعوة نحتاج إلى من يعلم الفاتحة وسورة الإخلاص ، ويناقش قضايا فكرية وفلسفية على أعلى مستوى ، وعندنا من هذه الكفاءات في هذا المستوى الكثير ، ثم بعد حصر هذه الكفاءات يتم تحديد الوقت المتاح لكل من هذه الكفاءات والتي تستطيع إعطائه ، ثم بعد

ذلك فنحصر ما يريده العالم الإسلامي عن طريق مركز في كل دولة أو عدة مراكز في حالة اتساع الدولة ، هذا المركز بواسطة الجمعيات الخيرية والمستولين عن المسلمين هناك يمكن أن يحدد ماذا يريدون هناك ؟ ثم بعد هذا يكون لدينا كفاءات محددة ومصنفة وأوقات معلومة ولدينا برامج محددة ومفهومة نستطيع بعد ذلك ببساطة أن نوجه هؤلاء بحسب قدراتهم كل إلى ما يليق به ، ولقد وجدت أنه من الممكن أن نأخذ مجموعة من الشباب إلى بلد مثل الفلبين ، ونوزعهم في معسكرات ، معسكر يضم ١٠٠ من أهل البلاد ، وعشرة من المسلمين العرب ، هؤلاء لا يحسنون الصلاة و النطق بالعربية ، وفي معسكر مدته خمسة عشر يوماً أعتقد أنه الثمرة ستكون إن شاء الله كافية ومجزية ، لأن هؤلاء سيتعرفون على الخطاب بالعربية لمدة خمسة عشر يوماً مثلاً سيتعرفون على طريقة أداء الصلاة ، سيتعلمون كيف يقرأون سور القرآن الكريم ، ويتعلمون تاريخ الإسلام والمسلمين .

وإذا استطعنا بعد ذلك أن نأخذ الأطباء في إجازاتهم ، ونأخذ المهندسين الزراعيين والإحصائيين الاجتماعيين والإحصائيات الاجتماعيات والمعلمات في مجالات التمريض والتدريس والتطريز ، وكل هذا ممكن وسهل وميسور ولدينا الطاقة ، وذلك للاستفادة في تعليم وعلاج هؤلاء ، ولكن نحتاج لعقلية كما قال الشيخ / الغزالي تنظر للأمور بفهم وبوعى ، وحينما يذهب المبعوث المتطوع ستكون هناك أماكن للإسكان والمعيشة ، ويستقبل في المطار وليس لديه إلا تذكرة الطائرة من قبل الجهات التي تنظم هذا العمل .

وأعتقد أن المال الذي يوظف به هؤلاء الدعاة ، الذين يضيعون في هذه البلاد كما رأيناهم ، وأعتقد أن مرتبات هؤلاء كافية لممارسة دورهم ، وإذا كانت هناك من حاجة فأعتقد أن هناك كثيرين على استعداد للبذل حينما يجدون الأمر جاداً .

وهذا المشروع يجب ألا يقتصر على البلاد غير الإسلامية بل يمكن أن يكون هذا المشروع في داخل البلاد الإسلامية من الداخل ، هذه صورة مبسطة من المشروع وهو يحتاج إلى مزيد من الشرح والتفصيل ، وأعتقد أننا قد حاولنا أن نجيب على السؤال المطروح وهو كيف يكون للخدمة الاجتماعية دور في الدعوة إلى الإسلام ؟ وأشكركم جزاكم الله كل خير .

أ. د / جعفر عبد السلام : رئيس الجلسة

أشكر أ. د / عبد العظيم الديب ، والذي عرض في البداية سبق الإسلام إلى تطبيق الخدمة الاجتماعية ممثلة في نظام الوقف والحسبة والشيخوخة ، ثم حدد بعد ذلك معنى الدعوة، والفئات التي يجب أن توجه إليها ، لأن الإسلام دين للعالمين ، ثم انتقل بعد ذلك إلى أن مفهوم الدعوة يتصل بأمريين هامين وهما : تبليغ الرسالة، السلوك والقنوة للمسلمين وكيف أن الأسلوب الثاني له الأفضلية لنشر الدعوة في بلاد العالم ، حيث زاد عدد المسلمين في الدول التي تعامل فيها التجار عن المسلمين في المناطق التي دخلها الجيش الإسلامي الفاتح .

والحقيقة أن الجزء الأخير من حديث سيادته كان متصلاً بالخدمة الاجتماعية والدعوة، وقد قدم اقتراحاً مهماً جداً، وأنا شخصياً متحمس لهذا الاقتراح الممتاز لأن ظروف المسلمين في مناطق كثيرة تقتضي وصول الدعوة بسرعة إليهم لكي يتعلموا كيف يؤدون تعاليم إسلامهم بالشكل الصحيح .
والآن نتقل إلى استكمال أحاديث الأساتذة . .

أ. د / محمد كمال الدين إمام : أستاذ بقسم الشريعة - كلية الحقوق - جامعة الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم .. والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد . فإن حواراً حول صلة الخدمة الاجتماعية بالدعوة إلى الله في إطار مؤتمر أو ندوة تباحث التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، وتركز على محور أساسي هو الخدمة الاجتماعية ربما يقتضي وصلاً أساسياً بين موضوع هذا النقاش وموضوع هذا المؤتمر وهو أمر يحتاج منا إلى مزيد من التدقيق والعناية .

وقد كنت منذ عشر سنوات مهتماً بموضوع الإعلام الإسلامي فوضعت كتاباً أتحدث فيه عن واجبنا نحن الإعلاميين في الدعوة إلى الله كواجب أساسي يقوم به إعلامي مسلم وأذكر أنني قلت يوماً إن هناك ساحات كثيرة ينبغي أن يتجه إليها العاملون في هذا المجال وهو مجال من مجالات الدعوة إلى الله ، وهو مجال الداخل والخارج ، وقلت إننا في الداخل في حاجة لتدعيم الإسلام ، وفي الخارج في حاجة إلى تعميم ولم يكن الأمر مجرد رغبة نحو فتح مصطلحات قد تبدو شيقة ، وإنما كان مقصوداً بها كيف وما هي ضوابط وحدود الداعية في داخل البلدان الإسلامية وخارجها ؟

وفي مجال الخدمة الاجتماعية تشغلني بعض القضايا التي لا أريد أن أدلي فيها برأي ، وإنما أريد أن أضعها بين يدي المختصين يدرسون هذا الموضوع في إطار صياغة جديدة للعلوم الاجتماعية فهل نحن حينما نتحدث عن هذا الإطار وصلته بالدعوة إلى الله نتحدث عن الخدمة الاجتماعية باعتبارها حكماً شرعياً أو باعتبارها عملاً تكليفاً يحتاج إلى حكم شرعي، فنقول إن حكمها الوجوب ، أم أن حكمها الندب أو الإباحة إلى غير ذلك من الأحكام التكليفية التي لا يخرج عنها سلوك البشر ، فلا بد أن يكون السلوك الإنساني في إطار شرعية الله متصفاً بحكم من الأحكام الشرعية ، أما أن نتحدث عن الخدمة الاجتماعية باعتبارها علماً أو مجموعة من العلوم في منظومة العلوم الإنسانية الحديثة أصبحت لها مقوماتها وجامعاتها وكلياتها ، أم أننا نتحدث عن الخدمة الاجتماعية باعتبارها نظاماً أو مجموعة من النظم التي تركز على مجال أو عدة مجالات من أجل تحقيق أهداف معينة بوسائل

معينة محددة ، وهذه الوسائل المحددة كل وسيلة منها لها علماءها، وأريد أن أفاضل بين هذه المجالات المتعددة ، لأن لكل مجال من هذه المجالات أهله في إطار منظومة عامة هي منظومة العلوم الإنسانية .

ولقد كنت أتمنى وأنا أقرأ هذه الدراسة التي تعرض للإيجابيات والسلبيات ، وتحاول أن تقدم رؤية ، وأن تعرض تصوراً ، وأن تبين مواقف من الناحية الأصولية ، مواقف المعارضين لهذا الاتجاه ، ومواقف المدافعين عن هذا الاتجاه ، كنت أتمنى لو أن الموضوع انطلق من هذا الجانب العام ، الذي يتحدث عن العلوم الاجتماعية ككل وتوجيهها نحو الإسلام إلى الخدمة الاجتماعية في ذاتها باعتبارها علماً له خصائصه ومجالاته .

ولقد كنا ونحن صغار في قريتنا ننظر للخدمة الاجتماعية باعتبارها ذلك المكتب الذي يلجأ إليه الفقراء لكي يأخذوا مبلغاً من المال كل شهر أو كل موسم ، وكنا نعتبرها جزءاً يضم ملجأ أيتام - أيتام القرية - ، فهل هذه هي الخدمة الاجتماعية ؟ هذا لون من الخدمة الاجتماعية فلا يوجد مجتمع إلا وجهه عناية لهؤلاء الفقراء سواء أكان هذا المجتمع إسلامياً أو ماركسياً ، لأن الناس بفطرتهم يجب أن يساعدوا الضعيف والفقير، ولكن الخدمة الاجتماعية ينبغي أن ننظر إليها بهذه المعاني الثلاثة : باعتبارها عملاً تكليفاً يضع له الإسلام حكماً وحينما يريد الإنسان أن يبحث في الخدمة الاجتماعية من ناحية الحكم الشرعي فلا بد أن يتجه إلى القرآن والسنة ، وأن يجمع كافة الآيات والأحاديث التي ينبغي أن تعالج هذا الموضوع حتى يستطيع أن يجد المصادر لبحثه ، وذلك لأن القرآن والسنة هما المصدران الأساسيان للشريعة الإسلامية .

وأعتقد أن الإخوة في المعهد العالمي للفكر الإسلامي منذ سنوات ، قد انشغلوا بهذا الأمر ، وقدموا حصراً كاملاً لآيات القرآن الكريم المتعلقة بموضوع الخدمة الاجتماعية ، وقدموا أيضاً حصراً كاملاً لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المتعلقة أيضاً بالخدمة الاجتماعية ، وهو مجال قدم فيه إنجاز محمود ومشكور ينبغي أن يتابع حتى نستطيع أن نحوله من عمل للمتخصصين إلى عمل يستفيد منه العاملون في مجال الخدمة العامة بوجه عام والخدمة الاجتماعية بوجه خاص .

الأمر الثاني الذي أريد أن أتحدث عنه هو النظر إلى الخدمة الاجتماعية باعتبارها علماً فنحن نعلم أن العلوم انقسمت وتطورت واختلفت آراء الناس حولها ، فهل الخدمة الاجتماعية باعتبارها علماً كان لها في التراث الإسلامي مكانة ؟ وهل هناك مؤلفات في هذا المجال ؟ إذن ينبغي ونحن ندعو للتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ونربطها بالدعوة إلى الله أن ننظر للتراث الإسلامي في مجال الخدمة الاجتماعية باعتبارها علماً ، ومنذ أيام كنت أقرأ في كتيب للمرحوم أ.د / محمد عبد الهادي أبو ريدة بعنوان التطور الفكري الاجتماعي

عند المسلمين ، وقد حاول الرجل من خلال مؤلفات الفلاسفة باعتباره أستاذاً للفلسفة أن يعرض لمساهماتهم في مجال الفكر الاجتماعي والذي تعتبر الخدمة الاجتماعية جزءاً من البنية الأساسية الخاصة به ، وما أريده هو أن نجمع هذا التراث ، وأن نصنفه وأن نبين كيف نستفيد منه ؟ لا أقول أن التجربة البشرية يمكن استعادتها ، فالتاريخ يصنع مرة واحدة ، ولكن نستطيع أن نتبين حركة العقل المسلم في معالجة هذه القضايا وكيف يمكن أن نستفيد من حركة هذا العقل في تنشيط العقل العربي الإسلامي الراكد والمتوقف في حياتنا الراهنة حتي يمكننا أن نستعيد الثقة في عقولنا وقدرتها على إبداع أنظمة وعلوم ، واكتشاف مجالات جديدة للبحث .

الأمر الثالث الذي أريد أن أوضحه هو دراسة الخدمة الاجتماعية باعتبارها نظاماً أو مجموعة من النظم ، وما لفت إليه النظر الآن أ . د / عبد العظيم الديب ، و أ . د / جعفر عبد السلام ، وهو مجموعة من الأنظمة الإسلامية التي كانت تغطي مساحات من بينها موضوع الخدمة الاجتماعية كنظام الحسبة وما إلى ذلك ، وأقول للذين ينكرون أن الخدمة الاجتماعية كان لها مكانها في التفكير الإسلامي والعربي منذ القرون الهجرية الأولى ، أن يراجعوا كتب الحسبة العملية والنظرية التي كتبت منذ القرن الثامن الهجري خاصة أنني وجدت مؤلفات في موضوع الحسبة في المذاهب الإسلامية المختلفة منذ القرن الثاني الهجري وظلت هذه المؤلفات تتوالى ربما إلى أواخر القرن الرابع عشر الهجري ، ولا زالت هناك مؤلفات حديثة تظهر في هذا المجال مثل عوض السمانى وإن اختلفت تسمية الحسبة من دولة إلى أخرى ، والسؤال الآن هو ما الذي كان يحكم نظام الحسبة ؟ كانت تحكمه حركة الحياة الاجتماعية بكافة صورها في كل مجالاتها سواء أكانت الخدمة الاجتماعية أو غيرها ، ولهذا كنا نجد لهذا النظام جوانب عملية ، وجوانب نظرية ، والجوانب النظرية هي الأحكام الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة لتنظيم هذا المجال من مجالات الحياة ؟ ثم محاولات المسلمين في مراحلهم المختلفة أن يتناولوا هذا النظام في شكله السياسي كولاية ، أو في شكله الاجتماعي كمجموعة من أنماط الرقابة والضبط لحركة الحياة الفردية والاجتماعية على السواء .

فلو أننا راجعنا هذه المصادر وحاولنا أن نصنفها تصنيفاً علمياً دقيقاً ، ولدينا من هم على دراية بهذا ، أستطيع أن أقول إننا سنجد للخدمة الاجتماعية تاريخاً متطوراً في مجال الدعوة إلى الله باعتبارها حكماً وعلماً ونظاماً وهذه المجالات لا أستطيع أن أفصل بينها فصلاً متكاملاً ، وإنما أصل بينها الحاجة الدراسة العلمية ، فحينما أريد أن أبحث عن حكم ، لابد أن أبحث عنه في الكتاب والسنة وكتب الأصول الشرعية ، وإذا أردت البحث عنها باعتبارها علماً علي أن أرجع إلى التراث الإسلامي على امتداد تاريخه الطويل ، وحينما أبحث

عنها باعتبارها نظاماً أستفيد من الكتب المتعلقة بالنظم مثل كتب الحسبة وغيرها فقد أردت أن أنه إلى هذه النقطة باعتبارها جزءاً من المنهجية التي يدعو إليها الدارسون في هذا المؤتمر وغيره من المؤتمرات التي تسعى إلى توجيه الإسلام للعلوم وصلة ذلك كله بالدعوة إلى الله؟ فللدعوة إلى الله أيضاً مفهوم عام ، والإسلام كله دعوة إلى الله ، والرسول صلى الله عليه وسلم قال لنا ذلك ، والقرآن أوضح ذلك من قبل من خلال حوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركون في سورة غافر ، وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ وقوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلْ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ، وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقوله ﴿وَيَأْقُومَ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ وهذا التعبير العام لا يعني النجاة فقط من نار الآخرة ، وإنما يعني أيضاً النجاة في الدنيا بكل ما يحتويه هذا المعنى من معان فردية وعامة .

والحق أنني أردت أن ألفت النظر إلى مجموعة من القضايا المنهجية الهامة التي تصل بين الدعوة والخدمة الاجتماعية وتصل بين موضوع المؤتمر وموضوع الخدمة الاجتماعية بصلة متعمقة وهادئة مع تأصيل هذه المسائل والتدقيق في مفاهيمها حتى لا تكون مؤتمراتنا مجرد كلام في الهواء... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أ . د / جعفر عبد السلام : رئيس الجلسة

شكراً للدكتور / محمد كمال الدين إمام على عرضه الطيب ، لبعض المفاهيم الأساسية التي نحتاج إليها بالفعل في دراستنا للخدمة الاجتماعية والتوجيه الإسلامي لها ، فقد حاول أن يبرز الخدمة الاجتماعية والآراء التي حولها ، وأوضح أنه يمكن اعتبارها حكماً وعلماً ونظاماً ، وأضاف إلى معلوماتنا الكثير عن الكتب التي تناولت في التراث الإسلامي موضوعات الخدمة الاجتماعية ، وهي بلا شك مسألة ينبغي على الباحثين أن يتعرفوا عليها .

أ . د / محمد أحمد عبد الهادي : الأستاذ بقسم الخدمة الاجتماعية

بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم ... والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ... فعذراً للتأخير فقد حرصت على الحضور مبكراً لأمرين أولهما لأنني أعيش هذا العصر وأرقب دور فضيلة الشيخ / محمد الغزالي في هذا الوقت ، الأمر الثاني دعم فضيلته للخدمة الاجتماعية في مؤتمراتها .. حيث كان الأول منذ عامين وقد شاركنا في معظم حلقاتها ، وعلق ووجه وصوب الكثير من الأفكار التي عرضت في المؤتمر الأول .

جاء في خاطري بعد حديث أستاذنا الفاضل / د . عبد العظيم الديب في أن آخذ أوراقني، خاصة وأنه طرق قضايا هامة ، فقد أحسست أنه إحصائي اجتماعي مسلم كما نريد ، ولكني تشجعت وقلت أو اصل ، وبعد قليل فوجئت بالأستاذ . د / إمام يطرح مجموعة من القضايا جعلت الموقف أكثر حرجاً ، لكنني على قدر ما أتيح لي من اجتهاد في هذا الموضوع أبدأ بتعريف أو تحديد بسيط للخدمة الاجتماعية ، وكيف تسير في الاتجاهات أو القضايا التي طرحها الدكتور إمام .

الخدمة الاجتماعية ليست علماً كالعلوم الأخرى مثل علم الاجتماع مثلاً، بمعنى أنها تدور في فلك النظريات والقضايا النظرية ، وليست نظاماً اجتماعياً ثابتاً ، ولكنها مهنة لها مقومات المهنية بالمعنى المعروف عصرياً ، فهي تقوم على بعض المعارف النظرية ، تستفيد من العلوم النظرية ، لها معاهد تدرس هذه العلوم وتعطي مهارات وتدريب الطلاب عليها ، لها مؤسسات ومنظمات معينة تعمل من خلالها داخل المجتمع ، كل هذا يشكل لها مقومات المهنة ، وسمعتها بالأمس من أ. د / الفاروق زكي يونس أن هذه المهنة بصورتها التي جاءت به إلينا كانت مستوردة ، وهذا ليس بغريب في مجتمع فعل التغريب فيه الكثير ، فاستورد الكثير من النظم ، وباتت النظم القائمة فيه ، نظاماً في مجملها تنحو المنحى العلماني الذي يفصل الدين عن المجتمع . متأثرة بأقوال وظروف معينة مرت بها أوربا ، ونقلت هذا بالإكراه لظروف تعلمونها جميعاً .

نحن في الخدمة الاجتماعية تعلمنا هذا النموذج العربي وتعلمنا في مدارسنا و كلياتنا تعليمًا الدين فيه بعيد إلى جد كبير ، ولكننا عشنا بفضل من الله في وقت فيه صحوة إسلامية وعندنا بفضل من الله الفطرة ، فأخذ كل منا يبحث في مجاله ... أين نحن كمسلمين ؟ وماذا نستطيع أن نقدم للإسلام ؟ وللمجتمعات الإسلامية التي يحاصرها الأعداء في الداخل والخارج ، وفي كل مكان ؟ وكانت قضية محيرة إلى أن هدانا الله بفضلله وبتوجيه من بعض الإخوة الزملاء ولا أريد أن أذكر أسماءهم الآن ، لأنهم يستحيون من ذلك كثيراً ، ولكن بدأت بعض الاتجاهات تسأل أنفسها أين تقف ؟ وهل يمكن أن نستخدم هذه المهنة بشكلها الراهن وبطرقها وأساليبها الراهنة كما هي ونصنع بها شيئاً مفيداً في المجتمع الإسلامي ؟ أم أن الأمر يقتضي ثورة شاملة تطيح بهذه المهنة وتبدأ بنياناً جديداً ، ونظريات جديدة ؟ ولكل من هذين الاتجاهين ما يبرره ، وبتوفيق من الله توصلنا إلى صياغة تكاد تكون مقبولة بعضها علمي وبعضها سياسي إلى حد ما وقلنا نبدأ في خطين متوازيين ، خط يؤصل ويقنن كما يرجو أ. د / إمام ، ويرجع الشيء لأصله ويصل لأطر نظرية للممارسة الفعلية للخدمة الاجتماعية الإسلامية أو من خلال منظور إسلامي ، وخط آخر يأخذ بالممارسة وينحي ما يتعارض مع قيمنا وإسلامنا تنحية كاملة ، ويبقى الكثير لأنها مهنة

تعتمد على مهارات وأدوات أكثر مما تعتمد على أيديولوجيات أو نظريات وتشعر في العمل وفي الممارسة في المؤسسات الإسلامية، وتطرق ميادين جديدة .

وقد كان بتوفيق من الله يقود الاتجاه الأول إخوة كرام أعطاهم الله من العلم ما يمكن أن نطلق عليه المعرفة الشمولية مما يجعلهم يتجهون في الاتجاه الأول ويقطعون فيه مسافات طيبة .

الاتجاه الثاني : اتجاه ممارسة وبدأ بفضل من الله في السعودية (الرياض) من خلال جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وبدأنا العمل في منظمات وهيئات الإغاثة الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي والحمد لله لنا بعض الخبرات في هذا المجال .

نبدأ في نخوض مجالات نشعر بأنها مجالات حتمية وهو مجال الدعوة إلى الله ، وبدأت بعض الكتابات في هذا سراء في المؤتمر الماضي ، أو الحالي حيث يوجد بحث عن دور خدمة الفرد في الدعوة إلى الله ، وهو مجال هام ، وماذا يمكن أن تقدمه الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة إلى الله ؟ لا ندعي أننا سنكون دعاة بالمعنى الصحيح للداعية ، وإن كان هذا أمل نرجو أن يتحقق للإحصائي الاجتماعي في أن يجمع بين الاثنين .. بين الفقه والعلم الشرعي وبين المهارات والأسس والقواعد التي يمكن أن تتيحها له الخدمة الاجتماعية ، ولكن كما قلت إن التربية العلمانية غطت مساحات كبيرة من معاهدنا ومدارسنا ، لا نجد في معظمنا القدرة على أن يجمع بين الاثنين، فإذا كنا لا نملك ذلك فنحن على الأقل لدينا حصيلة من المهارات ، ومن المعارف التي تتعامل مع الإنسان وترشده وتساعد في حل مشكلاته وفي تغييره ، إذن يمكن أن نستفيد من هذه المهارات ومن هذه المعارف في العمل مع الدعوة والدعاة ومنظمات الدعوة .

وحينما نتكلم عن الدعوة الآن فلا بد أن نتكلم عن الدعوة من خلال منظمات وتنظيمات ، فالدعوة الفردية رغم أهميتها قاصرة ، ومحدودة ، أما الدعوة من خلال المنظمات فهي دعوة وعمل مستمر ، وفي إحصائية بسيطة جداً ولعلها توضح لنا ماذا يفعل النصارى فيما يسمونه تبشير أو تنصير ، في إحصائية (ديفيد) قارن بين عدد من المنظمات من ١٩٨٠م إلى ١٩٨٩م ، فوجد أن عدد المنظمات المسيحية التي تقدم خدمات ١٧٥٠٠ منظمة ، تطور إلى ٢٠٧٠٠ منظمة ، وهناك المنظمات التي ترسل مبشرين للخارج وعددها ٣١٠٠ منظمة أصبحت ٣٨٠٠ منظمة ، مجموع التبرعات لأغراض جنسية في أمريكا كان مائة بليون ، وأصبح ١٥١ بليون ولعله زاد الآن ، وعدد أجهزة الكمبيوتر عند المنظمات المسيحية كان عام ١٩٨٠م ٣ مليون أصبح في عام ١٩٨٩م ٤٥ مليون ونصف مليون من الأجهزة .

وفي تقرير لـ لجنة يهودية بأمريكا ذكرت أن ثلث اليهود الأمريكيين ينتمون لمنظمات ، وأن نصفهم ينتمون إلى معابد يهودية تبلغ ٣٠٠٠ معبد في أمريكا إلى آخره ، ولكن سر

فبحاح هذه المنظمات أو الاتجاهات (النصارى واليهود) في ذلك أنهم يعملون عملاً منظماً من خلال منظمات معينة ، في الجانب المقابل إذا سألتني أحد منكم عن عدد المنظمات الإسلامية التي تعمل في العالم الإسلامي فلن أجد إجابة ولن أجد إحصائية واحدة يمكن الوقوف عليها؟ لا في عدد المنظمات ولا في مجالات عملها ، ومن المشكلات التي تواجهنا في العمل في كثير من المنظمات الإسلامية أننا نعمل في فراغ .

إذن الخدمة الاجتماعية يمكن أن تساعد نظام الدعوة ومنظمات الدعوة الإسلامية في مجالات متعددة، فالنسبة للمجتمع نفسه فالداعية يجب أن يعرف المجتمع ، والخدمة الاجتماعية يمكن أن تساعد بعض الدراسات ، في دراسة المجتمع الذي يعمل فيه الداعية من حيث من يخاطب؟ وبأي وسيلة؟ وبأي طريقة؟ وما طبيعة هذا المجتمع؟ وما مشكلاته ونظمه وعلاقاته واحتياجاته؟ وما القوى الاجتماعية التي تتعامل معه؟ وما القيادات الموجودة واتجاهاتها؟ وما المنظمات الموجودة ومجال عملها وكيف تعمل؟ وكيف يمكن الاتصال بالمجتمع؟ هل بالكلمة أم بماذا؟ وهكذا يتضح أن الخدمة الاجتماعية لها دور في مساعدة الداعية على العمل مع المجتمع بصورة علمية سليمة . كما أننا في أشد الحاجة إلى المنظمات الإسلامية التي تعمل في مجال الدعوة إلى الله ، كيف يمكن أن ننشئ هذه المنظمات؟ وبأي طريقة؟ وكيف تعمل وتدار؟ والخدمة الاجتماعية يمكن أن تساعد في إنشاء هذه المنظمات ، والبحث عن متطوعين لهذه المنظمات ، وتنظيم وإدارة هذه المنظمات، ووضع استراتيجية محددة بعيداً عن التخبط ، والتنسيق بين الهيئات الاجتماعية الإسلامية الموجودة وأن نكتشف الكفاءات الموجودة كما أشار أ. د/ عبد العظيم الديب؟ وكيف يمكن للداعية أن يكتشف ذاته ، وأن يعرف نواحي القوة والضعف فيه؟ وما الأسلوب الذي يناسبه؟ وإذا أردنا أن تعمل المنظمات فلا بد من تمويل مالي كما أشار فضيلة الشيخ محمد الغزالي ، وكيف أن أموال المسلمين تضيع على الملذات والشهوات ، وإذا كانت المنظمات الإسلامية تحتاج لتمويل ، فإن الخدمة الاجتماعية يمكن أن تفيد في تمويل المنظمات من خلال تحديد كيفية إعداد حملة لجمع المال؟ وأين نجمع الأموال؟ وما الصورة المثلى للاستفادة من الزكاة وكيف تتم؟ .

كما يمكن للخدمة الاجتماعية أن تفيد في نظام المعسكرات عن طريق تحديد كيف تتم؟ وكيف تعطي الفكر والتوجيه والعمل؟ وكذلك المؤتمرات الإسلامية هل تتم كما تتم في بعض المؤتمرات؟ وهناك مجالات أخرى يمكن أن تفيد فيها الخدمة الاجتماعية سواء على المستوى الفردي ، أو تقديم الخدمات ، أو العمل على مستوى قطاعات معينة من الشباب ، وأشياء أخرى كثيرة يمكن للمهنة أن تقوم بها ، وأعتقد أن الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية مسألة حياة ومستقبل لهذه المهنة إذا أردنا لها أن تستمر وأن تضرب بجذورها ... وشكراً لكم على حسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أ. د. / جعفر عبد السلام : رئيس الجلسة

أشكر الدكتور / محمد أحمد عبد الهادي على هذه الكلمات التي أوضح من خلالها أحد المجالات الهامة للخدمة الاجتماعية وهي مجال الدعوة إلى الله ، والمنظمات الاجتماعية التي تؤدي هذه الوظائف ، وكيف أنه لا توجد استراتيجية واضحة للمنظمات التي تعمل في مجال الدعوة الإسلامية ، وأشار إلى الاستراتيجيات التي تساعد هذه المنظمات على تحقيق أهدافها كما أبرز الدور الذي يمكن أن تؤديه الخدمة الاجتماعية في إقامة هذه المنظمات وتمويلها وتحديد مجالاتها .

والآن وبعد انتهاء وقت الكلمات للسادة المتحدثين ، وكما ترون كنا نريد أن نضع خطوات أساسية لنحدد العلاقة بين الخدمة الاجتماعية والدعوة إلى الله وكيف تستخدم الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة إلى الله أما فكرة المنظمات ووضع استراتيجية لها فتحتاج لمناقشة ، سواء أكانت منظمات دولية أو حكومية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي ، ولدينا العديد من المنظمات الشعبية كرابطة العالم الإسلامي والعديد من المنظمات ، وهناك منظمات عديدة ربما لا أذكر أسماءها الآن ، ولكن العالم الإسلامي مليء بالمنظمات التي تعمل في مجال الدعوة .

أما عن قضية الاستفادة بالشباب وتوجيهه كقوة دافعة إلى العمل في مجال الدعوة ، فهي تحتاج إلى مزيد من المناقشة والبحث .

د. فوزي الصباغ :

بسم الله الرحمن الرحيم ... في الواقع لدي اقتراح هو إنشاء أكاديمية للتجارة والتكنولوجيا في إطار جامعة الأزهر وهذه الأكاديمية المقترحة تتكون من كلية للإدارة ، وكلية للتكنولوجيا ، ومدة الدراسة المقترحة عامان ، لأن الدارسين ، كما أقترح أن يكون الطلاب من خريجي كليات جامعة الأزهر ، يضاف إليهم نسبة معينة تحددها الجامعة من خريجي الجامعات الأخرى ، يجتازون امتحاناً معيناً في الفقه وحفظ القرآن الكريم والحديث ، على أن يكون سن الدارس في حدود ٢٥ إلى ٣٥ عاماً ، مع إعطائهم مكافآت مناسبة وأن يصعدوا إلى مناصب مناسبة في كل المجالات من خلال الأزهر .

كما يمكن استكمال هذا الاقتراح بأمر آخر وهو أن يتعهد الأزهر بصفة عامة اللاتقين صحياً وجسماً من طلاب المدارس الثانوية الأزهرية لإلحاقهم بالكليات العسكرية ، وهذا أمر في غاية الأهمية وضروري جداً ، ولهذين الاقتراحين تغذية عكسية يؤدي إلى زيادة الإقبال على الدراسة بالأزهر ، فتكون هناك فرصة أفضل وأكبر للانتقاء في مرحلة الدراسة

الثانوية ، ويتم رفع الكفاءة النوعية للداعية ، وهذا يساعدنا بدوره على تطوير وتحسين المناهج في الأزهر .

وهناك ملاحظة أخرى صغيرة فيما يختص بما ذكره الدكتور / محمد أحمد عبد الهادي عن الأرقام التي تفضل بذكرها والتي رغم أنه قرأها من مرجع واضح إلا أنني لدي أرقام أخرى أتذكرها جيداً ، وهي أن اليابان على سبيل المثال بها مليون منصر وبها مليون مسيحي ، وإفريقيا بها مليون بعثة تبشيرية ، وأن جيش الخلاص ، وهو إحدى جهات التنصير به ٢ مليون منصر .. وشكراً جزيلاً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أ. د / جعفر عبد السلام :رئيس الجلسة

شكراً للدكتور / فوزي ، في الواقع فإنني قد خصصت العامين السابقين في زيارة الدول التي توجد بها مجتمعات إسلامية ، سواء دول أوربية أو آسيوية .

ولعل سيادتكم ستسعدون عندما تعلمون أنه على بعد ٢٠ كم من سييرا توجد مساجد يذكر فيها اسم الله ، وأن جموعاً غفيرة من المسلمين يؤدون الصلاة ، ويعرفون بعض أمور دينهم في هذه الأماكن في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق والتي ربما لم تعرف سوى عبارات مثل لا إله إلا الله ، والسلام عليكم .

والخلاصة أنني انتهيت إلى أن هذه المجتمعات لا نعرف عنها شيئاً ، مع أن بها مسلمين متحمسين لدينهم وحركة بناء المساجد في كل قرية تتم من قبل الأهالي أنفسهم ، ولكني في الواقع رأيت أن هؤلاء الناس في حاجة ماسة إلى جهودنا ، وقلت ماذا لو جندنا الأشخاص المتخرجين حديثاً ، وأرسلناهم لتعليم هؤلاء ، وهنا يأتي دور الخدمة الاجتماعية ، وكيف يمكن جمع هؤلاء الشباب وكيف يمكن أن نحولهم إلى قوة ضخمة ، وقوة روحية تؤثر في الغير فالمشكلة ليست مشكلة علم وفقه ، ولكن مشكلة روح قوية تستطيع أن تنقل الإسلام بقوة وهنا ربما يكون الداعية القوي إحصائياً اجتماعياً من أجل ذلك نحن نبحث عن إحصائيين اجتماعيين لهم سمات معينة يعايشون الشباب ويقومون سلوكهم ، مع مراعاة أن مقومات الحياة هناك متوفرة خاصة الزراعة ، حيث يرحب أهالي هذه البلاد بالشباب من هذا النوع ، وقد حاولنا وضع هذه التجربة موضع التنفيذ فبحنا في بعضها وفشلنا في جوانب أخرى ، إلا أن المشروع في سياق البحث حتى الآن ، وقد أشرت إليه لأسمع مزيداً من الأفكار ولو خارج نطاق هذه الجلسات والمناقشات الرسمية .

**أ.د / ابراهيم عبد الرحمن رجب :رئيس قسم الخدمة الاجتماعية بجامعة
الإمام محمد ابن سعود الإسلامية**

بسم الله الرحمن الرحيم .. أود أن أشير إلى جوانب أخرى لم تأخذ حقيها في المناقشة ، أولاً الدكتور / عبد الهادي أشار إلى ما يمكن أن يقوم به الأخصائي الاجتماعي في الدعوة إلى الله، فأرجو أن يكون واضحاً لدى الجميع أن جهود التنصير لا تقوم على الوعظ بالكلمة ، وإنما تقوم على تقديم خدمات اجتماعية محددة ، برامج ما يسمى بتنمية المجتمع المحلي ، حيث يستخدم هؤلاء الخدمة الاجتماعية بكفاءة بالغة عندهم رغم باطلهم حيث تستخدم الخدمة الاجتماعية في الدعوة إلى ذلك الباطل من خلال دراسة حاجات الناس وتصميم برامج لما يسمى بالتنمية في مجتمعاتهم ، تجعل الناس يحتكون بالمنصرين ، فأين نحن من هذا ؟

الجانب الآخر الذي لم يذكر هو الجانب الفردي فقضية الدعوة إلى الله تدخل في صميم عمل الأخصائي ، كما تفضل أخي الدكتور الإمام أثناء حديثه عن الدعوة إلى الله والتي هي فرع من التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية والآن عندما نتكلم عن الإنسان الذي يأتي كأخصائي اجتماعي ليساعد في حل مشكلة لا يعرف صلة هذه المشكلة بالله سبحانه وتعالى ، من هنا وجب على الأخصائي الاجتماعي أن يفهم هذه الصلة ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**أ.د / سامية محمد فهمي : عميدة المعهد العالي للخدمة الاجتماعية
بالاسكندرية**

بسم الله الرحمن الرحيم .. أحب أن أدمع فكرة أ.د/ عبد العظيم الديب وعلى استعداد للتعاون معه ، لأنها فكرة قوية وهامة ، خصوصاً في ظل الظروف الراهنة ، وفي الحقيقة أنه يمكن استخدام الأخصائيين الاجتماعيين في هذا المجال ، وغيرهم من المتطوعين مثلهم تماماً ، حيث يستخدم هؤلاء طرقاً متعددة وقوية ، ولكن المتطوعين يحتاجون إلى خلفية دينية قوية وبسيطة ، ولكن يمكن استخدامهم في جميع المجالات المتنوعة للخدمة الاجتماعية ، فنخلص إلى أننا لنا دور قوي ولكن يبقى توظيفه من خلال القنوات الشرعية التي لا تحارب هذا الاتجاه ، وعدم تلويته في أشياء أخرى ... وشكراً

حلقة نقاشية حول

قضايا المنهجية وانعكاساتها على العلم والمجتمع

رئيس الجلسة :

أ.د. عبد الفتاح الحسيني الشيخ : رئيس جامعة الأزهر

المشاركون :

أ.د / أحمد فؤاد باشا

أستاذ الفيزياء بكلية العلوم - جامعة القاهرة

أ.د/ عبد الوهاب المسيري :

أستاذ بكلية البنات - جامعة عين شمس

أ.د / أحمد المهدي عبد الحليم :

أستاذ المناهج وطرق التدريس

أ.د/ آمنه نصير :

أستاذ العقيدة وعميدة كلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر بالإسكندرية

أ.د/ زهيرة عابدين :

أستاذة طب الأطفال ورئيس معهد صحة الطفل

أ.د/ أحمد فؤاد باشا :الأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد ..

سوف أتناول من خلال حديثي علاقة العلم بالمجتمع وحاجتنا إلى نظرية علمية إسلامية يتحرك في إطارها المتخصصون فتضبط حركتهم وتحقق الأهداف المرجوة منها ولست بحاجة إلى التأكيد أن علاقة العلم بتطبيقاته بالمجتمع علاقة قديمة قدم نشأة التفكير العلمي ، فالعلم يلعب دوراً أساسياً في حالات الأفراد والمجتمعات ويسهم إسهاماً مباشراً في رسم تصورات الإنسان عن الكون وعن العالم الذي يعيش فيه ، ومن يستقرىء تاريخ العلم والحضارة يمكنه ملاحظة أثر التطور العلمي على مناهج التفكير وطبيعة التحول في مختلف دروب النشاط الإنساني وإذا ما قارن المرء بين حدود عالم الإنسان منذ كان يستخدم الحجر لإشعال النار إلى أن وصل إلى تفجير الطاقة من الذرة والنواة ثم تعددت رحلاته إلى القمر وسافرت أجهزته ومعداته إلى الكواكب البعيدة .

وقديماً على سبيل المثال كانت النظريات الفلسفية عن أصل الكون متعددة لأنها قامت على فروض ذاتية قوامها التأمل العقلي الخاص ، وكانت إحدى هذه النظريات تقضي بأن العناصر الأساسية الموجودة في الكون أربعة هي الماء والهواء والتراب والنار ، وهو ما تصوره الإنسان عن الكون في وقت ما ، وجاء العلم بعد ذلك بالمنهج التجريبي ليؤكد بما لا يحتمل الشك وجود ما يزيد على مائة عنصر يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، أو تحضيرها في المعمل ، وأثبت أن الماء ليس عنصراً واحداً ولكنه يتكون من عنصرين هما الهيدروجين والأكسجين وأن الهواء والتراب خليطان من عدة عناصر ، وأن النار ظاهرة حرارية ، أي أن الصورة القديمة تغيرت تماماً بفضل التقدم في العلوم الكونية وهاهو الإنسان حالياً يرسل أجهزته لترصد حالة الكون المعروف لنا ، ويصور لنا النشأة الأولى للكون ، كل هذا بدأ يسحب البساط من تحت التصورات الفلسفية والآراء العقلية الخاصة.

والعلم بتطبيقاته يصب مباشرة في نفس الإنسان وتجربته ويلقي بظلاله على أنماط العلاقات والسلوك بين الأفراد والمجتمعات هذا من ناحية تأثير العلم على المجتمع كما أن المجتمع أيضاً له تأثير على العلم وتقدمه وتطوره وعلى أفكار العلماء وهناك مبحث خاص يناقش هذه القضية وهو سيولوجية العلم أو علم الاجتماع الآلي ومعالجة تأثير الثقافة السائدة في مجتمع ما على بناء نظرية علمية معينة ، وعلى مدى تقبل المجتمع لمثل هذه النظريات وقصة جاليليو ليست بعيدة كمثال على هذا الكلام .

بما أن العالم جزء من المجتمع ، والمعرفة العلمية أيضاً جزء من فاعليات النشاط الإنساني ، فهناك مباحث خصصت لمعالجة سيكولوجية العلم والكشف العلمي وعلم القيم والأخلاقيات المتعلقة بالكشف العلمية وتطورها ، إذن العلاقة بين العلم والمجتمع علاقة متبادلة وتأخذ صوراً مختلفة وأصبح العلم يعامل كأنه كائن حي له جوانب متعددة كالجوانب النفسية والاجتماعية ، وإذا أردنا أن نتعرف على مراحل تقدم العلم ونعثره فعلياً أن ندرس هذه الجوانب دراسة منهجية لمتابعة حركة التقدم العلمي .

العرض السابق يدل على أهمية الأمور المنهجية في معالجة القضايا عموماً ، لأنه لو نظرنا إلى واقع التخلف العلمي بيننا وبين الدول المتقدمة ، سوف نجد أن هذا التخلف ليس ذا طابع كمي وإلا لاستطعنا عن طريق تكثيف الجهود أن نسد هذه الفجوة ، ولكن التخلف في حقيقته تخلف نوعي وسببه التأخر في استخدام المنهج المناسب للعلوم المختلفة ، وإذا كان البعض يتحدث عن التوجيه الإسلامي للعلوم فإنه بإمكاننا أن نضع تصوراً لنظرية إسلامية متكاملة مستمدة من أصول الإسلام متمثلة في القرآن الكريم والسنة وفي جهود السلف الصالح وفي ضوء المستجدات المعاصرة ، ولكن هذه الأمور يمكن على أساسها أن نصوغ نظرية منهجية تحكم توجيهات الفكر في مختلف جوانب الحياة ، وهذه النظرية ستكون دعائمها الأولى هي التوحيد الإسلامي .

ويعد المنطلق من التوحيد الإسلامي له ميزة هامة هي تكوين العقلية العلمية القادرة على الإبداع لأن التوحيد هو نقطة الإنطلاق نحو الرؤية الصحيحة لحقائق الوجود والكون ، وهناك ميزة أخرى ، وهي جعل الباحث أقدر من غيره على ممارسة البحث العلمي السليم والبحث عن محور الوحدةانية من خلال التنوع في الموضوع أياً كان هذا الموضوع مثل البحث عن محور الوحدةانية في شخصية الفرد الإنساني ، على الرغم من تعدد جوانب هذه الشخصية، وتنوع العلوم الباحثة فيها ، كما يمكن أيضاً أن يبحث عن جوهر الوحدةانية في ظواهر الكون المتعددة ويصل إلى التعميم اللازم عن طريق الثقة والاطمئنان ، وهذه الميزة لا تتوفر لباحث آخر ينطلق على سبيل المثال من مسلمة وضعية كمسلمة الحتمية فيعتقد بسلطة العلم وتقديس العلم ، وبعد ذلك يتطور العلم ويتنقل إلى مرحلة الاحتمية وعدم اليقين والنسبية ويكون على هذا الباحث أن يبحث عن مبدأ آخر ويلهث وراء مبدأ آخر يكفل له الإجابة على تساؤلاته .

إذن المنهج الإسلامي بهذه المسلمة وما يترتب عليها مسلمات أخرى تبعث في الباحث الثقة والاطمئنان وعدم إطلاق صفة مطلقة على المعرفة العلمية واعتبارها معرفة

نسبية، مقارنة بعلم الله الذي لا يقارن ، وهكذا نجد أن مجرد الانطلاق من مسلمة التوحيد يحكم ويضبط حركة العقل ويرشدها في الاتجاه السليم .

أيضاً من ميزة المنهج الذي نتصوره أنه مرن ، حيث يتسم بمرونة أدوات المعرفة ، لم يضعها كما وضعها المفتونون بالمنهج العلمي الغربي ، والذي صوروه لنا على أنه قائمة من التعليمات والإرشادات لا يمكن للباحث أن يتجاوزها ، ولكن الحقيقة أن البحث العلمي لمن مارسه ليس بهذه الصورة ، ويحتاج إلى أدوات ووسائل تستخدم بمرونة ، فالمنهج الإسلامي هو منهج قائم على مجموعة من الثوابت الإيمانية والفكرية وفيه مجموعة من الإجراءات والخطوات التي تلتزم بها .

والمنهج الإسلامي الذي نتصوره يحتاج لوقت طويل لمناقشته ولكن هناك ملاحظات سريعة أشير إليها :

أولاً : يؤخذ على اللقاءات والمؤتمرات أنها تسرف في طرح مصطلحات جديدة ثم يبدأ الخلاف حول هذه المصطلحات فتقول مرة إسلامية ومرة أسلمة ومرة تأصيل وما إلى ذلك مما يؤدي لضياع الوقت في النقاش وبالتالي نبعد عن الهدف الذي يرسمه لنا التفكير العلمي السليم .. وهي أول مسالك المنهجية .

ثانياً : الفجوة بين الثقافات وبعضها البعض تؤثر على صياغة المنهجية السليمة ، فهناك شبه عزلة بين دارسي العلوم الإنسانية والكونية والشرعية وتوحيد العلاقة بين هؤلاء الدارسين من شأنه أن يساعد على اكتمال الرؤية السليمة وصياغة المنهج بصورة مقبولة تساعد على نهضة العلم ، ومن ثم نهضة الأمة في المرحلة الراهنة .

و كنت أود أن أتطرق إلى موضوعات كثيرة ، ولكن احتراماً للوقت أكتفي بهذا الوقت .. وشكراً لحضراتكم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أ.د/ عبد الفتاح الحسيني الشيخ : رئيس الجلسة

أشكر للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا على عرضه ولكن اسمحو لي أن أقول إن التوجيه الإسلامي للعلوم عقدت له ندوة في هذا المركز وقد أوضحنا أن الإسلام لا يحجر على العلم إطلاقاً لقوله تعالى ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، ولم يحدد نوع النظرة ، ولكن توجد في الشريعة الإسلامية قيود أخرى ، وحينما وصلنا إلى الذرة وتفجيرها وفوائدها وأضرارها نجد الإسلام يقول إنك بوصولك إلى هذه النظرية العلمية ، وهذا فرض كفاية على كل مسلم ومسلمة ، إذا قام به البعض سقط الوجوب عن الآخرين

أما إذا أحجمنا عن النظر والبحث الذي يقوي الأمة الإسلامية في جميع نواحي الحياة نكون جميعاً آثمين تماماً كصلاة الجنابة إذا قام بها البعض سقط عنا الحرمة والإثم جميعاً ، ولكن إذا أحجمنا جميعاً عن الميت كنا جميعاً آثمين .

والعلم فرض كفاية ، وفي بعض الأحيان يكون العلم فرض عين ، فإذا توصل أعداء الأمة الإسلامية مثلاً إلى سلاح يفتك بالأمة الإسلامية ، وجب علينا أن نقوم بشراء السلاح المضاد أو أكلف مجموعة من شباب الأمة أو علمائها لكي يصلوا إلى السلاح المضاد ، وهو فرض عين في هذه الحالة ، لذلك فإن الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ ، اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يوفِ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ .

ولم تحدد الآية نوع القوة .. وإلا لما وصلنا إلى الصواريخ والدبابات والحرب الكيماوية والذرة لذلك علينا أن نملك مثل ما يملكون حتى ندفع عن أنفسنا الشرور ، وعلى هذا فالعلم لا حكر عليه وأسلمة العلوم تسمية أرجو ألا تقحم إقحاماً فليس هناك كيمياء إسلامية وأخرى قبطية، وأيضاً هناك من يقول الطب الإسلامي فما هو الطب الإسلامي ؟ هل هناك استئصال أعور إسلامي وآخر غير إسلامي ؟ العلم لذات العلم ، إذا عاد بالنفع على الأمة الإسلامية وجب علينا أن نطبقه وإذا عاد بالضرر وجب علينا الامتناع عنه ، وهنا يأتي المقياس الإسلامي في أثر هذا العلم هل يؤدي إلى الدمار أو يؤدي إلى المصلحة ؟ فإذا غلبت المصلحة على الضرر وجب العمل والعكس صحيح وإذا تساوت المصلحة والضرر فهو مباح للمسلم أن يفعل أو لا يفعل ، ذلك هو ضابط الشريعة الإسلامية في كل نواحي الحياة ، إذا التزمنا بذلك فكل شيء جائز ما لم يخالف نصاً من كتاب أو سنة .

أ.د/ أحمد فؤاد باشا :

أنا من المؤمنين بضرورة الجمع بين المنهج الغيبي والمنهج البحث في العلوم الكونية ، فالقرآن الكريم حثنا على البحث والتأمل في ظواهر الكون لاستخلاص قوانينها والتعرف على سلوكها والإفادة منها في حياتنا لترقية الحياة كما أمرنا الله سبحانه وتعالى ، ولم أقل إننا نبحت عن نظريات بديلة ، ولكن يجب عدم الخلط بين استخدام المناهج فنحن نبحت في العلوم الكونية ويجب أن نبحت فيها باستخدام المنهج الاستقرائي الرشيد الذي وضع أصوله علماء الحضارة الإسلامية لأول مرة ، بعد أن كان المنهج العقلي أو القياس الصوري هو المنهج السائد عند الإغريق، ثم جاء ابن تيمية وغيره ونقلوا هذا المنطق الأرسطي ثم شرعوا في استخدام معاني القرآن الكريم ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً

وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴿ ولو كان الوقت متاحاً لأوضحت لكم أن هذه الآية تمثل

نظرية معرفية إسلامية لأنها حددت وسائل المعرفة دون أن تقدم وسيلة على الأخرى وتركت الحرية للعقل البشري في معاملة الموضوعات واستنباط الحقائق والحكم على صحتها. وهذا المنهج الإسلامي في البحث في العلوم الطبيعية هو الذي أخذته علماء الغرب واستفادوا به في ترقية أبحاثهم المادية ولكن للأسف أخذوا من هذا المنهج جانباً المادي فقط وتركوا الجانب المتعلق بقيم العلم وأخلاقياته وهو ما يعرف بالجانب الروحي الذي حث عليه الإسلام .

وإذا كنا نطالب بصياغة إسلامية لمنهج علمي معاصر فإننا بهذا نعيد للمنهج صيغته الإسلامية بجانيه المادي والروحي دون خلط بين المناهج وبعضها ، فلدينا علم الغيب وله منهجه كما أشار إليه القرآن ، ولدينا عالم المادة وله منهجه في البحث العلمي التجريبي وبهذا يتحقق التوازن ونصلح الخلل الذي تعيش فيه الحضارة المعاصرة .. وشكراً

أ.د/ عبد الفتاح الحسيني الشيخ : رئيس الجلسة

اسمحوا لي أن أقول إن نقطة الخلاف ما زالت قائمة فالذي أشعر به أن هناك شعرة أو نقطة بين الطرفين حيث نجد قضايا مسلم بها في الشريعة الإسلامية وهي لا تحتاج إلى منهج وهي الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، كما أنها قطعيات لا تختمل خلافاً ، أما القضايا الفرعية التي تختمل الخلاف ، فلا أنواع في أن مناهج الأئمة المجتهدين مختلفة في الاستنباط ، فمنهم من يقدم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل أهل المدينة على كل شيء ، ومنهم من يرفض خبر الآحاد لوضع خلاص كان موجوداً في العراق مع أن خبر الآحاد كان يعمل به في المدينة المنورة ، ولا شك أن هناك اختلافاً في المناهج عند المجتهدين وبذلك ينتهي النزاع ولا خلاف بين الطرفين .

أ.د/ عبد الوهاب المسيري :

بسم الله الرحمن الرحيم .. سوف أدخل في موضوع المحاضرة عن طريق مشكلة التخصص وما هو تخصصي ؟ لأن هذه مشكلة تواجهني دائماً ... فقد كنت مطالبا لكي أدرس الفلسفة بأن أدرس الإنجليزية حتى تفتح مداركي على العالم ككل فتخصصت في الأدب الإنجليزي ولكني كنت دائماً مهتماً بالفلسفة ، وعندما ذهبت إلى أمريكا للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي ظهرت لي القضية الفلسفية مرة أخرى ، بمعنى أن

اهتمامي أساسا كان بتاريخ الأفكار ثم ظهرت قضية الصهيونية سنة ١٩٦٣ م في حياتي وأصبحت تشغل الحيز الأكبر من عالمي الفكري وظهر لي أول كتاب سنة ١٩٦٥ م باللغة الإنجليزية ، ثم توالى الكتب وتجاوزت الآن خمسة عشر كتابا في هذا الموضوع ، آخرها موسوعة تفرغت لها تاركا عملي الأكاديمي وهي تشبه تاريخ حياتي بدأتها عن اليهود والصهيونية ولكنني في منتصف الطريق اكتشفت أشياء غريبة الشكل ، فمثلاً نحن حينما نتحدث عن اليهود نتحدث كما لو كانوا تشكيلاً عالمياً ، ولكنني اكتشفت أن تسعين بالمائة من يهود العالم في أواخر القرن التاسع عشر كانوا يولدون في بولندا فإذا كان ٩٠ ٪ من اليهود يولدون في بولندا فما معنى أن نضع يهود الغرب على قدم المساواة مع يهود الهند ، أو مع يهود الصين أو يهود العالم العربي الذين لا يتجاوزون عشرين ألف نسمة ؟!

هذا وقد شعرت أثناء كتابتي للموسوعة أن المقولات التحليلية الأساسية يوجد فيها خلل أساسي ، فلا يصح الحديث عن يهود العالم وإنما نتحدث فقط عن يهود الغرب ، فإشكاليات اليهود إذن هي إشكاليات العالم الغربي ، نفس الشيء يوجد في كل أنحاء العالم، حين نجد ما يسمى بالدراسات اليهودية ، ومعاهد التاريخ اليهودي ، والسؤال الآن ما هو هذا التاريخ اليهودي ؟ التاريخ اليهودي لابد أن يكون له محور يهودي ، فالثورة الصناعية مثلاً محورها ليس يهودياً وإنما محورها الحضارة الغربية الحديثة ولكن تأثير الثورة الصناعية على يهود الغرب أقوى بكثير من تأثير التلمود مثلاً ، وفي الواقع سوف أفاجئكم بشيء ، فنحن ما زلنا في العالم العربي في كتاباتنا عن اليهودية نركز دائماً عن التلمود والتوراة والبروتوكولات وهي وثيقة مشكوك في صحتها ولا يصح الحديث عنها ، يأتي بعد ذلك التلمود الذي لا يعرفه اليهود الآن وهذا شيء غريب وهذا ما يؤكد اختلال المقولات التحليلية عندنا ، مما اضطرني إلى اتخاذ موقف جذري تماماً من الموضوع في كتابة الموسوعة التي انتهت منها منذ يومين في وقت قارب الخمسة عشر عاماً . (وقد حاولت تأسيس علم جديد لدراسة ظواهر اليهود ، حيث لا يوجد شيء اسمه اليهود ، ولكنه توجد الجماعات اليهودية ، فيوجد يهودي مصري في القرن التاسع عشر ويوجد يهودي أمريكي في القرن العشرين، ولكي أوضح أهمية القضية فلنضع يهودياً من الفلاشة إلى جوار يهودي من أمريكا إلى جانب يهودي من المغرب مثلاً ، سنجد أن يهودي أمريكا يتحدث الإنجليزية ، ويعرف بعض الكلمات اللاتينية وهي لغة لا علاقة لها بالعبرية ، وهو لا يؤدي أي شعائر دينية ، حيث يقيم خمسة بالمائة من يهود أمريكا الشعائر الدينية بما في ذلك شعائر السبت والطعام ، وللعلم فإن أكثر من ٥٠ ٪ من سكان إسرائيل يأكلون لحم الخنزير وأن أكثر من ٩٠ ٪ يأكلون الخنزير من يهود أمريكا ، وهذا عكس الصورة التي عندنا .

أما فيما يخص يهود المغرب فهم يتحدثون اللغة العربية ، ويؤمنون بالصياغة اليهودية الفردية ، وهم يقيمون بعض الشعائر الدينية وليس كلها ، وإن كان الجيل القديم مازال متمسكا بشعائر معينة كما هو معروف في العالم العربي ، إذ إننا سنلاحظ أن الجماعات اليهودية عادة في ترتيبها العقائدي واللغوي والحضاري تشبه تماما المجتمع الذي تنتمي إليه ، وهم لا ينتمون إلى أي تشكيل يهودي معروف فبعضهم يتحدث الفرنسية وذلك في القرن العشرين مع دخول مدارس فرنسية ، وكان لا يعرف العبرية إلا رجال الدين فقط .

أما فيما يخص يهود الفلاشة فهذا عالم مختلف تماما ، فهؤلاء لم يسمعوا عن العبرية أو التلمود ولا يعرفون أيًا منهما ، يؤمنون بالعهد القديم ، وبعض أجزاء من العهد الجديد ، ويتحدثون الأمهرية ويتعبون باللغة الجغرية ، وهي لغة الكنيسة القبطية في الحبشة ، وهم يصلون في مكان يسمى المسجد ، ويخلعون نعالهم قبل الدخول إلى المسجد ، ويوجد عندهم قساوسة ورهبان ، فما رأيكم في هذا ؟ كل هؤلاء تعودنا أن نتحدث عنهم علي أنهم " يهود " فنفقد بذلك المقدرة التحليلية تماما ، فإذا كانت هناك عدة ظواهر ، وقمت بتصنيفها على أنها ظاهرة واحدة هنا نكون قد فقدنا المقدرة على الدراسة والتبؤ والتحكم وهكذا .

أما إذا نظرنا إلى يهود الاتحاد السوفيتي فقد كتبت كتابا في هذا الموضوع رغم انشغالي بالموسوعة ، لأنني قرأت التقرير المقدم لمؤتمر القمة الذي ناقش هذا الموضوع وقد أشار التقرير إلى أن هذه الهجرة سوف تغير من تاريخ إسرائيل وما إلى ذلك ، المهم لو كان أحد درس موضوع يهود الاتحاد السوفيتي ، فسيعرف أولا أنه لا يوجد ما يسمى بيهود الاتحاد السوفيتي بل هناك جماعات يهودية في الاتحاد السوفيتي وبعضها يقطن في الدول الإسلامية ، وهؤلاء متأثرون بالإسلام ، فهناك يهوديات محجبات وبعضهن تمارسن نفس عادات الزواج الإسلامي وهناك يهود جمهوريات البلطيق وقد اختفوا أما عن يهود روسيا وأوكرانيا فقد تعرضوا لدعاية علمانية كبيرة لمدة سبعين سنة وبالتالي لم يبق من يهوديتهم شيء علي الإطلاق ، أما عن عددهم فهم حوالي مليون وربع ، أما بالنسبة للمرحلة السنية فسنجد أن ٣٠ ٪ مسنين (وقد تنبأت في كتابي أن عدد المهاجرين لن يزيد بأي حال من الأحوال عن ٢٠٠ ألف إلى ٤٠٠ ألف يهودي وراحت علي ذلك وبالفعل حدث ما تنبأت به .

علي جانب آخر لم يرصد أحد ظاهرة اليهود المتخفين ، واليهود المتظاهرين باليهودية ، فمثلا قلت أنه لأول مرة في تاريخ العالم يصبح من المريح أن يكون الإنسان يهوديا أما في الماضي كان اليهودي بضرب إذا عرف أنه يهودي ، فجأة إذا أصبحت يهوديا

تذهب إلى إسرائيل وتحصل على عشرين ألف دولار ، وبالفعل نجد أن بعض مسلمي الجمهوريات السوفيتية ادعوا اليهودية وهاجروا ، وقد أكد لي صديق كيف أنه وقت الأذان رأي بعينه أربعة من جماعة يهودية يدخلون المسجد للصلاة!!

ما أود أن أقوله إن المقولات التحليلية في جميع العلوم تأتي جاهزة ، كما أعتقد أن الإنسان مطالب بأن يكون موضوعيا معني التجرد من العاطفة والذات والاحاسيس وأن يكون متلقيا

وهذا لا يعني أن أقدم تفسيراً .. وهذا ما يجب أن يكون أيضاً في العلوم الطبيعية ، وألفت النظر إلى أن العقل الإنساني فعال ، وأن الذاتية الإنسانية يمكن توظيفها في عملية الرصد ، وأني لا يمكن أن استبعد بعض العناصر وأخيراً .. أقول قولي هذا ... واستغفر الله لي ولكم.

أ.د / أحمد المهدي : أستاذ المناهج وطرق التدريس

بسم الله الرحمن الرحيم . نحن أمام مثال واقعي نستطيع من خلاله أن نعرف كيف أن اللغة التي نتواصل بها يمكن أن تكون وسيلة للبيان والإيضاح ، ويمكن أن تكون وسيلة للتعتيم ، هذا وسوف أعرض نفسي من خلال فهمي للعنوان الذي وضع لهذه الجلسة ... وهو قضايا المنهجية وانعكاساتها على العلم والمجتمع فالمنهجية في رأيي ببساطة تعني الطرق والخطوات التي تتبعها في توظيف المعارف المتاحة لنا ، وفي توليد معارف جديدة عن طريق البحث وهذه المنهجية مختلفة اختلافات شتى ، لذلك نجد لافتات كثيرة يعارض بعضها بعضاً في العلوم الإنسانية والاجتماعية وفي العلم الاجتماعي بالذات وأنا أفضل استخدام هذا المسمى لأنه يشمل كافة العلوم المرتبطة بالإنسان .

والمنهجية في العلم الاجتماعي مختلفة إلى درجات كبيرة جداً ، حتى أن بعض المتخصصين يصفون هذه الخلافات بأنها الحروب المرتبطة بالصيغ البحثية ، ولو استعرضنا صيغ البحث منذ سنة حتى الآن سنجد أننا أمام ثلاث صيغ رئيسية للبحث العلمي في العلم الاجتماعي وهي ما يلي:

الأولى : الصيغة التقليدية : وهي في نشأتها كاثوليكية ، تم فيها الفصل بين العلم والدين ، والدين في ذلك الوقت هو المسيحية واللاهوت ، وهذه الصيغة في البحث الاجتماعي تأخذ نموذج البحوث في العلوم الطبيعية والحيوية نموذجاً للبحث الاجتماعي فيقال إذا أردت أن تكون عالماً أو باحثاً جيداً في علم النفس أو الاجتماع أو التربية عليك أن تأخذ مسار أستاذ الطبيعة بمعنى أن تكون موضوعياً ، بمعنى آخر أترك كل أفكارك وكل القيم التي تحملها وأن تستقبل الموضوع بحياد ، وأن تكون موضوعياً أيضاً إذا قام باحث آخر

يأجروا بحثك ، فإنه يصل إلى نفس النتائج وهو ما يطلق عليه المدخل التجريبي التحليلي في البحث .

وهناك أوجه نقد موجهة لهذه الصيغة ، مع الوضع في الاعتبار أنه تدخل تحتها وتدعمها الوضعية المنطقية التي جاءت من الثقافة الغربية والتي لدينا في مصر أحد دعائها وهو / أ.د زكي نجيب محمود ، والذي يقول في مجموعة المقالات التي كانت تنشر في الأهرام أيام الثلاثاء منذ ثلاثة أعوام مضت "أن منهج العلم واحد ، وليس هناك خلاف في منهج العلم تبعاً لاختلاف الموضوع الذي يبحث سواء أكان الموضوع الصخوري أم ظاهرة اقتصادية أم نفسية ، فالوضعية المنطقية بهذه الصيغة التحليلية التجريبية تسوي بين الإنسان والجماد ، على اعتبار أنها تحسب أن أوضاع الإنسان مستقرة ولا تتغير ، كالأوضاع الموجودة في الجمادات ، وعليه فإن أوجه النقد الموجهة لهذه الصيغة كثيرة جداً .

الصيغة الثانية التي جاءت كرد فعل لأوجه النقد التي وجهت لهذه الصيغة هي الصيغة الرمزية في البحث أو التفسيرية أو التأويلية ، وتحتها عدد كبير من اللافتات في البحث الاجتماعي ما يطلق عليه بحوث الظواهر أو الظاهراتية ، وتحتها البحوث التي تهتم بالتركيز على الحالات التي تبحثها ، وبضرورة إدخال السياق الثقافي والإنساني في عملية البحث ، فضلاً عن أنها تدعو من سيتم عليهم البحث إلى أن يفسروا أعمالهم ، والصيغة الأولى التحليلية التجريبية تقول لك " تحرك يمينا أو يسارا - أرصد جلك عد - استخرج الفروق الإحصائية والمغزى الإحصائي فقط ، أما الرمزية أو التفسيرية أو التأويلية فقد دعت إلى ضرورة أن نقف أمام ما يطلق عليه " السلوك الإنساني " بمساحة واسعة للتفسير والتأويل من وجهة نظر هؤلاء الناس ، لأن حركة الإنسان غير حركة الجماد ، والسلوك الإنساني يختلف عن السلوك غير الإنساني ، وكلمة السلوك أوشكت أن تختفي من البحوث الرمزية أو التأويلية أو التفسيرية وحل محلها الفعل ، مع الوضع في الاعتبار أن هناك فرقاً بين السلوك والفعل ، فحينما أفعل .. أفعل وفي ذهني دوافع دفعتني إلى الفعل ، ولي مقاصد استهدفتها من هذا الفعل .

أما الصيغة الثالثة فهي صيغة البحوث الناقدة ، وهي ترى أن النموذج الطبيعي الحيوي ، والرموز التأويلية قليلة الفائدة ، لأن كل هذه البحوث تسعى إلى الإبقاء على الأوضاع القائمة في المجتمعات ، مثل الظلم الاجتماعي مثلاً ، وهذا المدخل كان يتبناه اليساريون في أوروبا الغربية وحتى في أمريكا ، وحتى الآن لا تزال هذه الصيغة قائمة .

والقضية الآن هي أين نحن من كل هذا ؟ أقول إننا نختلف اختلافاً كبيراً ، بل وتتأقظ بدرجة حادة جداً مع كل هذه المنهجيات البحثية . لماذا ؟ لأن هذه الصيغ نشأت عن نظم اجتماعية ، هذه النظم - مع الفروق التي بينها - نشأت عن نظام عقائدي . أما

نحن فأنظمتنا الاجتماعية نشأت في نظام عقائدي يختلف تمام الاختلاف عن الأنظمة الاجتماعية التي تولدت عن نظام اعتقادي قديم في أوروبا ، وأنا هنا أنبه فقط إلى هذه الصيغ في المنطلقات وإلى ما يتبناه الباحثون في كل صيغة عن الله وعن الكون في نشأته وحركته ومصيره ، إلى الإنسان ودوره في هذه الحياة ، وإلى العلاقة بين الإنسان وخالقه وإلى دور الإنسان واستخلافه في هذه الأرض وقضايا كثيرة جدا تختلف اختلافات جذرية في فهمها عن كل الصيغ الثلاث التي اشرت إليها ؟

وإذا تساءلنا ما العلم ؟ نجد أن العلم عندهم هو العلم المنضبط الذي يخضع لقوانين وإحصائيات مضبوطة ، أما العلم عندنا فهو كل ما علمته وفيه نفع للفرد و للأمة ، وليس ضروريا أن يكون الجبر أو الكيمياء وهكذا لو وجدنا حتي معلومة أو مجموعة من الأفكار والحقائق يمكن أن تفيد الأمة حينئذ يطلق عليها العلم ، وهكذا يتضح أن تصنيف العلوم في الثقافة العربية يختلف عن تصنيف العلوم في الثقافة الغربية .

وعلى هذا يأتي دور مثل هذا المؤتمر ، وكل ما يستطيع أن يسهم في تأصيل صيغة إسلامية للبحث الاجتماعي في الفروع المختلفة بلون خلاف بين التخصصات ، ولكن في إطار تكاملي خاصة وأنا أمام هجمة شرسة جدا ، ينبغي أن تتوحد كل الجهود لمواجهتها فماذا لديكم أيها المسلمون لتقدموا بديلا لكل الكلام الموجود الآن ؟ في الواقع لدينا جواهر في مجالات كثيرة في الفقه والتاريخ وما إلى ذلك ، لذلك هل آن الآوان لكي نستخلص من هذا التراث الثمين صيغة توجه وتق بديلا ؟ ، أنا كفرد ومجهود متواضع جدا حاولت وكتبت حوالي ثلاثين صفحة تحت عنوان نحو صيغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي وقد حاولت أخذ الصيغة الأولى التحليلية التجريبية ، خاصة وأن التجريب نابع من الثقافة العربية الإسلامية ومن التراجم اليونانية ثم واجهت هذه الصيغة بالتصور الإسلامي ومعنى العلم عندنا وعندهم ودور الإنسان عندنا ودور الإنسان عندهم وحقيقة أنا لست ضد التجريب ، ولكن ينبغي أن نجرب بشرع الإسلام وبشرع الله سبحانه وتعالى .. وأكفي بهذا .. وشكرا

أ. د / عبد الفتاح الشيخ : رئيس جامعة الأزهر ورئيس الجلسة

أشكر السيد الدكتور على عرضه ، ولكنني أعتقد أن المنهجية في الإسلام موضوع له إطاره، وهو موجود في الكتاب والسنة ، ولكن مع الأسف نحن ابتعدنا عن هذه المنهجية وربما كلمتي المختصرة كانت جزءا من المنهج الإسلامي ، وأعتقد أن المنهج يفتقر أول ما يفتقر إلى خلق وضع المنهج ، والأخلاق في الإسلام تأخذ جانبا كبيرا جدا فلو تحدثنا عن السنة النبوية الشريفة ومنهج الرسول -صلى الله عليه وسلم- في التعامل مع الناس

والمجتمعات المحيطة بالأمة الإسلامية ، فلاشك أننا سوف نخرج بمنهج علمي إسلامي أصيل لا يكون عالة على هذه المناهج التي تذكر من هنا وهناك .

ولقد جاءني ورقة من الدكتور جلال عبد الخالق - المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية - يقترح فيها إقامة بعض المؤتمرات أو تخصيص جانب منها لتحديد هذه المفاهيم ، وردي على ذلك أن المؤتمر لا يستطيع أن يحدد مفاهيم ، وإنما الذي يحدد المفاهيم هم الباحثون المتعمقون المتأصلون في العلم ، أما المؤتمرات فهي عبارة عن حميرة لتحريك الأذهان والعقول التي تكسبنا الباحثين الممتازين الذين يقدمون أبحاثهم في المؤتمر ، ومن غير المؤتمر أو الندوة أعتقد أنه لن يكتب هذا البحث ، فموضوع الندوة يفرض على الباحث أن يدرس نقاطاً معينة ، إنما لو تركنا الباحث وسيلة فإنه سوف يكتب في أي شيء ، فلو كان أستاذ جامعة فإنه سوف يتحدث عن الكتاب الجامعي ، وإلا فما الذي يشغله في بحث يقدمه في مؤتمر ، والكتاب الجامعي مطلوب منه خلال شهر أو شهرين ، بالطبع سوف يكتب الكتاب الجامعي ويعدل فيه عدداً من الصفحات ، وتستقر الأمور كما هي مستقرة ، ولكن حينما يحدد موضوع ، فإنه يقتضي من الأستاذ الباحث أن يجول بفكره في مناحي العلم التخصص فيها ليخرج لنا بأشياء خافية وراء الذاكرة . هذه هي فائدة المؤتمرات ولكن المؤتمر لا يخصص مفاهيم ، لأنه ليس مجال بحث علمي ، ويحتاج تخصيص المفاهيم جلوس حلقة من العلماء المتخصصين مع بعضهم البعض ويتناقشون الأيام والليالي ويخرجون بنتائج لفكرهم وذلك لاختلاف تخصصاتهم .

أ.د / زهيرة عابدين :

بسم الله الرحمن الرحيم .. والصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أود في بداية حديثي أن أعلق على تسمية المؤتمر بالخدمة الاجتماعية ، والخدمة الاجتماعية مهنة عملية، ولكن لا فضل للعلم ولا للمناهج إذا لم يكن لها أثر على المجتمع ، والخدمة الاجتماعية عمل له أثره على المجتمع ، ومن هنا فالتسمية موفقة والحمد لله ،

كما أود أن أوضح أن الكلام انصب على معاهد ومدارس الخدمة الاجتماعية ، وهذا جميل ، لأن هذا يضع أسسا ، ولكن ما أود قوله أو أشير إليه هو أهمية العمل الأهلي التطوعي لأفراد المجتمع ، لأننا لو نظرنا لمهنة الخدمة الاجتماعية بمفهومها الواسع هنا تصبح كل الأعمال الحكومية مرتبطة بالخدمة الاجتماعية.

والخدمة الاجتماعية من المفروض أنها تشمل الفرد ، وخاصة الفرد المتطوع لممارسة ما يستطيع عمله لصالح المجتمع ونحن من المنطلق الإسلامي لن يتنافسنا أحد في تحديد مفهوم

الخدمة الاجتماعية ، قد تكون الخدمة الاجتماعية في أوروبا قد وصلت إلى مرحلة متقدمة ، ولكن تحديد المهنة عندنا أفضل .

أما عن المناهج والعلم فهما ضروريان ، ولكن ما أود أن أقوله : إن الأزهر يجب أن يث هذه الروح في أولاده وتلاميذه كما أرجو أن يهتم الأساتذة بالناحية العلمية ، وقد علق أحد الحضور على مصطلح الطب الاجتماعي ، وهو مادة أصبحت موجودة في أكثر بلاد العالم ، وبدايته كانت في مصر ، وهذا المصطلح لو طبقناه على المدرس فإنه يعني أن يخرج المدرس للمجتمع لكي يتبين مشاكله واحتياجاته ولكي يكون قدوة لمن بعده .

والخدمة الاجتماعية إذا مورست لوجه الله فإننا سوف نحقق بها المعجزات وهو الفرق بيننا وبين الغرب ... والله ولي التوفيق .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أ.د / آمنة نصير : أستاذة العقيدة/عميدة كلية الدراسات الإسلامية/جامعة الأزهر بالأسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحقيقة من خلال ما سمعت من كلمات من الزملاء والأخت الدكتورة زهيرة ، وما ألمسه في هذه الحقبة من أقوال وأصوات حول أسلمة العلوم ، الغرب . الشرق ، السنة ، الكتاب وما فيه من هذه العلوم والتي تعتبر في لغة الواقع علوم معاصرة ، هذا الاشتباك بين هذه المفاهيم ، فريق متحمس ويريد أن يقطع كل شيء يربطنا بالعالم الخارجي ، وفريق آخر يقلل من شأن العلوم الإسلامية وما تحتوي عليه من عدة علوم التي نعتبرها علوما معاصرة ، أو علوما عرفناها أخيرا وأقول للجميع الحضارة الغربية حضارة ثبت لها وجودها وقد سبق القرآن الكريم والسنة الشريفة إلى هذه العلوم بصورة أو بأخرى ، هذا أمر مقرر حتى وإن التفت إليه مؤخرا ... هذه حقائق ثابتة هنا وهناك ، بقي أن نتعلم كيف نتعامل مع الفريقين ، كيف نأخذ بعلومنا الإسلامية بدون التعصب أو التشنج أو إنكار رأي علم آخر سوى علومنا ، وكيف ننظر لهذه العلوم الغربية بأنها علوم ما ثبتت ، وعند ثبوتها أقول كيف بدأت ؟ فالعلوم الغربية وما وصلت إليه الحضارة الغربية أسسها وأصلها بني على العلوم الإسلامية وأخذت من العلماء المسلمين ، وإذا أردنا أن نستعرض العلوم الاجتماعية والنفسية والفقهية والعقائدية نجد أن علماءنا الأفاضل كان لهم السبق .

والحقيقة التي أود أن أفض بها الاشتباك الآن أن العلوم لا وطن لها ، وأن العلم ميراث البشرية جميعا فالعلوم الإسلامية سبقتها علوم أخرى يونانية ، حتى وإن أخذنا منهم شيئا ، ورفضنا آخر ، ولكن لنا جنود في عقول علمائنا الذين نقلوا للحضارة الغربية بعد ذلك هذه العلوم . إذن العلوم جميعها لها تطورات وأخذ وعطاء كل عن الآخر ، إذن كيف

يمكنني أن أتعامل مع هذا المفهوم ، أنا لذي علوم إسلامية حقيقة هي أفكار إسلامية بحتة ، حتي ما أخذناه من العلوم اليونانية، وإن رفضنا جانباً منها خاصة ما يرتبط بعلوم العقائد ، أما العلوم العلمية كعلم الطب والفلك والكيمياء فهي ملك للبشرية جميعها ، فلا يوجد من يقول بأسلمة الكيمياء أو الفلك أو الطب ، بل ولماذا كل هذا الافتعال في هذه القضية بهذه الصورة ؟ ولماذا لا نقوم بتعلم ما يقوي فكري وروطني وإسلامي ؟ والرسول (صلى الله عليه وسلم) حينما يقول من تعلم لغة قوم أمن شرهم . واللغة ليست فقط Language ، وإنما اللغة بما تحتويه من ثقافة وفكر .

وأود أن أقول للمتشددين ، أو الذين يغضبون من الاتصال بالحضارة الأوربية ، لا تغضبوا فالحضارة الأوربية لي فيها ميراثي ولبناتي وعلومي وفكري الإسلامي ، وهم أخذوه بصورة فيها روح رياضية أكثر منا بكثير ، حتي أنهم وقت الحروب بين الصليبيين والمسلمين كانت مواطن العلم لا تمس من أجل كرامة العلم حتي يمكن الاستفادة منها " ويكون " الذي أسهم في بناء النهضة الأوربية تعلم اللغة العربية ، ولم يجد كراهية أو محاربة أو استياء من أجل كهنيته ومسيحيته. فلماذا لا نكون بهذا النوع من التعقل والتعمق والحكمة بأن نأخذ ما ينفع علومنا العلمية ، أما علومنا الدينية فلنا فيها ما يكفيننا ويزيد ، فعلينا أن نكون صورة حية جميلة نصدرها لهم ونجعلهم يخشوننا بدلا من أن نخشاهم نحن ، فالمطلوب من الإنسان المسلم أن يكون عاقلا عاملا بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) خاصة وأن الغرب يخشى أن تغزوهم بهذه الأخلاق والعلوم ، أما العلوم الأخرى فالبشرية جميعا أسرة واحدة ، اللاحق يأخذ من السابق.

كلمة أخيرة : الحقيقة أتمنى من مؤتمراتنا ومن الإنسان العالم المسلم . ومن المجتمع الإسلامي بأكمله أن تتخفف من الكلام ، وأن نقبل على العمل فلقد أصبح أعظم مصائبنا في هذه المرحلة الحالية أننا نتكلم ونتكلم فقط ، لذلك تعالوا نطبق حتي ولو جانباً يسيراً مما نتكلم فيه فسيتهي الكلام بمجرد أن تنتهي المقولة ، وهذه مأساة في الحقيقة ، أود في مؤتمراتنا أن نأخذ الجانب العلمي ، وأن نهتم بالتطبيق الفعلي ، كما أود عندما نحارب رأياً أن نقدم بديلاً عملياً له وشكراً ..

أ. د. / عبد الفتاح الحسيني الشيخ : رئيس الجلسة

في الحقيقة الدكتور / آمنة أوضحت عن مقصدها لأن هناك ورقة تطلب التعقيب على حديث الدكتور / آمنة من باحث بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي .

أنا حقيقة في أول الأمر . أصابني شيء من الشد العصبي ولكن الدكتور سرعان ما أوضحت عن موقفها حينما قالت إن العلوم الإسلامية نحن أصلاء فيها ، لأن الفكر الإسلامي نبع من الجزيرة العربية على لسان الرسول (صلى الله عليه وسلم) فلا تستطيع أن تقول غير ذلك ، وحتى بعض ما نقل من معاملات عن اليهود أو النصارى في الجزيرة العربية، أو بعض التصرفات التي أقرها الإسلام ، من وقت إقراره لها صبغت بالصيغة الإسلامية ، وهناك بعض الأشياء التي وافق عليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأقرها في الجزيرة العربية ، و بإقرار الرسول (صلى الله عليه وسلم) لها أصبحت مبدأ إسلاميا لنا منذ وقت هذا الإقرار ، أما قبل هذا الإقرار فلا تكون إسلامية، فإن الكلمة حينما تعرب وتنقل من لغة أخرى إلى لغة العرب ، مثل كلمة (استبرق) التي وردت في القرآن الكريم حيث اختلف فيها العلماء هل هي عربية أم غير عربية ، فالرأي الراجح لعلماء المسلمين أنه بإقرار القرآن لها ونزولها بالقرآن صارت عربية وليست معربة .

أما فيما يختص بباقي العلوم الأخرى ، فأنا أشارك الأستاذة الدكتورة العميدة في أن العلم أخذ وعطاء ، وأنا أخذ ما يتفق مع قواعد الإسلام ، وعليه فلا كيمياء إسلامية مثلا من هنا فإن هذه العلوم لا تسمى بالعلوم الإسلامية ، وأذكر أنني حينما كنت أمشي على الطريق الزراعي بالبلدة رأيت واحدا يكتب على الدكان ورشة الحدادة الإسلامية ، ثم سأله ما الحدادة الإسلامية ؟ فقال لي أنا مسلم وحداد ، وما دمت أنا مسلم وحداد فأنا أنسب الحدادة إلى الإسلام ، فقلت له إذن ستقول ورشة الخياطة الإسلامية . وتعجبت .. فنحن حريصون على الدين الإسلامي ، ولكن لا ننزل به ، فالغرب انتفعوا بالتراث الإسلامي ، ارجعوا للقانون الفرنسي فستجدون أن موارده مأخوذة عن الإمام مالك لأن فقهه كان منتشرا في الغرب حيث ترجمت أعماله ، ولكنهم صاغوها صياغة جديدة بعناوين جانبية في حين أن الفقه الإسلامي يبدو دائما بلون ترتيب في أبواب محددة ، لذلك فإن هذه الكتب لا نستطيع أن نصل إلى أسرارها الا إذا تمررنا على قراءتها مرات ومرات .. فتراثنا الإسلامي أصيل ، العلوم الأخرى نأخذ منها ونعطي بقدر ما شرعت الشريعة الإسلامية في إطار الشريعة الإسلامية .

د . عبد العظيم الديب :

بسم الله الرحمن الرحيم . أبدأ تعقيبي على كلمة أ. د / رئيس الجامعة ، وأنا واثق إطلاقا أنه لا يعنيه ، فقد يظن أحد أنه يقصد ذلك قصدا ، فقد ورد في كلامه أن بعض الأئمة رفضوا الأخذ بخبر الآحاد ، وهو قطعاً لا يعني ذلك إنما الخلاف في مدى الاعتماد على حديث الآحاد لظروف محلية كانت بين مدرسة العراق ومدرسة المدينة ، وهو شيء

معروف لكنني أحببت أن أنبه إليه ونحن في غمرة الافتراء على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا العصر .

أما عن قضية أسلمة العلوم فهي حقيقية ولا جدال فيها ، وإلا لما كان هذا المؤتمر ، أما أن يأتي أحد الآن ويناقش ويقول كيف نسمي هذا ونجعل ذلك ، العلوم الإنسانية ينبغي ويجب أن تنطلق من منطلقات إسلاميه ، فإذا لم يعجبكم أن نقول علم نفس إسلامي ، فلننتقل علم النفس من منظور إسلامي مثلاً ، لذلك كان المؤتمر ذكياً حينما قال التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، ومن المفارقات أن أ.د أحمد فؤاد باشا وهو أستاذ العلوم الطبيعية هو الذي يدعو إلى أسلمة العلم ، ويرى أن الحقيقة العلمية حينما يصل إليها المسلم تختلف عن الحقيقة التي وصل إليها غير المسلم ، الحقيقة واحدة والنتيجة واحدة ، ولكن حينما يرى المسلم الحقيقة في الكون يرى أن هذا أثر من قدرة الله سبحانه وتعالى ، فحينما يصوغ النظرية يصوغها من خلال ذاته ، وهؤلاء الذين أشبعونا ماذا تعني الموضوعية ، هذه الموضوعية للفتلة لا أصل لها ، والذين أطلقوا في أدبيات الشيوعية والرأسمالية متأكدون أن العلوم الطبيعية في روسيا كانت مفاهيمها من حيث الفلسفة والإيمان بها وتطبيقاتها تختلف تماماً عن العلوم الطبيعية الرأسمالية .

أما فيما يختص بأن العلم أخذ وعطاء ، فهذا صحيح ولكن من سيعطينا العلم ؟ فحقائق العلم في أصلها ملك للجميع ، وليست الفلسفة ولا المنطق ، لكن من سيعطينا العلم ؟ ألا تعلمين يا بنيتي الدكتوراة أنهم يحجبون عنا حقائق العلم ، وأنهم سجنوا مسئولا كبيرا من عندنا لأنه حصل على نصف كيلو من وقود الصواريخ لماذا ؟ أما مسألة العلم لا وطن له وهذا صحيح ، وكلها كلمات حق ولكن في أحيان كثيرة يراد بها الباطل .

ابنتي الدكتوراة / آمنة كانت تتحدث بالفاظ ما كنت أحب أن تتحدث بها مثل التشنج، والتشدد ، وقد ورد ذلك في كلامها أكثر من مرة وهذا في الحقيقة قد يرد عليه ، وأرجو أن تأخذ هذا في الحسبان دائما ، أما مسألة أن الحضارة الأوربية أخذت حضارتنا بروح رياضية - لا - لم تأخذ حضارتنا بروح رياضية ولا بغيرها ، وإنما هي أخذت علومنا فقط ثم صاغتها ، أخذت علومنا من غير قيمنا ، ونحن للأسف أخذنا القيم قبل أن نأخذ العلوم ، ثم أخذنا القيم الأوربية كما قال (سارتر) نحن كنا نأخذ شبابا من العالم الثالث ننظف بهم عواصمنا ثم نعلمهم عاداتنا وتقاليدها ثم نقذف في أفواههم جملا ضخما تلتصق بأسنانهم فلا يزالون يتكلمون بها ، والأهم من ذلك أنهم يمنعون غيرهم من الكلام ، والحقيقة أنهم أخذوا العلوم ولم يأخذوا الحضارة ، وهذا فرق بعيد بين الحضارة والعلوم ، وعندما أخذوا العلوم صبغوها بصبغتهم هم .

أما الأخ الكبير الدكتور / أحمد المهدي فأنا أرى أنه اكتشاف عظيم ، وسعيد جدا بهذا لأن المشكلة لدينا كانت في أستاذ التربية فجميل جدا أن أسمع منه هذا الكلام وسعيد جدا بقدرته اللغوية التي تميز بها حديثه .

الأستاذ الدكتور / عبد الوهاب المسيري ، أنا قرأت لك قبل ذلك عن إشكالية التحيز، ومشكلة المصطلح وأعجبت بهذا وأنا معك من أن كثيرا من البديهييات التي نبني عليها أصول علومنا الإنسانية بديهييات كاذبة لا أصل لها ولكن حديثك عن اليهود قد يوحى بالتهوين من شأن خطرهم . وهذا سؤال أرجو أن توضح رأيك .. وشكرا علي حسن استماعكم ... والسلام عليكم

الأستاذة / كريمان حمزة : مدير عام البرامج الدينية بالتلفزيون

بسم الله الرحمن الرحيم ... أشكر المركز على هذا النشاط الواسع وحقيقة لدي نقطتان أريد أن أتحدث فيهما .

النقطة الأولى : أن هناك من يخافون من الإسلام ، ونحن نخاف على الإسلام ، لدرجة الرغبة الشديدة عند الكل من أجل صبغ كل شيء بالإسلام والعودة إلى الإسلام والاستمسك به وهذا من منطلق منتهي الخوف على الإسلام ، ولنا الحق في أن نخاف على الإسلام لما يحدث لنا من العالم في هذه الأيام التي نعيشها .

هذا وقد تناولت موضوع أسلمة الإعلام في الحلقات التي قدمتها في التلفزيون ، وقد تناولت هذا الموضوع بمنتهي الحماس ، وذلك لأنني من هذا الفريق الذي ينتمي إلى الخائفين على الإسلام ، وبالطبع رحبت جدا بهذا الموضوع حتى على مستوى الدول العربية كالإمارات حيث شاهدت موضوع كلية الطب الإسلامية وأجريت له عدة حلقات وأنا من مؤيدي أسلمة العلوم والإعلام والحياة ، بل وكل شيء .

ولكن ما أريد أن أوجه النظر إليه أننا يجب أن ننظر إلى أنفسنا كجزء من العلم ، ويجب أن نعلم جيدا أن الله قال لرسوله (صلى الله عليه وسلم) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ولم يقل للمسلمين ولا للعرب ولم يقل للعالم الثالث ، ولكن قال للعالمين ، على هذا الأساس نريد في الخريطة التي ترسم للعالم حديثا أن نجد لنا موقعا ، فلو ظللنا نقول إننا مختلفون عن الأمريكيين والكتلة الشيوعية والرأسمالية .. وهكذا على طول الخط فستقطع الصلة بيننا وبين العالمين ، فنحن لا نختلف ، بل إننا متفقون أفلا يكفي أننا من آدم ، وآدم من تراب حتى تكون أصل الخلقة واحدة ؟ ، نحن متفقون في الأمور العلمية ، ونأخذ بالعلم أينما كان ، ونحن لا نقول أننا مختلفون ، ولكن أرجو أن تكون هناك مؤتمرات تبحث

عن أوجه الاتفاق لنقول للغرب الذي يخشى الإسلام خشية كبيرة ، ويفكر أن يدمر كل شيء إسلامي ، لنقول له نحن بشر لنا قلب ومشاعر ونحب الخير المحض ونأخذ الكثير من أي مكان ، ونرحب بكافة الأديان والكتب والأنبياء وهو جزء من العقيدة الإسلامية ، ونحن نتفق معكم في كل الخير والنعيم والبركة ، ثم نسوق إليهم الجانب الروحي الذي تتميز به عنهم ، ولذلك ينبغي ألا نأخذ موقفنا معاديا من البداية من الفكر أو العلم أو النظريات الأجنبية ، لذلك فإنني أقول للرأسمالي أنا اتفق معك في كذا وكذا ، إلا أن الإسلام هذب الموضوع الفلاني بكذا وكذا ، كما أقول لمن له اتجاه اشتراكي إننا الذين أوجدنا الاشتراكية، ونحن الذين نتعاطف مع المساكين ، ونحن الذين قال رسولنا (صلى الله عليه وسلم) اللهم أحيني مسكينا، وأمتني مسكينا ، واحشرنني في زمرة المساكين ، ونحن نتعاطف مع الفقراء ولكننا نختلف في كذا وكذا .

أرجو أن تكون هناك مؤتمرات تقرب بين وجهات النظر هنا ، فإن الغرب لن يخاف منا ولا الشرق ولا العالم كله وسوف يسعون إلينا ، ولن ينظرون إلينا نظرة عدائية . من زاوية أخرى ليسوا هم فقط الخائفين ، هناك في بلادنا من يخافون أيضا من الإسلام ، ذلك لأننا لم نحسن طرح الإسلام ، قبل جزئية الخوف على الإسلام جعل عندنا شيئا من التعصب، وجعلنا في العاطفة المندفعة نخسر كثيرا لا نريد أن نخسر العالم ولا من في وطننا ، وذلك بالسياسة والحياد .

نقطة أخيرة فيما يتعلق بعنوان المؤتمر التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، فقد تحدثت د. زهيرة عابدين ، وكنت في انتظار أن تكون هي فحمة هذا الحفل ، لأنه لو بحثنا عن من يمثل الخدمة الاجتماعية الإسلامية بكل ما تحمل الكلمة من معاني لوجدنا د. زهيرة عابدين ، والتي لم تقدم نفسها ، فهي أستاذة بجامعة القاهرة ، وهي التي أسست مستشفى روماتيزم القلب فيها ٤٠٠ سرير ، ولها ١٢٧ مركزاً لعلاج روماتيزم القلب بالمجان ، وهي التي أقامت المدارس الإسلامية ، فأعتقد أن الدكتورة / زهيرة عابدين بما قدمت تمثل اتجاه الخدمة الاجتماعية الإسلامية في بلادنا .. وشكرا ... وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

.. زكي إسماعيل :

بسم الله الرحمن الرحيم .. في الواقع أن حديثي سوف يكون مداخلتة مع أ.د / عبد لفتاح الحسيني الشيخ ، هذه المداخلتة في أنه في لحة ذكية وصف أخي وصديقي أ.د / فؤاد باشا بأنه عالم اجتماع ، على أساس أن ما طرحه إنما يخدم المجتمع ، وأنا أقول لسيادته أنه يريد أن يقول إنه عالم مجتمع ، لأن كلمة علم اجتماع كلمة خاطئة ، والصحيح فيها هي

علم المجتمع ، لأن كلمة اجتماع عكسها التشتت والتفرق ، والصحيح أن نقول أن أ.د أحمد فواد باشا وكل الأساتذة الذين يقدمون بحوثهم ، إنما هم علماء مجتمع أما الجانب الثاني ، فلا بد أن أسجل سعادتي الغامرة الشاملة بما ذكره الدكتور / رئيس الجلسة بأن هناك اتجاه بإنشاء قسمين للخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع سيكون منهجهما ذا منطلق إسلامي ، ومنذ سنوات ثلاث مضت أقيم هنا في جامعة الأزهر مؤتمر عنوانه علم الاجتماع المصري إلى أين ؟ ولم يكن في هذا المؤتمر أي بحث عن التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع فقد قدم قبيل المؤتمر يومين أو ثلاثة بحثان كان للمعقب بحث منهما بعنوان (التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع إلى أين ؟) ، وقد بعثت بهذا البحث مطبوعاً ومنتشوراً إلى أخي الأستاذ الدكتور / رئيس الجامعة ، وعاتبت فيه جامعة الأزهر علي عدم سبقها بإنشاء مثل هذا القسم ، الذي ينطلق في موضوعاته من منطلق التوجيه والتأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع وللعلوم الاجتماعية الأخرى كما فعلت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منذ ١٦ عاماً ، يوم فصلت كلية العلوم الاجتماعية عن كلية اللغة العربية ، والآن يتحقق هذا الأمل من جامعة الأزهر ، وبارك الله فيه ، أما موضوع رفض الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة لأسلمة العلوم ، وقوله بأنه لا يوجد طب أو كيمياء إسلامية ، فأنا معه في جوائب المنهج ، أما جوائب التوجيه فهناك طب إسلامي ، مثل رفض الطب الإسلامي للهندسة الوراثية التي تجمع بين خلق كروموسومات الإنسان مع كروموسومات الحيوان لتنتج منسجماً وقد أقيم هنا في القاهرة أكثر من مؤتمر في قضايا الطب من منظور إسلامي ، وقد تناولت هذه المؤتمرات قضايا عديدة جداً تعلقت بالطب من منظور إسلامي ، وقد تناولت هذه المؤتمرات قضايا عديدة جداً تعلقت بالطب والمنظور الإسلامي لهذه القضايا المطروحة على الساحة ، كذلك أنا متفق معك في عدم وجود كيمياء إسلامية من جانب المنهج ، ولكن حينما توجد هذه الكيمياء لقتل البشر فإن هذا لا يرضي الله سبحانه وتعالى ، وهنا يمكن أن نفرق بين العلم النافع وغير النافع.

د عبد الفتاح الحسيني الشيخ :

إن هذا هو الذي قررته في أن العلم لذات العلم موجود ، ولكن نتائج العلم تتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية فنعمل بها ، أو لا تتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية فلا نعمل بها ، كالتلقيح الصناعي ، فقد رفضت أن يفتح مركزاً للتلقيح الصناعي في جامعة الأزهر ، لأن هذا الموضوع فيه احتمالات خطأ كبيرة جداً ، هو علم موجود بالفعل ، ولكن التطبيق سوف يختلف مع أهداف الشريعة الإسلامية وهو حفظ الأنساب .

د . زكي اسماعيل :

هذا هو الذي يقصده من يناهون بالطب الاسلامي ، أو الطب من منظور إسلامي .

رئيس الجلسة :

أنا حريص على الإسلام من أن ينسب له ما ليس في الإسلام

د . زكي اسماعيل :

قلنا إن هناك نظرية اقتصادية إسلامية ، وبدأنا في هذه النظرية ، وقلنا فاتحة خير بأن ينقلب الناس من المعاملات الربوية إلى المعاملات الإسلامية ، فماذا كانت نتيجة التجربة ؟ و الآن اسمع على مفضل هذا هو الإسلام ، فاقول لهم ليس هذا هو الإسلام ، أنا في يوم وقفت موقفًا مدافعًا عن الإسلام ، لما شاب هذه التجربة ، ولذلك أنا لا اسمي هذه الأشياء بأسمة لأنني سوف أحمل الإسلام ما لم يحتمل ، بقي أمر أخير للأخت الأستاذة الدكتورة / آمنة التي ضغطت في حديثها على أن العلم لا وطن له ، صحيح أيتها الأخت أن العلم لا وطن له ، ولكن توجه العلم له وطن ، ولا ينفع أن نستورد التوجه من الخارج . مع خالص شكري.

أ.د إبراهيم عبد الرحمن رجب : أستاذ ورئيس قسم الخدمة الاجتماعية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم ... والصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أما بعد ، في الواقع أحسست ببعض التعليقات المتوترة والتي بها شيء من الضيق ، وذلك لأن بعض الإخوان ضاقوا من الخلط بين العمل الاجتماعي والخدمة الاجتماعية كتخصص مهني من جانب ، والخدمة الاجتماعية بالمفهوم التطوعي ، يلاحظ أن هذه الجلسة سميت حلقة نقاشية ، وهي في الواقع دعى إليها ليس مقدمو البحوث ، ولكن دعى إليها اساتذة كبار واصحاب رأي وفكر ، ولكن هناك بعض الأخطاء في المصطلحات مثل استخدام علم الاجتماع بدلا من الخدمة الاجتماعية وهذه مقولة خاطئة ، حيث إن علم الاجتماع تخصص ، والخدمة الاجتماعية تخصص آخر ، ولكن هذا متوقع من غير التخصص على أية حال ، فأرجو ألا يضيق صدر بعض الإخوان نتيجة لعدم استخدام المصطلحات في موضعها الصحيح .

أما عن الجانب الذي يتصل بالموضوع ، فإنه يحتاج لكلام كثير سوف أركز على الجانب الشكلي في الحقيقة لأن القضايا التي أثيرت على المنصة اليوم ، وخصوصا تعقيبات السيد الرئيس ، هي قضايا تحتاج إلى دراسة تفصيلية ، بالطبع الطريقة التي استخدمها السيد رئيس الجلسة والدكتورة العميدة فيها مصادرة على المطلوب بشكل واضح خاصة حينما يقول رئيس الجلسة " إنه لا توجد حاجة اسمها أسلمة العلوم " نحن في مؤتمر ، والمؤتمر لا يبدأ بإعطاء مثل هذا الرأي القاطع بسبب لن يخفى عليكم بعد دقيقة واحدة ، وهو أنه لدينا جلسات في هذا المؤتمر مخصصة لمناقشة مثل هذه الأمور تفصيلا ، لذلك فإن القضية لا تؤخذ بهذا المستوى من العمومية وإصدار الأحكام التي قد تكون معوقة لاستمرار المناقشات في الاتجاه الذي يحقق تبادل المعرفة خصوصا أحكام سيادة رئيس / جامعة الأزهر ، والذي أشار بأنه ليس ديكتاتورا أو حاكما إنما يقول رأيه فقط . والحقيقة إن الأسلوب الذي استخدمته الدكتورة آمنة نصير ، يكفيه ما أشار إليه أ.د / عبد العظيم الديب ، وأؤكد مرة ثانية مطالبة الجالسين بالتزام العقل مرة بعد مرة خاصة وأن الحقيقة تحتاج لأسلوب مختلف في المداخلة مع زملاء ، صحيح أن العميدة قد يكون لها تصور آخر ، ولكن أنتم مع زملاء آخرين .

أما عن الرأي الذي ذكره سيادة الرئيس مرات والأسلوب الذي استخدمه في إثبات رأيه بالحجة المضاحكة ، الحقيقة أن هذا لا يكسب الرئيس حجة ، هو قد يضحكنا ، ولكن القضية الأصلية هي أننا هل نحن بحاجة إلى توجيه أو تأصيل إسلامي أم لا ؟ ولكل العلوم ؟ نحن بحاجة إلى إعادة نظر شاملة ، وأدعو سيادة الرئيس ومن شاء من الإخوان على المنصة لمتابعة بقية الجلسات لأنه في الحقيقة حضور الجلسات الافتتاحية وحدها لا يؤدي لتحقيق المطلوب من ناحية المداخلات التفصيلية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أ.د/ عبد الفتاح الحسيني الشيخ :رئيس الجلسة

أطمئن الأخ بأن قولي بعدم وجود ما يسمى بأسلمة العلوم لا يعني أنني أفرض على المؤتمر شيئا ولكن هذا رأيي ووجهة نظري وأنا لست سلطانا أو أميرا ، ولم أصدر فرمانا أو قرارا للأمة لكي تلتزم بهذا الأمر ، إنما أنا أعبر عن نفسي ، كما أود أن أقول لحضرتك والله إننا لسنا أقل غيرة على الإسلام وحباً للإسلام من تحمسكم ، لكن نحن ننظر من منظور ألا يطعن الإسلام من حيث لا نشعر ، والتجارب التي مرت بها الأمة الإسلامية خلال السنوات الخمسة السابقة أصابت الإسلام أكثر مما نفعته ، وللأسف القائمون بها كانوا يتشدقون باسم الإسلام ، ويتكلمون باسم الإسلام ، ثم ظهرت نتائج التجربة وتحمل الإسلام عبء التجربة الفاشلة ومن هنا فأنا أتحدث من منطلق المحافظة على الإسلام .

أ.د / أحمد فؤاد باشا :أستاذ بكلية العلوم - جامعة القاهرة

أورد الحديث دقيقتين من واجب الأمانة مع نفسي أولا ومع عقيدتي قبلها ، أريد أن أوضح شيئا فقد يقال حدث ليس في بعض الأمور ، وقبل مغادرة القاعة بحكم تخصصي أساسا كأستاذ الفيزياء ، أوضح بعض الأمور على عجل سريع جدا بخصوص الدعوة لأسلمة العلوم الطبيعية وخاصة الكونية والرياضيات والطب ، هذه العلوم تعرضت لغزو ثقافي من الخارج ، فكلنا درسنا قانونا يقول (المادة لا تفنى ولا تستحدث) قانون علمي ، لغة علمية ، صياغة علمية ، بحث علمي في صميم علم الفيزياء درسناه وتم اختبارنا فيه وكتبنا هذه الصيغة ، المادة لا تفنى ولا تستحدث ، ما هو الموقف حينما أقرأ هذا ثم أقرأ في القرآن الكريم "كل من عليها فان" ، أليس هذا تناقضا ، الذي أريد أن أضيفه أن المادة لا تفنى ولا تستحدث ليس قانونا علميا ، هي مقولة إلحادية ، إن القانون العلمي ليس هو الكشف العلمي ، لأن القوانين العلمية موجودة قبل بدء الخلق ، ثم جاء نيوتن وغيره ، وكشف عن هذه القوانين ، وكان يمكن له أن يكشف عنها ويصمت وبالتالي لا يتحقق القانون العلمي . والقانون العلمي هو كشف وصياغة ، ثم توظيف وهو إما توظيف فلسفي تقوم عليه عقائد ، وإما توظيف تقني ، بمعنى أن تستخدم القوانين العلمية لأغراض معينة ، والأسلمة هي إعادة صيانة القوانين بما لا يتعارض مع الأصول الإسلامية وحسن توجيه هذه القوانين فلسفيا وتقنيا ، بما يتمشي مع المبادئ والتعاليم الإسلامية ، وهذا وارد في جميع العلوم ، وإن كان يزيد في العلوم الإنسانية بقدر أكبر من العلوم الكونية ، ولكن يبقى أن الأسلمة تهتم بجوانب كثيرة سواء من إعادة الصياغة أو من تنقية صور الغزو أو من عملية التأصيل والسطور على تاريخ العلم ، هناك اكتشافات لعلماء مسلمين ، ولكن تاريخ العلم رصدها ونسبها لغرب المسلمين و هناك صور وجوانب متعددة لأسلمة العلوم الكونية . وشكرا جزيلا لسيادتكم .

أ.د / عبد الوهاب المسيري :

أنا في الواقع أرى أن رؤية العلوم الطبيعية التي قدمت هنا ليست حقيقية بالمرة ، فمسألة أن الغرب أخذ علوما من العالم الإسلامي ، وحدثت تراكم معرفي وانفجار معرفي ، في الواقع أرى أن العلم الغربي مع عصر النهضة حدث فيه قطيعة معرفية مع كل العلوم ، وتلخص هذه المقاطعة العلمية فيما يلي :-

استبعاد الإنسان كمقولة نتيجة لاستبعاد الله ، مما يعني استبعاد الغائية سواء إنسانية أو أخلاقية أو دينية ، وهذا هو جوهر العلم الغربي منذ عصر النهضة ، وقد حقق انطلاقاته لهذا السبب ، بسبب أنه أصبح محايدا تماما ، ثم طبق هذا المنهج على عالم الإنسان أيضا ،

وهذا ما يسمى بوحدة العلوم ، فالانطلاق الذي حدث كنتيجة لاستيراد العلم الإسلامي ، لأن العلم الإسلامي منضبط بقيمة خدمة الإنسان ، أما العلم الغربي منذ عصر النهضة (وهذه مسألة لا بد من وضعها في الاعتبار) قد جرد نفسه تماما من الغاية ، بعد أن أعلن تهميش الله أو موت الإله ، وأصبح الهدف هو الغزو إلى أن وصل إلى إرادة القوة وهو المطلق ، وقد حقق انتصاراته لهذا السبب ، لذلك عندما تحدثت الدكتور / آمنة وأشارت بأن شخصا ما يفطر في القاهرة ثم يتغدى في بلد آخر هذه هي قيمة السرعة (وهو قيمة مطلقة) ، هذه هي إشكالية تواجه الإنسان الغربي والمسلم أيضا ، لذلك نجد أن ما ظهر من أن الإنسان الغربي فجر شيئا محايدا في العلم ، ولكن نجد أمامه ثقب الأوزون - عدم التوازن البيئي ، التلوث ، مما يؤكد لهم أن المسألة لها حدود، وأن الرؤية المعرفية الانفجارية ، رؤية الغزو وهي الإنسان غير المستخلف ، يعني جوهر الرؤية العلمية ، الإنسان الإله ، بينما جوهر الرؤية العلمية الإسلامية الإنسان المستخلف ، وهما شيان مختلفان تماما ، ومن هنا أعتقد أن ما يسمى بأسلمة العلوم لا يعجبني ، وأفضل عنه أسلمة المعرفة ، بمعنى أن المعرفة الإسلامية معرفة توليدية من داخل التراب أما كلمة أسلمة فتعني عندنا استيراد معرفة غربية ثم إعطائها وجهها إسلاميا ، وبالتالي أفضل أسلمة المعرفة التوليدية ، حيث تولد معرفة جديدة وقد تولد علوما جديدة ، فمثلا القرن الـ ١٩ كانت تكنولوجيا الطاقة المعتمدة على الماء والهواء كانت متقدمة للغاية ، ولكن الإنسان الغربي شاء أن يبدأ تكنولوجيا الطاقة اعتمادا على الفحم والبترو ، لي صديق مؤرخ أشار بأن السبب هو رؤيته الليبرالية للغزو والسرقة وهكذا .

نأتي لمقولة أخرى مسألة أن الغرب تقدم ، وهي مسألة ثابتة ، أعطى لكم إحصائية تبين أن هذه المسألة مشكوك في صحتها ، إن ما حققته إنجلترا من غزو الهند يزيد عما حققته من الثورة الصناعية ، وهذا يعيد فهم النموذج ، إذن المسألة أن الإنجليز ليسوا متفوقين أو يعملون بجد في مجال العلوم والعمل ، ببساطة الإنجليز نهبوا دولة الهند ، وعندنا الأرقام تقول إن ما نهب من الهند يزيد عما انتجته الثورة الصناعية .

وعليه فأنا أرى أن أسلمة العلوم استعادة الإمبريالية كمقولة تحليلية ، أن النموذج الغربي ككل لا يمكن فصله ، فصل تقدمه أو ديمقراطيته ، أو تقدمه في عملية النهب التي ظهرت في القرن ١٦ . وهكذا ، وهذا هو ما أسميه أسلمة المعرفة ، أن المقولات التحليلية نفسها تصبح نابعة من النموذج الإسلامي ، ومسألة النموذج أساسية ، لأن النموذج مسألة لم نجد لها في القرآن وفي السنة جاهزة وإنما مسألة سوف يتم تجريبها ، يعني مفهوم الإنسان المستخلف حتى يمكن تشغيلها معرفيا لا بد أن توثق معرفيا من البداية ، أنا لا أجد الفقه أو أعرف التراث الإسلامي بما فيه الكفاية ، ولكن أعمل عقلي من خلال ما أسميه الرؤية التوحيدية ، أنا أجد أن الرؤية التوحيدية دائما تأخذ شكل هرم ، بينما الرؤية المادية تأخذ شكل فطيرة ، لأن الرؤية التوحيدية هناك فوق وتحت ، سماء وأرض ، هناك إله وإنسان ، إنسان وطبيعة ، فهناك عمليات ثنائية ترتب نفسها في الهرم ، وبالتالي هناك قيم حاكمة ،

وقيم أقل حاكمية ، وقيم نلتزم بها ولكن يمكن ألا نلتزم بها ، وهي الفرق بين الحلال والحرام ، فهذا الحديث لو تصورتم أنني تكلمت الآن لمدة ساعتين بدون توقف بناء على قيمة حاكمية ، فإنني سوف أضيع وقتكم ومصلحة المسلمين يعني الضرر الناجم استمر أكثر بكثير من الضرر الناجم عن قطعي وتصوروا أننا قمنا بتشويه هذا المكان ، لا بد من استدعاء الشرطة باسم قيمة كبرى ، بمعنى أن القيمة الهرمية هنا مسألة أساسية في عملية المضمون ، وهذا ما أعنيه بتوليد المعرفة الإسلامية من النموذج الإسلامي ... وشكرا جزيلًا .

أ. د / عبد الفتاح الحسيني الشيخ : رئيس الجلسة

أشكركم ... والأنا وصلنا إلى نهاية الجلسة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إصدارات المعهد العالمى للفكر الإسلامى

أولاً - سلسلة إسلامية المعرفة :

- إسلامية المعرفة: المبادئ وخطة العمل، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الوجيز فى إسلامية المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق العمل لمؤتمرات الفكر الإسلامى، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. أعيد طبعه فى المغرب والأردن والجزائر. (الطبعة الثانية ستصدر قريباً).
- نحو نظام نقدى عادل، للدكتور محمد عمر شابر، ترجمة عن الإنجليزية سيد محمد سكر، وراجعه الدكتور رفيق المصرى، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الطبعة الثالثة (منقحة ومزودة)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- نحو علم الإنسان الإسلامى، للدكتور أكبر صلاح الدين أحمد، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد الغنى خلف الله، الطبعة الأولى، (دار البشير / عمان الأردن) ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- منظمة المؤتمر الإسلامى، للدكتور عبد الله الأحسن، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد العزيز الفانز، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- تراثنا الفكرى، للشيخ محمد الغزالى، الطبعة الثانية، (منقحة ومزودة) ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- مدخل إلى إسلامية المعرفة: مع مخطط لإسلامية علم التاريخ، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الثانية (منقحة ومزودة)، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- إصلاح الفكر الإسلامى، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

ثانياً - سلسلة إسلامية الثقافة :

- دليل مكتبة الأسرة المسلمة، خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، الطبعة الثانية (منقحة ومزودة) الدار العالمية للكتاب الإسلامى / الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، للدكتور يوسف القرضاوى (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ثالثاً - سلسلة قضايا الفكر الإسلامى :

- حجية السنة، للشيخ عبد الغنى عبد الخالق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، (الطبعة الثانية ستصدر قريباً).

- أدب الاختلاف فى الإسلام، للدكتور طه جابر العلوانى، (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية - بقطر)، الطبعة الخامسة (منقحة ومزيدة) ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- كيف تتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، للدكتور يوسف القرضاوى، الطبعة الثانية ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- كيف تتعامل مع القرآن: مدارس مع الشيخ محمد الغزالى أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- مراجعات فى الفكر والدعوة والحركة، للأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

رابعاً - سلسلة المنهجية الإسلامية :

- أزمة العقل المسلم، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية: أعمال المؤتمر العالمى الرابع للفكر الإسلامى، الجزء الأول: المعرفة والمنهجية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- الجزء الثانى: منهجية العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- الجزء الثالث: منهجية العلوم التربوية والنفسية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- معالم المنهج الإسلامى، للدكتور محمد عمارة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

خامساً - سلسلة أبحاث علمية:

- أصول الفقه الإسلامى: منهج بحث ومعرفة، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- التفكير من المشاهدة إلى الشهود، للدكتور مالك بدرى، الطبعة الأولى (دار الرفاء - القاهرة، مصر)، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

سادساً - سلسلة المحاضرات :

- الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

سابعاً - سلسلة رسائل إسلامية المعرفة :

- خواطر فى الأزمة الفكرية والمأزق الحضارى للأمة الإسلامية، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

- نظام الإسلام العقائدى فى العصر الحديث، للأستاذ محمد المبارك، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- الأسس الإسلامية للعلم، (مترجماً عن الإنجليزية)، للدكتور محمد معين صديقى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- قضية المنهجية فى الفكر الإسلامى، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- صياغة العلوم صياغة إسلامية، للدكتور اسماعيل الفاروقى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، للدكتور زغلول راغب النجار، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ثامناً - سلسلة الرسائل الجامعية :

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبى، للأستاذ أحمد الريسونى، الطبعة الأولى، دار الأمان - المغرب، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، الدار العالمية للكتاب الإسلامى - الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الخطاب العربى المعاصر: قراءة نقدية فى مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة (١٩٧٨-١٩٨٧)، للأستاذ فادى إسماعيل، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعارية، للأستاذ محمد محمد إمزيان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- المقاصد العامة للشريعة: للدكتور يوسف العالم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة فى ضوء المنظور الحضارى الإسلامى، للأستاذ نصر محمد عارف، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

تاسعاً - سلسلة الأدلة والكشافات :

- الكشاف الاقتصادى لآيات القرآن الكريم، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- الفكر التربوى الإسلامى، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الكشاف الموضوعى لأحاديث صحيح البخارى، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- قائمة مختارة حول المعرفة والفكر والمنهج والثقافة والحضارة، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الموزعون المعتمدون منشورات المعهد العالمى للفكر الإسلامى

فى شمال أمريكا :

المكتب العربى المتحد

United Arab Bureau

P.O Box 4059

Alexandria, VA 22303, U.S.A.

Tel: (703) 329-6333

Fax: (703) 329-8052

خدمات الكتاب الإسلامى

Islamic Book Service

10900 W. Washington St.

Indianapolis, IN 46231 U.A.S.

Tel: (317) 839-9248

Fax: (317) 839-2511

فى أوروبا :

المؤسسة الإسلامية

The Islamic Foundation

Markfield Da'wah Centre, Ruby Lane

Markfield, Leicestershire LE6 0RN, U.K.

Tel: (44-530) 244-944 / 45

Fax: (44-530) 244-946

خدمات الإعلام الإسلامى

Muslim Information Services

233 Seven Sister Rd.

London N4 2DA, U.K.

Tel: (44-71) 272-5170

Fax: (44-71) 272-3214

المملكة العربية السعودية :

الدار العالمية للكتاب الإسلامى

ص.ب : ٥٥١٩٥ الرياض : ١١٥٣٤

تليفون : 1-465-0818 (966)

فاكس : 1-463-3489 (966)

المملكة الأردنية الهاشمية :

المعهد العالمى للفكر الإسلامى

ص.ب : ٩٤٨٩ - عمان

تليفون : 6-639992 (962)

فاكس : 6-611420 (962)

لبنان :

المكتب العربى المتحد

ص.ب : 135888 بيروت

تليفون : 807779

تيلكس : 21665 LE

المغرب :

دار الأمان للنشر والتوزيع

4 زنقة المأمونية

الرباط

تليفون : 723276 (7-212)

مصر :

النهار للطبع والنشر والتوزيع

٧ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة

تليفون : 3913688 (202)

فاكس : 340-9520 (202)

الهند :

Genuine Publications & Meia (Pvt.) Ltd.

P.O. Box 9725 Jamia Nager

New Delhi 100 025 India

Tel: (91-11) 630-989

Fax: (91-11) 684-1104

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة
أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس
عشر الهجري (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) لتعمل على:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكلية والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانية وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.
- ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:
- عقد المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية المتخصصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلمية والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.
- وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية الإسلامية والغربية وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P.O. Box 669)
Herndon, VA 22070-4705 U.S.A
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922
Telex: 901153 IIIT WASH

هذا الكتاب

هو أعمال وأبحاث الندوة التي عقدها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع جامعة الأزهر ، حول " التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية " .

وتأتى أهمية الكتاب حيث يصدر فى وقت تطورت فيه وسائل " الخدمة الاجتماعية " فى الغرب تطوراً كبيراً ، بينما شاع التراجع عن تلك الخدمة فى مجتمعات المسلمين ، واختفت مؤسسات الوقف التى كانت تقوم بأدوار مشرفة فى خدمة المجتمع الإسلامى . واليوم يقف المسلمون فى " آخر الأمم " المهتمة بالخدمة الاجتماعية ، فى وقت هم أشد الناس حاجة إلى هذه " الخدمة الاجتماعية " ، علماً وفناً وممارسات ومؤسسات وقيادات .

ويتضمن الكتاب ثلاثة محاور : -

المحور الأول : الإطار الفكرى والمنهجى للتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية ، ويشمل ستة بحوث تتنوع بين منهجية التوجيه الإسلامى والمنظور الإسلامى ، للعلوم الاجتماعية والرعاية الاجتماعية ، والسياسية الاجتماعية الإسلامية .

المحور الثانى : مجالات الخدمة الاجتماعية فى المنهج الإسلامى ، من خلال سبعة بحوث تدور حول خدمة الفرد ، وتوجيه الشباب ، ورعاية المسنين ، والعسكريين .

المحور الثالث : يخصص لعرض حلقتى النقاش الدين تصممتها الندوة حول الخدمة الاجتماعية والدعوة إلى الله ، وقضايا المنهجية وانعكاساتها على العلم والمجتمع ، وشارك فيهما أعلام الفكر الإسلامى المعاصر وأساتذة العلوم الاجتماعية .